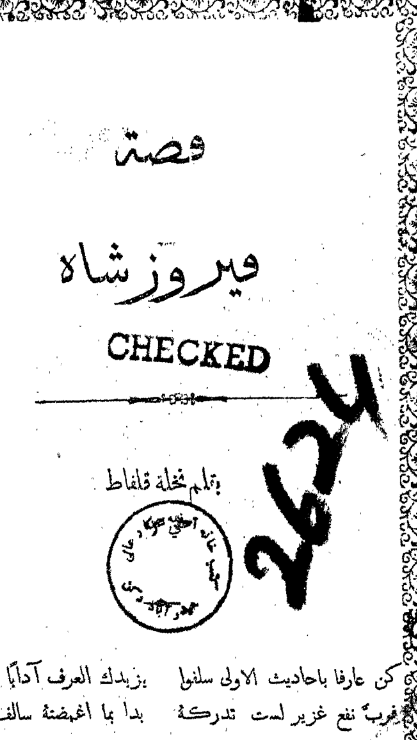


قصة

فيروز شاه

بقلم نخلة قلفاط

كن عارفا باحاديث الاولى سلفوا ... يزيدك العرف آدابا على ادب
ورب نفع عزيز لست تدركه ... بدا بما اغمضته سالف الحقب

الجزء الاول

طبع في بيروت في مطبعة المعارف سنة ١٨٨٥





مقدمة

بعد طلب المعونة من الله سبحانهُ وتعالى اقول انهُ لما كانت قصة فيروزشاه من القصص التي تناقلتها الالسن وحكاها الحاكون وتلاعب بها المتلاعبون فمنهم من زاد في بعض حوادثها ومنهم من نقص في اصلها بما علق في فكره ارتأيت ان اجمع الفكرة في كتابتها الى تاليف ما اوحش السمع وغاب عن الفكر وشرد عن الذهن الى ان توفقت الى ما بهِ المراد واذا هي قصة من اعجب مما يروى وابدع عما يذكر فيحق لها فعلاً ان تكتب في بطون الاوراق وتحفظ في دفاتر الصحف كما حفظت اجيالاً عديدة في صدور الرجال وبالمساعدة من الله جاءت على اتم ما يرام مضبوطة الالفاظ محكمة الاشعار مضطردة الحديث محكمة يروق لسماعها بال كل انسان فتوافق فيئات اهل الاداب وغيرهم معنىً ولفظاً ما عدا المدعين الادعياء فاولئك لهم من انفسهم الجواب السديد. وقد كتبتها بقلمي متكلاً عليهِ تعالى وسلكت منها مسلك الرقة وسرد العبارات البسيطة المفهومة والتقطت لها الاشعار النفيسة من اقوال اشهر رجال العالم تاركاً التطويل المودي الى الملل ومتجنباً الاختصار المضيع رونق الحوادث وطلاوتها وعلى كل فاني اكرر طلب المعونة من الله وارجو المعذرة ممن عف ذيلاً فغض طرفاً عن الهفوات اذ ليس كامل الا الله وحده فهو حسبي ونعم الوكيل



بسم الله الرحمن الرحيم

كان في غابر الازمان في بلاد فارس ملك عظيم القدر رفيع الشان كثير الجنود يقال له الملك بهمن وكان جباراً عنيداً وفارساً صنديداً يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد لها في الليل والنهار لا يعرف الحلال من الحرام ولا يرعى مودة ولا ذمام ولم يكن له الا بنتاً بكراً ذات جمال رائق وقد قويم افذت يوم دخل عليها وراودها عن نفسها ولم يكن دينة يمنعة فمانعته الا انه اغتصبها بما له من القوة والسطوة والمهابة فراحت منه حامل بامر الله تعالى ولم يمض على الملك بهمن المذكور الا ايام قليلة حتى اهلكه الله فقدموه الى النار وكانت بنته لم تلد بعد ولم يكن له وريث للملك سواها فاجتمع اليها ارباب الدولة والوزراء والنواب فالتقتهم بالترحيب والاكرام وسالتهم عما يريدون ان يفعلوا فقالوا لها اعلمي ايتها الملكة الشريفة ان وفاة ابيك اثرت فينا تاثيراً عظيما ولم يترك لنا ولداً ذكراً لنسلمه قيادة المملكة ونجلسه على عرش بلاد فارس ولم يكن له الاك ولذلك قد اتفقنا ان نعرض عليك التاج فاتيناك نطلب منك قبول طلبنا لان المملكة تحتاج الى حكمة لا سيما وان اعداء مملكتنا كثيرون وكلهم يقصدون اذلالنا وتدمير مملكتنا وما نعهده فيك من الحكمة وتصويب الاراء في زمن المرحوم والدك يحملنا ان نقول لك اننا لا نريد حاكماً علينا الا انت . فقالت انه يصعب علي ان ارد طلبكم هذا لا سيما واني الوريثة الوحيدة لوالدي انما اريد ان اعرض عليكم امراً واحداً فاذا قبلتم بوخدمتكم الى ان اموت قالوا اننا لا نخالف لك قولاً ولا نعصى لك امراً فالذي تامرينا به نفعله . قالت انتم تعلمون ان ابي مع ما كان عليه من البطش وحب الرعية وحفظ المملكة كان يعبد النار ويترك عبادة الواحد القهار الذي اوجد الوجود واهلك بقايا قوم عاد وثمود فهو الاله الذي لا يعبد الا سواه وقد تعلمت هذه العبادة سراً من مربيتي واني اجد فيها لذة داخلية وراحة دائمة واشعر باطمئنان وليس ارى بينها وبين عبادة النار مناسبة فالنار ليست الا مادة تشعل بواسطة الخشب فنشعلها عند الحاجة اليها ثم نطفئها عند الاستغناء عنها فكيف نتخذ لنا معبوداً من صنعة ايدينا ونترك عبادة الذي صنعنا وصنع كل ما ترونه وما لا ترونه وهو محجوب عن الابصار . فاجابوها كلهم عن صوت واحد اعلمي يا سيدتنا اننا الى مثل هذه العبادة كنا نشتهي واننا نريد ان

تتخلص من عبادة النار التي كلما دنونا منها تحرقنا وقد اهلكت منا كثيرا فافعلي ما شئت وعلمينا العبادة التي تريدينها وفي الحال علمتهم عبادة الله وما يقولون وامرتهم ان يعلموا اولادهم ونساءهم ويبثوا هذه العبادة في كل البلاد وفي الحال خربت معابد النار وحرمت السجود لغير الله سبحانه وتعالى ثم ان بنت الملك وكان اسمها وردشاه ذهبت الى دار الحكومة وجمعت اكابر الدولة فبايعوها والبسوها التاج واجلسوها على كرسي ابائها واجدادها وزينت المدينة خمسة عشر يومًا ودارت البشائر في كل نواحي المملكة وعواصمها فجاءوا اليها افواجًا افواجًا يهنئوها بالحكم وفي الحال فتحت الخزائن واعطت ووهبت ودخلت الحبوس وزارت المعابد وشيدتها واقامتها وعززت عبادة المولى عزّ وعلا . وصارت من ذلك الحين تحكم وتقضي وتامر بالعدل والانصاف والمساواة بين عموم التبعة وما مضى على ذلك الا ايام قليلة حتى ولدت ذكرًا لانها كانت حامل من ابيها كما مرّ الكلام وبعد ان صرفت ايام الولادة اجتمع اليها رجال دولتها وطلبوا اليها ان تريهم ملكهم واظهروا لها فرحهم وسرورهم به فشكرتهم على ما اظهروه من الميل نحو ولدها والطاعة لها ثم اولمت لهم وليمة فاخرة وجمعت فيها سائر الولاة والقضاة والوزراء وقالت لهم انتم تعلمون انه توفي والدي ولا ذكر له ولولاي لانقرضت دولتنا وربما وقع الشقاق فيما بينكم فتغتنم اعداء المملكة المحدقون بها هذه الفرصة فيعيثون في بلادنا ويملكون منها ما تصل اليه ايديهم وربما قاد الامر الى اندثار هذه الدولة لاسمح الله التي طالما دوخت البلاد وسادت على العباد ولولم يقتنصني ابي كما هو معلومكم لوصلتم فيما بعد الى هذه الحالة التي ذكرتها لكم الا ان القدر المحتوم اوصله الى ايجاد نسل وان كان هو من الها لكين لا محالة انما العناية الالهية المنوط بها حفظ البلاد وراحة العباد فعلت ما فعلت حبًا بكم لا بابي والان فاني اعرض عليكم هذا الطفل طالبة منكم ان تعتنوا في تربيته وتهتموا في تعليمه وتهذيبه . فاجابوها ان هذا ولدك فانت احق بتربيته واكثر رغبة في حياته منا فاليك نسلم امر الاعتناء به و تعليمه فقالت ان كنتم تقبلون بذلك فلي عليكم شرط واحد وهو ان في نيتي ان اقيم له اساتذة مخصوصين يعتنون به الى مدة خمسة عشر سنة لا اراهُ ولا ترونهُ بحيث تكون كل ايامه ايام تعليم وتهذيب و بعد ذلك اسلمهُ لكم فتقيمونهُ ملكًا عليكم واني كنت اخاف انكم في كل سنة تاتون اليّ وتقولون لي ارنا ملكنا ولذلك عرضتهُ عليكم من الان فقالوا لها اننا نعاهدك ان لا نسالك فيه الى حين تاتينا به

وبعد ان انقضت الوليمة انصرف كل الى حاله واخذت الملكة وردشاه تفكر من ذلك الحين في امر ابنها الى ان خطر لها خاطر فقالت في نفسها اني اخاف ان اعتني بابني الى ان يكبر فيعبد عبادة ابائه واجداده و يبطل عبادة الله وربما انتقم مني ايضًا لاني كنت السبب في هدم بيوت النار . وبعد ان قدحت زناد الفكرة طويلاً خطر في بالها ان تضعهُ في صندوق وتلقيه الى البحر

فاذا كان الله يرغب في سلامتهِ وبقائهِ ينتشلهُ من جوف الماء ويسخر لهُ من يقوم بخدمتهِ ويرجعهُ اليها والا فيكون قضي عليهِ بامر الله المحيي والمميت ولما قوي عليها هذا الفكر اتت بصندوق فطلتهُ بالقار واخذت الولد فارضعتهُ حتى شبع وبعد ذلك وضعتهُ في الصندوق ووضعت معهُ شيئاً كثيراً من الجواهر والذهب وربطت في زنده معضداً كتبت فيهِ هذا ابن الملك بهمن ولما انتهت من عملها قفلت الصندوق وسارت بهِ الى ان اتت الشاطئ فالقته فيهِ وقالت اني اودعتك عند من لا تضيع عنده الودائع . ثم عادت الى القصر وكتمت امر ولدها ولم يعلم بهِ احد من رجال مملكتها ودامت في تعاطي الاحكام والتولي كما كانت قبل ذلك

واما الصندوق الذي وضعتهُ في البحر فتلاعبت بهِ الامواج وقذفتهُ الرياح وتسارع بهِ التيار حتى اوصلهُ الى احدى موانئ مدن بلاد فارس وبالقضاء والقدر كان ذلك عند انبثاق الفجر وكان صياد فقير يصطاد السمك فلما راى الصندوق هلع اليهِ كالمجنون فانتشلهُ من الماء وعاد مسرعاً نحو بيتهِ وهو لا يعلم ما فيهِ ولما دخل بيتهُ فتح الصندوق فشاهد الطفل وكان غائباً عن الوجود ولما تنشق النسيم انتبه وبكى فدفعهُ الى زوجتهِ ترضعهُ وقال لها اعتني بتربية هذا الغلام واياك من الافراط فيهِ فاذا كبر عندنا يكون السبب في نجاحنا لانني قرات ما هو مكتوب على المعضد المربوط فيهِ زندهُ فهو ابن الملك بهمن ومما يؤيد ذلك هو وجود هذه الجواهر والذهب ايضاً في هذا الصندوق فينبغي ان نحفظها لهُ لتربيتهِ فيها ولا نعلم سبب وضعهِ فيهِ فاكتمي هذا السر الى حينهِ وادعي نفسك بامهِ وانا بابيهِ . ثم دعا اسمهُ ضاراب وجعل يهتم هو وزوجتهُ بهِ حتى مضى على ذلك نحو اربع سنوات فدفعاهُ الى المدرسة لدرس العلوم اللازمة حتى بلغ من العمر عشر سنوات وهو لا يعرف الا ان الصياد ابوهُ وزوجتهُ امهُ وكان قد تهذبت اخلاقهُ وتعلم بعض العلوم الفارسية ونشا على عبادة الله سبحانهُ وتعالى لان الصياد كان يعبد الله وخرج قوي الباع شديد البطش حتى ان اشد الرجال كان لا يقدر ان يصرعهُ وكانت تخافهُ كل اولاد مدرستهِ . وفي ذات يوم خرج الصياد الى الفلا ليصطاد شيئاً من الوحوش لانهُ كان قد ترك صيد البحر وتعلق بصيد البر فاخذ معهُ ضاراب فطافا كل النواحي واوسعا في الاحراش دون ان يصطاد ذلك الصياد شيئاً حتى كادا يهلكا ظمئاً واذ ذاك قال الصياد لضاراب هيا بنا نرجع يا ولدي فاننا لم نجد شيئاً في هذا اليوم فقال لهُ ضاراب كيف نعود صفر اليدين والبر امامنا واسع فقال لهُ ان العطش قد فعل بي جداً ولم يكن لنا ماء لنشرب فقال ان كنت قد عطشت فانا اسقيك . قال من اين تاتي بالماء والماء بعيد عنا قال اتبعني فاريك ثم سار بهِ حتى اتى شجرة نضيجة فقطع غصناً منها قبض عليهِ بكلتا يديهِ وقال لهُ افتح فاك ففتح فوضع جذر الغصن فوقهُ وعصره فقطرت عصارتهُ في فمهِ فشرب حتى ارتوى وقد ذاق ماء عذباً لم يذق مثلهُ طول حياتهِ . ثم عصر لهُ في يديهِ فشرب هو ايضاً فتعجب

الصياد من قوته وقال بالحقيقة انهُ هو ابن الملك بهمن لان ذلك كان من الفرسان المعدودين وهذا خليفتهُ دون ريب وبعد ان صرفا ذلك النهار كلهُ في الصيد رجعا وقد حكى الصياد خبر ضاراب الى زوجتهِ وقال لها ان سعادتنا قد اوصلت الينا هذا الغلام فبعد ان يكون قد تأكد عندهُ اننا نحن الذين اخذناه من البحر واعتنينا بهِ وبعي على وجوب مكافاتنا على ذلك اطلعنا الملكة عليهِ واخبرناها بحالهِ وعندنا الشاهد على ذلك المعضد التي نحفظهُ ففيهِ اسم ابيهِ ويوم ولادتهِ ولا بد ان ياتينا منهُ الخير الكثير ويكون لنا عندهُ شان واي شان

وبعد ان مضى على ذلك نحو خمسة عشر يوماً قال ضاراب لابيهِ الصياد هيا بنا يا ابي الى الصيد فاني اشتقت الى الخروج وقد مضى علينا نحواً من الايام وانت لا تخرج ولا اعلم السبب فقال لهُ في الغد نذهب ولما كان الغد اخذ كل قوسهُ وكنانتهُ وخرجا الى الصيد حتى انتهيا الى ذاك الحرش فتخللاهُ وتوغلا بين اشجاره الغضة الملتفة وبينما كانا يطاردان الوحوش ويصطادان الارانب لاحت من الغلام نظرة فرأى اسداً ينز وبلبوة بالقرب منهما فصاح فيهِ بصوت اجفل منهُ السبع فترك اللبوة وجاءهُ وقد احتدم من الغيظ فلما رأى الصياد ذلك خاف على الغلام فطلب اليهِ ان يختفي من امامهِ وصعد الصياد الى احدى الاشجار وهو يرجف من الخوف والوجل واما ضاراب فلم يخف ولا ارتاع بل اسرع الى ساق شجرة فاقتلعهُ واخذه بيديهِ وصبر الى ان قرب منهُ الاسد فرفع ساق الشجرة وضربهُ بهِ على راسهِ فصرعهُ الى الارض فاراد الاسد ان يلملم نفسهُ ويعود اليهِ فلم يمكنهُ ضاراب بل فاجاءهُ بضربة ثانية وثالثة حتى اماتهُ ولما نظرت اللبوة فعل الغلام اخذها الغيظ فقدحت اعينها شرار نار وكشرت انيابها وهيات اظافرها واتت ضاراب تطلب منهُ الثار فلم يدعها ان تصل اليهِ حتى ضربها فالقاها صريعة واسرع فوضع رجلهُ على رقبتها واخذ بكل من يديهِ حنكها ومزقها . ولما رأى الصياد فعل الغلام اخذتهُ رعشة عصابية فنزل عن الشجرة وقال لهُ هلم يا ولدي اتبعني فسار وراءهُ حتى دخلا المدينة ووصلا الى البيت فاجتمع الرجل بزوجتهِ وقال لها انهُ لم يعد في وسعي اخفاء حالة الغلام فلا بد من اخذه الى العاصمة وتقديمهِ للملكة والدتهِ فقد كان منهُ اليوم ما هو كذا وكذا واخاف ان يوقع يوماً ما بداهية او يفترسهُ اسد فنوقع في الندم ولا اظن انهُ يوجد على وجه الارض ممن يماثلهُ في قوة الساعد والجنان فبمثلهِ تفتخر بلاد فارس . فقالت لهُ صدقت فقد آن الاوان وجاء الزمان الذي فيهِ يجب ان تحملهُ الى والدتهِ وتخبرها بحالهِ

ولما كان اليوم الثاني سافر الصياد بالغلام واتى عاصمة الفرس فاقام في احدى الخانات ريثما استراح ثم اخذهُ وسار الى قصر الملكة فقصد الدخول عليها فمنعهُ الحجاب وقالوا اننا نطلب لك منها الاذن فاذا سمحت لك ادخلناك . ثم دخلوا على الملكة وردة شاه واعلموها ان رجلاً يلح بالدخول عليها لامر يتعلق بها فاذنت لهُ فدخل ووقف بين يديها وقال لها اعلمي ايتها الملكة

المعظمة أن لي خبراً اريد ان ارفعهُ اليك انما اريد قبل ذلك منك الامان قالت اني امنتك على نفسك فابدِ ما عندك قال اعلمي ياسيدتي اني رجل صياد اصطاد السمك من البحار واسير الى الشواطئ دائماً قبل انبثاق الفجر ففي ذات يوم خرجت حسب عادتي حتى اتيت الشاطئ وقبل ان ارمي بشبكتي الى البحر لاحت مني التفاتة الى صندوق قذفته الامواج الى الرمال فدلفت اليهِ واخذتهُ عائداً الى بيتي ولما خلوت بنفسي فتحتهُ فوجدت فيهِ طفلاً رضيعاً فتعجبت من حالتهِ وقد زدت عجباً عند ما وجدت في يدهِ المعضد ومكتوب عليهِ هذا ابن الملك بهمن فاخرجتهُ واعتنيت بهِ وانا لا اعلم شيئاً من امرهِ ومن سبب وجوده داخل ذلك الصندوق ومعهُ من الذهب والجواهر شيء كثير ولما ترعرع علمتهُ عبادة الله سبحانهُ وتعالى وكنت قد تركت صيد البحر وصرت اصطاد من البرّ فتولع ان يخرج معي حتى رايت منهُ عجائب وهو انهُ كان يهجم على الاسود فيمسكها بيديهِ ويشقها شق القماش واذا قبض على الشجرة بقوتهِ انزل منها عصيراً كل ذلك وهو لم يبلغ سن ١٢ سنة فراعني امرهُ وخفت ان بقيت كاتماً امره يلحقني غضبك لان بمثل هذا المولود تفتخر بلاد فارس وتضرب الامثال جيلاً بعد جيل . فلما سمعت الملكة كلامهُ حركها الحنو فوثبت واقفة على الاقدام وصاحت دون وعي ولا انتباه . ولدي وفلذة كبدي ابن هواتني بهِ فخرج الصياد واتى بضاراب فرمت بنفسها عليهِ تقبلهُ وقد مالت اليهِ كل الميل وتاكد عندها بما رات فيهِ من علامات الملوك الفارسية وبما تحرك فيها من الشفقة انهُ ولدها الذي القتهُ في البحر ولا زالت تقبلهُ وهو باهت لا يدري في اي مركز هو اصحيح ابنها او هو ابن الصياد ورجال الدولة شاخصون اليها لا يعلمون شيئاً من حالتها فاخبرتهم بخبرها وما كان منها في بادي الامر وكيف انها خافت من ان يعوذ الى عبادة النار فسلمتهُ ليد التقادير واعاد عليهم الصياد حديثهُ وكيف قتل الاسد واللبوة فتعجبوا من امره وقالوا ان مثل هذا يليق ان يحكم على بلاد فارس فيقهر اعداءها ويبيد مخاصميها ثم قالت لهم الملكة وردة شاه ان هذا هو الان ملككم وقد ان اوان تسليمهِ اليكم فان شئتم فبايعوهُ بالملك فيستلم عرش اباثهِ واجداده

ثم نزلت عن العرش ونزعت الخاتم من اصبعها والبستهُ اياهُ ورفعت التاج عن راسها ووضعتهُ امامهم وقالت قد كفاني التملك على هذه المملكة فاني لم اكن الا كوكيلة وقد آن زمان نزعي عن الوكالة . فشكرها الجميع على قولها وقالوا اننا لا نفعل الا ما تامرينا بهِ وحيث تنازلت لابنك عن تختك فنحن بامرك نرفعهُ عليهِ . ثم انهم بايعوه بالملك وامروا ان ينادى باسمهِ في كل بلاد فارس ودارت الافراح في المدينة فزينت اسواقها ورفعت اعلام البشائر على جدران اسواقها وتكللت بالزهور سطوح ابنيتها ووردت الولاة تهني الملكة وردة شاه بابنها وتهنيه هو ايضاً بارتقائهِ الى عرش السلطنة

وأما الملك ضاراب فانهُ من ساعتهِ استلم زمام الاحكام وقد عرف من نفسهِ انهُ من سلالة

ملكية وان الصياد كان قد رباه فافرغ عليهِ شعار النعم واقامهُ كاتمًا لاسراره ووهبهُ الضياع والقرى وكذلك الملكة وكل من كان يحب الملك كان ينعم عليهِ و يظهر لهُ شكره حتى صار من اغنى ارباب المملكة وكان في ديوان الملك وزيران حكيمان يقال لاحدهما دوش الراي وللاخر طيطلوس وكان هذا الاخير اصلهُ من بلاد اليونان خبيرًا عالمًا باحوال الدنيا وتواريخ العالم فيلسوفًا يعرف بضرب الرمل والتنجيم ورصد الافلاك وكان في ديوان الملك ايضًا سبعة رجال عيارين يدعون بالبهلوانية يقال للاول فيلزور بن رستم وهو من الجبابرة العظام اصحاب الوقائع المشهورة والغارات المأثورة والثاني بهمنزان العتبي والثالث بهمنزان قلي والرابع عبد الخالق القيرواني والخامس طهمور والسادس مرادخت الطبرستاني والسابع شبر بن الشبلي الطلقاني وكان الستة تلامذة فيلزور الاول وهو رئيسهم وقد تعلموا منهُ فنون الحرب باجمعها فضلاً عن العيارة وكل ما يلزم اثناء القتال في ذلك الزمان . وكان في ديوان الملك ايضًا كثير من قواد العساكر والقضاة ورجال المال والكتبة فامتحنهم كلهم ووضع لهم القوانين الصارمة واوصاهم بالعدل وحفظ الراحة وبث الامن فاحبهُ جميع الرعية من الخاص الى العام لما راوا فيهِ من التقوى وحفظ العبادة والانعكاف على مطالعة الصحف المقدسة ولما اوصلهُ اليهم من النعم والمواهب الغزيرة وزيادة معاش اصحاب الخطط وقيام منازل للفقراء والغرباء . وبعد ان مضى على ذلك ايام وراق لهُ الوقت وترتبت المحاكم والاحكام على حسب مشتهاه طلب الخروج الى ضواحي المدينة للنزهة والفرجة والصيد فجمع بعضًا من حاشيتهِ واعيان ديوانهِ وسار يطوف تلك النواحي حتى بعد بهم مسيرة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع انتهى الى مكان فسيح رحب واسع الجنبات كثير الاشجار والمياه جيد الهواء والمناخ فاعجبهُ جدًا ولاح في ذهنهِ ان يبتني مدينة في تلك الناحية فحكى لحاشيتهِ ما خطر لهُ وامرهم باحضار المهندسين والبنائين والفعلة فحضروا بين يديه فخطط الرسم الذي رغبه ودفعه اليهم ثم عاد الى المدينة وفتح الخزائن وجبى الاموال قيامًا بنفقة البناء فكان كل ما يحتاجه البناء يوخذ من المدينة وكان نحو ٤٥ الف بناء يبنون ما عدا الفعلة ونحوهم ولما انتهى البناء امر ان تحاط المدينة بسور عال سميك يبلغ سمكه ٧ اذرع وطوله يبلغ مسير ٣ ساعة ومثلها عرضًا وذلك بالنسبة لطول المدينة وعرضها ففعلوا وبني السور وكان هو اول من وضع حجرًا في اساسهِ ومثله فعلت اكابر دولتهِ واقتدت بهِ عموم الرعية ثم دعى تلك المدينة ايران فنقل اليها عرشه وسمح لكل من رعاياهُ بمكان يسكنه بالنسبة الى حالهِ فتفرق السكان في كل جهاتها ودار سوق البيع والشراء حتى فاقت العاصمة الاولى فسر الملك سرورًا لا مزيد عليهِ وعمل عيدًا مخصوصًا لبناء المدينة وامر ان تزين اربعين يومًا تمامًا فزينت وبقيت اربعين يومًا لا يعرف فيها الليل من النهار وكان الناس في لهو وطرب وغناء والانوار تشرق في كل جدار من الجدران وكان قد انتشر خبر المدينة في كل المملكة فتقاطر اليها المتفرجون

من اقاصي البلدان فزاد ذلك في نجاحها وعمرانها

هذا وما برح والملك ضاراب يجتهد في تحسين بلاده وتدبير امورها حتى بلغ الخمس والعشرين سنة من العمر . ومع ذلك لم يخطر على باله قط امر الزواج وكان وزراؤه يتعجبون في اعرضه عن النساء وكيف لا يميل الى الزواج ففي ذات يوم كان ديوان الملك محتبكًا بالوزراء والاعيان والبهلوانية والقواد . فتقدم الوزراء اليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له . اعلم ايها الملك المعظم . ان المملكة لا تحيي الا بالعدل . والعدل لا يقوم الا بالحكمة والتدبير . والحكمة والتدبير لا يكونان الا في افراد الناس . ولاسيما في الملوك وانت تعلم بحكمتك وحسن تدبيرك ان وجود النسل لك ضروري لحفظ المملكة فيما بعد من الانقسام وما تعلمهُ ونعلمهُ ايضًا انهُ لم يعد ذكر من نسل عائلتكم غيرك فاذا لم تتزوج تكون قد خلفت المملكة خرابًا وللرعية قلاقل وحروبًا فمن الاوفق ان تتزوج الان فياتيك الاولاد ويكونون لك ورثاء فتثبت بهم دعائم الملك وتعلمهم عبادة الله وتختار منهم من يوافق ارادتك وطاعتك وهذا يطلبهُ منك الله سبحانهُ وتعالى فهو فرض عليك . فاجاب الملك اني لا ارغب في الزواج الا لايجاد النسل كما تزعمون انما اريد ان اسمع بذكر امراءة فاضلة كاملة الاوصاف فقال لهُ وزيرهُ طيطلوس الحكيم اذا شاء سيدي الملك وامهلني اربعين يومًا ابحث لهُ عن مطلوبهِ . واني كافل لهُ ايجادهُ فاني اعلم ان زوجة الملك اذا كانت حكيمة عاقلة تساعدهُ في الراي فيرتفع عن عاتقهِ ثقل قسم من اقسام المعيشة ولا سيما في امر تربية الاطفال . فقال فيلزور اني عند ما كنت سائحًا منذ سنين قليلة دخلت بلاد البربر وهي لملك يدعى ادموس ولهذا الملك بنت كان اوانئذٍ عمرها ١٣ سنة انما كانت جامعة بين الحكمة والجمال والعقل والاداب اسمها تمرتاج واني على يقين ولا اخشى ان اقول بانها اوحد نساء عصرها حسنًا وادبًا . فلما سمع الملك ذكر هذا الاسم وقع في قلبهِ موقعًا حسنًا ومال قلبهُ بامر الله الى صاحبتهِ فوقع في هواها دون ان يراها فقال لفيلزور اريد منك ايها الوزير الامين ان تذهب ورفيقك طيطلوس الى حضرة هذا الملك وتذكرا عندهُ محبتي لبنتهِ على السماع واطلباها لي زوجة فقال سمعًا وطاعة . ثم ذهب الوزيران من تلك الساعة فهيئا نفسيهما للسفر واخذا كتاب الملك وحملا من الجواهر النفيسة والقماش الغالي شيئًا كثيرًا مما يليق ان يقدم هدايا للملك ومهرًا لابنتهِ وركبا وسافرا من ايران حتى دخلا بلاد بربر وكان بهلوان الملك ادموس واسمهُ زودزمام صديقًا لفيلزور فذهبا الى بيتهِ وسلما عليهِ فتلقاهما بالاكرام وسالهما عن سبب مجيئهما على غير انتظار . فقال لهُ فيلزور اننا مرسلين من قبل الملك ضاراب الى سيدك الملك نخطب منهُ ابنتهُ تمرتاج ونريدك ان تكون لنا مساعدًا في ذلك ففرح زود زمام فرحًا لا يوصف وقال اني اعلم ان سيدي الملك يسر جدًا في مصاهرة الملك ضاراب واني اتمنى ان اقوم لهُ انا ايضًا بخدمة اكرامًا لهُ ولك لانك اخي

بالعهد . ثم صرفوا ذلك اليوم في احاديث الملوك واحوال الممالك ولما كان الصباح ذهبوا الى قصر الملك ادموس وتقدم فيلزور وطيطلوس وقبلا يديهِ ودفعا اليهِ كتاب سيدهما فاخذهُ وقرأهُ ثم رفع راسهُ وقال لهما على الرحب بكما ايها الوزيران العاقلان والحكيمان الخبيران فقد شرفتما بلادي بقدومكما فاقيما الان بضيافتنا الى حين اعطاء الجواب ثم امر وزيرهُ زود زمام ان يكرمهما الاكرام اللائق بهما فدعيا لهُ بدوام العز وذهبا ضيفين على الوزير واما الملك فقد ذهب الى زوجتهِ واخبرها بخبر الوزيرين وانهُ ورد اليهِ تحرير من الملك ضاراب ملك بلاد الفرس يخطب منهُ ابنتهُ . فقالت لهُ زوجتهُ ارني الكتاب فدفعهُ اليها فقرأتهُ وسرت سرورًا لا مزيد عليهِ وقالت لهُ من ابن لنا ان نصاهر مثل هذا الملك الجليل وهو اشد الملوك باسًا واقدرهم جيشًا واحكمهم عقلاً واوسعهم ملكًا على انا لو منعنا بنتنا عنهُ لقدر ان يغصبنا عليها بما لهُ من القوة والسلطان . ثم قر رايهما على ان يهيئا بنتهما تمر تاج ويرسلاها اليهِ

وفي الغد دعا الملك ادموس طيطلوس الحكيم وفيلزور البهلوان وزيري الملك ضاراب وقال لهما اني اقدم بنتي معكما الى الملك ضاراب فان زواجها بهِ دليل على حسن حظها وسعادتها وبما انها وحيدة عندي وليس لي سواها اريد منكما ان تتعهدا لي عنهُ انهُ لا يتزوج غيرها وانها هي تكون الملكة وان الذكر الذي ياتي منها تكون لهُ ولاية العهد فاجاب طيطلوس اني اكفل لك هذا الامر فان سيدي الملك اوصانا بهِ عندما بعثنا اليك لنعقدهُ معك عنهُ . وبعد ان صرفا مدة الضيافة استاذنا الملك بالذهاب فجهز بنتهُ بالنفائس الغوالي ورفعها على هودج مزين بالحرائر والاطالس وسلمهما اياها وكتب كتابًا الى الملك ضاراب جوابًا على كتابهِ يهنئهُ بزواجهِ ويوصيه بابنتهِ وان يداريها كونها وحيدتهُ ثم عرض على الوزيرين ان يصحبا معهما عسكرًا من بلاده فقال لهُ فيلزور ان الامر لا يحتاج الى حشد جيوش فليس في الطريق من مخاصم على انهُ لو اعترضنا جيش فاني كفوء لهُ وحدي وبعد ذلك ودعا الملك ووزيره زودزمام وسارا بتمرتاج بعد ان ودعها ابوها وامها واوصياها بطاعة زوجها والانقياد لامره وكانت فرحة بما وصل اليها من زواجها بالملك ضاراب لانها كانت تسمع بحلمهِ وشجاعتهِ وكرامة اخلاقهِ وعلو شانهِ ولما اقتربوا من مدينة ايران ارسلا من الخدم من يبلغ الملك بقدوم زوجتهِ وفي الحال امر الملك بفرش قصره الخاص تهيئًا لزوجتهِ وارسل كامل حواشيهِ لملاقاتها فخرجت الجنود صفوفًا صفوفًا وخفقت فوقهم الاعلام وعزفت الموسيقات بالبشر والتهنئة حتى كان يومًا يعد من اعظم الايام ولما قربوا من العروس تلقوها بالترحيب والاكرام فلاقهم بالبشاشة والانس وعادوا الى المدينة بفرح لا يوصف وسرور لا مزيد عليهِ وذهبوا بتمرتاج الى قصر زوجها فانزلها عن الجواد وتقدمت اليها الجوار فقبلن يديها ونزعن ثيابها واتينها بالمشروبات والماكولات حتى استراحت من مشاق السفر وكان الملك

لما رأى ما فيها من الجمال وسمع حلاوة الفاظها ورقة معانيها كاد يطير من الفرح فامر ان تزين المدينة الى ١٥ يوماً ففعلوا وكان الفرح شاملاً الكبير والصغير ولما مضى زمان العرس وآن اوان اجتماع الملك ضاراب بعروسهِ دخل عليهِ طيطلوس الحكيم وقال اني الان ارجوك ياسيدي ان تمهل نفسك الى وقت اقول لك فاني ارصد لك النجم فمتى رايت اليوم الموافق اعلمتك لاني اعلم انهُ سيخرج من صلبك بطل تبطل عند ذكره شجاعة كل شجاع ويفتخر بهِ بلاد فارس على كل من تقدمها ولا ينتج الدهر مثلهُ فيما بعد . فامتثل الملك وصبر اياماً الى ان جاءهُ الحكيم وقال لهُ ادخل ياسيدي في هذه الليلة فان الزهرة قد قاربت المشتري وهي ليلة سعيدة لا اظن يتوفق مثلها قط ففعل واتى زوجتهُ تلك الليلة فشهد منها لطفاً وادباً نادري المثال وجنى من ورد حسنها زهور الكمال وبات ليلتهُ على بساط الهنا والافراح ولما شاهد فيلزوران طيطلوس يترقب الفلك فينتظر يوماً سعيداً فاختار لهُ جارية بكراً وصبر الى حين دخل الملك بعروسهِ فدخل هو ايضاً بجاريتهِ وبالقضاء المقدر حبلت تمرتاج والجارية ايضاً بيوم واحد ففرح الملك وتامل الخير وصبر نحو تسعة اشهر الى ان حان زمان الولادة فوضع كل من تمرتاج والجارية غلاماً فاسرعت البشائر الى الملك تخبره وهو في ديوانهِ ومثلهُ الى فيلزوروزيره فوهب واعطى وفرق الاموال وامر باطلاق المسجونين ورفع الاخرجة عن رعيتهِ الى ثلاثة اعوام . وبعد ان مضى على ذلك سبعة ايام أُتي بالمولود الى مجلس الملك وفقاً للعادة واتي ايضاً بابن فيلزورفلما دخل ابن الملك تقدم اليهِ الشاهات والوزراء والبهلوانية كل بمفرده فدعوا لهُ وهنأوا اباه بهِ . وبعد ذلك التفت الملك ضاراب الى وزيره وقال من العادة اذا اتي بالغلام الى مجلس ابيهِ يدعوه بالاسم الموافق فماذا تريد ان تسميهِ قال اني ارى ياسيدي ان من الموافق ان تسميهُ فيروزشاه وكذلك سالهُ فيلزوران يختار لولده اسماً فسماه فرخوزاد . وقبل ان ارفض المجلس امر الملك ان يدفع الولدان الى المراضع والمربين فدفعوهما فكان يرضع فيروزشاه وفرخوزاد من لبن واحد وكان طيطلوس الحكيم قد اوصى الملك ان يحافظ على تربية ولده لانهُ سيكون لهُ حديث يذكر جيلاً بعد جيل نظراً لشجاعتهِ واتساع ملكهِ انما يخاف عليهِ من امر واحد . قال الملك وماهو قال انهُ يغرم بحب فتاة فيلاقي لاجلها صعوبات كثيرة قال الملك ان الحب لا يكون الا عندما يبلغ اشده فان كنت حياً ساعدتهُ على زواجهِ ولا ادعهُ يحترق على جمر الهوى

ولما بلغ الولدان السنة الثالثة من العمر ومنعوهما من الرضاع اجتمع عند الملك جمهور من السادات وطلبوا اليهِ ان يريهم ملكهم فاجابهم وبعث فاحضره على اكتاف القواد فازدحمت الناس افواجاً للنظر اليهِ وشاع الخبر في كل المدينة فخرجت النساء وتراكضت الغلمان وتسابقت الشيوخ وما وصل فيروزشاه الى الديوان الا كانت قد اجتمعت حوله سكان المدينة باسرهم فبلغ ذلك

طيطلوس الحكيم فقال الملك لما فعلت هذا ياسيدي قال ان اعيان مملكتي قد اشتاقوا اليهِ فطلبوا اليَّ احضاره عندهم . قال اني لا اوافقك على هذا العمل فاني اخاف عليهِ من العين وانت تعلم ان اهل مملكتك في فرح لا يوصف لانهم يخافون انقراض السلالة الملكية لقلة رجالها وهم يكادون لا يصدقون ان للك ولي عهد ولا بد انهم في كل عام يجتمعون اليك ويطلبون نفس هذا الطلب فيكون ذلك ضرر عليهِ فقال فيلزور اني ارى من الموافق ان نبتني قصراً فنضع فيهِ فيروزشاه وولدي فرخوزاد ونقيم عندهما الخدم والحشم والمهذبين والاساتذة فيتعلمون العلوم النافعة ونمنع الناس من الدخول الى القصر كل هذه المدة بينما يكبر فيروزشاه . فقال الملك اني افوض اليكما هذا الامر فدبراه بحكمتكما وامر في الحال باحتجاب ولده فيروزشاه عن الناس فحجب وانصرف كل من الناس الى حالهِ وفي اليوم الثاني ركب الوزيران وخرجا الى خارج المدينة فوجدا روضةً غض الاشجار غزير الينابيع فامر ان يبنى القصر فيهِ فبني بمدة قصيرة فاختار طيطلوس بعضاً من تلامذتهِ الماهرين وقال لهم اريد منكم ان تجهدوا انفسكم في تربية ابن الملك وتعليمهِ وتهذيبهِ ومثلهُ فرخوزاد واني في كل مدة اتي وامتحنهما لاعلم معظم ما علمتموها . فقالوا لهُ سمعاً وطاعة واستلموا الغلامين بعد ان وضع في القصر كامل معداتهِ وعين لهُ الخدم مع اختلاف مهنهم فمن طباخين وغسالين وغيرهما واخذ الولدان في التهذيب والتربية على انفراد دون مانع يمنعهما او يلهيهما عن غاية والديهما واجهد الاساتذة انفسهم ارضاء لخاطر استاذهم طيطلوس الحكيم

فهذا ما كان من هولاء واما الملك ادموس ابو تمرتاج فانهُ عرف بان الى لبنتهِ غلام وانهُ اخذ يترعرع ويشب شيئاً فاختار ماذا يهاديهِ لانهُ كان من افرح العباد بهِ لعلمهِ انهُ من ابنتهِ وانهُ سيكون المالك بعد ابيهِ وجعل ينتظر الفرص الى ان اهداه احد قواد مملكتهِ مهراً كريماً من احسن الخيل هيئةً وجودةً فاعجبهُ وكاد يطير عقلهُ من الفرح وخطر لهُ ان يهديهُ الى حفيده فيروزشاه وفي الحال احضر عمال الاسرجة وقال اريد منكم عمل سرج لهذا المهر وعدة كاملة لم ينسج قط على منوالها واني ادفع اليكم الذهب فترصعونها بهِ فقالوا لهُ سمعاً وطاعةً وفي الحال دفع اليهم الجواهر وهي التي كان قد اتى بها طيطلوس وفيلزور في مهر تمرتاج بنتهِ . ولم يمضِ الا ايام قليلة حتى انتهت عدة الجواد فسرجوه بها واذا بهِ كالكوكب يضيء فاعجب الملك جداً وكان اسم الجواد الكميت واذ ذاك دعى وزيره زود زمام وقال لهُ اريد منك ان تذهب من قبلي الى مدينة ايران الى عاصمة صهري فتهديهِ سلامي وتصحب معك هذا المهر الى ابن بنتي فيروزشاه فهو يستحق ان يهدى مثل هذا المهر الذي لا اظن انهُ يوجد مثلهُ في سائر الممالك . ثم كتب كتاباً الى صهره وبنتهِ يهديهما التحيات وبعث اليهما بالهدايا النفيسة التي توجد في بلاد بربر ولا يوجد في بلاد الفرس مثلها ويسألها في تقديم الجواد الى ابنها

وفي صباح اليوم التالي ركب الوزير زودزمام بعد ان ودع الملك ادموس وصحب معهُ بعض الخدمة لخدمتهِ وخدمة الجواد وسار يطوي البر كشحًا حتى قرب من ايران ولم يعد بينهُ وبين المدينة الا مسافة يوم واحد فامسى عليهِ المساء في غابة غضة لم يرَ بدًّا من المبيت فيها فنزل وضرب صيوانهُ هناك واشعل النار وانار المصابيح وما استقر الا القليل حتى دخلت عليهِ صبية كانها البدر في الاشراق وعلى يدها غلام ضخم الجثة كبير الراس فوقفت بين يديهِ وسلمت عليهِ وقالت لهُ اني ناصحة لك ياسيدي ان لا تبيت في هذا المكان فتموت فريسة لزوجي . قال ومن هو زوجك وما الذي اوصلك الى هذا المكان في مثل هذا الوقت . قالت اعلم اني بنت تاجر قصد ابي ان ينتقل من بلدهِ وياتي فيسكن ايران طلبًا لتوسيع ارزاقهِ فامسى علينا المساء في هذه الاجمة فنزلنا للمبيت نحن والقافلة التي معنا وما نتصف الليل حتى فاجئنا غول مهول قبيح الخلقة سيء المنظر فسطا على الرجال فاهلكها ونقلها الى مغارتهِ ياكلها واخذ الخيل والجمال مونة لهُ ولما رآني ذات جمال لم يلحق بي ما الحق باهلي وجماعتي بل اتخذني زوجة لهُ فاتيت منه بهذا الغلام وانا مقيمة في مغارته كل هذه المدة وهو يذهب الى الآكام فيفترس ما يقع في يده من الآدميين والحيوانات فياتي بهم اليَّ فياكل ويطعمني انا ايضًا حتى زهقت روحي من معاملتهِ فقال لها الوزير واين هو الآن . قالت ذهب كعادته ولا اعلم بميعاد مجيئه فانه تارة يعود حالاً وطورًا يغيب يومًا او يومين ولهذا تراني انصحك بالرحيل قبل اتيانه فقال لها زودزمام اني لا اخاف من غول ولا من اسد وطالما اوقعت بالغيلان وهي تخاف سطوتي فهل لك ان تصحبيني غدًا الى مدينة ايران فاخلصك من هذا الغول وان عاد في هذه الليلة قتلتهُ امامك فرمت بنفسها على قدميهِ وقالت ان كنت قادرًا على تخليصي فانك تكسب مني الدعاء فاني وقيعة عليك اخدمك عمري بطولهِ . قال كوني مطمئنة فقد صرت في زمامي . وبات تلك الليلة في ذلك المكان وهو لم ياخذه نوم ولا هدا لهُ بال خوفًا من ان يفاجئهُ الغول بغتة فيسطو عليهِ وعلى من معه ولاسيما انه كان خائفًا على الجواد المرسل معه ولما اصبح الصباح ولم يات الغول ركب زودزمام وسار بالجارية ومن معه حتى اتوا المدينة فذهب ضيفًا على صديقهِ فيلزور فترحب به وانزله في مكانه وساله عن سبب اتيانهِ فاخبره انه مرسل من قبل الملك ادموس بهدية الى حفيده فيروزشاه فذهب بهِ الى الملك ضاراب فقدم له تحرير عمهِ وانه يهديه السلام واخبره بخبر الجواد فشكره الملك وانعم عليه بالانعام الغزيرة وقد نظر الى الجواد فاعجبه جدًّا ولما نظر ان الجواهر التي بعث بها الى الملك ادموس في مهر بنته قد اعادها اليه على مهر ابنه فيروزشاه شكر كرامة اخلاقه واعد للوزير احتفالا وكان فيلزور قد نظر الطفل والجارية مع زودزمام فساله عنهما فحكى له خبرهما فقال اريد منك ياخي ان تهبني الولد فقال له اني وهبتك الولد وامه فهما لك واني بعيد عن بلادي ولا يخطر في فكري ان اصحبهما معي انما اوصيك اكرامًا لحبي ان تعتني

منهُ طيلطوس ذلك ولم يعلم السبب فسالهُ عنهُ فقال لا شيء عندي من الاسباب واني ارى نفسي صحيح البدن فتعجب منهُ ولا سيما عند ما شاهد منهُ قلة الاكل والزهد في كثرة الكلام والدرس فتركهُ ذاك النهار ولما كان المساء دخل فراشهُ وهو في قلق لا يوصف وما استقر فيهِ حتى اخذتهُ سنة الكرى فعاودهُ الحلم ونظر نفسهُ في تلك الروضة الفسيحة فخفق فوادهُ فوقف ينظر يمينًا وشمالاً املاً ان يرى صاحبتهُ بالامس فما لبث ان راها مقبلة وهي تنجلي جلاء العروس بين الاتراب فانعطف قلبهُ اليها وانجذبت خواطره نحوها

اسير وقلبي عندكم لست عالمًا بما فيهِ هاتيك اللواحظ تصنعُ
وما زلت مشتاقًا لطيف خيالكم واني من الدنيا بذلك اقنعُ

ثم سالها بنت من انت واين بلادك فاعرضت عنهُ بعد ان رمقته بفاتر لحظها ونظرت اليهِ نظرة المحب المارق فخطف عقلهُ معها وطار قلبه وعوّل ان يسير في اثرها واذا بهِ قد استيقظ مرعوبًا فسمى باسم الله الكريم وجلس في فراشهِ منزعج الخاطر موسوس البال وقد عوّل ان ينام ثانية فلم يقدر وتذكر الجارية فبكى واشار يقول

لا العيد من بعد سكان الحما عيدُ ولا لصبري الذي ابليت تجديدُ
قد غرقت مقلتي جسمي بادمعها ان السرور الذي ابديهِ تقليدُ
لو كنت اعلم ان الحب آخرهُ يجدي من الحب اغنتني المواعيدُ
سهران ليل فراقٍ كلهُ سحرٌ والسبل مجهولة والنجم مفقودُ
اشكو النوى فيرق الصخر مستمعًا لما ابثُ وتبكي حالتي البيدُ
هب انهم بخلوا بالوصل ليت لهم ما يشغل الفكر تسويف وتفنيدُ
اذ ليس لي طمعٌ في زور طيفهم وان طمعتُ فباب النوم مسدود
بانوا فلا عيشنا تصفو مودتهُ شوقًا ولا ظل ذاك العيش ممدودُ
اني لاحسد قلبي حيث يتبعهم واندب الجسم مني وهو مبعودٌ

وصرف تلك الليلة ما بين نوح وتعداد وذكر تباريح ووجد الى ان لاح وجه الصباح فقام من فراشهِ مشغول الفكر واثار الكدر ظاهرة على وجههِ فلما نظره طيطاوس تكدر كدرًا لا يوصف وتيقن انهُ لا بد من سبب يدعوه الى هذا التغيير والكدر فقال لهُ ما بك ياسيدي اعلمني أهل تشعر بوجع او تشتاق الى شيء اطلعني على حالك فافرج عنك وان كان بك مرض داويته بما يزيل الشدة عنك قال اني لا اشعر بشيء واني ارى نفسي صحيحًا قال ان حالتك لا تخفى عليَّ فان في وجهك من العلائم والتاثيرات ما لم ارهُ فيك من حين ولدت. فلم يجبه فيروز شاه ولما وضع الطعام جلس على المائدة وعوّل على الاكل فلم يقدر فنهض وصرف ذلك النهار وهو في هاجس ووسواس حتى

ارتبك طيطلوس وخاف كل الخوف على حياة ابن سيده واجهد نفسهُ في الوقوف على خبره فلم يقدر ولما كان المساء دخل فيروزشاه حجرتهُ واقفل الباب ونام في فراشهِ وكان قد انهك جسمهُ من معاناة الهيام فغرق في نوم طويل مدة ساعة وبعدها حلم نفس الحلم الذي حلمهُ اول ليلة وثاني ليلة وهو انهُ وجد نفسهُ في تلك الروضة ونظر الصبية وقد قربت منهُ وهي لابسة ثوبًا من الحرير الابيض فوق جسم لدن ناعم وبيدها قضيب من الخيزران وفوق راسها اكاليل من الزهر يزين تلك الطلعة البهية وخالها المسكي قائم في وسط خدها الابيض الممزوج بحمرة تنبعث منهُ انوار لطف وظرف نادري المثال فلما نظرها تنظر اليهِ وهي واقفة دنا منها وقال لها من انت ايتها الملاك السموي وبنت من فقد رميتني ببحر غرام لا ارى لي بدًّا من الغرق فيهِ فجودي عليَّ باسمك واسم ابيك واسم بلادك قبل ان تفارق روحي جسدي فقالت اما اسمي فعين الحياة وسكتت فقصد ان يعانقها ويقبلها فاستيقظ من منامهِ كالمجنون وصاح اين ذهبت فهي كانت هنا الان كيف لايكون في هذا الامر سرٌّ وقد زارتني ثلاث ليالٍ متتابعات . نعم لا بد من وجود هذه الفتاة التي تدعى عين الحياة ولا بد ان يكون خيالي يزورها كما ان خيالها يزورني فان هذه امور ربانية انما اين ياترى اقدر ان اجد هذه الفتاة وفي اي مكان هل هي في عالم الارض ام في عالم السموات . لا . لا اظن انهُ يوجد بين الجنس البشري من تحاكي بجمالها ذاك الجمال ثم بكى وانشد

يا طول ليلٍ قد اطلت بهِ البكا ... شوقًا اليك وانت ذات نفارِ
ما فاز طرفي من سناكِ بنظرةٍ ... الاَّ يعود بحيرة الحتارِ
وخيالك الوهميُّ فوق نواظري ... متوقفٌ كالنور فوق النار
القي يديَّ على الخلاء كانني ... ارضى معانقة الخيال الساري
واهًا فلا شيئًا اعانقهُ سوى ... لهب الزفير ومدمع مدرارِ

وانشد ايضًا

اما آن ان تقضي لقلبي وعودهُ ... ويورق من غصن الاحبة عودهُ
فقد شفهُ داءٌ من الحب متلفٌ ... وليس لهُ غير الضنا من يعودهُ
وما حال مشتاقٌ تناءت ديارهُ ... واحبابهُ مضني الفواد عميدهُ
يراقب من دور النسيم ارادةً ... فان جاءه يزكي الجوى ويزيدهُ
حكى النجم بين السحب يبدو ويختفي ... اذا سال اجفانًا وثار وقودهُ
ولو كان يسعى للزمان ممكنًا ... لهار ولكن اثقلتهُ قيودهُ

وما انتهى من قولهِ حتى طرق عليهِ طيطلوس الباب وكان قد سمع كل كلامهِ وعرف معنى شكواه فقام لهُ وفتح الباب وقال لهُ ما الذي احوجك الى الدخول عليَّ في مثل هذا الوقت .قال اعلم

اني بتُّ مشغول البال عليك فلم ياخذني نوم فقصدت الاطلاع على خبرك فقصدت بابك فعرفت حالتك وسمعت كل ما قلته وتيقنت انك عاشق لا محالة ومن مثل هذا كنت اخاف عليك لاني من حين ولادتك اخبرت اباك بهِ فاطلعني الان على سبب هذه الحالة التي انت فيها ومن هذه الفتاة التي تهواها . قال ان آذانك قد غشتك فاني لم الفظ شيئًا مما تقول فمن اين ياتيني العشق او من اين ارى فتاة وانا في هذا القصر المنفرد لا ارى الا ك والخدم . قال طيطلوس لا تخفِ عني شيئًا يا سيدي فاني سمعت ما تقول حرفًا وحرفًا وانت تعلم انك وحيد لابيك وللمملكة كلها وامك ما ولدت غيرك ولن تلد فيما بعد فاشرح لي حالك فاجد لك وسيلة يرتاح بها ضميرك ويهدأ بالك وربما اعرف من تهواها فنأتيك بها ونزوجك اياها . قال اعلم اني لا اعرف فتاة انما الله قصد ان يشغلني فبعث اليَّ باحدى ساكنات جنانهِ فرمتني بسهام حب لا اظن ان لي منها بعد حياة . ثم حكى لهُ كل ما وقع لهُ في الثلاث ليال الماضية وقال لهُ في اخر كلامهِ واني اشعر الان بثقل حبٍّ ووددت ان اطرد عن ذهني كل هذه الاوهام وابعد عن عيني شخص من رأيتها فلا اقدر فهذه حالتي والسلام . فلما سمع الوزير كلامهُ اضطرب في داخلهِ لانهُ كان خبيرًا بحوادث الايام لكنهُ اظهر الجلد وقال ان ما رأيتهُ هو اضغاث احلام ولم يكن في ظني انك تسلم بنفسك ليد الاوهام على ان كثيرًا من الناس من يرى اشباحًا وارواحًا وطيورًا ووحوشًا وغير ذلك في منامهِ وعند انتباههِ من النوم تزول تلك الاوهام بزوال تحويلها عن ذهنهِ . قال ويلك يا طيطلوس ان عهدي بك خبيرًا عاقلاً فكيف تكون اضغاث احلام وقد مرَّ عليَّ خيال محبوبتي ثلاث مرات وفي كل ليلة تزيد حسنًا وبهاء أرأيت من حلم حلمًا واحدًا ثلث ليال متوالية فوالله ان في هذا الامر سرٌّ عجيب ولن الله سبحانهُ وتعالى يوجد ما لا نعلم على ان الفتاة التي نظرتها هي فتاة يقظة لا فتاة منام فلا بد من وجودها في هذه الدنيا وهي بانتظاري وقد كتب نصيبي عليها انما لا اعلم في اي بلاد هي . قال ان كان لا بد يا سيدي من السؤال عنها فاني اخبر اباك بالقصة فيسعى بالتفتيش عليها واينما وجدها لا بد من احضارها . قال اياك ان تدع ابي يعرف شيئًا من امري والا والله العظيم اهلكتك ونزعت نعمتك لاني لا اريد ان يقضى غرضي على يد احد . قال اليك فافعل ما تريد ثم اعرض عنهُ وهو في قلق لاجلهِ لانهُ كان يحبهُ جدًا وكان يعرف ايضًا انهُ يقاسي من اسباب الغرام الامور الصعاب فعمد الى ان يستعمل لهُ الوسائط التي تلهيهِ عما كامن في قلبهِ من الحب ولكن كان كمن يزيده وجدًا وهيامًا ودام الحال على هذا المنوال مدة ايام وابن الملك في ارتباك وانزعاج يرى في الليل شخص حبيبتهِ ويصرف النهار في الشكوى ومناشدة الاشعار حتى كاد يسقم ويمرض فضاق صدر طيطلوس من امرهِ وعوَّل ان يخبر اباه بامره الا انهُ فكر بيبين فيروزشاه الذي اقسم لهُ بانهُ يقتلهُ ان باح بسره وقال في نفسهِ يا ترى لو اخبرت الملك فماذا يعمل فيهِ اهل يعلم من هي عشيقتهُ

وهل يعرف مكانها . واخذ يعمل الفكرة في ايجاد وسيلة يخلص بها ويخلص ابن الملك فلاحت منهُ التفاتة في البر فوجد رجلاً آتٍ لجهة القصر فاحدق بهِ فعرفهُ بانهُ شياغوس النقاش وهو كان من تلامذتهِ قديمًا فنزل اليهِ ولاقاه خارج القصر وسلم عليهِ وسالهُ من اين آتٍ فقال لهُ كنت طائفًا في جهات الارض انتقل من مملكة الى ثانية . فقال قد اتيت الان بوقتك لان ملكنا وابن ملكنا فيروزشاه متكدر الافكار فاريد منك ان تسليهُ وتشغلهُ علهُ ينسى ما هو فيهِ فقال سمعًا وطاعة فدخل طيطلوس الى ابن سيده وقال لهُ اني اتيتك برجل خبير باحوال الدنيا وهو شياغوس المصور فهنتهُ التصوير وهو يتنقل دائمًا من مكان الى مكان واني اريد ان يقيم عندك فيخبرك عما كان يرى في اسفاره علك تتسلى فترى ما بهِ الخير لنفسك . قال عليّ بهِ فادخلهُ ولما مثل بين يديهِ اكرمهُ وقال لهُ اريد منك ياشياغوس ان تطلعني على الطف ما شاهدت في اسفارك فاني ارى صدري ضيقًا فعساك تفرج عني ما بي فيكون على يديك نوال ما اربي وكان طيطلوس قد تركهما وذهب . فنظر شياغوس في فيروزشاه فلم تخفَ عليهِ حالتهُ فقال في نفسهِ انهُ عاشق وليس يسره الا الحديث عن النساء والبنات ووصف الجميل منهنّ . فقال لهُ اعلم يا سيدي ان صنعتي نقاش مولع بالسفر فاطوف البلاد واحدة فواحدة فاشتغل بهنتي عند الملوك والوزراء فاصور لهم الصور الجميلة وانقش لهم النقش الفاخر في القصور والمعابد . ففي ذات مرة كنت في انحاء اليمن وهي في اواسط بلاد اليمن وملكها يسمى الشاه سرور وهو يحكم على صنعاء وعدن والطائف وغيرها وكان لي صديق في تلك المدينة فنزلت عليهِ ضيفًا واقمت عنده اياماً ففي ذات يوم كنت في اسواق المدينة فرأيت الناس يتراكضون فظننت انهُ حدث شيء في البلد فاسرعت في الركض حتى اتيت بيت صديقي فرآني في هذه الحالة فاستفسر مني عن امري فقلت لهُ هلمّ فاريك ثم ذهبت بهِ الى نافذة صغيرة في احدى زوايا بيتهِ وقلت لهُ انظر كيف الناس تتراكض فقال لي ان كان هذا الذي اشغل بالك فاصبر لترى فنظرت الى جوانب الساحة التي نحن مشرفون عليها واذا بها تنتهي الى حديقة ذات اشجار يانعة واشجار مفتحة عطرة فمن منثور منثورٌ في كل جهاتها ومن ياسمين يكسوها حلة بيضاء ومن ورد قام على اغصانهِ زكي الرائحة قانئ اللون

حيث الاقاح بدار الوردمنتسقٌ ... والبان قد بان والمنثور منثورُ
حيث البنفسج وافى والهزار على ... اعلى الغصون تغنيهِ الشحاريرُ
حيث الرياض حبوب الريح ميلها ... والماء قد رقصت فيهِ النواعيرُ
حيث الشقيق يشق الجيب في حلل ... خضر ودهريَ بالافراح ميسورُ
حيث الحبيب وفى بالوصل لي كرمًا ... وجاد فضلاً ووافتني التباشيرُ

وما مضى على ذلك ربع ساعة الا انقطع الذهاب والاياب ثم تبع ذلك صف من عساكر المدينة

يشون بترتيب ازواجًا ازواجًا حتى انتهوا الى الروض فاحاطوا به كالحراس وبعد ذلك نظرت الى صف من الجواري يبلغنَ اكثر من ٣٠ جارية كلٌّ منهنَّ كانها القمر المنير وهنَّ يمشينَ ايضًا ازواجًا ازواجًا ومن خلفهنَّ يا سيدي صبية جلَّ من خلقها لا يمكن لاعظم شعراء الدنيا ان ياتوا على اوصافها ولا يقدر اجمل مصوري العالم ان يرسم ما يماثل ذاك الجمال فكل ما خلقهُ الله فيها فهو كامل وعليها من الحلى والجواهر ما لا يثمن بثمن

خلخالها يخفي الانين وقرطها ... قلقٌ كقلب الصبّ في الخفقانِ
تهوى الاهلة ان تصاغ اسوارًا ... لتحلّ منها في محل الجاني
بخمارها غسقٌ وتحت لثامها ... شفقٌ وفي اكمامها الفجرانِ
سبحان من بالخد صوّر خالها ... فازان عين الشمس بالانسان
امر الهوى قلبي يهيم بحبها ... فاطاعهُ ونهيتهُ فعصاني

ومجمل ما اقول لك يا مولاي اني طفت تقريبًا اكثر من ثلثي المالك فلم ارَ صبية تحاكيها حسنًا وبهاء وهي تخطر كانها الغصن في ميلانها وبيمينها قضيب من الخيزران . فكاد يطير قلبي شعاعًا مما شاهدت فقلت لصديقي بالله عليك ان تخبرني من هذه الصبية وما اسمها . قال هذه عين الحياة بنت الشاه سرور وقد عيّن لها ابوها ان تخرج الى هذا الروض في كل خميس فتتنزل وتطوف اولاً في كل اسواق المدينة وامامها العساكر كما تراهم فاذا صادفن في طريقهم ذكرًا قتلوه ولو كان ابن يومين . ثم اني احدقت النظر في ذلك الروض لانظر ماذا تفعل الصبية فوجدتها قد دخلتهُ وجلست على كرسي من الذهب واجتمع حولها البنات يهرجنَ ويمرجنَ وهي تتفرج عليهنَّ نحو ساعتين وبعد ذلك قامت عن كرسيها فتخللت الروض وجعلت تقتطف ما نضج من تلك الاثمار ثم انثنت راجعة حتى غابت عني وقد غاب معها عقلي ورشدي . وبينما كان شياغوس يتكلم كان فيروزشاه غارقًا في بحر من الهيام ولما سمع بذكر عين الحياة جعل قلبهُ يخفق وعلا وجههُ الاصفرار وكاد يقع الى الارض وهو ينتظر تمام حديثهِ فلحظ منهُ ذلك وخاف مما رآه في وجههِ من التاثيرات العشقية فقال لهُ ما بالك يا سيدي قد صرت كالاموات وما هي الاسباب التي تدعوك الى النحول قال لهُ اعلم ياشياغوس اني كنت في ارتباك عظيم من امر هذه الفتاة التي تذكرها وقد ساقك الله اليَّ لتحكي لي عنها ما رايتهُ منها واني الان مطلعك على امري . ثم اخبره بانهُ رآها في نومهِ وانهُ عشقها بالرغم عن ارادتهِ وقال لهُ في اخر حديثهِ اعلم انك اذا ساعدتني على نوال ما ربي جعلتك من اكبر اصدقائي وانعمت عليك وتكون انت مدبر اموري في كل حياتي فقال ثق بي يا سيدي فاني اخاطر بنفسي لاجلك ولا بد من ربط علائق الحب فيما بينكما وقد لاح لي ان اذهب الى نعزاء اليمن بلاد الشاه سرور واعلق صورتك في احدى اشجار الحديقة المحاذية لقصرها واني على يقين انها متى

نظرت صورتك تتعلق بهواك وافعل ذلك على ثلاث مرار في كل مرة اعلق صورة من صورك المفصة حتى اذا قصدت بلادها تكون قد وقعت في هواك قبل ان رأتك وجرى عليها كما جرى عليك فهل لك ان تسمح لي بتصويرك . فقال افعل ما بدا لك فان رايك حسن ولعل به الخير وتعلقت آمال فيروزشاه بنوال ما رآه فطلب منهُ شياغوس ان يجلس على مائدة الطعام فجلس واوقف من حواليهِ الخدم والحجاب افواجًا وصوره على تلك الصفة واظهر براعتهُ فيها فجاءت الصورة متقنة جدًّا . ثم سالهُ ان يجلس على كرسي من الذهب وياخذ بيده الصولجان ويقيم من حواليه الوزراء والحجاب ففعل وصوره ثم طلب اليهِ ايضًا ان يتقلد سلاحهُ ويركب جواده الكميت ففعل وركبَ على ظهر الجواد بعد ان سرجهُ بالسرج المرصع الذي جاء من جده فصوره وكان فيروزشاه كما تقدم فائق الحسن معتدل القوام بما زاد الصور بهاء ورونقًا . ولما اتم شياغوس عملهُ قال في الغد يا سيدي اذهب في قضاء حاجتك واعود اليك قريبًا ولي رجاء ان اتيك بما يسرُّ خاطرك فاخذه فيروزشاه الى صندوقهِ ففتحهُ واخرج لهُ مقدارًا من الذهب وقال لهُ خذ هذه استعن بها في سفرك لعلها تعينك على اتمام مهمتك . فاخذها وبات تلك الليلة وفي الصباح ركب وسار بعد ان ودع فيروزشاه ولا زال سائرًا حتى وصل الى بلاد الشاه سرور فدخل على صديقهِ وسلم عليهِ فترحب بهِ وسالهُ من اين آتٍ فاخبره انهُ كان في بلاد اليمن عند استاذه طيطلوس . وفي الصباح خرج الى المدينة فاشترى كامل لوازمهِ وعاد الى حجرتهِ وجعل ينقش تلك الصور ويزخرفها بحسب اللون المرغوب عند النساء الا انهُ لم يكتب اسم فيروزشاه عليها حيث كان قد اوصاه بذلك ولا زال على ذلك حتى انتهى من عملهِ فخرج الى قصر عين الحياة فوجد الرياض محدقة به وتجاه القصر شجرة عالية تكاد تبلغ شبابيكهُ فصبر الى الليل فاخذ صورة وتسلق جدار الروض ومشى الى تلك الشجرة فصعد عليها وعلق الصورة فيها ودار بوجهها الى جهة القصر وانعكف راجعًا ولما كان الصباح فتحت عين الحياة نافذة قصرها المطلة على تلك الروضة وكان من عادتها ان تصطبح في الشباك فتشرب القهوة قبل اشراق الشمس وتستنشق روائح الزهور التي تبعث بها نسمات الاسحار اللطيفة فلما فتحت ذاك اليوم النافذة وقعت عينها على تلك الصورة فاخذها العجب وفي الحال امرت قهرمانتها المخصوصة وكان اسمها شريفة فقالت لها انزلي الى البستان واتيني بهذه الصورة المعلقة في هذه الشجرة فنزلت واتتها بها ولما وقع نظرها على صاحبها انفتح لهُ في قلبها منزلاً رحيبًا وحركتهُ دواعي حب كانت قد اعدتها لها يد العناية فشغلت على غير ارادتها بجمالهِ فوضعتها امامها وجعلت تتامل فيها واذا مكتوب تحتها هذه الابيات

نقمص ثوب اللاذ من فوق لولوء ... ورصع بالدر الجمان بديدا
غزال كناسٍ لو رآتهُ من السما ... كواكبها خرّت اليهِ سجودا

وصرفت وقتًا وهي تنظر الى الصورة وتتأسف كيف ان اسم صاحبها لم يكن مكتوبًا عليها لكانت شرعت تسعى في طلبهِ ولما طال عليها الحال ولعب بها البلبال لم ترَ وسيلة الاَّ مناشدة الاشعار فجعلت تقول

وشبَّ لنار الاشتياق وقودُ ولما حدى الحادون بالبين والنوى
ودمع واشواق عليَّ تزيدُ ولم يبقَ لي من مجدٍ غير زفرة
وللشوق عندي مبدىءٌ ومعيد طلبت من القلب اصطبارًا فقال لي
وكيف وعهد الدار عنك بعيد لقد كنت صبًّا والديار قريبةٌ

وصرفت عين الحياة ذلك النهار بين اليأس والرجا وهي تارة تدنو من تلك الصورة تقبلها وطورًا تقول ماذا ينفعني الرسم اذا غابت عني الحقيقة ولما دخل الليل وآن وقت النوم وضعتها بجانبها ونامت وما استقرت في فراشها حتى استيقظت ونظرت من الشباك فوجدت ان الليل لا يزال حالكًا فعادت الى فراشها واقامت فيهِ الى ان انشق ثوب الصباح فبان من نحوهِ ساطع النور ففتحت الشباك حسب عادتها ونظرت الى الشجرة فوجدت صورة ثانية معلقة في نفس الشجرة فاسرعت الى الحديقة وانزلت الصورة بنفسها ولم تصبر ان تامر خادمتها باحضارها وطلعت بها الى القصر ولما وضعتها امام الصورة الاولى وجدت انها الشخص الواحد ونظرت مكتوب تحتها

قد قال للحسن كن وجهًا فكان لها كانما الحسن لما رام صورتها

فرمت بنفسها عليها واخذت تقبلها وتمرغ بوجهها عليها فاتت جاريتها شريفة فوجدتها على تلك الحالة فرفعتها وقالت لها ما بالكِ يا ستاه على هذه الحالة هل جننت أتفعلين كل ذلك لاجل رسمٍ زخرف لا اصل لهُ ولا فصل ولو نظرت صاحبها ماذا كنت تفعلين قالت نعم اني اعشق صاحبها قبل ان اراه فهو اجمل رجل في الدنيا ولا اشك انهُ من ابناءِ الملوك وما علق هاتين الصورتين امام قصري الا وفي نيتهِ انهُ يريني ذاتهُ فهل يا ترى اراه قريبًا وابل اشواقي بقبلةٍ وجناته ثم انشدت

بديع جمال من محاسنهِ الحسنُ نأى والاماني الكاذبات به تدنو
تراه قريبًا والبعاد لهُ شأنُ هو البدر لا ينكر عليهِ بعاده
تعلم منهُ هجر صاحبهِ الجفنُ اطال عليَّ الهجر حتى لطولهِ
فمن اجلهِ عندي السرور هو الحزن وعرفني الاحزان حتى عرفتها
وماس بها في قده غصنٌ لدن رشًا طلعت شمس البها من جبينهِ
يطيق بان تشتاقك العين والاذن فديتك ما هذا التنائي فلست من
بقربك لكن ربما صدق الظنُّ اظنك تدنو والليالي ضنينةٌ

وكادت عين الحياة تعدم عقلها لو لم تكن ممن يصبر على حوادث الايام وان كانت لم تتعود الشقاء ولا سلكت سبيل الحب قبل ذلك الان ولو لم تسلي نفسها بالنظر الى الصورة وتعللها ببلوغ الاماني لوقعت في اليأس وخسرت عقلها

واما شياغوس فانهُ لما نظر ان الصورتين قد اخذتا تاكد ان التي اخذتهما هي عين الحياة فزاد فرحهُ وقال في نفسهِ لا ريب انها ستقع في هواه عند نظرها اعتدال قامتهِ وجمال وجههِ فصبر الى ان دخل الليل فاغتنم الفرصة وعلق الصورة الثالثة ورجع ينتظر خلف جدار الحديقة ليعلم من ياخذها ولما كان الصباح فتحت عين الحياة طاقتها فنظرت الصورة معلقة فركضت وهي ملهوفة الفؤاد وتسلقت الشجرة وانزلتها ورجعت الى قصرها ونظرت اليها فوجدتها كالصورتين الاخيرتين حسناً وبهاء ونظرت مكتوب تحتها

يامن يد الرحمن خطت على ... صفحات خديهِ السنية لاما
قد تم حسنك بالعذار فمن راى ... بدراً يكون لهُ الكسوف تماما

وبعد ان شخصت بالصورة برهة وهي فاقدة العقل خائرة القوى لا تعي على شيء صاحت واشقاه لو علمت اني خلقت ايها الملاك لعذاب قلب لم يتعذب قط قبل ان شاهد بهاك فاين انت وفي اي مكان اعلى الارض انت ام في السماء فياليت السماء تنزل بصواعقها القاتلة على راس من نقش صورتك ولا يكتب اسمك وليت يداهُ تعدمان فقد سبب بلائي وعذابي . لا ليتهُ لا يضر ولا ينكب فقد رسم صورتك اللطيفة وخط بانامله خطوط جمالك الباهر ولولاه لما عرفت بانك تجسدت في بشرية ادمية . ثم لطمت على خديها وهي تصيح صياح الالم الناشيء عن الحب الفعال وانشدت

من لقلبي ما بين سمر وبيض ... من قوام لدن وطرف مريض
ما لمن صادم الهوى من نصير ... فاليهِ اذا سطا تفويضي
زارني في الدجى فكان كبدرٍ ... تمّ قد لاح في الليالي البيض
شادنٌ لو يقابل البدر والشمـ ... ـس لكانا في رتبة المستفيض
سلب العقل والفؤاد وخلا ... ني لهجرانهِ الطويل العريض
فنهاري نهار منتظرٍ فيـ ... ـهِ وليلي ما دمت ليل المريض

فلندع الان عين الحياة تتقلب على فراش الغرام وتتحسر ناظرة من صورة الى اخرى نغض الارم ولا سبيل الى نوال المراد ولنرجع الى شياغوس فانهُ عندما تاكد ان الصورة اخذتها عين الحياة بنفسها تاكد عندهُ وقوعها بهوى فيروز شاه واملِ نجاح مسعاه فقال في نفسهِ قد انتهى الامر ولم يعد عليَّ الا ان اعود الى ايران واخبر فيروز شاه فيرسل من يخطبها لهُ من ابيها او ياتي بنفسهِ اليها . وهيأ نفسهُ للرجوع من حيث اتى . وكان فيروز شاه بعد ذهاب شياغوس عاد الى ما كان

وخيلنا فندفع عنكم الشر ونحفظ لكم ارواحكم واموالكم والا هلكتم وهلكنا معكم واننا نقسم لكم بالاله الذي نعبده اننا لا نخون بكم . فلما سمع الرجال كلامهما وكانوا قد قطعوا الرجاء من الخلاص دفعوا اليهما السلاح واطلقوا سبيلهما فقصد فيروزشاه ان يركب جواده وينحدر الى الفرسان فمنعه فرخوزاد وقال له لا حاجة ان تتعب نفسك فان الاعداء قليلون واني ادفع عنك شرّ هذه الصدمة . ثم صدم القوم وصاح فيهم صيحة صمت لها اذان الخيل ووقع الرعب في قلوب الجميع وقوّم السنان وجعل يطعن في صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال وكلما قصدوه صاح وفرقهم واهلك منهم جانبًا وهرب الباقون وهم يستعيذون من شره ويلعنون الساعة التي جاءهم فيها وقالوا بانفسهم لو لم ياتنا هذا الشيطان كنا كسبنا الاموال والغنائم . واما صاحب القافلة فانه تقدم من فيروزشاه وشكر فضله واعتذر اليه والى رفيقه . فقال له لا باس عليك وانك معذور فيما فعلته معنا تحفظًا على حياتكم انما لو كان بفكرنا ان نبطش بكم لما تاخرنا عن ذلك لان كل واحد منا كفوءٌ لمقاومة جيش ملك فظنكم بنا في غير محله ومن الان فصاعدًا لا تظنوا بنا سوءًا . ثم طلب الانفراد فانفرد مع اخيه فرخوزاد وقد حطت القافلة في تلك الساحة فاقاما بعيدًا عنها الا ان رجال القافلة كان لا يزال فكرهم يضرب بين الشك واليقين من صفاء باطنهما وقد زاد خوفهم بما شاهدوه من قوة بطشهما واقتدارهما . ولما اظلم الليل وتاكدوا نومهما حملوا الاحمال وساروا يسرعون في نهب الطريق حتى غابوا عن تلك الارض وبعدوا عنها جدًّا ولم يكن من سبيل لاقتفاء اثرهم . واذ كان الصباح نهض فيروزشاه من نومه والتفت يمينًا وشمالاً فلم يرَ اثرًا لاحد من القافلة فتكدر جدًّا وقال لفرخوزاد انظرت يا اخي ضعف عقل هولاء القوم فانهم ما برحوا في ارتياب منا ولهذا السبب رحلوا دون علمنا وتركونا وحدنا لا نهتدي الى الطريق . فقال له هلمّ بنا اذًا نسير على اثرهم عسانا نهتدي الى سواء السبيل

ثم ركبا جواديهما وسارا على بركة الله وحسن توفيقه الى ان انتهيا الى سهل واسع كثير الطرق فوقفا متحيرين في اي طريق يسيران . وبعد التفكر اعتمدا على طريق فسلكاه وانتهيا منه الى قلعة منفردة في ناحية من ذلك المكان تبعد قليلاً عن الطريق فنظرا الى تلك القلعة واذا خرج منها عشرة فرسان متقلدون السلاح وامامهم فارس كالهيكل يظهر من هيئته وحركته انه كبيرهم وسيدهم فوقف الاثنان وقد تهيئا للدفاع اذا اقتضى الامر . ولما قرب منهما الفرسان صاحا عن فرد لسان هذان اللذان التقيانا في القتال وفعلا بنا فعلاً ذريعًا فلننتقم لانفسنا منهما . ثم قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وارتموا بانفسهم على فيروزشاه ورفيقه فالتقياهم بقلب كالصوان وجاولاهم ثم التقيا بكبيرهم فهجم عليه فيروزشاه وقبض على جلباب درعه ورفعه الى ما فوق راسه حتى بان ما تحت ابطه ورمى به الى الارض فجاءه فارس آخر وهو اخو الاول وقصد ان يجول معه فلم يتركه له

مجالاً بل رفسهُ برجلهِ القاه الى الارض بقرب اخيهِ . ولما شاهد الباقون فعلهُ الوا الاعنة وانهزموا مسرعين نحو القلعة فدخلوها واقفلوا من ورائهم وفي نيتهم ان يحاصروا داخلها . ورجع عنهم فيروزشاه بعد روّى حسامهُ من ادميتهم فوجد فرخوا زاد قد اوثق الاسيرين فقال لهُ دعنا نقتلهما فانهما من قطاع الطرقات الذين يحرمون عباد الله من المرور ويسلبونهم اموالهم . فصاح احدهما وقال العفو يا سيدي فاننا لسنا بقطعة الطرق وانما نحن ابناء ملوك وقد وقع لنا من الحديث ما الجأنا الى هكذا فعل . فقال ابنا اي ملك انتما وما هو اسماكما . قال اسمي قادرشاه واسم اخي قاهرشاه وحديثنا ان ابانا كان يحكم في بلاد الكوفة فلما توفي ترك ملكه لي ولاخي الا انهُ كان لنا عم طماع حسود يدعى الشاه خالد ولهُ بنت جميلة تدعى الشمروخ احبها اخي فطلب الى عمهِ ان يزوجهُ بها فقال لهُ لا اجيبك الى ذلك الا ان تهبني حقوق الملك . فقبل معهُ على هذا الشرط وقال لهُ اني اهبك حقي من الارث وهو النصف وذلك نصيبي فلم يقبل عمي وكان يعرف شدة حبهِ لبنتهِ وقال لهُ ان شئت زواج بنتي حقيقة فاحمل اخاك ان يترك حقهُ ايضاً من الملك فقال لهُ اني لا اقدر ان اجبر اخي وليس في وسعي ان اهبك ما ليس لي فلم يقبل منهُ عمي ومنعهُ عن بنتهِ حتى كاد يموت من هواها فلما رايت حالتهُ شفقت عليهِ وتركت لعمي حقي وقلت لهُ ان حياة اخي احب اليَّ من كلما تملك يدي ثم سلمناه ملكنا فجلس مكان ابي حاكماً على المدينة ولما سالناه الوفاء نكث وطردنا فاتيت باخي وسكنا هذه القلعة وقد لحق بنا بعض اصحابنا . فصرت اسلي اخي بالغارات واشغلهُ عن ذكر بنت عمهِ الى ان التقى اصحابي بكما في المرة الاولى فقتلتما منهم ما قتلتما وبعد ذلك جرى بيننا ما جرى فهذا حديثنا والسلام فافعلا بنا ما شئتما واحسبانا من جملة العبيد . فقال فيروزشاه ان قلبي قد تاثر من حديثك واريد ان افرج عنكما لانكما مظلومان ونفس الحر تانف الظلم واحب ان اقضي حاجة كل مغرم عليَّ قاضي الحاجات يوصلني الى حاجتي وانما لي عليكما شرط واحد وهو ان تامنا بالله العلي العظيم وتتوبا عن ارتكاب المعاصي . فقالا اننا آمنا من هذه الساعة فعلمنا عبادة هذا الاله فعلمهما بعد ان حل وثاقيهما وجاءوا جميعاً الى القلعة فراوا ابوابها مقفلة وقد حاصر من فيها فصاح فيهم قادرشاه ففتحوا الابواب ودخلوا القلعة وقد تعجب فيروزشاه من متانتها وتحكيم بناها ونزل في مكان رفيع منها وما لبثوا ان استراحوا حتى قدم لهم الطعام فاكلوا واكتفوا وباتوا تلك الليلة في القلعة يتحادثون بامر الشاه خالد . وفي الصباح نهضوا جميعاً وساروا نحو مدينة الشاه المذكور الى ان وصلوا الى ضواحيها فنزلوا عند ابوابها وكتب فيروزشاه كتاباً الى الشاه خالد يامره بان ياتي طائعاً وان يسلم الملك الى ابن اخيهِ ويزوج بنتهُ بالثاني . ولما وصل اليهِ الكتاب تكدر جداً واقسم على هلاك ولدي اخيهِ وخرج بعساكره وهو يظن ان خارج المدينة جمع كبير فلما نظر قلتهم ضحك منهم وامر العساكر ان تنتشلهم على اسنة

الرماح وقد طمع فيهم فهجمت العساكر دفعة واحدة فالتقاها فيروز شاه ومن معهُ بقلوب لاتخاف الموت ولا تهاب وقع الاسنة . وقامت الحرب على ساق وقدم وفعل فيروزشاه بالعساكر فعل المنجل بالحصاد وكذلك فرخوزاد وبقية الفرسان وقد تقوت قلوبهم بما راوه من فعل فيروزشاه لانهُ ما قصد ناحية الا وفتح لهُ فيها طريقاً ولا ضرب فارساً الا وقطعهُ مع جواده قطعتين وما اقبل المساء الا وضعضعت اركان العساكر ولم يعد في الامكان اجتماع شملها فانتثرت انتثار الغبار بفعل الرياح وكلٌ يطلب لنفسهِ النجاة . وقد التقى فيروزشاه بالشاه خالد فاستاسره وعاد بهِ الى الخيام ورجعت العساكر الى المدينة واقامت على الاسوار طلباً للحصار وبعد ان نزل فيروزشاه في صيوانهِ احضر الشاه خالد الى بين يديهِ وهو موثوق الايدي وقال لهُ ويلك يالئيم اما كفاك بانك اغتصبت الملك من اولاد اخيك بل طردتها واخلفت بوعدك ولم تعطها بنتك الا تعلم ان الظلم رديء العواقب وان الغدر يعود باهلهِ الى الخراب . فاختر لك الان احد الامرين . اما الموت واما زواج بنتك بابن اخيك . فقال ارجوك العفو فاني اعلم من نفسي باني ظالم ولم احسب عواقب الايام حساباً وقد لقيت جزاء فعلي من الذل والاهانة وها اني اشهدك عليَّ باني ازوجت بنتي الشهروخ الى ابن اخي قاهرشاه وتكون انت الحكم بيننا . فتقدم اليهِ فيروزشاه وحل كتافهُ وقال لهُ سر الى المدينة واهتم بحفلة الزواج فقال قادرشاه نخاف ان يدخل المدينة ويحاصر فيها فنعود معهُ الى التعب . قال دعهُ يفعل ما يريد فان الدخول الى المدينة سهل عليَّ جداً فاذا اخلف وعده اهلكتهُ . فسار الشاه خالد وهو لا يصدق بالخلاص وتبعهُ فيروز شاه وجماعتهُ ودخلوا المدينة وقد فتحها حراس الابواب عندما راوا ملكهم قد عاد سالماً وقد اصحب معهُ اعداءهُ فنزلوا في قصر من قصور الملك واعد لهم وليمة فاخرة وعجلوا بزفاف قاهرشاه واقاموا حفلة الزفاف ثلاثة ايام متواليات والافراح قائمة بين الخاص والعام وبعد ذلك دخل بعروسهِ ونال بغية مراده

ولما عزم فيروزشاه وفرخوزاد على السفر قال لهُ الشاه خالد اعلم يا سيدي انهُ ليس لي الا هذه البنت وقد ازوجتها بابن اخي واريد ان اتنازل لهُ عن الملك لانهُ ميراث ابيهِ وهو احق بهِ مني فقال قادرشاه واخوه اننا قد تركنا الملك لعمنا فلا نرجع بهِ واننا لا نحب ان نسكن الا في القلعة مرتاحي البال . قال فيروزشاه اذا شئتما ان تقيما في القلعة فعاهداني انكما لا تضران بعباد الله فعاهداه وعين الشاه خالد الى ابني اخيهِ العلوفات وسيرها بامان مع بنتهِ وودع فيروزشاه وفرخوزاد وساروا جميعاً حتى دخلوا القلعة وبعد ذلك قال فيروزشاه الان قد وصلتما الى مكانكما وقضي وطركما وانا الاخر سائر في قضاء حاجتي ولم يعد في مكنتي الاقامة اكثر مما اقمت فارتمى على اقدامهِ قادرشاه وقال لهُ بالله عليك يا سيدي ان تصحبني معك في سفرك فانهُ لم يعد في وسعي ان ابعد عنك لا شيا وقد زرعت معنا من الجميل ما لا نقدر على مكافاتهِ وعليهِ فاني احب

ان ابقى بخدمتك الى حيث اشتاق الى اخي فاعود اليهِ . فاراد فيروزشاه ان يمنعهُ فلم يقبل فقال لهُ افعل ما بدا لك

ثم انهم ودعوا قاهر شاه وركب كل منهم جواده وساروا يقصدون الطريق المؤدية الى تعزاء اليمن بعد ان اخذوا كل ما يحتاجونهُ من المآكل والمشارب فودعهم قاهر شاه مسافة طويلة وعاد وهو في غاية الكدر من فراق اخيهِ وسار فيروزشاه ورفقاؤُه يقطعون الطريق مدة ثلاثة ايام فانتهوا الى سهل واسع فنزلوا فيهِ عند المساء وبعد ان تعشوا ومضى قسم من الليل نام فرخوزاد وبقي فيروزشاه وقادرشاه سهرانين قسماً من الليل ثم قال فيروزشاه لقادرشاه قم يا اخي ونم فقال لهُ كيف اتركك وحدك يا سيدي قال نم انت الان فانهُ لا بد لنا من حارس وانا لم ياخذني نوم في هذه الليلة فلا يمكنك ان تصرف الليل بلا نوم ولا زال عليهِ حتى نام ولما خلا المكان بفيروزشاه تذكر عين الحياة فهاج عليهِ غرامهُ وهزتهُ اشواقهُ وتمنى لو انهُ طائر لطار اليها وصار يعدد هواه ويفتكر في ماذا يصير من امره اذا وصل اليها وكيف السبيل الى نوال مراده وبعد ان زاد عليهِ الحال انشد فقال

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ... ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا ... لاعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا انت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى ... فكن حجرًا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي ... وان لام فيهِ ذو الشنان وفندا
مهفهفة الاعلى واسفل خلقها ... جرى لحمهُ من دون ان يتخددا
من المدمجات اللحم خدًّا كانها ... عنان صناعٍ مدمج الفتل عضدا
كأن زكي المسك منها وقد بدت ... وريح الخزامى عرفهُ ينفح الندا
واني لاهواها واهوى لقاءها ... كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

وما زال على هذه الحالة حتى ضاق صدره وعيل صبره فقصد الخروج الى خارج الصيوان وكانت ليلة مقمرة مشرقة بالانوار فما وصل الى الخارج حتى تبين عن بعد خيل تسير الى جهة وعليها فرسان بايديهم الاسنة وهي تلمع كالمقباس فكاد يطير عقلهُ ورجعت اليهِ نخوتهُ وشجاعتهُ فاسرع الى الكميت فاسرجهُ واخذ سلاحهُ بالعجل وقرب من جهة القادمين يستكشف خبرهم وكان يبلغ عددهم اكثر من الف فارس ما بين مدرع ولابس ولما التقى بهم صاحوا بهِ وقصدوا ان يبطشوا بهِ وقد طمعوا فيهِ لما راوه وحده فلم يترك لهم مجالاً قبل ان استل حسامهُ بيمينهِ وصاح فيهم صيحات الاسود وضرب الاول فالقاه الى الارض والثاني مزج طولهُ بالعرض والثالث طير راسهُ والرابع هدَّ اساسهُ والخامس اخمد انفاسهُ والسادس اسقاه كاس الحمام والسابع البسهُ حلة الموت الزؤام والثامن

اعدمهُ الحياة والتاسع تركهُ مخضباً بدماه والعاشر جعل بطون الطير مأْواه ولا زال يفتك ويقتل حتى ارعب الفرسان وادهشهم فتجمعوا عليهِ وداروا بهِ من كل مكان وهو لا يترك احدًا يقرب منهُ وكلما تذكر محبوبتهُ عين الحياة تشتد قواه فيصيح في القوم فيسير بهِ الكميت كهبوب الريح حتى يشطر الفرسان الى شطرين ثم يعود وهو كالاسد الكاسر. وفي تلك الاثناء استيقظ قادرشاه فنظر فلم يرَ فيروزشاه فخرج الى خارج الصيوان واذا بهِ يسمع قعقعة اللجم وصليل السلاح وصياح الفرسان وسمع صوت فيروزشاه وهو يطارد الفرسان فعرفهُ فاسرع الى سلاحهِ فلبسهُ وركب ظهر جواده وانحدر الى الميدان يضارب بالسيف ويطاعن بالسنان وكان من الابطال المعدودين ففعل فعل المردة وكان الصياح كثيرًا فايقظ فرخوزاد فانتبه مرعوبًا ونظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ احدًا فخرج الى الخارج وهو كالملهوف خوفًا على فيروزشاه فشاهد بريق الاسنة ولمعان السيوف فعرف ان فيروزشاه وقادرشاه هما في القتال لانهُ لم يرَ جواديهما فلم ياخذه صبر بل استلَّ سيف يده الحسام وركب جواده وهجم وهو لا يصدق ان يرى فيروزشاه في قيد الحياة ونسي ان يلبس المجن ولا وضع على راسهِ الخوذة وما جال الا القليل حتى فاجاه فارس من قفاه وهو يضرب ضرب الابطال املاً ان يتوصل الى فيروزشاه وضربهُ بالسيف على ام راسهِ فجرحهُ جرحًا بليغًا غاب بهِ عن الوجود فترك عنان الجواد فشرد بهِ في تلك الناحية وبقي فيروزشاه وقادرشاه في قتال ونزال حتى بدت غرة الصباح فتفرق الفرسان مكسورين وهم يستعوذون من شر ما رأوا ورجع فيروزشاه ورفيقهُ الى الصيوان وفتش على فرخوزاد فلم يرهُ فخاف ان يكون قد قتل في الميدان فرجعا يفتشان عليهِ بين القتلى فلم يريا لهُ اثرًا فعلما انهُ لم يقتل فزاد انشغال بالهما عليهِ وهما لا يعرفان الى اين مضى وهل هو حي ام ميت وكبر الحال على فيروزشاه حتى كادت الدنيا لا تسعهُ واحتار في امره ماذا يصنع او ماذا يجيب فيلزور اذا سالهُ عنهُ فقال لهُ قادرشاه يا مولاي اظن ان فرخوزاد قام من النوم فلم يرنا فركب جواده وخرج للتفتيش علينا وربما لم يلتفت الى مكان المعمعة فخرج طائفًا وشدة حبهِ لك ربما لا تدعهُ يرجع دون ان يقف لك على خبر فقم بنا نسير في اثره فان جلوسنا هنا لا يجدينا نفعًا فركبا وخرجا في طريقهما وكلما صادفا رجلاً يسألاه عنهُ دون ان يعلمهما احد بخبره ولا قدرا ان يعلما بمكانهِ الا انهما كانا لا يزالان معلقان الامل بالاجتماع بهِ

قلنا ان فرخوزاد قد شرد بهِ الجواد عن مكان القتال واخذ يخبُّ بهِ مجالاً طويلاً وكان في اول الامر قادرًا على ان يمسك بنفسهِ على ظهر الجواد الا انهُ لما برد جرحهُ وقع الى الارض فوقف الجواد بقربهِ ينظر اليهِ وبالقضاء والقدر كان في ذلك المكان حظيرة يقيم بها راعي ماعز فخرج اليهِ ونظره على حالة اليأس فاسرع بالماء وغسل الجرح وضمده بعصائب وقد وجد بهِ بقية حياة فاتاه بقليل من لبن الماعز وسقاه واقام يعتني بهِ نحوًا من ساعة حتى عاد الى وعيهِ ففتح عينيهِ

فنظر الراعي امامهُ فسالهُ عن حالهِ فاخبره انهُ وجده ملقىً عند حظيرتهِ فاتى بهِ واحسن معاملتهُ
فقال لهُ جوزيت عني خيراً ثم سالهُ اليس من بلد قريب من هذه الناحية قال لهُ نعم ان قريباً من
هنا على امد ساعة مدينة تدعى السليمية ويقال لحاكمها الشاه سليم وهي من اول مدائن اليمن التي
تعزى الى الشاه سرور صاحب بلاد اليمن وكان فرخو زاد قد علم عظم الخطر الواقع فيهِ فاراد ان
يستدرك نفسهُ والا مات لا محالة فقال للراعي حيث قد عملت معي معروفاً فارجوك ان تاخذني
الى المدينة تتمة لمعروفك ولا بد ان يقدرني الزمان على مكافاتك وكان الراعي شديد الغيرة على
عمل الخير فسألهُ عن سبب جرحهِ فقال لهُ اني ابن تاجر خرجت انا واخي بقصد التجارة فخرج علينا
اللصوص فسلبوا ما معنا واوقعوا بنا فبينما كنت في القتال جرحت فخرج بي الجواد يعدو وانا لا
اقوى على رده لخوار قواي حتى غبت عن الصواب ولم اعد اعلم عن نفسي شيئاً الا عندك ولا اعرف
ماذا صار باخي والان ارى نفسي في ضيقة ووجع فارجوك الاسراع باخذي الى المدينة فقاد الراعي
الجواد وعليهِ فرخو زاد حتى دخلوا المدينة واوصلهُ الى خان مشهور في المدينة فاستاجر لهُ غرفة فيهِ
ورجع الى حظيرتهِ . وبعد ذلك دعى الخاناتي وقال لهُ خذ هذا الجواد وبعهُ لي وانني بثمنهِ فاخذه
منهُ وكان الجواد كريماً فاشتراه جماعة الشاه سليم بثلاثمائة دينار واتوا بهِ الشاه فاعجب بهِ غاية
الاعجاب وكان احسن ما عنده من الخيل ثم عاد الخاناتي فدفع الدراهم الى فرخو زاد فاخذها منهُ
ودفع لهُ اجرتهُ وقال لهُ اريد منك ان تاتني بطبيب ماهر يداوي لي جرحي فاتاه بطبيب ماهر عالم
بفن الطب الا انهُ كان من الطمع على جانب عظيم فلما نظر في جرح فرخو زاد عرف ان الشفاء
قريب منهُ الا انهُ قصد خوفهُ فقال لهُ ان جرحك خطر الا ان كثرة الاهتمام تدفع الخطر قال لهُ خذ مني
ما تشاء وعجل عليَّ بالشفاء فاعطاه ضمادات ومراهم واخذ يعتني بهِ ويقبض منهُ ثمن الادوية واجرة
التطبيب ويدفع ايضاً ثمن الماكل من لحم وغيره واجرة الخاناتي والخان حتى فرغ منهُ المال ولم يعد
بيده دينار فدفع سيفهُ الى صاحب الخان وامره ان يبيعهُ لهُ فباعهُ ثم احتاج ايضاً فباع عمده وثيابهُ
الثقيلة ولم ياتهِ ذاك الجراح الطماع على القول ان جرحك شفي الا بعد ان ضيع منهُ كل ما عنده
وشاهد ان الامل بالقبض منهُ محال فودعهُ وخرج فرحاً بما كان قد اخذ منهُ وكذلك صاحب الخان
فانهُ عندما شاهد نفوذ المال من فرخو زاد صار يقطب في وجههِ واذا سالهُ قضاء حاجة لا ياتيهِ بها
الا انهُ كان قد شفي تماماً فخرج من الخان مايوساً حزيناً ليس في جيبهِ بارة واحدة يشتري بها خبزاً
يسد بهِ رمقهُ وقد فعل بهِ الجوع فعلاً ذريعاً وكانت عزة نفسهِ تمنعهُ عن التسول ولا يعرف مهنة
يشتغل بها وما زال يطوف في الاسواق محتاراً لا يعلم ماذا يفعل حتى امسى عليهِ المساء فانف
من الرجوع الى الخان فدخل تحت رواق دكان ونام تلك الليلة وقد لاقى من شدة البرد والجوع ما
لا طاقة لهُ على حملهِ لانهُ لم يكن قد تعود مثل هذا الذل والانكسار ولما اصبح الصباح خرج قبل

ان جاء صاحب الدكان ورجع الى التطواف متكلاً على الله حتى وصل الى دكان بقال يبيع البقول ويبيع العيش والطبخ فوقف باهتاً ينظر الى الناس وهي تدخل الدكان تشتري وتذهب وحركهُ جوعهُ الى التقدم فمنعهُ شرفهُ حتى وقع في ارتباك وكانت حالتهُ لا تخفى على الناظر فلحظ منهُ صاحب الدكان جوعهُ وشاهد فيهِ سمة الكرامة وعلو المنزلة فتاكد انهُ غريب مصاب فحن اليهِ فدنا منهُ وقال لهُ من اين انت يا ولدي فاني اراك غريباً قال نعم اني غريب وقد دخلت المدينة من منذ ايام فقال لهُ ادخل ياولدي الدكان فان لي كلمة اقولها لك فما صدق ان سمع هذه الكلمة حتى دخل فامره ان يجلس على المائدة فجلس فقدم لهُ اكلاً وقال كل فمالت نفسهُ الى الطعام وقصد ان يمدّ يده فياكل الا انهُ افتكر ان لا درهم في جيبهِ وربما طالبهُ صاحب الدكان بالثمن فماذا يجيبهُ فامتنع عن الاكل فعرف منهُ صاحب الدكان ذلك وقال لهُ كل يا ولدي فان احد الذين كانوا هنا دفع لي ثمن هذا الاكل وامرني ان اعزم عليك قبل ان ذهب فاكل فرخوزاد بنفس منكسرة وقلب حزين و بعد ان فرغ شكر الرجل وقصد الذهاب فمنعهُ الرجل وقال لهُ اعلم يا ولدي انك غريب في هذه المدينة لا مأوى تأوي اليهِ واني تزوجت منذ زمان ولم يرزقني الله ولداً فاذا شئت اقم عندي فادعوك بولدي ويكون لك نصيب من مالي وتقيم في بيتي فافتكر فرخوزاد برهة في هذا الامر واخيرًا اجابهُ الى طلبهِ وقال في نفسهِ ان هذه الحالة اوفق لي الان بينما ياتيني الله بالفرج واقام في الدكان كل ذلك النهار وفي المساء ذهب بهِ الرجل الى بيتهِ وحكى لزوجتهِ خبره فسرت بهِ واكرمتهُ وانزلاه منزلة الولد وسالاه عن حالهِ وابن من هو فقال لهم اني انا ابن ملك خرجت برفقة اخي من مدينة لاسباب فجد علينا في الطريق حوادث التزمنا الى التفريق فسار كل منا في ناحية ولا يعلم احدنا بمقرّ الاخر وقد اتيت هذه المدينة غريباً بعد ان ضيعت كل ما كان بيدي الى ان جرى لي معكما ما جرى فقال لهُ البقال انك من الان وصاعداً لا نعد تفارقنا فابقَ انت في البستان وانا في الدكان ولا بد ان الله يكثر علينا الرزق بسببك ودام الامر على هذه الحالة مدة ايام وكان فرخوزاد يقيم في البستان يلاحظ مزروعاتهِ وقد اخصب خصباً عجيباً ففي ذات يوم طلب من ابيهِ ان ينزل معهُ الى السوق فاجابهُ واقام في الدكان وقتاً فعرض للبقال حاجة في السوق فقال لفرخوزاد كن انت مكاني يا ولدي وبع المشترين فاني مضطر الى الذهاب لامر مهم ثم تركهُ ومضى فوقف في باب الدكان وصار كل واحد يمرُّ من تلك الجهة ينظر اليهِ فيتعجب من جمالهِ وصبوح طلعته فيقف متفرجاً عليهِ حتى اجتمع خلق كثير. فقال لهم فرخوزاد ما هذه الحالة فان الدكان معدّ للبيع والشراء فاما ان تدخلوا تبتاعوا واما ان تذهبوا من امام الدكان فصار كل منهم يدخل الدكان ويقول اعطني كذا فيعطيهِ فيدفع لهُ بلا حساب ويخرج مسبحاً الله على بديع صنعهِ ودام الحال على هذا المنوال الى ان عاد صاحب الدكان فتفرق الناس حياء منهُ فنظر فلم يرى ان بضاعتهُ

قد بهت كالعادة فقال له ياولدي ان مثل هذا الوقت تكون اكثر البضاعة نفقت فهل لم يصر لملك رواج مع اني ارى الناس يزدحمون كثيرًا عند الباب . قال له كلهم كانوا يشترون وقد بمهم بالدراهم الموجودة في الصندوق ثم فتح الصندوق فاندهش عندما شاهد كثرة الدراهم وقال من اين هذه كلها قال بعت فيها . قال من اين بعت فيها والرزق في الدكان على حالهِ . قال هكذا كان يرضى المشترون فسرّ سرورًا لا مزيد عليهِ وقال كن اذًا انت في الدكان من الان وصاعدًا الان بوجهك السعادة والتوفيق ودام الامر على ذلك مدة ايام حتى ربح البقال مالاً كثيرًا وصار يعدّ من الاغنياء

ففي ذات يوم بينما كان فرخوزاد في الدكان نظر واذا بمنادٍ آخذًا في يده قوس نشاب مغلق وهو ينادي بامر الملك ان من قدر على فتح هذا القوس يطلب ما يختار ومن لم يقدر على فتحه فيدفع الف دينار لصاحب هذا القوس وهو بهلوان دخل المدينة وقد القى قباحة على قوادها وفرسانها واهلها وقد عجز عنهُ الكثير فهل لا يوجد منكم من يقدر على فتحهِ فينال انعام الملك . وكان المنادي ينادي والناس يجتمعون افواجًا من خلفهِ وما منهم من يجسر على القدوم الى اجابة طلب الملك ولما قرب المنادي من دكان البقال وسمع فرخوزاد كلامهُ قفز من الدكان ونظر الى القوس وقال انا افتحهُ قال هل تقبل على مثل هذا الشرط قال اقبل فان الاولاد في بلادنا يلعبون بمثل هذا القوس فيفتحونهُ فشخص بهِ الجميع واما البقال فانهُ انتهره وقال له ارجع ياولدي فان قواد المدينة عجزوا عنهُ ومن اين لك المال فاذا كنت لا تفتحهُ يطلب منك المال والاَّ فيحبسك الملك قال لا بد من فتحهِ وسوف ترى فخاف البقال وقال للحاضرين اشهدوا يا جماعة ان هذا ليس بولدي ولا يعنيني منهُ شيءٌ فهو خادم عندي وانا الان بريءٌ منهُ فتكدر فرخوزاد من كلامهِ وقال للمنادي خذني الى الملك فمهما اشرط عليَّ فاني قابل فعاد بهِ الى الملك وازدحمت الناس من خلفهما وكلٌّ يرغب ان يعرف هل في وسع فرخوزاد ذلك ام لا ولما وقف في الديوان وجده محاطًا من الوزراء والاعيان واصحاب المناصب وبينهم رجل ضخم الجثة كبير الراس يكاد الشرار يطير من عينيهِ فتقدم المنادي وقال للشاه سليم يا سيدي ان هذا الغلام تعهد بفتح قوس الحديد على الشروط التي تلقيها عليهِ قال له الشاه هل صحيح ما يقولهُ عنك يا غلام قال نعم يا سيدي انما بشرط واحد وهو انهُ يفتحهُ قبلاً امامكم خوفًا من ان يكون لا يفتح مطلقًا وليظهر لعظمتكم عظم قوتهِ من قوتي واذا فتحهُ فاني اشرط على نفسي اني امسكهُ باصبعين من كل يد فافتحهُ فتعجب الشاه سليم والموجودون من كلامهِ وما فيهم الا من مال قلبهُ اليهِ وتعلق بهِ لانهُ كان محبوبًا سعيد الطالع فامر له الشاه بالجلوس فجلس واتي له بشراب ريثما استراح قليلاً ثم قال للبهلوان اسمعت كلام هذا الغلام فانهُ اشرط على نفسهِ فتح القوس بعد ان تجرّب بهِ انت احتياطًا من الحيلة والخدعة . قال اصاب في طلبهِ فاني

فتحهُ امامهُ انما اذا لم يقدر على اتمام قولهِ ايمكنهُ دفع الدراهم اجاب ان لا دراهم عندي انما ارهن نفسي لخدمة حضرة الشاه واني ازيد الشرط اذا لم افتحهُ فليؤمر بضرب عنقي في هذا المكان. فنهض الموجودون وقالوا نحن ندفع عنهُ الدراهم اذا عجز عن قولهِ وفي الحال نهض البهلوان ومسك القوس بكلتا يديهِ وتمطى بهِ واقام نحواً من ربع ساعة وهو يشد عليهِ الى ان انفتح ثم اغلقهُ ودفعهُ الى فرخوزاد فاخذه بين اصابعهِ وهو يضحك مستهزءًا واستعان بالله وما لبث ان فتحهُ باسرع من دقيقة فنهض الشاه اليهِ وقبلهُ بين عينيهِ وامر ان يطرد البهلوان فانخذل وخرج مايوسًا يلعن هذا الغلام وامر الشاه سليم ايضًا بان يؤتى بالخلع فخلعها عليهِ والبسهُ بهلوان تختهِ ولقبهُ بحامية بلاده وقد احبهُ حبًا لا يوصف وعين لهُ قصرًا داخل قصره مفروشًا بالاثاث الفاخر وسالهُ عن اسمهِ فحكى لهُ قصتهُ فزاد حبهُ لهُ واعاد اليهِ جواده وسلاحهُ فسر فرخوزاد من تحسين حالهِ ووجد ان القصر الذي اعدَّ لهُ ليس بادنى حالة من قصور الملوك واقام اياماً على هذه الحالة وكان في كل اسبوع يامر الملك بان ينصب الميدان حسب عوائد ذلك الزمان لتمرين الفرسان فكان فرخوزاد يسود على الجميع حتى شاع صيتهُ في كل المدينة ولم يعد حديث الاحديثهُ في الحانات والبيوت بين الرجال والنساء

وكان للشاه سليم بنت جميلة الوجه مشهورة بلطفها وآدابها اسمها انوش وهي وحيدة فلما سمعت بذكره وقع في قلبها من هواه شيء فترقبتهُ الى ان رأتهُ داخلاً في قصره ولما نظرت ما هو عليهِ من الحسن والجمال لم تعد تعي على نفسها وقالت ان كان هذا زوجي فمن تعد تضاهيني بين البنات فهو كامل حسنًا وشجاعة فصبرت الى الليل ثم دعت قهرمانتها وحكت لها ما وقع في قلبها من حب فرخوزاد فقالت لها ما لك ولهذا الامر فانهُ غريب عن بلادنا وحبك لهُ ضرب من الجنون. قالت انهُ ليس في وسعي ترك حبهِ فهو رجائي وعليهِ معولي وفيهِ تشغل افكاري ولا بد من الوصول اليهِ فاعملي لي طريقة ولكِ مني الاكرام الزائد والا فاني اموت بعد ان انتقم منك ولما وجدت القهرمانة انهُ لا بد من طاعتها وانها لا ترجع عن بغيتها اجابت الى سوالها وقالت لها انك مصيبة في حب هذا الغلام فهو وحيد عصره مع البسالة والاقدام والحسن العجيب والفصاحة في الكلام فشكرتها انوش ودفعت اليها عقدًا من الجوهر فسرت بهِ وقالت لها قومي بنا لنذهب اليهِ ونعرفهُ بانفسنا وننظر ماذا يكون منهُ انما كل واحدة منا تلبس ملابس الرجال فاحضرتا لباس الرجال فلبستا وسارتا يسترها الليل الحالك حتى وقعا على بابهِ فطرقاه فانتبه وصاح من الطارق فاجابتهُ انوش اننا من امراء الشاه سليم نريد الدخول عليك لحاجة ودادية ففتح لهما الباب فدخلا وقد ترحب بهما واكرمهما وهو متعجب من امرهما كيف جاءاه في مثل هذا الوقت واعتذر اليهما كونهُ لم يكن الا في آخر الليل وقد عوَّل على النوم فقالا لهُ اننا لا نريد ان نلقي على عاتقك اثقال زيارتنا انما لنا حاجة عندك

فنلقيها عليك ونريد منك جوابها فجلس فرخوزاد امامها فقالت انوش اتعرفنا من نحن . قال كلا يا سيدي انما يظهر لي من حالتكما انكما من امراء الشاه سليم وعند ذلك رفعت اللثام عن وجهها وظهرت من تحته بدور محاسنها اللامعة فانبهر منها فرخوزاد وتحير من محاسنها ووقع في قلبه بغتة من حبها ما كان قد وقع في قلبها فبقي باهتة . فقالت انوش اعلم اني انا بنت الشاه سليم وقد اتيت اليك لاطرح لديك عظم حبي واسالك بربك ان تعاملني معاملة الرفق وتقابل حبي بمثله فاقطع عهدًا معك على الوفاء فلا يختار احدنا بدلاً عن الاخر الى ان يسمح الزمان بزواجنا ونكتم هذا السر وانا في كل ليلة اجيء اليك

فكاد فرخوزاد يطير فرحًا عند سماعه عذوبة الفاظها وشرح شكواها من جرى حبه فوعدها بكل جميل واجاب طلبها وعاهدها على الوفاء والمودة وانهُ لا يختار سواها زوجة لهُ . وصرفا وقتًا وهما بين بث غرام وشكوى وهيام وبين تمكين روابط الولاء لان كلاً منهما كان لا يصدق فيما يراه ويسمعهُ ولما انقضى نحوًا من ساعات ودعتهُ انوش وخرجت وهي مسرورة الخاطر قريرة الناظر وبقي فرخوزاد على ما هو عليهِ من محبة الشاه سليم لهُ وتقديمهِ على كل رجال حكومتهِ لما كان يشاهده فيه من اللطف والظرف والشجاعة والفصاحة ودام مسرورًا لا يشكو شيئًا الا فراق اخيهِ فيروزشاه ويتمنى ان يعرف في اي طريق سار واين هو

واما فيروزشاه وقادرشاه فانهما كما تقدم السياق ما زالا يتقدمان في الطرقات ويسألان عن فرخوزاد ولا احد يخبرهما عنهُ بشيء الى ان وصلا الى ساحل البحر فوجدا قومًا على الشاطئ فتقدم نحوهم قادرشاه فلما راوه اجفلوا منهُ وقد ظنوه من طليعة قطعة الطرقات . فقال لهم لا تخافوا فاني اريد ان اسألكم عن رجل فقدناه ثم اشار لهم عن فرخوزاد وبين لهم صفاتهُ فاجابوه بان ما نظره احد منهم ثم تقدم فيروزشاه وسالهم عن حالهم فقالوا اننا ذاهبون الى تعزاء اليمن غير اننا مرتبكين الان في امرنا وقد نزلنا نعقد مجلسًا لاننا في خوف عظيم فاذا سرنا في البر فقطاع الطرق كثيرون واذا سرنا بالبحر فقرصان الزنوج قد ملأته فلا نسلم من شرهم . فقال لهم وماذا تحملون لتخافوا عليهِ من قطعة الطرق . قالوا انا نحمل بضائع ثمينة تخص عين الحياة بنت الشاه سرور . قال ومن هو رئيس القوم فيكم ووكيل البضائع . قالوا هو رجل تأتمنهُ عين الحياة يقال لهُ الخواجه ليان وهو في صيوانهِ الان . فلما سمع فيروزشاه ان القافلة تحمل بضاعة وانها لعين الحياة حبيبتهِ تحرك فيهِ الحب وشعل قلبهُ بنار الذكرى وهاج عليهِ غرامهُ فصبر ريثما هدا روعهُ ثم قال اذا شئتم ان نرافقكم فاننا نكفل لكم وصولكم الى بلادكم ونمنع عنكم كل من يعترضكم فبعثوا وراء الخواجه ليان فحضر واستخبر منهما عن مرادهما والى اين يريدان للذهاب . فقال فيروزشاه اننا نريد ان نذهب الى تعزاء اليمن فقال ونحن ايضًا سائرون الى هناك . فقال اذا شئتم ان تنزلوا خيلنا في سفنكم

وتاخذونا معكم فتدخل المدينة معًا واننا نتعهد لكم بحمايتكم من الزنوج ومن كل من يتعدى عليكم .
فاجاب الخواجه اليان بفرح اننا ناخذكما برفقتنا ونستعين بكما على طوارق الحدثان وخيلكما تنزل مركبنا لان في المراكب من البغال عدد كثير لنقل البضائع اذا شئنا المسير في البر . وبعد ان اقاموا قليلاً واكلوا واستراحوا نزلوا جميعًا المراكب وقد احتفلوا بهما كثيرًا واعدّ لهما الخواجه اليان مكانًا مخصوصًا ووكل بخدمتهما جماعة

ولما اجتمع فيروزشاه بالخواجه اليان على انفراد وقد تعلق كلٌّ منهما بحب الاخر قال فيروزشاه يا خواجه اليان اريد منك ان تخبرني عن عين الحياة كيف هي وما صفاتها وما نسبتك اليها . قال اعلم يا سيدي اني خادم عندها تاتمني لما تعهده فيَّ من معرفة الاتجار فتعهد اليَّ بوكالة قافلتها وهي تحب الارباح وتتمنى المكاسب وكلما تربحهُ في الاتجار تفرقهُ على الفقراء والمساكين فخصصت هذا العمل نفقة لهم ولذلك ترى انها لا تخسر مرة بل دائمًا تربح وتكسب . فقال وهل الشاه سرور واولاده بخير . قال نعم فاني تركتهم على احب ما يرام من الصحة والاطمئنان وراحة البال انما اريد ان اسالك فقل لي من اين انتما حقًا ولا تخفِ عني . قال نحن من اولاد التجار خرجنا نتفرج على البلاد وندرس حال التجارة في المدن . فقال الخواجه ليان لا يمكنني يا سيدي ان اصدق انكما من التجار فان ملابسكما ملابس الملوك ومن هيئتكما ما يدل على الوقار والعظمة ولا سيما انت فاني كل ما اراه فيك يذكرني بسيدتي عين الحياة . فقال فيروزشاه اني اخبرك بالصحيح انما تعاهدني ان لا تظهر سرّي لاحد وانك تساعدني على نوال مرادي فارفع شانك ويكون لك مني الخير الكثير فانا هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وقد خرجت مع فرخوزاد ابن بهلزور البهلوان لهذا السرّ الذي اخبرتك عنهُ فجرى لنا مع قطاع الطرق من القتال ما ضيع مني اخي بعد ان احرزنا النصر عليهم ولا اعلم في اي مكان هو واني في كدر من اجلهِ . فلما علم الخواجه اليان انهُ ابن الملك ضاراب نهض قائمًا على قدميهِ ودنا يقبل يديهِ فمنعهُ وقال لهُ اجلس وعاهدني على عدم اباحة السر فعاهده واقسم لهُ انهُ لا يخونهُ وانهُ يحفظ لهُ سره الى حين يامره باباحته فحكى لهُ كل ما وقع لهُ من البداية الى النهاية وانهُ سائر في طلب عين الحياة فتعجب الخواجه اليان منهُ ووعده بانهُ يفدي نفسهُ في صالحهِ كل هذا والمراكب سائرة والريح موافقة لها الى ان دنى الليل ومضى واتى الصباح الثاني ولما كانت الساعة الثالثة من النهار نظروا مركبين من الزنوج قد قربا منهم وفي كل واحد اكثر من خمسين نفر من الزنوج وهم طوال القامات مسلحين بالاسلحة الكاملة فلما شاهدوهم صاحوا وندبوا حياتهم وتاكدوا وقوعهم في ايديهم وتقدم الخواجه اليان وهو يبكي ويشكو سوء المصير وقال لهُ يا سيدي قد اقبلت علينا مراكب الزنوج وهي مشحونة بالرجال فقال لا تخافوا وفي الحال تقلد سيفهُ واخذ طارقتهُ بيده وقفز الى ظهر المركب وفعل مثلهُ قادرشاه الى ان

قرب المركبان من المركب الذي فيهِ فيروز شاه لانهُ هو كبير المراكب وانفرد مركب من اليمين ومركب من اليسار. فقال فيروز شاه لقادر شاه كن انت من جانب وانا من جانب فاجابهُ وفي اسرع من ربع ساعة لصق المركبان بالمركب وارسلا الكلاليب اليهِ وقفز احد الزنوج الى مركب الخواجه اليان فبادره فيروز شاه بضربة من سيفهِ ارداه قتيلاً فصاحت الزنوج وبربرت وقصدت ان تخذف عليهِ فلم يتركهم ان يدخلوا مركبهُ بل قفز كالغزال وزأر كالاسد الريبال واخترق جماعة الزنوج وهو يصيح فيهم فيفرقهم ويضرب بسيفهِ البتار فيرمي الرؤوس عن الاجساد وما مضى الا القليل حتى اهلك عساكر الزنوج عن اخرهم فنظر الى الجهة الثانية فراى قادر شاه في المركب الاخر يصيح ويطعن الصدور بسيفهِ فخاف من ان تفاجئهُ فاجئة فسار اليهِ وساعده على هلاك الباقين وفي اقل من ساعتين هدأ الحال وبطل القتال واستاسر جماعة الخواجه اليان مركبي الزنوج وقادوهما خلفها وهم فرحون بالنصر متعجبون من شجاعة فيروز شاه وكادوا لا يصدقون ما نظروه باعينهم من عجيب قتالهِ ثم دنا منهُ الخواجه اليان وقبل يديهِ وقال لهُ اننا نشكر الله يا سيدي الذي اوصلك الينا قبل ان نزلنا المركب والا لولاك لكنا هلكيا عن اخرنا الان ليس فينا من يقدر على مقاومة هولاء القرصان لانهم ما وقعوا بمركب الا استاسروه وسلبوا ما فيهِ واضروا باصحابهِ. فقال لهُ فيروز شاه صدقت ولكن لا ارى نفسي فعلت شيئًا استحق عليهِ المكافاة فاني اريد ان اخاطر بنفسي مراضاة لعين الحياة ويا حبذا لو كان يمكنها ان تحملني اصعب الاحمال فاني اشتاق الى خدمتها فهي هي وحدها التي تحملني على ملاقاة الاهوال وسلوك سبل الاخطار

ثم باتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح نظرا البحرية الى البر فرأوا امامهم جزيرة فلما تاكدوها جعلوا يصيحون ويولولون فارتبك فيروز شاه وقادر شاه واخذ كل منهما سيفهُ وصعدا ظهر المركب فقال فيروز شاه ما بالكم ولما تصرخون قالوا اننا خلصنا من الزنوج فوقعنا في مصيبة اعظم قال اهل فاجأكم عدوٌّ او تنظرون مراكب القرصان. قالوا يا حبذا ذلك انما انظر امامك فنظر وقال اني لا ارى امامنا الا جزيرة تحيط بها المياه وهي تلمع كالمقباس. قالوا ان من هذه خوفنا لان هذه الجزيرة يقال لها الجزيرة المطلسمة فلما تقرب منها المراكب تسحبها المياه فتلقيها الى البر ثم تخف المياه وترجع فيبقى المركب على البر فيموت من فيهِ جوعًا اذ ليس لهم ما ياكلون فسال فيروز شاه الخواجه اليان وقال لهُ هل في هذه الجزيرة من المادة المغنطيسية ما يوجب جذب المراكب المحتوية على المعادن ام طلسمت لاسباب. قال اني اسمع السياح يتكلمون عن هذه الجزيرة بانهُ كان يسكنها رجل كافر مجوسي يسرُّ بهلاك عباد الله ويرغب الانتقام منهم فكان لا يترك ما في وسعهِ في هلاك البشر ثم افتكر في نفسهِ انهُ اذا مات يموت معهُ هذا الروح الشرير فاختار هذه الطريقة لايصال اذيتهِ للناس بعد موتهِ كما كانت في حال حياتهِ وقد هلك فيها كثير من الناس ولا زالت المراكب

تجذب اليها كلما قربت منها حتى وقع فيها مركب من التجار فيهِ حكيم ماهر من حكماء اليونان فاذلم يجد وسيلة للخلاص اصطنع طبلاً كبيراً علقهُ في شجرة كبيرة فاذا ضرب على الطبل اخذت المياه في الفيضان وكلما ضرب كلما فاضت حتى تاتي الشاطىء فيرجع المركب انما الذين يضربون في الطبل لا يقدرون على الخلاص اذ لا يمكنهم ان يتركوا الضرب على الطبل لانهُ حالما يترك الضرب تهرب المياه راجعة . قال فيروز شاه ان هذا امر سهل فادر بالمركب الى الجهة الثانية علنا نخلص من الدنو من هذه الجزيرة الا انهُ ما اكمل كلامهُ حتى نظر الى المركب وقد حملتهُ المياه بسرعة واسرعت بهِ الى ان القتهُ على الشاطىء ثم هربت المياه فوقف المركب على اليابسة وعلت ضجات النوتيين وجماعة الخواجه اليان وكلٌّ يندب حظهُ ان يكون هو الضارب على الطبل فيفقد حياتهُ فانتهرهم فيروز شاه على ذلك وسال الخواجه اليان ان يسعوا في خلاص المركب قال يا سيدي لا احد يقبل في ان يخاطر بنفسهِ ويضرب الطبل فيبقى هو وينجو المركب والباقون قال لا باس عليكم فانا اصعد الى قلب الجزيرة واضرب لكم الطبل فتنجون انما ارجوك ان تهدي سلامي الى حبيبتي عين الحياة وتعلمها بحالي وتطلعها على ما كان مني علها تاسف عليّ ويكفيني بذل نفسي في سبيل نجاح مصالحها ثم بكى وانشد

دعوني لما بي وانهضوا في كلاءةٍ	من الله قد ايقنت ان لست باقيا
واذ قد دنا موتي وحانت منيتي	وقد جلبت عيني اليَّ الدواهيا
اموت بشوقٍ في فؤادٍ مبرحٍ	فيا ويح نفسي من بهِ مثل ما بيا

وبعد ذلك نزل فيروز شاه من المركب الى الارض وعول على ان يصعد الى الجزيرة فسبقهُ قادر شاه وقال لهُ يا مولاي اني احمل عنك هذه الثقلة فاني لا ادعك مطلقًا ان تبقى في هذه الجزيرة واذهب عنك بل انا اسير فاضرب الطبل فاذا تخلصت انت ففي خلاصك منفعة لك ولي لانك ربما تتوصل الى من ينتشلني من هذا المكان فردعهُ فيروز شاه فلم يرتدع وقال لهُ لا تطمع يا مولاي في رجوعي فاني لا ارجع وانت تبقى هنا فلما رأى فيروز شاه اصراره على عدم الرجوع امر ان ينقل اليهِ ما كان في مراكب القرصان وودع كلٌّ منهما الاخر ودعا الجميع لقادر شاه بالخلاص فسار قادر شاه حتى وصل الى الشجرة المعلق بها الطبل المعدني وجعل يضرب فيهِ فسمع لهُ دويٌّ كالرعد القاصف واخذت المياه تتقدم شيئًا فشيئًا حتى رفعت المركب وخرج راجعًا بالامان مع المياه وقادر شاه يضرب حتى غاب المركب عن الجزيرة ولم تعد ترى منهُ . كل هذا وفيروز شاه في بكاء ونحيب لانهُ خسر فرخزاد وقادر شاه ولم يبقَ لهُ رفيق وهو يطلب من الله تسهيل خلاصهِ من تلك الجزيرة ولا زال المركب سائرًا ومن خلفهِ المراكب حتى وصل الى شواطىء بلاد اليمن فحمدوا الله على السلامة ونزلوا الى البر وانزلوا كل ما في المراكب وحملوا الاحمال على البغال وركب

فيروز شاه جواده ورست المراكب في المينا وساروا الى ان بعدوا في البر على الطريق المستقيم ثم امر الخواجه اليان ان يعدلوا عن الطريق فسالهُ فيروز شاه عن ذلك قال اذا سرنا على هذه الطريق فاننا لا نامن الخطر المحدق بنا قال من اين ياتينا الخطر وانت تقول اننا قد قربنا من العزاء اليمن . قال اعلم يا سيدي اذا سرنا على الطريق المستقيم نصل الى القلعة الجميلة وفي القلعة المذكورة عبدان عصيا على الشاه سرور وتمردا عليهِ ولم يقدر على كبحهما وكان قد رباهما عنده وعلمهما الشجاعة واكرم مثواهما ثم سلمهما هذه القلعة يقيمان فيها كالحرس على البلاد لما يراه فيهما من قوة الساعد فلما استقر حالهما استبدا فاوصلا اذيتهما اليهِ فبعث اليهما بالعساكر فلم يكن من يقدر ان يثبت امامهما وقد منع الناس من المرور في هذه الطريق دون ان يبطشا بهم فسرَّ فيروز شاه عند سماعهِ هذا الكلام وقال في نفسهِ لا بد من اسرهما واخذهما بالاغلال الى الشاه سرور ثم قال للخواجه ليان سر بنا على الطريق المستقيم ولا تخف من احد فهل بعد ان رأيت فعالي تخاف من عبدين اسودين فوالله العظيم لا بد من ان اقودهما الى مولاك الشاه سرور حفاة عراة بالاغلال والقيود . فاجاب الخواجه ليان وامر رجال القافلة ان تسير على الطريق القويم فساروا ولا زالوا سائرين حتى قاربوا قلعة الجميل وكانت على جانب من الطريق مرتفعة قديمة العهد متينة محصنة بالصخور التي تحيط بها ولما نظر العبدان الى القافلة قال احدهما لاخيهِ هولاء رجال الشاه سرور وهذه قافلة عين الحياة وقد جاءوا من هنا دلالة على نامينهم لنا فاكرامًا لعين الحياة لا احب ان نوصل لهم شرًّا انما مرادي ان ارسل لهم بعض عبيدي يطمنهم عن عدم معارضتهم ويطلب لنا منهم اربعة رؤُوس خيل وكان اسم العبدين قاطر وقطير فاجابهُ اخوهُ الى طلبهِ وبعثا عبدًا يخبرهم بما تقدم فلما وصل اليهم قال لهم ان مواليَّ قد امراني ان ابلغكم رضاهما عنكم انما يريدان منكم فقط اربعة رؤُوس خيل على سبيل الغفارة . فقال الخواجه ليان ليس عندنا خيل لنرسلها لهما وكل ما معنا هو حمير وبغال وكان فيروز شاه داخل الصيوان وجواده الكميت مربوط عند بابهِ وهو مسرج بسرجهِ المرصع بالجواهر فنظره العبد وكاد يطير فرحًا وقال هذا جواد يغني عن الاربعة قال هذا ليس لنا بل لرجل رافقنا في الطريق فاذا كنت تقدر ان تاخذه فخذه فتقدم العبد وقصد ان يفك الجواد فرفسهُ برجليهِ وقصد قتلهُ فبعد عنهُ وجعل يحاول الدنو من مقوده فلم يقدر فلما سمع فيروز شاه صهيل جواده طار عقلهُ فاستل سيفهُ وخرج الى خارج الصيوان فوجد العبد على حالهِ فصاح بهِ وسالهُ عن مراده فقال لهُ اني مبعوث من قبل مواليَّ قاطر وقطير لآخذ لهما هذا الجواد وهما لا يتعرضان لكم بشر . فقال لهُ ويلك اذهب واخبر سيديك بان يستعدا لقتالي فاني قد اقسمت على اعدامهما او ان اقودهما الى سيدهما الشاه سرور مغلولي الايدي والارجل واياك ان تقرب من الجواد فتعدم الحياة فلما نظر العبد عمل فيروز شاه خاف منهُ لانهُ شاهد الموت واقفًا في حسامهِ

فرجع وحكى لسيده فلعب بهما الغضب وكاد يغشي عليهما وقالا لا بد من قتله واخذ الجواد واما القافلة فلا نتعرض لها

وإذ ذاك ركب قاطر وقطير وانحدرا من القلعة وكان فيروز شاه قد تقلد بلامته وسلاحه وعلا على الكمين فخرج من تحته كالسرحان وهو من فوقه يهتز عجبًا و يترنح طربًا حتى التقى بهما فصاح به قاطر وقد انخطف عقله عند الجواد وقال له ويلك ايها المكابر بنفسه اما سمعت بغاراتنا وشدة باسنا اما اخبرك رجال القافلة باننا اخذنا الغفارة من الملوك والامراء . وقد ذل لدينا كل جبار عنيد وفارس صنديد فكيف يصعب عليك تقديم هذا الجواد وقد خاطرت بنفسك ولم تقدمه فدية عنك وتحفظ نفسك سالمًا من الهلاك . فاجاب فيروز شاه ثكلتك امك ايها النذل اتظن اني كمن لاقيت من الفرسان الا تعلم باني اقسمت ان اقيدك مع اخيك الى مولاكما الشاه سرور يفعل بكما ما يختار وهل لا تعلم ان من دون هذا الجواد خرق القتاد وانه لا يقبل ان يعلو ظهره غير فارسه . فهجم عليه قاطر فالتقاه بقلب لا يهاب الموت ولا يخشى حلول النوائب فافترقا وانطبقا ودار بينهما الطعن بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال مقدار ساعة و بعد ذلك صاح فيروز شاه صيحة اهتز لها ذلك السهل والجبل وانخبل منها قاطر فعزم على الفرار فما تركه بنتل العنان حتى مد يده الى وسطه وانتشله بسرعة تحاكي لمعان البرق وضرب به الارض فانصرع غائبًا عن الوجود . ولما نظر اخوه قطير ما حل باخيه لم يعد يملك روعه فامتشق حسامه وفاجأ فيروز شاه وكان اشد من اخيه باسًا فالتقاه فيروز شاه وتجاول واياه طويلاً حتى اتعبه ولما لاح له منه وجه التقصير قبض على اطواق درعه ورفعه عن الجواد والقاه فوق اخيه وكان رجال القافلة حاضرون ومنهم الخواجه ليان فامران يوثق الاثنان فربطوهما وقادوهما ذليلين حقيرين واما فيروز شاه فانه سار نحو القلعة يطارد عبيد قاطر وقطير حتى دخلوا القلعة وقفلوا الابواب فصاح فيهم ويلكم ابناء اللئام اخرجوا من القلعة وسلموها لي وسيروا الى المدينة فان العبدين العاصيين صارا في قبضة يدي وساذهب بهما الى مولاها يفعل بهما ما يختار فماذا يفيدكم التكابر والعصيان فسلموا بالاختيار والا هدمت القلعة عليكم فخرجوا اليه خوفًا وسلموه القلعة وقالوا نحن لا ذنب علينا ولا نحن عصاة انما نحن عبيد قاطر وقطير نلتزم بطاعتهما قال لا خوف عليكم ثم اخذ مفاتيح القلعة بعد ان اخذ منها ما كان سلبه ونهبه العصاة وضافه الى احمال الخواجه اليان . ثم نزل في صيوانه فتقدم اليه الخواجة اليان وجماعته وقبلوا يديه وشكروا فضله وقالوا له اعلم يا سيدي ان الشاه سرور اضاع على هذه القلعة كثيرًا من الفرسان طمعًا في كبح قاطر وقطير دون جدوى ولا فائدة

فباتوا تلك الليلة في امان واطمئنان وفي الصباح نهضوا وحملوا الاحمال على ظهور البغال

وساروا نحو تعزاء اليمين وسار فيروز شاه من خلفهم وهو يبعد عنهم نحو نصف ساعة وهو راكب على جواده كالبرج المتين وافكاره تضرب في داخل قصر عين الحياة وهل يا ترى توافق على حبه وهل يتسهل له الوصول اليها فيراها وكيف السبيل الى استجلاب رضاها وكان لا يعلم بما فعلهُ شياغوس المصور من انهُ رمى بقلبها من سهام حبهِ ما جعلها تأن ليلاً ونهارًا وجعلت كل شغلها تلك الصور فلا تفارقها الا قليلاً واكثر الاوقات تضعها امامها وتاتيها قهرمانتها شريفة بالخمر فتشرب بصحة صاحبها حتى تغيب عن الهدى وهي تتحسر وتنشد الاشعار وتشكو هواها وهيامها . وبينما كان فيروز شاه سائرًا من خلف القافلة كان يمرُّ على قرى ونواحٍ خالية من السكان مع انها عامرة فتعجب في نفسهِ وقال هل لا يوجد سكان لهذه الضياع وكيف هي عامرة ويظهر انها كانت ماهولة فما سبب هجر اصحابها لها يا ترى وبينما هو بافتكار وتعجب وقد خطر له ان يتأثر الخواجه اليان ليسالهُ واذ نظر انسانًا راكضًا يحمل رزمة صغيرة فصاح بهِ فخاف الرجل ووقع الى الارض وهو يصيح ان لا ذنب لي يا سيدي اعفُ عني لاني من الرعايا ولست من العساكر . فانتهره فيروز شاه وقال لهُ ويحك ما هذا الكلام وما الذي تعنيهِ فاريد منك ان تحكي لي عن سبب فراغ هذه الضياع من الاهالي لاني غريب فانهض ولا خوف عليك من احد فلما سمع الرجل كلامهُ هدأ روعهُ وقال اعلم يا سيدي ان الشاه روز بن كندهار احد ملوك العجم وميسره ويبروز اخوي طومار الزنجي ومعهم عساكر كثيرة ملات السهل والجبل راكبين على الشاه سرور فلما قربوا من هذه النواحي فرت اهاليها الى المدينة خوفًا من القتل والسلب واني كنت منها فلما هربت كنت طمرت في الارض حلى زوجتي ودراهمي فبعد ان استقمت في المدينة خطر لي ان آتي بها فانسحبت في الليل واتيت المكان فوجدتها باقية فحملتها ورجعت ولم ارَ احدًا سواك . قال وما هو السبب في حشد هذه الجموع واتيان الملك روز وانصاره الزنوج . قال ان الملك روز كان قد خطب عين الحياة من ابيها فابى فركب بجموعهِ وقد استنصر اعداء مملكتنا الزنوج فاجابوه تحت امرة ميسرة ويبروز . قال ولما الشاه سرور لم يقبل بزواج بنتهِ ولم يجب طلب روز ابن الملك كندهار . قال اعلم يا سيدي انهُ لما شاع خبر عين الحياة في الكون وطار صيت جمالها في الافاق كثر عليها الخطاب من ابناء الملوك والشاهات . فمن الصدف الغريبة انهُ طلبها ثلاثة في اسبوع واحد وذلك انهُ ورد على ملكنا ثلاثة وزراء في آن واحد احدهم مرسل من قبل ملك مصر يخطب عين الحياة لابنهِ صالح ومعهُ الهدايا الفاخرة والجواهر النفيسة والثاني من قبل قيصر لابنهِ الامير اينوس والثالث من قبل كندهار لابنهِ الشاه روز فاحتار ملكنا في امره وتعجب من هذه الصدفة فجمع وزيره طيثور واعيان مملكتهِ وسألهم في ماذا يجيب وقد سأل بنتهُ فلم تقبل احدًا منهم . قالوا لهُ ان من الراي الحسن ان تردَّ الثلاثة وتخبرهم ان بنتي لا تقبل الان بالزواج سيما واني لا اقبل ان ازوجها صغيرة وبذلك لا

نقع تحت لوم احد من هولاء الملوك والا اذا سمعت فيها لواحد تكدر الاخر وكلهم من ابناء الملوك العظام . وهكذا فعل فانهُ ارجع هدايا الملوك مع وزرائهم ورد لهم جواب كتاباتهم بالامتناع . فما كان من ابن ملك مصر انهُ اختل عقلهُ فقيدوهُ بالسلاسل وابن كندهار اذ كان من الشجعان قام على ابيهِ وطلب منهُ ان يسير الى حرب الشاه سرور فقال لهُ اني اعلم اننا لا نقدر على مقاومتهِ ان لم نستعن بالملك طومار سيد بلاد الزنوج فارسل كتاباً فبعث لهُ بالعساكر الجرارة وبعث اخويهِ ميسرة ويبروز فجاءوا الى كشمير الى بلاد كندهار فترحب بهم ثم امر ابنهُ بالركوب فركب بعساكر من العجم وجاءوا جميعاً عصبة واحدة يطلبون الانتقام من سيدي الشاه سرور ويسبون بنتهُ عين الحياة وحيدة زمانها فلما دنوا من هذا المكان فرت الاهالي واخبرت الشاه سرور فتكدر لانهُ لم يكن ينتظر من هولاء هكذا عمل فبعث بالحال الى عمالهِ كالشاه سليم والمنذر ملك عدن والطائف وغيرها فجاءوا جميعهم على عجل وقد نزل الاعداء في الجهة العليا من المدينة عند الجبل الاخضر وخرجت اليهم عساكر المدينة تحت امرة اولاد الشاه سرور وهم اسد وشجاع وازبر وقام القتال نحو خمسة عشر يوماً في بادىء الامر قبل وصول النصرات لنا فتأخرت رجالنا واسر ابن ملكنا ازبر وحينئذٍ خرج الشاه سرور والشاه سليم وبقية الملوك بعساكرهم وكان عدد جيوشهم يبلغ الاربعمائة الف مقاتل ولم ينقطع الحرب بينهم وكادت الاعداء تبطش بنا لولا بهلوان الشاه سليم واسمهُ فرخوزاد فانهُ فعل افعالاً تذكر مدى الاجيال الا ان مولاه الشاه سليم منعهُ من القتال خوفاً عليهِ لانهُ نظر ان العدد كثير وكل العمل عليهِ فعلم انهُ لا بد من ان يهلك فلحبهِ لهُ منعهُ ولم يدعهُ يبرز ولا ريب الان في ان عساكرنا تاخرت لان روز وميسرة ويبروز من الابطال المعدودة كل واحد منهم يقاوم جيشاً وحده فهذا ما اعلمهُ والسلام

فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام قلب الضياء في وجههِ كالظلام فدار جواده واسرع حتى ادرك القافلة فدعا الخواجه ليان وقال لهُ انعلم ما هو جارٍ في المدينة . قال لا . فحكى لهُ كل ما سمعهُ من الرجل وقال لهُ اني اقسم بالله القادر الجبار اني لا ادخل المدينة حتى افرّق كل هذه الجموع واقتل روزي وميسرة ويبروز والاَّ كيف اكون انا في قيد الحياة ويطمع في الوصول الى عين الحياة طامع فلا بد لي من المسير الى جهة الجيوش فاتخذ لي منزلاً في الجبل واذ ذاك تنظر من فعالي فوق ما نظرت . قال الخواجه ليان اعلم يا سيدي ان ذلك من عظم سعدك واني على يقين من كل ما تقول فلا بد من ان يحتاج الشاه سرور الى من مثلك اذ لا قدرة لهُ على مقاومة هذه العساكر الجرارة . قال صدقت ان ذلك من توفيق الباري لينظر الشاه سرور فعلي وتعلم عين الحياة اني قاتلت في سبيل خلاصها من هولاء الاوغاد واذا اقتضى الحال سرت الى بلادهم وخربت ممالكهم ولا ادع احداً في الدنيا يذكر عين الحياة بشفة ولسان وانا حيٌّ على وجه الارض

فهذا ما كان من الخواجه ليان وفيروزشاه واما ما كان من الشاه سرور فانهُ كان مشغلًا بالقتال مع عساكر الاعداء وقد صرف عدة ايام في محاربتهم دون ان يحرز نصرًا يومًا واحدًا بل كان النصر للاعداء في كل يوم حتى هلك من عساكر المدينة عدد كثير. وفي صباح احد الايام اصطفت العساكر وترتبت يمينًا وشمالاً وعولت على الهجوم واذا ببيرون اخي طومار توسط الميدان وطلب البراز من فرسان الشاه سرور وكان طويل القامة عريض الهامة تكاد تلحق رجليهِ الارض لعظم طولهِ فبرز اليهِ احد امراء الشاه سرور فتجاول واياه ساعة ثم طعنهُ في صدره فارداه قتيلاً فبرز اليهِ غيره فالحقهُ بهِ ولا زال كذلك حتى قتل نحو عشرين اميرًا من قواد المملكة فتاخرت عنهُ الفرسان وقد خافتهُ وعلموا ان لا احد منهم يقدر على مقاومتهِ. ثم رجع الجيشان الى الخيام ورجع بيرون الى اخيهِ وابن الملك روز فتلقوهُ بالاحضان فقال لهم ان من الموافق ان نهلك اولاً امراء الشاه سرور وقواده وبعد ذلك نهجم على المدينة فلا تعود تقدر العساكر على الثبات امامنا اذ تكون فقدت قوادها وبهذه الواسطة نتمكن من خراب المدينة واخذ عين الحياة فاستحسنوا رايهُ وكان فيروز شاه قد وصل واتخذ في احدى كهوف الجبل مقامًا مع الخواجه ليان وجماعتهِ وشاهد فعل بيرون فتكدر وقال في الغد لا بد لي من ان اكيد هذا الفارس وآخذ على نفسي عهدة القتال ولما كان اليوم الثاني ركب فيروز شاه واقبل من جانبي العساكر ينتظر هل يبرز ذلك الفارس او تحمل الجيوش على بعضها فوجد ان بيرون في وسط الميدان وهو يطلب من ينازلهُ من امراء الشاه سرور وقد تاخروا عنهُ وهو يشتم ملكهم والشاه سرور يصيح في الفرسان ويلكم ايها الامراء هل ترضون بالعار والذل والشنار اما فيكم من يقدر على قتال هذا الفارس فكانت الفرسان تسمع كلامهُ وما فيهم من يجيب سوالهُ فلعبت المروءة في راس فيروز شاه وقال في نفسهِ الان يعلم فضلي وتعرف الابطال منزلتي فصاح بصوت كالرعد القاصف ارتجت لهُ تلك السهول والوديان وسمعهُ كل انسان فمالت اليهِ بالانظار وتوجهت لنحوهِ الافكار. وقد اطلق الكمين فخرج من تحتهِ كالسهم الطيار وصدم بيرون صدمة فيروزية فالتقاه بهمة قوية واخذ معهُ في الطعن بالرماح والضرب بالصفاح وهو يدور من حولهِ كاللولب حتى سد عليهِ طرقهُ وطرائقهُ ورماه بالحيرة والارتباك ولم يعد يرى مجالاً للهرب ولا اقتدارًا على الثبات وكذلك جميع الفرسان قد تعجبت من خفة قتالهِ وسرعة حركاتهِ ولا سيما فرخزاد فانهُ زاد لهفهُ الى ذلك الفارس وقال ان الجواد جواد اخي فيروز شاه والقتال قتالهُ انما من اين يصل الى هذه الديار وذاك معهُ قادر شاه وهذا وحده وعاد في وسواس من هذا القبيل والشاه سرور في فرح زائد وهو يقول للشاه سليم ان هذا الفارس غريب الديار ولا اعلم ان كان هبط من السماء او اخترق الارض فخرج منها وبينما هو كذلك واذا بفيروزشاه قد صاح صيحة ثانية اشد من الاولى ورفع سيفهُ في يده وقال لهُ خذها من يد فارس الاعجام وسيد

الصدام . ومهلك الجبابرة العظام وضربهُ بهِ ضربة قوية فنزل بهوي وقد سمع لهُ دويٌّ ورعيد فاخذه بيروز في الطارقة وقد ايقن بانهُ هالك ونظر الى الدنيا نظرة المودع وقد شاهد بسرعة الخاطر سيف فيروزشاه وهو نازل يصحب المنية معهُ فلم يشعر الا والسيف قد قطع الطارقة ونزل على راسهِ فشقهُ الى تكة لباسهِ ثم رفسهِ برجلهِ فوقع كالطود المهدد يخبط بدمهِ واذ ذاك صاح الشاه سرور ورجالهُ وعساكره جميعًا بصوت واحد لا شلت يداك ولا كان من لا يهواك وما فيهم الا من تصور في ذهنهِ وقع ذلك السيف وعظم تلك الضربة العجيبة وصار كل منهم يتحدث عنها مع رفيقه . واما ميسرة فانهُ لما شاهد ما حل باخيهِ كاد يطير عقلهُ من راسهِ فصاح بالعساكر ان تحمل على فيروزشاه فتنتشلهُ على اسنة الرماح فحملت حملة واحدة فالتقاها بجنان قوي وعزم جري وكذلك حملت عساكر المدينة بامر ملكها وسيدها فقامت الحرب على ساق وقدم . ودارت رحاها بين تلك الامم وغنى السيف بصوتهِ المطرب الرنان وتمايل الرمح بقده المعتدل الفتان . وصهلت الخيل من التعب والجولان . واستغنم فرصة الهرب الجبان . فبعد متجنبًا سماع الانين فسد منهُ الاذان واشتبك كل انسان بانسان . الا فيروزشاه عروس ذاك الميدان . فانهُ كان كفرخ من فروخ الجان . او كالبرق يمرُّ بسرعة اللمعان . او كالشهاب اذا انخطف من مكان الى مكان . فلله دره من فارس لم ياتِ مع صغر سنهِ بمثلهِ الزمان . ولا فعل كفعالهِ سيف ابن ذي يزن ولا عنترة الفرسان . فانهُ اخترق الصدور بطعناتهِ . ودحرج الرؤوس بضرباتهِ . وفرق العساكر بصيحاتهِ . وضيع العقول بوثباتهِ . فكان يقاتل تارة في اول العساكر . وبعد هنيهة يرى في الاخر . حتى حير النواظر وابهج الخواطر . ومما زاده بطشًا واقتدارًا وعظمة وافتخارًا . تذكره ان تلك الجموع قد جاءت في طلب عين الحياه محبوبتهِ . وانهُ اذا قصر في القتال تذهب منهُ فيموت في حسرتهِ . فكانت دائمًا نصب عينيهِ وقد تذكر قول القائل

ولقد ذكرتكِ والسيوف لوامعٌ والموت يرقب تحت حصن المرقبِ
والحصن في شفق الدروع تخالهُ حسناء ترفل في رداء مذهب
والموت يلمع بالنفوس وخاطري يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وكان الشاه سرور والشاه سليم وطيفور على مكان عالٍ في جانب الميدان ينظرون افعال فيروزشاه ويتعجبون من افعالهِ وقد امتلأ قلب الشاه سرور منهُ فرحًا وقال لولا هذا الفارس لكانت هلكت رجالي وساءت احوالي فقد اهلك وحده نصف العساكر وبدد شملها فلا بد لي من مكافاتهِ وتعلية منزلتهِ ولا زال القتال الى ان هجم الزوال فتقهقرت عساكر الزنوج الى الوراء وماصدقت ان نشر رواقهُ الظلام حتى يتيسر لها الرجوع الى الخيام . فتخلص من سيف فيروزشاه وتنجو من شره وبلاه . واذ ذاك رجع كل من الفريقين يطلب لنفسهِ الراحة وحل بعساكر الشاه سرور الفرح

والاستبشار . بعد الذل والانكسار . وقد املوا انهم في صباح اليوم الثاني يهلكون الباقين بهمة ذلك الفارس العجيب الاعمال واما فيروزشاه فانهُ رجع متوغلاً بين الادغال حتى اتى الخواجه ليان فحكى لهُ بما فعل فشكره على ذلك وقال لهُ ما كان قدومك الا لسعادة هذه البلاد فانها كانت تخرب لا محالة ثم نزع عنهُ الثياب وبات تلك الليلة يتذكر محبوبتهُ عين الحياة فلم ياخذه نوم ولا فتر عن ذكرها دقيقة وهو يطلب سرعة مسير الليل ليرجع الى الحرب ويبدد تلك الجموع ويدخل المدينة علهُ يتوصل باقرب وقت الى عين الحياة مالكة قلبهِ وسالبة لبهِ وقد تذكر ما كان راه منها في منامهِ فهاج عليهِ خاطره واقلقهُ هيامهُ وانشد لسان هواه

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت ... تختال في ثوبي حيًا ودلالِ
تسبي القلوب باسرها فجميعهم ... في اسرها لكن بقيد جمالِ
يا وجهها الحاوي لبهجة روضةٍ ... انواره انت العزيز الغالي
اذ فيك كل عجيبة ما بين تفـاحٍ ووردٍ يانعٍ ولآلي
والشهد والخمر الحلال وقرقفٍ ... مع برده يسلي واست بسالي
يا جفنها الغزّال كم من عاشقٍ ... بك في المحبة مثل شنٍ بال
عجبًا تميت العاشقين ونحن لم ... نعرف سوى الاحياء للغزالي

وكان الشاه سرور على مفالي الجمر من غياب فيروزشاه وقال للشاه سليم والله اني اخاف ان يغيب هذا الفارس فيضيع منا النصر الذي احرزناه بسببهِ فياليتهُ جاء عندنا لكنا حللناه مقامهُ او يا ليتنا بعثنا لهُ من دعاه الينا وبات تلك الليلة في ارتباك وخوف ممزوجين بفرح وابتهاج . واما ميسرة اخو پيروز فانهُ بعد ان عاد الى الخيام جعل يندب اخاه ويبكي مقتلهُ فانتهره الشاه روش وقال لهُ لا يليق البكاء بمن كان مثلك فاصبر على نفسك وانهض الى اخذ الثار فتخفف احزانك وتحمد بين الفرسان فقال لهُ اني اقسمت ان لا ادع غدًا يمضي الا واكون قاتلاً او مقتولاً

ولما كان الصباح اصطفت الفرسان يمينًا وشمالاً فبرز ميسرة الى الميدان وكان اشد باسًا من اخيهِ واعظم هيكلاً واضخم جثة ولما توسط الميدان صاح بملء راسهِ اي فرسان اليمن وملوكها وشاهاتها من كان منكم ذا بطش واقتدار . ويرغب في اكتساب المجد والفخار . ويدعي البسالة والاقدام والثبات في العراك والصدام . فليبرز اليَّ في هذه الساعة . وينفق في هذه السوق ما عنده من البضاعة . فاني لم اعد اصبر عن قتالكم . ولا عاد في وسعي ان اتاخر عن نزالكم . بعد ان قتلتم اخي اشنع قتلة . وفعلتم بجيشنا اقبح فعلة . وان كان لا يوجد فيكم من يجسر على ذلك . فهيا ابرزوا جميعكم فتذوقون امر المهالك . فلما سمعت فرسان اليمن كلامهُ وشاهدت عظم جثتهِ وهول خلقتهِ . وقع في قلبها الخوف وجعلت تنظر الى جهة الجبل وهي تومل اتيان فارس امس وهو فيروزشاه

فلم يروا له اثرًا فتكدرت خواطرهم وايقنوا بالقلعان ولا سيما الشاه سرور فانهُ التفت الى الشاه سليم وقال له انا قصرنا بحق ذلك الفارس واهملنا امره ولم نرسل من يدعوه لنقوم باكرامهِ واني اخاف ان يكون اتفق مع الاعداء فهناك المصيبة الكبرى . وكان فيروز شاه عند الصباح عول على الركوب فمنعهُ الخواجه ليان وقال له ارح نفسك هذا اليوم ودع الشاه سرور يعرف عظم احتياجهِ اليك فانهُ لا بد ان يتاخر جيشهُ في هذا اليوم فيرجع القهقرى واذ ذاك يفتقدك ويعلم انهُ لولاك لخربت بلاده وهلك جميع رجالهِ . قال اخاف ان تاخري عنهُ يحدث ما يكدرني ويكدر عين الحياة . قال مهما حدث في هذا اليوم فلا يحدث اكثر مما كان قبل مجيئنا فاصغَ الى كلامي فان فيهِ خير لك وفائدة سوف تتذكرها فيما بعد فاجابهُ الى طلبهِ

ولما قطع رجال اليمن الرجاء من مجيء فيروز شاه تاخروا عن القتال ووقع الرعب في قلوبهم ودام ميسرة في وسط الميدان نحو ساعة من الزمان وهو يطلب مبارزة الفرسان ويشتم عساكر اليمن ويقبح بذكر ملكهم حتى اخذت الحمية الشاه غضنفر ابن الشاه سرور فقفز الى الميدان وقد حان عليهِ الموت وكان اكبر اولاده فالتقاه ميسرة وقال له من انت ايها العصفور الخالي من الريش فما انا طالب قتال من مثلك فارجع وابعث اليَّ قاتل اخي فاني في شوق الى اخذ الثار منهُ فاخبرني عنهُ وعن اسمهِ . قال ان ذاك فارس غريب لم نرَه قبلاً الا يوم قتل اخيك وها قد جئتك انا الشاه غضنفر ابن ملك البلاد لاذيقك كاسًا ذاقها اخوك من قبلك . ثم تجاول الاثنان . اي جولان . وتضاربا بالعمد حتى كلت منهما اليدان . واوسعا في الميدان . نحو ساعتين من الزمان . حتى ظهر على الغضنفر العجز وبان . وانسدت في وجههِ ابواب الامان . وعرف ميسرة في حالهِ . فطمع في تقريب آجالهِ . ففاجاه بالعجل . وصاح فيهِ فانخبل . وضربهُ بعمده بما اعطاه الله من الحيل والقوى . فوقع على راسهِ فهرسهُ هو والجواد سوى . فلما شاهد الشاه سرور ما حل بولده طار عقلهُ وكاد يغشى عليهِ وصاح في رجالهِ ويلكم اما فيكم من ياخذ لي بثاري من هذا الفارس وياخذني مشتهاه . فدنا منهُ فرخوزاد وقال له اني اقهر لك هذا الفارس بعونهِ تعالى . ثم صدم ميسرة صدمة قوية . فالتقاه بهمة رحمية . ودار بينهما دولاب المجال . بعمل سرعة القتال . دورانًا يشغل الخواطر . ويحير النواظر . حتى تسردق فوقهما الغبار . فاخفاهما عن الانظار . فكان في يد كل واحد منهما عمد من الحديد . يديره كيفما يريد . ومع ذلك لم يصب احدهما خصمهُ بضربة واحدة . ولا تمكن من الفرص بالمعاضدة والمساعدة فقصر عن نوال مراده . واطفاء نار فؤاده . ولما اعيتهما الحال القيا بالعمد . وعمدا الى ذات الغمد . وهي البيض الصفاح . التي هي اقرب الى خطف الارواح . فتضاربا بالغيظ والاحتدام . وتهاجما هجوم اسود الاكام . الى ان وقع بينهما ضربتين . من يدين قويتين . وقعت ضربة فرخوزاد على فخذ ميسرة فجرحهُ جرحًا عظيمًا . الا انهُ بقي مستويًا في سرجهِ قويًا . واما ضربة ميسرة فانها لم

تصب فرخوزاد . حيث انهُ انحذف عن ظهر الجواد . الى بساط الوهاد . ثم قفز كالغزال . واستوى في مكانهِ باسرع من ريح الشمال . ورجعا الى ما كانا عليهِ من ضرب يقطع الحديد . ويفك الزرد النضيد . وقد تعجب ميسرة من فرخوزاد وخفتهِ . وتحير من معرفتهِ في فنون الحرب وسرعتهِ . ولا زالا الى ان هجم جيش الظلام منذرًا بوجوب ترك القتال والصدام . فافترق الاثنان . وهما من عظم التعب يشكيان

قال فالتقى الشاه سرور فرخوزاد وقبلهُ ما بين عينيهِ وشكرهُ . على فعلهِ وقال للشاه سليم اعندك مثل هذا الفارس وتخفيهِ عني فاني استوهبهُ منك لاجعلهُ بهلوان مملكتي وغفير بلادي . فقال فرخوزاد لا بد في الغد يا سيدي من قتل ميسرة واخذ ثارك منهُ ولو لم يكن من اشد الفرسان باسًا لما ثبت امامي كل هذا النهار . واما ميسرة فانهُ رجع الى معسكرهِ وهو في غضب زائد لانصرام النهار قبل قتل خصمهِ فاتاه الشاه روز وسالهُ عن حالتهِ فقال لهُ لا ريب ان هذا الفارس بعيد عن هذه البلاد فانهُ عجمي الصفاة ومع ذلك فلا بد لي في الغد من قتلهِ لانهُ فاجأني وانا تعبان من براز غضنفر الذي قتلتهُ واما من جهة جرحي فانهُ لا يمنعني ومتى طلعت الشمس يختم هكذا نحن الزنوج ان لم يكن جرحنا مميتًا يدمل في الحال . وبات القوم وكلهم في حديث النهار وما جرى بين فارسيهِ وهم يرغبون رجوع النهار ليعلموا من سينتصر على الاخر

وعندما بزغت شمس الصباح وارسلت اشعتها على تلك الروابي والبطاح . تحركت الجيوش من مراقدها نتاجج بالسلاح . وتطلب الحرب والكفاح . وتطلب من العزيز الفتاح . التوفيق على الاعداء والنجاح . وقبل ان يتم انتظام العساكر وتدريبها . برز ميسرة وفي يده عاموده الحديد فلعب بهِ اشكال حتى حير عقول الفرسان والابطال . ثم وقف في نصف المجال . ونادى فرخوزاد ان يسرع الى القتال . وقبل ان يجيبهُ الى سوالهِ . وينزل الى قتالهِ علت اصوات الفرح من عساكر الشاه سرور . وصاحت صياح البهجة والحبور . لانها نظرت فيروزشاه يتدرج من قمة الجبل كانهُ قضاء تحدر من الله فنزل . وكانت اشعة الشمس تنكسر على جواهر سرج جواده الكميت واسلحتهِ البيضاء فيظهر لها لمعان كلمعان البروق وكان كالكوكب الوضاح ولم تكن من عين الا ونظرت اليهِ نظر المتعجب ووقع الفرح بعساكر اليمن كما وقع الخمول على اعدائهم المخالفين ولم يكن الا قلل من الدقائق حتى وقف فيروزشاه بين الصفين وقبل ان يفتل العنان في مضمار الجولان اشار بسيفهِ لعساكر اليمن اشارة السلام ثم هزه في جهة الاعداء توعدًا بالانتقام . وبعد ذلك اطلق لجواده العنان . فخرج من تحتهِ كالسرحان . يثب وثبات الغزلان . ويسرع على اجنحة الطيران . ثم هجم على الزنوج من جهة اليمين فقتل فيهم قتلاً ذريعًا . وفتك بجموعهم فتكًا شنيعًا . وعاد يخب مضرجًا بالدماء الى جهة الشمال . وفعل بالاجسام اشنع فعال . حتى شفى قلبهُ . وفرَّج كربهُ . كل

هذا وميسرة واقف كالصنم . وقد وقع عليهِ الخمول وحل بهِ البكم وصار كمن يتعجب على عظيم فعالهِ . ليعلم كم هي درجة معرفتهِ في قتالهِ . فوجده اسرع من البرق اللامع . ومن الشهاب الساطع . فلم يشعر الا وقد صدمهُ صدمة الجبابرة العظام . وصاح بهِ صيحات اسود الاجام . فالتقاه ميسرة . بقوة ومقدرة . وقال لهُ اهلاً بقاتل اخي ومحرق فوادي . فاليوم اخذ ثاري ونوالي مرادي . وقد فتشت عليك بالامس فلم اقف الك على اثر . ولو نظرتك لاتبعتك بالشاه غضنفر . وتركتك عبرة بين البشر . ليعرف من مثلك ما لهُ من المقام . فلا يتطاول على الملوك العظام الكرام . فلما سمع فيروزشاه انهُ قتل غضنفر . كاد يطير من عينيهِ الشرر . وقال لهُ ويلك يا معدن الخبث والفجور . اهل قتلت ابن الشاه سرور . فماذا يا ترى جرى على قلب عين الحياه . حبيبة فيروزشاه . ثم جعل يلعن الساعة التي سمع بها من الخواجه ليان . وتأخر عن القتال حتى كان ما كان . فلم ياخذه بعد ذلك هدو ولا توان . بل زأر زئير الاسود الكواسر . وفاجأ ميسرة بضرب متواتر . وعزم على الاسراع في اخذ الثار . قبل فوات ذاك النهار . فلم يعد يسمع بينهما الا صياح ودمدمه . وبربرة وهمهمه . وعمد تشرع . وطوارق تلمع . وحوافر خيل تقدح شرارًا . وشديد ضربات تثير من الدرق نارا . ودامًا في اخذ ورد . وقرب وبعد . وافتراق والتحام . وهجوم وصدام . وقد رفع فوقهما الغبار اكثف رواق . وتطاولت بالنظر اليهما الاعناق . تطلب الوقوف على نهاية هذا القتال . الذي لم يسمعوا بمثلهِ من قديم الاجيال . ولا شاهدوه في احد من الابطال . وقد تقدم كل من الصفين . الى قرب الاثنين . وفي مقدمة عساكر اليمن فرخوزاد . وهو مبلبل الخاطر خافق الفواد . وترجح لهُ ان ذلك الفارس هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب . ولم يعد عنده شك ولا ارتياب . لا سيما وقد عرف جواده الكميت الذي بعثهُ لهُ جده . فتاكد ظنهُ وثبت الصحيح عنده . واما الشاه سرور فانهُ التفت الى وزيره طيفور وقال لهُ اريد منك ان ترسل من الامراء خمسة عشر اميرًا فيقفون في طريق هذا الفارس ويأتون بهِ الينا لنكرم مثواه لاني على يقين من انتصاره على خصمهِ واخاف ان يذهب فنقع بعده في الخسران لا سيما اذا لم ينتهِ بينهُ وبين خصمهِ شيء في هذا اليوم فامتثل امره وبعث الامراء المذكورين بعد ان اوصاهم بتقديم الاحترام لفيروزشاه وان يأتوا بهِ الى ضيافة الملك

هذا ونار القتال لا تزال في استعار واشتعال . بين ميسرة وفيروزشاه الاسد الريبال . حتى

انتهى الجزء الاول من قصة فيروزشاه

ويليهِ الجزء الثاني عما قليل ان شاء الله

الجزء الثاني

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

مضى اكثر النهار . ومالت الشمس طالبة الاستتار . فتذكر فيروز شاه ان فوات مثل هذه الفرصة يجرعهُ اعظم غصة . ويحط من قدره عند محبوبتهِ وابيها . فلا تسر منهُ ولا يرضيها . وقد لاحت منهُ التفاتة الى اخيهِ فرخوزاد . فرآه بالقرب منهُ يحدق بهِ وهو مستعد للقتال والطراد . فزاد بهِ الفرح وانسع صدره وانشرح . فزاد في عزمهِ . ودنا من خصمهِ . وصاح فيهِ صيحة قوية ارتجت منها السهول ومالت لنحوها النواظر والعقول . وسحب في يده الحسام . حتى بان من تحت افرنده الموت الزؤام . وقال لهُ خذها من يد فيروز شاه صاحب عين الحياه . وضربهُ بهِ ضربة فيروزية . مصحوبة بويلات المنية . فوقعت على درقتهِ قطعتها نصفين . ونزلت على كتفهِ فشطرتهُ الى خاصرتهِ شطرين . فمال عن جواده يكدم الارض قتيلاً . ويصافح التراب حقيرًا ذليلاً . فعلت صيحات تلك العساكر . ما بين شاك وشاكر . فاحتدم الشاه روزغيظًا وترحًا . وتهلل الشاه سرور سرورًا وفرحًا . واما فيروز شاه فانهُ اقتحم بنفسهِ ذلك البحر المتلاطم . وهو يقاتل ويصادم وينشد

اكرُّ وتحت النقع يحلو ليَ الكرُّ ... واصبر جهدي لا يمرُّ بيَ الصبرَ
ويهجني كثر الجموع اذا اتت ... اليَّ وفي كفي المهنَّد البترُ
هلموا بني السودان نحوي فانني ... اخوض المنايا لا يضيق بيَ الصدرُ
فديتك يا عين الحياة بمهجتي ... فهل وانا حيٌّ يلمُّ بك الضرُّ
فسوف تري الاعداء يخبط بعضهم ... ببعض فلم ينجوا وان وسع البرُّ
اسدٌ لدى تسيارهم طرق الرجا ... وبقرب شخصي منهم اينما فرُّوا
انا ابن ضاراب انا الضيغم الذي ... اذا هزَّ سيفي يشبع السبع والنمرُ
اعين حياتي لا حياة لواحدٍ ... من القوم حتى يملأ البرُّ والبحرُ
والاَّ اخوك اليوم ينهض راضيًا ... فيطلب اعناهم وقد عاده العمرُ

وقد سمع فرخوزاد كلامهُ وانشاده فتاكده عند ذلك انهُ اخوه حق التاكيد فنعل كفعالهِ وكذلك صاحت رجال اليمين . مستبشرة بالنصر وزوال المحن . وفي تلك الساعة راج بسوق الحرب نتاج الشجاعة . فتقدمت الفرسان . باثبت جنان . واقوى بنان . تنفضل الثبات على الشتات . وترجو النصر . واكتساب الفخر . فغمد السيف القرضاب . في الصدور والرقاب . وانفجرت الدماء سائلة على الوطاء . كانابيب السماء . وتدحرجت الرؤوس . وزهقت النفوس . من هول ذلك اليوم

العبوس . الذي لم يسطر مثلهُ في بطون الطروس . وكان فيروز شاه . ينادي لعينيك يا عين الحياه . وفرخوزاد من وراه . يدافع عنهُ وهو لا يراه . بل كان يصيح باصوات كالرعود . ويسطو ببطش الاسود . ويخطف بسرعة اللمعان . ويخذف بخفة الطيران . حتى كان على جموع السودان . اصعب وقوعًا من الموت على بني الانسان . فاجهد نفسهُ في تفريقهم بما اعطاه الله من قوة الساعد والجنان . رجاء ان يظهر فضلهُ على بقية الفرسان . فيعلم الشاه سرور ما لهُ من المنزلة وعلو الشان . في مقام الحرب ومجال الطعان . فيقع من قلبهِ بارفع مكان . ويحصل على بغيتهِ وهو بامن واطمئنان

قال صاحب الحديث وما اقبل ليل ذلك النهار . وعلت وجه الشمس ظلمة الاعتكار . الا وتفرقت تلك العساكر . يخبط الاول بالاخر . لا يصدقون بالخلاص . من يد ذلك القناص . الذي جازاهم على فعلهم باشد قصاص . ورجعت عساكر الشاه سرور . تصفق من الفرح والحبور . وتشكر افعال مخلصها الذي حماها . واعاد لها مجدها وعلاها . وبدد لها جموع عداها . فنالت بذلك فخرًا وجاها . واما فيروز شاه فانهُ اغتنم فرصة سواد الليل واتجه نحو الجبل يقصد الخواجه ليان وقد شفي قلبهُ وبرد غليلهُ وهو بفرح لا يوصف وما لبث ان اعترضهُ اولئك الامراء الذين بعثهم الشاه سرور كما تقدم الكلام فصاح فيهم واستفسرهم عن خبرهم فقالوا لهُ اننا اتينا من قبل ملكنا ندعوك الى وليمتهِ وان تقبل ضيافتهُ جزاء على جميل فعلك . فقال لهم اذهبوا الى الشاه سرور واخبروه باني لا املك نفسي لاني مملوك الخواجه ليان وقد اشتراني من بلاد اليونان فوصلنا في هذه الايام فوجدنا المدينة في ضيق وحصار فقصدنا الجبل خوفًا على بضاعة ستي عين الحياة ولا يمكن ان اذهب معكم الان وفي الغد انزل مع سيدي الخواجه ليان فاقبل اياديهِ واقبل نعمتهُ فتعجبوا من كلامهِ وكيف ان الخواجه ليان قدر ان يتوصل الى مثل هذا الفارس الذي لا يوجد مثلهُ بين الانس والجان . ثم رجعوا الى سيدهم واخبروه بما سمعوه من فيروز شاه فتعجب الملك وقال لوزيره طيفور اسمعت بان مثل هذا الفارس يملك او يباع ويشرى ان ذلك لمن اعجب العجب فوالله لا بد من اكرامهِ وترفيع منزلتهِ ثم التفت الى فرخوزاد وقال لهُ خذ معك في غد ثلاثين اميرًا من امراء مملكتي وعظمائها واذهب الى الخواجه ليان وآتِ بهِ مع مملوكهِ بعد ان تقدم لهُ مسروريتي منهُ فعرف فرخوزاد ان فيروز شاه لا يريد ان يظهر نفسهُ فاخفى خبره ونهض في الحال وهو لا يصدق ان يصل اليهِ وسار معهُ الامراء والمقدمون . واما فيروز شاه فانهُ وصل الى الخواجه ليان فسالهُ عن حالهِ فقال لهُ قد انقضى الامر وتفرقت العساكر بعد ان قتلت ميسرة وما كان منعك لي امس من النزول الى ساحة القتال الا شرًا ووبالاً على عين الحياة لانهُ قتل اخوها غضنفر ولا بد ان تتكدر ويصعب عليها الامر فياليتني لم اسمع منك فلا كان يومًا تتكدر بهِ عين الحياة

فقال له ان ذلك تقدير من الله ثم اخبره فيروزشاه بخبر الفرسان الذين بعثهم الشاه سرور لياخذوه الى المدينة وكيف اجابهم انه مملوك اشتراه الخواجه ليان من بلاد اليونان . فقال له ما هذا الكلام يا سيدي وهل من مثلي لا يصلح ان يكون خادمًا لك يملك بطلاً مثلك وسيدًا لم ينتج الدهر مثله فالاوفق ان تظهر نفسك للشاه سرور ولا بد انه يسمح لك بزواج بنته . قال اريد منك ان تجيب الى ما اقوله لك وتصادق على قولي باني مملوك عندك والا اذا عرف اني ملك وابن ملك يمنع عني بنته فلا اقدر ان اراها في كل آن ولاسيا وقد علقت الحرب بسببها فلا بد من عودة العساكر من العجم والسودان لاخذها فلا يسمح بزواجها الان لي وابقى محروم من الوصول اليها واما اذا علم باني مملوك لا يفكر باني اطمع في بنته فاراها في كل مساء وصباح فاجابه الى طلبه وقال له اني اخبر الشاه سرور اني اشتريتك مملوكًا لخدمة ستي عين الحياة

ثم باتوا تلك الليلة وفي صباح اليوم الثاني نهض فيروزشاه فركب على جواده الكميت وامر الخواجه ليان ان يحمل الاحمال ويسير في اثره وقال له اني انقدمك قليلاً وانتظركم قبل دخول المدينة وسار مقدار نصف ساعة حتى وصل الى شجرة كبيرة فجلس تحتها قليلاً ينتظر الخواجه ليان فلاحت منه التفاتة الى جهة السهل والجبل فراى شرذمة من العساكر تبلغ نحو الالف فارس يتقدمهم فارس عظيم الهيكل ضخم الراس وكلهم يسيرون الى جهة المدينة فتعجب من امرهم وجعل يحدق بهم حتى حاذوه واذ ذاك نظر ان واحدًا من تلك العساكر انفرد وجاء نحوه فصبر عليه الى ان قرب منه وقال له أأنت من جماعة الشاه سرور اجابه نعم فماذا تريد قال ارسلني مولاي لاستخبرك عن حال الشاه سرور وهل هو منتصر اولا . قال له ومن هو سيدك وما يدعى وما هي غايتك منه . فقال له ان سيدي قد جاء لنصرته ولهذا السبب يجب ان يعرف اذا كان في احتياج اليه اولا قال له ومن هو سيدك وما يدعى وما هي غايته . قال ان اسم سيدي هولنك ابن الملك هورنك الفارس القسور والبطل الغضنفر وقد ارسله ابوه الملك هورنك لمساعدة الشاه سرور ونصرته على اخصامه مع الف فارس من الزنوج الاقوياء وفارس عساكره ميمون واما غايته فانه يرغب في زواج بنته عين الحياة لانه سمع بانه لا مثيل لها في هذه الايام فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام لعبت به نار الحمية واخذته الغيرة على محبوبته فهاج كما تهيج فحول الجمال وما امهل السائل حتى ضربه بالحسام على وسطه شطره الى نصفين ورمى بنفسه على رفاقه وهو يقول ويلكم اولاد الزناء أأترككم تصلون الى عين الحياة وانا في قيد الحياة فدونكم ضربًا يهد الجبال ويقصر الآجال ويدهش الابطال بعجائب الاعمال . واخترق اولئك الفرسان . كما يخترق الذئب الجائع الخرفان . وجعل يضرب ضربًا يدهش الابصار . ويحير الافكار . ولما راى هولنك . ابن الملك هورنك . فعل فيروزشاه ادهشه واعماه . وصاح برجاله ويلكم ايها الانذال . اتخافون من خيال . فتتركون له

الجبال . ليفعل مثل هذه الافعال . فقطعوه بالسيوف الهندية . واذيقوه شر المنية . ليعلم من كان مثله مقدار نفسه فلا يفعل فعله . فاحاطت به الفرسان من كل صوب ومكان . وصوبت نحوه عوامل المران . وقصدت هلاكه بغير توان . فلم يمكنها من امالها . ولا تركها تتوسع في مجالها . بل زاد في صياحه . وفاض ببحر حربه وكفاحه . فرمى الرؤوس عن الاجساد . كما ترمي الاكر الاولاد . وفي تلك الساعة وصل فرخوزاد . فوجده في اشد نزال وطراد . وهو يخترق الفرسان والاجناد . ويمزق الصدور والاوراد . فصاح لله درك ايها البطل . فبمثلك تفتخر الممالك والدول . ثم حمل على الفرسان . فبددها في تلك البراري والقيعان . والتقى فيروزشاه بهولنك ابن الملك هورنك يصول ويجول . وينخي رجاله ويهيج كالغول . فلما دنا منه وراه . تذكر انه جاء طامعاً في عين الحياة فرفع يده بالحسام حتى بان تحت ابطه وضربه به من فواد ملآن من الغيظ والحنق فوقع السيف على محكم رقبته براها ووقع ملقى الى الارض كساق النخلة يخبط بدمه وتاثر هو وفرخوزاد ورجاله الباقين حتى اجلوهم عن تلك النواحي بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد نجا الامير ميمون وهو يركض حتى وصل الى البحر فنزل المركب بمن معه واتوا هورنك ابو هولنك فنعوا اليه مقتل ولده وفقد عساكره فغضب لذلك غضباً عظيماً وسوف نعود الى ذكره

واما فرخوزاد فانه اجتمع بفيروزشاه بينما كان رفاقه يجمعون الخيل والاسلاب فقبلا بعضهما وقال له فيروزشاه انت هنا يا اخي وانا ابكي عليك الليل والنهار واطوف في البر والبحر اسال المسافر والمقيم لا اعرف عنك خبراً ولم اكن اظن انك تصل قبلي الى تعزاء اليمن فكيف تسهل لك ذلك فحكى له بالاختصار كل ما جرى عليه من احكام الله حتى وصل الى الشاه سليم ونال عنده الحظوة وكيف جاء معه الى تعزاء اليمن وقال له وانت يا سيدي كنت قد رافقت قادرشاه والعشرة فرسان ولم ارك الا الان فاين رفقاك فحكي له ما توقع له وقال له اريد منك يا اخي ان لا تذكرني باسمي ولا تظهر امري خوفاً من ان احرم من النظر الى عين الحياة واعدم الوسائط التي تمكني من تمكين روابط الحب بيني وبينها قبل الزواج فاجابه الى سواله وهما من افرح عباد الله بلتقياهما ببعضهما وفي تلك الساعة اقبل الخواجه ليان والقافلة فسلم عليه فرخوزاد وقال له اعلم ان الشاه سيرور بعثني اليكم مع هولاء الامراء لاقوم بخدمتك وخدمة مملوكك وان ادعوكما اليه لانه قد سر منك سروراً عظيماً باشتراك لهذا المملوك الذي احرى به ان يكون من طبقة الملوك ولما وصلت الى هذا المكان وجدت مملوكك يقاتل الفرسان وحده فتعجبت منه حتى بددها جميعها وهي نحو الف فارس فسال الخواجة ليان فيروزشاه عن تلك الفرسان فحكي له ما كان منهم وكيف انهم جاوا طمعاً بعين الحياة فتعجب الخواجه ليان من توفيقه وقال له ان هذا العمل لابد ان يسر الشاه سروراً لان هولنك هذا مكروه منه وما جاء الا وفي نفسه ان يصحب معه عين الحياة لانه ا . تغنم هذه الفرصة

وقال في نفسهِ اما آخذ عين الحياة برضى ابيها فاساعده على اعداه واما انضم اليهم واخذها سبية وقد فكر في شر عملهِ ثم اخذ راس هولنك فعلقهُ في رقبة قاطر وساروا جميعاً نحو المدينة وقبل ان يدخلوها اسرع فرخوزاد الى الملك واخبره بقدوم الخواجه ليان ومملوكهِ وقال له اعلم ياسيدي اني توجهت من حضرتك وقد صحبتك معي الامراء الذين امرتهم بالمسير برفقتي حتى توسطنا الطريق فوجدنا مملوك الخواجه ليان او بالحري مملوك ستي عين الحياة في عراك وصدام مع نحو اكثر من الف فارس من الزنوج اعداء المملكة فلله دره فانهُ قبل ان يتركني اساعده فرقهم بعد ان قتل كبيرهم هولنك ابن الملك هورنك لانهُ علم منهم انهم يقصدون اخذ عين الحياة فاخذته الغيرة والحمية وقال كيف يكونون هولاء من السودان ويطمعون في مثل عين الحياة وقد قال لي ياسيدي انهُ لما حكوا لهُ ذلك وكان قد اخبره الخواجه ليان انهُ اشتراه لخدمة عين الحياة لم يعد في وسعهِ الاصطبار فاهلكهم مع سيدهم وبعد ذلك جاء الخواجه ليان لانهُ كان قد تاخر بتحميل القافلة فبلغتهُ امرك وجميعهم آتون وسوف يدخلون المدينة في هذه الساعة ويصلون اليك . فتعجب الشاه سرور وقلبهُ يطفح من الفرح وقال لوزيره طيفور والله لولا مملوك الخواجه ليان لكنا هلكنا لامحالة فهو مخلص بلادي وعرضي معاً فلله دره وكيف مثل هذا الفارس يباع في سوق المماليك فلا شك ان الذي باعهُ لم يعرف قدره فسوف نجازيهِ ان شاء الله على فعلهِ ونرفع منزلتهُ . فقال لهُ طيفور ان الله بعثهُ لك ليحامي عن بلادك ويدفع عدوك وقد اصبت فيما قلت لاننا لولاه لكنا الان في ايدي الاعدا وكانت بنتك ونساؤنا في بلادهم يقاسون الذل والعار

وفي تلك الساعة دخل الخواجه ليان ووقف بين يدي الشاه سرور بعد ان سلم عليهِ فقال لهُ اراك وحدك الان فاين مملوكك فانني مشتاق الى ان اراه فقال لهُ بالباب ياسيدي ينتظر امرك ليقبل اياديك فامر لهُ بالدخول فدخل ووقف بحشمة وادب وقد قدم فروض التحية بلسان فصيح اسكر كل من حضر فامر لهُ بالجلوس فجلس واكرمهُ اكراماً زايداً ثم قال للخواجه ليان كيف اشتريت هذا المملوك ومن اي البلاد فقال لهُ اني اشتريتهُ من بلاد اليونان لخدمة ستي عين الحياة لانهُ اعجبني وعرفت انهُ لا بد ان يعجبها ولما كنا في وسط البحر فاجئتنا مراكب الزنوج ولولاه لكنا هلكنا واستاسرنا الاعدا فتعجبت من اعمالهِ ولم اكن اعهد فيهِ مثل هذه الشجاعة ولما نزلنا البر وعولنا ان نعرج عن الطريق المستقيم خوفاً من عبديك قاطر وقطير العاصيين في القلعة الجبلية فسالنا عن السبب فاخبرناه فلم يدعنا ان نسير الا من قرب القلعة حتى اذا قربنا منها انحدرا الينا فاسرهما وقادهما اليك ذليلين حقيرين موثقين ثم كان ما كان منهُ مع اعداك ومهاجمي البلاد بما اكد لي انهُ لا يوجد نظيره في هذا العصر قال الشاه سرور صدقت فهو مخلص بلادي ولذلك لا يليق بنا ان يكون من جوق المماليك فقد البستهُ منذ الان بهلوان بلادي وغفيرها وسيكون عندي دائماً

بارفع مقام مع فرخوزاد العجمي واعطيها مكانًا داخل قصري يسكنانه ويكون لهما الخدم والحشم وارتب لهما العلوفات العظيمة واحكمها بعساكري واذا كان عندي مثل هولاء الفارسين لا اخاف من ملوك الارض باجمعها ثم امر باحضار العبد بن قاطر وقطير واراد ينتقم منهما فقال له فيروز شاه اسالك ياسيدي ان تعفو عنهما لانهما من جهلهما عصيا عليك واما الان فقد عرفا انه يوجد من ينتقم منهما اذا عادا الى ما كانا عليه فاطلقهما الشاه سرور ثم قدم له الخواجه ليان ما كانوا قد ربحوه من الزنوج وقال له وهذه ايضًا حصلنا عليها واضفناها الى تجارة ستي عين الحياة وفي الحال اخذ الشاه سرور دواة وكتب الى بنته عين الحياة يقول لها اعلمي يا عزيزتي اننا بينما كنا في اشد ضيق مع الاعداء وقد فقدت اخاك من سيف العدو بعد اسر ايضًا اخوك الاخر ولم يزل حتى الان في يد الاعداء وقد ارسل الى بلادهم انعم الله علينا بقدوم وكيل قافلتك الخواجه ليان ومعه فارس لم تلد النساء مثله يدعي انه مملوك اشتراه لخدمتك من بلاد اليونان اسمه فيروز شاه ابيض الوجه جميل الطلعة معتدل القامة واسع العينين والصدر راكب على جواد يدعى الكمين من احمن الخيل الجياد مسرج بسرج لا يوجد مثله عند اكبر ملوك الدنيا وهذا الفارس قتل ميسرة واخاه وبدد شمل الاعدا بمدة قريبة وارجع الى مملكتي ربحها بعد الخسران وقد سميته بيهلوان تختي فلكي تكوني مسرورة بذلك وتنفي ما لحق بك من الكدر اخبرتك بذلك حالًا قبل ان اذهب اليك واخبرك بنفسي وبعد ان ارسل هذا الكتاب انعم على الخواجه ليان بالاموال الغزيرة واعطى مثل ذلك فيروز شاه العبد فوقف فيروز شاه اذذاك ودعا له بدوام السعادة والاقبال وقال له اعلم ياسيدي ان كل ما يملك هو لمواليه واني لا ارفض نعمك انما اسمح لي ان اهبها لامراك لانهم في حاجة اليها اكثر مني لاني مملوك وهم السادات وازيدهم على ذلك ما اقدر عليه ثم فرق المال على الامراء الحاضرين واخرج من جيبه قبضة من الجواهر دفعها اليهم ايضًا بالاسواء وقال اقبلوا هذه مني خدمة لكم فهي ليست من قدركم فلما نظر الشاه سرور الى فعله تعجب غاية العجب وقال الى وزيره طيفور من اين له مثل هذه الجواهر الذي لا يوجد بعضها في خزايني قال له لا ريب انه مكتسبها ببسالته واقدامه ومن كان مثل هذا الفارس لا يصعب عليه فضلا عن الحصول على مثل هذه الجواهر الحصول على بلاد وممالك وغير ذلك

وبعد ذلك اخذ فيروز شاه وفرخوزاد الى المكان الذي اعد لهما وهما في اكرام زايد وقد قدم لهما كل ما يحتاجانه وكانا يشكيان لبعضهما عظم الفرح والسرور الذي نالهما بلقياهما ببعضهما وباقامتهما داخل قصر الشاه سرور قريبين من مكان عين الحياة وذهب الشاه سرور الى قصره ودخل على بنته عين الحياة وكانت عندما وصلتها كتابة ابيها تاقت نفسها الى مشاهدة هذا الفارس ودعت خادمتها شريفة وقالت ويلك ياشريفة ان صاحب هذه الصفاة هو نفسه صاحب الصور

التي عندي والكمين الذي راكبة هو نفس الجواد الراكب عليهِ في الصورة وما جاء الى هذه البلاد الا لاجلي ولقد فعل ما فعل حبًا بي فاسأل الله ان يسهل لي ان اراه قريبًا لاتحقق ذلك ثم جعلت تئن وتشكو وتتلهف وقد تجدد شوقها وكاد يفرغ صبرها الى ان دخل عليها ابوها فقامت له وقبلت يدهِ فقبلها بين عينيها وكان يحبها كثيرًا فلا يطيق فراقها ثم جلس بجانبها وقال لها وقد راها لابسة السواد انزعي عنك هذه الثياب فنحن الان بفرح ولسنا بحزن وان كان فقد اخوك فقد خلصت المملكة ونجوت انا وانت وجميع رجال مملكتي واموالي من يد الاعدا وما ذلك الا بعناية القدرة التي بعثت الينا بهذا الفارس الصيدع وهو المملوك الذي اشتراه لخدمتك الخواجه ليان فقالت له واين هذا المملوك وهل هو باقٍ في المدينة او رحل عنها قال كيف يرحل وهو يعتبر نفسهُ مبتاعًا بالدراهم وقد طلب اليَّ ان اسمح له ان يذهب الى بلاد الاعداء لتخليص اخيك والانتقام منهم فما سمحت له الان لاني اعلم انهم لا بد ان يعودوا الينا لاخذ الثار فاذا كان غائب عنا نوقع في الخسران وربما تسبب ما هو ليس في الخاطر الان. فخفق قلب عين الحياة عند سماعها من ابيها هذا الكلام وقالت له اياك يا ابي ان تطاوعه على ذلك او تسمح له ان يفارق هذه البلاد فاننا في احتياج اليهِ ومثل هذا المملوك يجب ان يكرم ويدخر لحين الحاجة قال اني اكرمته غاية الاكرام وعينت له مكانًا داخل قصرنا مع فرخوزاد وجعلته حامية البلاد ورئيس القواد وعينت له من يقوم بخدمته الا اني تعجبت منه من امر وهو اني انعمت عليهِ بالمال الكثير ففرق ذلك كله على الامراء وليس ذلك فقط بل اخرج من جيبه قبضة كبيرة من الجواهر النفيسة التي لاتوجد الا عند الملوك وفرقها عليهم ايضًا فظهر لي انهُ كريم النفس غير اني لا اعلم من اين يصل اليهِ مثل هذه الجواهر. فزاد من كلامهِ هيامها وتاكدت انهُ ليس هو مملوك وانهُ ما جاء الا لاجلها وقد اراد ان يخفي نفسهُ فلا يظهرها واعتمدت على الاستكشاف عن حقيقة خبره من الخواجه ليان وقالت لابيها وبماذا كافيت الخواجة ليان لانهُ هو اشترى المملوك واحضره فهو الاصل والسبب لما انت فيهِ. قال اني انعمت عليهِ بالمال قالت وما هذه المكافاة في جنب هذا العمل العظيم النفع. قال فماذا تريدين ان افعل معهُ قالت اريد ان تجعلهُ وزيرًا عندك لانهُ حسن الراي والتدبير. قال كنت قد فكرت بذلك الا اني اخاف من تكدير وزيري طيفور. قالت ان مملكتك تحمل اكثر من وزيرين فاجعل طيفور الوزير الاكبر وليان الوزير الاصغر. قال اصبت فاني استوزره ان شاء الله في الغد ثم اقام عندها الى المساء وعاد عنها وهي في ارتباك وقلق تفرح تارة لدى تصورها انها ستشاهد من احبتهُ حقيقة وتحزن اخرى عندما تفكر انهُ ربما يكون غير صاحب الصورة وبعد ذهاب ابيها دعت شريفة وقالت لها ويلك ياشريفة قد عيل صبري واذا صرفت هذه الليلة على مثل هذه الحالة لا ريب في اني مائتة لامحالة فهيئ نفسك لتزوره في هذه الليلة وتحقق خبره فاجابتها الي طلبها وانت كل

واحدة منهنّ بملابس الرجال فلبستها ونقلدت بالسلاح وتلثمت حتى لم يعد يابن منها غير عينيها وحيئذ تسلقا السطوح فقطعت سطح قصرها وصارت تنقل من سطح الى اخر حتى وصلت الى المكان الذي كان قد اخبرها به ابوها انهُ اعده لفيروز شاه فتدلت منهُ الى صحن الدار وطافت حول شبابيك الغرف وكانت مفتوحة فوقعت عيناها على فيروز شاه وفرخوزاد نائمين كل منهما في فراش الى جهة ولما رأت فيروز شاه لم تعد تقدر ان تملك روعها او تسكن خفقان قلبها وزاد بها غرامها وتحرك هيامها وقالت لشريفة اليس هذا صاحب الصور . قالت بلى يا سيدتي هو بعينهِ قالت ويلك اطرقي الباب ودعينا ندخل لارمي بروحي عليهِ واطفي ما بقلبي من نيران هواهُ . قالت ان كنت تحبينهُ يا سيدتي فاتركيهِ ينام مرتاحًا لان لهُ زمان في السفر ولا سيما بعد مقاساة عناء هذه الحرب وحيث قد تحققت انهُ هو المطلوب فيمكننا ان نعود اليهِ في الغد بشرط ان تتمالكي نفسك امامهُ وتبعدي عنك الطيش فلا بد من نوال المراد انما بالتأني والدراية . قالت اصبت . ثم عادتا من حيث اتتا ولما كانتا تسيران فوق السطوح نظرت عين الحياة عبدًا من عبيدها يفعل الفحشاء بعبدة وكانا قد اعتادا ان يجريا ذلك دائمًا في ذلك المكان فلما رات ذلك كاد يطير عقلها وقالت في نفسها ايجرى مثل ذلك في قصري ولا علم لي ثم استلت السيف وتقدمت منهما وهما مشغلان عنها امينان من مرور احد من ذلك المكان فلم يشعرا الا والسيف قد وقع عليهما فقتل العبد والجارية هربت فلم تتبعها خوفًا من الفضيحة وكانت عين الحياة ذات معرفة بفنون القتال ولها قلب الشجاع من الرجال ولا زالت سائرة حتى دخلت غرفتها فنزعت عنها ما عليها من ثياب الرجال وقالت لشريفة احضري لي الصور واتيني بالنقل والمدام كي لا اضيع هذه الليلة في مشاهدة وجه حبيبي وان كنا اليوم نشرب مع الرسم فان شاء الله في الغد نشرب مع نفس الحبيب ونحصل على المطلوب ففعلت شريفة ما امرتها بهِ سيدتها وصفت لها الانية الذهبية ووضعت الصور امامها على الكراسي فتناولت قدحًا شربتهُ وانشدت

على كل عضوٍ فيَّ دارت لحاظهُ ... كؤُوس غرامٍ قد ملئنَ من السحرِ
ثملت بها وجدًا ولم اصحُ صبوةً ... فها انا بين الصحو حيران والسكرِ
معاذ الهوى ان يرتجى من يد الهوى ... خلاصي وان يقضي بغير الهوى عمري
أَان كان لي عن مذهب الحب مذهب ... فلا برحت روحي تعذب بالهجرِ
نعمت بهذا العيش والموت دونهُ ... اذا كان يرضيهِ ولو كنت في اسرِ

ثم رمت بنفسها على الصور تقبلها وتمسح بوجهها عليها وتتأوَّه وتتحسر حتى غشي عليها فرفعتها شريفة وصبت على وجهها ماء الزهر وسقتها من الشراب العذب ما انعش نفسها واعاد اليها روعها واجلستها على كرسيها وبعد ان هدأ جاشها اخذت كاسًا ثانية فشربتها وانشدت

تسربل من مهابتهِ جلالا وأشرق وجهة الباهي جمالا
وماس بقامة غصنًا رطيبًا وارسل من لواحظهِ نبالا
رقيق الخصر ذو طرف كحيل لعمر ابيك يأبى الاكتحالا
جنى الورد في خديهِ اضحى وحارسة النجاشي صار خالا
ترقرق فيهِ ماء الحسن حتى نرسه ناسوتهُ ماء زلالا

ثم اخذت كاسًا ثالثة وانشدت

انا في القرب وفي البعد اما ليس في الحالين لي عنكم غنى
افضل الاشياء عندي حبكم وهو في وسط فوآدي مكنا
لكن الايام اشكوها لكم جورها قد اورث الجسم الضنا

ولا زالت عين الحياة على هذه الحالة تشرب بصحبة صاحب الصور وتنشد الاشعار تشوقًا الى قربهِ وهي تعلل نفسها بالاجتماع بهِ في ليل الغد وتود لو تنقضي. تلك الساعات القليلة التي كانت تراها اطول من شهر الصوم ولما مضى الليل رفعت الصور ونامت في فراشها تعبة من عمل الليل تنتظر قدوم الليل التالي لتعاود ما في عزمها من زيارة فيروز شاه واما فيروز شاه وفرخوزاد فانهما نهضا في ثاني الايام فلبسا ثيابهما وخرجا الى ديوان الملك فاحتفل بهما الحاضرون واعد الملك لهما مكانًا رفيعًا وما استقر بهما المقام حتى قدم المجلس الخواجه ليان فادناه الشاه سرور منهُ وقال له اني قد فكرت بالامس اني لم اقدرك حق قدرك ولم اجزك مكافاة استحقيتها لابتياعك هذا المملوك وقد تقرر في فكري ان انصبك وزيرًا ثانيًا في ديواني بعد طيفور فيدعى هو الوزير الاول وانت الثاني وافرغ عليك من الانعام جزيلها. فقال له الخواجه ليان ارجوك ياسيدي ان تسمح لي بعدم قبول مثل هذه النعمة منك لاني لست اهلاً لها ولا احسن القيام بها لاني لم اتعود ادارة مهام ولا اعرف ما يجب عليَّ اثناء قيامي في مثل هذا المنصب لاني ربيت تاجرًا اعرف ما يربح من البضاعة وما يخسر لا سيا انتم الحكام كالبحر من يركبهُ حالة الهدو يصادف فيهِ طريقًا امينًا الا ان هبوب اي من الارياح يهيجهُ فيذهب براكبهِ الى الهلاك واخاف ان بدأ مني ذات يوم قصورًا و غلطت بامرٍ هلكت وينفذ بي غضبك. قال اني لا اعاملك الا بالرفق واللين واشهد عليَّ هولاء الوزراء والاعيان اني اسامحك بثلاث سقطات عظيمات ترتكبها بحيث يكملك فيما بعد ان تتعلم من التجربة والامتحان. فشكره الخواجه ليان وقبل منهُ ذلك ودعي بالوزير ليان وهناه جميع الحاضرين واذ ذاك دخل العبيد يحملون العبد المقتول الذي قتلتهُ عين الحياة اثناء مرورها في السطوح وقد شاهدوه محذوفًا الى جانب القصر ولم يعرفوا قاتلهُ ولما شاهده الملك ارتاع وسالهم اين وجدوهُ فقالوا لهُ داخل القصر فالتفت الى طيفور وقال أ أكون الشاه سرور ويقتل في نصف قصري القتيل

ولا اعلم قاتله فاذا كان يجري ذلك في نفس بيتي فماذا يا ترى يجري في الطرقات العامة وفي البراري وبين بقية الرعية . فقال له لا بد يا سيدي من الوقوف على القاتل ثم دعا باربعة من العبيد وقال لهم اريد الليلة ان تخرجوا بعد الساعة الرابعة من الليل وتكمنوا على سطوح القصر وتنظروا الى حواليه ولاحظوا كل ما ترونه ولا تتركوا حركة تقع بعد تلك الساعة من احد داخل القصر او خارجه او فوقه واخبروني عن كل ذلك حين قدوم النهار فقالوا سمعًا وطاعة ثم اخذوا العبد فدفنوه . واما فيروز شاه وفرخوزاد فانهما ذهبا الى محلهما وهما في حيرة من وجود القتيل بالقرب منهما وقال فيروز شاه اني لا ارغب ان اتقاعد عن البحث في امر هذا القتيل وكيف نكون داخل القصر ويقتل قتيل ويخفى قاتله مع انه قبل اليوم لم يجرِ امرٌ كهذا وبعد ان دخلا غرفتهما قدم لهما الطعام فاكلا وشربا القهوة ونحو الساعة الثالثة صرفا من كان بخدمتهما واقاما يتحدثان في كل ما طرأ عليهما وما لقياه وقال فيروز شاه لنا يومان في هذا القصر ولم نرَ عين الحياة ولا عرفنا مقرها واني لا احب ان يضيع الوقت سدىً فقال فرخوزاد لا بد من انك تجتمع بها ومن تأنى نال ما تمنى فاصبر واحكم عملك تنال مرادك . وبينما هما في مثل هذا الحديث اذ سمعا حركة اقدام على السطح . فقال فيروز شاه الاوفق ان نجعل انفسنا نائمين لننظر الى اين تنتهي هذه الحركة فاذا بعدت نتبعها علنا نعرف شيئًا عن امر القتيل واذا قربت منا نعرف ما القصد منها لاني اخاف انه ربما وجد في القصر من يقصد لنا ضررًا ففعلا واقام كلٌّ منهما الى فراشه

قال وكان صاحب تلك الحركة عين الحياة وخادمتها شريفة لانها صبرت الى ان اسود الليل وابتعد عن نظر الرقباء فلبست ملابس الامراء وتلثمت كما فعلت بالامس وكذلك بنت قهرمانتها شريفة فانها تزينت بزي الامراء وحملت الصور على عاتقها وتسلقا السطوح حتى قربا من مكان فيروز شاه فنزلتا الى الطاقة فنظرت عين الحياة فوجدتهما نيامًا فقالت يا للعجب كيف يناماه في مثل اول الليل ثم امرت شريفة ان تبقي الصور خارج الغرفة وان تطرق الباب ففعلت وفي الحال نهض فيروز شاه وفتح الباب وبقي فرخوزاد متناومًا فدخلت عين الحياة وشريفة فترحب بهما واجلسهما الى صدر الغرفة وقد تعجب من زيارتهما له في مثل هذا الوقت ثم قال لهما ارجوكما المعذرة فاني لم اعرفكما الى الآن ولم يكن في ظني ان احدًا يزورنا في مثل هذا الوقت قالت له عين الحياة نحن ما اتينا الا لنراك وليس في قصدنا ان نثقل عليك وكان عند فيروز شاه بقية شراب فسكب كاسين وقدمهما لهما فاخذت عين الحياة الكاس من يده وجعلت تمعن فيه ولم يعد في وسعها الصبر على كتمان امرها لانها رأت في محاسنه ما كاد يذهب بعقلها ويبعدها عن الصواب فارتاب في امرها وكاد يكتشف عن الحقيقة لو لم تكن متخفية بملابس الرجال وغير منتظر قدومها عليه فقالت له حتى الساعة لا تعرفنا قال اني افكر في ذلك لاني نظرت كل امراء الشاه سرور وتعرفت بهم

الا كما فاني لم اركما فمن تكونان . فشربت الكاس وقالت له اجلس فانتا نريد ان نبسط المبيك امورا اتيت بطلبه ثم امرت شريفة ان تاتيها بالصور الثلاث فنهضت واحضرتها بين يديها فنظر فيروز شاه اليها وكاد يطير عقله وقال لله درك يا شياغوس فقد اجدت ثم نظر فلم يرَ اسمهُ مكتوبًا فسرَّ وقال ان الرجل لم يرد ان يظهر امري . فقالت له اتدري هذه الرسوم رسوم من قال لا ادري ولا اعلم من اوصلها اليك قالت هي صورك لا محالة وان التقادير قربتها مني لتلقي على عاتقي حمل هواك الثقيل فلولم تاتني فاني كنت هالكة وانا عين الحياة بنت الشاه سرور قد اتيت اليك دخيلة عليك لتقبلني محبوبة تحفظ ودك وترعى عهدك وتفديك بنفسها وتقدم لك جسدها ضحية عند قدمك فاقبلني اقبلني ثم رفعت لثامها الحاجب بدر حسنها الفاتك الفاضح والقت نفسها عليهِ فضاع عقل فيروز شاه عند سماعه كلامها وعاد لا يعرف نفسهُ في اي حالة هو ولا يدري بماذا يجيبها بل ضمها الى صدره ساكتًا وقبلها وقلبهُ يخفق من شدة الوله وما اصابهُ من ملاقاتها بغتة وتبين لهُ من جمال طلعتها فوق ما كان ينتظر ومن لسان حالها ما قالهُ الشاعر

افديك بالنفس وما دونها	ما قيمة الارواح ان تقبل
يا غصنًا مال الى طبعهِ	من دل جفنيك على مقتلي
يا اعدل الناس في ظلمهِ	ويا احق الناس من مبطلي
وجدت تعذيبك مستعذبًا	فاهجر اذا شئت والا صل

وكان كلٌ منهما يحسب نفسهُ من اسعد البشر باجتماعه بالاخر الا ان عين الحياة كانت في لهفة زائدة وبعد ذلك قالت له اريد ان تطلعني على نفسك من انت وابن من قال انا مملوك اشتراني الخواجه ليان من بلاد اليونان قالت لست انت مملوك بل انت صاحب هذه الصور قال لست انا هو وقد طفت كثيرًا ولم اكن ارى من هو على هذه الصفة انما سمعت رواة الاخبار والسياح يقولون ان في ايران العجم ملك اسمهُ ضاراب له ولد اسمه فيروز شاه مفرد في حسنهِ وشجاعتهِ وكنت اشتهي ان اراه فلم يتيسر لي فاظنهُ هو صاحب هذه الصور فمسكتهُ من يده وضغطت عليها بحب وقالت له استحلفك بالله العظيم وبجمال عين الحياة وبراس ابيك الست انت فيروز شاه ابن الملك ضاراب صاحب هذه الصور وان كنت تخاف افشاء سرك امام بنت قهرماني الحاضرة فهي كاتمة سري وتعرف ما انا بهِ من اظهار نفسك . فلما سمع كلامها وقد شهد دمعها ينساب فوق ورد خدودها كالجاري فلم يعد في وسعهِ الانكار . فقال لها انا هو فيروز شاه ابن الملك ضاراب وقد خرجت من بلادي الا لاجلك وقد ارسل الله لي شخصك في نومي وزارني طيف خيالك يصحب معهُ لدنهِ بذر غرام فصادف قلبًا خاليًا فتمكن فيهِ . ثم حكى لها كل ما توقع له من حين نشأ ثم الى منتهى سفرتهِ وقيامهِ امامها وقال لها في اخر كلامهِ واما هذه الرسوم فلا علم لي بها وقد اتى شياغوس فلي

يهيء لي سبل الوصول اليك و يبعث الى قلبك من حبي بعض ما بعثت الى قلبي من حبك وها انا الان بين يديك قتيل هواك ارتجي رضاك وانشد

يا ربة التيه الذي تاهت بهِ   روحي اقليهِ وراعي الحالا
ان كان صدك للمتيم ممكنًا   رفقًا فصبري عنك صار محالا
عزمي وجسمي ذاك زال وذا وهى   فارثي لحالي فالتجلد زالا
لِمَ قلبك القاسي ابى ان ينعدي   من لين عطفك والجوار توالى
دمعي وثغرك لؤلوءٌ متماثل   ودمي وخدك اصبحا امثالا
نهداك قاما في سما فلك البها   كالفرقدين سناهما يتلالا
وظلام شعرك فوق صبح الفرق كم   يحلو على قدٍّ ذرى العسالا
يا للهوى لم تتركي لسواك من   حسن فصار جميعهُ لك مالا
حتى غدت كل الملاح حواسدًا   لك والثريا تستفيد خبالا
لكن انا وحدي الذليل على الهوى   وارى مذلته لديَّ جلالا

فلما سمعت كلامهُ وانشاده ترنحت طربًا ومالت بتحريك فواعل الحب المرسل من قبل ملك الطبيعة البشرية وقالت لهُ اني اشكر الله اذ لم احبب الا من احبني وها ان حبنا الان معتدل العيار واني اعاهدك اني احفظ حبك وارعى عهدك واسلم نفسي الي قوة الموت من ان اسلمها الى غيرك واريد منك ان تعاهدني على عهدي فاقسم لها وصرفا قسماً طويلاً من الليل وهما في شكوى وهيام وشرح حال وذكر غرام و بعد ذلك قامت عين الحياة وودعت فيروز شاه فاراد ان يوصلها فامتنعت وقالت اني لا احتاج الى معين اثناء مسيري في قصري وخرجت ومن خلفها شريفة فتسلقا السطوح وعين الحياة من افرح الناس باجتماعها بحبيبها وهي لا تصدق بوقوع ما دار بينها و بينهُ من مبادلة الاشواق ومداولة العناق ولما تنصفت الطريق اعترضها العبيد الاربعة الذين اقامهم طيفور للوقوف على قاتل العبد وارادوا ان يقبضوا عليها وهم لا يعرفونها فصاحت بهم وابتدرتهم بضرب البتار فقتلت ثلاثة انفار منهم والرابع هرب ورمى بنفسهِ من على السطوح رجاء بالسلامة ولما خلا بها المكان اسرعت فسارت الى غرفتها وهي في مزيد فرح من نجاح مسعاها وما لبثت ان استقر بها المقام حتى نادت بقهرمانتها و بنت قهرمانتها وقالت لها احضرا لي بواطي المدام وصفا لي الصور حواليها واسقياني صافي الاقداح ودعاني اتمم ما بقي من هذا الليل في خمرة الحب فقد كنت قبل اشرب على ذكر الحبيب وانا لا اعرفهُ فكان يخالط سروري كدر البعد واليأس واما الان فقد صار حبيبي في يدي اراه و يراني ففي مثل هذه الساعة يطيب بها التعاطي و يا حبذا لو كان موجود معي الان يسكب و يسقيني

ونديم نبهت ليلاً فهبا ... وهو سكرًا يميل شرقًا وغربا
قال لبيك قلت هات اسقنيها ... فتردى وقال طوعًا وحبا
فسقاني ثلاثة وتحسى ... بعض كاس فردها واكبا
قلت افديك من نديم مطيع ... لو راى طاقة بها ما تابى
ثم وسدته وعدت الى الشر ... ب لوحدي فما استلذيت شربا
ان طيب المدام بين الندامى ... وسرور النديم فيمن احبا

فاحضرا لها ما امرت بهِ وجلست شريفة الى جانبها تنشدها الاشعار وتكثر لها من فيروزشاه وتحكي في جمالهِ وشجاعتهِ وتعاطيها الجمرة رائقة صافية وهي تشرب بلذة لم يشبها كدر وما اصطبحت حتى ثملت وكادت لا تعي على ما امامها فرفعتها شريفة الى فراشها فنامت وشفتاها يهزان بذكر من تهوى

وفي صباح اليوم الثاني نهض فيروز شاه وهو مسرور الفواد وقد قال لاخيهِ فرخوزاد ما ابركها من سفرة فقد تسهل لي طريق الوصول الى عين الحياة وما صرفت في حياتي ليلة الذ واهنى من ليلة البارحة فقال لهُ فرخوزاد ادام الله ياسيدي عليك ايام السرور وصفاء العيش وراحة البال وليلة امس لا تحسب من ليالي الهناء في جنب ما سوف نقضيهِ مع عين الحياة من طيب الليالي فهناك الله بها وهناها بك وجعل اجتماعكما مقرونًا بالسعادة والتوفيق . ثم لبسا ثيابهما واتيا ديوان الشاه سرور فجلسا في مرتبتهما ومن حولها الامراء والاعيان وما استقر بهما الجلوس طرفة عين حتى دخل العبد الذي نجا من سيف عين الحياة وحكى الى الشاه سرور والوزير طيفور ما كان من امرهم وانهم صادفوا لصين الواحد يحمل على عاتقهِ شيئًا والاخر يسير في مقدمتهِ مدججًا بالسلاح فارادوا القبض عليهما فابتدرهم المتقدم بالقتال فقتل ثلاثة منهم ونجا هو فارًّا فزاد غضب الشاه سرور وقال الى طيفور ما هذه الحالة ايكون مثل ذلك داخل قصري ولا اعرف خصمي وماذا تقول عني رجال مملكتي وكيف يحق لي بعد ان اقاص احدًا على هكذا جريمة او الوم رجال دركي على عجزهم عن ايجاد القتلة ويبقى ميتًا ان قتيل وسرقة ولا اعلم ما وراء ذلك ايضًا . فقال طيفور لا بد من ايجاد القاتل ومجازاتهِ في هذه الليلة ان شاء الله ثم همس الى العبد ان يكمن في تلك الليلة مع تسعة من رفاقهِ ومن وقعوا بهِ يستاسرونهُ وان عجزوا عن اسره يقتلونهُ فاجاب الى ذلك وانصرف وعاد من بعده الحديث الى ذكر الحادثة فاخذ كل من الحاضرين يتعجب في وقوع هذا القتل في باب الملك وكل منهم يلوح في فكره خاطر وقد كثرت التقولات واتسع باب الظنون والشكوك حتى انفرط المجلس وسار كل في طريق وسار الملك الى قصره وهو في مزيد غضب لا يعي ما بين يديهِ وكذلك فيروز شاه وفرخوزاد فانهما عادا وهما يتحادثان بهذا الامر وقال فيروز شاه والله لقد قصرنا في

اكتشاف هذا الامر والبحث عنه فاجابه فرخوزاد دعنا من ذلك فاننا ما اتينا الى هذه البلاد الا لقضاء حاجتك وما اتينا لنكون حفاظ فاجتماعك بعين الحياة اهم من السوال عن مثل هذه الامور فدعها للوزير طيفور فقال فيروز شاه اظن ان عين الحياة تاتينا هذه الليلة قال تاتي دون شك فهي مولعة بك اكثر مما انت مولع بها ولا يمكنها القيام في قصرها ولا نقدر عليه ونترك لذة الاجتماع بك و بطيب حديثك وانها والله لمعذورة في ذلك فكل معنى فيك علة كبرى للعشق من الرجال فكم بالحري من النساء وبعد ان استقر بهما المقام في غرفتهما قدم لهما الطعام فاكلا والشراب فهيئاه وصرفا الخدم واقاما ينتظران قدوم عين الحياة

وعند الساعة الثالثة نهضت عين الحياة وهيأت نفسها ولبست الخز ثيابها وتقلدت بحسامها حسب عادتها وقالت لشريفة هلمي لنسير الى ملاقاة الحبيب قالت ارجوك ياستي ان لا تذهبي الليلة فلا بد من ان اباك يكون قد اكثر من العساكر على السطوح واذا وقعت بايديهم ينكشف الامر وتظهر الحقيقة ونفتضح اية فضيحة قالت ويلك يا شريفة اتحسبينني اخاف الرجال وانا حبيبة فيروز شاه رب الشجاعة والاقدام فذكره يعلمني كيف اسطو على الابطال فقلي كلامك وانزعي خوفك واكدي اني افضل الاجتماع بمن تحبه نفسي على كل شيء ولو لقيت الموت واي فضل لي في الغرام اذا لم احتمل به اثقل الاحمال والاقي به اشد المصائب والمصاعب . فنهضت شريفة وسارت من خلفها ولا زالا حتى قطعا المسافة وارتميا الى صحن الدار فشعر بهما فيروز شاه وخرج للاقائهما وتناول عين الحياة بيده وصافحا بعضهما بقلب ثابت على العفة محافظ على شدة الحب والهيام وجلس الحبيبان يتعاطيان اقداح الهناء ويشرحان صدريهما بشرح ما في قلبيهما من الهوى ويطلبان من الله قرب زمان رباطهما ورفع ما يكون عثرة في سبيل زواجهما وقد غفل عنهما كل رقيب حاسد .

ولا زالا على مثل ذلك الى ان انقضى قسم كبير من الليل وعولت عين الحياة على الذهاب والرجوع من حيث اتت فنهضت وودعت فيروز شاه بدموع سخية ناشئة عن فواد مملوء من الحب فطلب فيروز شاه ان يرافقها وقال لها اني اخاف ان يكون على السطوح احد بانتظار اللصوص والقتلة فتقعين بايديهم . قالت لا لزوم لمسيرك معي فاني ان كنت وحدي وصادفت احدًا مما ذكرت اقدر ان اتخلص منهم واذا عرفوني لا يمدون الي يدًا انما اذا كنت انت معي ينكشف امرنا ولا يعود في الامكان اجتماعنا . قال صدقت . و بعد انقضاء مدة الوداع صعدت السلم وتسلقت السطوح وبقي فيروز شاه في شاغل عليها وقال لفرخوزاد اني اخاف ان يلم بعين الحياة ضرٌ فاموت لا محالة بعدها ولم يكن الا القليل حتى سمع صوت صياح العبيد على السطوح وانتشاب القتال فعول على مساعدتها ولما وصل الى سطح غرفته سمع العبيد يقولون قد وقع بيدنا لص واحد والاخر هرب فهيا بنا الى الاسفل ثم انحدروا من تلك الجهة فانخذل فيروز شاه وشغل باله وقفل . راجعًا وهو يقول والله ما وقع

بايديهم الا عين الحياة وبات تلك الليلة ساهراً قلقاً لا ياخذه هدو ولا يرتاح له بال

وكانت عين الحياة كما تقدم الكلام فارقت فيروزشاه وما وصلت الى مكان قيام العساكر الذين اشرنا ان طيفور الوزير امربان يكمنوا تلك الليلة حتى فاجئوها فاستلت سيفها وصاحت فيهم فاخترقتهم تضرب منهم من وقف معارضاً لها حتى فازت بنفسها والتهى الباقون بشريفة لانها قصدت ان تفعل كفعلها فلم تقدر بل وقعت بايديهم فشدوها باسرع من طرفة عين ونزلوا بها الى ارض القصر ينتظرون الصباح ليقدموها الى الشاه سرور وهم يظنونها رجلاً واما عين الحياة فانها حالما وصلت الى غرفتها نزعت ثيابها وهي تعض الارم على وقوع بنت قهرمانتها بايدي الجند وفي الحال دعت برئيس خصيان قصرها الخواجه عنبر وقالت له سمعت ان جماعة ابي قد مسكوا لصاً فاذهب اليهم واطلبه لي منهم وقل لهم ان مرادي انظره وفي الصباح ابعثه الى ابي فذهب اليهم وبلغهم قول مولاته فلم يتاخروا عن اجابة سوالهِ فدفعوا اليهِ شريفة فاخذها ودفعها الى عين الحياة فلما وصلت اليها فرحت بها فرحاً لا يوصف وامنت كشف خبرها وهنأتها بالسلامة فشكرتها شريفة على فعلها وقالت لها ألم اقل لك يا ستاه ان لا تذهبي في هذه الليلة قالت لا باس فاني قادرة على خلاصك اينما كنت انما الخوف من ظهور خفايا سرنا فهيا انزعي عنك ثيابك واتي بصفرة الطعام وصفي لي الصور لننهي هذه الليلة المكللة بالنجاح ونشرب بصحة الحبيب فنهضت تفعل ما امرتها سيدتها . ثم قالت عين الحياة للخواجه عنبر ان لك عندي الاكرام الزايد والعطاء المزيد اذا كتمت امري واجبت ابي الى ما اخبرك بهِ وهو انهُ اذا دعاك بالامس وسالك عن الاسير فقل له ان عين الحياة طلبته وبعد ان راتهُ امرتني بالمحافظة عليهِ الى حين الصباح اقدمهُ لك فوضعتهُ في غرفة في الاسفل وعدت الى خدمة ستي وقد نسيتهُ وفي الصباح طلبت مني ان اتيك بهِ فوجدتهُ هرب واظن ان رفاقهُ قد خلصوه وهربوا به واياك من اظهار الحقيقة والا سببت في موتك ورايت مني عوض الخير شراً فوعدها بكل ما عرضتهُ عليهِ وعاد الى قصره وجلست بين الصور تشرب وتطرب وخادمتها تعاطيها وتكثر لها من حديث اجتماعها بحبيبها وتنشدها قول القائل

اسر القلب شادن بدلالهْ — واستبى اللب منهُ لطف خلالهْ
من بني الفرس مترف اشنب الثغ — ر مدام الحب صفو زلاله
ثغرهُ زانهُ التبسم والجف — ن انكسار والخد عنبر خاله
فهو بدر يقلهُ خوط بان — فوق دعص غدا لهُ كعقاله
قادني نحوه الغرام وقلب — ولعٌ بالهوى كثير احتماله
فاحتسى كاس حبهِ كل عضو — حيث ريعان صبوتي في اقتباله
فغدا يستفزني الشوق والقلـ — ـب كما شاء موثق في حباله

وهكذا صرفت تلك الليلة وهي بين شرب مدام ومناشدة اشعار . ولما كان الصباح اعادت كل شيء الى حاله وصارت تنتظر ماذا يكون من امر ابيها . واما فيروز شاه فانهُ خرج مع فرخوزاد الى دار الحكومة وهما في ارتباك وانشغال لا يعلمان ان كانت عين الحياة في ايدي القوم ام خادمتها وزاد كدرهما خوفًا من ظهور الامر وافشاء السر . فدخلا المجلس وجلسا في مقامهما وكل منهما يحمل سلاحه حسب العادة وبعد جلوسهما بقليل اتي الجند واخبروا طيفور انهم مسكوا احد اللصين والاخر فر يطلب النجاة وقد ستره عنهم سواد الليل وقصر المجال وان الخواجه عنبر جاءهم بامر مولاته وطلب اللص المسوك فسلموه اياه فدعا الشاه سرور الخواجه عنبر وسالهُ عن اللص فقال لهُ ما سمعهُ من عين الحياة فغضب لذلك الشاه سرور وقال لهُ لا بد لي الان من قتلك لانك خائن حلت بين وقوفنا على القاتل وبين غايتنا الا تعلم اني احب ان ابذل بيت المال كلهُ في سبيل اظهار القتلة الذين تجاسروا على وطئ دستي وخرق هيبتي . وفي الحال امر ان يؤتى بالسياف فارتجف قلب الخواجه عنبر وتردد في بيان الحقيقة الا انهُ قال اخيرًا خير لي ان اموت من ان ابيح بسر سيدتي عين الحياه وصبر مسلمًا تدبير امره الى الله سبحانهُ وتعالى واما الوزير طيفور ادرك ان بباطن الامر سرٌ وان الخواجه عنبر لا يقدر على اظهاره وفكر ايضًا انهُ اذا ترك الملك ينفذ امره بالخواجه عنبر يقع هو تحت غضب عين الحياه وكان يعلم منزلتها عند ابيها وانهُ لا يضيع لها رايًا فقال للشاه سرور انك اذا امرت بقتل الخواجه عنبر تكون قد ظلمتهُ لانهُ لا حق عليهِ بفرار اللص وكيف يمكنهُ ان يترك خدمة عين الحياة ويلتفت الى المحافظة عليهِ واذا قتلتهُ لا بد من تكدير كريمتك واني اعدك اننا نقع على اللصوص في هذه الليلة ان شاء الله فاعف عن الخواجه عنبر اكرامًا لخاطر سيدتي عين الحياة . قال قد عفوت عنهُ انما بشرط انك تاتني في الغد بالجانين . ثم عفى عن الخواجه عنبر فذهب وهو لا يصدق بالنجاة حتى اتى قصر مولاته فحكي لها ما كان من ابيها ولولا الوزير طيفور لكان اهلكهُ فغضبت لذلك وقالت لهُ لو دعاك ابي مرة ثانية فلا تذهب اليهِ ولو جاء بنفسهِ

فهذا ما كان منها واما ما كان من الوزير فانهُ استدعى بثلاثين عبدًا من الاشداء وقال لهم اكمنوا هذه الليلة على سطح قصر الملك ومن وجدتموه يتسلق السطوح فالقوا عليهِ القبض او اقتلوه ولا تدعوه يفر واذا عجزتم عن ذلك فنادوا بالعساكر لمعونتكم لاني امرت القائد بان يكون تحت القصر لمساعدتكم وان يحيط القصر بالجند كي لا يفر اللصوص . واخبر ايضًا القائد ان يفعل ما ذكر ويكون على مزيد الانتباه والتيقظ واذا سمع بالصياح من جهة السطوح يسرع الى مساعدتهم فان باب القصر يكون مفتوحًا طول الليل لدخوله منهُ

وعند دخول فيروز شاه الى منزلهِ اتى بالعشاء فاكل مع فرخوزاد وهما يتحادثان بامر عين

الحياة فقال فيروز شاه اني كنت في مزيد قلق ان تكون عين الحياة التي وقعت بايدي الحراس ولا ريب بانها كاملة الاوصاف لا تخلو منها مزية حسناء قط فانها على جانب من الاقدام وعلوّ الهمم وقلّ من كان من الرجال يماثلها بالشجاعة وقوة الباس والاعجب من ذلك حسن درايتها وتدبيرها فقد سعت بخلاص شريفة قبل طلوع النهار وانكشاف حقيقة الحال . قال فرخوزاد ان مخاطرتها الى هذا الحد غير محمودة العقبى وان دامت على هذه الحال ينكشف امرها قبل تدبير طرق الخلاص ولا سيا هذه الليلة فان طيفور قد وعد بالقاء القبض عليها ولا نعلم الطرق التي اتخذها لذلك قال اني خائف عليها جدًّا ولذلك احب ان اسير انا اليها ولا ادعها تسير الينا واطلب منها كلامها الاخير في شان الزواج واخذ عليها العهود والمواثيق وفي الغد نرجع الى ايران واطلب من ابي ان يخطبها من ابيها فان اجاب كان خيرًا والاَّ فناخذها بالرغم عنه . قال فرخوزاد ان في ذلك ثقلة كبرى والاوفق ان ناخذها معنا الى بلادنا ومن تبعنا من عساكر اليمن انزلنا به البلاء والجن على اننا نصل الى بلادنا دون ان يعلم احد بنا فانهم لا يعلمون الى اين مصيرنا ومن اي البلاد نحن . قال فيروزشاه اني لا ارغب ان اخذها سبية بل ان يكون لها عرس يذكر بين السادات والملوك لم يسبق له نظير وذلك قليل في جنب الحصول على من هي من مثل عين الحياة . وبعد ان اسود الليل سوادًا خفيت به خيالات الاشباح نهض فيروز شاه فلبس افخر ثيابه وتقلد بحسامه واخذ الطارقة الى كتفه وافرغ عليه الجن وقد حسب حساب الكامنين وان يجرى معه ما جرى مع عين الحياة وتسلق السطوح ونام فرخوزاد في فراشه بعد ذهابه وهو يدعو له بتوفيقه ونجاحه . واما عين الحياة فانها بقيت غضبى على والدها الى ان اتاها عند المساء فوجدها على تلك الحالة فسالها عن السبب فقالت له الا تعلم السبب وقد امرت بقتل رئيس خصيان قصري لاجل فرار لص قال لا باس عليه قد اطلقته اكرامًا لك ولولاك لكنت قتلته لانه بعد وقوع اللص في يدنا خرج منها . قالت واي ذنب عليه لاني كنت نائمة فايقظتني غوغاء العبيد وقلقلة الجوار فسالت وانا مندهشة فاخبروني ان المحافظين قبضوا لصًّا فارسلت رئيس الخصيان ياتني به فيفعل وكيف تكون انت ابي ويخالف لي امر . وبعد ان رأيته امرته ان يبقيه في الاسفل ويعود الى خدمتي لانه لم يعد ياخذني نوم فاجاب الى ما امرته ولم اقدر ان انام الى الصباح ولم يمكنه ان يفارق خدمتي وقد نسيت ونسي هو ايضًا اللص حتى تسهلت له طرق الخلاص قال لا بد من وقوع اللصوص المتجاسرين على قصري في قبضتنا هذه الليلة لان طيفور وكل نحو ٣٠ عبدًا للقيام بهذه المهمة واخذ غير ذلك من الاحتياطات مما يؤكد لي وقوع المتعدين . واما انت فلحقني عن تعديَّ على خادمك ثم جعل يقبلها وكان يحبها حبًّا لا يوصف حتى وعدته بانها راضية عن عمله وقبلت يديه . ثم تركها وذهب الى مكانه وبعد ذهابه اكلت ما احضر لها من الطعام وطلبت الى ابنة قهرمانتها ان تستعد

لتسيرا الى فيروزشاه . قالت اسمحي لي يا سيدتي ان اقول لك ان هذه الليلة صعبة العاقبة الا سمعت ما قال ابوك من تكثير الرجال واخذ الاحتياطات المقتضية لوقوع من يجتاز السطوح في الليل . قالت لا اصطبار لي عن الذهاب اليه فكيف انام دون ان اراه او اسمع عذوبة الفاظه فهذا لا يمكن ابدًا ولو كان بذلك موتي وهلاكي . قالت اني لا اسلم معك بالذهاب وعليك ان تستشيري والدتي اسما فهي ادرى مني ومنك بهذا الامر وهي تعرف خفايا امرك ولا تريد لك الا ما به خيرك فدعت قهرمانتها الكبيرة واستشارتها في الذهاب وحكت لها كل ما توقع معها وما سمعته من ابيها قالت اني لا اشور عليك بمبارحة منزلك هذه الليلة واذا شئت ان تكوني سعيدة مع حبيبك فاسكني ريثما يهدأ الحال ويختفي هذا الخبر ويرتاح فكر ابيك و بعد ذلك يمكنك ان تصرفي الليالي بطولها دون ان يعلم بكما احد وهذا الذي اشوره عليك فاستصوبت عين الحياة كلامها وصبرت وهي في ازدياد شوق واضطراب خاطر وامرت شريفة ان تحضر لها الصور وتصف لها باطية المدام كما سبق لها من عوائدها ففعلت وجلست تعاطيها وفي تلك الساعة شعرت بوطيء اقدام على السطح فقالت لقهرمانتها ان صح حذري يكون القادم حبيبي فيروزشاه فانه قد استبطئني ولم يقدر على فراقي فجاء الي فلا ريب في انه اشد مني حبًا واحفظ ودًا وما اتمت كلامها حتى دخل عليها فيروزشاه فنهضت مسرعة الى لقاه وسلمت عليه بعد ان قبلته في عارضيه واجلسته الى جانبها وترحبت به وهي لا تصدق بوجوده عندها وكان الفرح يطفح على قلبها المملوء من الحب . ثم امرت شريفة ان تعاطيه خمرًا ففعلت وصرف تلك الليلة مع محبوبته وهو يشرب بصحتها وهي تشرب بصحته ويتنقلان بنقل محاسن وجهيهما ولا يشبعان من النظر الى بعضهما ومن بث ما في قلبيهما من لوعة الوجد التي لا تنقضي الا بالوصال ومع كل ذلك فكان ما يشربانه من الخمر يقويهما على تمكين غرس الشوق الى الدنو من بعضهما وهما لا يشعران بفعل الخمرة

فديت حبيبًا زارني بعد صده ومن ريقه اللحظ حيا بقرقف

سقاني ثلاثًا يا خليلي وانها شفاء لذي سقم وراحة مدنف

وكانت هذه الحالة حالتهما الى آن اوان الانصراف فنهض فيروزشاه واقفًا على قدميه وقال لعين الحياة اعلمي يا من هي عندي اعز من روحي واغلى من حياتي اني عولت في الغد على الذهاب الى بلادي لأطلب من ابي ان يخطبك من ابيك لي زوجة لان قيامي هنا لا ياتي بجدوى فالسعي برباط التزوج امر لا ندحة عنه واخاف ان يطول علينا المطال فيجد ما لم يكن في الحسبان فاريد منك ان تزوديني قبلة الفراق وتعديني بالقيام على الحب الذي لا اشك انه ثابت فيك لا يتغير بتغير الحوادث . انما اريد ان اعرف قلبك من جهة ما ربما يجد بيننا وبين ابيك لانه ان امتنع عن اجابة طلب ابي ولم يقبل ان يخطبك لي لا بد من ان يغضب ابي لذلك فيبعث فيلزورًا بالعساكر

فيخربون بلاد ابيك لامحالة فهل اذا وقع ذلك تبقين على عهد الولاء ولا يغيظك وقوع الحروب بيننا وبين ابيك . فتفطر لذلك قلبها وسال الدمع من عينيها على صفحات خديها الشفافين كما ينساب اللؤلؤ فوق صفائح العاج فمسحها فيروزشاه وعلم ان بكاها لفراقه فقال لها لا تبكي ولا تجزعي فان ما بقلبك هو بقلبي واذا صبرنا على فراق بعضنا اياماً قليلة نغتنم فيما بعد لذة الاتحاد الابدي واي شيء احب لديَّ ولديك من قيامك عندي وفي قصري والى جنبي نقطف ثمار الزواج الناضج بحرارة الحب ونشاهد بعضنا في الصباح والمساء وكل دقيقة . فنزل هذا الكلام على قلبها نزول العافية على قلب السقيم . وقالت له عجل بما انت طالب واسرع الى ازالة هذه الموانع باي حالة اردت فان حبك اعماني وغيبني عن الهدى حتى عدت لا اعرف الطريقة الواجبة التي تتكفل بزواجنا واصبحت لا اروم الا بقاءك عندي فاعذرني . واما ما تطلبهُ من ثباتي على الحب اذا وقع بينكم وبين ابي الحروب فاني اعدك اني كما تعهدني لا تغيرني عنك الحوادث مهما كانت ثقيلة واذا هلك ابي من هذا الصدد يكون قد نال جزاء عناده انما ارجوك ان تفرغوا جعبة السلامة ولا شيء احب اليَّ من ان ينتهي زواجنا وابي وابوك في وفاق وسلام . قال ان تلك فروض علينا وما يامرنا الله به نفعلهُ ثم عانقها وعانقتهُ وقبلا بعضهما الوف قبلات وبللا بدموعهما ثيابهما وكادت عين الحياة ان تقع الى الارض وقد اغمي عليها فرفعها بين يديهِ الى فراشها وامر شريفة ووالدتها اسما ان يسكبا على وجهها ماء الورد وماء الزهر ويفرغان الجهد في تسكين جاش غرامها وحملها على الاصطبار الى حين ايابهِ . فوعداه بذلك واذ ذاك قفز الى السطح وهو كالنمر الجارح وقلبهُ في ضعف مزيد من تاثيرات الفراق الذي لا شيء اصعب على المتحابين منهُ

ان يوم الفراق قطع قلبي قطع الله قلب يوم الفراقِ

وفيما هو سائر على السطوح وليس لديهِ ما يفكر بهِ او يشغلهُ الا امر محبوبتهِ وخيال جمالها الدائم الخطر بين يديهِ وامام عينيهِ وصل الى المكان القائم بهِ العبيد فصاحوا بهِ فلم يلتفت اليهم ولا اجابهم بشيء ولا عرفهم بنفسهِ بل شهر سيفهُ البتار وابتدرهم بضرب صادر عن قلب زاهد في الحياة فاحاط بهِ العبيد وقوموا بايديهم العمد واكثروا من الصياح فادركتهم العساكر التي اقيمت من طيفور تحت القصر وعددها خمسة وثلاثون الف نفر وتسلقوا السلالم يتسابقون الى قتال فيروزشاه والعبيد يصيحون هذا اللص فاذا نجا لا تنجو من غضب الشاه سرور . كل هذا وفيروزشاه في قتال وعراك . وصدام واشتباك . وهو يضرب الصدور فيخرقها . والهامات فيشقها . حتى ازدحمت عليهِ العساكر من كل مكان وهي تضج من عظم ما نالها من مقاساة قتالهِ وتطلب الفتك بهِ فكان بعضها يقع على السطوح وبعضها يداس بالارجل وكان قصر الجمال يضعف فيروزشاه ويقلل قواه لانهُ كان راجلاً وكان يعلم ايضاً انهُ على السطوح وانهُ لا يمكنهُ الكر والفر والتوسع في

القتال خوفًا من ان تذل بهِ قدمهُ فيقع الى الاسفل وكان الليل حالكًا حتى كاد لا يرى ما بين يديهِ لولا نور الشرار الذي كان يتطاير من وقوع حسامهِ على الطوارق بما كان يسهل للعساكر ان يروا شخصهُ فيزدحمون عليهِ ويضايقونهُ من كل الجهات حتى كلت يداه وزهقت نفسهُ وفي تلك الساعة استيقظ فرخوزاد فسمع الصياح قد ملأ الجوَّ فتاكد وقوع فيروز شاه في قتال عساكر الشاه سرور فطار عقلهُ وفي الحال استلم سيفهُ وطارقتهُ وقفز الى السطح فشاهد ازدحام العساكر وهي على ما ذكر فبادرهم بالضرب واخترقهم حتى قرب من اخيهِ وشاهد حالهُ هذا والعساكر تصيح قد جاء اللص الثاني فاقبضا على الاثنين الا انهُ كان لا يصل احد اليهما الا وتخطف روحهُ باسرع من لمح البصر وسمع طيفور والشاه سرور فبادرا الى ساحة القصر فاخبرا بامر اللصين وثباتهما فامر بان تلقى عليهما الكمندات وجعلا يرسلان العساكر الى فوق . وانتبهت عين الحياة على نفسها وسمعت غوغاء القتال فقالت والله كشف الامر ومسك المحبوب وجعلت تطلب من الله خلاصهُ وهي في قلق وارتباك وعولت ان تقتل نفسها فمنعتاها شريفة ووالدتها وقالتا لها عليك بالصبر والتاني والصلاة الى الله فهو السميع المجيب . وكان فيروز شاه وفرخوزاد في قتال احر من لهيب النار عند اشتعالها في يابس الحطب وقد ايقنا بالهلاك والوقوع في قبضة الاخصام لان الكمندات كانت تحذف عليهما وهما يقطعانها بهمة تحاكي همة الاسود الضارية بعد ان يقاسيان اشد المتاعب واغظها وكانت ظلمة الليل وضيق المجال وازدحام الرجال والخوف من السقوط الى الارض اكبر علة لضعفهما . وقبل ان يترع فجر اليوم القادم مسك فيروز شاه وفرخوزاد بعد ان اجريا الدماء انهارًا وكوما جثث القتلى تلولاً واكوامًا فربطوهما بالحبال وصاحوا يعلنون القبض عليهما واخبر الشاه سرور وطيفور بذلك ففرحا ونادبا ان يوتى بهما وعرفت عين الحياة بذلك فاخذت خنجرًا وعولت على الفتك بنفسها فلم تساعدها قواها على ذلك بل خارت عزائمها وغاب رشدها فوقعت الى الارض مغمى عليها فاسرعت حالاً اليها القهرمانة والجوار واخذن يرششن الماء على وجهها

هذا ولما احدق قواد العساكر بفيروز شاه وعرفوهُ تاخروا عنهُ وهو مقيد وقالوا والله لم يكن في خاطرنا ان نمد اليكما يدًا ولو عرفناكما بنفسيكما لفتحنا لكما طريقًا ولم يعد يعلم القواد ماذا يفعلون ايسحبونهما الى حضرة الشاه سرور ام يطلقون سبيلهما هذا والشاه سرور ينادي ان يؤتى بهما فلا يجاب فسال ما الخبر فقيل لهُ هذا مملوك الخواجة ليان وفرخوزاد فبعث من احضرهما بين يديهِ وقال ويلكما اهذه مجازاتي عندكما ومقابلة الجميل الذي فعلتهُ معكما وقد اقمتكما في نصف قصري وبين حريمي والاكل الذي آكل منهُ اطعمكما منهُ وخدمي تخدمكما ولم اخنص قدركما عني فماذا تريدان ان تسرقا من قصري . ثم ذهب الى دار الحكومة وجمع اعيان مجلسهِ وامراء دولتهِ واحضر

اما مهم الاسيرين فما منهم الا من اضطرب وارتبك وما هان عليه هذا الامر لان الجميع كانوا يحبونهما ويتمنون لهما الخير ما عدا طيفور فانهُ كان يبغضهما ولا سيما فيروز شاه لانهُ كان يحسده على ما جمع الله فيهِ من القدرة وقوة الباس والجمال والفصاحة . ولما وقفا في وسط المجلس وهما مقيدان بالقيود سالهما الشاه سرور ماذا كانا يطلبان ان يسرقا من قصره فقال فيروز شاه اننا لم نرد ان نسرق شيئًا وانما قد صعب علينا من افعال اللصوص في الليلتين الماضيتين وقتلهما العبيد فاتفقنا ان نربط نحن علنا نكشف الامر ونقدم خدمة لك وعندما قدمنا من العبيد بادرونا بالقتال فقابلناهم بالمثل وهم لا يعلموننا وقد ظنونا لصوصًا وسترنا سواد الليل عن اعينهم الى ان كان ما كان ونحن نقسم لك انهُ لم يكن في قصدنا سرقة شيءٍ من قصرك والبرهان ان لا شيءَ ممنوع عنا فقال طيفور صدقتما وانا اعترف انكما لستا بلصي مال وشاهدي ان ما فرقة احد كما على رجال دولة الملك وخدمه لا يقابل بمثل ومن كانت هذه صفاتهُ لا يطمع بغير الحريم وان صح حذري فانكما تقصدان اختطاف بنت سيدي الشاه سرور عين الحياة فوقع هذا الكلام على فيروز شاه وقوع الجبال على راسهِ واما الشاه سرور فقد زاد بهِ الغضب وتاكد ذلك وقال ابلغ من قدر المماليك الوصول الى بنات الملوك وفي الحال امر ان يوضعان في نطع الدم الى ما بعد الظهر واذ ذاك تضرب رقابهما في حضرتهِ فاخذا مكبلين بالسلاسل والقيود وفيروز شاه يندب حظهُ وبعده عن عين الحياة ويقول لا بد ان الله يسهل لنا طرق الخلاص فانهُ لا يترك من يلتجي اليهِ . وكانت اسما القهرمانة بعثت بالخواجه عنبر الى ديوان الملك وامرتهُ ان ينظر ماذا يجرى فرجع واخبرها فقالت لهُ عد الى الديوان ومتى رأيت ان الامر سيقضى وقد اتي بفيروز شاه للقتل فادن من الشاه سليم وقل لهُ ان هذين الاسيرين هما من شرفاء العالم فالاول الذي يقول انهُ مملوك الخواجه ليان هو فيروز شاه ابن الملك ضاراب والثاني هو فرخوزاد بن فيلزور البهلوان ومتى عرفوهما لا ريب يطلقونهما فرجع. ولما توسط النهار ازدحمت الاقدام في ساحة المدينة وما من احد من نساء المدينة ورجالها الا وهو يبكي على حياة هذين البطلين ويأسف عليهما وجلس الملك والى جانبهِ طيفور ومن حواهِ بقية الامراء وما منهم الا من سال الملك العفو عنهما فلم يقبل لان طيفور كان يهيج غضبهُ بكلامهِ ويحركهُ على سرعة اعدامهما ثم اتى بهما كالجانين لساحة الاعدام وقد احاطت بهما العساكر تخفرهما من كل جهة ثم قدم فيروز شاه اولاً وربطت عيناه وهو في ثبات لا مزيد عليهِ ولم يقطع رجاءه من الخلاص بل يقول في نفسهِ اني لا اقتل والله يعينني لانهُ يكرم ابي وليس لهُ سواي فكيف يفجعهُ فيَّ واخذ الجلاد السيف ونادى حسب العادة اذا كانت شفقة او رحمة بقلب الملك فلم يجب ودار حولهُ المرة الاولى ووقف برهة ثم نادى وطاف الثانية ووقف برهة وعول على الثالثة واذ ذاك قدم الخواجه عنبر وهمس في اذن الشاه سليم ما اعلمتهُ بهِ القهرمانة فنهض في الحال وحال بين الجلاد وفيروز شاه وقد دفع

الجلاد الى بعيد بقوة عظيمة فغضب الشاه سرور من عمله وقال له ما هذه الاعمال ألاجل فرخوزاد العجمي تخرق هيبتي وتبطل اوامري بحضرتي وبين اعياني فلو لم تكن من كبراء عمال مملكتي لفعلت بك فعلي بهما فدع الجلاد ينفذ اوامري . فصاح الشاه سليم بصوت سمعه البعيد والقريب وقال اني ما فعلت الا ما به صون مملكتك من الدمار وحفظها من الخراب لانك لو قتلت هذين البطلين لا تلبث ان تدك حصونك وتداس عساكرك وتسبي نساؤك وتهلك رجالك وينِدثر اسم مملكتك الى الابد . قال ويحك ما هذا الكلام اهل لاجل مملوك الخواجه ليان ورفيقه تقع كل هذه الامور قال كيف لا وانت تعلم ان الملك ضاراب ملك ايران وبلاد فارس هو اقوى الملوك باسًا واشدهم مراسًا وافلحهم امرًا وقد قهر كل سلطان وجبار فهو الذي يصطاد الاسود بيديه ويزيح الجبال بصوته ويرعب الاسود بهيبته وكيف وقد اخبرتك السياح وارباب القوافل وحكت لك الرواة والصادقون ان بهلزور البهلوان بهلوان الملك ضاراب قد ساد على كل جبار عنيد وبطل صنديد فلا يصعب عليه امر من الامور فان قصد اختراق قلعة اخترقها او هدم حصن لدكه فماذا يفعلان اذا عرفا انك قتلت ولديهما . واني انذرك الان ان الاول الذي هو الان تحت سيف الجلاد هو ارفع منك نسبًا واعظم شرفًا وهو فيروز شاه ابن الملك ضاراب وان الثاني هو ابن بهلزور البهلوان . وها قد اعلمتك لتكون على بصيرة من امرك وتعلم ان في العجلة الندامة بحيث لا ينفعك الندم فيما بعد

ولما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع في الخمول والاندهاش وقال ماهذا الذي تقوله معان الخواجه ليان اخبرني انه اشتراه من بلاد اليونان . قال اني اقول لك الحق وما في قولي ارتياب ولا ترديد وفي الحال امر الشاه ان تفك عيناه ويقدم الاثنان اليه فقدما فقال لهما اخبراني الاكيد من انتما هل كما يقول الشاه سليم من ان احدكما ابن الملك ضاراب والاخر ابن فيلزور البهلوان . قال فيروز شاه ان جل ما نعلمه عن انفسنا هو اني قد خلصت لك اموال بنتك من فرسان الزنوج وجماعة من رعيتك ايضًا وبعد ذلك اسرت لك قاطرًا وقطيرًا اللذين صرفت زمانًا في محاربتهما واهلكت كثيرًا من الرجال في سبيل كبحهما حتى عجزت عن ذلك واخيرًا خلصت لك بلادك من الدمار ونسلك من القتل وصنت بنتك من السبي وذلك بقتلي بيروز واخاه ميسرة وفتكي بعساكرهما وعساكر الشاه روز ومنع الحصار عن المدينة وارجاع الامن الى بلادك بعد الخوف والرعب وفوق كل ذلك فقد قتلت لك هولنك ابن الملك هورنك لما بعثه ابوه اليك لتزوجه ببنتك عين الحياة ومن كل ما تقدم يظهر لك من نحن وبماذا يجب ان تعاملنا عوضًا عن معروفنا معك وجميلنا الذي يعترف به كل فرد من افراد رعيتك ما عدا وزيرك طيفور الذي اشار عليك بهلاكنا جزاء على حراستنا على السطوح لنعلم من المتعدي على قصر ملكتنا . قال الشاه سرور اننا لم نسالك عما

ذكرت بل اريد ان تخبرني من انت وهل ابوك الملك ضاراب . قال اني لا اعرف الملك ضاراب ولا اعرف غيره وإنما اعرف اني مخلص ببلاد الشاه سرور ومخلص حريمة . فقال طيفور ان الشام سليم غلطان في كلامه كيف يكون هذا ابن الملك ضاراب الفارسي ويخدم الخواجه ليان ولو كان كما قال لما كان يخفي نفسهُ وهو تحت القتل وسيف الجلاد فوق راسهِ الا اذا كان في نيتهِ سبي حريم الملك او اختطاف بنتهِ ومع ذلك ففي قتلهِ خير ورفع العار وحفظ ناموس المملكة . قال الشاه سرور ادعوا لنا الخواجه ليان لنسالهُ عنهُ فلما حضر بين يديهِ قال لهُ اريد منك ان تطلعني على حقيقة هذا الذي تدعي انهُ مملوكك وقد اخبرت انهُ ابن الملك ضاراب وهو ينكر ذلك . فارتبك الخواجه ليان في امره وفكر ان صرّح للملك بواقعة الحال يصعب على فيروز شاه وإن اخفى امره ربما قتل او لحق بهِ ضرر من كذبهِ على الشاه سرور وبعد التبصر قال . اعلم يا سيدي انني بينما كنت ذات يوم عند شواطيء بلاد العرب جمعت مجلساً من قافلتي واخذت اخابرهم اهل نسير في البر الى بلادنا ام في البحر لاننا ان سرنا في البحر لا نامن غائلة الزنوج الذين انتشرت مراكبهم في البحار للسلب والنهب وإن سلكنا البر لا نامن من قطعة الطرق الذين عتوا وتجبروا ولم يحسبوا حساباً لملوك الزمان وامراء القبائل . وفي تلك الساعة اتانا هذا الرجل الذي امرت بقتلهِ ودخل بيننا وسمع كلامنا فتعهد لنا بالدفاع عنا وإنهُ يحمينا من اعظم الملوك واشد الفرسان وإن لا يدع شرّاً يصل الينا وكنا اذ ذاك في ارتباك بين امرين خطيرين وكان معهُ رفيق اخر فنزلنا البحر وفاجئتنا القرصان فدافع عنا دفاع الاسود وخلصنا ثم وقعنا على الجزيرة المطلسمة وكنا في خوف من الهلاك ففدانا برفيقه ثم مررنا على قلعة الجميل وحكيت لهُ قصة قاطر وقطير فاستاسرها ثم جئنا البلد فوجدنا الحصار عليها فقصد بنا الجبل وجرى ما تعلمونهُ بعد ذلك وهذا كل ما اعلمهُ من امره وغير ذلك لا اعلم فقال لهُ الشاه سرور كيف اخبرتنا اولاً انهُ مملوك اشتريتهُ من بلاد اليونان . قال هو طلب مني ان اقول عنهُ ذلك وتهددني اذا قلت غير ذلك بالقتل وانا لا اعلم سر المسالة حتى الساعة ولا اعرف من هو ولا ابن من . فزاد الامر اشكالاً على الشاه سرور واستشار وزيره فيماذا يفعل فقال لهُ الاوفق ان يرفعا الى السجن ربما تنجلي الحقيقة ويظهر الامر . وكان قد خاف طيفور من ان الشاه سرور يطلق سبيلهما فاشار عليهِ ببقائهما بالسجن وفي اعتقاده انهما لا ينجيان من الاعدام فاخذا الى السجن

وفي اليوم الثاني تجمع الامراء واحباء فيروز شاه وطلبوا من الملك اخراجهما فابى فقصدوا اخراجهما بالقوة وثار معهم جمهور من الاهالي فقصدوا السجن وكان عددهم ينيف عن العشرة الاف فبلغ ذلك الشاه سرور والوزير طيفور فجمعا شرذمة من العسكر وقصدا السجن وهناك قام القتال ووقعت واقعة كبرى استقامت نحو ساعتين وبعد الجهد افرج الرعية عن القلعة واحتاط الجنود بها من كل صوب ومع كل ذلك والاهالي في هياج زائد فوعدهم الشاه سرور باطلاق سبيلهما الا انهُ

يريد ان يحقق حسبها ونسبها وابن من هو ثم امر بنقلها الى قصره وان يبقيا هناك تحت المحافظة في راحة وسكون فاخذا الى القصر الذي كان فيهِ وحجر عليها في احدى حجراتهِ . وكان فيروزشاه في هم لا مزيد عليهِ من اظهار حقيقة امره وقد قال لفرخوزاد اني الومك على ذلك لانك انت الذي اطلعت الشاه سليم على امرنا ولولم يكن عنده علم منك عن حالنا لما حكى ما حكاه فاقسم لهُ انهُ لا يعرف لذلك سببًا . ولما وضع في قصر الشاه قال فيروزشاه لا بد لعين الحياة ان تزورنا في هذه الليلة ولو تحملت اصعب المشقات هذا اذا عرفت اننا قريبان منها

واما عين الحياة فكانت في حالة ياس تطلب لنفسها الموت في كل دقيقة ولولا ملازمة شريفة والدتها لها لكانت قتلت نفسها وبعد ذلك بلغها وجود فيروزشاه في القصر فسارت عند منتصف الليل وقد اصحبت شريفة معها ولما وقفت بباب الحجرة وجدت الخفر قائمًا على ابوابها فعرفتهم بنفسها وقالت لهم افتحوا لي الباب فاني ارغب ان ارى هذين الغريبين اللذين فعلا ما فعلا وعكرا راحة المدينة واحب ان اتفرج عليهما فقالا لها ان اباكِ اوصانا بان لا نفتح الباب لاحد دون علمهِ ونخاف من انهُ اذا عرف بذلك قتلنا واننا لا نقدر ان نخالف لك امرًا فنفتح لك الباب بشرط ان لا تدعي الملك يطلع على اتيانك في مثل هذا الوقت . قالت اني لا ادع ابي يعلم باتياني فاحرصوا انتم على ذلك . ثم فتحوا لها الباب فدخلت ولما شاهدها فيروزشاه ترفل في ثياب البهاء والجمال وآثار الذل والانكسار واقعة على ذلك الجبين الزاهر الزاهي اخذه الفرح وعلاه الكدر فاجتمع بهِ الحالتان في وقت واحد ونهض يثقل بقيوده وصافحها وصافحتهُ واخبرتهُ بعمل قهرمانتها وانها اعلمت اباها بالحال لتخلصهُ من الاعدام فقال انهُ كان احب لديَّ الموت من وقوف الملك على امري ولا سيما اذا عرف ما وقع بيني وبينك من الود وروابط الولاء فيصعب عليهِ وربما حكى الناس بحقك فاني ارى الموت اسهل من ان تكوني موقعًا للمظنة ومرمى لسهام اللوم قالت لا شيء مما تذكره انما تدبير امر خلاصك ضروري علينا وبعد ان صرفت وقتًا قصيرًا انصرفت وهي تبكي وتتوجع لحالتهِ وباتت تلك الليلة في بحر من الهموم والاكدار

وفي ثاني الايام بينما كان الملك مجتمعًا باكابر دولتهِ وكبراء مملكتهِ وكلهم يسالونهُ اطلاق سبيل فيروزشاه ومكافاتهِ بالجميل والاحسان على فعلهِ الحسن وطيفور يمانع ويدافع واذ ذاك دخل حاجب الديوان واخبر بوجود رسول بالباب فامر بدخولهِ فدخل ودفع للشاه سرور كتابًا فدفعهُ الى طيفور الوزير ليقراه علنًا واذا بهِ من الملك هورنك يقول فيهِ اعلم ايها الخائن اني كنت قد بعثت اليك بولدي مع الف نفر من خاص رجالي واصحبتهُ بكتاب اليك ارجوك بهِ ان تزوجه بنتك عين الحياة وقد رغبت بمصاهرتك على امل ان نكون يدًا واحدة ويتصل حبل النسب بيننا فكان منك انك قتلت ولدي واهلكت رجالي ولم تحفظ عهد الجوار وها انا قصدتك

بعساكري ورجالي وفي نيتي ان اميتك شر ميتة فسلم نفسك اليَّ وان دافعت فاني اخرب بلادك واهلك رجالك ولا ابقي على احد من مدينتك واجعل بنتك سبية لعساكري والسلام على النار ومن طاعها وسجد لها والويل لمن عصاها ولم يعتنِ بها . ولما سمع الحاضرون هذا الكتاب ما فيهم من قدر ان يبدي كلامًا ونزل على قلب الشاه سرور الخوف والجزع وخاف عاقبة الامر وتأكد دمار بلاده . لانهُ كان على غير استعداد لملاقاة قوم كقوم الملك هورنك وبعد ان اطرق الى الارض برهة رفع راسهُ واستشار وزيره فيما ذا يفعل فقال لهُ لاشيء انفع الان من الاقامة بالحصون وتكثير العساكر حول المدينة مكتفين بالدفاع بينما نستمد بقية الاحزاب في مملكتك فياتون عسى ياتي الله بالفرج عن قريب وكما دبرك اليوم وقبل اليوم يدبرك في الغد وبعد الغد فامر الشاه سرور في الحال ان تحصن الحصون وتقام العساكر على الاسوار وتذخر المؤن فاجري ما امر بهِ ونقل احتياج الجند الى الحصون واقاموا يستعدون للدفاع وارسل الشاه سرور جواب تحرير هورنك مع رسولهِ يقول لهُ فيهِ اعلم أن سيوفنا حداد ورماحنا مداد وعندنا من العساكر والاجناد ما يكفي لدفعك عن المدينة وصدك عنها سنينًا واجيالاً وها نحن في اماكننا مقيمين على الحصار وحصوننا منيعة فافعل ما انت فاعل . فلما وصل هذا الخبر الى هورنك اسودت الدنيا في عينيهِ فارغى وازبد وحلف انهُ لا يرجع ما لم ينتقم من اعدائهِ ثم امر العساكر ان تقرب من المدينة ففعلت واحاطت بها احاطة السوار بالمعصم وضيقت عليها من كل الجهات . وفي اليوم الثاني هجمت عساكر هورنك على المدينة فقفلت الابواب في وجهها واشتبك القتال بين كلا العسكرين . وتراسلت رسل المنايا معلنة برواج سوق البين . وعلا من الفريقين الصياح . وودعت الاجسام الارواح . لما تاكدت انهُ ليس لها عن مباينتها براح . وكثر البكاء والنواح . عند الجبان الملتاح . وعظمت المسرات والافراح . عند الفارس المنافس . لما شاهد الحرب يدور رحاها . ونار المعمعة يشتعل لظاها . وضيقات القتال يتسع مداها . وكان كلما تقدمت عساكر الزنوج من الاسوار دافعتها عساكر المدينة فارجعتها عنها الا انها كانت تهجم هجمات الاسود فلا يوثر في اجسامها سهام اليمانيين ولولا مناعة الحصون لما رجعت ذلك النهار عن الدخول الي المدينة . وعند المساء عاد كلٌّ من الفريقين عن القتال ياخذ لنفسهِ الراحة وباتوا ينتظرون الصباح الى ان بدا بنوره يطرد ظلام الليل الفار من امامهِ فثارت الزنوج وقد وطدت نفسها على الهجوم بما في عزيمتها وهي تعد نفسها ان داخل المدينة غنيمة لا تفات وبنات من البيض جميلات فكان يزيد ذلك في بسالتهم وشجاعتهم فصاحوا صيحة واحدة وهجموا على المدينة من كل ناحية حتى اسود الجو من الغبار واجفلت الوحوش من ارتفاع صياح القوم حتى خيل للناظرين ان ذلك اليوم يوم النشور قد خرجت النفوس تؤدي حسابها وهي تردد آثامها وما كان منها وضايقت الزنوج المدينة مضايقة قوية فدافعتهم رجال البلد بقوة وحمية ودام القتال

على مثل تلك الحال الى المساء فرجعوا عنها وهم في فرح واستبشار اذ تبين لهم وجه النصر لانهم هدموا بعض الاسوار والبعض كاد يدك وفي المساء اجتمع الشاه سرور بوزيره طيفور وشكا اليه قرب زوال الحصون وفقدان القوة الكافية وقال له اريدك ان تمدني برأيك فاننا الان على شفير الخراب واذا دخل هورنك المدينة لا يشفق على احد ولا يرحم احدًا ولا يراعي حرمة النساء ولا سيما اذا وقعت انا في يده فانه يهلكني لا محالة وينتقم مني . قال طيفور اليك عن هذا الامر فاني ادبره بنفسي ولي رجاء بالنجاح وفي الغد تنظر ماذا افعل وسادفع عنك هجمات الاعداء وارجع لك هورنك قانعًا راضيًا . قال لاعدمتك من وزير امين على صوالح المملكة وبات طيفور تلك الليلة ينتظر اتيان الغد الى ان حل فدعا اليه رجلاً اسمه الخواجه عوض وكان هذا من كبراء التجار يقصد دائمًا بلاد الملك هورنك ينقل البضائع من اليمن اليها ويأتي منها بالبضائع الى اليمن وفي كل مرة يصحب معه من هدايا اليمن شيئًا كثيرًا الى هورنك ووزرائه حتى احبه الجميع وصار له عندهم منزلة كبرى وكان طيفور يعلم ذلك . فقال له اريد منك ان تذهب الى الملك هورنك وبيدك راية الامان واذا وقفت بين يديه تعطف بخاطره واخبره ان الذي قتل ولده هو فيروز شاه ابن الملك ضاراب وفرخو زاد ابن فيلزور واخبره بخبرهما وقل له ان لاذنب للشاه سرور بذلك وانه لما علم منهما ذلك احتال عليهما ووضعهما السجن املاً ان يدفعهما اليك اذا جئت تطلب ثار ولدك او يدفعهما الى طومار بثار اخويه وزده فوق ذلك ثلث مال اليمن غرامة مقابلة لعذابه واتيانه من بلاده واخبره ان ملكنا لو نظر ولده وهو آت ليتزوج بابنته لزوجه بها وقبل بمصاهرته ويسال عن ذلك من بقية الالف فارس الذين نجوا من سيفيهما . فاجاب الخواجه عوض الى ذلك ووعده بكل جميل وببذل الجهد في سبيل نجاح مسعاه لانه كان يعلم منزلته عند هورنك وكان هورنك يشتاق ان يراه وقد خاف ان يقتل مع المقتولين فاوصى به رجاله ان كل من قتله يقتله ومن اتاه به حيًا مكرمًا اجزل عطاه ورفع مرتبته ولما ظهر الخواجه عوض حاملاً الراية البيضاء كان الملك هورنك قد صف عساكره واصدر اوامره بالهجوم فتاهبت لذلك وقد اشرعت الاسنة وعولت على اطلاق الاعنة غير انه اوقفها عندما تبين راية الامان خارجة من المدينة فصبر الى ان يجلى له وجه الامر وامر الرجال بالوقوف وهو يقول لهم قفوا قليلاً فاني ارى راية الصلح قادمة علينا وعلى كل حال فاني لا اقبل بالصلح ما لم استوفي حقي من خصمي واخذ ثار ولدي وفي تلك الساعة وقف الخواجه عوض بين يديه ففرح به فرحًا لا يوصف وسلم عليه وقال له الحمد الذي جئتنا من نفسك فاني كنت في انشغال بال بسببك لانني اتذكر صدق ودك ولا اريد ان اعاملك الا بما تستحقه من الاكرام وكان اكثر خوفي ان يفتك بك احد اتباعي وهو لا يعرفك ولهذا قد شددت باوامري على الجميع . قال ان كنت تحفظ لي حق عبوديتي وترعى صدق خدماتي لك فالتمس منك اجابة

سوالي والنظر بعين الخبير فيما ابديهِ لديك . قال اني اصغي اليك واسمعك في كل ما تشاء لنيهِ الا
اني لا اسمح لك ان تطلب العفو عن قاتل ولدي هولنك . قال اني ما اتيت الا لاخبرك بامر الصلح
وادفع اليك قاتل ابنك وهو فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس ورفيقهُ فرخوزاد ابن فيلزور
البهلوان . ثم قص عليهِ خبرهما الى ان اوصلهُ كيف انهما قتلا ولده وشتتا الالف فارس الذين كانوا
معهُ بعد ان كسرا عساكر كشمير العجم مع الشاه روز وشتتا شمل عساكر الزنوج وقتلا بيروز واخاه
ميسرة . وقال لهُ في الاخير وهما الان مكبلان بالاصفاد يقاسيان اشد الاوجاع وكان قد خطر
لسيدي ان يرسلهما اليك من الاول الا ان بعد الامراء منعهُ وشار عليهِ ان يبقيهما عنده ومن جاء منكم
بالاول سلمهُ اياهما و بذلك يكون معذوراً لانهُ لا معرفة لهُ بقتل ابنك قبل ان حكي لهُ ذلك . وقد
اخبرني سيدي الشاه سرور انهُ يدفعهما الان اليك لتاخذ منهما بالثار و يزيدك فوق ذلك ثلث
مال اليمن عن هذه السنة فيجمعهُ ويدفعهُ اليك فنظر هورنك الى الارض متفكراً ثم نظر الى
الخواجه عوض وقال لهُ قد اجبت سؤالك اكراماً لك وحباً بك ففي اي يوم ينجز الشاه سرور
وعده و ياتيني بقاتل ولدي و بالمال الذي ذكرتهُ . قال ارجوك ان تضرب لهُ اجلاً لا ينتهي الى
اكثر من سبعة ايام . فوافقهُ هورنك الى ذلك وامر عساكره بالرجوع عن المدينة وان ينزلوا على بعد
منها ففعلوا وقد علموا بعقد الصلح . واما الخواجه عوض فكر راجعاً فرحاً بنجاح مسعاه حتى اجتمع
بطيفور واطلعهُ على امره وانجاح ماموريتهِ فشكره الشكر الجزيل ودخل على الملك بديوانهِ واعلمه
وقوع الوفاق بين العسكرين على الشروط التي ذكرت فارتبك الملك من كلامهِ وقال لهُ ما هذا
بحسن فكيف يمكنني بعد ان علمت ان اسيري هما فيروزشاه ابن الملك ضاراب وفرخوزاد بن
فيلزور ان اسلمهما الى اخصامي ولا سيما هما اللذان خلصا مملكتي من الخراب . وكان الشاه سليم
حاضراً فقال للشاه سرور اني انصحك ان لا تنقاد الى هذا الراي الوخيم فتندم حيث لا ينفعك الندم
لانك لا تلبث ان ترى عساكر العجم تزدحم في ميادين هذه البلاد تحت امرة ذاك الاسد الملك
ضاراب الذي ذل لديهِ كل جبار صنديد انما الراي عندي ان تطلق فيروزشاه ورفيقهُ وترد اليهما
سلاحهما وجواديهما وتعتذر اليهما وهما يكفيانك شر هورنك وجنوده وتكون بذلك قد تلافيت
الشرين . قال طيفور ان ذلك لا يمكن لاننا نخاف ان يتفق فيروزشاه وهورنك فتكون المصيبة
اعظم وليس عندنا الا ان نسلمهُ فاوعدنا بهِ واذا جاءنا الملك ضاراب اطلعناه على الخبر وحكينا لهُ
ان ابنهُ اغتصبهُ منا هورنك فيلتزم ان يسير في اثره ومن منهما اهلك الاخر كان لنا بهِ نعم التوفيق
فاستحسن الشاه سرور مقالهُ وامر في الحال ان يبدا بجمع الاخرجة لتقدم في نهاية السبعة ايام الى
العدو مع الاسيرين . فغاظ هذا الفعل الامراء وقالوا كيف تسلم مخلص بلادنا الى الذبح والعذاب
فقال لهم طيفور ان هلاك اثنين خير من هلاك الوف ومن سبي الحريم ونهب الاموال وقد قيل

المختار اخف الضررين . فالحم بكلامهِ وشاع هذا الخبر بالمدينة حتى عرفهُ الكبير والصغير و بلغ فرخوزاد وفيروز شاه هذا الامر فايقنا بالهلاك وقال الاول اني لا زلت اعلق نفسي بالنجاة ما دمت في هذه الديار واما الان فقد قطع حبل الامل لان هورنك ينتقم منا بثار ولده في الحال فيا ليت لا كانت تلك الليلة التي تسلقت بها السطوح ولم يعد ياخذك اصطبار عن مشاهدة عين الحياة . فيا ليت الملك هورنك يقبلني فدية في ثاره عنك لانك وحيد ويتعلق بك نظام مملكة برمتها من ممالك العالم الكبرى . فقال فيروز شاه اني لا اتحسر على ما فات وكل هذه العذابات وما هو اشد منها والموت ايضًا لا تحسب شيئًا في جنب لذة تلك الليلة التي جمعتني بحبيبتي واني لست الان خائفًا من الموت لاني اعلم ان الله يعلم براءتي و يعرف نقاوة ابي فينشلني من الموت واذا سمح ان يميتني فلي ثقة انهُ لا يحرمني من النظر الى عين الحياة مرة اخرى وذلك يجعلني ان اقبل الموت بفرح لا مزيد عليهِ لاني لا اطلب من دنياي اكثر من ذلك قال لا بد لعين الحياة بعد ان تسمع بخبرنا ان تاتي فتزورنا ولا سيما اذا علمت باننا سنقدم ضحية الظلم الى الملك هورنك . وبات فيروز شاه وفرخو زاد يندبان حظهما وكل منهما معلقًا قلبهُ في جهة فان احدهما يعشق عين الحياة والاخر قلبهُ عند بنت النقاه سليم التي مر ذكر حديثها معهُ وانهُ هام بها ونزلت من قلبهِ بارفع موضع فهذا ما كان منهما واما عين الحياة فانها لم يكن عندها خبر من ذلك الى اليوم الخامس فبلغها على ماذا عقدت شروط الصلح فغاب وعيها وعادت كالمجنونة تروم ان تقتل نفسها ولا تقدر لان شريفة ووالدتها كانتا تمنعانها عن الاتيان بمثل هذا الفعل و يقويانها وهي تصفق على خدودها وتمزق باثوابها وايقنت بممات حبيبها ففضلت لاجلهِ الممات وترك هذه الحياة وهي تصرُّ بعزمها على قتل نفسها . ولا زالت تقاسي عذاب الضجر والملل وتعاني وجع شدة قطع الرجاء وتحاول اعدام نفسها فلا يتيسر لها الى ان اظلم الليل المهيج لغرام كل محب شوقًا الى من يحب فتذكرت ما مضى عليها من الليالي المحفوفة بالانس والهناء فتأوّهت وانشدت

احبابنا اين ذاك العهد قد نقضا ... واي وصل بايام الوصال مضى

واين ايمانكم بالله انكمُ ... لا تمزجون ببسط في الغرام رضا

عودوا فقدا وحش النادي بغيبتكم ... عنهُ واظلم ما قد كان منهُ اضا

لما رميتم سهام البين عن ملل ... صيرتم كل قلب في الهوى غرضا

اشكو اليكم سقامي من فراقكم ... تالله لا جوهرًا ابقى ولا عرضا

حسبي محافظة الحب اموت بكم ... وجدًا ولست ارجي عنكم عوضا

وصرفت نحوًا من نصف الليل وهي عادمة العقل فاقدة القوى لا تعرف ما بين يديها ولا ما ينتهي عليها . واذ ذاك خطر لها ان تزور فيروز شاه وتتودع من النظر اليهِ وكانت مصممة كل التصميم

على قتل نفسها وان لا تبقى بعده يومًا واحدًا لا سيما عندما تتصور انها كانت السبب لهُ في كل هذه المصائب لانها لو لم تقتل العبد لما ثارت تلك النار ولا عرف احد بحبها ولا اطلع ابوها على اسرار فيروز شاه وكان دام لها الاجتماع بهِ زمانًا طويلاً . فدعت شريفة وكشفت لها عن مقصدها وطلبت منها ان ترافقها فاجابتها وسارتا تحت اسوداد الليل حتى قربت من طاقة سجن فيروز شاه وكان الباب مقفلاً عليهِ من الخارج . وهو في ذاك الوقت جالسًا بالقرب من فرخوزاد يتحادثان بما وقع عليهما من المصائب وكيف انهما سيقادان ذليلان الى الملك هورنك مع انهُ لو اطلقهما الشاه سرور لكانا اهلكا الملك هورنك وبددا شمل عساكره ورفعا الذل عن المدينة وبينما هما على ذلك وقفت عين الحياة في النافذة فهلع قلب فيروز شاه اليها قبل ان يحققها وانعطف على غير وعي منهُ الى قربها ولما تحققها سقط عن قلبهِ جبال من الاحزان والمصائب ولم يعد يفكر بكل ما قاساه وما يقاسيهِ فحياها وحيته وقد شاهد ما رسم على وجهها من رسوم الياس والبكاء فتاثر لذلك وقال لها قد جئتني بوقت كنت انتظر مجيئك فيهِ وكنت اخاف من ان يمضي الوقت ونسلم الى الاعداء قبل ان اراك وبذلك اكون في عذاب اشد من عذاب جهنم لاني اقدر ان احتمل كل عذابات هذه الدنيا بصبر جميل وتخف عني اذا تذكرت معانيك وحبك الخالص لي واني على يقين اني لو ذكرتك ساعة اعدامي لنفعتني الذكرى واعادت اليَّ الحياة واحالة الاعداء بيننا تصعب عليَّ البقاء فاكرههُ فلا لذة الا بك ولا هناء الا بقربك ولا تظني ان حالتي هذه تدوم على ما ترينها فسوف تنقضي ايام البؤس ويأتينا النعيم على احب ما نطلب اليهِ . فتنهدت عند سماع كلامهِ وقالت لهُ يا حبذا لو كنا حمامتا الغيـ لكنا لا نفكر من هذه الدنيا بشيء ولا نرى في شيء من خصائصها وجل ما كان يهم كلاً منا ان يلصق بالاخر جسماً وروحًا فتمتزج روحانا ونصرف الحياة على بساط رحب من المسرة والصفاء . اما الان فاني ارى حياتي ذميمة وان الله لم يرغب في اجتماعنا لاني اتصور ان هورنك سياخذ منك بثار ابنهِ ولا يبقي عليك مطلقًا ولكي لا اسمع بهذا الخبر المشوم عزمت عزمًا ثابتًا ووطدت نفسي على ان اقتل ذاتي في هذه الليلة او في نفس يوم تسليمك العدو اذ في مماتي راحتي وفي بقائي شقائي . فقاطعها عند سماعه تلك الكلمات القاسية التي وقعت على قلبهِ وقوع السهم الحاد وقال لها ان كلامك هذا سجن لقلبي يقيده بقيد عذاب لا ينفك منهُ الى يوم القيامة فان هذه الحالة التي انا فيها هي فردوس لنفسي فهي ما زالت تتعزى بذكرك وتامل الفرج والقرب منك وكنت اود ان تخففين اثقال سجني بعذوبة كلامك فعاملتني معاملة العدو المهين فبالله عليك ان لا تعجلي على نفسك فتذهبين بحياتي الى الفناء وتقودينني الى الهلاك بيدك فبربك تصبري الى ان تتاكدي خبر اعدامي ويصلك ما يفعل بي الملك هورنك فربما اتسع لي باب الخلاص ونجوت من الهلاك وعاد اليَّ مجدي وجاهي وعدت الى ملكي فماذا يصير بي اذ ذاك وباي شيء

يمكنني ان اتسلي ابحلولي حينئذ غير الموت فاصبري ولا تهلكيني بيدك ولا تهلك نفسك بيد الياس ولا تقطعي الرجاء قبل حلول اوانهِ واجهدي نفسك ان ترسلي خبرًا الى ابي بما امكن من السرعة وبعد تسليمي للعدو اطلبي الكمين من ابيك لئلا يملكهُ احد غيري واخيرًا اسالك بحرمة الحب ان تعاهديني ان لا تفعلي بنفسك ضرًا فقد وهبتها لي واني حريص عليها فلااسمح بوقوع ادنى ضرر عليها فنفسك وكلك لي. وانا اسال الله ان يطلقني من اسري لاسر قلبك واحسن معاملتك فتصلين الى الزمان الذي احكيكهِ وتنظرينهُ. وعما قليل سترين عساكر العجم تخترق اسواق هذه المدينة بعد ان تدك حصونها وتذيق اهلها مر العذاب وتتبع اثاري اينما وجدت وعند من كنت فكاد ان لا يبقى في نفس عين الحياة حزن بعد سماعها تلك الالفاظ العذبة من حبيبها وتعلق لها امل كبير بخلاصهِ لتاكدها ان الله لا يترك خائفيهِ ولا يسمح بفقدان ملك عظيم جامع بين اللطف والظرف والشجاعة والكرم ويحرق قلب ابيهِ عليهِ وهو من الاتقياء الابرار وقد يتعلق عليهِ نفع عظيم من عبادهِ جل وتعالى وبعد ان صرفا وقتًا من الليل على تلك الحالة عادت عين الحياة وهي تذرف ادمع الفراق من اعين مقرحة بطوارق الحدثان وبقي. فيروز شاه عادم الوعي كثير الهم والاكدار. يندب حظهُ ويلوم نفسهُ على تهوره الى هذا الحد فقد كان من الواجب عليهِ ان ياتي فيطلبها من ابيها كعادة ابناء الملوك مصحوبًا برجالهِ ووزرائهِ وكان اصعب شيء لديهِ بعد فرقة عين الحياة مبارحة ابيهِ وماذا يصير بهِ لدى علمهِ بما حل بهِ وكانت هذه الافكار تقلقهُ وتزيدهُ حزنًا ولا يمكن ان يتصور القارئ حصر تلك الحالة التي كان فيها فيروز شاه وعين الحياة الى حدها الاخير على ان الاول كان جلودًا صبورًا واسع الصدر وتلك كانت رقيقة الحاسة تتاثر بفعل اقل الاشياء فكانت تتغلب عليها اميالها فلا تقدر على دفع عناد الزمان فانها بعد مفارقتها فيروز شاه وصلت الى قصرها ودخلت غرفتها وارتمت على فراشها تقاسي عذاب البعاد وهي تلهج باسم حبيبها فكانت تارة يغمى عليها وطورًا يعود اليها روعها فتعيد ذكرى الحب ولولا قهرمانتها اسيا وبنتها شريفة لكانت قضت نحبها فانهما كانتا تلازمانها وتشجعانها وتاتيانها بالمشمومات والمنعشات

وفي اليوم السابع وهو نهاية الاجل المضروب جمع طيفور الاموال المتفق عليها فرفعها على ظهور البغال واحضر فيروز شاه وفرخزاد وهما بالقيود الى حضرة الشاه سرور ولما اوقفا بين يديهِ قال لهما انظرتما جزاء فعلكما حتى الزمتماني ان اسلمكما الى العدو فاخبراني ما هو السبب الذي لاجلهِ خرجتما من بلادكما واتيتما بلادي. فقال لهُ فيروز شاه ما خرجنا من بلادنا الا لاجل الفرجة على البلاد وقد قادتنا الصدفة الى بلادك لاننا بعد ان افترقنا وقع احدنا عند الشاه سليم فوصل اليك وانا الاخر رافقت الخواجه لبان فجئت اليك ولا خنتك اني خلصت لك اموالك من الزنوج ونحن في البحر ولما كنت في الطريق اتيتك بالعبدين قاطر وقطير طائعين بعد ان عجزت

عنها واهلكت لك ميسرة و يبروزن و بددت عساكر اعداك بعد ان كادت تدخل المدينة وتستبيحها وهولنك بن هورنك الذي كان جاء في طلب بنتك قتلته صونًا لعرضك من التسليم ليد الزنوج العلوج فهلا تتذكر كل هذه الاعمال الطيبة حتى تقابلنا بالقبيح ونحن ما تسلقنا السطوح الا لنكشف لك الغريم فدعيتمونا لصوصًا ونحن يعلم الله اننا لا نقصد ضرًا بك والان ان شئت فادفع الينا سلاحنا وجوادينا ونحن نتعهد لك بقتل هورنك واجلاء عساكره عن المدينة . فقاطعه طيفور وقال له كذبت فما قصدكما الا الوصول لحرم سيدي الشاه سرور والتعدي على عرضه وما خرجتما من بلادكما الا لهذه الغاية ولم تذكرا جميلة لكما وقد ظن فيكما الخير فوضعكما في نفس قصره بين حريمه . وفي الحال امر الشاه سرور بان يلحقوهما بالاموال الى هورنك و يسلما اليه فاحتاطت بهما العساكر وقصدت سحبهما . فقال فيروزشاه لما تحقق انه سيقاد الى عدوه ويحك يا شاه سرور فانك تعمل على هلاك نفسك وخراب بلادك فلا يغشنك كلام طيفور فهو قليل الراي سيئ التدبير فبالحقيقة انا هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب وهذا فرخوزاد بن فيلزور البهلوان الذي اذا فتح فمه يزدرد مدينتك باسرها ولا بد ان تكون قد وصلتك اخباره وعما قليل تشاهد عساكر ايران كالنمل الزاحف فمن يعد اذ ذاك يقدر ان يخلصك من بين يدي الملك ضاراب ورجاله فاسمع الى ما اشرت به عليك وادفع الينا سلاحنا فنفرج عنك وتخلص من الويلين فصاح طيفور ابعدوهما من حضرة الشاه سرور وسيروا بهما الى الملك هورنك ليرحل عنا ومتى جاء الملك ضاراب نعلمه ان اولاده في بلاد السودان فيتدبر منه الى الملك هورنك فنحن لا دخل لنا بينهما . فاخذتهما عساكر المدينة وسارت بهما وكان الخواجه عنبر حاضرًا في الديوان لان عين الحياة ارسلته لينظر فيما ينتهي من امرهما فعاد اليها واخبرها بحالهما فزاد بلاها وعولت على قتل نفسها فلم يمكنها الان قهرمانتها كانت لا تفارقها دقيقة ودامت في حالة البكاء والكدر . واُدخل فيروزشاه وفرخوزاد الى بين يدي هورنك مع الاموال والتحف والهدايا المرسلة اليه مع طيفور من الشاه سرور وتقدم طيفور الى بين يديه واهداه تحيات سيده فقال له هورنك من انت . قال انا وزير الشاه سرور ومدبر مملكته وقد بعثني اليك بتلك الاموال المتفق عليها وهاك فيروزشاه ابن الملك ضاراب قاتل ابنك وهذا رفيقه فرخوزاد ففرح هورنك لكثرة ما شاهد من الاموال والهدايا وشكر طيفور وقال له اهد سيدك مني السلام فاني كنت اظن انه هو المتعدي على ابني وهو الذي قتله لان الذين نجوا لم يخبروني بتفصيل الحادث ولا من قتله بل نعوا اليَّ مقتل ولدي والان تراني راضٍ عن مولاك واني اعاهده على الصلح واعاقده على الوداد والمحبة . ثم امر ان يدفع الى طيفور بدلة من خاص ثيابه و يدفع اليه جواد من خيله الجياد ولما وصل لطيفور انعام الملك ودعه ورجع وهو فرحان بنجاح مهمته مسرور الفؤاد بابعاد فيروزشاه وفرخوزاد لانه كان يكرههما و يبغض ان يراهما خوفًا من ان

يقلّ ميل الملك من نحوه . وبعد ان سار طيفور امر هورنك ان تصف العساكر ذات اليمين وذات الشمال وان يؤتى بالاسيرين فيقتلا امام عينيهِ وعلى مرأى من كل العساكر وان ينادي فيما بينها ان هذين الذين قتلا ابنهُ فعلت الضجة بين تلك الصفوف واجتمعت تزدحم فوق بعضها ووصل الخبر من اولها الى اخرها حتى لحق الكبير والصغير ووقف فيروز شاه اولاً في نصف الساحة وهو مقيد الارجل ومربوط الايدي لا يحسن حراكًا فايقن بالهلاك وصلى الى الله سبحانهُ وتعالى وبكى حسرة على احتراق ابيهِ وشوقًا الى حبيبتهِ لا خوفًا من المنون ولا ضجرًا من الموت وبكى عليهِ فرخوزاد ايضًا وهو يود لو كان يمكنهُ ان يفديهُ بنفسهِ او يقتل هو اولاً فلا يشاهد اخاه مضرجًا بدمهِ امامهُ وهو مصفد الايدي لا يقدر على دفع الاذية عنهُ . ولما اتى الجلاد واخذ بيده السيف وعول على انفاذ امر سيده نهض احد امراء الملك هورنك وكان اسمهُ الامير ميمون وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ اني ارجوك ياسيدي ان تاخر قتل هذين الاسيرين الى حين وصولنا الى الديار . قال ولماذا ذلك . قال ان سيدتي زوجتك الملكة شيطانة لا تصدق انك اخذت لها بثار ولدها ولا يشفى لها كبد الا اذا نظرت قاتل ولدها يُنحر امامها وربما اشتهت ان تغذيهما يدها قبل قتلها لانها بحرقة كبرى على فقد ولدها ولا يطيب خاطرها ما لم تشاهد بعينها وتنتقم يدها وكان ميمون يرغب في تاخير اجل فيروز شاه لما شاهد فيهِ من جواذب الكمال ودلائل الشجاعة

فلما سمع الملك هورنك هذا الكلام رآه عين الصواب وقال لقد اصبت بقولك هذا فاني كنت نسيت ان الملكة شيطانة اوصتني ان اتيها بقاتل ولدها الى ما بين يديها لتاكل من لحمهِ وتشرب من دمهِ وقد اقسمت يمينًا انها لا تاكل لحمًا ولا تشرب خمرًا ولا تنام بفراش ان لم تاخذ بثارها من عدوها ولو لم تنتبه الى ما اشرت اليهِ لكنا وقعنا معها في مصيبة اكبر من هذه المصيبة لانها عنيدة معنتة . ثم امر الملك بان يرد فيروز شاه وفرخوزاد الى الاسر وان يحافظ عليهما الى الغد . وفي صباح اليوم التالي نهض الجيش برمتهِ يتهيأ للرحيل وشد فيروز شاه واخوه على جوادين وقد قال الاول للاخر ما السبب حتى ابقوا علينا بعد ان كانوا قد قربونا للذبح قال لا اعلم الا ان تلك ارادة الله فانهُ يرغب في بقائنا فانني بينما كنت انظر اليك بعين دامية وقلب منفطر وقد دار بك السياف لاحت مني التفاتة الى جهة هورنك فوجدت احد امرائهِ واشار عليهِ قد تقدم منهُ وكلمهُ بكلام لم اسمعهُ وفي الحال منع قتلك وامر بالمحافظة علينا ولا اعلم سببًا لذلك . قال اني ارجح ان السبب هو ان يقتلونا في بلادهم امام نسائهم وشيوخهم او ربما هيئوا لنا طريقًا اخر للموت واني اشكر الله فاننا قدمنا للموت مرتين ونجونا منهُ باسباب سهلة هينة واسال الله ان يحمينا من المرة الثالثة

ولم يتعالَ النهار حتى حملت الاحمال واعتلت الفرسان فوق الجياد ومشت العساكر صفوفًا

وفي وسطهم فيروزشاه وفرخوزاد كما تقدم مشدودان بالحبال يقاسيان عذاب الهون . ولا زالوا في مسيرهم يقطعون البر حتى انتهوا الى الشاطئ حيث كانت المراكب تنتظر قدومهم فنزلوا فيها وانزلوا معهم كل ما اتوا به من اموال بلاد الشاه سرور وسافروا بالبحر اياماً بموافقة الريح حتى رست السفن في موانئ بلادهم فصعدوا الى البر ونقلوا كل الاحمال والخيل منها وذهبوا بالاسيرين الى السجن ودخل هورنك على زوجته وهي في حالة نواح وبكاء تعدد ولدها في الليل والنهار فلما قرب منها بشرها بانتصاره على الاعداء فقالت هل اخذت بثار ولدك . قال اني قد تسلمت قاتلي ولدي وعزمت على قتلهما في الحال وتعجيل اجلهما وانا في بلاد اليمن الا ان ميموناً منعني عن ذلك واشار عليّ ان اقتلهما امامك وهما اثنان من البيض فانتبهت الى ذلك وعدت بهما اليك لاقتلهما امامك عل حزنك يخف قليلاً وتنطفي جمرة من جمرات قلبك المتسعرة بنيران التحسر والتنوح . قالت لقد فعل ميمون صواباً فلو قتلت قاتلي ولدي بدون ان اراهما لا يشفى لي كبد ولا يهنا عيشي ما لم ادس برجلي فوق راسيهما واجرع جرعة من دمائهما . قال هما الان في يدنا فامري ان يعين يوم هلاكهما تجتمع به المدينة باسرها ليعلم الصغير والكبير اننا ما تقاعدنا عن اخذ ثارنا من عدونا لاسيما وقد اخبرني طيفور وزير الشاه سرور ان احدهما فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد العجم وثانيهما فرخوزاد ابن فيلزور البهلوان بهلوان الملك المذكور فهما من اولاد الملوك . فلما سمعت الملكة شيطانة كلام زوجها فرحت وقالت له انه بعد ثلاثة ايام يكون قتل الاسيرين مشنوقين فهيئ نفسك وادع اهل مدينتك لتحضر في هذه الساعة وتشاهد هلاكهما . فاجابها الى طلبها ودعا بكافة اعيانه وشاع الخبر في المدينة كلها فانتظر الكبير والصغير الوقت المعين الى ان حان فازدحمت فيه الاقدام واجتمعت النساء والرجال والشيوخ والاطفال والاماء والعبيد الى ساحة المدينة وجلس الملك هورنك وزوجته وهي لابسة السواد واضعة التراب على راسها ولم يكن الا القليل حتى اتي بفيروزشاه وفرخوزاد ابين يديها وهما مقيدان بالقيود فلما راتهما امعنت فيهما فاطرقا براسيهما الى الارض . ثم قالت لزوجها اهذين الصعلوكين قد قتلا ولدك . قال هما بعينهما . قالت اني لا اصدق ذلك فان ابني ضخم الجثة كبير الهامة بطل من الابطال لا وهما يعادلان ضخامة يده فكيف يمكنهما ان يصلا اليه . قال لا اعلم ذلك . قالت ان صدقني ظني فان الشاه سرور قد غشك بالحيلة لتبعد عن بلاده ثم قربتهما منها وكانا في ياس وحزن وخوف من ان يقضى عليهما ودعت الترجمان وقالت باللسان الزنجي اسال لي هذين الابيضين كيف قدرا على قتل ولدي مع انهما قصيران وهو طويل ضخم فسالهما الترجمان عن ذلك وقال لها اجيبا الملكة على هذا السوال فانها تتعجب من ذلك وتريد ان تعرف كيف قتلتما ولدها قبل ان تقتلكما . قال فيروزشاه لاي سبب تقتلنا ونحن لا نعرف لنا ذنباً ولا اوصلنا لها اذية ولا قتلنا لها ابناً وليس في وسعنا ان نقتل عصفوراً

فكيف يمكننا ان نقتل ادميًا قال اليس الشاه سرور رسلكما الى الملك هورنك بانكما قاتلا ابنهِ وكان في نيتهِ ان يقتلكما حال وصولكما الا انهُ ابقاكما لتراكما الملكة . قال ان الشاه سرور قد مكر بسيدي الملك لانما نحن لم نقتل ابنهُ بل نحن مملوكان اشترانا لخدمة ابنتهِ من بلاد العجم فاقمنا عنده هذه السنة وفي هذه الايام دعانا اليهِ وقال لنا اني اريد ان اقدمكما للملك هورنك لان لهُ عادة علينا ان نقدم لهُ في كل سنة مملوكين لخدمة زوجتهِ فيفيدكما حتى توصلا اليها فان اعجبناها انعمت عليكما واكرمتكما وان لم تعجباها ارجعتكما فترسل لها غيركما واذ كنا مماليك لم يكن في وسعنا الاعتراض فقيدونا وقدمونا لسيدي الملك ومن حين وصولنا ليده ونحن في اهانة وعذاب لا نعلم لنا ذنبًا وكنا منتظرين ان نتشرف بين ايادي سيدتي لتنعم علينا والان تتهمونا بقتل ابن الملك فنحن لا نعرف ان نحمل سكينًا ولا نقدر ان نركب جوادًا وحالنا تشهد علينا . فبلغ الترجمان كلامهُ الى الملكة حرفًا بحرف فنهضت واقفة مغضبة من زوجها وقالت لهُ انذهب مع جيوشك وقوادك بثار ولدك الى بلاد اليمن وتعود بهذين الصعلوكين وتريد ان تقنعني انهما قاتلا ولدي الم يكن عندك عقل تفكر ان مثل هذين الغلامين لا يقدران على مقاومة من هو كابنك فكيف تترك الشاه سرور يمكر بك ويستصغر عقلك ويضحك عليك فلا بد لي من ان اذهب بنفسي الى قتالهِ واخرب بلاده لانك عاجز عن القيام بذلك . فاسودت الدنيا في عيني الملك هورنك وقال اني اقسم بمعبودي اني ساذهب الى بلاد اليمن واخربها من اولها الى اخرها وانتقم من هذا المخادع المنافق لانهُ لم يخطر لي هذا الخاطر وقد صدقت ان هذين الغلامين قتلا ابني وغاب عن ذهني انهما يعجزان عن مثل هذا العمل فبالحقيقة انهُ ما قتل ابني الا الشاه سرور او احد اولاده او امراء مملكتهِ ويريد ان يقنعني بهذين المملوكين الغريبين ويجعلهما فدية بولدي واني الان لا اقتلهما بل يجب بعد ان ابقيهما في جزيرة الطيا عند السجان صعلوك وبعد عودتي اجعلهما في خدمتك . فسر هذا الكلام الملكة وقالت هكذا يجب ان تفعل . ثم امر هورنك ان يكتب كتاب الى امير جزيرة طيا يامره بان يحفظهما عنده كاسيرين ويسلمهما الى السجان صعلوك وبعد ان كتب الكتاب ارسلهُ مع احد قواده وارسل معهُ فيروزشاه وفرخوزاد فسار بهم حتى دخل مدينة الطيا فسلمهما الى حاكم المدينة وبلغهُ رسالة الملك واعطاه كتابهُ فاجابهُ بالسمع والطاعة ودعا اليهِ في الحال السجان صعلوك وقال لهُ ان هذين الاسيرين قد ارسلهما الينا الملك وقد اوصانا ان نحافظ عليهما وان لا نثقل عليهما ولا نهينهما الى حين يطلبهما . فاخذهما السجان ورجع الى سجنهِ فوضعهما فيهِ وقدم لهما الماكل الطيبة والمشارب الصافية واكرمهم غاية الاكرام لانهُ مال قلبهُ اليهما وقد شاهد فيهما سمة الكرامة والكبر فعرف بذكائهِ انهما من اولاد الملوك او الوزراء . وكان فيروزشاه وفرخوزاد يداومان على الصلاة والشكر لله على بقائهما في قيد الحياة بعد ان قطعا الرجاء من السلامة وايقنا

بالهلاك والممات . ففي ذات يوم سالها الصعلوك السجان عن هذه العبادة التي يعبدانها وعن الصلاة التي يصليانها فقال له فيروزشاه اننا نصلي فرضاً وجب علينا لله وهو العلي الخالق الازلي الحاضر في كل مكان واجد الوجود المحجوب عن الاعيان . قال وما هي صفات هذا الاله . قال هو نور ساطع لا نقدر ان تراه العيون ولا يقدر العقل ان يتصور حقيقة كيفيته وهذا برهان الوهيته انه فوق ادراك عقل خليقته وليس للمصنوع حق ان يعرف حق قوة الصانع فكل ما نراه على الارض من حيوانات وحشرات ونباتات فهي تسري بمعرفته وتنبت بعلمه وما في البحر من اسماك وما في الجو من طيور تتحرك بعلمه وتنتقل بادراكه وما تراه في السماء من الاجرام الثوابت والسيارات فهي من صنعته وقد جعل لها طريقاً فلا تتعداها وكل ذلك قد خلقه بكلمة واحدة اي بقوله للشيء كن فيكون . فقال الصعلوك من اين استدللتم على وجود هذا الاله . قال استدللنا عليه بواسطة الانبياء والمرسلين كابراهيم وموسى وغيرهما وكل منهم اتى يخبر بوجود هذا الاله القدير واثبت دعواه بالبرهان فقد جعل موسى العصا حية واخرج من الصخر ينبوعاً وغير ذلك مما يثبت ان البشر لا يعلمون هذا السر وانه يعمل بقوة ذلك الباعث الذي اخبروا عنه وقد تنبأوا لنا عن امور كثيرة تمت بعد الاشارة اليها من قبل بزمان طويل . قال اني صدقت هذا الاله هو موجود وهو الواجب على كل العباد ان يعبدوه فزدني من البراهين المقوية لحجته قال ان البراهين كثيرة اذا تمعنت فيها تكاد لا تدركها فكل ما في الانسان برهان لانك مثلاً لو وضعت يدك على خشبة او حجرة او مادة باردة او حارة لشعرت من نفسك بقوة الحاسة التي اوجدها فيك حالة المحسوس وما هيئته على انك لو وضعت خشبة لما وجدت تلك القوة تاثيراً ومثله ان الانسان اذا قصد ان يبلغ ارادته لاخر فقد اوجد فيه هذا الاله سبحانه وتعالى خاصة النطق وذلك انه يحرك لسانه فيطرح الفاظاً مركبة من حروف تبين المعنى الذي يخطر في نفسه وذلك ان الهواء يحمل تلك الالفاظ المطروحة بقدر علوها وانخفاضها ويدخلها في اذن السامع حيث هناك الة مصنوعة بمعرفة هذا الاله يقدر بواسطتها ان يعرف معنى تلك الالفاظ وما هي غاية محاكيه وكذلك النظر . وجعل فيروزشاه يبرهن له عن قوة الله سبحانه وتعالى بما ينطوي تحت دائرة الادراك حتى تبين له ان السجان صعلوك قد مال كل الميل وسر من معرفة هذه العبادة فقال له اخيراً وفوق كل ذلك ان هذا الاله يسمع ويجيب نداء مناديه ويساعد ملاذيه . قال اذا كنتما تزعمان انه يغيث مناديه فكيف لا تناديانه ليخلصكم من هذه الضيقة ويبعدكما عن سجن عدوكما . قال فيروزشاه نعم انه يجيب طلب مناديه لانه رحوم معين الا انه صارم لدى القصاص فقد طلبناه فاستجاب دعانا واننا نحن نستحق ذلك لانه اوصانا بطاعة والدينا وان لا ناتي امراً الا بعلمهما اما نحن فقد خرجنا من بلادنا كعصاة على والدينا فلم نعلمهما بامرنا وسببنا لهما بفعلنا هذا الكدر العظيم واشغال البال علينا ولا ريب في انهما حتى الساعة لا يعلمان بنا ولا

باي مكان نحن فنقصد الله قصاصنا كي لا نعود فيما بعد الى مثل ذلك وكي نحفظ ما اوصانا به دائمًا ولما دعوناه لم يتركنا فقد قدمنا للذبح ثلاث مرات وهو ينشلنا من تحت سيوف الجلادين واكبر برهان اقدمهٔ لك انهٔ نقلنا من بلاد الى بلاد حتى اوصلنا اليك لنهديك الى عبادتهِ تعالى لترحمنا وتسهل لنا طرق الخلاص قال صدقت فاني قد ملت من كل قلبي الى هذا الاله واني ارى في قلبي من نفسي فرحًا وارتياحًا فلا شك اني سافديكما بنفسي واخلصكما من هذه الديار. فقط اريد منكما ان تعلماني كيفية عبادتهِ وما هي الصلاة التي يجب ان اصليها .فاخذ فيروزشاه يعلمهٔ قواعد الايمان بالله وكيفية الصلاة ويشرح لهٔ عن وصاياه حتى آمن حق الايمان وابتدأ بتدبير طريقة لخلاصهما من ذلك الوقت

تقدم معنا في بداية الكلام عن فيروزشاه انهٔ سافر ولم يعلم اباهُ ضاراب وان طيطلوس كان في كدرٍ من عودتهما بعد غيابهما ثلاثة ايام والان نعود الى سياق الحديث وذلك ان طيطلوس وقع في حيرة عظيمة وارتباك قوي يكاد لا يعرف في ماذا يجيب الملك اذا سالهٔ عن ابنهِ وجعل يكتم امره من يوم الى يوم وكلما طال الوقت يزيد خوفهٔ ويعظم قلقهٔ وهو يتردد في اخبار الملك بغياب ابنهِ اذ انهٔ يعلم انهٔ لا بد من ان يعرف اخيرًا بغيابهِ فيلومهٔ على كتمان امره وكان يومل عودتهٔ من يوم الى يوم الى ان قطع الرجاء اخيرًا وثبت عنده كل الثبوت ان فيروزشاه سار نحو محبوبتهِ التي راها في الحلم وانهٔ ربما وقف على خبر من خبرها حيث انهٔ كان يتاكد لديهِ انهٔ سيلاقي بسبب العشق اهوالاً ويلاقي عذابات شديدة . وبعد ان مضى على فيروزشاه مدة ليست بقصيرة دخل طيطلوس على ابيهِ واخبره بغياب ولده وقال لهٔ انهٔ غاب ولا اعلم محل غيابهِ وكنت ظننت في بادىء الامر انهٔ ذهب للصيد فانتظرتهٔ اياماً فلم يعد فشغل بالي قليلاً الا اني كنت اعلم انهٔ يحب الرياضة والجولان وقد سالني في ذلك ففكرت انهٔ ربما نزل على بعض مدن مملكتنا فبعثت الرسل من رجالي يسالون عن ذلك فعادوا ولم يخبرني احد منهم انهٔ راه فزاد لذلك قلقي واتيت الملك مطلعك على امره لترسل الرسل الى العواصم فتسال عنهٔ وربما يكون قد قصد بلاد جده فنزل عليهِ . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام خفق فواده وتلاعب بهِ الغضب فكاد يفعل فيهِ لولا تغلب مزيتي الرقة والحلم وبقي نحوًا من ساعة لا يعرف فيما يتكلم وقد شعر بانسلاخ حياتهِ لان فيروزشاه كان وحيدًا لهٔ وكان يحبهٔ لكمال خصالهِ وبسالتهِ وهو يامل فيهِ الخير والنجاح في المملكة وقد اخفى عنهٔ طيطلوس حالة الحلم ومن راى فيهِ لانهٔ علم انهٔ لو اخبره بذلك لانتقم منهٔ لكتمهِ عنهٔ الخبر من الاول وكان يقول انهٔ كان من الواجب ان تخبرني لكنت اتيت بابني الى المدينة وبعثت من اتى لهٔ بهذه الصبية التي راها ولو كانت داخل جبال قاف ولكنت اعرض عليهِ بنات مملكتي وبنات ملوك العالم فمن اعجبتهُ ازوجهٔ بها ولذلك كتم امر عشقهِ عنهٔ . واما الملك فبعث بالرسل

حالاً مصحوبة بالكتب الى كافة بلدان مملكتهِ يسالهم عن ولده ويامرهم بالتفتيش عليهِ ومثل ذلك الى الممالك المجاورة والى عمهِ ابي زوجتهِ تمرتاج ولم تاتِ على ذلك الا ايام قليلة حتى شغلت عموم المملكة الفارسية بامر غياب فيروز شاه وما منهم الا من قام بنفسهِ للتفتيش والسوال عنهُ ولكن بدون نتيجة وصارت الرسل تعود وراء بعضها بالخيبة وضياع المسعى حتى كاد يفقد عقل الملك ضاراب فاحتجب في بيتهِ قائمًا على الصلاة والصوم والتضرع الى الله سبحانهُ وتعالى ان يحفظ ولدهُ من غوائل الحدثان وان يرجعهُ اليهِ ودام على مثل ذلك اياماً الى ان كان ذات يوم دخل عليهِ فيلزور وكان الاخر في حالة ياس وكدر ومعهُ دوش الراى وزيره الثاني وقال لهُ يا سيدي ان قلبي من جهة ابنك وفرخوزاد باطمئنان لانهما في قيد الحياة وهذا لا شك فيهِ لانهما ما خرجا الا وفي نيتهما التسوح في البلدان وذلك لثلاثة اشياء اما طلبًا للفرجة على البلدان والاطلاع على حال العالم وسكان البلدان واما بقصد الزواج وقد خطر لهما ان يدورا في ممالك العالم ليقفا على حالة بناتهما وينظران في التي تكون موافقة. والثالث ربما كان لاجل مبارزة الفرسان وقهر الابطال. فاذا كان غايتهما الامر الاول فاني لا اخاف عليهما واما اذا كان لاجل الغايتين الثانية والثالثة فاني اخاف من وقوعهما بالمخاطر والغدر بهما لا سيما وقد سمعت من زمن قديم من طيطلوس ان ابنك سيقاسي بسبب العشق اموراً عظاماً وهذه بداية الدخول في ذلك العشق. قال الملك وماذا يفيدنا ذلك ومن اين نعرف مكان وجودهما لنسعى في طلبهما. اجاب انهُ لا يقدر على الوقوف على خبرهما الا طيطلوس فهو حكيم حسن التدبير فمن الموافق ان تدعوهُ اليك وتطلب اليهِ ان يرجع ابنك وابن فيلزور وتقول لهُ اننا سلمناهما اليك وانت ملزوم بارجاعهما الينا ولو لم نتقاعد عنهما لما تمكنا من السفر ولو اخبرتنا من حين سفرهما لكان في الوسع اتباعهما وارجاعهما ومعرفة حالهما ونضرب لهُ اجلاً معينًا فمتى نظر نفسهُ واقعًا في هذه الصعوبة يقدر ان يعرف بحسن مساعيهِ شيئًا عنهما. قال الملك اصبت. ثم خرج الى الديوان ودعا طيطلوس اليهِ وقال لهُ نفس الكلام الذي دار بينهُ وبين وزيره فارتبك طيطلوس في امره ونظر الى حالة الملك فوجده على غير الاستواء فزاد خوفهُ وعلم انهُ لا بد من ان ينتقم منهُ اذا وقع على ابنهِ امر وبعد التبصر قال لهُ ارجوك يا سيدي ان تمهلني اياماً فاني اسعى بقدر امكاني واتكل على الله ان يوصلني الى طريق الصواب. قال لهُ اني امهلك المدة التي تختارها ولا احب في التضييق عليك انما اطلب ان لا تعود اليَّ فيما بعد الا وخبر ابني معك

قال فخرج طيطلوس مايوسًا حزينًا لا يعلم من اي جهة يمكنهُ ان يفحص عن ابن سيده او يقف لهُ على خبر وصرف اكثر من ثلاثة ايام وهو في هم وكدر لا مزيد عليهما وقد سدت بوجههِ ابواب التدابير ولم يعد يعرف الوسيلة اللازم اتخاذها لذلك وكان خوفهُ عظيمًا جدًا من ان

يكون فيروز شاه قد قضى نحبهُ او وقع بمصيبة لا يمكنهُ الخلاص منها ولا اظهار امره وفي اليوم الرابع جلس وهو يفكر في هذا الامر ويحسب ما وراء ذلك من الصعوبات وما لحق بالمملكة من الكدر العام والارتباك من جرى تهامله وعدم اكتراثهِ لان الملك كان قد انقطع عن الاتيان الى الديوان كل الانقطاع وترك ملذاتهِ وكره النظر الى احد وقد دخل عليهِ الوزراء والبهلوانية مرارًا وسالوه الخروج الى دستهِ خوفًا على المملكة من الخراب فلا صغي ولا اجاب الا بقولهِ لهم اني لا ارغب في ملك ولا اطمع في حياة بعد ابني ولا يطيب في عيني النظر الى وجه انسان والملكة كانت تتقلب على نيران الحزن وقد انفطر قلبها من فراق ولدها وتقرحت اجفانها من البكاء والتعداد والرعايا باتوا في شاغل عظيم وخافوا سوء المصير من انهم يصلون الى الخراب بعد ذلك العمران وحسبوا حساب الاعداء الذين كانوا يرجفون عند ذكر ملكهم وقد اشغلت كل هذه الحوادث فكر طيطلوس فبات ينظر اليها باهتمام و يستعظم الحالة العامة القلقة ويلوم نفسهُ على عدم انتباههِ وضياع حكمتهِ في مثل هذه الظروف وقد سدت عليهِ الحوادث عرق المعرفة واعمت افكاره عن النظر في وجه الحقيقة مع انهُ كان قد ترجح لهُ في فكره ان فيروز شاه سار في طلب الفتاة التي راها في حلمهِ ثلاث ليال متواليات وقد سالها عن اسمها فقالت لهُ عين الحياة وكان يعلم ان للشاه سرور بنت اسمها عين الحياة قد انتشر صيت جمالها في الافاق وعرف بها البعيد والقريب وتناقلت اخبارها على افواه المسافر والمقيم كما كان يتناقل خبر الملك ضاراب و بطشهِ وعظم سلطانهِ

وفيما طيطلوس على مثل هذه الحالة خطر لهُ ان يخرج الى خارج المدينة الى القصر الذي تربى فيهِ فيروز شاه علهُ يستدل من اثر هناك على ما يريح ضميره فذهب الى القصر ففتحهُ وفتش فيه علهُ يجد كتابة او دليلاً فلم يجد واذ ذاك لاح لهُ وهو في احدى نوافذ القصر رجل من بعيد راكب على هجين وهو ينهب الارض جريًا وقد علاه وعث السير وهو يتقدم الى جهة القصر وعيناه تحدقان الى جهتهِ . فلما نظره خفق قلبهُ فرحًا ولا سيما عندما تاكد انهُ شياغوس النقاش تلميذه وقال في نفسهِ لا بد من ان يكون هذا الرجل الخبير باحوال العالم قد وقف في اثناء تطوافهِ على خبر من جهة ابن سيدي فاسرع الى خارج القصر ولاقاه بفرح وابتهاج لا يوصفان وكان قد وصل ونزل عن هجينهِ . فتقدم وقبل ايادي طيطلوس فقبلهُ وسالهُ عن سفره ومن ابن اتى . قال اني كنت في بلاد اليمن في نفس عاصمتها واتيت الى سيدي فيروز شاه بغرض احب ان اطلعهُ عليهِ . قال ان فيروز شاه قد غاب عن هذه الاوطان من مدة ايام حتى كادت تخرب المدينة لغيابهِ ولا يعلم احد سبب غيابهِ ولا اي جهة قصد سوى اني وحدي قد اطلعت على حلم حلمهُ وذلك انهُ رأى فتاة في نومهِ سلبت منهُ عقلهُ واشغلتهُ عن كل شاغل وحل عنده ذلك الحلم محل الحقيقة ولم يعد لهُ ذكر الا ذكر تلك الفتاة وقد قالت لهُ ان اسمها عين الحياة ولم تقل لهُ بنت من هي فلم اكترث بهذا

الامر ولم اطلع اباه على امره وكنت اذ ذاك قد جئت الى هنا ففكرت انك تقدر ان تبعده عن افكاره وبعد ذهابك وجدت فيه تغييرًا اطمأن له بالي وتركت السوال منه عما كان يخطر له ان يفعل الى ان كان ذات ليلة غاب مع فرخوز اد ولم يخبر احدًا ومع ذلك كنت اومل عودته او اقف من احد على مكان وجوده فلم اخبر اباه بذلك الى ان طال المطال ولم يعد في وسعي الا اخباره عنه فاعدت اليه خبر غيابه فكاد يصيبه الجنون مع ما هو عليه من العقل والحكمة وسعة الصدر ووقع عموم الرعية في الكدر والخمول وقد طلبوا اليّ بعد ذلك ان ارجع لهم ابن ملكهم وملكهم كما استلمته فلم اقدر على الخلاف وقد وافقهم الملك ضاراب على طلبهم وهو منقطع عن الملك لا ينظر في احد ولا ينتبه الى احد وان دام الامر على هذه الحالة تقع المدينة في حالة فوضى وتنفرط سبحة الانتظام ولا يعلم الا الله ماذا يكون بعد ذلك فلما سمع شياغوس هذا الكلام اطرق الى الارض مليًا ثم رفع راسه وقال اظن يا سيدي ان فيروز شاه قد قصد تعزاء اليمن بلاد الشاه سرور في طلب بنته عين الحياة التي شاع صيتها في اربع جهات الدنيا فهي نفسها التي راها وان في ذلك لسرًا من الله عجيب ولا ريب انه سيتزوج بها ويحصل عليها مع ان كثيرًا من الملوك والامراء قد ردوا عنها اذ لم يكن فيهم من هو نظيره . فتنور وجه طيطلوس عند سماعه هذا الكلام وانفتحت عيناه الى وجه الحقيقة وقال لا ريب ان تلك التي راها لكن من اين عرف بها ومن اوصل له خبرها واعلمه ببلادها . قال هو انا يا سيدي وذلك لما سالتني ان ادخل عليه في المرة الاولى طلب اليّ ان اقص عليه جل ما رايته في سفري فحكيت له ما وقع لي في تعزاء اليمن وما نظرته من عين الحياة ووصفت له جمالها وكان ذلك من غرائب الصدف على غير علم مني بامره فصادف وصفي طبق الحلم الذي حلمه فتعلق بي وسالني المساعدة وحكى لي بعد ذلك عما راه في نومه من امر الصبية فعجبت لذلك ووعدته المساعدة واشترطت عليه ان ينتظرني الى ان اعود اليه . ثم حكى شياغوس الى طيطلوس عن الصور التي صورها وكيف انه لما طرق بلاد الشاه سرور علقها عند نافذة عين الحياة وكيف علقت بحبه بمجرد نظرها الى تلك الصور حتى كانت تاتي بنفسها وتاخذها من اعلى الشجرة . فتعجب طيطلوس من هذا التصادف الغريب فقال وهل بعد عودك لم ترَ في الطريق فيروز شاه ولا سمعت عنه خبرًا قال كلا يا سيدي لاني بعد ان خرجت من المدينة وقصدت العود سمعت باتيان عساكر كشمير العجم مع الامير روز لانه طلب عين الحياة زوجة له فردته فجاء بعساكره ياخذها سبية رغمًا عنها وعن ابيها وقد استنصر طومار الزنجي فامده بالعساكر وبعث معهم اخويه بهروز وميسرة وهما من ابطال القتال المعدودين ولذلك التزمت ان اسلك غير الطريق القويم ولي على عجل علّ فيروز شاه يمكنه ان يساعد الشاه سرور فياخذ عين الحياة قبل ان ياخذها غيره . وحيث الان قد غاب عن المدينة فلا ريب انه قصد تلك البلاد ولم يعد له صبر الى حين اياب

وقد عرف مقر الحبيب . قال صدقت فهو دون شك قد طرق بلاد اليمن واني اريد منك الان ياشياغوس بحق المعروف الذي لي عليك والعلم الذي علمتك اياه ان تجيبني الى سوالي وتقول الملك ما اخبرك به . قال مر ياسيدي فاني اطيعك وانقاد الى امرك لانك استاذي ومهذبي قال اريد منك ان تقول للملك انك نظرت ابنهُ وفرخوزاد في الطريق وانهما اعلماك بسيرهما الى بلاد اليمن وارسلاك لتعلم ابويهما بذلك . قال كيف اقول للملك اني نظرت ابنهُ وانا لم انظره قط . قال يمكنك ان تقول لهُ ذلك لانهُ موكد عندي وعندك ان فيروزشاه وفرخوزادها في بلاد الشاه سرور وبقولك هذا تكون قد ارحت فكر الملك فيطهان باله وينعم عليك بالاموال الغزيرة وتخلصني انا ايضاً من غضب الملك وتكون قد فعلت معي جميلاً لا انساه الى الابد . وتكون ايضاً قد ساعدت فيروزشاه لانهُ ربما يكون في ضيقة فيسرع الملك في السوال عنهُ ومشاغلة . قال صدقت وذلك من الصواب لاني اوكد ان فيروزشاه سيقع في حرب الزنوج ليدافع عن عين الحياة ويبعدها من اعداها ويرضي بذلك اباها ولو كلفهُ هذا ان يرمي بنفسه الى اعماق المهالك والمخاطر

وبعد ان استراح شياغوس قليلاً في القصر سار مع طيطلوس وهما في حالة سرور الى ان دخلا الديوان فوجداهُ خالٍ من الملك واكثر الاعيان فجلس طيطلوس في مكانهِ واجلس شياغوس الى جانبهِ وارسل خبراً الى الملك ليحضر الى الديوان واعلم الرسول ان يقول لهُ ان رسولاً اتاه بخبر عن ابنهِ . فلما بلغ الملك ذلك نهض مندهشاً واسرع الى دار الاحكام فوجد المجلس قد غص بالوزراء والامراء والاعيان وكان قد شاع في دار الملك ظهور امر فيروزشاه فتسارعوا الى الوقوف على الامر الواضح ولما دخل الملك نهض الجميع وقوفاً وكانت تلوح على جبهة الملك سمة الفرح وهو لا يصدق ان يسمع خبراً مسراً عن ولده . وبعد ان جلس نهض شياغوس وقبل الارض بين يديهِ فهش في وجههِ وقال لهُ اوجز ايها الرسول واستهدف لوقوع انعامي عليك فان راحتي بيدك الان وكدري متعلق بك وبخبرك . قال ليس معي ياسيدي الا اخبار سارة وقد بلغني انك بانتظارها الساعة بالساعة . قال اخبرني ما وراءك وهل ابني فيروزشاه بخير وهل شاهدته مشاهدة عيانية وماذا قال لك قال اعلم ياسيدي اني رجل تعلمت النقش والتصوير وبرعت بهما براعة كلية واذ كنت اود ان اعرف رجلاً اعرف مني بهذا الفن اتخذت السفر مهنة فاصنع في بلاد وامسي بغيرها وانا افتش على الاثار القديمة والبنايات العجيبة وارسمها على اختلاف الانواع ففي هذه الايام كنت في تعزاء اليمن ضيفاً على بعض معارفي

وبعد ان اقمت فيها اياماً خرجت منها قاصداً هذه المدينة وقد مررت في طريقي على عدة عواصم وقرى وما تجاوزت نصف الطريق ووصلت الى سهل واسع مكسو بالاشجار والازهار الا وتبينت

فارسين يسيران طردًا فلما نظراني تقدما مني وكنت راكبًا على هجين فاستوقفاني وكان احدهما عليهِ من الهيبة والوقار ما يكل عن وصفهِ لساني وهو يعلو جوادًا من اجود الخيول التي رأتها عيني فسالني عن حالي ومن اي البلاد انت فاخبرتهُ اني ات من تعزاء اليمن وقاصد بلاد الفرس. فقال وهل نظرت بعينك بنت ملك ذاك البلد قلت نعم اني اعرفها وقد شاهدتها مرارًا. قال اتقدر ان تصفها لي فوصفتها لهُ كما كنت قد رايتها فلما سمع كلامي صفق من الفرح ورقص طربًا وقال هي هي بعينها واسمها عين الحياة. قلت نعم وقد اخذتني الدهشة من كلامهِ وعجبت من حالهِ وقلت لهُ ايضًا من اين تعرفها اهل رايتها ذات مرة. قال رايتها ثلاث مرات متواليات وذلك في حلم وقد دعتني وذكرت لي اسمها واسم ابيها و بلادها وشخصها لا يزال حتى الان يلوح بعيني. فقلت والى اين قاصد الان. قال اني اقصد بلادها الا اني خرجت من بلادي ولم اعلم احدًا واني انا فيروزشاه ابن الملك ضاراب وهذا فرخوزاد بن فيلزور البهلوان وقد خرج معي اكرامًا لي فلما تاكدت انهُ ابنك سجدت لهُ وتمنيت ان تكون عين الحياة لهُ لانها اجمل بنات الدنيا واعقلهن فقلت لهُ ياسيدي ان عين الحياة هي وانت هي فكلاكما موافق للاخر يصلح لهُ فكانكما واحد فوفق الله مساعيك و بلغك امالك وزادك مجدًا وجلالا. فانعم الي بما وصلت اليهِ يده وقال لي اريد منك ان تذهب الى ابي وتقبل مني اياديهِ وتخبره بحالي وتعلمهُ اني ما كتمت عنهُ هذا الامر الا حياء منهُ وخجلا من هيبتهِ وقل لهُ ان ينعم علي برضاه وان لا ينساني فاني سائر الى بلاد اجهلها قادني اليها حب عين الحياة الذي حاولت كثيرا ان ادفعهُ فلم اقدر فتاكدت ان ذلك فعل العناية الالهية وقد بعثتها لي في الحلم. فلما سمعت كلامهُ اجبتهُ بالسمع والطاعه وقبل ان فارقتهُ انشدني هذين البيتين

بلّغ ابي مني السلام وقل لهُ ان شاء ربي للديار اعودُ
فليرضَ عن ذنبي و يغفره لان برضاه تبيض الليالي السود

وكان طيطلوس قد علمهُ كل ذلك واوصاه بالحرص عليهِ. فاطمان بال الملك ضاراب وطرب قلبهُ فرحًا وافرغ على شياغوس سوابغ نعمهِ وغمره بجزيل العطا ووهبهُ الضياع والقصور وامر ان كل من احب فيروزشاه كافاه على بشارتهِ فتسابقت اليهِ العطايا حتى صار يعد من الامراء الفخام والاغنياء العظام. و بينما هو على مثل ذلك واذا بخادم الملكة تمرتاج قد دخل على الملك وقال لهُ انهُ قد وصل الى سيدتي الخبر ان رسولاً جاء من قبل ابنها ينذر بوجوده حيًا ويخبر بمكان اقامتهِ فتطلب اليك ان ترسلهُ اليها بما امكن من السرعة لان قلبها يغلي على نار الاستعجال فامر الملك في الحال ان يسير شياغوس اليها فنهض لوقتهِ وسار برفقة الخادم حتى دخل على الملكة فلاقتهُ ببشاشة وامرت ان يوتى لهُ بالشراب وسالتهُ عن ولدها فاعاد عليها ما كان قد اخبر بهِ زوجها من الاول الى الاخر فزال ما كان مستولي على قلبها من الحزن والكدر وزادت لهُ العطايا

وشكرتهُ على ايصال الخبر اليها

وكان ذلك اليوم يوم افراح على عموم الرعية الذين علموا بوجود فيروزشاه وقد كثرت الاقاويل من جهتهِ وجهة عشقهِ لعين الحياة وكذلك الملك فانهُ قال في نفسهِ لو اخبرني ابني عن امره واطلعني عن حبهِ لعين الحياة لكنت سعيت بنفسي الى قضاء مصلحتهِ وزوجتهُ بها وهو على سريره وبات تلك الليلة في هادس وهاجس لا يعرف كيف انتهت اليهِ حالة ولده وهل يقدر ان يصل الى محبوبتهِ وهل يظهر نفسهُ وان ظهر نفسهُ هل يجيبهُ الشاه سرور الى زواج بنتهِ وهو على تلك الحالة لا علم لابيهِ بهِ . وقد ترجح عنده ان الشاه سرور لا يزوجهُ بعين الحياة وهو على تلك الحالة ولا سيما وهي وحيدة في حسنها محبوبة جدًّا من ابيها وليس من الواجب ان تزوّج الا كما يزوّج الملوك اولادهم . وتلاعبت بهِ هذه الافكار تلاعب الريح الشديدة برفيع الاغصان فكانت تميلها من جهة الى جهة لا يقدر ان يعرف كيف تصرف ولده في هذا الامر وكان يفكر ايضًا ان ولده حكيما شجاعًا مقدامًا لا يخاف عليهِ من تدبير امره لا سيما وبرفقتهِ فرخزاد . ولما كان اليوم التالي دعا الملك قواده ووزراءه وقال لهم اني لا احب ان ابث رأيًا الا واستمده منكم بمشورتكم وذلك اني عولت على البحث والاستطلاع على حالة ولدي فباي طريقة يكون ذلك ومن يمكنهُ ان يقوم بمثل هذه المهمة فنهض فيلزور وقال ادام الله سيدي الملك اننا ما برحنا نخلص لهُ الراي وننظر في خدمتهِ بعين بصيرة وقد خطر لي هذا الخاطر من امس وفكرت بغلام عيار شجاع قادر على الوصول الى مطلوبنا وهو ان نرسلهُ الى بلاد اليمن فيرى لنا الحالة التي وصل اليها ولدانا وهل هما بخير ويمكنهُ ان يساعدهما اذا وجب الامر . قال الملك ومن هو هذا الغلام . قال هو بهروز ابن الغول وهو ان هذا الغلام قد ربيتهُ من نحو ١٢ سنة تقريبًا لان الوزير الذي ارسل مع الجواد الكمين من عند عمك ابي زوجتك قد وجده في البرية مع والدتهِ فسالها عنهُ فاخبرتهُ ان غولاً اغتصبها فاتت منهُ بهذا الطفل وقد اسكنها مغارة في البرية ولا تقدر على مبارحتهِ خوفًا منهُ فاستصحبها الوزير وابنها معهُ ولما نزل عليَّ وحكى لي قصة الغول عرفت ان هذا الغلام لا بد من ان يكون لهُ شان عظيم فاستوهبتهُ منهُ فوهبني اياه فاعتنيت بهِ وعلمتهُ ما هو لازم لان يكون شجاعًا عيارًا فخرج فوق ما كنت اومل وعمرهُ الان ١٢ سنة الا انهُ ضخم الجثة كبير الفعال لا يقدر الفحل الرجال ان يعمل اعمالهُ وحسبي ان اقول انهُ ابن غول وتربية فيلزور وكفى . فلما سمع الملك والحاضرون كلامهُ تعجبوا منهُ وقال الملك اريد منك ان تاتي بهذا الغلام . فاجاب وامر باحضاره فحضر وهو كبير الراس مجز الاعيان خفيف الساقين قوي الاعصاب حاد البصر . فوقف بين يدي الملك وبعد ان دعا لهُ بطول العمر والبقاء قال لهُ ان عبدك بهروز قد تشرف بين يديك الان ويسالك ان تندبهُ لخدمة او مهمة فاني اقوم بها على احب ما يشتهي وطالما كنت ارغب في

الوقوف بين يديك لتراني وتعهد اليّ بخدماتك وقد كان سيدي فيلزور يخبرني اني ساكون في خدمتك عمري بطوله وهذا الذي كان يسرني ويجعلني ان اجهد نفسي بالكد والجد لاكون على استعداد للقيام بخدمتك وها قد جاء اليوم المعين وابتدأ دور تشرفي بوجودي على الدوام عند اعتابك . فسر الملك جدًّا من فصاحتهِ وطلاقة لسانهِ وكاد لا يصدق انهُ ابن ١٢ سنة وبعد النظر اليهِ طويلاً وقد تعجب من حالتهِ اجابهُ اني دعوتك لامر مهم وفي مثل هذا الامر يمكنك ان تظهر لي حبك وخالص خدمتك لانك تعلم ان لا شيء اعز عندي من ولدي وهو غائب الآن عني وقد اخبرت انهُ سافر الى بلاد اليمن بطلب عين الحياة بنت الشاه سرور ولم اعرف شيئًا عن حالتهِ اثناء وجوده فيها اهو في بؤس ام في نعيم فاريد منك ان تذهب الى تعزاء اليمن تكشف لي الصحيح عن اخباره وتسرع الي بالوعد ولك مني جزيل الثناء ومزيد الاكرام . قال هذه خدمة كنت اطلبها فاصبتها لاني ارضيك واسرك واتقرب من سيدي فيروزشاه بواسطتها والزم خدمتهُ انما ارجوك ان تصحب معي رفيقًا يرافقني في سفري هذا ليعود اليك بالخبر لاني اذا تشرفت بمقابلة سيدي فيروزشاه لا يعود يمكني ان افارقهُ او اتركهُ وحده وان قلبي يحدثني انهُ في احتياج اليّ . فاستصوب الملك ضاراب كلامهُ وزاد عجبهُ من ذكائهِ فدعا شياغوس اليهِ وقال لهُ اريد منك ان تصحب بهروزًا الى بلاد الشاه سرور وتاتني بامر ابني ولك مني مزيد العطاء مع الثناء الجزيل فقال سمعًا وطاعة ففي الغد نهيء لوازمنا وما نحتاج اليهِ في سفرنا ونسير على بركات الله . ولما اجتمع شياغوس بطيطلوس قال لهُ اخاف من ان لا نتوفق في ما نحن ساعون بهِ فيغضب علينا الملك لا سيما اذا عاد فيروزشاه واخبره انهُ لم يرني قط ولا اخبرتهُ بشيء فتكون الاخرة اشر من الاولى . قال لا باس عليك من شيء ففيروزشاه هو دون ريب في بلاد عين الحياة وانت تعلم حالة المحب انهُ يرغب في البقاء بالقرب ممن يحب واي مكان يمكنهُ ان يقصد غير ذاك المكان ولهُ فيهِ قلب خفوق بين الرجاء والياس فكن مطمئنًا فهو في بلاد الشاه سرور انما لا اعلم ان كان بخير او بشر ومتى اجتمعت بهِ احك لهُ ما كان منك ومن ابيهِ وقل لهُ اني لما وجدت ابوك في انون من الحزن وقد انقطع عن الناس وعن الديوان ووقعت البلاد في بحار من القلق والاضطراب قصدت تسكين الحال لعلمي انك ما فارقت اباك وتوملك الا لاجل عين الحياة وبذلك يكون فيروزشاه مسرورًا منك حبًا براحة ابيهِ لا سيما وانك تعلم من بادىء بدء بامره وانت الذي حنقت لهُ الامل بعين الحياة واخبرتهُ بمكان وجودها وانت الذي بذرت في قلبها بذر حبهِ واوصلت لها حبهُ فلا يكافيك الا بكل شيء حسن فقط عليك ان تخبر بهروزًا وانتما في الطريق بصدق الواقعة وتعلمهُ انك ما نظرت فيروزشاه في الطريق وان كلامك هذا كان من قبيل الظن والتخمين حتى اذا ما تيسر لكما ان تقفا على خبره في تعزاء اليمن ليرافقك الى غيرها والامل ان تعودا

بخبر عنهُ

وفي اليوم الثاني سار الاثنان وهما بهروز ابن الغول وشياغوس وقد لبسا ملابس العيارين وتقلدا بالخناجر من تحت الثياب واصحبا ما يلزمهما من معدات السفر بعد ان ودعا الملك ووعداه بكل جميل وانهما لا يعودان باذن الله الا وهو معهما او ياتيانهِ بخبر منهُ . ولما كانا في الطريق وقد جلسا على بساط الارض لاجل الاكل والراحة قال شياغوس لرفيقهِ من حيث الان قد تمكن الود بيني وبينك وقد آكلنا الزاد معًا يجب ان اطلعك على سر هذه المسالة لتعلم يقينًا ما في باطنها وظاهرها لا سيا وان غايتنا واحدة وهي الوقوف على خبر من جهة فيروزشاه وفرخوزاد فعدني بالاصغاء والمعذرة اذا وجدت خطاء في عملي . فقال اني اعدك بكل ما انت ترجوهُ وان كان في هذا الامر سرٌ خفي اطلعني عليهِ لنكون على بصيرة من عملنا ونعرف الطريق المودية الى الصواب والى نجاح مسعانا . قال اني لم ارَ فيروزشاه كما اخبرت الملك عيانًا انما كان من الامر ما هو كذا وكذا ثم حكى لهُ حقيقة الامر وكيف انهُ جاءهُ الى القصر وشرح لهُ قصة عين الحياة وكيف صور الصور وجعلها سبيلاً لوصول معنى جمالهِ لها وكيف وقعت بهواه من جرى ذلك وقد عاد ليعلمهُ بها فلم يجده وقد علمهُ طيطلوس ان يقول ما قالهُ اي انهُ صادفهُ في الطريق وقد ترجح عندهما انهُ سار الى بلاد اليمن وكان ذلك نتيجة اطمئنان الملك واهداء روعهِ . فقال بهروز لقد اصبت بعملك هذا فان فيروزشاه هو دون ريب في بلاد اليمن لانهُ ربما كان قد استبطاك فخاف من احباط مساعيك او ربما لم يمكنهُ حبهُ الزائد الحد من الصبر الى حين رجوعك فتاثرك قصد الاجتماع بك هناك فيكون قريب الاستخبار عن معشوقتهِ . واني اشكرك على فعلك هذا لانك لو لم تقل ما قلتهُ للملك لما كان بعثني الى هذه الخدمة وقلدني مهمة هي من اكبر المهمات لانني مرسل الى حضرة من يحبهُ قلبي كثيرًا واتمنى ان اكون دائمًا بين يديهِ وهو سيدي فيروزشاه حبة كل عين وهذا جميل لا انساه لك طول الحياة . وانا الان على يقين من انهُ هو عند عين الحياة او بالقرب منها وان مهمتنا هذه ستكون حسنة النتيجة محمودة العقبى . فاطمان شياغوس لكلامهِ واثنى عليهِ وتاكد عنده حسن عملهِ وسلم امره الى الله في حسن الختام ثم عادا الى المسير يطويان الارض كشحًا وينشران اجنحة المسير سرعة وتعجيلاً حتى قربا من تعزاء اليمن ولم يبقَ بينهما وبينها الا مسافة يومين فقط اذ لم يقع لهما عائق في الطريق . وبالقضاء والقدر ان عين الحياة كانت قبل وصولهما الى المدينة بيوم قد رات حلمًا فانتبهت مرتبكة الفكر منهُ ودعت اليها بنت قهرمانتها شريفة وقالت لها اني رايت في المنام ان طيرين قد خرجا من ايران العجم يقصدان بلادنا وقد وجهت نظري اليهما فوجدتهما يمدان باعناقهما اليَّ وهما يقصدان الجهة التي انا واقفة فيها وكانهما يطلبان الي ان اخبرهما عن امر فيروزشاه فاستيقظت قبل ان اقدر ان اجيبهما بشيء . قالت ان الهادس الذي يستكن دائمًا في دماغك

يريك ما هو مثل هذا الحلم مما يتعلق بالحبيب وربما كان ذلك تنبيهاً لك لانهُ قد طلب اليك ان توصلي خبرهُ الى ابيهِ فشغلت عن ذلك وانعكفت على البكاء والنواح عوضاً ان تسعي فيما فيهِ يخف ويلهُ ويرتفع الاذى عنهُ فلو كنت بعثت من اول الامر من يوصل الخبر الى ايران لكان تدارك الملك ضاراب امر ابنهِ وربما هو باقٍ للان في قيد الحياة فيسعى في خلاصهِ وقد اخبرتك كثيراً ان تنزعي عنك هذا الياس وتهتمي في ما فيهِ نفع حبيبك . قالت صدقت ولكني متأكدة ان الاعداء لا يبقون عليهِ ومنتظرة ان اعرف شيئاً من امره فان كان قد قضي عليهِ فاميت نفسي واكون قد وفيتهُ حق الصحبة وإذ ذاك لا فائدة في اخبار ابيهِ اذ نكون قضي علينا ولا بد من بعدنا ان تقوم الحروب بين الملك ضاراب وبين ابي فمنع هذا الخبر عن الملك ضاراب خير الا اني اظن ان ابنهُ باقٍ في قيد الحياة اذ لم يصل الينا خبر باعدامهِ وضميري لا يزال يحاربني من هذا القبيل فاني كلما قصدت ان اقنع افكاري بان الملك هوزنك لا يبقي عليهِ ساعة يراجعني ضميري ويخطئني ويرجح لي بقاءهُ حياً والان قد عزمت ان اخرج الى خارج المدينة بقصد النزهة عساي اجد مخبراً او ارى احداً يقصد ايران فابلغهُ الخبر قالت لها ان ذلك في الامكان فاستاذني بذلك من ابيك واننا نخرج بك ويمكنك ان تفعلي ذلك في كل يوم حيث تبقين على ذلك مدة ايام وفي اثنائها لا بد من الوقوف على امر جديد . فبعثت عين الحياة ودعت اباها اليها فحضر وقبلها في جبينها وقد تعجب من دعوتها اليهِ في مثل ذلك الوقت فقالت لهُ اني اريد منك ان تسمح لي بالخروج الى النزهة خارج المدينة فاني في ضيقة صدر وقد خطر لي ان ذهابي يوماً بعد يوم ربما يخفف عني ما انا واقعة بهِ فما صدق ان سمع كلامها حتى اجابها اليهِ وقد اوعب قلبهُ فرحاً لانهُ كما تقدم انهُ كان يحبها حباً شديداً وكان ما يراه فيها من الحزن والكآبة دون ان يعلم لذلك سبباً شغل لهُ بالهُ من نحوها وكلما يراها منقطعة يزيد همهُ واجتهد في معرفة الحقيقة فلم يقدر ان يفهم منها الا انها منحرفة الصحة ضيقة الصدر دون ان تعرف هي بنفسها لذلك سبباً ولما سالتهُ في الخروج انعم واجاب وقال لها مري باي وقت فاني اعد لك المعدات وابعث في صحبتك المغنيات والخدم والماكل الطيبة والمشروبات . قالت اني لا اريد شيئاً من ذلك فاني ساخرج بملابس الرجال بحيث لا يعرفني احد واصحب قهرمانتي فقط وخدمي انما اريد منك ان تسمح لي ان اركب الكميت الذي بقي عندك من بعد فيروزشاه واني لا اقصد البعد عن المدينة انما اقصد التجول في ساحاتها ورياضها لازيل عن صدري هذه الضيقة وقد وصفوا لي هذا الجواد فربما اجد شاغلاً يقعدني عن حالتي الحاضرة . قال اليك ما تطلبين وانك لا تنكرين عظم حبي لك ورغبتي في راحتك واطمئنان بالك

وبعد ذلك بنحو ربع ساعة لبست عين الحياة ملابس الرجال وتقلدت بسلاح فيروزشاه

الذي كان قد اخذ منهُ وركبت على جوادهِ الكميت المسرج بالسرج المذهب المزركش بانواع الجواهر حتى كان يخطر لمن لا يمعن النظر فيها انها من اولاد الملوك العظام ويلوح لمن يراها من بعيد وكان يعرف فيروزشاه انها هي نفسهُ لا فرق بينهما وخرجت من ابواب المدينة وهي تضرب باعينها الى جهة البر ومن حولها خدمها وجوارها وكان ابوها قد بعث بخمسة من قوادهِ وامرهم ان يخرجوا كحراس عليها فيقيمون في مكان بعيد عنها بحيث يرونها واذا رأوا ما يكدرها او دعتهم اليها فيسرعون لحدمتها ويكونون على تيقظ فلما خرجت طلبت ان يفرق الجمع عنها ونزلت في مكان عند قارعة الطريق يبعد عن المدينة مقدار ثلاث ساعات وكثير من خدمها طلب التوسع والصيد وكذلك الامراء وقد وجدوا البر امينًا لا خوف على عين الحياة من حادث اما هي فانها كانت في شاغل وارتباك وعيناها تجولان في تلك الفسحات تنظر تارة الى اليمين وطورًا الى الشمال ولا زالت على مثل ذلك وكلما لاح شبح من بعيد تتوهم انهُ من الذين ياتونها الاخبار فتحضرهم اليها وتسالهم عن احوالهم الى ان نظرت غبارًا مسردقًا فوق هجينين يعلوهما فارسان غريبا الشكل فانعطف قلبها اليهما وترجح عندها انهما من جهة بلاد فارس فدعت خادمها وقالت لهُ اريد منك ان تسرع الى هذين الرجلين وتدعهما اليَّ اي قل لهما ان ابن الشاه سرور يريدكما وهو نازل في هذه الناحية واتني بهما حالاً واياك من ان يفوتاك فاسرع الرجل نحوهما الى ان استوقفهما وقال لهما ان سيدي يدعوكما اليهِ وقد اوصاني ان ابلغكما سلامهُ ويرجوكما ان تحضرا عندهُ فانهُ يرغب ان يراكما . قالا من يكون سيدك قال هو ابن صاحب هذه البلاد اي ابن الشاه سرور وقد خرج اليوم للنزهة فراكما منفردين فاراد النظر في امركما حتى اذا كنتما تحتاجان امرًا قضاه لكما . فسارا معهُ وقد نظرا الى جهة عين الحياة فتبين لهما انها ذات ظرف ووداعة وقبل ان يصلا اليها بقليل كاد بهروز ان يصرخ على غير وعي وقال لشياغوس الا ترى ان هذا الرجل هو فيروزشاه وهذا جوادهِ الكميت . قال اني كنت اتردد في ذلك انما لم يتاكد عندي هذا كون الرجل قال لنا انهُ ابن الشاه سرور انما اقول لك بالتحقيق ان هذا الشاب هو نفس عين الحياة بنت الشاه سرور لان شخصها من حين رايتها لا يزال مرسومًا في ذهني لا يتغير منهُ ولو تزيت بالف زي انما العجب كيف ان جواد فيروزشاه معها وهي لابسة غير ملابس النساء فهذا لا ريب مما يوكد لنا وجودهُ عندها فيجب اذًا والحالة هذه ان لا نكتم عنها امرًا علها توصلنا اليهِ فنخبرهُ بحالة ابيهِ وبلادهِ انما لا يجب ان نظهر لها اننا عرفناها قبل ان نرى ما يكون منها ونسمع ما تخبرنا به عن سيدنا ولم يكن الا كلمحة بصر بعد ذلك حتى وقفا بين يديها وقد حياها باسنى التحيات وقدما لها فروض التعظيم والتبجيل فامرتهما ان يجلسا الى حجر بالقرب منها فجلسا ثم سالتهما من اية البلاد هما واي البلاد يقصدان وقالت لهما ما دعوتكما الا بعد ان تاكدت انكما من الاعجام واظن انكما من ايران العجم

فقال لها بهروز نعم اننا من تلك النواحي وقد اتينا بطلب حاجة من هذه الديار . قالت قولا عن حاجتكما فاني ربما اقضيها لكما او اوصلكما اليها . قال لو لم نتاكد من انت وتظهر لنا حالتك لما كان في وسعنا ان نطلعك على امرنا . قالت من انا ومن اين عرفتماني . قال شياغوس اعلمي ياسيدتي انني انا راسم تلك الصور التي هي الان عندك وانت نفسك عين الحياة وقد رايتك يوم اخذت الصورة بيدك من الشجرة ولا يزال شخصك يلوح لعيني فلا يستره عني ثوب الرجال ولا غيره فبالله عليك ان تخبريني عن فيروزشاه ابن ملكنا اهل هو بامان عندك لان اباه من اجله على مقالي الجمر لا يسر بشيء الا بالاخبار عنه فهو وحيده وقد هجر ملكه وسلطانه وترك لذات الدنيا وانقطع عن مواجهة الناس بعد بعده وقد رايناك هنا فسررنا بلقيانا بك . فقالت لهما بعد ان ابعدت عنها كل الخدم ولم يبقَ قريبًا منها الا شريفة حيث قد وصلتما اليّ قبل ان تدخلا المدينة وعرفتماني تبين لي ارادة العناية والان اخبركما عن فيروزشاه الخبر اليقين واني كنت بانتظاركما الان لان الله قد ارسل لي في الحلم انكما آتيان اليّ فشغل لذلك بالي وطلبت من ابي الخروج الى هذه الناحية على امل ان ارى من اودعه الخبر وقد وصلتما اليّ ابان حاجتنا اليكما . قال بهروز اخبرينا واوجزي بالمقال فاننا قد فرغنا صبرًا . قالت اعلما ان فيروزشاه هو الان اسير في بلاد الملك هورنك ولا اعلم ماذا جرى عليه بعد غيابه عنا . ثم اخذت عين الحياة في ان تشرح لهما بالتفصيل ما توقع لها مع فيروزشاه وما توقع له ايضًا من حال دخوله في حدود اليمن الى حين تسليمه الى هورنك وحكت لهما بطشه بالاعداء وقتله بيروز وميسرة واجلاء العساكر الحاصرة المدينة عنها وقتل هولنك وكان اتيًا بطلبها وشرحت لهما ايضًا ما كانت قد سمعته عنه من الخواجه ليان اثناء سفرها في البحر وفي البر . قال فلما سمع بهروز هذا الكلام انسكب الدمع من عينيه وقال لعين الحياة ان اباك قليل التدبير عديم الامانة فهو غادر ظالم . قالت ما لنا والفكر فيما مضى فلننظر في تدبير الحال ونرى ماذا يكون من امر ايصال الخبر الى الملك ضاراب باسرع وقت . قال بهروز اني عزمت على ان اطرق بلاد السودان واتسبب بخلاص سيدي ولا عدت ارجع الى بلادنا الا وهو معي وقد خطر لي ان اعيد شياغوس الى ايران ليطلع الملك ضاراب على ما وقع على ابنه علّه يسير في طلبه فاذا كان لا يزال حيًا يرجعه والا ياخذ بثاره . قالت هذا هو الصواب انما اريد ان اكتب كتابًا الى الملك ابي حبيبي واخبره بكل ما توقع وادفعه الى شياغوس يوصله اليه . قال اكتبي الكتاب في هذا النهار فلا بد من السفر حالاً . وفي الحال عادت عين الحياة الى المدينة ومعها شياغوس واما بهروز فانه ودعها ولم يقبل ان يدخل المدينة بل قال اني لا اضيع ساعة ربما تنفع في خلاص سيدي وسار يقصد بلاد الزنوج وسوف ناتي على خبره فيما ياتي ان شاء الله وقد حملته عين الحياة كتابًا الى فيروزشاه سياتي ذكره وكتبت كتابًا الى الملك ضاراب تقول فيه

من عين الحياة المسكينة المفارقة الى الملك ضاراب ملك بلاد العجم المتعبد لذات الله

بعد السلام عليك وتقديم الاحترام اليك اخبركم ان سيدي فيروز شاه دخل هذه البلاد وفي نيته أن يتخذني زوجة له وكان وهو في طريقه قد رافق احد وكلائي وحامل بضاعتي الخواجه لبان فقهر الزنوج في البحر وحده وقاد مراكبهم اسيرة الى حوزتنا واتى القلعة الجميلة وكان بها عاصيان يقال لهما قاطر وقطير وقد اهلكا كثيرًا من عساكر ابي وتمردا عليه وقطعا الطريق حتى استفحل امرهما فاسرهما وجاء بهما اسيرين ولما قرب المدينة وجد عساكر العجم وعساكر الزنوج محيطة بها على وشك فتحها وذلك ان الشاه روز ابن الملك كشمير خطبني من ابي فأبيت وابى فاستنصر علينا الزنوج فقصدتنا من كل صوب ففرق ابنك تلك العساكر بنحو ثلاثة ايام وقد قتل بيروز وميسرة اخوي طومار ودخل المدينة مكرمًا ومبجلاً وهو يدعي بانه مملوك من بلاد اليونان وقتل اثناء ذلك هولنك ابن الملك هورنك الزنجي لما علم انه جاء ليخطبني من ابي وقد احبه لفعله هذا كل فؤاد ابي وعموم رجال اليمن الا طيفور وزير ابي فانه كان يوشي باذن ابي عليه الى ان حدث حادث وذلك ان اللصوص كانوا يقصدون قصر ابي المقيم فيه ابنك وقتل لذلك جملة من العبيد فقصد ان يكشف بنفسه هذا الامر مع رفيقه فرخوزاد فاتهموهما باللصوصية وقبضوا عليهما بعد ان اوقعوا بالعساكر واهلكوا منها عددًا غفيرًا وكان يخطر لابي ان يطلقهما فمنعه طيفور وقاده الى قتلهما بداعي انهما يقصدان الايقاع بعرض الملك . ولما جاء هورنك يطلب ثار ابنه وقد ضايق المدينة وكاد يدخلها عنوة جمع ابي مجلسه واستشار رجاله فيماذا يفعل فشار عليه الشاه سليم ان يطلق فيروز شاه وفرخوزاد ويرد اليهما سلاحهما و يستعين بهما على الاعداء فيدفعانهم ويجليانهم عن المدينة فعول على هذا الراي مخوفة منه طيفور واخذ على نفسه عهدة المصالحة بهما مع الاعداء وكان اذ ذاك قد عرف ان احدهما ابنك والاخر ابن فيلزور البطل المشهور وعلى ذلك قد سلم ابنك ورفيقه الى هورنك بداعي انهما هما اللذان قتلا ابنه فاخذهما وسار عنا قانعًا بهما و بالمال الذي دفع اليه من ابي و بعد مسيره لم اعد اعلم شيئًا عن فيروز شاه وكنت قد زرته مرارًا وخطبني من نفسي فعاهدته على الولاء وحفظ العهد وكان قبل وقوعه في يد ابي عوّل الى الرجوع اليك ليسالك في ان تخطبني من ابي ولما كان اسيرًا في يد ابي وقد عزم على ارساله الى هورنك زرته في سجنه تحت سواد الليل فشكا اليّ ثقل الحالة التي واقع فيها وقال لي ان كل ذلك قصاص لي من الله حيث

انتهى الجزء الثاني من قصة فيروزشاه

و يليه الجزء الثالث عما قليل ان شاء الله

الجزء الثالث

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

خرجت من بلدي دون علم ابي فكانني خالفت طاعتهُ وكنت اخبرتهُ اني مزمعة على قتل نفسي فمنعني وقال لي لا تخافي فان الله لا ينتقم مني الى حد الموت لان ابي من رجالهِ نفيٌ حافظ على طاعتهِ فلا يظلمهُ بان يفجعهُ فيَّ وقد سالني ان اوصل خبره اليك واستنهضك الى اغاثتهِ واستعطفك الى مغفرة ذنبهِ الا اني كنت قليلة الصبر ضعيفة الامل فانطرحت على فرش الاحزان انتظر الاخبار المكدرة لانتقم من نفسي وفي ليلة امس حلمت بان طيرين خرجا من ايران وقصدا مكان اقامتي وهما ينظران اليَّ وقد مدا بعنقيهما نحوي فاستيقظت مضطربة وخرجت الى الخارج بعيدة عن المدينة لاصدق الخبر فكان الامر كما رايت في حلمي لاني ما لبثت ان صادفت النقاش شياغوس وبهروز فاعلمتهما بكل ما كان من امر سيدهما فاسرع الثاني الى بلاد هورنك الى خلاص سيدي ابنك والثاني عزم على الرجوع اليك فاصحبتهُ بهذا التحرير ملتمسة اليك المعذرة والصفح عن ابنك ومستغيثة بك للاسراع لخلاصهِ والاجتماع بهِ باقرب وقت لانهُ لا يخفاك ان اولاد الملوك والامراء لا تزال تتقاطر على ابي بطلبي وانا اردهم بالخيبة والفشل وانما اخاف من ان تخرب بلاد ابي بسببي وياخذوني سبية فدبر بحكمتك ما تراه حسنًا وانقذني من شر هذه الورطة الوبيلة مع المحافظة على شرفي وناموس ابي والسلام

ثم طوت هذا التحرير وختمتهُ وسلمتهُ الى شياغوس وقد ارتاح بالها نوعًا واملت الخلاص من يد المصائب اذ قد القت بثقل حملها على عاتق غيرها وباتت تنتظر الفرج من الله سبحانهُ وتعالى واما شياغوس فانهُ ركب على ظهر هجينهِ وكان قد ابقاه خارج البلد واطلق لهُ عنان الجري فخرج كالريح قاصدًا مدينة ايران ولا زال مجدًّا في المسير حتى دخلها ووقف بين يدي الملك ضاراب واخذ يشرح لهُ كل ما كان من امره وامر بهروز وما سمعهُ من عين الحياة ثم دفع اليهِ تحريرها ففضهُ وقراه وجعل يبكي من فواد حركتهُ محركات الحنو فنزل عن كرسيهِ وجلس على الارض وقد عظم عليهِ الحال وزاد بهِ المصاب فتقدم منهُ وزراؤُه فرفعوه وطلبوا اليهِ الصبر والنظر في عاقبة الامر وتدبيره وان لا يعطي نفسهُ طلبها من الحزن . وقال لهُ فيلزور ان الاهتمام بامر ولدك وولدي بوجه السرعة مما يكفل لنا ارجاعهما الينا واننا نشكر الله على كل حال وقد اوصل الينا خبرًا عنهما بعد ان كنا لا نعلم في اي ارض هما ولا نقدر على السير الى مساعدتهما . فنهض الملك حزينًا كئيبًا لا يعرف الحالة التي وصلت الى ابنهِ وهو في بلاد الزنوج اهل قضي عليهِ ام لا يزال

حيًا وما استوى الملك جالسًا الا وانجبك من جانبيهِ مجلسهُ ودار بهِ رجال الشورى وجعل كل منهم يبدي رأيًا بامر ابن الملك ورفيقهِ وقد اجمع رأي الجميع على السير الى بلاد هورنك وتخليصهما ومن ثم يأتون الى تعزاء اليمن فيبطشون بالشاه سرور ويزفون عين الحياة عليهِ غصبًا عنهُ ويخربون بلاده على راسهِ واذ ذاك نهض فيلزور وقال اني ارى ان لا بد من المسير على كل حال انما لا خفاكم ان بهروز قد سار الى بلاد هورنك لخلاص فيروز شاه واني على اتم يقين انهُ ان ادركهُ حيًا ينتشلهُ ولو كان في اعماق السجون وقد فكرت اننا بينما نجمع الجيش برمتهِ ونعد العدد والمؤن يكون قد مضى على ذلك وقت طويل وارى من الموافق ان نبعث بتحرير مع عمار من عياري بلادنا الى الشاه سرور نطلب منهُ ان يتسبب في خلاص فيروز شاه قبل قدومنا عليهِ واننا واصلون اليهِ بعد ايام فيباشر الحرب قبلنا ونهدده بعساكرنا و نعلمهُ اننا مصرون على خراب بلاده واجباره على احضار اولادنا مثلما سلمهم للاعداء فان اجاب فلا نظلمهُ ونتفق معهُ على خراب بلاد الزنوج ونزوج فيروز شاه ببنتهِ برضاه واختياره هذا اذا كان بهروز لا يتوفق في سفره واني ازيدكم تاكيدًا اننا لا نصل الى بلاد اليمن الا وفيروز شاه فيها واذا قصد الشاه سرور عداوتنا واصر على العناد قلعنا اثاره وخربنا دياره واخذنا بنتهُ بالرغم عنهُ . فاستصوب الجميع هذا الراي واخذ الملك ضاراب فكتب الى الشاه سرور ما ياتي

باسم الله من الملك ضاراب ملك بلاد فارس الى الشاه سرور ابي عين الحياة وسيد بلاد اليمن

قد وصلتني الاخبار وطرق مسامعي ان ابني فيروزشاه طرق بلادك مع رفيقهِ فرخوزاد وذلك انهُ كان قد راى في نومهِ شخص بنتك عين الحياة ثلاث مرات في ثلاث ليال وقد سألها عن نفسها فاخبرتهُ بامرها ولهذا عشقها ورغب في زواجها دون ان يراها وقد سار من بلادي دون علمي والا لو اعلمني بحالهِ لكنت ازوجتهُ بها وهو في حجر مملكتي لان من فضلهِ تعالى ملكنا واسع ومالنا غزير وهيبتنا واقعة في قلوب ملوك الارض باجمعها . وما دخل ابني بلادك الا بعد ان قاسى بسببك شر الاهوال ودافع عنك دفاع المحب الصادق حتى حفظ لك شرفك وناموسك وصان عرضك ومنع بلادك من الدمار ونفسك من الاستئسار ولما تعدى اللصوص على قصرك قصد يكتشف بنفسهِ عنهم ويقودهم اليك كما قاد اليك قاطرًا وقطيرًا فاجتمع عليهِ جيشك ومسكوه وعزمت على قتلهِ ولم تتذكر جميلهُ معك ونسيت تخليصهُ لبلادك وكنت اولاً لا تعلم انهُ ابني ولما عرفت انهُ من سلالة ملكية كان من الواجب ان تراعي حرمة الملوك ونطلق سبيلهُ وتتخذه لك معينًا ونصيرًا بل اتبعت مشورة وزيرك طيفور الوخيمة والقيتهُ في اسرك الى ان جاءك هورنك منتقمًا وحاصر مدينتك وقد نصحك الشاه سليم نصيحة مخلص وشار عليك ان تفك فيروز شاه وفرخوزاد

وتسليم اليهما سلاحهما فيدفعان عنك هورنك ولو كنت عاقلاً لقبلت منه نصيحته واتخذت الملك سنداً متينًا لا يتزعزع مدى الايام لكنك غششت بكلام طيفور وسلمتهما الى هورنك وفي ظنك انك تخلص من الملك ضاراب بعد ان نضيع له ولده مع اني لو كنت جاهلاً مثلك لسرت في الحال الى بلادك وانتقمت منك جزاء فعلك مع ولدي ولكني بعثت اليك بهذا التحرير كي لا اظلمك في ما عولت ان اجريه وهو انك تذهب امامي الى بلاد الملك هورنك وتسعى في خلاص ولدي ورفيقه اما بالقوة واما بالسياسة وتخوف الملك هورنك من باسي واذا تخلص ولدي فاريد ايضاً ان تزفه على بنتك عين الحياة فهي التي حملته الى سلوك هذه المخاطر ومقاساة هذه الاثقال . وان ابى هورنك فباشر الحرب معه الى ان اوافيك فاني عما قليل سانهض من مكاني رافعاً راية النصر فوق رؤوس جيوشي وقد عزمت ان ادوخ ممالك اليمن واذلها واسير الى هورنك واجعل عليه الصياح يقام من كل ناح لانه كافر بدين الله سبحانه وتعالى لا يراعي حرمة الدين ولو كنت انت من العاقلين وتعرف فضله تعالى لما سلمت المؤمنين الى الكافرين بل اتكلت عليه وخلصك ونصرك والسلام مني فكن حكيماً لا تكن جاهلاً

وبعد ان فرغ من التحرير قال اريد من يوصله الى الشاه سرور على اجنحة السرعة . فقال طيلوس ان عندي غلاماً قد ربيته وهو من اكبر العيارين حسن الراي عالي الهمة اسمه شبرنك فهو ياخذ هذا التحرير ويسير به ويأتيك بالجواب قبل ان تنتقل من هذا المكان . ثم دعا بالغلام فحضر بين يدي الملك فاعجبه جدًّا ودفع اليه الكتاب وقال له اريد منك ان تعجل في مسيرك تنتظر لي ماذا يكون من امر الشاه سرور فقال سمعًا وطاعة واخذ الكتاب من يد الملك بعد ان قبلها وودع الباقين وخرج يجد في سيره واقام الملك بعده يجمع جيوشه ويرتب قواده ويهيئ لوازم حملته ويدبر امرها . ولم يمض على ذلك الايام قليلة حتى دخل شبرنك بلاد اليمن فلم يلتفت الى يمين ولا شمال ولا مال الى جهة بل اسرع بالوصول الى ديوان الشاه سليم ووقف بالباب واستاذن بالدخول عليه وان يعلموه ان معه تحريرهم فاراد عيار الشاه سليم واسمه هلال ان يمنعه من الدخول وطلب ان ياخذ منه التحرير فيوصله بنفسه فلم يسلمه اياه بل قال اني ماذون ان لا اسلمه الا ليد الشاه سرور واخذ منه الجواب اما كتابة واما شفاهاً فاستاذن له فدخل والديوان كامل فوقف في وسطه واخرج الكتاب وناوله ليد الشاه فاخذه وامعن فيه فوجده مختومًا بختم الملك ضاراب سيد بلاد فارس فعلم انه يتعلق بمسئلة ابنه فدفعه الى طيفور يقراه علنًا فتناوله منه وفض ختامه واستصغى الجمع الى قراءته وقراه من الاول الى الاخر والجمع برمته صاغ يسمع كلام الملك ضاراب وما منهم الا من خاف عاقبة الامر وايقن بالخراب والدمار الا طيفور والشاه سرور فانهما لم يتأثرا لهذا الكلام بل زادهما كبراً وحنقًا وعتوًّا ولم يلتفتا الى سلامة قلب الملك ضاراب . ولا ندما

على فعلها وقال الشاه سرور ايكاتبني الملك ضاراب بمثل هذا الكلام و يلومني على تسليم ابنهِ للزنوج مع انهُ هو نفسهُ خصمهم وقاتل ابن ملكهم و يتهددني وقد غاب عنهُ اني ملك واسع البلاد مثلهُ كثير الاجناد مسموع الكلام و ينسب الي الجهل والتعدي مع اني ما تعديت عليهِ بل ابنهُ دخل بصفة جاسوس مرتدٍ ثياب الغش فلم يطلعني على امرهِ بل سكن داخل قصري وفي نيتهِ الوصول الى بنتي بغير طريقة الزواج الشرعية وبزعم انهُ جاء بطلب بنتي مع انهُ لم يخطبها مني ولا علمت بذلك قبل الان ولو سالني فيهِ لمنعتهُ منهُ وهو على تلك الحالة و يدعي انهُ يعبد الله تعالى مع اني اعلم ان عموم الفرس يعبدون الشمس ويسجدون للنار ذات الشرار. وقال طيفور ان هذه الكتابة لا يكتبها سيد الى عبدهِ ولا مالك الى مملوكهِ كانهُ يظن انهُ الحاكم علينا والامر فينا حتى يامرنا ان نسير الى بلاد هورنك لنخلص لهُ ولدهُ ومن اين نخلصهُ لهُ وهو قد ذاق امرّ كاس وقضي عليهِ من زمان وما دام فيروزشاه قد مات فلا نخاف الملك ضاراب ولا جيوشهُ ولا قوادهُ بل ان كان كما يدعي من قوة السلطان وعظم المهابة فليذهب الى الزنوج بنفسهِ وياخذ لابنهِ بالثار من اعداه لانهُ هو الذي قتل ابن ملكهم فقتلهُ بهِ وهذا حق عادل لا نتعلق بهِ نحن وما كان اغنانا عن دخول فيروزشاه الى بلادنا من الاول انما ما جاءنا بهذه الاسباب كلها وقاد الينا هذه الصعوبات وعادانا مع الملوك وجلب الينا الحروب الا الخواجه ليان الذي استوزرتهُ وانعمت عليهِ على قبيح فعلهِ واني اشور عليك ان تقتل الخواجه ليان جزاء على فعلهِ لانهُ سلك معنا سبيل المكر والخداع واخفي عنا حالة فيروزشاه وادعى انهُ مملوك اشتراهُ من بلاد اليونان لخدمة عين الحياة وكان في نيتهِ ان يسلمهُ الى عين الحياة ليقيم عندها وفي يدها ولاشك ان غايتهُ ان يخطفها و يسير بها الى بلاده ويجعلنا معيرة عند كل قاعد وقائم. فاهاج هذا الكلام غضب الشاه سرور وحركهُ الى الانتقام من الخواجه ليان وامر في الحال ان يؤتى بهِ وكان غائبًا عن الديوان فاحضروهُ مهانا الى بين يدي الشاه سرور فقال لهُ اتتذكر ان ما جلب الينا هذه الويلات الا انت وقد اخفيت عنا امر فيروزشاه وادعيت انهُ مملوك وقد استوجبت الاعدام على قبيح فعلك هذا. فرجف قلب الخواجه ليان الاَّ انهُ اعان ضعفهُ بمواعيد الشاه سرور السابقة وقال لهُ لم يكن من قصدي ان اغش سيدي الشاه ولا امكر بسيدتي عين الحياة وما اخفيت امر فيروزشاه الاَّ خوفًا منهُ لانهُ تهددني بالقتل ولا يخفاك ان من كان مثلهُ يهاب ويخاف ولم يكن في ظني انهُ ابن ملك وانت تعلم اني صادق لستي عين الحياة واريد الان ان اذكرك بوعدك لي من انك تسامحني بارتكاب الجرائم الى حد الثلاث مرات فهذه واحدة منها ومن كان مثلك لا يقول ويخلف بقولهِ. قال اني امنع عنك القتل الان انما لا اعفوك من القصاص بل يجب ان تبقى في السجن الى حين تنتهي هذه الامور ويقع الاتفاق فيما بيننا وبين الملك ضاراب. ثم امر ان يزج باعمق السجون وتقام المحافظة عليهِ فاقتادوهُ الى السجن واقام فيهِ

وسوف ياتي عنهُ كلام . واما شبرنك عيار الملك ضاراب فقد تكدر من كل ما سمع وقال للشاه سرور اريد منك ياسيدي ان تامرلي بالجواب فاني مزمع على الرجوع في الحال الى سيدي وهو بانتظاري . قال لاجواب عندي الاما رايت وسمعت فاخبر سيدك بكل ما سمعتهُ وقل لهُ ان ابنهُ قتل ابن هورنك وهورنك اخذ بحقهِ عن ولدهِ ونحن لادخل لنا بينهما و يامرنا بان نسير الى استخلاص ولده فلسنا نحن تحت امرهِ ولا نخافهُ ولا نهابهُ

فخرج شبرنك من ديوان الشاه سرور متكدر الخاطر وسار عائدًا الى بلادهِ مسرعًا في سيره لاينام الليل ولا النهار ولا يقيم في مكان حتى دخل ايران باسرع ما يمكن من الزمان فوجد الجيوش قد تجمعت والرايات قد نصبت والبلاد ترتج من كثرة السلاح والكل على اهبة الاستعداد فدخل على الملك ضاراب وهو في مجلسهِ فتعجب من حضورهِ كل من حضر وسالهُ عما كان من سفرهِ وكيف عاد مسرعًا وكادوا لايصدقون انهُ دخل تعزاء اليمن واوصل الرسالة الى الشاه سرور. فحكى كل ما توقع لهُ من البداية الى النهاية وكيف ان الشاه سرور ينقاد الى عمل وزيره طيفور وانهُ سجن الخواجه ليان بسبب فيروزشاه . فقال الملك ضاراب واين جواب التحرير الذي سلمتهُ اياه قال لم يعطني جوابًا بل قال لي بلغ مولاك كل ما سمعتهُ ورايتهُ مني وقد خرجت من ديوانهِ متكدر الخاطر وفيما كنت سائرًا في المدينة كان يجتمع اليَّ الناس و يحكون عن سيدي فيروزشاه و يشكرونهُ على عملهِ فانهُ خلص لهم بلادهم من الاعداء وارواحهم و يلومون الشاه سرور و يلعنون طيفور بكل شفة ولسان وما منهم الا من يظهر حبهُ لدولتنا ولفيروزشاه وقد سالوني ان ابلغك ان لاذنب على احد من كل بلاد اليمن الا على الشاه سرور ووزيره . وانهُ ان كان في نيتهِ ان ينتقم لابنهِ فيكون منهما ولاذنب على البلاد ولا على احد منهم . فقال الملك اني اعلم ذلك ولابد لي من كسر شوكة هذا العاتي الذي لا يراعي حرمة الملوك وقد عمى قلبهُ جهلهُ حتى لم يتنازل الى مجاوبتي فسوف اريهِ من يكون منا الرابح ومن الخاسر . ثم التفت الى طيطلوس وقال لهُ من حيث قد تجمع عندنا جيش الحملة وهو اربعمائة الف مقاتل ما بين فارس وراجل فانهض وسر امامنا في المقدمة وخذ معك ثمانين الفًا من نخبة الجيش واني اسير بعد ذلك في اثرك بحيث اقيم وكيلاً عني واودع الملكة وان وصلت قبلي الى بلاد اليمن فباشر الحرب فيها ولا تنتظرني بل افكر اني في اثرك ولا تضيع فرصة ما تقربنا الى اليمن وتوصلنا الى الاستطلاع عما كان من امر ولدي وفرخوزاد واني اشكر الله حيث لم اكن المتعدي على الشاه سرور ولا قصدت اذاه قبل ان وصل شره الينا وتعمد اذانا ومما يزيدني يقينًا بسلامة ولدي رحمة الله جل جلالهُ فانهُ يعلم انهُ وحيد لي واني لم اذنب ضده ذنبًا ليفجعني بهِ فهو يحامي عنهُ و يدفع كل ضيم بالحق بهِ . انما اوصيك ان لا تظلم احدًا في طريقك ولا تقهر احدًا ولا تتعدى على احد اي انك تامر الجيش الذي معك بالمحافظة على حقوق العباد وان

يد فعولاً ثم كلما يشترونه في طريقهم من المدن والقرى وكل مكان وصلتم اليه فانذروا حاكمه بالطاعة فان اجاب فاقيموا معه عهداً وان ابى فحاربوه واخلعوه واقيموا مكانه بشرط ان لا تضروا باحد من الرعايا وارعوا حرمة النساء فلا تسبوا ولا تستبيحوا ولا تنهبوا . فنهض طيطلوس امتثالاً لامر الملك وخرج بعد ان قبل يده ووعده ان يكون على الخطة التي يريدها منه وانه ان لم يحاربه الشاه سرور لا يتعرض له بل لا يحاربه الى ان يحضر وركب على جواده وامر الجيش بالركوب فركب ثمانون الف فارس نظير مقدمة جيش فارس ورفعت الاعلام وخفقت البنود وتسابقت العساكر وكلهم يتمنى الوصول الى بلاد اليمن والى بلاد هورنك لخلاص فيروزشاه ملكهم المحبوب لانه كان عندهم بمنزلة اولى يرون الموت اسهل من فراقه عنهم وكان مع الجيش بهمنزار قبا وهو من الجبابرة اصحاب البطش والبسالة وخرج الجيش متكلاً على الله قاصداً بلاد اليمن واقام الملك ضاراب يستعد للرحيل على اثره ببقية الجند المتجمع . فهذا ما كان منه واما ما كان من الشاه سرور فانه بعد مسير شبرنك وقع في الياس والندم ولام طيفور على عمله وقال له قد فعلت بنا الحق فعلاً شنيعاً فانه كان من اللازم ان نصطحب مع الملك ضاراب ونتخذه عوناً لنا وندفع عنا البلايا والحروب لا سيما وان الناس في قلق واضطراب يخافون وقوع الحرب ويهابون عساكر الفرس لانهم اشداء اصحاب اقدام محبين لملكهم وما من احد في مملكتي الا ويحب فيروزشاه ويتذكر فعله . فقال له كن مطمئن البال فان الذل من شيم الانذال ونفس الملوك تابى الانقياد الى العار فادفع عنك الوهم واستعد للدفاع ومتى جاء الملك ضاراب عدلنا امرنا معه فاما ان نحاربه واما ان ندفعه بالحيلة ونصلح امرنا معه لانه رجل عادل حكيم لا يحب سفك الدماء وهلاك عباد الله مع عظم بطشه واقتداره وابواب الحيل امامنا واسعة فعليّ تدبير امره ودفعه عن مملكتك فارتاح لذلك قلبه وبات على استعداد ينتظر ما يكون من الملك ضاراب وما يصل اليه من اخباره

ولنرجع الان الى فيروزشاه وفرخنزاد وهما في سجن الصعلوك وقد تركناهما فيه يعبدان الله ويتكلان عليه في خلاصهما وقد وعدهما السجان بالخلاص لما علم انهما من ابناء الملوك وكان فيروزشاه يعده دائماً بانه اذا خلصهما يهلكان هورنك ويقيمانه ملكاً على بلاد الزنوج وهو يعدهما من يوم الى يوم وكان ينتظر ان يسمع بسفر هورنك لانه كما تقدم كان في نيته ان يرجع الى بلاد اليمن لينتقم من الشاه سرور ووزيره طيفور حيث قد لعبا بعقله فتاخر سفر هورنك ولذلك تأخر خلاص فيروزشاه وفرخنزاد وكانت كل ليلة تمر على فيروزشاه اطول من سنة وهو يفكر بامر محبوبته عين الحياة اهي باقية في الحياة ام قتلت نفسها وهل ارسلت خبراً الى ابيه ام لا وان ارسلت خبراً الى ابيه لا بد له من ان ياتي الى نعزاء اليمن فيدمرها وينتقم له من ابيها وبذلك تتكدر محبوبته وتصعب عليها الامر فيحمله هذا الظن على الاضطراب والكدر وتمنى ان يكون

في بلاد اليمن ليرى ما هو واقع فيها الان باب السجن كان يمنعهُ وقيدهُ الحديدي يثقل عليهِ وقد تذكر قول القائل

عجبت لمسراها وانى تخلصت الي وباب السجن دوني مغلقُ
المت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم لشيءٍ ولا اني الى الموت افرق
ولا ان نفسي يزدهيها وعيدكم ولا انني بالمشي في القيد اخرق
ولكن عرتني من هواك صبابة كما كنت القى منك اذ انا مطلق

وكانت الذكرى تقيمهُ وتقعدهُ وهو يتقلب الافكار ما بين محبوبتهِ عين الحياة وابيها وابيهِ وقد طال عليهِ المطال وهو في السجن وكلما دخل عليهِ الصعلوك يسالهُ ان يفي الوعد كما تقدم ويقول لهُ وعدتك ان اطلقت سبيلنا اقمناك ملكًا على هذه البلاد وكنا قتلنا ابن هورنك نقتلهُ ونريح الناس من شره ويوكدان لهُ المواعيد وان الاله الذي يعبدانه يساعدهما على ذلك فان تدبير امر العباد بيده وكان السجان الصعلوك يتاكد منهما ذلك

وفي ذات ليلة من تلك الليالي التي كان بها فيروزشاه وفرخوزاد اسيرين وهما في حالة الضجر والملل حلم الملك هورنك حلمًا ازعجهُ واقلقهُ وهو انهُ راى نفسهُ في برية منفردة وجولة بعض من عبيده وغلمانهِ واذا باسد كبير ضخم الجثة افطس الانف هجم عليهِ وعزم ان يبطش بهِ فجاولهُ الى ان راى نفسهُ مغلوبًا معهُ ففر منهُ وقصد الاختفاء من امام عينيهِ واذا باسد اعظم من الاول واكبر جثة قد لاقاه من الجهة الثانية فهجم عليهِ وانشب اظافره في صدره والقاه الى الارض واقام فوقهُ فلاحت منهُ التفاتة فوجد الاسد الاول قد افترس الذين معهُ فانتبه مرعوبًا متكدرًا وخاف من عاقبة هذا المنام ان يكون ويلاً عليهِ ووبالاً على مملكتهِ . وفي الحال دعا اليهِ رئيس مفسري الاحلام عنده وقص عليهِ خبر الحلم وقال لهُ اريد منك ان تفسر لي هذا الحلم الذي رايتهُ باجلى وضوح وتفصل لي ماذا يكون من امر هذين الاسدين ولا تخف عني شيئًا وكان الرجل عالمًا بهذا الفن خبيرًا بهِ فاطرق الى الارض برهة ثم رفع راسهُ وقال اريد من سيدي الملك ان يمنحني الامان فان الحلم حلم سوءٍ انما اذا تداركتهُ نجوت وتخلصت من شره وانك قادر على ذلك بوقت قريب فلا يصل بعونهِ تعالى اليك ضرٌ قال قد امنتك على نفسك فاحك ما تبين لك في الحسبان وما هو مزمع ان يحدث بي وفي مملكتي وبين لي الاسباب الواقعة التي يجب عليَّ اتخاذها . قال ان الاسدين هما الاسيران اللذان كنت قد هممت على قتلهما واعدامهما وابقيتهما في قيد الحياة وذلك لعظم سعدهما لانهما سيتخلصان من الاسر ويعاد اليهما سلاحهما فيقتلانك فهذا ما تبينتهُ واني اشور عليك براي حسن ان تكتب تحريرًا الى السجان صعلوك تامرهُ بالتضييق عليهما وان في نيتك

اعدامهما ثم تسير بنفسك اليهما فتقتلهما وترتاح بعد ذلك من شرهما وتتغذى بهما قبل ان يتعشيان بك . قال صدقت اني اخطأت في ابقائي عليهما فما هما الا عدوان مملكتي وما هي الفائدة ياترى من البقاء عليهما

ثم اخذ ورقة وكتب كتاباً الى حاكم جزيرة الطيا يقول له فيه اني كنت قد بعثت اليك قبلاً باسيرين من البيض كنت قد اتيت بهما من بلاد الشاه سرور واوصيتك ان تبقيهما في السجن عند السجان صعلوك تحت المحافظة والترسيم والان حيث تذكرت جريمتهما فقد حنمت على قتلهما ففي الغد اسير اليك للقضاء عليهما فاسهر على المحافظة واياك من ان يفرا قبل ان احضر اليك والا قتلتك مكانهما فهما اللذان على ما حكى لي الشاه سرور قد قتلا ابني وكيف كان الحال قتلهما ضروري حيث وطدت العزم بعد اسبوع ان اسير الى بلاد اليمن للانتقام من صاحبها ولا اريد ان اترك هذين الاسيرين في قيد الحياة خوفاً من تخلصهما بل يجب اعدامهما قبل سفري

ولما وصل هذا التحرير الى الحاكم المذكور استدعى بالصعلوك وقال له ان الملك هورنك سياتي في الغد الى هذه الجزيرة لاجل اعدام الاسيرين اللذين سلمتك اياهما منذ امد قريب فحافظ عليهما حق الحفظ لئلا يغضب منك . قال هما لا يزالان عندي يقاسيان اشد عذاب مضيق عليهما كل التضييق . وكان لما سمع صعلوك هذا الكلام تكدر خاطره فخاف على فيروزشاه وفرخوزاد ان يصل اليهما الملك ويقتلهما قبل ان يتمكن من خلاصهما وبعد ان فارق الحاكم سار اليهما واخبرهما بكتاب الملك وانه في صباح اليوم الثاني ياتي الجزيرة لاجل اعدامهما . فقال له فيروزشاه الى متى هذا المطال فقد وعدتنا بالخلاص فانجز بوعدك والا هلكنا واتى الملك الينا بغتة وانفذ حكمه فينا على اننا لو كنا مطلقين الحرية وكان بيدنا سلاحنا لكنا قادرين على الفتك به وبكل عساكره . فقال لهما لا بد لي في هذه الليلة من خلاصكما ولو ذهبت روحي فداء عنكما فاما ان اقتل معكما واما ان انجو معكما فشكراهُ على فعله واوصياهُ ان ياتيهما بسلاح وبجوادين يركبانهما فوعدهما وانصرف عنهما وباتا بعدهُ في هادس وهاجس لا يصدقان الخلاص ولا النجاة من القتل لان السجان طالما وعدهما ولم ينجز بوعده وقد قال فيروزشاه لفرخوزاد لا زالت المنية تقرب منا ثم تبعد عنا ولا نعلم في هذه الليلة ان كان يفي لنا الصعلوك بوعده او يخلفهُ كالعادة واني ارى فيه من الجبن والخوف ما يثبت لي رجوعه عن قوله مع انني متاكد انه صار من عباد الله الصالحين وقد قبل ديننا من كل قلبه وانعكف على صلاتنا وحفظ فروضنا واني من ذلك في حيرة . اجاب فرخوزاد ان الله الذي حفظنا الى هذه الساعة هو قادر على تاخير اجالنا واطلاق سراحنا وارجاعنا الى بلادنا وان كان يصعب على الصعلوك امر خلاصنا فلا يصعب على الله سبحانه وتعالى فلنسلم اليه امرنا ولا بد ان يجري بين اليوم والغد عجائب

ثم سجدا لله عزوجل ورفعا صوتيهما اليهِ بالاستغاثة وصليا فروض الصلاة وقد ارتاح بالهما الى الخلاص وهما ينتظران قد وم الليل بفروغ صبر الى ان دنى ومضى قسم منهُ دون ان ياتي الصعلوك وكانت كل دقيقة تمر عليهما بمقام سنة واعينهم تضرب الى جهة باب السجن وكلما سمعا حركة يخفق قلباهما من الفرح و يظنان ان الوقت قد حان لعلمهما انهُ اذا طلع الصباح وهما في السجن يقضى عليهما لا محالة او يقعان في مصيبة اخرى تطول لاجلها مدة سجنهما وطال عليهما المطال وهما على ما تقدم حتى جاء نصف الليل ومضى ما بعد النصف بساعة فكادا يقعا في الياس وقطع الرجاء وقد قال فيروزشاه ها قد قرب الصباح ولم ياتينا الصعلوك واظنهُ لا ياتنا بعد ولا لهُ عين ان يقرب منا او ينظر الينا بل تركنا الى تدبير التقادير و يمكن ان يقضى علينا ولا نراه بعد فهو جبان يخاف من الموت او هو عديم الثقة بنا من اننا نقدر ان نفي لهُ بوعدنا او نخوفوا واياه من هذه البلاد وما اتم كلامهُ حتى فتح باب السجن وانسل اليهما الصعلوك يحمل لهم السلاح الكامل فكادا لا يصدقان باتيانهِ وقد تبين لهم وجه الخلاص وقالا لهُ قد ابطات علينا قال ان تاخيري الى هذه الساعة كان هو لاجل ان اتيكما بالسلاح والخيل ثم اخرج من جيبهِ مفتاح القيود ففكها واطلق لهما الحرية التامة ودفع اليهما السلاح فاخذاها وفيروزشاه بمزيد فرح لا يوصف وما صدق ان اخذ السيف بيده حتى تراأى ثير الاسود وارتاح بالهُ الى الفتك باعدائهِ وقال اني بعونهِ تعالى اشعر الان اني قد ملكت الدنيا باسرها وقد انتقمت من اعدائي وملكت عين الحياة فاسالهُ تعالى ان يوصلنا قريبًا اليها والى ابي وكان ما يتخلل فكره من ان تكون عين الحياة قد قتلت نفسها لانقطاع خبره عنها يوقعهُ في القنوط ويتمنى معرفة الغيب ليعلم ما هو حاصل هناك ثم تعود فتجدد قوتهُ و يطمان بالهُ عندما يفكر انها لا تزال حية وانهُ اوصاها ان لا تفعل شرًّا بنفسها قبل ان تتاكد حق التاكد موتهُ وهذا لا يمكن ان تكون قد تاكدتهُ لعدم وقوعهِ ولا بد ان تكون قد بعثت من قبلها من يسال عنهُ في بلاد الزنوج فيبلغها خبر سجنهِ والبقاء عليهِ . وكان يحق الركون اليها ويتاكد علاء همتها وانها لا تفتر عن اتخاذ الطرق لتسهيل الاستطلاع على اخباره وتبليغ ابيهِ عن حالهِ املاً بخلاصهِ فهذا الفكر كان يزيد نشاطهُ . وبعد ان امتلك السلاح تقلد بهِ وقفز كالغزال الى خارج السجن يتلقى وجه السماء الذي صرف ايامًا لا يراها وهبوب النسيم الذي ما مر عليهِ منذ ايام و بعد ان صار في الخارج ومن خلفهِ فرخزاد قال للصعلوك اتبعني لترى بعينيك ما سمعتهُ باذنيك واستعد لتكون حاكمًا على كرسي هورنك فانك في الامس كنت صعلوكًا سجانًا وفي الغد تصبح ملكًا مطاعًا فقال لهُ ارجوك ياسيدي ان تنظر في طريق الخلاص فقد احضرت ثلاثة افراس نسير بها و نبعد عن هذه البلاد فهالك. ولما تقول فان الملك هورنك رجلٌ جبار وجيشهُ كثير واخاف ان تقعا في يده مرة اخرى فلا يبقى عليكم ولا يعود يتسهل لكما الخلاص كما تسهل الان قال

كيف اذهب من هذه البلاد وابقي على الملك هورنك فلا تخاف من شيء واتبعنا الى قرب الشاطي لترى ما يكون من امرنا ومن الملك عند قدومه

وبعد ذلك ساروا الى جهة البحر واقاموا هناك بانتظار الوقت المعين لاتيان هورنك ومن معه ولم يكن الا القليل حتى اشرق وجه الصباح وانكشفت مستورات تلك النواحي فنظر فيروزشاه الى جهة البحر فراى مركبًا آتيًا يخترق المياه يقصد جهة الجزيرة فقال ان هذا المركب يحمل الملك ويسرع به الى سوق المنية فهو يظن بنفسه انه ات للانتقام منا ولا يعلم اننا بانتظار الانتقام منه . وقد استعد كل منهما الى القتال وقد مالا عن جهة الشاطي الى جهة ثانية وصبرا نحوًا من ساعة حتى رست السفينة وخرج منها هورنك ورجاله ونزلوا البر وكان حاكم الجزيرة اعد لهم الخيول ونزل لملاقاتهم وحالما راه الملك وكان في خوف عظيم على نفسه من جرى الحلم الذي تقدم ذكره قال له الا يزال الاسيرين في السجن قال نعم وهما تحت الحفظ والترسيم الى ان تامر بقتلهما او تسليمهما اليك قال لا بل قتلهما لاني ما اتيت الا لاعجل في ذلك ويرتاح بالي من جهتهما ثم عزم على المسير واذا بفيروزشاه وفرخوزاد قد وقفا في طريقه وكان يتقدمه جماعة من العساكر فقالوا لهما وقد ظنا انهما من زوار الجزيرة الغرباء ويلكما الا سمعتما باتيان الملك فانزلا عن جواديكما الحان يمروا خدماه كغيركما فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام قال ويلكم اولاد اللئام ايظن ملككم انه ينجو من سيف فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد الفرس وتلك البلاد ثم اخترط سيفه وصاح وهجم وفعل فرخوزاد كفعله وقد اضطربت لفعلهما تلك الحشائد وصاح هورنك وقد وقع الرعب في قلبه اقتلوهما واريحوني من شرهما وقد ثبت عنده خلاصهما وبات ينتظر القبض عليهما وقد شاهد منهما افعال مردة الجان لانهما باسرع من لمح البصر فرقا الرجال من حوله وابعداهم عنه ومال فرخوزاد فيهم وانفسح فيروزشاه اليه وصاح فيه وقال له ويلك ايها الظالم الغاشم اتظن ان الدهر يطيعك ويخدمك فلو كان كذلك لكنت قتلتنا من حين وقوعنا في يدك انما الله قصد خلاصنا لغاية له فاستهدف لوقوع المنية واعلم اني انا فيروزشاه ابن الملك ضاراب قاتل ولدك ومحرق كبدك انا حبيب عين الحياة وقد خلصت لاعدمك الحياة ثم فاجاءه بضرب احر من لهيب الجمر فالتقاه هورنك وقد طمع فيه لما راه صغير الجسم وهو كالعصفور امام الباشق الجسور ولم يعلم ان فيروزشاه هو فارس ذلك الزمان ونجيبه وانه اخف من اللولب في الدوران فتجاولا وتضاربا وتوسعا في المجال واتسع بينهما القتال وكان فيروزشاه يقاتل وشخص عين الحياة يلوح له ويطلب اليه ان يعجل على خصمه ويسرع فيزيد نشاطه ويشتد باعه حتى مضى على ذلك نحو ساعة من الزمان وفرخوزاد مع العساكر في قتال ونزال وقد اهلك منها قسمًا كبيرًا والقى الرعب في قلوب الباقين ولولا رجاؤهم بملكهم لطلبوا الفرار تخلصًا من المنية وطمعًا في البقاء وفي تلك الدقيقة

سمع صوت انهزت له الجزيرة فمالت في البحر ميلان المركب عند اشتداد الانواء وكان صاحب الصوت هو فيروزشاه وقد استطال على خصمهِ وانعبهُ وضايقهُ ورفع يده بالحسام وصاح هاك ضربة قوية مصحوبة بالمنية . من يد فيروزشاه . حبيب عين الحياة وطوحهُ بالسيف فخرج من كتفهِ كالسهم واخترق صدر الملك هورنك فارداه قتيلاً يخبط بدماه وقد وقع على الارض كانهُ طود من الاطواد فارجف لذلك قلب جميع المشاهدين ولا سيما الصعلوك فانهُ كان الى جانب الميدان ينظر من بعيد ماذا يكون وكان في اول الامر خاف العاقبة الا انهُ اخيرًا كاد يطير من الفرح وقال في نفسهِ انهما صادقان فيما يقولان ولا بد لي من ان اكون الحاكم عوض هورنك وقد شاهده وقع الى الارض جديلاً . ولما قتل هورنك تتطايرت رجالهُ هربًا تطلب الخلاص فادركها فيروزشاه وقد رفع ضرب السيف عنهم ونادى فيهم لاتخافوا ولا تجزعوا فانكم ان اطعتم سلمتم فاننا لا نريد لكم شرًا وما قصدنا الى الملك هورنك فمن اطاع وامن بالله سبحانهُ وتعالى عفونا عنهُ وامناه على نفسهِ ومالهِ ومن تمرد وعصى وتبع طرق المكاره اهلكناهُ والحقناه بملكهِ فاختاروا لانفسكم احدى الطريقين واعلموا ان ليس من قصدنا ان نحكم في بلادكم او لنا مطمع عندكم فما غايتنا الا خلاص انفسنا وقد حصلنا عليهِ واننا سنقيم حاكمًا عليكم منكم . فلما سمع المتاخرون كلامهُ وفهموا وقد اطمانت قلوبهم وهدأ روعهم نوعًا ولا سيما وقد نظروا الى فيروزشاه فوجدوه واقفًا لا يتاثر بهم وتاكدوا في كلامهِ وجه الصدق وكان اكثرهم يتمنى الخلاص من الملك هورنك وظلمهِ لانهُ كان يستعبدهم ويستبيح اموالهم ونساءهم . فعادوا اليهِ صاغرين وقالوا لهُ اننا اتيناك مطيعين سامعين فافعل معنا ما انت فاعل . وكان فرخوزاد قد اسر قائد جيوش الزنوج وهو الامير ميمون وكان قد شاهد حرب فيروزشاه في بلاد اليمن عندما قتل هولنك وبدد رجالهُ وهرب مع الهاربين وشاهد ايضًا فعلهُ بهورنك هذه المرة فمال الى الاصحاب معهُ وان يكون على وفاق من امره . فلما سمعهُ قال اني لا افعل بكم شيئًا ولا اريد منكم الا ان تعبدوا الله وتتبعوا سنتهُ وتحافظوا على شريعتهِ وتقلعوا من بينكم العباداة الباطلة وتستاصلوا من بينكم جرثومة الغدر والتعدي وان تحبوا بعضكم وتتركوا مزية النهب والسلب والسبي فمن كان منكم على هذه الطريقة نال سعادة الدارين ومن امتنع فليس لهُ الا الهلاك والموت . قالوا اننا لا نعصى لك امرًا ولا نخالف لك قولاً فاعرض علينا هذه العبادة وعلمنا سننها لنحفظها . قال اني ساقيم عليكم الصعلوك ملكًا وقد تعلم هذه العبادة فيعلمكم اياها لانهُ هو الذي خلصنا من السجن وقد حتمنا على ان نكافئهُ حق المكافاة واريد منكم ان تقبلوه ملكًا وتنادوا باسمهِ وتبايعوه لاجل معروفهِ معنا

وكان الصعلوك لا يصدق ان يسمع مثل هذا الكلام ولا يتصور في عقلهِ ان يكون ملكًا في مكان هورنك . ولما سمع الحاضرون اجابوا بالقبول وقالوا اننا لا نعرف الان حاكمًا فينا الاك فاننا

تنادي باسمك ومن اردتهٔ انت فائقهٔ علينا . ثم قال فيروزشاه لميمون اذهب امامنا انت وتون حاكم جزيرة الطيا واخبر واهالي الجزيرة فمن قبل ان يترك عبادتهٔ الباطلة ويتبع عبادة الحق اجرناهُ وصار كواحد منا ومن امتنع منعنا فيهِ سيوفنا وقلعنا منهُ الاثار . فقال لهُ ميمون عليَّ باطاعة الجميع ثم سار الى اواسط الجزيرة وهو يدعو الناس اليهِ حتى اجتمعوا من حولهِ افواجًا افواجًا وهو في وسطهم وكان جميعهم يعلمون بسالتهُ وما لهُ في البلاد من رفيع المنزلة ونفوذ الكلمة . واذ ذاك قال لهم اعلموا يا اهالي جزيرة الطيا انهُ لسوء الحظ قد اسر الملك هورنك في جزيرتكم رجلين كان في نيتهِ قتلهما وقد جاء في هذا اليوم لاجل ذلك الا ان لهذين الاسيرين الهٔ عظيم الشان قدير جبار فسبب لهما الخلاص فنجيا من السجان وبما اعطاهما الله من القوة والشجاعة اهلكا هورنك كما اهلكا ابنهٔ هولنك قبلاً وقتلا قسماً كبيراً من رجالهِ وكنا نظن ان لهما غاية طمعٍ او يرغبان بالانتقام فظهر خلاف ذلك لان في قصدهما الرجوع الى بلادهما وقد قصدا اقامة السجان الصعلوك ملكًا ورئيسًا على البلاد وهو واحد منا فقبلناه الا ان جل ما يطلبانهِ منا ان نتعبد لالههم ونتعلم ديانتهم وقد عرضا عليَّ ذلك فوجدتهُ عين الصواب وبهِ الحق وان الههم هو اكبر المعبودات واقدرها يسمع ويجيب وهو يرى ولا يُرى وبعد ان امنا على نفوسنا بعثانا اليكم لنعرض عليكم ذلك فمن كان طائعًا واجاب صاغراً يبقى امينًا على نفسهِ ولا يمساه بضر ومن خالف ذلك اوقعا بهِ وقتلاه وربما احرقاه بالنار واني انذركم ان تجيبوا الى طلبهما وتتركوا عبادة الاحجار والنار فليس فيها من فائدة . فلما سمعوا قولهُ وتاكدوا انهُ صار هو من المؤمنين بالله قالوا اننا لسنا بافضل منك مهما عملت عملنا واي عبادة عبدت عبدنا ومن اطعت اطعنا وفي تلك الاثناء وصل فيروزشاه ومعهُ فرخوزاد فقدموا منهُ وسلموا عليهِ وسالوه العفو عنهم والرضا فاجابهم وقد سرَّ بهم جدًّا وامرهم ان يبايعوا الصعلوك ففعلوا وعظموا قدره وبجلوه وقد رفعوه على جواد من الخيل الجياد وهو يفاخر ويباهي كانهُ كسرى او قيصر او كانهُ ملك وابن ملك واذ ذاك التفت الصعلوك فوجد عساكر الزنوج مقبلة من اعالي الجزيرة فالتفت الى فيروزشاه وقال لهُ اعلم يا سيدي ان عساكر الزنوج قد تجمعت واتت وعليها حمدون اخو ميمون واظن وصل اليهِ الخبر انهُ قتل اخوه فجاء لياخذ بثاره وكان كذلك لان اثنين من الذين هربوا عندما قتل هورنك تطايرا في الركض لا يلتفتان الى ما وراءهما حتى قطعا الجزيرة ووصلا الى اعاليها الى مقام حمدون وهما لا يصدقان بالنجاة فسالهما عن الخبر فاعلماه بما كان من امر هورنك وقتلهِ ونعيا اليهِ اخاه وقالا لهُ ان الاسيرين لم يبقيا على احد من كل من كان مع هورنك فطار الشرار من عينيهِ عند سماعهِ بقتل اخيهِ واستعد في الحال دون تاخير واهمال واخذ معهُ ما كان عنده من الخيل واسرع الى الجهة التي فيها فيروزشاه وقبل ان يصل راه الصعلوك كما تقدم فقال فيروزشاه سرانت الى ملاقاة حمدون مع الحاكم واعرض

عليهِ الدخول في طاعة الله والرجوع عن الضلال واذكر لهُ من وجوب انقياده لحكم الصعلوك فان اجاب كان خيرًا والا فيكون لومهُ على نفسهِ قال ميمون اني كافل لك هذا الامر فلا تتكدر منهُ . ثم تقدم مع حاكم الجزيرة حتى التقيا بحمدون وسلما عليهِ ففرح عندما نظر اخاه حيًا وقال لهما ماذا جرى وابن الاخصام . فقال لهُ الامير ميمون لا قدرة لك على ملاقاتهم فدع عنك ما انت فيهِ فان الخصم هو فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وحاكم ايران وهو داهية دهماء لا يثبت امامهُ فارس ولا تهمهُ الجيوش كثرت او قلت وقد اتفقنا معهُ ودخلنا في دينهِ لما تأكدنا انهُ دين الحق ولعلمنا ايضًا اننا ان كنا تحت رعاية هذا الهمام الباسل يكون لنا الخير العظيم وقد علمنا الشريعة التي يرتاح اليها الضمير ويستكن البال واننا ننصحك ان تنضم الينا وتفعل كفعلنا وتتقدم اليهِ معتذرًا وتكون من رجالهِ ولا تعاند فتخسر وتندم حيث لا ينفع الندم . قال اني ما جئت الا وقد تأكدت انك قتيلاً وحيث وجدتك حيًا فلا رغبة لي في القتال فسيرا امامي واعرضا دخولي على هذا الرجل الباسل الذي تذكرونهُ فان نفسي قد مالت اليهِ قبل ان اراه وان كنت عالمًا انهُ من غير جنسنا وانهُ من البيض اعدائنا . وكان ميمون يتكلم مع حمدون وفيروز شاه واقف في مكانهِ ينتظر الى ما يكون وقد استعد الى قتالهِ وان يفتك برجالهِ ان عصى او امتنع عن قبول ما يعرض عليهِ ولما راه قد جاء وليس عليهِ من ظواهر القتال دليل فرح وترحب بهِ ووعده بكل جميل وكذلك رجالهُ وكل من كان معهُ

وفي مدة قليلة اصبح كل من يسكن الجزيرة يعبد الله ويتبع سنتهُ وطاب الحال للصعلوك فانهُ انتظم في سلك الملوك وعومل كمعاملتهم وصار يعهد اليهِ بالمسائل الخطيرة والحكم فيها فكان فيروز شاه يدربهُ ويدبره ويريهِ ابواب الحق وقد علم انهُ لا يحسن السياسة الا بالتعليم والتاني فكان ملازمًا اياه في كل اوقاتهِ وميمون وحمدون اخوه اقاما بين يديه ريثما استقر حال الجزيرة وهدأ بال فيروز شاه نوعًا واستراح ثم نهض وطلب الى الاميرين ان يذهبا معهُ ومع فرخوزاد والصعلوك الى العاصمة وهي جزيرة الطبور بحيث تطيع المدينة ويقام الصعلوك فيها ويروق الحال ويذهب من هناك الى تعزاء اليمن ليرى ما هو حاصل فيها فاجابهُ الجميع الى طلبه ونزلوا المركب وسافروا فيهِ حتى انتهوا الى المكان الذي يقصدونهُ فنزلوا من المركب وصعدوا البر وكان في المدينة اميران اخران ممن كان يركن اليهم هورنك وهما طيل وطيلا فلما بلغهما قدوم المركب تقدما الى الشاطىء لملاقاة فيروز شاه ومن معهُ وكانا قد علما بقتل هورنك فلم يعصيا ولا خالفا بل قبلا ان يطيعا وقد وقع الرعب في قلوب الزنوج وخافوا ان خالفوا يهلكون ولم يروا اوفق من الطاعة والتسليم والانقياد . فسلم طيل وطيلا على فيروز شاه وقدما اليهِ طاعتهما وسارا امامهُ وكان يسير والى جانبهِ الصعلوك والاهالي تنادي امامهما لا ملك الا فيروز شاه ابن الملك ضاراب صاحب

السيف والعلم ولا دين الا دين الله خالق الليل والنهار فكانت الناس تتقدم افواجًا للسلام عليهِ الى ان دخل الديوان وجلس الى جانب الصعلوك واجلس الصعلوك في مكان هورنك وكان كلما جاءه احد من الاعيان والامراء يقول لهم ان الصعلوك هو الحاكم والمالك من قبلي على هذه البلاد فيجب على كل منكم ان يقدم لهُ الطاعة ويخدمهُ كملك لانهُ عمل معنا معروفًا كبيرًا ولولاه لكنا الان في مصاف الاموات فحياتنا هي لهُ اذ سخره الله لذلك فكان كلهم يجيبون سوالهُ ويبايعونهُ حتى راق البال ولم يعد مانع في وجه الصعلوك . ودام فيروز شاه على ذلك نحو خمسة ايام

قال وفي ليلة اليوم السادس تذكر محبوبتهُ عين الحياة وبعده عنها كل هذه المدة دون ان يصلهُ خبر منها وربما لم يصلها خبر عنهُ فهاج بهِ لاعج الشوق وتمنى ان يطير الى تلك البلاد ليراها ويبل شوقهُ من النظر اليها فلم ينم بل بقي ساهرًا يردد اقوال الشعراء وينشد ما قيل

نأيٌ وشيكٌ وانطلاقُ　　وعليك شوقٌ واحتراقُ
الموت عندي والفرا　　قُ كلاهما ما لا يطاقُ
يتعاونان على النفو　　س فذا الحمام وذا السباق

وكانت حالتهُ

زفراتٌ مقلقاتٌ　　اسعدتها العبراتُ
وعويل من غليل　　اضرمتهُ الحسراتُ
ونحيب ووجيبٌ　　ودموع مسبلاتُ
وتباريح اشتياقٍ　　وهمومٌ طارقاتُ
وفوادٌ مستهامٌ　　جننتهُ الوجناتُ

ودام كل تلك الليلة يتقلب شوقًا الى عين الحياة ويتمرمر من فراق ابيهِ وامهِ وكيف فارقهما دون ان يودعاه ولا نظراه وماذا يا ترى جرى عليهما وهل لا يزالان في الحياة ام قضي على احد منهما وكانت المصائب قد زادت في قلبهِ الرقة والحنو وعلمتهُ ما كان يجهلهُ من وجوب حب الوالدين لانهُ لم يذق طعم الفراق قبل ذلك ولا عرف ان بعده عن والديهِ يكدرهما ويقلقهُ الى ان ذاقهُ ووقع فيهِ وما اشرقت شمس اليوم الثاني الا وهو في اضطراب لا مزيد عليهِ وقد تسلى نوعًا عند فكره انهُ يسافر في ذلك النهار وبايام قليلة يدخل ارض الاحباب وهو مطلوق السراح فيفعل كل ما يروق بعينهِ ويجتمع بابيهِ وامهِ ويتزوج بعين الحياة . واخبر بذلك فرخوزاد فقال لهُ ان ما تذكره قد خطر لي واني انا ايضًا اتمنى العود الى الديار لان فراقي كفراقك ولوعتي كلوعتك فارغب في ان يقضى غرضك ليقضى غرضي فيما بعد . قال فليقضِ الله امرًا كان مفعولاً . ثم انهما دخلا الديوان واتى الصعلوك وميمون وحمدون وطيل وطيلا وجلس كل في مركزه وبعد ذلك

قال فيروز شاه الان قد استقر الحال وطاع الجميع وبات الامن شاملاً ولم يعد من خوف على وقوع الفوضى او القيام على الملك الجديد ولذلك اريد ان اذهب الى تعزاء اليمن واصحب معي ميمونًا وخمسة وعشرين الفًا من عساكر هذه البلاد واريد ان تكونوا على استعداد لنرحل في الغد فقال ميمون سمعًا وطاعة فاني لا اريد ان افارقك وارغب ان ابقى حياتي كلها في ركابك . واما الصعلوك فانهُ خفق قلبهُ عند سماعهِ هذا الكلام وتقدم الى فيروز شاه وبكى بين يديهِ فقال لهُ لما ذلك قال اخاف من ان تذهب فيقوم اليَّ الناس ويقتلونني فتكون باديتني بالقبح فدبر لي طريقة تحفظ حياتي . قال لا باس عليك فاني اجمع لك السلاح من المدينة واضعهُ تحت امرك ولو طال عليَّ في ذلك المطال وتاخرت اياماً ثم اناط ميمونًا بهذه الخدمة وسالهُ السرعة وكان يعهد فيهِ الامانة وقد بين لهُ الامتحان انهُ مطيع لهُ وتاكد ذلك من حين كانوا في اليمن وقد عول هورنك على قتلهِ فمنعهُ تاخرًا في اجلهِ لبينما يتسهل لهُ الخلاص . فاجاب ميمون هذا الطلب وصرف اياماً بزيد الهمة والنشاط في جمع السلاح حتى لم يبقَ في المدينة جارحة ووكل القواد بخدمة الصعلوك وحلفهم الاقسام القوية ان لا يخالفوا عليهِ فما منهم الا من وعده بدوام الطاعة . فاطمأَن خاطر الملك الجديد وبات بارتياح الى زيادة الامن وصبر الى ان تاكد اهتمام فيروزشاه الى السفر فوقع في الهم والتنكيد ودنا منهُ ووقع على ايديهِ وقال لهُ قد تمت لي كل شيء يا سيدي ولم يعد في النفس الا حاجة واحدة واريد منك ان تقضيها لي فتكون بذلك قد وفيتني حق المعروف . فقال لهُ فيروز شاه وما هي الحاجة يا ترى واي شيء تطلب بعد ان اجابك الجميع الى الخضوع وبت في حالة تنعم ورغد عيش لم يسبق لك ولا لغيرك ان رآها بدون جد ولا تعب فان كنت تخاف من احد فاظهره بكل سرعة فاني على مقالي الجمر لجهة ابي وبلادي . قال اعلم يا سيدي انك قد اوليتني من الجميل فوق ما كنت اعهد منك الا انهُ لا يخفاك ان هذه النعمة تحتاج الى عروس واني اريد ان اتزوج فكيف يطيب لي فرح او كيف يعقد لي زواج على بنت وانت بعيد عني لا تحضر فرحي ولا تلتفت اليهِ وتهتم بهِ فاما ان تتم لي غايتي واما ان تنزع عني هذه النعمة التي اوليتنيها . قال اني لا اكره ان احضر لك فرحًا وازفك على اي بنت شئتَ فاختر لنفسك واحدة وعجل بقيام العرس . فتكدر فرخوزاد من هذا الكلام وقال واي حاجة لنا الان بالعرس فيمكن الصعلوك ان يتزوج بدون ان نكون نحن لان وراءنا من الاعمال ما يستدعي سرعة عودتنا الى بلادنا فقد كفانا ما عملناه في هذه الديار . قال فيروز شاه لا باس فان الصعلوك قد خلصنا من السجن والقتل ولولاه لكنا الان من جملة الاموات فلا بد من ان ننهي عملنا معهُ على حسب ما يختار ثم التفت اليهِ وقال لهُ وهل هيأت العروس قال اعلم يا سيدي اني قد كنت في وظيفة سجان وكانت عيني تطمح الى سلكوتا بنت الملك هورنك واشتهيها بنفسي الا اني كنت لا اجسر اوانئذ ان اذكر مثل هذا الامر خوفًا من

لاعدام وانتقام ابيها مني فصبرت على حكم الزمان وكان هواها ينمو بقلبي ويزيد مع تداول الايام الى ان وقعنا في السجن ووعدتماني ان اطلقت لكما السراح تقتلان الملك وتقيماني مكانه فرحت وخاطرت بنفسي وقلت ان كان ذلك صحيح اكون قد بلغت الارب وحصلت على المطلوب وان لم تقدرا على القيام بوعدكما وعرف الملك بذلك وقتلني اكون قد تخلصت من شر وعذاب هواها وقد قيل ان القلب الضعيف لا يحصل على الظريف . وحيث الان قد وصلت الى الدرجة المقارنة لها وصار بيدي زمام امرها وامر البلاد فصرت على ما اظن اقدر ان اصل اليها ويليق بي ان اكون بعلاً لها فالتمس اليك ان تزوجني بها لانك ان ذهبت عنا ربما لا يعود في الامكان التزوج بها الان والدتها صاحبة مكر ودهاء فتمنعها عني ولا يروق في عينها ان تزوجها لمن اغتصب منها الملك وسهل طريق قتل زوجها او ربما طلبت اليَّ ان اترك لها الاحكام مقابلة لزواجها بي فاني التزم اذ ذاك ان اجيبها لان حب سلكوتا افضل لديَّ من حب السلطة . قال فيروز شاه كن براحة فلا اذهب من هذه البلاد قبل ان ازفك على من احببتها وهويتها وتمناها ولا اريد ان يبقى بقلبك غصة من هواها واني اجهد النفس في مساعدة كل عاشق . عسى يساعدني من رماني بحب عين الحياة وهو الاله الحي

وبعد ذلك قال فيروز شاه اريد منك يا ميمون ان تذهب الى الملكة شيطانة وتخبرها بالخبر وتاتي بها وبابنتها الى الديوان لنعقد خطبتها على الصعلوك ونزفها عليه قبل سفرنا . فسار ميمون على عجل الى بيت هورنك واحضر زوجته وبنته الى بين ايدي فيروز شاه فقال لها اعلما اني لم اكن المتعدي على الملك هورنك وما قتلت هولنك الا عندما قصد ان يتزوج بعين الحياة حبيبتي ولولا ذلك لما بادئته بشر ولما قصد ابوه قتلي منعه الهي القادر على كل شيء وسهل لي الخلاص لانتقم منه والان حيث قد قضي الامر ولم يعد من وسيلة لرد الماضي فقد فكرت ان ازف سلكوتا على الصعلوك وذلك لما رايت ان لا وارث الملك هورنك وان الملك يبقى بيدكم ونسلكم من بعدكم فيستقيم حال الرعية وتبقى العائلة المالكة في نفسها السائدة والا لو زوجت الصعلوك باحدى بنات البلاد لحط قدركم وبعدكم تندثر عائلتكم وعليه فاني اريد من كل منكما ان تنعم بالاجابة ليصير الاسراع بزواج الصعلوك وعمل زفافه قبل رحيلي . ولما سمعت الملكة شيطانة هذا الكلام اطرقت الى الارض تفكر في هذا الامر ولما وجدت انه لا ندحة لبنتها عن الزواج والاحرى بها ان تتزوج بمن هو مالك البلاد لبينما ياتيها الله بالفرج انهضت راسها وقالت اني لا ابخل ببنتي عليه فهو منا وفينا ولا نريد ان نخالف لك امرًا فاقض ما انت قاضٍ . وكذلك سلكوتا فانها اجابت بالقبول وكانت تميل الى الصعلوك وترغب في الزواج ولم يصدق ان يسمع بمثل هذا الكلام . حتى كاد يطير من الفرح وكان فيروز شاه قد نظر في وجه سلكوتا المسود جدًّا فوجده من اقبح الوجوه

باعين صغيرة مغوّرة تكاد تكون كاعين الهررة وشعر قصير مشبك بعضهِ وجبين مقعر وانف افطس وفم كبير بشفاف ضخمة خشنة حمراء قانية وقامة قصيرة تكاد تجاوز الذراع فعجب لهذه الحالة وكيف ان الصعلوك يدعي هواها وحبها وهي على ما هي عليهِ مع انهُ وان كان اسود الوجه فهو كامل التقاطيع ليس فيهِ شيء مكروه وقد صدق قول المثل القرد في عيني امهِ غزال

واخذ الاهتمام بالعرس فاجتمع كامل القواد والامراء وزينت المدينة بالانوار ورفعت الاعلام على الاسوار وصبغت وجوه الرعية بصباغ الفرج وقد شاهدوا من اعمال فيروزشاه وتدبيره ما يبهج العقول ويسر الخواطر ويرضي النواظر لانهُ كان يقوم بنفسهِ بالاعمال ويهش ويبش بوجه الكبير والصغير بما اوجد الله فيهِ من لطافة الذات والطلاقة ودامت الحال اياماً متوالية والصعلوك في مسرة وحبور الى ان دنا يوم الزفاف فاعد وليمة فاخرة لجميع المدعوين طيبة المآكل واتى بالعروس فعقد لهُ عليها بحضور فيروزشاه وفرخوزاد وقد كتبا العقد بيديهما واشهدا الحضور. ثم سال فيروزشاه الملكة شيطانة وابنتها سلكوتا ان يكونا على دين الصعلوك وهو الدين الجديد الذي بذره بينهم فوعدتاه بذلك ودام الفرح الى ان مضى قسم من الليل وانصرف الجميع واجتمع الصعلوك بعروسهِ وصرف معها وقتاً بالهناء لم يشبهُ كدر ونال منها جل ما كان يتمنى من حال وقوعهِ بحبها

وافت وثوب الليل اسبل ستره	حتى غدا كالثوب للعريانِ
فضممتها ورشفت برد الثغر كي	اطفي بذلك حرقة الاشجانِ
بتنا على رغم الحسود بغبطة	وبفرحة ومسرة وامانِ
حتى دنا الفجر المنير فراعني	شيب براس الليل نحوي دانِ
قامت وقد الوت نحوي جيدها	خوف النوى والقلب في خفقانِ
سقياً لها من ليلة قضيتها	في طيب عيش والسرور مداني

وصرف الصعلوك بقية ليلهِ مع زوجتهِ وفي الصباح خرج الى الديوان فجلس وجلس فيروزشاه الى جانبهِ بعد ان بارك لهُ ووفدت بعد ذلك الاعيان افواجاً تبارك لهُ فكان المكان يزدحم كل الوقت بالوفود وكلهم يرجع مسروراً فرحاً بما يلقاه من معاملة فيروزشاه لان عموم العقلاء من السودان احبوهُ واعجبوا من اجراءاتهِ لانهُ امر بالمساواة بين الرفيع والوضيع وعلم المجالس تتبع خطة العدل ووضع القوانين الصارمة على كل ظالم مستبد . وبعد ان انقضت مدة الافراح دعا فيروزشاه اليهِ الصعلوك وقال لهُ اعلم انهُ صار من الواجب عليَّ العود الى بلاد اليمن لان لي هناك قمر يتجلى عليها وهو محجوب عني وعيني وقلبي في شوق اليهِ ولولاك لما صبرت دقيقة بعد خلاصنا عن السير الى تلك الجهات واكد انك عندما كنت انت في فرح كنت في الم شديد من جرى طول بعادي ولا

احب ان انكث معك عهدًا او اخلف قولاً وها الان قد صفا لك الجو وطاب الوقت.
ولم يعد من مانع في طريق راحتي فاوصيك ان تحكم بالعدل وتحافظ على وصاياه تعالى وتتبع
الخطة التي وضعتها لك لتجري عليها بعد رحيلي لاني قطعت على نفسي ان اسافر في الغد فابارح هذه
الديار وان شاء الله ووجدت لزومًا اعود اليك بعد لاني ساصحب معي الامراء الخمسة وخمسة
وعشرين الفًا من جيوشك ليحاربوا معي على اسوار اليمن او في جهات اخرى من العالم ربما تقودني
اليها الضرورة. فلما سمع الصعلوك كلامهُ بكى وقال لهُ قد عملت معي ياسيدي معروفًا فارجوك ان
تتممهُ وحيث قد ملكتني على هذه البلاد فارجوك ان تمهد لي سبل البقاء وتقلع لي كل عثرة مخيفة.
فقال وما هي العثرة وممن تخاف ان يجسر على مقاومتك وقد عرف الجميع باسمي وما فيهم قط عاصٍ.
قال اعلم ياسيدي ان للملك هورنك الذي قتلتهُ ولدًا اخ ينال لاحدهما قطران شاه وللاخر ايران
شاه وهما يحكمان بالجزيرة البيضاء وكان احدهما قطران شاه يحب بنت عمهِ سلكوتيا وطلب الى ابيها
عمهِ ان يزوجهُ بها فاجابهُ ووعده ولا بد بعد رحيلك عنا ان يعلم قطران شاه واخوه
بان عمهما قد قتل وان بنتهُ قد تزوجت بي فيحشدان الجيوش ويأتيان اليَّ وليس لي قدرة على
مقاومتهما فيقتلاني ويقلعان اثاري وياخذان زوجتي ويملكان بلادي فتكون بذلك قد كافئتني
عوضًا عن اطلاقك من السجن ورد حياتك اليك بالموت والخراب. وتكون البلاد التي وعدتني
ان اكون عليها تحت حمايتك تكون لغيري فان شئت فاقلع هذا السبب الذي اخافهُ. ومن بعد
فلا شيء اخافهُ ولا عدو اهابهُ. فنظر فيروزشاه الى الارض وقد تاكد ان رحيلهُ لا يكون الا
بعد انقطاع نفسهِ وازهاق روحهِ لانهُ عرف ان من الواجب عليهِ قيامًا بوعده ان يجيب طلب
الصعلوك ويذهب الى الجزيرة البيضاء ليكبح قطران شاه واخيهِ واما فرخوزاد فقد زادت عليهِ
الاكدار وخفق قلبهُ وشعر بوقوع مصيبة جديدة وقال للصعلوك ان بلادك حصينة فيمكنك ان
تدافع عنها مع اعداك اذا جاءوا اليك ومن ثم ترسل لنا خبرًا فنعود اليك وننتقم لك من الاعداء
اذ لم يعد في وسعنا ان نقيم اكثر مما قمنا. فقال فيروزشاه لا بل يجب ان نسير الى الجزيرة البيضاء
ونعرض سلطة الصعلوك على ابني عم سلكوتيا فان انعا واجابا وعبدا الله تركناهما والا قتلناهما واقمنا
غيرهما مكانهما وكيف نترك الرجل تحت ظل الخطر ونتخلى عنهُ وقد وعدناه بكل ما يطلبهُ منا
وكل ذلك قليل في جنب معروفهِ معنا فاننا ممن لا يضيع معنا الجميل فلا عاد يمكننا الرجوع الا
بعد ارتياح بالهِ واطمئنانهِ. قال اني اشعر بوقوع خطر جديد اشد من كل الاخطار التي وقعنا بها
قال لا خطر علينا من احد وسيوفنا بايدينا والجيوش ستكون معنا فنقضي الحاجة ونعود بسرعة
واي خطر نخافهُ واتكالنا على الله فهو وكيل امورنا ومدبر احوالنا فيما شاء فعل

فالتهم هذا القول فرخوزاد فسكت على مضض وتاججت فيهِ نار الكدر ولم يعد يعرف ماذا

يجب عليه ان يفعل وتعجب من طول اناة فيروزشاه وكرامة خلقه وصدق طويته واما فيروزشاه فقد امر الامير ميمون ان يكون في الغد على استعداد وان يهيا الجيوش اذ ان في نيته ان يذهب الى الجزيرة البيضاء فطاع لامره وذهب فيروزشاه وهو متعجب من فعل الزمان وعناده وكيف كلما خطر له السير الى اليمن تعانده الصدف فتلقي على عاتقه احمالاً تبعده عن الوصول الى حبيبته ومن عندها قلبه وقد قلبته هذه الافكار على مجمرة الهموم وفكر ماذا يا ترى تقول عنه عين الحياة اذا عرفت انه تخلص واقام اياماً ليست بقليلة بقضاء غير مهام لا يفكر فيها ولا يسرع اليها وربما تكون في حاجة اليه او محاطة بضيقة او اضناها فراقه فباتة مريضة لا ياخذها سلو ولا ينعم لها بال فانفطرت هذه التذكرات قلبه فلم ير تعزية الا بمناشدة الاشعار

البيض دون لحاظ الاعين السود ... والسمر دون قدود الخرد الغيد
والموت احلى لصب في مفاصله ... تجري الصبابة جري الماء في العود
من لي بعين غدت بالغنج ناعسة ... اجفانها وكلت جفني بتسهيد
وماء وجه غدا بالنور متقداً ... كأن في كل خد نار اخدود
انا المحب الذي اهل الهوى نقلوا ... عني فاعطيتهم بالعشق تقليدي
من ابن للعشق مثلي في تشرعه ... ومن يشيد دين الحب تشييدي
لله ليلة انس قلت اذ ذكرت ... يا ليلة الوصل من ذات اللمى عودي
امسي بها وعيون الغر شاخصة ... نحوي وحصني متون الضمر القود
مكانتي فوق امكاني ومقدرتي ... من دون قدري وجودي فوق موجودي
وما رجاني امرء الا بذلت له ... جوداً عن الشكر او شكراً عن الجود
لا اوحش الله من قوم مكارمهم ... وفضل جودهم كالطوق في جيدي
ما عشت لا انعاطى غير حبهم ... وهل سمعتم بشرك بعد توحيدي

وصرف فيروزشاه ليلة فراق لا يعلم صعبها وشدتها الا من كان مثله مضنى كئيب وحيد لم يمض عليه مع محبوبته يوم هناء يذكر او صرف معها وقتاً خلا من تحسبات الحوادث وما اقاما الا ثلاث ليالي مع بعضهما وهما اشبه باللصوص يطمعان بان يسرقا لذة المنا القليلة وقلبهما يخاف عين الرقيب وغدر البعد ويتوكد ان لا بد من قصاص الفراق اذ انهما ليسا بامان من صاحب البيت

وفي الصباح خرج فيروزشاه وقد تقلد بسلاحه وامر ان تعرض عليه الجيوش فعرضت وكان الى جانبه فرخوزاد وميمون وحمدون وطيل وطيلا وفي الحال امر ان تدخل العساكر المراكب فنزلت ونزل هو في مركب اعد له وسارت العمارات تمخر البحر قاصدة الجزيرة البيضاء وهي مكان قطران شاه وايران شاه ولا زالت في سيرها حتى رست على الجزيرة البيضاء فامر

فيروزشاه باخراج العساكر الى البر فخرجت باقل من ست ساعات واقاموا بالقرب من المدينة وكانت محصنة ذات اسوار منيعة وحصون عالية وبعد ان تم اجتماعهم على الشاطىء كتب فيروزشاه كتابًا الى قطران شاه واخيه يخبرهما فيه بما كان منه وكيف قتل هورنك واقام الصعلوك عوضًا عنه وفي ختامه يامرهما بالطاعة والانقياد اليه وان يعبدا الله سبحانه وتعالى فينالهما خير ويكونان بامان من سيفه وبعث الكتاب مع رجل من الزنوج فسار به حتى دخل على قطران شاه واخيه وهما في ديوانهما وكان قد بلغهما خبر نزول العساكر على شواطىء الجزيرة دون ان يعلما لذلك سببًا وقد عقدا مجلسًا وفي نيتهما ان يبعثا من يفحص عن ذلك وفي الوقت نفسه دخل رسول فيروزشاه يحمل منه الكتاب فدفعه الى قطران شاه فقراه علنًا وعند سماعه ما تضمنه من التهديد ومن قتل عمها وقيام الصعلوك ملكًا وتزويجه بينت عمه ارغى وازبد وكفر وشتم الرسول وطرده وقال له اذهب الى هذا الابيض القصير وقل له ان لا جواب له عندنا وفي الغد نبادره بالقتال ونخرج اليه بالرجال وانا عزمنا على قتله في ثارنا فقبحه الله وقبح طائفة الزنوج الذين تركوا دينهم وباعوا بلادهم لهذا الدخيل المتمرد اما كان فيهم من يقصر عمره ويعدمه الحياة فرجع الرسول مهانًا وهو لا يصدق بالنجاة ودخل على فيروزشاه واعاد عليه ما سمعه حرفًا بحرف . فقال لا باس فان شاء الله في الغد اقتله واقتل اخاه واقيم حاكمًا على الجزيرة غيرهما هذا اذا خرجا الى حربنا وان حاصرا داخل المدينة ولم يخرجا لا بد لي من هدم هذه الحصون وفتح المدينة عنوة واجراء العدل وبث الامن في هذه الجزيرة وقد اصابا في عدم طاعتهما فاني ارغب في ان اقلع جرثومة الشر من هذه البلاد واجرد عنها العائلة القديمة العاتية الظالمة

وبات تلك الليلة ينتظر صباح اليوم التالي الى ان دنا يبعث على الجزيرة اشعة نوره مصحوبة بنسمات حارة فهبت الجيوش من مراقدها واسرعت الى مناولة سلاحها وعلت ظهور خيولها وذلك عندما شاهدت عساكر المدينة قد خرجت تحت امرة اميريها المتقدم ذكرهما وكان عددها نحو عشرة الاف نفس ما بين فارس وماش وما لبثت ان ترتبت العساكر حتى فاجئت بعضها بالقتال فتبادرت من كل جهة ومكان وقام سوق الحرب والطعان . يسوق للخائف الجبان . المذلة والهوان . ويلبس الفارس الجبار . حلة الشرف والافتخار . وكان طران شاه واخوه ايران شاه يظنان انهما يحرزان النصر . ويعيدان العدو بالذل والقهر . لما يعهدان في عسكرهما من الثبات في القتال . وفيهما من التفنن في ميادين النزال . وكان موءكد لديهما ان عساكر الزنوج تعرف فيهما ذلك . فلا تثبت في جنب الهلاك . فتفرق عن المدينة وترمي بنفسها الى البحر . ولا تطمع عندها قط بالنصر . الى ان شاهدا قتال فيروزشاه عروس الميادين . وعلة فخر المفتخرين وكفة رجحة المبارزين . وملجى لكل لائذ امين فايقنا بالهلاك وسوء الارتباك . لانه ما قصد فيئة

الا وبددها . ولا فاجأ جماعة الا وشردها . وكان قصده ان لا يذهب النهار . الا وهو داخل الاسوار . غير ان قطران شاه نظر بعين الخبير . في هذا الامر الخطير . فلم يرَ اوفق من الرجوع الى المدينة وقفل الابواب ففعل ونادى بالعساكر فاندفعت وراءهُ وهي لا تصدق بالنجاة لانها نصرت الموت عياناً وترجح عندها الهلاك والتلعان . ولما راى فيروزشاه ذلك امر العساكر ان تزدحم عند ابواب المدينة فلا يتمكن العدو من قفلها وجعلت عساكر الصعلوك تضرب في اقفيتهم حتى اهلكت منهم قسماً ودخل قسم منهم واذ ذاك قفلت الابواب فتكدر فيروزشاه وقال كان في نيتي ان ادخل البلد قبل فوات هذا النهار ولكن لا بد لي ان شاء ربي في الغدَ ان افتلع هذه الابراج الحصينة واقتل هذين الكافرين الجاهلين اللذين لا يعرفان الخير من الشر وقد قصدا هلاك عباد الله

وبات فيروزشاه تلك الليلة وهو على مقالي النار يعض على اصابعهِ كيف لم يتمكن من الدخول الى البلد في ذلك النهار الا انهُ ترجح في عقلهِ انهُ لا بد لهُ من فتح المدينة في الغد او بعد الغد وما صدق ان اشرقت شمس اليوم التالي حتى زحف بمن معهُ على اسوار المدينة فدافعتهم جيوش المدينة من على الاسوار اي مدافعة وقام الحرب على ساق وقدم تعلن بسير النفوس الى العدم وتراسلت رسل النبال . متسابقة الى قبض الآجال . فاخترقت الصدور . واراقت الدماء كالنهور . وكان فيروزشاه يدور حول العساكر ويحرضهم على تسلق الاسوار ودخول المدينة قبل زوال النهار وما مالت الشمس نحو المغرب الا وقد قبض فيروزشاه على حصنين من حصون المدينة فاقام عليهما الجيش ورجع الى بين مقدميهِ وابطالهِ وقد ثبت لديهِ انهُ في صباح اليوم الثاني يقبض على قطران شاه واخيه شاه ويقيم حاكماً على المدينة ويرجع على قدم السرعة وبات يحادث مع فرخزاد وهما فرحين بنجاح المسعى ويعدان نفسيهما بالرجوع حالاً الى الديار ومشاهدة الاحباب والاقارب

واما قطران شاه واخيهِ فانهما بعد ان تيقنا ذهاب المدينة من ايديهما ووقعها في ايدي اعدائهما اجتمعا ببعضهما وتشاوروا في ماذا يفعلان فقال احدهما وهو قطران شاه الى اخيهِ ها ان المدينة قد قاربت السقوط وعما قليل نقع في ايدي المحاصر فالى متى هذا التقاعد فاذهب الان الى امك الصفراء واخبرها بكل ما وقع علينا وما هو حاصل فينا فتاتي وتخلصنا من يدي الاعداء والا ان صبرنا يوماً آخر هلكنا . قال صدقت فلا بد من المسير اليها ثم خرج من المدينة من الجهة الثانية ونزل في قارب لهُ وسار الى جزيرة الساحرة صفراء . قال صاحب الحديث وكانت هذه الساحرة من امكر السحراء وادهاهم اذا عمدت الى الجبل نقلتهُ من مكانهِ واو تفلت في البحر جف وذهب ماؤُه لا يغيب عنها من ابواب السحر باب الا وعرفتهُ ولا خفي عليها علم من هذه العلوم الا درستهُ وبرعت بهِ حتى

لخافتها كل اهل تلك الاقاليم فاطاعوها وانقادوا اليها فكانت مبجلة معظمة عند الجميع من ابناء جنسها وهي عاتية ظالمة كافرة بدين الحق سبحانه وتعالى يسرها هلاك النفوس واراقة الدماء وكانت قد اتخذت لها جزيرة بالقرب من جزيرة البيضاء واقامت فيها وبنت لها قصرًا جميلاً وزرعت في تلك الجزيرة من جمع انواع الفاكهة الموجودة في الدنيا فكانت لا تخلو من الاثمار الطيبة ورائحة الازهار الزكية ولم يكن عندها احد قط ولا ترغب في ان يقيم عندها احد وقد تبنت قطران شاه واخوه ايران شاه لما شاهدت فيهما من الطاعة لها والانقياد اليها وانهما قائمان تحت حمايتها

ولما وصل اليها ايران شاه وقف بين يديها وسجد لها ثم قبل قدميها ويديها وانهمر الدمع من عينيه يعلن ذلة وانكساره . فلما رأته على تلك الحالة قالت له ما بالك على ما انت عليه يا ولدي . قال ان عدوًا قتل عمنا وساد على بلاده واقام مكانه اقل خدمه وهو صعلوك السجان رئيس السجن في جزيرة طيا وما كفاه ذلك بل زوجه بنت عمنا سلكوتا وكان في نيتي ان اتخذها لي زوجة وعدا عما تقدم طرق بلادنا مع ميمون وحمدون وطيل وطيلا وحاربنا حتى كاد يدخل المدينة وقد استفحل امره وطغى ولم يكن في وسعنا ان نقاومه لانه من الابطال الصناديد واكثر خوفنا على الدين لانه حرّم عبادة الاصنام وابطال الالهة ونشر في البلاد دينًا لم نكن نسمعه قبل الان وهذا العدو يقال له فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد ايران . فلما سمعت صفراء الساحرة قامت وقعدت وارغت وازبدت وقالت اهكذا يصير بقومي وفي جواري وانا متقاعدة لا اسال عن تعدي الطغاة وكنت امينة عن البحث في مثل هذه الامور لعلمي انه لا يجسر احد ان يتعدى حمايتي . واما هذا فيروز شاه فاني اعلم عنه انه رجل سعيد الطالع موفق الاعمال بطل لا كالابطال وفارس لا كالفرسان ليس له ثانٍ في هذا الزمان انما لا بد لي من هلاكه وقصف عمره في زهرة شبابه وادعه ان يسال الهه ليخلصه من سجني وينجيه من هلاكه وموته فارجع انت على عجل في هذه الليلة وحاربه بثبات وعزيمة واخرج كل عساكر المدينة الى الخارج ليشاهدوا ذل هذا الكلب واسره . فلما سمع كلامها كاد يطير من الفرح وتيقن بالنجاح العظيم والفوز على خصمه ثم قفل راجعًا في قاربه حتى صعد الجزيرة ودخل على اخيه في المدينة واطلعه على ما قالته له الصفراء فعلته المسرة وفرح الفرح الزائد وما صدق ان لاح وجه الصباح ففتح ابواب المدينة وخرج بمن بقي فيها من العساكر وجماعة الاهلين فاستيقظ فيروز شاه صباحًا فوجد العساكر تخرج من الابواب فشغل باله وجهل السبب وقد ظن في البداية انهم جاءوا يعرضون طاعتهم الى ان تبين له ان قصدهم القتال فزاد به العجب وحركة الانشغال فقال لفرخوزاد ما بال قطران شاه واخوه قد خرجا يطلبان القتال بعد اليأس وقطع الرجاء فلا بد من انهما قد اشتد ذراعهما بساعد جديد او وفدت عليهما

الاخبار بقدوم الانصار وعليه فاني عولت ان افاجئهم من الامام وتلقى انت ميسرتهم فتنهضها الى الامام وتدخل من ورائهم الى المدينة خوفًا من اطالة المطال فان الوقت معنا قصير ولا يسعنا الا السرعة في القتال فاجابة الى ما طلب وركب فيروزشاه وركبت من عن يمينهِ وعن شمالهِ الابطال وهم يقصدون الحملة على الاعداء فحمل وحملت من خلفهِ رجالة والتقى العسكران في ساحة الميدان وهما بين ضرب سيف وعمد . وتفكيك دروع وزرد . وتقابض بالايادي وتماسك بالعدد . وفي وقت قليل تضعضع جيش المدينة وعول على الانهزام فارجعهُ قطرانشاه بصياحهِ ونداه . وهو يقول لهم ويلكم ايها الفرسان . اثبتوا نحو ساعة من الزمان . فتنالون النصر . ويحل بعدوكم الذل والقهر فسمع فيروزشاه نداه . فاندفع اليهِ وفاجاه . وتجاول معهُ مجاولة الابطال . وتنازلا واياه اشد نزال . حتى انعبهُ واكربهُ وكاد ينزل بهِ الهلاك . والا صوت من كبد السماء وقائل يقول . ويلك يافيروزشاه قد جاءك الويل وحل بك المحاق . فاستعد فقد آن اوان الفراق . فارعب هذا الصوت قلوب الجميع ونظروا الى ما فوق واذا بالساحرة صفراء قد سقطت بسرير رصدها بين الاثنين المتقاتلين وقد راتها كل عين . وكذلك فيروزشاه فانهُ عندما سمع نداها دفع خصمهُ ومال الى جهة اخرى ينظر في الساقط من الجو حتى صارت امامهُ ونظر قباحة منظرها وسوء هيئتها فعلم انها ساحرة فاراد ان يبادرها بضربة حسام يلقيها الى الارض مائتة . قبل ان تدنو منهُ او تصيبهُ باذية الا انهُ ما رفع يده حتى جمدت ثم انحل قواه وخارت عزائمهُ وكانت الملعونة قد القت عليهِ باب سحر من كهانتها فقيدتهُ بالهواء حتى لم يعد يقدر على حراك يديهِ ثم تقدمت اليهِ باسرع من لمح البصر فقبضت على درعهِ وجذبتهُ الى داخل السرير وامرت السرير ان يركب الريح ويعود بها الى جزيرتها فصعد يتدرج سلم الهواء باسرع من مسير الطير وسارت بفيروزشاه وتلك الجموع تنظر وترى وقد رجفت قلوبها وانحلت اعصابها ونزل عليها الخمول وباسرع من حصو الطير هبطت على قصرها فدخلتهُ وادخلت فيروزشاه اليهِ وجردتهُ من سلاحهِ ونزعت عنهُ ثيابهُ والبستهُ ثيابًا خشنة ثم اخذت شعرة من راسها فقرات عليها وربطتها في رجلهِ فشعر انهُ قيد بقيد من اثقل القيود لا يقدر على حملهِ كانها ربطت في رجلهِ نحوًا من عشرين قنطارا او اكثر واتت بنخاسات من الحديد فوضعتها في عنقهِ فاصبح لا يقدر على الحراك فتركتهُ واقفًا في مكانهِ وقالت لهُ ابقَ هنا تقاسي عذاب الهوان الى ان يجيء يوم هلاكك وموتك وقفلت عليهِ الباب وخرجت وهي في نصر وفرح وهو في هم وترح يتقلب على نار العذاب والالم ولو لم يكن فيروزشاه من اشد الناس بنية واقدرهم على حمل المصائب واقواهم جلدًا وصبرًا على ثقل المكاره لما قدر ان يبقى حيًا اكثر من ساعتين او ثلاث ساعات الا انهُ تجلد وصبر وطلب الفرج من الله وسلم امرهُ اليهِ وبات في تلك الحالة الشنيعة والساحرة صفراء تزيد في عذابهِ وتقابل لهُ من الطعام وفي نيتها

ان تميتة قهراً وهو واقف في مكانهِ كالصنم لا يتحرك

و بعد ان غاب فيروز شاه عن جيش الزنوج اضطرب ومال الى الوراء وانفك عن القتال وكذلك جيش جزيرة البيضاء فانهُ اقام عند ابواب المدينة وهو فرح من جهة فيروز شاه وقد ظن ان الحرب تنتهي بفقدانهِ وكان الليل قريب الاتيان فصبر الى تجديد القتال في اليوم التالي واما فرخوزاد فقد ضاقت في وجههِ الدنيا واسود الضوء في عينيهِ وكاد يغيب وعيهُ وترجح عنده هلاك فيروز شاه بيد تلك الساحرة وصعب عليهِ بعده عنهُ وقد كان في الحسبان وقوعهما في مصاب جديد وصرف وقتاً ليس بقليل وهو راكب على ظهر جواده لا ينزل عنهُ وقد نظر الى نفسهِ بحزن وهو وحيد بين تلك الجموع غريب عنها وقد خاف من انها تتفق عليهِ لانها من جنس واحد فربما تميل الى بعضها كون العساكر الذين معهُ ماجاءوا محاربين ابناء جنسهم الا خوفاً من فيروز شاه وقد غاب الان فيزول الخوف من قلوبهم ولم يعلم ان ميمون وحمدون وطيل وطيلا قد آمنوا بالله حقيقة واخلصوا الود لفيروز شاه وانهم تكدروا كتكدره من فعل الساحرة وما منهم من يقدر على ان يزدرد ريقهُ واخذ يفكر في ايجاد طريقة يثبت بها العداوة بين الفئتين فمال الى جهة الجيش ونزل عن جواده وصبر وهو مقلد بسلاحهِ الى ان مضى قسم من الليل واسود حالكهُ وهو يفكر الى ان طرق ذهنهُ ان يكبس الاعداء بنفسهِ ويشعل نار القتال تحت ذلك الظلام فينتشب القتال وتنقطع بعد ذلك المخابرات ولما تقرر في فكره هذا العمل نهض الى جواده فعلاه وانسل الى جهة الاعداء وهو في ياس وكدر فصاح باصوات التهديد وداس بجواده بطون النيام وارسل عمده الحديدي الى صدور الرجال فكانت تهب من مراقدها مرعوبة مدهوشة وتصيح معلنة القتال وهي تظن ان الاعداء كبستهم تحت الظلام الى ان طرق غوغاء الرجال اذان قطران شاه وايران شاه وجميع عساكر الزنوج فنهضوا بهمة وحمية واستيقظ ميمون وحمدون فسمع اصوات اهالي الجزيرة البيضاء وصهيل خيلهم فخاف من غدرهم فاستعد وامر رجالهُ ان تستعد وتلاقي الاعداء ففعلوا. ولم يكن الا نصف ساعة من عمل فرخوزاد حتى التحمت تلك الجيوش ببعضها واشتبكت وقام قتالها ودار دولاب نزالها واشغل كل واحد باخر وهو لا يراه ولا يعلم حالهُ وكان سواد الليل اكبر سبب لاختلاطهم فامتزجوا امتزاج الماء واندفقت شئابيب الدماء مدفوعة من محاقن الصدور فلم تعد ترى الا بريق سيوف ولمعان اسنة وصياح فوارس . واخذ فرخوزاد يطارد مطاردة الاسود املاً بالنجاح قبل طلوع النهار ولولاه لانهزمت عساكر الصعلوك لانها وقعت في اليأس والقنوط وخافت من عودة الساحرة اليها فترميها بالشتات والهلاك الا ان فرخوزاد كان يصيح باعلى صوتهِ ويزأر كالاسود بما جعل ميمون وحمدون وطيل وطيلا يثبتون لثباتهِ ويرجون فيهِ النصر عوضاً عن فيروز شاه رفيقهِ ودام على تلك الحال وهو في مدام وقتال حتى التقى بقطران

شاه وهو يصول على جواده ويجول في ميدانهِ وينادي بفرسانهِ ليثبتهم في القتال ويعدهم بالنصر والظفر فصاح فيهِ فرخوزاد وتجاول معهُ مقدار نصف ساعة من الزمان ثم ضربهُ بسيفهِ فالقاه قتيلاً والى الارض جديلاً وقد جعر بصوت خشن كشف عن وجه الحقيقة لمن كان محاذيهِ ولا زال القتال يتسع على الضارب ويضيق على الهارب الى ان بزغت شمس النهار وتطير الفوارس انفسهم على غير انتظام وكل منهم في جهة من الجهات فبدأوا يرجعون الى الوراء وكل يطلب الخلاص وقد سرّ فرخوزاد بعملهِ وعلم انهُ لا صلح بعد ذلك بين الزنوج لا سيما وقد تأكد عندهم قتل قطران شاه وتشتيت شمل الاعداء

ولما رجع فرخوزاد ورجعت فرسان الصعلوك الى الوراء رجع ايران شاه برجالهِ الى ابواب المدينة وعسكر عندها وامر ان يخرج كل ذكر للدفاع عن الوطن ووعدهم بالنجاح وانهم ان لم يطردوا العدو يتملك عليهم فيستبيح اموالهم ويسبي نساءهم ويستعبدهم وعلى ذلك خرج من المدينة كل من يقدر على حمل سلاح من شيوخ وكهول ومراهقين وشبان حتى ارهب الجمع عساكر الصعلوك وخافوا العاقبة وسوء المنقلب فوعدهم فرخوزاد بالنصر وقال لهم كونوا على يقين من النصر فان الشجاعة بالثبات ولا يخوفنكم كثرة الجموع فان كل واحد منكم اذا اتكل على الله يقدر على كسر هذه الجيوش واني لاعطينكم برهانًا من نفسي باني اقاتل بسيف الله سبحانهُ وتعالى وهذا السيف لا يفل وما لكهُ لا يمل وتيقنوا اننا سنفوز على الاعداء ونملك المدينة قبل ان يعود الينا فيروزشاه لاننا على يقين من عودتهِ وانتصاره على الساحرة بمساعدة الهنا الذي يبطل عمل السحرة بكلمة واحدة فهيا اجتهدوا في القتال وداوموا على ملاقاة الاعداء الى ان ياتينا النصر من الجبار القهار . فتقوى لكلامهِ هذا الجيش وعولوا على الثبات واصبحوا يعلقون بهِ كبير امل الى ان ياتيهم فيروزشاه . ونزلوا في تلك الساحة ذلك النهار لياخذوا لانفسهم الراحة . وفي صباح اليوم الثاني وقع الحرب بين المحاربين وحمي وطيسها ونار اشتعالها ودام الى المساء فرجع الجيشان وقد ترجح عند اهالي جزيرة البيضاء ان لا ثبات لاعدائهم الا بفرخوزاد فجعلوا يترصدونهُ ليوقعوا بهِ ولكن دون جدوى لانهُ كان اخف من الطير في سرعة الجولان والانتقال من اليمين الى الشمال باسرع من ريح الشمال ودام الحرب بينهما عدة ايام دون الحصول على بلوغ المرام ولم يثبت وجه النصر لاحد من الجمعين حتى اخذهما الملل والضجر

فهذا ما كان من هؤلاء وما كان من فيروزشاه ولنعد الان الى حيث تركنا بهروز العيار وهو ابن الغول الذي اشرنا انهُ فارق عين الحياة وشياغوس نقصد ان يقصد بلاد هورنك ليخلص مولاه من اسرهم وقد اصحب معهُ كتابًا من عين الحياة وسار الى جهة البحر يخطف في مشيتهِ ويسرع في جريهِ ولا زال على تلك الحالة الى ان ادرك الشاطىء وهو يتمنى ان يكون لهُ اجنحة ليطير بها

ويصل الى جزيرة الطيور ولما وصل الى الشاطىء لم يجد سبيلاً لركوب البحر والسير فيه لانهُ لم يرَ مركبًا ولا قاربًا ولا ما يوصلهُ الى مكان قصده فتكدر جدًّا وخاف من احباط مسعاه ولا قدرة لهُ على الوصول الى خلاص سيده الا بركوب البحر فكان لا يرى بدًّا من الصبر عند الشاطئ ولو اياماً طويلة املاً ان تاتي سفينة من السفن الى تلك النواحي فيسير معها . فجلس عند البحر واخرج من جزدانهِ الاكل فاكل ثم اخرج فغير لباسهُ وبدل زيهُ بزي مجهول ونام تلك الليلة وبكر في صباح اليوم الثاني فنظر الى البحر فتبين لهُ زورقًا على بعد يسير متمهلاً وكان البحر رائقًا صافٍ فاخذ منديلاً ولاح بهِ كثيرًا فراه الذين داخل الزورق فداروا مقدمتهُ لجهتهِ ففرح لما راى ذلك وبان لهُ وجه النجاح ولم يكن الا ساعة حتى قرب الزورق الى الشاطىء وكان فيهِ ١٢ رجلاً من صيادي السمك ومعهم شيئًا من السمك فلما راوه سالوه عن حالهِ فقال لهم اني كنت في مركب سائر فنزلت الى البر مع رفاقي واخذنا نمرح ونلعب فاوسعت في البر للفرجة وعاد رفاقي دون ان يعلموا بي وسافروا ولم يكن يخطر لي انهم ينسونني ولا يفكرون بي ولما عدت ووجدتهم قد سافروا ايقنت بالهلاك اذا لم ياتني من يوصلني الى جزيرة الطيور لاننا كنا سائرين اليها نحمل بضائع من بلادنا فارجوكم يا اسيادي ان تاخذوني معكم علي اصل الى رفاقي ولا تبقوني هنا ولكم الفضل علي واني متى وصلت الى جماعتي حملت لكم الدراهم اجرة حملكم فحنوا اليهِ وادخلوه الزورق واقلعوا قاصدين بهِ بلادهم الا انهم ما بعدوا عن البر الا قليلاً حتى هاج البحر واضطرب وارغى وازبد واختبط بعضهِ وعصفت الريح قوية بما كاد يذهب بالزورق الى الاعماق وقد خاف اهلهُ جدًّا وجعلوا يجذفون بكل قوتهم والارياح تعاكسهم والتيار يطير بهم الى غير جهة هذا وبهروز في المؤخرة يطلب الى الله ان يدفع عنهُ هذا الخطر . وقد نظر الى النوتية فوجدهم قد اجتمعوا مع بعضهم يتخابرون فعلم انهم فكروا لهُ الشر فاخذ لنفسهِ الحذر واذا بكبيرهم ومعهُ بعض من جماعتهِ قال لهُ اعلم ان لنا اياماً بالبحر وهو صافٍ لم يتكدر ساعة الى ان نزلت انت معنا فلا شك انك نحس مغضوب البار والالهة وانك ان بقيت معنا هلكت واهلكتنا معك فارم بنفسك الى البحر والا رميناك نحن وخلصنا من شر هذه الانواء الحاصلة علينا بسببك . فضحك بهروز من كلامهم ومن قلة عقلهم وفي الحال نزع عنهُ الثوب الخارجي فالقاه الى ارض الزورق فبان لهم عن زيهِ الاصلي وتبينوه انهُ من الفرسان العيارين وقد امتشق خنجرًا من وسطهِ وصاح فيهم ويلكم اولاد الزواني كل من اقترب منكم الي اخترقت صدره وارميتهُ الى الماء فلا تطمعنكم النفس فيَّ بل اشتغلوا بنجاة زورقكم الى ان يصل البر ومهما صار علي يصير عليكم واذا وصلنا البر نزلت عنكم فلما راى الرجال فعلهُ وقد شاهدوا فيهِ دلائل الشجاعة ولم يكن معهم سلاح رجعوا عنهُ وعادوا الى شغلهم ولم يعد احد يجسر ان يقرب منهُ وصار من ذلك الوقت في مزيد حذر لا يدنو من الرجال ولا

يا كل معهم ولا نام قط دقيقة خوفًا من ان يغدروا به ويلقوه الى البحر فيموت قبل الوصول الى خلاص سيده وقد تقدم انه كان جلودًا صبورًا شجاعًا . وما زال الزورق في جريهِ حتى ظهرت لهم جزيرة ففرحوا بها وعزموا ان ينزلوا اليها ولم يكن الا القليل حتى لاصقوا الشاطىء فنزلوا منه وكان قد فرغ الزاد منهم وتضوروا من الجوع فدخلوا الجزيرة املاً ان يروا ما يا كلون وكانت هذه الجزيرة هي جزيرة صفراء الساحرة فوجدوا بها الرياض واسعة والاشجار باسقة والاثمار ناضجة وكلها على الاغصان وشاهدوا كثرتها وكثرة اشكالها مع اختلاف اجناسها فعجبوا من ذلك ولم يكن سبق للنوتية ان اتوا تلك الجزيرة قبل ذلك الحين فتفرقوا فيها وتسلقوا الاشجار واخذوا يا كلون من الاثمار . واما بهروز فانه تقدم الى الامام بينما كانوا يُشغلون بذلك ولاح له قصر فقال في نفسهِ لا بد لهذه الجزيرة من سكان واني احب الوقوف على اصحابها فهي دون شك لا تكون خالية ولم تحدثه نفسه ان يقرب الى واحدة من تلك الاشجار ولا اكل منها اثمرة بل تقدم شيئًا فشيئًا الى ان قرب من القصر وكان شاهقًا متينًا واسعًا فعجب من وجوده وحده في تلك الجزيرة واخذ في التفكر ماذا يصنع ايدخل اليهِ ام يرجع عنه لاسيما وانه لم يرَ له بابًا واحدًا وكل نوافذه عالية لا يُرَى منها ما داخله وبعد اقداح الفكرة حدثته نفسه بالدخول فدخل الباب واذا بهِ يرى سلمًا داخله فصعده وتدرجه شيئًا فشيئًا الى ان صار في صحن الدار كل هذا ولم ينظر احدًا فزاد عجبه وتقدم الى غرفة مفتوحة فمد راسه ينظر الى ما داخلها فوقعت عينه على صفراء الساحرة وهي جالسة في صدر الغرفة وقد رأته فطار الشرار من عينيها وصاحت بهِ من انت ايها الجسور المخاطر بنفسك فاجمد مكانك فوقع بهروز الى الارض وقصد ان يحرك يدهِ او رجليهِ فلم يقدر فعلم انها قيدته بفعل السحر وان هذه العجوز هي من السحرة فاستجارها وبكى بين يديها فدنت منه وقالت له ما الذي اوصلك الى هنا قال اننا كنا في البحر فهاج علينا وخالفتنا الرياح فقادتنا بالرغم عنا الى هذه الجزيرة مع اننا حاولنا كثيرًا ان لا نقرب منها ولما وجدنا ان الريح القتنا عليها نزلناها مع رفاقتي النوتية فتفرقوا هم بطلب اكل الاثمار التي وجدوها على الاشجار فتركتهم عليها وأتيت متفرجًا واننا ننتظر سكون الريح فنرجع الى بلادنا فبالله عليك ان ترحميني فاني لا اقصد لك قط شرًا ولا اتينا هذه الجزيرة بقصد غير ما ذكرته فلما سمعت كلامه صاحت من الغيظ والكدر ايوجد غيرك في الجزيرة وقد تعدوا علي واكلوا ثماري ثم انخطفت الى الرياض فوجدت النوتية على حالهم وكل منهم يعلو شجرة يا كل من ثمرها فقرأت عليهم وقالت بقوة معرفتي فليبقَ كل منكم في مكانهِ فلم يعد في وسع احد منهم ان ينقل رجله بل جمدوا بأماكنهم لا يقدرون على النزول ولا على الصعود ورجعت وفي نيتها ان تميتهم على تلك الحالة من الجوع والالم ولما دخلت القصر نظرت الى بهروز وهو ملقى الى الارض وتاملت في جماله فوجدته قد جمع كل المحاسن فمال قلبها اليهِ وجعلت تنظر فيهِ وتفكر في نفسها فقالت الى

مني وانا لا ارغب في الزواج وقد مضي عليّ تسعون سنة ويمكن ان اموت وانا بعيدة عن لذات هذه الدنيا مشغلة بسحري لا ارغب في مخالطة احد وقد ساق الي القدر هذا الغلام فهو في اول عمره شاب ظريف المحاسن بهي الطلعة لا ارى فيهِ شيئاً كرهًا فكل ما فيهِ جميل يستدعي حبي لهُ واتخاذه زوجًا لي واذا فعلت ذلك ابقيهِ عندي واقيم انا وهو في هذه الارض نصرف وقتنا بالهناء والافراح لا سيما وهو لم يقصد لي ضرًّا وقد ساقهُ معبودي لي لاتخذهُ بعلاً . وكانت كلما نظرت اليهِ كلما زادت هيامًا وولوعًا بهِ حتى لم يعد في وسعها ان تصبر عليهِ وهو في تلك الحالة ملقى على الارض صريعًا لا يطيق حراكًا ولا يقدر على النهوض واخذ منها الحب كل ما خذ و تزايدت بها دواعيهِ القوية التي طالما اشغلت افكار من مثلها من النساء عند نظرهن الى جمال الرجال ولا سيما وهي الى تلك اليوم خالية من العشق لا تحب ان تملك قلبها احدًا فصار منها ذلك بالرغم عنها

وفي الحال تقدمت من بهروز وقبلتهُ مرارًا واتت بزجاجة من خزانة عندها وصبت عليهِ فانحل وثاق ربطهِ ونهض واقفًا كحالتهِ الاولى فتعجب من هذه الحالة ومن قوة عملها وعرف من نفسهِ انهُ لا يقدر عليها الا بالحيلة والخضوع لها فقبل يديها وقال لها العفو يا سيدتي فاني غريب ودخيل عليك مستجير بك فالتمس ان تعامليني بكرامة اخلاقك وحنوك . قالت لا باس عليك فكن مطمئنًا ناعم البال فاني كنت قد عزمت على هلاكك غير اني شفقت عليك وقد وقعت من قلبي بارفع منزلة فنكرت ان اتخذك لي زوجًا مع اني كنت لا افكر قبل الان بمثل هذا ولا خطر لي قط ان اتزوج رجلاً ولي امل بانك تقبل ما اشرت عليك فتخلص من المهالك وتصرف بقية عمرك وانت عندي في هناء وسرور تعيش عيشة لا يشوبها كدر ولا يخالطها عذاب . فلما سمع كلامها خفق فوأده وكاد ينفطر من الغيظ لانهُ كان يحب سرعة الوصول الى جزيرة الطيور لخلاص سيده فيروزشاه ومما زاده كدرًا في داخلهِ ما راه فيها من قباحة المنظر وكراهة الرائحة وسوء التركيب لانها كانت قصيرة القامة كبيرة الراس جدًّا بوجه كثير الثنيات دقيق خالٍ من اللحم وفم كبير واسع الشدقين خالٍ من الاسنان تنبعث منهُ رائحة كريهة تكاد تاخذ بروح ناشقها فتعدمهُ الحياة ولم تكن متساوية الكتفين بل كان احدهما منخفضًا الى حد ان يساوي صدرها والاخر مرتفعًا بما يعلو عن راسها وحدبتها لا تنقص حجماً عن الاكمة الصغيرة ومما يزيدها قباحة ان صدرها طويل جدًّا فمعدل طول وسطها من كتفيها الى حد ساقيها يبلغ ثلاثة ارباع باقيها فلا يبان من رجليها الا قدمان طويلتان . والحاصل ان بهروز لو لم يكن جلودًا على حمل المكاره لفضل ان يموت الف مرة من ان يجيبها الى طلبها الا انهُ فكر في عاقبة امره فعوّل على الانتقام منها بالخداع والمكر فاجاب سوالها وقال لها اي سعادة احب عندي من هذه السعادة واني اشكر الهي الذي اوصلني اليك لاعيش بين يديك وابقى في هذه الجزيرة بعيدًا عن الدنيا ومشاقها فان قمت اقيم بين

يديك وان مت انام عند رجليك فانت سيدتي ومالكتي ولا بد لي من زواجك وهذا اكبر فخر لي حيث قبلتني لك بعلاً وقرينًا على انك لو اخذت اعظم الملوك ان يخدمك لقدرت على ذلك . فسر هذا الكلام قلبها وفرحت الفرح الزائد وزادت منزلته رفعة في قلبها وتضاعف هيامها به ورمت بنفسها عليه تقبله حتى كادت تزهق روحه وقالت له انت ملكي وملاكي وحياتي وقد رضيتك من الدنيا فانت احسن ما فيها فان بقيت على طاعتي وداومت على طلبي رايت من السعادة ضروبًا متنوعة لم يرها غيرك قبلك فان شئت جعلتك حاكمًا على اي مملكة شئت انما ذلك يخسرني لذة الاجتماع بك فلا بد ان تشاهد كل ما يسرك ويرضيك فاست عدت من الان وصاعدًا زوجًا لي ورفيقًا ابديًا وصار لي الحرية التامة ان انصرف بك كيفما شئت اذ صرت كلك بجملتك لي . قال لا ريب اني عبدك ومملوكك وتحت امرك غير انه لا خفاك اني قاسيت من انواع العذاب والجوع في سفري هذا ما لم يقاسه احد قبلي واني اشعر بضعف في جسمي وارتخاء في مفاصلي فبالله عليك ان تمهلي عليّ اذا كنت تزعمين محبتي وترغبين في نجاح صحتي والا مت ولم يعد في وسعك ارجاع الحياة لي واسعي بما اكله لاسد رمقي فاني اكاد اهلك . فنزل هذا الكلام في قلبها اشد من الصاعقة لانها لم تكن تطيق صبرًا عن وصاله انما رات في كلامه عين الصواب وقد شاهدت ان الخول قد انهكه فلم ترَ بدًا من الصبر عليه حفظًا لصحته وراحته . فقالت له اليك ما طلبت من الراحة فاني ازيدك فوق الثلاثة ايام نصف ساعة وساعة . وفي الحال دخلت به الى غرفة الاكل وجلست بجانبه على المائدة وامرت خدم الهواء ان تحضر لها الاطعمة الفاخرة بالوانها ففي اقل من طرفة عين وجد على المائدة الطعام سخنًا فتعجب بهروز من هذه الصناعة وجعل قلبه يرجف منها ثم عزمت عليه وكان في تضوّر من شدة الجوع فمد يده واكل بعد ان ذكر الله مرارًا وطلب اليه ان يخلصه من هذه الساحرة وبعد ان فرغ من الطعام قام فوجد الماء فغسل يديه وحمده تعالى . ثم دخلت به الى غرفة الشراب فوجد على المائدة الشراب مصفوفًا والنقولات مختلفة والروائح العطرية تنبعث من تلك الغرفة بما تنتعش منه الروح ويطيب به الخاطر والفاكهة والحلويات مما تتوق اليه النفس كل هذا وبهروز لم يرَ غير الساحرة وكلما امرت بشيء يحضر بالعجل دون ان يرى شخصًا انسيًا او جنيًا فضاع لذلك عقله وجلس الى جانبها فامرته ان يسكب ويعاطيها ويشرب هو ففعل وكل دقيقة تضمه اليها وتقبله وتاخذ من على المائدة من انواع الفاكهة وتطعمه بيدها وتطلب اليه ان يطعمها بيده وقد شعرت بلذة المعاشرة وطاب لها الوقت وجاش في خاطرها الشعر فتذكرت وقالت

مزق الريح قميص الغلسِ وسرى الريح ذكي النفسِ
ناحت الورق على اوراقها فرنت تحدق عين النرجس

وبدا زهر الربا مبتسماً   في ذرى الدوح بثغر العس
قهقه المزنبق من حين راى الـــطل يبكي في ظلام الحندس
في رياض رقصت اغصانها   كالعذارى في ثياب الاطلس
ركضت خيل الصبا فيها وقد   رنّ جاري مائها كالجرس
هللت اطيارها بين الربا   عندما جنّ الدجى كالحرس
قام يسقي الراح فيها شادن   فاق اغصان النقا بالميس
مفرد في الحسن لكن قده   يتثنى بثياب السندس
لو رآه البدر لم يبدُ ولو   سمع الغصن به لم يمس

وكانت قد بلغت كما تقدم التسعين سنة من العمر ولم تذق هناء عيش وطيب وقت كتلك الساعة ولا زالت معهُ في شراب وتقبيل وعناق الى ان هب بها النعاس فقامت بهِ واخذتهُ الى غرفتها ووضعتهُ بفراش الى جانب فراشها فاظهر على نفسهِ التعب والملال فعذرتهُ وقالت لهُ نم هنيئاً يا حبيبي فقد عاهدتك الى ثلاثة ايام الى ثلاثة ايام ولا بد ان تمضي وانال منك ما انا طالبة وكل آتٍ قريب . ونامت ونام بهروز وهو لا يصدق ان تتركهُ وتبعد عنهُ وفي الصباح ايقظتهُ فاستيقظ وهو في حيرة من دنو الوقت قبل التمكن منها ثم اقامت معهُ نحواً من ساعة الى ان تعالى النهار وعلت الشمس فالتفتت اليه وقالت لهُ اعلم يا حبيبي ان مرادي الذهاب الى مدينة استاذي الذي علمني فن السحر فلا تغضب من الوحدة اليوم فاني اروم ان اصرف هذه الثلاثة ايام عنده في النهار فلا اعود اليك كل يوم الا في المساء وبعد ذلك افرغ ذاتي واقيم معك سنة لا افارقك دقيقة . قال لها اني لا اطيق فراقك ولا ارغب ان تبعدي عني فاما ان تبقي هنا واما ان تاخذيني معك بحيث ابقى انا وانت معاً فمتى عدتِ عدتُ ومتى رحلت ارحل . قالت هذا لا يمكن مطلقاً لاني لا اريد ان يعلم احد بك فاغار عليك من كل عين ولا اود ان يراك احد غيري . قال حسبك ما شئت فافعلي . قالت اذاً كل شيء موجود في قصري فاذا دخلت غرفة الاكل تجد الطعام على المائدة دائماً وفي كل دقيقة كانهُ رفع عن النار حالاً وكذلك في غرفة الشراب وفي قصري من الغرف كثير وكل واحدة بها من الاثاث الفاخر ما يستدعي تفرج المتفرجين وكذلك من الجواهر والنفائس والتحف ما يمكنك ان تصرف هذه الايام عدها وبالفرجة عليها فكلها لك وفي يديك ثم دخلت سرير رصدها وامرتهُ بان يرتفع على ظهر الهواء فارتفع بها وغاب عن عينيهِ فسر قلبهُ لذلك وسجد لله شكراً وصلى يطلب اليهِ ان يساعده على الخلاص من تلك الساحرة الماكرة وكان قلبهُ يخافها جداً لما شاهده منها من قوة السحر وما عملت معهُ ومع الرجال النوتية ثم دخل الى المائدة فاكل منها ما اشبعهُ ورفع منهُ كثيراً وخرج بهِ الى النوتية وهم لا يزالون في اماكنهم في جوف الشجر

وقد مات منهم اثنان ووقعوا الى الارض . فجعل يطعم كل واحد بمفرده حتى اكتفى الجميع وفرغ الاكل منهُ ودفن الاثنين المائتين في جوف الارض ورجع الى القصر وهو حزين على حالتهِ وحالة النوتية يسال الله الفرج قريبًا وجعل يدور في القصر من غرفة الى اخرى وقد اندهش من كل ما نظر وتعجب من غناء هذه الساحرة الى ان وقع على باب الغرفة التي فيها فيروزشاه فسمع فيها انينًا وتضجرًا فصغى باذنهِ اليها داخلها واذا بهِ يسمع بذكر الله جل وعلا وشغل فكره واضطرب لا سيما وقد ترجح عنده ان هناك ادمي يعبد الله فاسرع الى مفاتيح الغرف وجربها على الباب واذا بهِ قد فتح فانسل بخفة يتسرق السمع ليعلم من هناك ولما قرب قليلاً طرق اذنهُ صوت سيده وهو يقول . الهي الهي الى متى انت تاركني هل لم استوفِ حتى الساعة حق العذاب وهل ان جسمي يقدر على حمل اكثر من هذه الاثقال نعم اني مجرب لا استحق منك الرحمة انما اسالك بحق رحمتك وبكرامة ابي الملك ضاراب عندك فهو يعبدك ولم يسئ ضدك قط فاشفق عليهِ واشفق على عين الحياة التي احبها قلبي فاني اطلب منك الخلاص لاجل هاتين الغايتين المقدستين عندي وعندك فانك لا ترغب ان تنزل بشيبة ابي حزينًا الى القبر بل ترد لهُ ابنهُ المطروح في جب هذه البرية والمسجون في اعماق السجون والمعذب باثقل القيود ولا تحب ايضًا ان يبطل نصيبًا كتبتهُ لي على عين الحياة مالكة قلبي بارادتك فان حبنا لا يزال طاهرًا مقدسًا يرضيك ويرضي عبادك ثم انشد

الهي بحق الانبياء جميعهم — بنوح بابراهيم ثم بآدمِ
بموسى الذي ناجيتهُ واصطفيتهُ — كليماً وقد فضلتهُ بالعوالمِ
بان تدفع الاثقال عني جميعها — وترجعني يا رب واغفر جرائمي
وانك تدري ما يعانيهِ والدي — لاجلي وما يلقاه اهل عواصمي
وتدري بما عين الحياة مصابة — من الحزن والبلوى وعظم العظائمِ

فلما سمع بهروز كلامهُ تحقق عنده انهُ فيروزشاه مولاه فكاد يطير من الفرح الا انهُ انفطر قلبهُ عندما وجده على تلك الحالة في ذلك المكان المظلم وشوكات الحديد محيطة بعنقهِ وهو مجرد من الثياب وليس عليهِ الا ثوب خشن قد البستهُ اياه لعذابهِ تلك الساحرة الظالمة . فصاح بشراك . يامولاي فقد استجاب الله دعاك وارسل لك من يساعدك على بلواك فلم ينتبه الى مآل كلامهِ بل تصوره صوت الساحرة فقال لها حليني من اسري والا فعجلي علي باعدامي فان عذابات العالم لا تقوى ان تقلل عزمي اذا كان من يعذبني رجل مثلي انما نفسي لا تطيق ان ترى من مثلك متسلطًا عليَّ يجهد نفسهُ في عذابي . فعلم بهروز انهُ لم يصغ اليهِ لانهُ لم يكن بانتظار احد يدخل عليهِ غير صفراء فدنا منهُ وقبل يده وقال لهُ التفت اليَّ ياسيدي فانا عبدك بهروز العيار اتيت من بلاد ابيك في طلب خلاصك وقد اصحبت الك كتابًا معي من حبيبتك عين الحياة بنت الشاه سرور وسلامًا من ابيك

الملك ضاراب وامك تمرتاج . فانهل دمع فيروزشاه عند سماعهِ هذا الكلام وعند ذكر من احبهم
اكثر من العالم كلهِ وانهُ لا يرغب البقاء لنفسهِ الا من اجلهم وكاد لا يصدق من يحاكيهِ وقد تاكد
صوتهُ انهُ بهروز يكلمهُ باللغة الفارسية لغة ابائهِ واجداده . فقال لهُ اشكر الله يا بهروز الذي اوصلك
اليّ فاخبرني كيف حال ابي وامي ورجال ايران وكيف حال عين الحياة واعلمني بعد ذلك ما
الذي اوصلك اليّ ومن اين عرفت بوجودي في هذا المكان ووصلت الي وانت سالم مع ان مردة
الجان وعفاريت السيد سليمان لا تقدر على الدنو من هذه الجزيرة ولا تقرب من هذه الساحرة دون
ان يحل بها العدم وتلاقي من انواع العذاب ما الاقيهِ انا الان . قال ان اباك في ايران حتى الساعة
يقاسي لاجل بعدك مزيد العناء وكامل بلاد فارس تضج من هذا البعاد وما فيهم الا من
يصرف ليلهُ بالدعاء والصلاة وصرفوا اياماً وهم لا يعلمون الى اين سرت وفي اي بلاد موجود وما
هي الغاية التي بارحت بلادك واباك لاجلها وانقطع ابوك عن الناس اياماً الى ان جاءه شباغوس
واخبره بحالك فارسلني معهُ نستطلع على حالك فاتينا تعزاء اليمن واجتمعنا عند ضواحيها بعين
الحياة وكانت بانتظارنا لانها رات في حلم اننا خرجنا من ايران لهذه الغاية فاطلعتنا على كل ما
جرى عليك وان اباها سلمك ظلماً وعد واناً الى بلاد الزنوج فرجع شباغوس الى ابيك وقد كتبت
لهُ كتاباً تعلمهُ مفصلاً وملت انا قاصداً بلاد هورنك املاً بان اتوصل الى خلاصك ولا ريب ان
اباك يقصد بلاد الشاه سرور فيدمرها بثارك ويقتلهُ واما انا فاني نزلت في زورق صادفتهُ عند
الشاطىء فحملني وبينما كنا في وسط البحر هاجت الرياح واضطربت فصادف وقوعنا على هذه
الجزيرة بعد معاناة الشدائد وكان ذلك بتقدير من الله لاني لو ذهبت الى جزيرة الطيور لتصعب
عليّ الوصول اليك قبل ان يقضى عليك . ثم اخبره ايضاً بما جرى لهُ مع الساحرة صفراء وكيف
انها احبتهُ وتمنت زواجهُ وقد وافقها على ذلك املاً بان ينتقم منها وخوفاً من سطوتها . فلما سمع
فيروزشاه هذا الكلام تهلل وجههُ فرحاً وقال اهل شاهدت عين الحياة بصحة نفس وجسد قال
رايتها عياناً وهي لا تشكو الا فراقك ولا تتاثر الا من حالتك وقد اضناها بعادك ولا تعرف ماذا
جرى عليك وقد اخبرتني انها تخرج في كل يوم الى خارج البلد تتوقع اخبارك وانها مصرة كل
الاصرار اذا عرفت باعدامك تميت نفسها وتلحق بك لا سمح الله . ثم دفع اليهِ كتاب عين الحياة
فقال لهُ اقراه لي فان يداي لا تطاوعاني على النهوض ولا اقدر على الحراك ففضهُ وتلاه واذا بهِ

من الحزينة الكئيبة المفارقة عين الحياة حبيبة فيروزشاه حرسهُ الله ونجاه من كيد اعداه

اكتب الان بدموع عين مقرحة من شدة البكاء ولا اعلم ان كانت كتابتي هذه تقع تحت نظر
عينيك لان الياس قد قطع اوصالي واحرمني راحتي وابعد عني رقادي فلا عدت التذ ولا اهنأ
باكل ولا بشرب واذا لم يتداركني خبر سلامتك ويغسل عني اوساخ هذه الهموم انتهت بي حالتي

الى الموت الذي ما برحت اراه واقفاً عند الباب يدعوني من ساعة الى اخرى . وهنذا ياحبيبي ويامن تسلم قياد امیالي ورماني من هواه ببحر لا قرار له قائمة على العهد حافظة لك الود فاذا كنت لا تزال حيًّا فانا لك وقلبي اسيرك فاسرع الي وانقذني من وهدة هذه الاوجاع وابعد عني محاربات الافكار والظنون . اسرع فتراني فاتحة لك قلبي هادية لك جسمي وكلي لاقيت من الهموم اثقلها ومن لوعة الفراق اشدها ومن الحزن اعظمه ومع كل ذلك فان ما انا واقعة به ليس منتهى العذاب واری انه مكتوب على صفحات مستقبلي سطور مصائب ثقيلة لا تمحى الا بعذوبة لفظك وطيب ذكرك وقد علق لي بعض الامال مسير بهروز العيار حيث اكد لي انه اذا وجدك حيًّا يخلصك او كان حولك الوف من الحراس ولا ازال منتظرة خبرًا باتًا من جهتك واسال الله ان يكون خبرًا مسرًّا تكون نتيجة رجوعك اليَّ على الحالة التي احبها واني اقسم عليك بابيك ان لا تتاخر عني اذا تسهل لك الخلاص ولا تنساني فاموت ولا تفضل شيئًا اخر على حبنا ولا اظن ان من كان مثلك جميل المآثر كريم الطباع تلويه الحوادث عن عزمه او تضعف المصائب همته فاني لا انكر ان كل ما لقيته وتلقاه من العذاب هو كان بسببي ومن قلة ادراكي فلا تعاملني الا بما طبعت عليه صفاتك الكريمة من الرقة والحلم وارحم قلبي وساعده على تعود اليه الحياة فيتنفس الراحة ويروق لديه الهناء ويجتمع بك بعد هذه القطيعة فتح الله هذا الزمان الغادر الذي لم يزد على ايام اجتماعنا القلائل الماضية اللذيذة الحلوة يومًا اخر او ايامًا ودهورًا واسال الله ان يمنع عنك الاثقال والمصائب ويبعد عنك العذاب والاوجاع ويعيدك اليَّ بالرغم على كيد كل حسود خائن . واقول لك اخيرًا اني كتبت لابيك كتابًا ذكرت له فيه كامل ما كان من امرنا وانا على يقين بانه لا تمضي ايام قليلة الا وابوك يقاتل ابي في ضواحي هذه المدينة فمن اين لعيني اوانئذ ان تراك وانت عروس الميدان تشق الجموع بوثباتك وتفرقها بضرباتك انما الامل ان تسبق الى هذه البلاد قبل ابيك فتتلافى الامر قبل وقوع الخصام وبوجودك تمتنع الحرب ويرتفع القتال فالي اليَّ اذا اطلق سبيلك والا فالممات لحبيبتك عين الحياة وكتبت تحته

تصبر ففي اللاء قد يحمد الصبر ... ولولا صروف الدهر لم يعرف الحرُّ

وان الذي ابلى هو العون فانتدب ... جميل الرضى يبقى لك الذكر والاجر

وثق بالذي اعطى ولا تك جازعًا ... فليس بحزم ان يروعك الضر

فلا نعم تبقى ولا نقم ولا ... يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر

تقلب هذا الدهر ليس بدائم ... لديه مع الايام حلوٌ ولا مرٌّ

وكتبت ايضًا . واما حالة حبي فهي

لك لا لغيرك في البرية اعشق ... يامن به ثوب الحشا يتمزق

يا مخجل القمر المنير وفاضح ال‍ ... ظبي الغرير لك الجمال المشرق
يامن به اضحى فوادي رانعاً ... في روضة بجمالو تتنمق
وغدا لساني ناطقاً في حبهِ ... ببدائع تعلو ومدح يشرق
ياعاذلي في غير حبك مطمع ... كلا ولا قلب يميل فيعشق
امسي واصبح في هواك بمقلة ... تندي وقلب من جمالك يخفق
بالله يافرد الورى في حسنهِ ... ارحم بفضل هواك فهو الاليق

وكان بهروز يتلو له التحرير وقلبهُ يتقطع على بعدها وما تلاقيهِ من جرى بعدهِ عنها وتمنى لو كان في وسعهِ ان يقطع قيود اسرهِ ويطير اليها ليخفف ما بها من الاحزان وشكر صادق جها وتعزى بكلامها تعزية كبرى وطلب الى بهروز ان يعيد عليهِ قراءة التحرير فعاده مراراً وما جاء على آخرهِ مرة الا وتشوق الى اولهِ فطلب اعادته فقال له بهروز ياسيدي دعنا ننظر في امر خلاصك ومتى نجوت فلا تلبث ان تعود اليها وتنقضي عنك هذه الاحزان . قال وما خطر في ذهنك من التدابير الحسنة . قال لاح لي ان اغدر بهذه الساحرة وهي على غير انتباه فاقتلها وبعد ذلك اسير بك عن هذه الجزيرة . قال هذا ليس بصواب فان قتلك للساحرة قبل خلاصي مما يعجل موتي لان هذه الشعرة التي تراها في رجلي هي اثقل من اعظم القيود الحديدية وهذا من عمل السحر فلا اقدر ان انقل برجلي منها ولا تقدر انت على فكها فالاوفق ان تستخبر منها عن اسباب ذلك وماهي الطريقة التي تسهل فك السحر ومنعهُ ولا ريب انها تخبرك بكل ذلك لان لك عندها من الحب ما يجعلها ان لاتكتم عنك امراً فتخبرك بكل شيء . قال اصبت فلا بد لي من الاستطلاع على كل احوالها والوقوف على اسرارها وفي الغد ان شاء الله يكون لنا ولها شان عجيب واقام بهروز عند فيروزشاه نحواً من اربع ساعات وقد جاءه بالطعام الفاخر والحلوى وكل ما يزيد في نشاطهِ وخرج بعد ذلك الى القصر واقفل الغرفة عليهِ خوفاً من ان تظن الساحرة بهِ سوءا اذا جاءت ونظرتهُ عندهُ فتعرف من هو ومن اين اتي . وقبل ان غربت الشمس نظر بهروز الى صحن الدار واذا بافعى كبيرة اشبه برقبة الجمل وراسها اشبه براسهِ وهي تقصده وقد فتحت بفمها نحوه فراعهُ هذا المنظر المخوف ونهض راكضاً الى جهةاخرى واذا بصوت صفراء الساحرة قد طرأ على آذانهِ فالتفت واذا بهِ يراها خلفهُ وهي تضحك وقد قالت له لا تخف ياحبيبي فاني ما فعلت ذلك الا لاريك عظم مقدرتي وما انا عليهِ من قوة السحر . ثم دنت منهُ وقبلتهُ وجعلت تتعطفهُ وتسكن روعهُ وقد اظهر على نفسهِ الخوف والجزع وقال لها اما كفاني انفرادي كل النهار وما قاسيتهُ من الخوف عند سماعي اصوات الجان والعفاريت في قصرك . قالت لم يكن في قصري شيء مما ذكرت وان الصوت الذي تسمعهُ هو صوت آدمي مثلك . قال من اين ياتي الادمي فهو صوت جان . قالت كلا بل هذا

صوت فيروزشاه ابن الملك ضاراب سيد بلاد فارس وحاكمها وقد وقع في يدي أسيرًا وعولت على قتله واني ساقتلهُ يوم عرسي بك ليقال عنك انهُ يوم زواجك قتل اعظم رجل في العالم واشجع فارس ركب الجواد ونقل الحسام وهذا فخر تفخرين به قال صدقت فاني احب ذلك لكن من اين وصلت اليهِ قالت ساحكي لك قصتي معهُ ونحن على المائدة ثم دخلت بهِ الى المائدة وجلست واجلستهُ الى جانبها وجعلت تلقمهُ وهو يلقمها ويظهر لها مزيد حبهِ وقلبهُ يكاد ينشق من كراهة منظرها ورائحتها واذ ذاك جعلت تشرح لهُ ما كان من امر فيروزشاه ودخولهِ الى بلاد هورنك وقتلهِ هورنك وما توقع لهُ مع الصعلوك الى ان وصل اليها وهو يظهر من ذلك التعجب وقال لها ان كل ما ذكرتهِ عن هذا الرجل عجيب انما اعجب منهُ اسرك لهُ كيف قدرت على ذلك وما هي القوة التي قيدتهِ بها يفعل شعرة من شعرك . قالت ان هذه الشعرة هي اثقل عليهِ من حمل قنطار من الحديد ولا يقدر على فكها احد من الناس فقال ارجوك ياسيدتي ان تجيبي سوالي وان كان ذلك مما يثقل عليك انما انت حليمة كريمة علي وانا اجهل كل هذه الامور واحب ان اعرفها . قالت مرحبا تريد فانا صاغية لك لا اخفي عنك شيئًا فانت حبيبي وزوجي ولك حق كل شيء . قال اريد ان اسالك هل يفك بعد هذا القيد السحري وهل تحل تلك الشعرة بسهولة . قالت اما انا فاني قادرة على فكها بكلمة واحدة كما ربطتها وفوق كل ذلك فاني اصطنعت سيالاً اذا سكب منهُ على الرجل المسحور زال عنهُ السحر وتساقطت قيوده ان كان مقيدًا بعمل السحر وهو موضوع في زجاجة عندي وكذلك اصطنعت سيالاً آخر اذا سكب منهُ على انسان او نشق او سقي جرعة منهُ سحر بقوتهِ وذلك في زجاجة وفي الغد اريك كل شيء عندي فيسر ناظرك وتعرف قوة زوجتك وكانت تحب ان يطلع على كل ما عندها للتفاخر امامهُ بعملها لانها تعلم من نفسها انها قبيحة المنظر لا تقدر ان ترضيهُ بجمال فيها فعمدت الى ان تبني لنفسها موضعًا في قلبهِ بما عندها من معرفة السحر وفي ظنها انهُ يميل الى الفخر وحب المجد فيسر فيها ويطلب اليها ان ترفع مقامهُ وتعلي منزلتهُ . ثم خرجت بهِ من غرفة الاكل الى غرفة الشراب فجلسا عليها واخذا في معاطاة الخمور وقد اظهر لها من الحب فوق ما كان يخطر في بالها فسرها ذلك جدًا وظنت بهِ الاخلاص وقد اعماها حبها عن الحقيقة فلم تنظر فيهِ بعين بصيرة ولا فكرت انهُ يجسر على الايقاع بها بعد ان يطلق سراح فيروزشاه

وبعد ان صرفا السهرة على هذا النمط وضعتهُ في فراشهِ وانصرفت الى فراشها بعد ان اكثرت من تقبيلهِ وعناقهِ وهو يحتمل ثقل شناعتها ويقابلها بالمثل املاً بنوال غايتهِ وانهى ليلتهُ في فراشهِ وهو بين فرح وقلق وقلة نوم فانهُ كان يفرح عند ما يفكر انهُ سيحصل على المادة التي تمكنهُ من فك قيد فيروزشاه ورفع السحر عنهُ واطلاق حريتهِ غير انهُ كان يحزن عند ما يخطر لهُ ان لا خلاص لهما من وجه صفراء الساحرة فانها اينما هربا تتاثرهما ولا يقدران على قتلها واعدامها لانها

ساهرة على نفسها فاذا لاح لها وجه اشر تهلكها ولا تعود تبقي عليها وكان يخاف من العجلة في العمل وفيروزشاه لا يحب التطاول ولا يقدر على الصبر ولما اشرقت شمس نهار اليوم الثاني نهض من فراشهِ فغسل وجههُ وخرجت اليهِ صفراء فلاقاها وترحب بها فجلست معهُ الى ان آن اوان ذهابها فنهضت وودعتهُ فذكرها بوعدها لهُ في الامس فقالت لهُ حبًّا وكرامة فاني اعود اليك قبل الغروب فافتح لك خزائني واريك عجائبي وماشغلتهُ في حياتي فكن على يقين من ذلك ثم ودعتهُ وطارت في سرير رصدها وغابت عن عينيهِ فصبر قليلاً يفكر في حالتها . ثم ذهب الى غرفة الطعام فاخرج منها ما يكفيهِ ويكفي لفيروزشاه ودخل عليهِ بعد ان فتح باب سجنهِ فحياه ووضع الاكل بين يديهِ واخذ يطعمهُ ويأكل الى ان اكتفيا ثم رفع الطعام الى مكانهِ واخذ غيرهُ ونزل الى الجزيرة واطعم النوتية وهم لا يزالون على الاشجار وقد مات اثنان اخران وقعا الى الارض فواراها التراب وقد حزن عليهما ثم رجع الى فيروزشاه واقام عندهُ وحكى لهُ ما دار بينهُ وبين الساحرة وقد اطلعتهُ على اسرارها ووعدتهُ في العشية تأتيهِ باكرًا وتطلعهُ عيانًا على كل شيء فيشاهد ما يحتاجانهِ لنفسهما فحرصهُ فيروزشاه على الانتباه وقال لهُ اعلم ان حياتنا تتوقف في هذين اليومين على انتباهك وتيقظك فكن حكيماً واعيًا الى كل ما من شانهِ ان يبعدنا عن هذه الملعونة . قال اني على يقين من نجاح مسعانا معها انما يشغل فكري اننا لا نقدر على الخلاص منها والبعد عنها لانها تتبعنا اين سرنا فلا نقدر ان نخبأ من وجهها ولا طريقة لنا على هلاكها . قال ان الطريقة لهلاكها سهلة عندنا وذلك متى فك قيدي وملكت سلاحي فاجهد نفسك بالحصول على سلاحي لانهُ عندها وقد اخذتهُ مع ثيابي قال لا بد من ان اتيك بامتعتك واننا نطلب منهُ تعالى ان يعمي بصرها عما نحن فيهِ ثم صليا لله وسألاه المعونة وشكراه على ارتياح بالهما نوعًا وبعد الظهر بساعات خرج بهروز الى الخارج واقفل الباب عليهِ وجلس ينتظر الساحرة ويردد في فمهِ ذكر الله تعالى وبينما هو على مثل ذلك واذا لاحت منهُ التفاتة الى جهة الباب فشاهد اسدًا هائلاً دخل منهُ وهو يزأر وقد خرج الزبد على اشداقهِ وكشر على انيابهِ فهالهُ ذلك وصاح من شدة الخوف واذا بالساحرة صفراء تناديهِ لا تخف يا حبيبي فهنذا انا وقد جئتك اليوم بصفة اسد لتعلم اني اقدر ان اكون كيفما شئت فاطمان بالهُ وعاد اليها ولاقاها بوجه ملآن بالبشاشة والسرور . وقال لها قد ارعبتني بعملك هذا ومن الان وصاعداً صرت اعرف ان كل ما يظهر لي فهو انتِ فلا اخاف والحمد لله على اتيانكِ بالسلامة لاني كنت كل نهاري وحيدًا لا انيس ولا رفيق الا صوت هذا الاسير وهو اشبه بصوت الجان لكثرة تشكيهِ وانينهِ قالت ان هذا الصوت لا يبقى لاكثر من الغد وان شئت قتلت لك فيروزشاه الان لترتاح منهُ . قال كلا بل يجب ان يبقى ويذبح في يوم عرسي كما اشرت قبلاً . قالت اذاً يجب عليك ان تصبر يومًا اخر واني وعدتك باني اطلعك على الزجاجتين وما اصطنعتهُ غيرها فهلمَّ معي ثم دخلت

غرفتها وتبعها ففتحت باب غرفة داخلية وأتت خزانة فيها واخرجت منها زجاجتين مملوءتين واشارت الى واحدة منها وقالت هذه فيها ما يبطل السحر فامعن فيها ووعاها وقالت والثانية فيها ما يسحر على حسب المراد وقد اخبرتك عنها سابقًا وهذا عمل لا يقدر عليه احد غيري بحيث يمكني ان ابعث مع احد خدمي من الجان ان اسحر او ابطل السحر وانا مقيمة في قصري لا انتقل من مكاني ثم اخذته الى صندوق من الحديد ففتحته واخرجت منه ثوبًا مزركشًا بالفضة وقفطانًا منقوشًا بالنقوش الرقيقة والطلاسم لا يحسن على قراءته الا كل ساحر ومصور عليه من الصور اشكالاً كصورة النسر والغراب والباشق وكبار الطيور وكالاسد والفيل وكبار الحيوانات وصور مردة من الجان وشياطين وغير ذلك مما يهيج النظر ويخيف القلب فقال لها ما هذه الثياب قالت اذا البسها الانسان يامن كل سحر ولا تصيبه عين ولا يدنو منه وحش ولا جارح من الطيور فهي منيعة ولابسها يامن كل غائلة وهذه من اعجب ما صنعت وبعد ذلك اخذت تطلعه على ما عملته في زمانها وتحكي له كم اماتت من الملوك ونحوهم فاظهر تعجبه من ذلك وقال لها يحق لي ان افتخر ان تكون زوجتي صاحبة كل هذه الافعال الحسان ودنا منها فقبلها وابدى لها مزيد الحب وقال لها اريد منك ان تاتيني بدواء لتقوية جسمي فان لي يومان وانا اشعر بضعف في بدني وارتخاء في اعصابي مع اني كنت قبل دخولي البحر ومقاساة الانواء والرياح لا اشعر بشيء مما ذكرت بل اكسر الحديد في يدي قالت لا باس عليك من ذلك فان هذا الضعف يزول اذا ارتحت اياما على اني سادفع اليك ما يقويك ويزيل عنك هذا الضعف بحيث يمكنك بعد الثلاثة ايام على الزواج . ثم عادت به من تلك الغرفة بعد قفلها ووضعت المفاتيح تحت وسادتها واخرجت له زجاجة فسكبت منها بعض قطرات في وعاء صغير وسقته وكان بهروز قوي البنية خال من كل مرض وضعف ومع ذلك قد شعر بان قوته تضاعفت الحال فسر من هذا العمل وشكرها عليه وذهب معها الى غرفة الطعام فجلسا على المائدة وكان ياتيها الطعام كعادته سخنًا دون ان يظهر حامله فسالها عن ذلك قالت اني رصدت خدمًا لهذه المائدة على نفسي فلا تزال تخدمها وتحضر عليها انواع الاكل بحسب مشتهاي فما اشير اليها به يكون حاضرًا في المائدة كما ترى . ولما انتهيا من الاكل دخلا غرفة الشراب فصرفا عليها وقتًا حتى ثملا وكانت الملعونة قد اعتادت في هذين اليومين على معاشرة الرجال ووقع لها من اللذة ما رماها ببحر عميق من الحب فكانت لا تفتر من النظر دائمًا الى وجهه ولا تصبر عن ان تقبله في كل دقيقة لما تراه فيه من الجمال الباهر الفاتن لان احمرار خديه وسواد عينيه قد افتناها فلم تقدر ان تصبر على ما بين يديها ونامت تلك الليلة وهي لا تصدق ان ياتي الغد بليله لتدخله عليها وتمتلي من جرعات جماله . ومثلها بهروز فانه كان يطلب اتيان الغد بكل سرعة وذهاب صفراء الساحرة ليدخل على سيده فيروزشاه ويخلصه مما هو فيه وقد تاكد عنده نجاح مهمته والحصول على ما جاء في طلبه .

ولما كان كان اليوم الثاني نهض كل منهما مسروراً فرحاً فان الساحرة كان كل سرورها منصرف الى وصولها الى اليوم الثالث الذي تنقضي فيهِ مدة الاجل المضروب لزواجها بمن تحبهُ وكانت ترى تلك المدة شهوراً واعواماً ومما زاد في سرورها وفرحها نظرها الى بهروز وهو يضحك وقد زاد وجههُ نوراً وجمالاً وصار في حالة حسنة جداً فكان يخطر لها انها ملكة على قلبهِ كما هو مالك على قلبها ويصور لها حبها ان فرحهُ بالزواج بها كفرحها ولم تكن تعلم ما تخبأ لها في زوايا الزمان . وبعد ان نهضت بساعة ودعت بهروز وقالت لهُ لم يعد في خاطري ان اذهب عنك الا هذا اليوم فقط فاصبر على هذه الفرقة وتحمل صعوبة بعدي القريب الزوال فاني ساذهب الى زيارة بعض رفقائي وازمعت في عودتي ان اعود على ولدي قطران شاه وايران في الجزيرة البيضاء ليحضرا زفافنا لاني تبنيتهما واحببتهما كما تحب الام اولادها . فقال لها هو يوم فينقضي وما انا الا مملوكك وعبدك وامرك نافذ في وعليَّ واني ارجوك ياسيدتي ان لا تطيلي عليَّ بعادك فاني اكاد لا احملهُ واصبر عليهِ وقد اعتدت عليك وعلى معاشرتك . قالت لا باس عليك في هذا اليوم وانت لست بمملوكي ولا عبدي بل انت رفيقي وحبيبي وبعلي وساعدي . ثم نزلت في سرير رصدها وامرتهُ ان يركب الهواء فيسير بها الى مكان مقصدها فطار وغاب عن القصر وهو فيهِ وبعد غيابها نهض وهو يقول لا عادت سالمة ودخل غرفة منامتها واخذ المفاتيح وفتح الباب الداخلي ثم فتح الخزانة واخذ منها الزجاجة التي تبطل عمل السحر وانسحب مسرعاً الى فيروزشاه ففتحها ورمى بنفسهِ على قدميهِ وسكب من الزجاجة قطرة من ذاك السائل واذا بفيروزشاه قد انطلق من رجليهِ وزال ذاك الثقل الذي كان يعاني الاماً واوجاعاً بسببهِ وصاح من الفرح لا عدمتك يابهروز فاسرع الى كسر ما عند عنقي . قال مهلاً ياسيدي ثم اخذ بيديهِ الحديد وفك شوكاتهِ ورفعهُ عن عنقهِ فقفز كالغزال وقبل بهروز فقبل يديهِ وقال هذا فرض وجب علي فان العبد الامين يحافظ بكل جهدهِ على حياة سيدهِ والان اريد منك اقداح الفكرة في تدبير طريقة لاهلاك هذه اللعينة لانها ان عادت وشاهدتك وانت على ما انت عليهِ اهلكتك لا محالة واذا هربنا ونجينا بانفسنا تتبع اثارنا اينما ذهبنا قال كن براحة فلدي من التدابير الحسنة ما نبلغ بهِ المراد ونهلك هذه الملعونة وذلك انها لا بد ان تاتيك هذه الليلة بصفة غريبة كعادتها فحالما تراها قل لها اهلاً بحبيبتي اني اريد منك ان تبقي على حالتك لحيظة لاقبلك في هذه الحالة فقد اعجبتني وارمي بنفسك في الحال على عنقها وضع وجهك بوجهها بحيث لا ترى في عينيها غيرك وتلتهي فيك عني واذ ذاك اخرج اليها انا واكون مختبئاً خلف الباب فاضربها بالسيف فاميتها ونرتاح من شرها انما اريد منك ان تاتيني بسلاحي وعدتي قال هي عندي والان اتيك بها وما اشرت بهِ فهو الصواب واسال الله ان يتم لنا عملنا بالنجاح والتوفيق وكيد هذه الساحرة الخبيثة التي كان في نيتها ان تبتلك هذه الليلة ضحية في زفافها

النحس فقبحها الله وقبح رجلاً يقبل ان يدنو منها بخاطره ثم اسرع الى المكان الموجود فيه سلاح سيده فيروزشاه فاحضره له فتناوله في يده وشكر بهروز مزيد الشكر بعد ان صلى لله تعالى على وصوله الى تلك الجزيرة وخلاصه على يده وطلب اليه تعالى ان يقدره على قتل الساحرة واخذ ثاره منها ولما ارتاح باله واستكن خاطره سال بهروز ان ياتيه بالاكل فذهب به الى غرفة الاكل فاكل واياه حتى اكتفيا ثم دخلا غرفة الشراب فشربا وكان بهروز قد اخذ من الاكل شيئاً كثيراً ونزل به الى الجزيرة ودخل الروض فوجد النوتية على حالتهم وقد مات منهم اثنان آخران فتكدر وطعم الباقين ووعدهم بالخلاص ودفن المائتين وعاد الى ان قرب العصر فنهض فيروزشاه واخذ سيفه بيده وجلس خلف الباب ينتظر اتيان الساحرة وكذلك بهروز فانه استعد لرمي نفسه عليها ومسكها بطريقة حيية تامن بها من عدو يفاجئها

قال الراوي وطال عليهما الانتظار نحواً من ساعتين دون ان تحضر فشغل بالهما وخافا من حدوث امر جديد وقال بهروز ان صح ظني فقد عرفت الساحرة بحالنا وعملت على هلاكنا . قال لم تطلع على شيء وهي امينة منك فلا بد ان تحضر في هذه الساعة او فيما بعدها فلا يجب علينا ان نمل ومن طلب الشهد لا يخشى ابر النحل . وفي تلك الساعة نظر بهروز من احدى النوافذ فوجد في الافق غمامة سوداء فقال لفيروزشاه خذ حذرك فها قد اقبلت فاكمن فيروزشاه في مكانه واستعد بهروز لعمله ولم تمض دقيقة حتى نظر الى الباب واذا بفدان كبير قد دخل فيه يحمل شخصاً كالمائت ورماه عند الباب ودخل فعرف انها نفسها فصاح صياح الفرح ورمى بنفسه على راسها يقبلها ويقول لها اريدك ياسيدتي ان تصبري على هذه الحالة لا انتهي من تقبيلك فمثالك تكون السحرة والا بلا والحمد لله الذي عدت اليَّ بالسلامة وللحال خرج فيروزشاه من خلف ظهرها ورفع بيده الحسام وذكر بقلبه الله ونزل به بقلب محروق من شدة العذاب والالم فوقع السيف على ظهرها قطعها الى نصفين والقاها الى الارض قطعتين . فذهبت عنها هيئتها الحيوانية وعادت اليها هيئتها البشرية وقد تدفق دمها كالانبوب حتى امتلئت منه الساحة فصاح بهروز لا عدمتك ياسيدي فهذه ضربة الابطال فبمثلها يشفى الغليل وتنطفي حرقة الالم والان قد صرنا احراراً وخلصنا من هذه الساحرة واجاب الله سولنا واخذ جثتها ورماها الى خارج وقال كان الاحرى ان نحرقها بالنار لو كان لنا نار الان . ثم دخل بفيروزشاه الى القصر وجعل يريه كل ما كانت ارته اياه الساحرة والزجاجتين والثياب وقال سر انت الى النوتية فامنع عنهم السحر وخلصهم وأت بهم الى هنا لنحمل ما قدرنا عليه من هذه الجواهر وهذا الذهب فانه ان بقي هنا يندثر ولا يقدر احد ان يحمله ونحن في حاجة اليه فاجاب بالسرعة وخرج الى النوتية وسكب عليهم بعض قطرات من الزجاجة المار ذكرها وفي الحال زال عنهم السحر وانطلقت ايديهم وارجلهم ونزلوا من اعالي الشجر يدعون

بهروز ويقبلون ايديه فانه لم ينسهم والا كانوا ماتوا فقال لهم لا تخافوا فان الساحرة قد قتلت وذهبت روحها الى جهنم وبئس المصير وعاد بهم الى القصر فدخلوا على فيروزشاه وقبلوا ايديه وحكى لهم بهروز اذ ذاك انه جاء لهذه الغاية ليخلص سيده من الاسر وان التقادير قادته الى مكان اسره . ثم قال بهروز اعلم ياسيدي اني اتذكر ان هذه الملعونة عندما اتت كانت تصحب معها شخصاً وقد القته عند الباب فلم نلتفت اليه ولا نظرناه ولا شك انه من عباد الله قد جاءت به لتهلكه في هذه الجزيرة . قال اسرع اليه وانظر في حالته لئلا يطول عذابه فتقدم بهروز الى جهة الباب ونظر في الشخص وامعن بوجهه واذا به فرخوزاد فصاح بملء راسه هوذا فرخوزاد ياسيدي ثم سكب عليه من السائل لانه علم انه مسحور لا يقدر على الحراك وما لبث ان نهض فرحاً تخلصاً من حالته القبيحة لانه كان قد لاقى اشد العذاب فهو يسمع ويرى ويتكلم انما لا يقدر على الحراك وزاد به الفرح لما نظر فيروزشاه مطلقاً وبهروز العيار عنده فتقدم منهما وسلم عليهما وسلما عليه وكذلك النوبية وجلسوا في القصر لان الليل كان قد اقبل بظلامه فعولوا ان يسيروا في الصباح وبعد ان استقر بهم الجلوس دخل بهروز الى غرفة الطعام فلم يرَ عليها شيئاً فتعجب وقال لا ريب ان هذه الملعونة كانت راصدة هذه المائدة ما دامت حية وكذلك مائدة الشراب فرجع واخبر سيدهُ فقال لا باس انما اذهب الى خارج القصر واحضر لنا من الفاكهة ما ناكله هذه الليلة وفي الغد نسير ان شاء ربي فذهب واتاهم بكثير من الفاكهة فاكلوا وحمدوا الله واتاهم بماء من ينابيع الجزيرة مشربوا واقاموا ينتظرون الغد وسال فيروزشاه فرخوزاد ان يخبرهُ بما حدث بعده في جزيرة البيضاء . فقال له اعلم اني عرفت ان بعدك ينفرط نظام الجيش وينحل فشددت نفسي واشعلت نار القتال في نفس الليلة التي اخذتك فيها الساحرة صفراء وكانت ليلة مهولة قتلت فيها قطران شاه وفتكت بعساكر المدينة فاشتد لذلك عزائم عساكرنا فقاتلوا ببسالة وكذلك اليوم الثاني والثالث حتى دخل ايران شاه بمن بقي معه من العساكر الى داخل المدينة وقفل الابواب فامرت ان يحاط بالمدينة من كل ناحية بحيث لا يمكن ان يخرج منها احد وقد خفت من ان يبعثون بخبر الى الساحرة فتاتي الينا وتبدد شملنا ولا اعلم ما شغلها عنا وانساها اننا حول المدينة وكنت ارغب في سرعة فتح المدينة لا ارى بعد ذلك ما يمكني ان انوصل به اليك واعلم ما جرى عليك وفي هذا اليوم ضايقت المدينة مضايقة شديدة وكدت افتحها في هذه الساعة وفي نيتي ان لا ارجع عنها ما لم ادخلها ولو صرفنا الليل كله في القتال وكان ميمون وحمدون وبقية القواد يقاتلون قتال الاسود وهم في كدر من جرى ما وقع عليك وبينما كنت في وسط القتال وادور من حول الفرسان واصيح بهم ان يتسلقوا الاسوار ويدخلوا المدينة عنوة وانادي باسمي وافخر بشرف جنسي واذا بالساحرة الملعونة قد وقعت عليَّ فاستاسرتني ونادت بالجيوش ففرقتهم وصاحت من بقي منكم بالامس على هذه الجزيرة اهلكته فارجعوا

الى مواطنكم وبلادكم وهذا الرجل الغريب رفيق فيروزشاه الذي تخافونه قد اخذته لاهلكه وإذيقه الموت الاحمر ثم اخذتني الى سرير رصدها وطارت بي والقتنى الى خارج باب هذا القصر وانا لا اطيق حراكًا وقد عجبت منها لانها انتفضت من هيئتها الادمية الى فدان كبير بقرون ضخمة وراس كبير كما كانت وقد قتلتها والحمد لله على سلامتك وخلاصك من شر هذه الخبيثة الكافرة الظالمة والان اري في نفسي انه لابد من ان يكون تفرق جيش الزنوج عن المدينة البيضاء وهرب الفرسان ميمون وحمدون ورفقاها خوفًا من ان تعود اليه الساحرة وقد شاهدا فعلها مرتين فيّ وفيك . قال اسال الله ان يرميني قريبًا على الجزيرة المذكورة لانتقم من اهلها واقتل ابران شاه لان بسببه صار عليّ كل ما صار . قال فرخوزاد فمالنا ولهذا الامر دعنا نسرع الى بلادنا ونترك الارض لاهلها فان لدينا ما هو اهم من ذلك . قال لا بد لي من العود اليها فاني اريد ان اغيّر حاكمها وقد اتيت عليها فلا احب ان اترك فيها من يعبد غير الله سبحانه وتعالى

وناموا تلك الليلة امنين من مخاطر الدهر ونكباته فرحين بما نالهم من الخلاص وباجتماعهم ببعضهم وكذلك النوتية باتوا تلك الليلة في القصر لان فيروزشاه خاف ان يتركهم يرجعون الى الزورق فيسيرون به ويتركونهم وحدهم في الجزيرة فلا يتسهل لهم خلافه فيموتون فيها ومن المستحيل ان يقف مركب عليها بقصد الدنو منها مخافة من صفراء كونها كانت موقعة الرعب في قلوب اهل تلك الجزائر باجمعهم فلا يجسر احد على القرب منها . ولما كان الصباح نهضوا جميعًا من مراقدهم وحمل كل منهم ما قدر من الجواهر والذهب واخذ فيروزشاه الثياب والزجاجتين فوضعهما في صندوق واقفل عليها ورفعها بهروز ونزلوا الى الزورق وكادوا يملئونه من نفائس قصر الساحرة وقلعوا عن الجزيرة والزورق يمخر البحر قاصدين الوصول الى جزيرة الطيور تابعين الريح من اى جهة هبت ولا زالوا على مسيرهم الى ان تبينوا عن بعد الجزيرة البيضاء فصاح فيروزشاه فرحًا وقال قد استجاب الله طلبي فاني كنت احب العودة الى هذه الناحية بعد وصولنا الى الصعلوك انما الصدفة القتنا عليها قبل ذلك فالان لا بد لي من ان انفذ غايتي في هذه الارض كما انفذتها في غيرها . فقال فرخوزاد مالنا ولهذا الامر دعنا نعرج عنها فاني لا ارى احدًا من رجالنا ولا ريب انهم قد رجعوا جميعهم عنها واي شيء يهمنا فيها ونحن وحيدين وليس لنا من يقاتل معنا . قال لا بد لي من ذلك وكان الزورق يسير متجهًا الى نحو الجزيرة حتى وصل اليها بعد منتصف النهار فصعد فيروزشاه الى البر وفرخوزاد وبقي بهروز حارسًا على الزورق وبعد ان بعدا عن الشاطىء قال بهروز لاحد النوتية اريد منك ان تذهب وراءهما وتتاثرهما وتشاهد ما يكون من امرهما واذا وقع عليهما امر مكدر فتعود اليّ وتعلمني به فسار النوتي من خلفهما وهو يتبع اثرهما ولا يريانه ولا زالا حتى دخلا الابواب وسارا في الاسواق من جهة الى اخرى الى ان وصلا الى

باب كبير فارادا الدخول منهُ فمنعهما الرجل القائم على الباب فصاح فيهِ فيروزشاه وضربهُ بسيفهِ فارداه قتيلاً وشاهد ذلك بعض الجيران فنادوا بالويل والثبور وهجموا على فيروزشاه بقصد الانتقام منهُ واخذ ثار المقتول فالتقاهم بضرب احرّ من لهيب الجمر فلا يقرب منهُ واحد الا ويشطره الى قسمين حتى ازدحمت عليهِ الناس وهو يفرقها ويصيح فيها ويمزقها بسيفهِ وفرخوزاد يفعل كفعلهِ وقد عرفهما اهل المدينة فتسارع كثيرون منهم الى ايران شاه واعلموه بواقعة الحال فقال لا بد لي من مسكهما الان واخذ ثاري منهما وماذا يا ترى جرى على صفراء الساحرة حتى تخلصا منها وفي الحال نهض وامر بالعساكر ان تفاجيء فيروزشاه ورفيقهُ وسار هو في المؤخرة ووصل الى مكان القتال وشاهد منهما ما يحير العقول فانهما كانا ينحدران كالصاعقة على القوم فيتعتعان الجمع وكلما ازدحم عليهما فرقاه وضربا بهِ ضربًا احر من النار عند الاشتعال فيتفرق عنهما . وعندما وصلت العساكر حملت حملة واحدة فكثر الجمع على فيروزشاه وعرف ان لا شيء ينجيهِ الا حسامهُ البتار وساعده القوي فنادى باعلى صوتهِ ويلكم علوج السودان الا تعلمون انكم تقاتلون فيروزشاه ابن الملك ضاراب الذي اهلك جمعكم في الاول والاخر وان كان يشتد قواكم بصفراء الساحرة فقد اعانني عليها الهي فقتلتها واعدمتها الحياة ثم هجم هجمات الاسود واقتحم ذلك البحر المتلاطم باسواج الرجال الا ان المجال كان عليهِ ضيقًا لضيق السوق الموجود ولم يكن تحتهُ جواد فخاف العاقبة واجرى كل قوة وبسالة حتى اهلك خلقًا كثيرًا وفتك فيهم فتكًا ذريعًا وتكومت القتلى فوق بعضها البعض وايران شاه يصيح برجالهِ وبعساكره وينادي من منكم قتل احد هذين الابيضين او اسرهما استوزرتهُ واغنيتهُ ورفعت منزلتهُ فكانت الرجال تتقدم فتهلك كمن يرمي بنفسهِ الى اتون نار متقدة فلا يلبث ان يحترق بلهيبها ولما شاهد ايران شاه هذا الفعال اخذه الخوف واشتد بهِ الغضب ودعى اليهِ فرقة من الجند وقال لهم اذا بقيتم على هذه الحال وقاتلتم هذين الابيضين نهلكان عن اخركم لانهما لا يقابلان ولا يلتقيان في ميدان فاصعدا الى اعالي السطوح وارموهما بالحجارة الى ان يموتا او يقعا الى الارض واسرعا بالرمي وصوبوه . فتسلق العسكر السطوح واخذوا في ان يرموا بالحجارة عنها وبالاخشاب وفيروزشاه مشغل بقتالهِ لا يعلم خباثة هذا التدبير حتى تساقطت عليهِ الاحجار كتساقط الامطار فعلم انهُ هالك لا محالة فقصد ان يخترق الجموع من امامهِ وينجو الى خارج البلد فصاح فيها صيحة الاساد ومال فيها ميلة الابطال الشداد فماجت بين يديهِ كما يموج البحر عند الهيجان ولم يتسهل لها ان تفتح لهُ طريقًا لكثرتها وضيق المكان فوقعت فوق بعضها الى الارض ووقع فيروزشاه فوقها وقد اعمى بصره ما كان يتساقط عليهِ من السطوح وقد رض جسمهُ من وقع الحجارة عليهِ وخدرتا يداه . ولما وقع الى الارض رمت الجموع الباقية الى جانبهِ نفسها فوقهُ وصاح ايران شاه ان لا يتركوه ولا يقوموا عنهُ الى ان يربطوه فاحتمل

ثقل الازدحام وعول على النهوض فلم يعد يمكنه ولا يقدر على ذلك فجاءوا بالحبال وربطوه بها واقتادوه ذليلاً حقيراً وكان فرخونزاد قد اسر قبلهُ بضربة حجر وقعت على ظهره القته الى الارض فكتفوه وشدوها الى بعضهما وقد زاد بذلك فرح ايران شاه ورجال المدينة وما منهم الا من تمنى ان يأكلها باسنانه وينهش لحمهما ثم امر الشاه ان يذهبوا بهما الى قصره خوفاً من ان يتخلصا الى ان يقتلهما في الغد وامر ايضاً ان يرفع المقتولون من الاسواق ويدفنوا في التراب وكان قد قتل اكثر من الف رجل من رجال المدينة والعسكر

وما اتى الليل الا وفيروزشاه وفرخونزاد اسيرين عند ايران شاه وقد وضعهما في قصره املاً ان لا يخلصهما احد ولما رجع الى القصر احضرهما اليه وقال لهما كيف تريان نفسيكما الان وانتما في حالة الذل والقهر وما كان اغناكما عن الدنو من بلادنا فلابد لي في الغد من قتلكما ليعلم الجميع اني اخذت بثار اخي الذي قتل ظلماً منكما فقال فيروزشاه انا نرى انفسنا بخير ولا نرهب الموت والاله الذي اعاننا على صحراء الساحرة فقتلناها هو قادر ان يعيننا عليك فنقتلك ونتبعك بها فلا تظنن انك تقهر ان تمد الينا يداً او تقرب منا بسوء . قال انكما تعللان نفسيكما بالمحال وفي الغد يظهر لكما كذب هذا الاله ويبان لكما خلاف ما تؤملان . ثم ادخلهما الى غرفة في قصره وقفل عليهما الباب ووضع المفتاح عنده وانصرف الناس من قصره ودخل الى محل نومه . وكان النوتي الذي بعثه حاضراً وقد شاهد كل ما توقع عليهما فرجع الى بهروز العيار وهو على مقالي الجمر لا يعلم ماذا جرى على سيده ولم يعد اليه النوتي ولا اخبره بشيء ودام في قلق واضطراب مزيدين الى ان اتاه النوتي واخبره بكل ما توقع عليهما فقال له واين هما الان قال هما داخل قصر ايران شاه بالقرب من محل منامته قال لا باس ثم اخرج من حربدانه قطعة من الحلوى فوضعها في فمه واظهر سروره منها فسأل النوتية عن ذلك فقال لهم هذا حلوى لا يوجد الذ منها ولا اشهى اذا شئتم اذقتكم اياها قالوا اعطنا منها فدفع الى كل واحد واحدة فوضعها في فمه وما لبث ان ازدردها حتى وقع الى الارض وكانت تلك الحلوى مشغلة بالبنج قصد ان يطعمهم منها ليمنعهم عن السفر لانه اراد ان يذهب خلف سيده وفرخوزاد ويخلصهما ويعود بهما وخاف ان عاد فلا يراهم وربما ذهبوا بالزورق فيبقون وحدهم هناك ويعودون مع اهل المدينة الى القتال والنزال . وبعد ان سقط الجميع نياماً اخذ قطعة من ضد البنج فاشعلها ووضعها عند انف النوتي الذي ذهب الى المدينة فاستيقظ فقال له هيا معي الى داخل المدينة لنرى ماذا جرى على اسيادنا واريد منك ان تدلني على مكان وجودهما قال حباً وكرامة وانطلق امامهُ مسرعاً فتاثره وقد اصحب معهُ كل ما يحتاج اليه في مهنته ولا زالا سائرين حتى وصلا الى القصر فوجدا الحرس عند الباب فعرجا الى حائط مرتفع فتسلقهُ بهروز بمساعدة النوتي حتى صار فوقهُ ثم دلى حبلاً الى النوتي فسحبهُ اليه ودلاه الى داخل وقفز خلفهُ كالغزال

وتقدم ما سوية الى جهة فسحة الدار وهناك اشار النوتي الى الغرفة التي فيها ايران شاه والى الغرفة التي فيها فيروزشاه وفرخوزاد . فقال له بهروز انتظرني هنا ثم تقدم من الباب فوجده مقفلاً فاخرج من حرنداتو آلة فوضعها عند قفل الباب وعالجهُ حتى اقتلعهُ وانسحب الى داخل الغرفة فوجد ايران شاه ملقى على فراشهِ وهو في نوم ثقيل وقد علا غطيطهُ فتقدم منهُ وكان في الغرفة مصباح ينبعث منهُ نور ضعيف بالكاد يقدر ان يميز بهِ بين الشيء الا انهُ كان موكد عنهُ انهُ نفس الشاه لكلام النوتي ولحسن اثاث الغرفة ومركزها ثم استل خنجره وضربهُ بهِ في صدره فاخترقهُ وراح الى ما تحت الفراش وفي الحال ارسل صوتاً كئيباً اشبه بعواء الكلب وانتفض من الالم وقد خرجت روحهُ بسرعة وسال دمهُ الى الارض فنزع بهروز منهُ مفتاح الغرفة الموجود فيها سيده وكذلك مفاتيح القيود المقيدين بها واسرع خوفاً من ان ينتبه اليهِ احد من القصر ففتح الغرفة ودخل ولم يكن في الغرفة نور وكان اذ ذاك فيروزشاه وفرخوزاد بزيد هم ونكد لم ياخذهما نوم في تلك الليلة وخافا من ان ينفذ فيهما المقدور في اليوم الثاني وفرخوزاد يلوم سيده على نزوله وحيداً الى الجزيرة وقال له ما كان اغنانا عن كل هذه الامور واني سالتك مراراً الرجوع فلم ترجع وفي نيتك ان تدوخ الجزيرة وانت وحيد لا معين معك ولا سيما في اسواق هذه المدينة الضيقة قال لا باس فان هذه احكام الله فهو يريد ان يجريها علينا وينفذ غايتهُ فينا واني بمعونته تعالى لم اعد اخاف من القتل بعد ان وصلت اليهِ مراراً وقطعت الرجاء من الحياة كثيراً وهو يسخر لي من يبعد الموت عني ومهما لقيت لا اظن انهُ يعد بشيء بالنسبة الى ما لقيتهُ في سجن الساحرة صفراء من العذاب الأليم المعلن بالموت واني الان على ثقة من ان بهروز العيار يستبطىء رجوعنا اليهِ فيسير خلفنا ويخلصنا من هذه الحالة فلا يقبل علينا الصباح الا ونحن نملك سلاحنا وارواحنا

وفي تلك الساعة وصل بهروز ودخل عليهما كما تقدم الكلام ولم يكن حينئذٍ في الغرفة مصباح وسمع كلامهما فبشرهما بالخلاص ورجع حالاً واتى بمصباح من الغرفة الاولى وتقدم من فيروزشاه ففك قيوده وحل وثاقهُ وكذلك فرخوزاد وهنأهما بالسلامة فشكراه على مزيد همتهِ وقالوا نريد منك ان تاتينا بسلاح وآلة حرب فقال حباً وكرامة ودخل ثانية الى غرفة ايران شاه فوجد سلاحهُ فيها وسلاحهما ايضاً فاتاهما بهِ ودفعهُ اليهما فاعتقلاه واشتد لذلك عزم فيروزشاه وخرج من القصر بعد ان قطع بهروز راس ايران شاه وحملهُ وساروا جميعاً الى مقام العسكر فصبروا الى الصباح وعند ذلك صاح فيروزشاه ويلكم قد تخلصت بقوة الهي العجيبة واتيت اليكم انتقم منكم بعد ان قتلت اميركم وها كم راسهُ ترونهُ امامكم واستل سيفهُ وجعل يضرب فيهم بما اوقعهم في الرعب والقنوط فجعلوا يصيحون بالامان وقد تاكد لديهم موت ايران شاه فرجع عنهم واخترق اسواق المدينة وهو ينادي بمثل هذا النداء وبهروز العيار يرفع على خنجره راس ايران شاه فاجتمعوا كلهم

اليهِ وما فيهم من رغب في قتالهِ لعلمهم انهُ يهلكهم عن اخرهم حيث راوا من قتالهِ ما لم يروهُ من سواهُ
ولا سمعوا بهِ من قبل ذلك فلم يروا اوفق من الطاعة والتسليم ولما علم منهم ذلك دعا اليهِ قائد
الجند وقال لهُ اني ارغب ان اقيمك حاكماً على هذه المدينة وملكاً فيها وانما اشرط عليك ان تكون
عابداً لله حافظاً لشريعتهِ اميناً على عباده وتكون منقاداً لامر الصعلوك ملك جزيرة الطيور
الذي اقمتهُ انا حاكماً على الزنوج عوضاً عن الملك هورنك . فما صدق ان سمع هذا الكلام حتى
اجابهُ على طلبهِ وكاد يطير من الفرح لارتقائهِ درجة التملك فاخذه فيروزشاه الى دار الحكومة
وكبار المدينة من خلفهِ واجلسهُ على كرسي ايران شاه وامر الكبراء والاعيان ان يبايعوهُ فبايعوهُ
ونادوا باسمهِ وكان من المحبوبين العقلاء فسرَّ بهِ الجميع وعلمهُ فيروزشاه عبادة الله والصلاة لهُ
وامره ان يعلم رجالهُ هذه العبادة وينشرها في كل المدينة ومن خالف وعصى يحذره الموت فان
اصرَّ يقتلهُ وهكذا فعل كل هذا والنوتي الذي جاء مع بهروز ينظر ويرى وقد تعجب من هذا
الرجل الوحيد وشدة بطشهِ وبسالتهِ

ولما فرغ فيروزشاه من تدبير امر جزيرة البيضاء وقد اخذ العهد من الحاكم الجديد على
وجوب الطاعة الدائمة للصعلوك واداء الجزية في كل عام بحسب الشروط العادلة وان يعضدهُ
عند الحاجة بجنوده ورجالهِ ودعهُ وودع الاعيان ورجع الى الشاطي ومعهُ رفاقهُ فوجد الزورق
لا يزال بمكانهِ والنوتية مطروحين الى الارض فتقدم منهم بهروز واشعل في انوفهم من ضد البنج ما
ايقظهم من رقادهم الثقيل فتعجبوا عند ما راوا انهم ناموا كل هذه المدة ولم يعلموا ما فعل معهم العيار
بهروز . ثم نزلوا الزورق واقلع بهم وهم في فرح لا يوصف وقد ايقنوا بقرب العودة الى الديار والاجتماع
الى الاحباب باقرب وقت وذلك بعد ان يجتمعوا بالصعلوك وينظرون حالهُ وماذا جرى عليهِ
بعد هذه الكسرة ويصحبون معهم رجال الزنوج الى بلاد الشاه سرور . وكان فيروزشاه يخاف من ان
يكون الصعلوك قد فعل بهِ الجبن الى حد ان هرب عن الملك وتركهُ لغيره انما كان رجاؤُهُ وثيق بميمون
ان لا يتخلى عنهُ وان يحافظ على ما اوصاه بهِ من جهتهِ . وكانت الريح جيدة موافقة لمسير الزورق
فسار على خطة مستقيمة ذلك النهار وتلك الليلة وكانوا قد اصحبوا معهم من الجزيرة البيضاء من
الزاد ما يكفيهم في سفرهم هذا الى ان يصلوا الى مدينة الصعلوك . وفي صباح اليوم الثاني اقبلوا على
جزيرة الطيور وبانت لهم عن بعد ففرحوا لذلك الى ان تبينت لهم جلياً ونظروا الى الشاطي فوجدوا
السفن مزدحمة عندهُ والرجال تنزل اليها وقد رفعت الرايات ونقلت الاسلحة والقوارب مثقلة
بنقل الناس والناس متجمعة على الاسوار والسطوح فخفق لذلك قلب فيروزشاه وقال ان صح
ظني فالصعلوك قد عزم على الانفلال من هذه الديار خوفاً على نفسهِ من الهلاك

وكان السبب في ذلك ان ميمون وحمدون وطيل وطيلا لما رجعوا عن الجزيرة البيضاء

وركبوا البحر ووصلوا الى الجزيرة اجتمعوا بالصعلوك وحكوا له ما كان من امرهم فيها وما وقع لفيروزشاه وفرخوزاد مع صفراء الساحرة وانها اسرتهما بسحرها ودهائها وقد توعدتهم بالهلاك والدمار ووقع الرعب في قلبه وخاف جدًا من ان تدركهم الى تلك الديار وتنتقم منه فجمع اعيان بلاده وقواده وعقد مجلسًا واستشارهم في ماذا يفعلون وقد تبين لهم ان الساحرة صفراء لابد أن تقصدهم وتعيد لهم عبادتهم القديمة وهي عبادة النار والاحجار وتمنعهم من عبادة الله وقد وجدوا لذة في هذه العبادة ولم يعد يخطر لهم ان يغيروها حيث تبين لهم انها حقيقية صحيحة ولا بد لهم من مخالفة الساحرة فتميتهم شر ميتة وتهلكهم عن اخرهم وقال لهم الصعلوك اني اعلم ان الملكة شيطانة ترسل اليها وتستنجدها لانها خبيثة محتالة ولا بد ان يكون في البلاد من هو لم يتعلم عبادة الله ومن يمل الى الملك القديم وهم انصاره الذين نزعهم فيروزشاه وعزلهم وطردهم وهولاء ايضًا يبعثون اليها بطاعتهم لايران شاه ويخبرونها بما كان من امرنا فتاتي الينا ولا تحتاج الى اكثر من كلمة من سحرها وكهانتها فتخرب هذه البلاد وتوقع باهلها المخالفين والذين انقادوا لفيروزشاه واقاموا على البلاد. فقال ميمون ان كل ذلك لابد منه واننا نرى من اللازم ان نستدرك امرنا ونرحل من هذه البلاد ونتركها لغيرنا. قالوا الى اين نذهب قال نذهب الى بلاد ايران الى الملك ضاراب سيد بلاد فارس فنقيم عنده ونعلمه بما كان من امر ولده والساحرة ونلتجي اليها ونصحب معنا خمسة وعشرين الفًا من العساكر وهي التي كان في عزم فيروزشاه ان يصحبها معه. فاستصوب الجميع كلامه ووجدوه عين الصواب وفي الحال امر الصعلوك بتهيئة العساكر واخراج المؤن وتهيئة السفن وقد انزلوا كل ما يحتاجونه في سفرهم هذا وانزلوا نساءهم واولادهم وكذلك الصعلوك اخذ زوجته سلكونا وامتعته واصبحت البلاد في اضطراب وهياج وازداد النهب في الاسواق ولم يعد يلتفت احد الى اخر ولا الام تبحث على ولدها وما فيهم الامن يبكي الديار ويندب فراق الوطن وباتت الملكة شيطانة في سرور من هذا العمل وتبيت عندها خلو الجزيرة لهاوفدت احزابها اليها واوصتهم ان لا يرحلوا وان يقيموا بالبلاد وهي تستعطف خاطر الساحرة لهم بان تكون راضية عنهم لانها كانت محبة لزجها راضية عنه. وبينما كان قد انتهى الحال ولم يبق الاركوب العساكر السفن وقد اخذت في النزول وصل فيروزشاه كما تقدم الكلام وارتاب في هذا العمل وامر النوتية باسراع السفينة وان يقربوا من احد السفن ليستفسر عن السبب الموجب لما يراه فنعلوا وفي اقل من نصف ساعة قربوا من احدى السفن فشاهدوا عليها النسا والاولاد والشوخ فزاد ارتباك فيروزشاه من ذلك ودنا من مقدمة الزورق وصاح في الذين على السفينة فمالوا كلهم الى جهته ولما نظروه علت منهم الاصوات وصفقوا من عظم الفرح والسرور ودنا رئيس السفينة واخبره عن حالتهم والى اين يقصدون فطارت عينا فيروزشاه من هذه العمل وقال والله لو تاخر مسيرنا يومًا واحدًا لخربت هذه البلاد وتشتت اهاليها في

اقطار العالم وهم لا يعلمون ما جرى على صفراء الساحرة وامر في الحال ان يسير الزورق الى جهة الشاطئ فمالوا به وكلما مر على سفينة ينادي من بها ويامرهم بالرجوع الى البر فترتفع منهم اصوات البشرى ويزرغطون من عظم الفرح الى ان وصل الى البر فوجد هناك الملك الصعلوك والامراء والاعيان والعساكر تنتزل القوارب وقد راوه سالمًا ومعهُ فرخوزاد فاستبشر وابعدوا الخوف وتوطيد الامن وهجموا عليهِ يقبلون ايديه ويسلمون عليهِ وسلم هو ايضًا عليهم وامر باخراج الناس من السفن ورجوعهم الى مواطنهم وان ينادوا في الحال بكل الجزيرة برجوعهِ سالمًا وقتل صفراء وقتل ايران شاه وقطران شاه واقامة عوضهما من يعبد الله ثم تخلل فيروزشاه تلك الجموع بنفسه وطاف في الاسواق لتراه كل عين ويصدق برجوعهِ الكبير والصغير فنزل هذا الخبر على الملكة شيطانة نزول الصاعقة وكذلك على احزابها وجعل كل يرجع ما انهبهُ ورجع ايضًا الرجال والنساء الذين كانوا في السفن وقد حمدوا الله على بقائهم في اوطانهم وعاد كل الى بيتهِ امينًا على نفسه ومالهِ يدعون لفيروزشاه بطول العمر والبقاء

ولما اخذت الحال في الهدوء وصارت الناس تعود الى اشغالها دعا فيروزشاه اليهِ الصعلوك والامراء وسالهم عما كانوا يفعلون فحكوا لهُ انهم كانوا يقصدون بلاد ايران فينزلون على ابيه الملك ضاراب ويلزمونهُ ويعيشون تحت ظلهِ وفي حمايتهِ لانهُ يعبد الله مثلهم ويطلعونهُ على ما جرى عليهِ وقال لهُ ميمون انهُ لولا وجود مثل هذه الساحرة لما كنا نخاف احدًا وكنا سعينا بجمعنا الى خلاصك ولا رجعنا عن الجزيرة البيضاء انما لا قدرة لنا على احتمال عداوة مثل هذه اللعينة لانها قادرة على هلاكنا بيوم واحد بما تعرفهُ من قوة السحر والكهانة وقد شاهدت ذلك بنفسك فلا نقدر ان نصل اليها ولا في وسعنا ان نرجع الى دينها ونقيم تحت حكمها وحكم الكافرين من مثلها . قال اني اعذركم على ذلك وصوابًا فعلتم لاني لو لم ارجع اليكم من اللازم ان تتركوا هذه الديار ولا تعودون الى عبادة غير الله سبحانهُ وتعالى فهو رحوم عادل لا يترك من يعبدهُ ويلوذ اليهِ ولو كنت اعبد غيرهُ لما كان تسهل لي الخلاص من بين ايديها ولا ريب اني كنت اهلك لا محالة وقد دعوتهُ فاستجاب دعائي وارسل الي من بلاد ايران من خلصني وخلص فرخوزاد وخلصكم من هذه الظالمة الغاشمة . ثم حكى لهم ما كان من امر بهروز العيار وكيف ان الريح قادتهُ بالرغم عنهُ الى تلك الجزيرة فرمتهُ عليهِ واحبتهُ الساحرة وقصدت زواجهُ وكيف قتلها واراح عباد الله من شرها واتى الجزيرة البيضاء وقتل ايران شاه ونشر فيها عبادة الله عزّ وعلا . فتعجبوا جميعًا من كلامهِ ومن عجائب فعل الله واحكامهِ ولا سيما الصعلوك فانهُ قال لهُ الان يا سيدي قد اطمان بالي ولم يعد احد يخاصمني ولم اعد اخاف احدًا وفي نيتي ان اقتل ام زوجتي لانها لا تزال على دينها وهي تطمع في ان تنزع الملك اليها قال لا خوف منها واذا قتلتها تتكدر زوجتك ويتنغص عيشك حيث تكون قد قتلت لها ابيها

وامها وهذا ليس بصواب . ثم امر فيروز شاه فدعا شيطانة اليهِ ووبخها على فعلها وقال لها لم يكن في عهدي انك تخرجين على صهرك وقد اعهد اليهِ بامرك وتزوج ببنتك ارضاء لك بحيث يبقى الملك في يدك وليس لك ذكر يرث بعدك على عرش هذه البلاد و بنتك تحبهُ ولا ترضى بعده وان كان قد قتل زوجك فبسماح منهُ تعالى واريد منك الان ان ترجعي الى عبادة الله وتعملي بمرضاة صهرك والا قتلتك قبل ان اخرج من هذه البلاد ولا احد يمنعني عن ذلك . فاطرقت الى الارض حياء وخجلاً واعتذرت اليهِ وعاهدتهُ ان لا تعود فيما بعد الى عمل مثل هذا وانها تخلص الود الى صهرها وتتفق معهُ على الحب والولاء فسرَّ الصعلوك من كلامها وبعد ذلك امر فيروزشاه ميمون وحمدون وبقية القواد ان يكونوا على استعداد اذ في نيتهِ الرحيل الى بلاد اليمن بعد يومين وان تبقى العساكر مهيأة للسفر وكذلك السفن . فاجابهُ الى طلبهِ . وخرج بعد ذلك من الديوان ودخل قصر منامهِ فوجد بهروزًا وقد اتى بكل ما في الزورق من الجواهر والذهب الى القصر وايضًا الملابس المطلسمة والزجاجتين وكان قد اوصاه بالحفظ عليها جميعها وان لا تفقد ولا واحدة منها وقد وضعها كلها في صندوق محفوظة متينة ولا يمكن كسرها . فنزع فيروزشاه ما عليهِ من الثياب واكل مطمئنًا ونام تلك الليلة مرتاح البال وقد تاكد عندهُ انهُ سيبارح تلك البلاد بعد يومين وبعد ايام قليلة يكون عند الشاه سرور

وفي الصباح نهض من فراشهِ فلبس ثيابهُ وتقلد بسلاحهِ وخرج ومعهُ فرخزاد وبهروز الى الديوان بعد ان طاف في نواحي المدينة ووطد الامن في كل جهة وصوب وبعد ان جلس اتتهُ الناس افواجًا يهنئوه بعودتهِ وخلاصهِ بالسلامة وهو يشكرهم ويحرضهم على مداومة عبادة الله وطاعة ملكهم الجديد وهو الصعلوك فكانوا يعدونهُ بالاخلاص والطاعة حتى مضى ذلك النهار وجاء اليوم الثاني على تلك الحال وفي اليوم الثالث نهض من منامهِ باكرًا فوجد الامراء بانتظارهِ عند الباب فسلم عليهم وسألهم اذا كانوا قد هيأوا انفسهم للسفر فاجابوه بانهم على استعداد وان الجند باجمعهِ ركب السفن وقد نقلت المؤن واحتياجات السفر ولم يبق الا صدور امره بالرحيل فشكرهم على ذلك وخرج معهم الى الديوان فوجد الناس في ازدحام اقدام وقد سدوا الطرقات مظهرين لهُ علامات الوداع فكان يودعهم ببشاشة وحب ولا ينظر الى وجه احد الا ويرى الدموع تتساقط في عينيهِ فافطرت هذه الحالة قلبهُ وكدره بعاده عنهم وتبين لهُ خلوصهم فكان حزينًا جدًا لذلك وما انتهى الى الديوان الا على اخر رمق مما لقي وهناك كان جماهير الاعيان والامراء قد

انتهى الجزء الثالث من قصة فيروزشاه
ويليهِ الجزء الرابع عما قليل ان شاء الله

الجزء الرابع

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

اتوا لوداعهِ فجلس قليلاً بينهم ثم سال الصعلوك اني نفسهِ حاجة بعد فيقضيها لهُ قبل رحيلهِ فقال كلا
ياسيدي فليس لي الا الطلب من الله ان يعيدك الي سالمًا وان نرى بعضنا قريبًا ثم قال فيروزشاه
لبقية الامراء والاعيان الذين تخلفوا في المدينة اني الان افارقكم وقلبي يقطر دمًا من جرى بعادكم
واذ كنت غريبًا في هذه البلاد كان لا بد لي من الرجوع الى وطني وانكم تعلمون اني ابن ملك من
اكبر ملوك الارض وبلاد ابي واسعة جدًّا ومملكتهُ تنتظرني لتضمني اليها وهي في احتياج اليَّ لاني
وحيد لابي وعليهِ فلا اقدر ان اسكن في هذه البلاد الذي ساقني اليها الله بغاية منهُ لابث فيها
روح عبادتهِ ولاهلك تلك الساحرة اللعينة ولابيد الظلم من بينكم وبمساعدتهِ تعالى نجحت جدًّا
واذهب الان عنكم وانا مسرور كوني اتخذتكم لي نصراء وصرت لكم نصيرًا ما دمت حيًّا وحيث
آن اوان رحيلي عنكم وهذه آخر ساعة من قيامي عندكم فاشكركم على حبكم الخالص لي واسالكم بالله
ان تديموا الاخلاص لملككم الصعلوك وتذبوا عنهُ وعن سلطتهِ وسيرى رجالكم من الذين
يصحبوني ما يطيب خاطرهم واكون لهم كاب حنون ويكونون لي كاخوة شفوقين على صوالحي
ومصالحي فادعوا لي الان بالسلامة وملاقاة الاهل على الخير والله يجمعنا في ما ياتي من الزمان
فهو السميع المجيب فضج الجمع بالدعاء لهُ وما فيهم الا من سكب من الدموع انهرًا وسواقيًا وتاسف
على بعده ورحيلهِ . ثم سار وسارت من خلفهِ تلك الجماهير ومن فوق راسهِ الرايات وقد سدت
الطرقات بالاهالي وملئت السطوح من النساء والبنات الى ان نزل البحر وركب المركب وهناك
ودع الجميع الوداع الاخير واوصى الصعلوك بثبات الجنان والحكم بالعدل وبما يرضيهِ تعالى
والمحافظة على دين الحق بالهمة والاجتهاد وفي نحو ساعة من رجوع الناس والصعلوك اقلعت المركب
تمخر البحر وقد ارتفعت فيها اعلام بلاد فارس وتفرقت كالنجوم في سماء ذاك البحر وفي الوسط مركب
فيروزشاه وهو متكلل الوجه بالانوار والمسرة ينظر الى نحو بلاد اليمن نظرة الفرح وقلبهُ يطفح منهُ
ويستلقي النسيم الهاب من تلك الجهات . الا انهُ كان في حيرة عظيمة مشغل الفكر يكاد لا يطيق
صبرًا عن ان يعرف ما هي الحالة التي فيها عين الحياة وهل صار عليها سيء وليتصور القارىء حالة
فيروزشاه وتقلب افكاره فكان تارة في هناء ومسرة وطورًا في قلق وانشغال بال وليس لهُ ما
يلهيهِ عن التفكر بمحبوبتهِ وابيهِ فيسره عند ما يفكر انهُ اذا وصل الى بلاد اليمن ووجدها بصحة
تامة وراحة فكر وطيبة ويتكدر حينًا يخطر لهُ انهُ اذا دخل تلك البلاد وسمع انها مريضة او مصابة

باختلال لاجله اوطرأ عليها طارئ اخر اعظم وكان لا يخطر له ان عين الحياة ترضى باحد من بعده او تميل الى الزواج ولذلك كان امينًا من انها تكون قد تزوجت او اجبرها ابوها على ان تتخذ بدلاً منه . ولا زالت المراكب في مسيرها وهو في افكاره حتى تبين له شاطئ عن بعد فسر مزيد السرور وتهلل وجهه وتذكر محبوبته فردد ذكرها مرارًا وانشد في نفسه

ان لم ازور بعكم سعيًا على الحدق فان ودي منسوب الى الملق
تبت يدي ان تثني عن زيارتكم بيض الصفاح ولو سدت بها طرقي
يا جيرة الحي هلا عاد وصلكم لمدنف من خمار الوجد لم يفق
لاتنكروا فرقي من بعد بعدكم ان الفراق لمشتق من الفرق
لله ليلتنا بالقصر كم قصرت فظلت مصطبحًا في زي مغتبق
وبات بدر الدجى فيها يسامرني منادمًا فيزين الخلق بالخلق
وكم خرقنا حجابًا للعتاب بها وللعفاف حجاب غير منخرق
هب النسيم يمانيًا فشوقني وطالما هب نجديًا فلم اشق
فما تنفست والارواح سارية الا اشتكت نسمات الريح من حرقي

وكانت هذه الافكار نفسها تشغل فرخوزاد كما كانت تشغل فيروزشاه لان داءها واحد وكلاهما مفارق الاهل والوطن والمحبوبة ويتمنى سرعة الوصول الا ان فرخوزاد كان اشد كدرًا لعلمه انه لا يقدر ان يسعى بالحصول على مطلوبه الا بعد حصول سيده على عين الحياة غير ان رجاءه كان قريب الحصول فيعلل نفسه بالاماني والامال

فهذا ما انتهى من خبر فيروزشاه ورجوعه من بلاد الملك هورنك وسنعود اليه بعد قليل ان شاء الله وسنرجع الى ما ذكرناه من مسير طيطلوس وزير الملك ضاراب بثمانين الفًا من جنود بلاد فارس وقد سبق الملك ضاراب بايام وهو نظير مقدمة للجيش الفارسي فلا زال في مسيره على خطة السرعة املاً بالوصول الى بلاد اليمن قبل سيده الملك ضاراب لقضاء الحاجة التي جاء لاجلها وكان بين تلك الجيوش رجل يقال له سيامك سياقبا طامح الى المعالي راغب فيها يميل الى ان ينتظم في سلك الامراء ويلبس القباء الاحمر الذي كان يلبسه البهلوانية والامراء على رؤوسهم في ذلك الايام ليمتازوا به عما سواهم وكان هذا الرجل واسع الصدر عريض المنكبين قوي البنية ثابت الجنان من اشد رجال الفرس اقدامًا وبسالة ولم يكن يرى وسيلة لاظهار شجاعته وترقيه الى الدرجات السلمية لعلمه ان المراتب لا تتوجه الى اهلها الا بالاستحقاق وبالبرهان فمن برع بالقتال وامتاز عما سواه نال الشرف والفخار فلا يسمو الى غايته وينال المجد الا في القتال ولذلك استغنم هذه الفرصة وثبت عنده انه سيعقد له على جيش ويلبس ذاك القباء اذا لاذ

بطيطلوس وقاتل بين يديهِ حق القتال فدنا منهُ وقبل يديهِ . فقال لهُ ماذا تريد يا سيامك . قال اعلم ياسيدي اني راغب في ركوب درجات الاخطار املاً بالوصول الى مراتب الفخار ولذلك اريد منك ان توجه بانظارك اليّ حتى اذا شاهدت من قتالي ما يرضيك ويسرك سعيت لي لدى سيدي الملك ضاراب فيلبسني القبا الاحمر ويعقد لي على جيش من جيوشهِ . قال حبًا وكرامة فان الملك لا يضيع حق مخلوق ولا يتغافل عن خدمة احد فاذا تبين لي انك تستحق هذه الرتبة وقاتلت بين يدي هذا الجيش قتالاً يستحق الذكر كتبت الى سيدي الملك واخبرتهُ بفعالك ورجوتهُ ان يلبسك القباء ويعقد لك على ثلاثين الف فارس . قال ان لم ترَني قد امتزت بحق على جميع هذه الجيوش وفقتها عملاً وبسالةً فلا اكون مستحقًا لرضاك ورضا الملك . وكان طيطلوس ينظر اليهِ ويتفرس بحكمتهِ في وجههِ فلاح لهُ فيهِ وجه الشجاعة وترجح عنده انهُ يقدر على ما يقول فقربهُ منهُ ووعده بكل جميل اذا قام بما وعد . ودامت العساكر على سيرها الى ان انتهت الى حدود اليمن ودخلتها وحينئذ امر طيطلوس بالنزول واخذ الراحة الى يومين فحطت الجيوش في تلك الارض وفكت احمالها وباتت كانها تستعد للحرب بعد ايام وتنتظر ما سوف يكون من امرها ومن امر اصحاب البلاد

قال ولما نظر اهل تلك النواحي عساكر الفرس وقد اقبلت ايقنوا بوقوع الشر ودوام الحرب بين اليمنيين والاعجام وجفلوا من امامهم خوفًا من ان يفتكوا بهم في اثناء مرورهم عليهم وساروا يقصدون نعزاء اليمن وكلما مروا في طريقهم على قوم منهم اخبروهم باتيان جيش الاعجام فيخاف الاخرون وينهضون بحريمهم واولادهم الى ان تالف منهم جمهور غفير يكاد يسد ذلك الفضاء وكان شائع في كل اقطار اليمن خبر فيروزشاه وماجرى لهُ مع الشاه سرور وما فيهم الا من كان ينتظر وقوع الشرور بين هاتين المملكتين واذ ذاك لا بد من خراب واحدة منها وكان الرعب واقع في قلوبهم من جري ما يسمعونهُ دائمًا عن سطوة الايرانيين وكثرة فرسانهم وقوادهم وما هو عليهِ ملكهم من البطش والاقدام ولا زال الهاربون ينفرون بعضهم ويجتمعون على بعضهم ويسيرون الى بعضهم حتى اجتازوا كل تلك البلاد ودخلوا نعزاء اليمن فارتاب اهلها وخرجوا اليهم وسالوهم فاخبروهم بقدوم عساكر الفرس فوقع الرعب في قلوبهم واما الشاه سرور فانهُ دعا اليهِ بعض الذين حضروا واستفسر منهُ عما راى فاخبره انهُ شاهد عساكر الاعداء مقبلة وهي رافعة الرايات الفارسية قاصدة هذه البلاد . قال الا تعلمون كم عددها ومن عليها قال لا نعلم لاننا حالما نظرناها اقلعنا هربًا لئلا نقع في ايديهم واتينا نجتمع تحت راية شاهنا وملكنا . قال لا باس عليكم ثم دعا طيفور اليهِ وقال لهُ ما كان اغنانا عن وقوع كل هذه الشرور وها قد اقبلت عساكر بلاد ايران ترعى بلادي وتدمر ما وصلت اليهِ يدها ولا بد من ان تجرى حروب بيننا تذكر جيلاً بعد جيل فلو

نتلافى الامر ونصطحب مع الملك ضاراب لكان من الخير ما هو اوفق لنا واقل ضررًا . قال لا باس فسوف ترى ما يحل باعداك من الويل والثبور وكيف نخافهم وبلادنا واسعة وعسكرنا كثير وقد يمكننا ان نجمع من الجيوش اضعاف ما يجمعون ومن ادراك لا يكون النصر لنا ونربح اموالهم ونغتنمها ونقلع اثارهم ونقيم عليهم حكامًا منا وبامرنا وعما قليل تشاهد بعينيك ما تسمعهُ باذنيك والان لا ينبغي ان نتهامل في الامر بل يجب ان نرسل هلالاً العيار يجس لنا حالة القوم ويأتينا عنهم بالخبر الصريح ونحن نكاتب المتقدمين والولاة فنامرهم ان يأتونا بما عندهم من العساكر على قدم السرعة . فاستحسن الملك كلام طيفور وامر ان تكتب الكتب وترسل الى اربابها وبعث بهلال العيار الى جهة جيش الفرس يتجسس احوالهم ويختبرهم بطنًا وظهرًا ويعلم ما هو تعديل قوتهم وعددهم فانطلق ذلك العيار وكان سريع الجري محتال الاعمال خبير الاحوال محنك من الدهر كثير المكر والدهاء يركن اليهِ الشاه سرور في كل امر ويعهد اليهِ بالمهمات الكبيرة فوصل الى القوم وهم في حال نزولهم واختلط بينهم دون ان يعرفهُ احد منهم او يلتفت اليهِ حتى عرف كبيرهم وصغيرهم وعلم علم اليقين كم هو عددهم ومن معهم من الفرسان وكرَّ راجعًا يخترق البراري والهضاب وهو لا يفتر عن الجري السريع حتى دخل على مولاه وهو في ديوانهِ فسالهُ ماذا راى في سفره . فقال اني رايت عساكر الفرس وعددهم ثمانون الفًا لا اكثر من ذلك تحت امرة الوزير طيطلوس صاحب الراي في بلاد فارس ومعهُ من فرسان العجم وبهلوانية ايران بهمنزار قبا وهو من الفرسان الاشداء المعروفين في بلاد فارس احد السبعة بهلوانية المشهورين في تلك البلاد ونشأة فيلزور البهلوان ورأيت بين الفرسان فارسًا كبير الهامة عظيم الهيكل اسمهُ سيامك سيا قبا وغيره كثير من الرجال المشهورين . فلما سمع كلامهُ الشاه سرور استشار طيطلوس فيما يفعلهُ . قال اني ارى من الراي الحسن ان ترسل نحوًا من مائتي الف فارس مع اثنين من اولادك يلاقون جيش فارس على بعد من هذه البلاد بحيث تصل اخبارهم دائمًا الينا ولا ريب ان مائتي الف من عساكرنا تكفي لابادة هذه العساكر القادمة وتشتتها عن بلادنا . فاستصوب الشاه سرور هذا الراي وفي الحال دعا اليهِ ولديهِ وهما الشاه هزبر والشاه ليث وقال لهما اريدكما ان تسيرا على مائتي الف من الفرسان لملاقاة طيطلوس على بعد من هذه البلاد خوفًا من ان يصل الينا ويكون القتال على مقربة منا اما لا تقطعا عنا الاخبار بل اوصلاها الينا مع الرسل بالتفصيل واياكما من التهامل فتنتصر علينا اهالي ايران ويوقعون فينا وهم ليسوا اكثر من ثمانين الفًا وانتما معكما مائتا الف فبادروهم بالقتال وداوموا النزال واتكلوا على العزيز المتعال . فقبل الشاه هزبر واخوه يدي والدهما وخرجا من عنده لتدبير العساكر فعقدا لكل فئة قائدًا واخرجا الرايات وفرقا الاسلحة وفي اليوم الثاني ركبا وركبت من خلفهما الفوارس وضربت امامهما طبول الفخر ولاحت على رؤوسهما البيارق وبارحا المدينة

يقصدان ملاقاة الاعداء

واما الشاه سرور فانه بعد ان انفض الديوان وسافر ولداه بالعساكر ذهب الى بنته عين الحياة يتفقد حالها ويشرح صدره بالنظر اليها وبسماع حديثها فوجدها في كآبة وحزن وكان قد خطر له ان كل عملها هذا ربما كان لاجل فيروزشاه انما لم يكن يرغب في ان يظهر شيئاً من ذلك وكان يحب ان يخفف مصابها ويسليها وكلما سالها عن حالها تخبره ان مرضاً بها لا تعلمه ولم تنجع بها مداواة الاطباء وادويتهم فدنا منها وقبلها وقبلت يديه وجلس الى جانبها وضحك في وجهها وسالها عن حالها فقالت له اني لا ازال على حالي وقد زدت اليوم ألماً من سفر اخوتي الى قتال الاعجام واخاف ان يكون بين رجال الفرس من هو كفيروزشاه اقداماً وبسالة فيفتك بجيوشنا وربما لحق باخوي من ذلك ضرر لا يمكنا بعد ذلك دفعه وكفانا ما نحن فيه من المصائب فان احد اخوتي هو الان اسير في بلاد الاعداء من يوم حرب بيروزوميسره والثاني وهو الشاه غضنفر قد قتل من يد الاعداء ظلماً وعدواناً وها الشاه هزبر والشاه ليث قد ذهبا لحرب لا تعلم عاقبتها ولهذا تراني متكدرة جداً من هذه الامور وكنت احب ان لا تسمع الى طيفور فانه سيء الراي محب للشر فبالله عليك ان تقلل الحروب حقناً لدماء العباد قال لها اني كنت لا ارغب في انتشاب حرب بيننا وبين الاعجام انما لم نكن نحن المتعدين عليهم بل هم المتعدون واني اشعر من نفسي الى ما الخطات بانقيادي الى طيفور الا بامر واحد وهو اني اطعته فسلمت فيروزشاه ورفيقه الى هورنك ولو سمعت اوانئذ من الشاه سليم واطلقتهما وسلمت اليهما سلاحهما وجواديهما لكانا بددا جيش هورنك ودفعاه عنا وتخلصنا من كل هذه الويلات المحيطة بنا واما الان فلم يعد في وسعنا الا الذب عن الوطن والمحاماة عن النفوس ودفع من يقصد مهاجمتنا حفظاً لناموس الملك ولهيبتنا بين الرعايا فلا يقال عنا اننا عاجزون عن ملاقاة الاعداء . قالت اخاف ان تدور الدوائر علينا في هذه الحرب فيتمكن الملك ضاراب من انفاذ مقاصده فينا . قال هذا لا يكون ابداً لان جيوشنا تضاعف دائماً جيوشهم ونحن في بلادنا نقاتل ونعود الى بيوتنا فنرتاح واما هم فمنزلهم البر والفلاة فتحرقهم شمس النهار ويفرسهم برد الليل فيمسون ويصبحون في تعب وعدم راحة واني اسلم امري الى الله في ذلك ولا اسال عن شيء في كل مملكتي اكثر مما اسال عن راحتك وعنك واريد ان تبقى دائماً عندي وامام نظري اراك في كل يوم فتكدرت من كلامه هذا الاخير وعرفت انه لا يطيق ان يزوجها بارادته لاحد ولا لفيروزشاه فان بلاده بعيدة عنه . ثم قبلت ايديه وشكرت حبه وتركها وذهب الى قصره واقامت هي في بحر من الهواجس والاكدار تندب حظها وتنظر الى حالها بعين الياس وتفكر بالاكدار والمصائب المحيطة بها فان كلا المتحاربين يهمها امرها وترغب لها النجاح والتوفيق والنصر وكانت تعلم بالتاكيد ان اباها اذا انتصر على الاعجام وظفر بالملك ضاراب لا يعود مطلقاً يسلم بزواجها

لفيروزشاه اذا عاد سالمًا بحيث يكون قد فعل بهِ الكبر وشيطان التشامخ الى الازدراء بهِ ولا يعود يرهب لهم جانبًا و يضمحل اعتبارهم عنده و بالعكس اذا انتصر عليهِ الملك ضاراب فان العداوة تشتد بينهما الى حد ان يعود في وسع ابيها ان يرى او يسمع بذكره فيمنعها عن فيروزشاه او يبعدها الى غير بلاد وليس في امكانها مخالفتهِ والخروج عن طاعتهِ . وكانت تطلب دائمًا اتيان فيروزشاه قبل اشتداد نار الحرب بينهما لعلمها انهُ اذا جاء يجهد نفسهُ في منع القتال وإلقاء الصلح والسلام وإذا لم يكن ذلك في الامكان يترجح النصر للاعجام ويكون جل قتالهِ لاجل الحصول عليها فيدك تلك الحصون المنيعة و يدمرها تلك الاسوار المانعة وياخذها اليهِ بالرغم عن كل مانع لان القتال الان لا يكون لاجل هذه الغاية فلا تستفيد منهُ شيئًا وربما لا تستفيد فيما بعد ايضًا فتكون قد خربت احدى المملكتين بدون الوصول الى نوال الغاية التي انتشبت بسببها هذه الحرب ودام هذا الامر موضوع بحثها وشاغل فكرها ولم يعد يسمح لها ابوها بالخروج من قصرها الى حين يجلي العدو عن البلاد

وبعد ان خرجت عساكر اليمن من تعزاء سارت وهي على استعداد تام طالبة لقاء الاعجام الى ان التقت بها عند سهل واسع على بعد اربعة ايام عن المدينة وإذ ذاك ارتفعت اصوات الجموع وعلت غوغاء القوم من الفريقين وكان ذلك فيما بعد العصر فوقف كل من القومين عند حده وإذ لم يكن وقت للقتال نزلوا للمبيت ينتظرون اتيان الصباح ليباشر كل مهنتهُ وهم يضجون ويعجون . وكان طيطلوس قد راى تلك الجيوش فعلم انها من اليمن اتية لقتالهِ وقد بلغها الخبر بقدومهِ فتصدت ملاقاتهِ على بعد وقد سره ذلك املاً ان يقضي الامر قبل اتيان سيده الملك ضاراب الا انهُ تذكر انهُ اوصاه قبل رحيلهِ ان لا يباشر حربًا مع رجال اليمن الا بعد ان ينصحهم ويعرض عليهم السلام والمعاضدة وان يسيروا الى خلاص فيروزشاه من بلاد الزنوج ولهذا كتب كتابًا الى الشاه هزبر واخيهِ يقول لهما فيهِ ان سيدي الملك ضاراب اوصاني ان لا اقيم حربًا معكم وان لا اكون البادىء بها اذا كنتم تقبلون بسلامنا وتسيرون الى خلاص ابن سيدنا الذي غدرتم بهِ وعاملتموه بالخيانة والخداع وسلمتموه الى العدو لينتقم منهُ مكافاة لما بادئكم بهِ من الجميل والمعروف وحسن العمل ولهذا اعرض عليكم ذلك فان اجبتم كان خيرًا فلا يقع بيننا وبينكم قتال ونحقن دماء عباد الله وإلا فتكون نار الشر قد اضرمت منكم وخرقتم حجاب الانسانية وتعديتم على الشريعة الالهية . ثم بعث هذا الكتاب مع رسول من عياري بلاده واوصاه ان يدفعهُ للشاه هزبر و يعود اليهِ بالجواب منهُ . ولما وصل التحرير الى الشاه هزبر وقراه وعرف ما تضمن اجتمع باخيهِ وعرضهُ عليهِ واستشاره فيماذا يجيبان فقال هذا ليس من حقوقنا وان ابانا ما امرنا الا بالقتال ولو كان يقبل بمثل ما يشير الان الوزير طيطلوس لقبل من الاول حين وصل اليهِ

كتاب الملك ضاراب وليس من الصواب الا ان نباشر القتال في الغد فنبيد هولاء القوم الذين دخلوا بلادنا بهذه الفئة القليلة وفي زعمهم انهم يفوزون مع ان والدي اذا قصد ان يجمع كل جيشهِ لا يكون اقل من الفي الف من الرجال وقد اصرّ على ذلك وكتب لكل عمالهِ وانصاره ان يكونوا على استعداد وان يحضر بعضهم فاجب طيطلوس ان لا اذن لنا من والدنا الا بالقتال او ان يعود من حيث اتى ويرجع عن بلادنا فبلغ هذا الكلام الى الرسول فعاد الى مولاه واخبره بهِ قال اذاً لا ذنب علينا بل عليهم الذنب كلهُ لانهم يرومون في الصلح والسلام وامر جميع القواد ان يبيتوا على استعداد للقتال . واذ ذاك تقدم سيامك سياقبا بين يدي طيطلوس وقال له ياسيدي اني اذكرك بقولك وما وعدتني بهِ وقد جاء الوقت الذي يمكنك ان تراني بهِ على احب ما تريد وما يريد سيدي الملك ضاراب قال اني انتظر منك الوفاء فيما قلته واني لا اخالف معك وعداً انما ملزوم بهِ ومسئول عليه لدى الله والملك والانسانية فاذا لم اقدرك حق قدرك فاكون ظالماً باغياً

وبات الفريقان تلك الليلة في ذلك المكان وكل منهم يطلب من الله النصر والظفر على خصمهِ ولما اقبل الصباح واشرقت شمسهُ على تلك الجيوش الطالبة القتال خرجت من مرابضها كما تخرج الاسود من غاباتها بعد ان تقلدت باسلحتها وحملت عمدها وركبت ظهور خيولها وانتظرت ركوب قوادها ورؤسائها وانتشار بيارق الحرب واعلامها وفي تلك الساعة ركب طيطلوس والى جنبهِ بهمنزار قنا وسيامك سياقبا وبقية الفرسان والقواد وكذلك ركب الشاه هزبر والشاه ليث وارتفعت الرايات تخفق فوق رؤوسها واحتاط بهما الحرس من كل جهة وصوب وترتبت تلك الجيوش بالميامن والمياسر . واذا بالوزير طيطلوس اشار الى جيش الاعجام باقتحام امواج الصدام . وامر الشاه هزبر عساكره بالهجوم والاقتحام . ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اشتبك القومان . واختلط الجيشان . واشتغل الضرب والطعان من كل ناحية ومكان . وكان يوماً عظيم الاهوال . كثر فيهِ القيل والقال . واتسع على القوم المجال . وفعل سيامك افعالاً تذكر مدى الاجيال . وتحدث بها الرجال . عند ذكر حوادث القتال وقد اخترق الصفوف وفرق المئات والالوف وكذلك بهمنزار قنا فقد مال على الاعداء ميلان الاقوياء على الضعفاء وضرب فيهم ضرباً شديداً وبدد شملهم تبديداً . وقد سر طيطلوس بما شاهده من سيامك سياقبا وقد لاحظهُ وراقبهُ فتبين لهُ منهُ صدق ما قالهُ وما صدق القوم ان اقبل مساء ذلك اليوم حتى رجعوا عن الحرب يطلبون المضارب والخيام لاخذ الراحة والمنام وقد ثبتت عساكر الاعجام ثبات اسود الآجام وعادوا وهم فرحين بما تبين لهم من قوتهم وضعف الاعداء مع كثرتهم ولما رجع سيامك الى بين يدي طيطلوس قبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ اعلم ياسيدي اني رهين امرك وسابيع روحي رخيصة في سبيل نصر عساكرنا على يديك ليعلم الملك ضاراب ان ملاذيك من الرجال الاشداء يستحقون

كل اكرام . فشكره على قوله ومدحهُ على فعلهِ وقال لهُ لا بد لنا من ترفيع منزلتك الى اعلى الدرجات لتعد من الامراء والسادات والامل ان تنتهي الحرب قبل قدوم الملك ضاراب فابعثك اليهِ بالبشائر الحسنة واكتب لهُ ان يعقد لك على جيش يليق بك تختاره انت فاجهد نفسك في سرعة العمل والانجاز ثم باتوا تلك الليلة تحت مشيئة الرحمان الى ان اقبل اليوم الثاني فعادوا الى القتال وقاتلوا فيهِ بهمة وحمية الى ان اقبل الزوال فرجعوا عن الحرب وقد وقع على جيش اليمن الخمول وشاهدوا ما لم يكن لهم في بال . فاجتمعوا الى الشاه هزبر والشاه ليث وقالوا لهما ان جمعنا مع كثرتهِ وقلة الاعداء اصبح على شفير الوقوع في الهرب والانكسار ولم نرَ طريقة تنجينا من هذه الحال وتثبتنا عدة ايام الا المطاولة بالبراز والقتال فارس لفارس على يوجد فينا من يهلك هولاء الفوارس الذين يقاتلون بحمية وشجاعة يفوقان حق الوصف ولا سيما فانهُ يوجد بينهم فارس عريض الهامة مثقل بالحديد لا يقدر احد ان يثبت أمامهُ في القتال وهو يقاتل ويفخر باسمهِ وينادي انا سيامك سياقبا عبد الملك ضاراب وقد فعل فينا فعلاً ذريعًا حتى صار يهابهُ الجميع . فقالا لهم صدقتم فلا بد في المطاولة بالقتال الى ان يرد الينا خبر من ابي لانهُ عما قليل سيجتمع في تعزاء نحو ستمائة الف فارس فاذا احتجنا اليها دعوناها باجمعها واذا لزمنا اكثر من ذلك باضعاف فيقدر على الحصول عليهم وعلى كل حال لا بد من كسر هذه الشرذمة اليسيرة وتفريقها واغتنام اسلابها والمسير الى ايران وهدمها واقلاع هذه المملكة ومحو اثارها فليبرز في الغد منكم الفرسان والقواد ونقاتل كما اشرتم ومن نال قصب السباق واشتهر في ثباتهِ امام العدو وشجاعتهِ ففي الحال اكتب الى ابي ان يقدمهُ وينعم عليهِ

وباتوا تلك الليلة على ما اعتمدوا عليهِ وفي الصباح نهض القوم الى ساحة القتال واصطفت الصفوف وترتبت الميامن والمياسر وعولت العساكر على الهجوم والاقتحام كما سبق لها في ما مضى من الايام واذا بفارس من فرسان اليمن قد برز الى الميدان فصال وجال وطلب فرسان الاعجام ان تقدم اليهِ فتصادف الوبال ولم يكن الا اسرع من طرفة عين حتى صار امامهُ فارس من اهالي ايران نصدمهُ وتجاول معهُ نحو ساعة من الزمان وبعد ذلك ضربهُ اليمني بعمده ارداه قتيلاً وطلب براز غيره فاتاه اخر وتجاول واياه ثم اتبعهُ برفيقهِ وعند ذلك قفز اليهِ بهمنزار قبا بهلوان عساكر ايران فتقاتل واياه الى اخر النهار ثم افترقا على سلام وعاد كل منهما الى المضارب والخيام وباتوا تلك الليلة على نية العود الى القتال في صباح اليوم القادم ولما حل الغد علت الفوارس على ظهور الخيول واصطفت بالعرض والطول وتقدم بهمنزار قبا الى الوسط ونادى بصاحبهِ في الامس ان ينزل اليهِ لينتهي بينهما الحال وما لبث ان صار امامهُ وفاجاه وتقاتل واياه حتى ارتفع فوقهما الغبار وقدحت حوافر خيلهما الشرار وتطاير من ضربات سيفيهما النار حتى تنصف النهار واخذهما

التعب والملل والضجر ولا زالا الى ان استظهر بهمتزار على خصمهِ وضربهُ بالسيف على هامهِ فرماه الى الارض قتيلاً وداس بجواده عليهِ . ثم دعا من اهالي اليمن من ينزل اليهِ فاتاه اخو المقتول وكان اشد منهُ باساً واقوى مراساً فتقاتلا وتجاولا واوسعا في المجال ونظرت اليهما عيون الفرسان والابطال ترى ما تصل اليهما الحال . ومن يكون منهما القاتل . ومن هو المقتول الخازل حتى غابت الشمس واقبل الظلام . فعادت الجيوش الى مضاربها . ونامت تلك الليلة كعادتها وفي الصباح خرجت تنادي نداء الحرب . والرجوع الى ما هم عليهِ من الطعن والضرب . فلم يكن الا القليل حتى وقفت الفرسان في مراكزها وانتظر كل منهم ما يكون من قتال ذاك النهار ومن يكون المنصور في ميدانهِ ومن المقهور واذ قد خرج من عساكر الاعجام سيامك سياقبا وهو راكب على جواد عال طويل الذيل معقود على ناصيتهِ الخير ومقلد بحسام عريض ماضي الحد وعلى كتفهِ عمد من الحديد ثقيل العيار . لا يحملهُ الا كل صنديد جبار فصال وجال حتى حير العقول بافعالهِ وابهر النواظر باعمالهِ . ثم وقف في وسط الميدان . وطلب ان تبرز اليهِ الفرسان . فما اتم كلامهُ حتى صدمهُ فارس من قواد اليمن وهو خصم بهمتزار بالامس فالتقاه سيامك بقلب اشد من الحديد وتضاربا الضرب الشديد واختلف بينهما الضراب والطعان . بما يفصل الارواح عن الابدان وطاب لهما الكر والفر في الجولان . الى ان مضى ربع النهار وهما على تلك الشان . وبعد ذلك ضايق سيامك خصمهُ ولاصقهُ ورفع العمد في يده وضربهُ بهِ ضربة قوية استحكم بها على راسهِ فهرستهُ واخمدت منهُ الانفاس فوقع الى الارض قتيلاً فتركهُ يخبط بدماه وصاح الى جهة الاعداء ان ينزل اليهِ من يدعي البسالة والثبات وفي الحال هجم عليهِ قائد . من القواد يقال لهُ عاصم العماد وكان هذا من الفرسان الشداد . يعول عليهِ في المعامع . وينسب اليهِ كثير من الوقائع فالتقاه سيامك غير مبال بهِ . ولا خائف من حربهِ . ودار بينهما دولاب القتال . على احكم منوال . وثار فوقهما الغبار . فكاد ان يغيبهما عن الابصار . ودام بينهما الحال نحو ساعة ثم ضربهُ سيامك بالسيف على محكم الرقاب . ارداه قتيلاً على وجه التراب . ونادى ان تعجل الفرسان . بالنزول الى الميدان . قبل فوات النهار . وذهاب فرصة القتل والدمار . فاتاه اخر فتجاول واياه وما لبث ان ارداه يخبط بدماه ودام على ذلك الشان كلما اتاه فارس قتلهُ وعجل عليهِ حتى قتل نحو ١٧ قائداً من قواد الشاه سرور وقد خافهُ الجميع وتاخروا عن قتالهِ . وخافوا من حربهِ ونزالهِ لانهم شاهدوا فيهِ من سرعة الجول والصول ما ثبت لهم انهُ لا يقدر احد بين عساكرهم على الثبات امامهُ اكثر من ساعة ولما غاب نور ذلك النهار واختفت شمسهُ متخذة من الخباء حجاباً يسترها عن العيان رجعت العساكر الى الوراء واذ ذاك التقى طيطلوس بسيامك سياقبا فقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ لقد صدقت فيما نطقت بهِ قبل الان وتبين لي انك من رجال الحرب العظام الذين يجب لهم التعظيم

والاكرام وشكره سيامك على قوله وقال له اني لا افعل الا ما هو متوجب عليّ وما طلبت نوال المراتب العالية وان آكون من قواد جيوش سيدي الملك ضاراب الا لاخدمة في مثل هذه المواقع واكون دائمًا في ركابه ويكون لي جيش القى به الاعداء . قال له سيكون لك كل ما انت طالبهُ بعد هذه الحرب الذي اظن انها تنتهي بعد يومين او ثلاثة ايام فدخل سيامك مضربهُ ونزع عنهُ لامة الحرب والقتال وهو مسرور من نجاحهِ في ذلك النهار وبلوغهِ ما كان يتمناه من الحصول على رضى طيطلوس وبات يعد نفسهُ بالارتقاء الى درجة الامراء وانهُ سيلبس القباء الاحمر وينزع عنهُ القباء المخصوص بالعامة . واما عساكر الشاه هزبر فانها عادت وهي في ذل وقهر تكاد ان لا تصدق برجوعهم الى الخيام على طريق الصواب حيث قد اضاع عقلهم ما فعلهُ سيامك في ذلك النهار وقد اهلك منهم نخبة جيشهم وقواده العظام

ولما كان اليوم التابع بكرت الفوارس الى الركوب على الخيول وتقلدت بالصفاح والنصول وما انتهى ترتيبها ونظامها الا كان سيامك في وسط الميدان . وهو كعفاريت السيد سليمان يجول وينادي بعساكر اليمن ان تخرج اليهِ لينتقم منها ويلبسها ثوب المذلة والعار . فجعلت تفاجئهُ الفوارس واحدًا بعد واحد وهو يعجل في فناها ويهلكها الى ان تنصف النهار واذا ذاك تاخرت عنهُ الفرسان ولم يعد احد يجسر على قتالهِ وحربهِ . ولما شاهدهم وقد توقفوا عن الدنو منهُ وخافوا من نزالهِ وكان قد قتل منهم نحو ٢٥ فارسًا صاح فيهم وهجم عليهم وجعل يضرب فيهم بسيفهِ البتار وعمده الثقيل العيار . وتبعتهُ عساكر الاعجام . وقد هزت البيارق والاعلام . مؤملة بالنصر . وتعجيل الامر . فالتقتهم عساكر الشاه بسرور ببرود همة وفتور . موكد عندها دمارها ورجوعها بالخيبة وانكسارها . فاتقدت نار الحرب اي اتقاد وحمي سعيرها وزاد . ودارت كؤوس المنايا على الفرسان والقواد . وكان ملاك الموت عاطيها . ونذير الهلاك ساقيها وما جاء النهار على اخره الا وقد تضعضع جيش اليمن ولو طال النهار ساعة اخرى لطلبت الفرار وتفرقت في البراري والقفار وحل بها الموت والبوار وقد لاقت من القتال اصعبهُ ومن الكدر اشده واعظمهُ ونزلت في الخيام تنتظر الفرج من العزيز الرحمان وتاكد لديها انها لا تقدر ان تثبت امام جيوش العجم اكثر من يوم اخر واجتمع الشاه هزبر باخيهِ الشاه ليث وقال له اني اعجب كيف ان عساكر الاعداء وهم اقل منا عددًا يقدرون على مثل هذه الفعال وان يوقعوا بنا ويلبسونا من المذلة ثوبًا لا يمحى بكرور الايام والسنين . قال لو لم يكن فيهم من الفرسان من هم اشد منا ثباتًا واكثر تفننًا بالحروب لما قدروا ان يلقونا يومًا واحدًا وانما هذه الفعال واشتداد قلب الاعجام هو بفرسانهم ومقدميهم ولا سيما بسيامك سياقبا الذي ارمى الرعب في قلوب رجالنا ولا اظن انهُ اذا قتل سيامك يعود لهم رجاء وامل غير انهُ لا يوجد فينا من يقدر على قتلهِ الا اذا كان انا او انت . قال انهُ خطر في بالي

ان ابرز الى سيامك في الغد ولي رجاء ان اعدمهُ الحياة واذا قتل هذا ضعفت عزائمهم ونفوت قلوب عساكرنا وقد قصرنا عن ملاقاتهِ في اول الامر

وباتوا على تلك الحالة من الامل وقد شاع فيما بين رجال الشاه سرورانهُ في الغد ينزل الشاه هزبر الى سيامك فيقتله ويتخلصون من هذه الداهية فسر الجميع وفي الصباح قام كل من العسكرين الى جواده فركبهُ والى سلاحهِ فاعتقله وتقدم طيطلوس يصف الجنود الى اليمين والشمال على ترتيب ذاك الزمان وعلى كل فرقة قائد يدبر امرها ويدبر حالها وقد اوصاهم ان يظهروا كل ما عندهم من الشجاعة بحيث لا يحتاجون الى قتال يوم اخر غير ذلك اليوم وكذلك فعل الشاه هزبر والشاه ليث . واذ ذاك قفز الى الميدان سيامك سباقبا واشار الى عساكر اليمن يطلب البراز وقال ويلكم اما فيكم من يقدر على الثبات فيكسب الفخر وينال الشرف بالثبات امامي واذا لم يكن فيكم من يلقاني فانزلوا اليَّ عشرات ومئات بل اذا شئتم فانزلوا اليَّ باجمعكم فاني اعاهدكم اني القاكم وحدي وابيد جمعكم بسيفي وعمدي . وما انتهى من كلامهِ حتى سقط الشاه هزبر الى امامهِ وكان من الفرسان المعتمد عليهم والمعول عند الحروب اليهم وقال لهُ لقد اطلت بلسانك علينا فاثبت الان امامي فانا الشاه هزبر ابن الشاه سرور والان تذوق مني العذاب الاليم وتشاهد ما لم تشاهده قبل الان بعينيك وما تاخرت عن قتالك الى هذا اليوم الا رجاء ان ترجع عن غيك وتعرف مقامك بين الفرسان والابطال وحفظًا لشرفي من ان اقاتل اولاد الازقة وعلوج الاعجام فلما سمع سيامك كلامهُ تكدر منهُ وعول على ان يقتلهُ اذا لاحت لهُ منهُ فرصة الا انهُ افتكر ان قتلهُ يغضب الملك ضاراب ويكدر فيروزشاه مزيد الكدر فوطد نفسهُ على ان يستاسره ويقوده الى بين يدي الملك ضاراب ولم يرد يجيبهُ على شقشقة لسانهِ خوفًا من ان يتوصل بهِ الحنق الى ما فوق خاطره بل فاجئهُ بهمة وحمية واخذ معهُ في الضرب بالسيوف الثقال ، واتسع بينهما سوق الجدال . واشتد لديهما اشتعال نار القتال . وكان فكر سيامك ان ياسره . ولا يوقع بهِ ولا يضره . وكان قصد الشاه هزبر ان يقتلهُ . ويعجل عن دار الحياة مرتحلهُ . ولذلك كان سيامك يدافع عن نفسهِ ويطاولهُ . ويكر من امامهِ ويحاولهُ . وكلما لاحت منهُ فرصة لقتلهِ . يمنعهُ صيب فكره وعقلهِ فيغضض الطرف وينتظره الى ان يتعب وتخدر ساعداه وتضعف ركبهُ ويقل قواه . فيدنوا منهُ بالتاني وياخذه اسيرًا . ويقوده من خلفهِ حقيرًا . وهكذا صار فان الشاه هزبر كان قد راى هذا التقصير من سيامك فظن ان ذلك تقصير منهُ وعدم خبرة في القتال فاجاد لهُ الطعن وكان يرفع عمده الحديد ويضربهُ وفي ظنهِ انهُ يكون القاضي عليهِ فيضيعها بحسن معرفتهِ ولا يعاملهُ بالمثل خوفًا من ان تصيبهُ ضربة فتذهب بروحهِ فيضيع ضرباتهِ بالهواء . ودام هذا القتال بين الاثنين الى ان مضى قسم من النهار وقرب العصر واذ ذاك انحطت قوى الشاه هزبر . وتخدرت يداه

وضاق عليهِ الامر دون ان ياخذ من خصمهِ حقًا ولا باطلاً ولا وصل اليهِ بضربة تشفي منهُ الغليل فاحترق لذلك كبده وعظم عليهِ الحال واطبق على صدره من الضجر والملل . ولما راى سيامك منهُ ذلك صاح فيهِ فخبلهُ ودنا منهُ وقبض على جلباب درعهِ فاقتلعهُ وقال لهُ اهل نظرت نفسك الان وماذا ياترى نفعك ادعاك بالشرف والفخار على انهُ لو كان في نيتي قتلك لما صبرت عليك الى هذه الساعة انما اخترت ان اربطك بالحبال واسحبك الى بين يدي الملك ضاراب . ثم رجع بهِ ورماه الى بين يدي طيطلوس فامر في الحال بربطهِ والحفظ عليهِ . وكان الشاهليث لما شاهد ما حل باخيهِ طار الشرار من عينيهِ فصاح في العساكر طالبة خلاصهُ وحمل هو في مقدمتها فالتقتها عساكر الاعجام بقلوبٍ لا تخاف الممات . ولا يفوتها عن سلوك سبل الشجاعة فوات . وهي ترجح لديها النصر في نفس ذلك النهار . وان لا ياتوا على اخره الا ويكونوا قد انزلوا باعدائهم البوار والبسوهم اثواب الذل والشنار . فاجهدوا انفسهم في الحرب . وجودوا في اخصامهم الطعن والضرب وكانت وقعة مهولة لم تكن في الحسبان . ولا ظنت عساكر الشاه سرور انهُ يحل بها الفناء والقلعان ونقتل جماعة القواد والفرسان . في خمسة ايام من الزمان . وكان سيامك قد اخذ جهة الشمال وبهمنزار جهة اليمين واثنانهما كالصاعقة المحرقة . والسهام المخرقة . يفترس كل بضربة حسامهِ . من يقف امامهُ حتى كادا يلتقيان ببعضهما . وقد رجعت جيوش العجم الى الخيام وفي اثرها جوش الاعجام . وهي تضرب في اقفيتها ولا تترك لها طريقًا للهرب ولا مقرًا تنجو منهُ فتتخلص الى ديارها ولولا اتيان الليل لما ارتدت عساكر الملك ضاراب ولا رجعت الا بنوال القصد وبلوغ المنا غير ان طيطلوس لما شاهد ما حل بالاعداء عرف انهُ لم يعد في وسعهم القتال وانهُ لا بد لهم من الهرب والرجوع الى الوراء فيعودون عنهُ الى بلادهم فامر ببوق الحرب ان تعود العساكر عن مقاتلة اليمنيين فرجعت باجمعها وقد اشفت غليلها واطفت نار اتقادها وعادت الى منازلها ونزلت في اطنابها وهي في فرح وسرور تنظر الى عساكر الاعداء بعين الازدراء والاحتقار وقد سرها قلتها بعد تجمعها وكثرتها . وبعد ان استقر فيهم الحال بالخيام جاء سيامك سيا قبا الى بين يدي طيطلوس فقبل يديهِ ودعا لهُ وللملك ضاراب بدوام العز والبقاء فقبلهُ طيطلوس وقال لهُ في الغد ان شاء الله ارسلك الى ملاقاة الملك ضاراب لتبشره بهذا النصر المجيد وتصحب معك الشاه هزبر وتخبره بما كان من امر قتالنا واني اصحبك بكتاب لهُ اخبره بهِ بما نلتهُ دون غيرك من التقدم في سوق المجال وانهي لك عنده فيلبسك القباء الاحمر ويعقد لك على جيش تنتخبهُ انت من جيشهِ الخاص ويناديك بالامير فتنتظم في سلك الامراء والسادات وهذا قليل بحقك لانك حميت الجيش وحدك وكسرت الاعداء واني اشهد بذلك امام الله والملك . وانا الان على يقين من ان الملك ضاراب قريب منا لانهُ سائر في اثرنا وكان في ظني انهُ يصل الينا من نحو يومين غير اني لا اعلم

السبب العائق الذي اخره الى ما بعد اليوم ولا ريب في انهُ يسير متمهلاً لتاكده اننا في امن من الاعداء وربما لا نقاتلهم الى حين حضوره . ثم دعا بالشاه هزبر فطيب بخاطره واعلمهُ ان لا خوف عليهِ من القتل انما سيرسلهُ الى سيده ليقيم تحت الحفظ في ايران الى حين تنتهي الحال بينهم وبين ابيه فاطمأَن قلبهُ وكان يخاف من ان ينتقم منهُ الملك ضاراب ويقتلهُ في ثار ابنهِ وامر طيطلوس ان يحافظوا عليهِ الى الغد وان يقدموا لهُ الماكل الطيبة ولا يسيئون معاملتهُ

واما الشاه ليث فانهُ بعد ان عاد الاعداء عنهُ نزل الى خيامهِ ليساخذ لنفسهِ الراحة ويسال رجالهُ ماذا يجب ان يفعل وبعد ان استقر بهِ الامر وهدأ روعهُ اجتمع اليهِ من بقي من القواد واستشاروهُ في الرجوع الى الاوطان . فقال لهم لا بد لنا من ذلك وقد يصعب عندي ان ارجع الى ابي خاسراً مايوساً واترك اخي بين يدي الاعداء قالوا ان الملك ضاراب من اعقل الملوك واكثرهم حفظاً على مراعاة حقوق الملوك ودم العباد فلا خوف على اخيك من القتل او العذاب ورجوعك الى ابيك وانت على هذه الحالة خير لك من ان ترجع وانت بحالة اصعب واشئم من هذه الحالة فالان قد فقد من عساكرنا نحواً من خمسين الف فارس واكثر الباقين مصابين بجروحات لا تمكنهم من حمل السلاح للدفاع فاذا لبثنا يوماً ثانياً نذهب طعاماً للسيوف وربما لا يبقى منا احد فانظر في ذلك نظر الخبير العاقل واسعَ بخلاص نفسك وخلاص جيشك الباقي واسرع الى ابيك ليكون على حذر ويسرع الى خلاص اخيك من هولاء الاعجام لانهم قليلو العدد وعند ابيك الان من العساكر لا اقل من ستمائة الف فارس فاذا حمل بهم على هولاء اهلكهم عن اخرهم وانتشل اخاك من بينهم . وبينما هم على تلك الحالة وقد عزموا على الرحيل والرجوع الى تعزاء اليمن والشاه ليث مرتبك الفكر وحزين على اخيهِ وخائف من ملامة ابيهِ على الانكسار امام ثمانين الف فارس مع ان عددهم كان مائتي الف نفس واذا بهلال العيار قد دخل عليهِ ووقف بين يديهِ وسلم اليهِ كتاباً من ابيهِ . يقول فيهِ ان فكري لا يزال في خوف عن ان لا تصادفون نجاحاً وقد اجتمع عندي عدد غفير من العساكر ولا تزال الجيوش تتقاطر من كل فج وناحية ولا يسعني ان اسير اليكم الان ولذلك بعثت اليكم بعيار بلادنا هلال مع تحريري هذا لتخبرونا بهِ عن حالتكم وما وصل اليكم من جيوش الملك ضاراب . فاذا كنتم على قدم النجاح والتوفيق وقد اعقد لكم على راية النصر فابقوا في مكانكم الى ان ابعث اليكم بالاوامر اللازم اتخاذها واذا كنتم في تاخير وقد ضعف الجيش الذي معكم فعودوا الينا حالاً لنقاتل العدو عند بلادنا فقد صار لدينا من الابطال والفرسان ما يكفي لملاقاة كل عساكر العجم مع ملكها ويكفل لنا الانتصار عليهم . فلما قرأ الشاه ليث كتاب ابيهِ وانهُ يطلب عودتهُ اليهِ اجاب بالسرعة وقال لهلال العيار اذهب انت الى ابي اولاً واخبره بقدومنا واعلمهُ بان اخي في قبضة عدوهِ وان الجيش في تضعضع وقد فقد اكثره ولم يبعد منهُ من يقدر على

الحرب والطعان الا القليل ونحن في اثرك سائرون لا نلبث ان نكون بتعزاء بعد ايام . فسار هلال وبعد مسيره امر الشاه ليث ان تشعل النار في اماكنها ويرحل الجميع تحت سواد الليل بحيث يصبح النهار وهم بعيدون عن تلك النواحي لا يعلم احد برحيلهم وكان يخاف من ان يعلم طيطلوس برحيلهم في الليل نفسه فيدركهم ويوقع بهم ويمنعهم من الخلاص . ففعلت العساكر كما امرها واخذت تسير على قدم السرعة دون ان تبدي حركة او تظهر اشارة تدل على وقوع حركة في الجيش حتى غابوا وبعدوا عن تلك الديار قاصدين وطنهم

وفي صباح تلك الليلة نهض طيطلوس وجميع عساكره من مراقدهم ونظروا الى جهة الاعداء فلم يروا غير الاثار والرسوم فعلم طيطلوس انهم رحلوا في الليل وقال في نفسه اني كنت اعلم من نفسي انهم سيفعلون ذلك ويرحلون في الليل والان صار من الواجب ان اسير في اثرهم الى ان اصل الى بلاد اليمن وربما ادخل تعزاء قبل ان يصل سيدي الملك وعند وصوله يراني قد انهيت له الحال فنسير جميعاً الى بلاد هورنك ثم دعا بسيامك سيا قبا وقال له اني وعدتك بالامس اني اسيرك الى الملك ضاراب حاملاً راية النصر ومعك اسيرك الشاه هزبر ابن الشاه سرور وتحمل مني ايضاً كتاباً يترجم عن حالة القتال وما كان فعلك فيه وبماذا وعدتك واني ارجوه ان يعقد لك على جيش لا يكون اقل من ثلاثين الف فارس من خاص الفرسان فاستعد الان للرحيل وبعد ساعة يجب عليك ان ترحل واما انا فسأقيم هذا النهار في هذا المكان وفي الغد اسير في طلب الوصول الى تعزاء اليمن واني على انتظار قدوم سيدي الملك ضاراب . فكاد يطير سيامك من الفرح واتسع صدره وامل نوال بغيته فهيأ نفسه وركب جواده وتقلد باسلحته واركب على جواد الشاه هزبر مقيداً ورفع راية النصر في يده واخذ كتاباً من طيطلوس الحكيم به الكفاءة وودعه وودع جميع اصحابه ووعدهم بالعود اليهم قريباً وخرج من بين الفرسان والدنيا تكاد لا تسعه من شدة ما ناله من المسرة وهو يحدث نفسه بالاماني وبما سيصل اليه من النعم وبلوغ درجات المعالي بعد ما كان عليه من الانحطاط والاهمال وعدم الالتفات ودام في مسيره نحو يومين وفي مساء اليوم الثالث تبين له جيش فارس تخفق فوقه الاعلام وهو مقسوم الى فرق واقسام كل منها تحت امرة امير خطير وفارس عظيم مشهور بالوقائع والغارات . وقد عول الملك ضاراب على المبيت في تلك الارض الى الصباح واذا به يرى راية مرفوعة فوق راس اثنين على جوادين يطويان الارض بالسرعة والجري فتحقق الراية واذا بها راية فارسية معروفة عندهم بعلامة النصر . فاستهل وجهه من الفرح وقال لمن حوله هوذا الراية الفارسية محمولة الينا تعلن لنا بانتصار جيشنا وهي مبعوثة لنا من طيطلوس الوزير فالحمد لله على كل حال فانه يعقد لنا النصر اينا توجهنا وحول عن جواده ونزل ينتظر وصول رسول الراية وضرب له الصيوان الحريري المزركش وكذلك جميع القواد

والفرسان قد فعلوا كفعلهِ واجتمعوا باجمعهم حولهُ ولم يمض على ذلك الا دقائق قليلة حتى دخل سيامك بين الجيش وامامهُ الشاه هزبر على جواده مقيداً كما سبقت الاشارة اليهِ وكان رافعاً بيده الراية والناس تنظر اليهِ بعين المسرة والفرح وتسير من خلفهِ لتسمع ما هو حامل من البشارة الى ان دخل على الملك ضاراب في صيوانهِ ومن حولهِ كثير من الامراء والسادات والى جانبهِ فيلزور البهلوان بهلوان بلاد فارس وسيد فرسانها . فقبل يديهِ ورجع الى الوراء علامة للحشمة والاداب ثم قدم لديهِ الشاه هزبر وقال لهُ يا سيدي قد بعث اليك سيدي طيطلوس بهذا الاسير وهو ابن الشاه سرور وقد احرز النصر تماماً في مواقع جرت بينهُ وبين اليمنيين وقد بعث لك ذلك مفصلاً في كتابهِ الذي ستقراه الان وهو يقبل ايديك ويسالك معاملتي بحلمك وعدلك . ثم دفع اليهِ الكتاب فتناولهُ منهُ وفض ختامهُ وقراه اولاً في ضميره وقد تعجب من اعمال سيامك سياقبا وبعد ان فرغ من قراءتهِ دفعهُ الى وزيره دوش الراي وقال لهُ خذ هذا التحرير واتلهِ علناً على مسمع من جميع القواد والفرسان ليعلم الخاص والدون ان من جد وجد ومن طلب العلا على استحقاق نالها وليتاكد الجميع في رجال دولتي اني لا اضيع تعب مجتهد واني لا اسلم المناصب لغير اهلها فمن كان من اهل الاستحقاق قلدتهُ ما يستحقهُ ليكون قدوة لغيره وهذه خطة يطلب الله مني اجراؤُها . فاخذ دوش الراي التحرير وقراه بصوت عالٍ ولسان فصيح فقال

بسم الله الحكيم العليم الناصر القاهر رب موسى وابرهيم . من طيطلوس الحكيم الوزير الامين الى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسيدها

بعد السلام عليكم وايصال الدعاء والبركات اليكم . ابدي اني توجهت من اعتابكم وتحت امرتي الجيش الذي اعهدتم لي رئاستهُ فسعيت بحسب اوامركم حتى دخلت بلاد اليمن وكدت اقرب من تعزاء اليمن مدينة الشاه سرور ولم يكن يخطر في فكري قط ان ابدي حركة تغاير مقاصدكم الا ان الشاه سرور قد علم بمسيري اليهِ مع العساكر فبعث اليَّ ولديهِ الشاه هزبر والشاه ليث وتحتهما مائتي الف فارس من عساكرهم وكان في نيتهم ان يكبحونا ويبعدونا عنهم بالخيبة ونحن بعيدون عن بلادهم فلاقاني الشاه هزبر والشاه ليث بعساكرهما على بعد اربعة ايام من المدينة ولما شاهد عسكرنا كثرة عددهم كاد يوقع بالرعب والخوف فشجعتهم وذكرتهم بتوفيقكم المقرون بعناية الله تعالى وكان مع الجيش احد الفرسان المهملين الذكر وهو الواصل لديكم براية النصر واسمهُ سيامك سياقبا فتقدم مني وعرض لديَّ ان ينفرد وحده بالقتال بشرط ان يكافى على ذلك بالدخول في رتبة الامراء فوعدتهُ اذ رايت منهُ ما يستحق الذكر وسالتكم باجابة سوالهِ ولما كان القتال شاهدت منهُ ما لم اشاهده قط من احد قبلهُ الا منكم ومن اخي فيلزور البهلوان . فانهُ بدد عساكر الاعداء وقتل فرسانهم وشتت شمل قوادهم واهلك اكثرهم وقد حمى الميدان ثلاثة ايام

ما نزل اليهِ فارس وعاد حيًّا حتى تاخر عموم فرسان الشاه سرور عن قتالهِ ولو لم يثبتهم الشاه هزبر ويعدهم بهلاك سيامك لطلبوا الفرار ورجعوا على اعقابهم الا ان الشاه هزبر لما برز لسيامك حاول اسره حيًّا خوفًا من ان يغضبكم قتلهُ واتاني بهِ وبعد ذلك تشتت جيش الاعداء ولم نعد نرى لهم اثرًا . ولما عاد اليَّ سيامك وذكرني بسابق وعدي اجبتهُ الى سوالهِ وبعثتهُ اليكم ومعهُ اسيره ليعرضهُ عليكم فاما تطلقونهُ واما تبقونهُ واني اخيرًا ارجوكم يا سيدي بان تعقدوا لسيامك راية خصوصية وتنهضوه لمنصب الامارة فهو فوق ما تظنون واني اشهد انهُ افرس فارس في بلاد الفرس بعد فيلزور واننا نحتاجهُ في مثل هذه الحرب وغيرها ومن العدل ان لا نضيع حق من يخدم دولتنا بامانة يستحق عليها المكافاة واني على يقين اننا لولاه لكنا الان في خسران وربما كانت لا تنتهي الحال الى ان تجيء فيفقد قسم كبير من الجيش قد اشتراه ببسالتهِ واقدامهِ وفادى بنفسهِ لاجلهِ وحماه بقوة ساعده ولي امل وثيق ان لا يضيع رجائي عند عظمتكم . ومن ثم اخبركم اني سائر على اثر الاعداء حتى انزل على نعزاء اليمن واعسكر عند جبالها منتظرًا قدومكم اليَّ لنرى بعد ذلك ما يكون هذا اذا لم يبادئنا الشاه سرور بالقتال والا اذا وقع ما بيننا الحرب وانتشبت نارها فلي رجاء بالنجاح وربما ادخل المدينة قبل قدومكم فادعوا لي جميعكم بالنصر ولا تتاخروا عن سرعة الوصول اليَّ فانني ربما احتاجكم عند الضيقة وليس يعلم ما في الغيب الا الله تعالى والسلام ختام

وكان دوش الراي يقرأ والفرسان تسمع وتتعجب من اعمال سيامك وما فيهم الا من نظر اليهِ وتامل شجاعتهُ واقدامهُ فوجد فيهِ دلائل البسالة ووقعت محبتهُ في قلوب الجميع من كبيرهم الى صغيرهم ولا سيما الملك ضاراب فانهُ نهض واقفًا امام الجميع واخذ بيده القباء الاحمر ووضعهُ على راسهِ واخذ رداء من الحرير المنقوش بالذهب الذي تلبسهُ الامراء اثناء الاعياد الرسمية ووضعهُ على اكتافهِ وناداه بالامير سيامك وقال لهُ اني رفعتك من الان الى منصب الامراء وهاك الجيش امامك فاختار لك منهُ نحوًا من ثلاثين الف فارس واجعلهم رجالك الاخصاء ينقادون لامرك ويسيرون تحت رايك . واذ ذاك دنا منهُ الامراء وهنأوه بالمنصب الجديد وباركوا لهُ بهِ ومدحوه على افعالهِ فشكرهم على قولهم وبات تلك الليلة مسرورًا بما وصل اليهِ على امل انهُ في الصباح يختار الفرسان المعهود اليهِ رئاستهم

وفي ثاني الايام نهض من فراشهِ وخرج الى بين يدي الملك ضاراب وجلس في صيوانيين الامراء وكان الملك قد ضرب لهُ كرسيًّا الى جانب كرسي فيلزور يجلس عليهِ في مجلسهِ ولما استقر بهِ المقام جعل يستفسر منهُ عن ما كان من امر طيطلوس فاعاد عليهِ كل ما تقدم . ثم سالهُ اذا كان قد سمع خبرًا عن ولده فيروزشاه فاجابهُ ان لا خبر من احد ولا علم لنا بهِ . وبعد ساعة من الزمان اخذ سيامك الاذن وخرج الى بين الجيوش وجعل ينتخب منهم من يظهر في عينيهِ انهُ من

الفرسان الشداد حتى صار عنده ثلاثين الف فارس من احسن جيوش فارس واشدها ورفع راية مخصوصة له مرسوم عليها الرسم الفارسي وتحسن حاله وخرج الى مصاف الكبراء وسيكون له في مواقع الفرس شان ويحوز السبق على الجميع وبعد ان فرغ من عمله اخبر به الملك ضاراب وقام في منصبه ينتظر مسير الجيش ليسير برفقته الى مكان الحرب والقتال ويظهر عمله امام الملك ضاراب ليعلم عياناً صدق ما حكاه له عنه طيطلوس ويرى افعاله بالاعداء . ولم يمض على ذلك الا القليل حتى نهض الملك ضاراب ونهضت من حوله الامراء بجيوشهم فرفعوا الاحمال وعلوا على ظهور الخيول وساروا في طريقهم يقصدون بلاد اليمن والحاق بطيطلوس الحكيم وقد ملأوا بكثرتهم السهل والجبل وانتشروا بتلك الارض انتشار الغمام في الافق وهم على احسن ترتيب ونظام . وفي المقدمة سيامك سيا قبا بجيشه الجديد وهو لابس القبا ومسرور به وعلى اكتافه الرداء الحريري . وداموا في مسيرهم على هذا النمط وقد بعث الملك ضاراب الشاه هزبر الى ايران واوصى بالحفظ عليه وباكرامه الى ان يعود من اسفاره فيطلق سراحه ويعيده الى ابيه وقد طيب بخاطره واحسن معاملته

واما الشاه سرور بعد ان بعث العيار هلال كما تقدم الخبر الى اولاده بات ينتظر عنهم خبراً ليعلم الى ما انتهت اليه حالتهم وبينما هو على مثل ذلك وقد مضى ايام قليلة واذا بالعيار قد دخل عليه وقبل يديه واطلعه على كل ما توقع على ولديه والجيش وان الشاه هزبر هو اسير عند الاعجام والاخر عاد مكسور مقهور وقد نهض من وجه الاعداء وسار في اثره خوفاً من الهلاك والدمار . فاغضب هذا الكلام الشاه سرور وعظم عليه وكدره وخاف عاقبة الامر ولعن تلك الساعة التي جاء فيها فيروز شاه الى بلاده ساحباً خلفه كل هذه الويلات والمصائب وتعجب كيف ان جيشاً قليلاً كالذي مع طيطلوس ينقص عن نصف الجيش الذي مع ولديه يقدر ان ينتصر ويفوز عليه ويقدم نحو بلاده وبعد ذلك وصل الشاه ليث بمن بقي من العسكر وكلهم في حالة الكآبة والانكسار لا يصدقون ان يصلوا الى الديار ويامنون على انفسهم من الموت والاخطار وحملت المجاريح الى المستشفيات وضجت المدينة باسرها عند سماعها هذا الخبر وكثر القال والقيل وطال كلام القوم في حق طيفور والشاه سرور وقالوا لا بد من ان يشاهد اعظم من ذلك ويقع في وهدة الخطر فلا يعود بعد ذلك ينفعه نافع وكان الاهالي بامان من جهة الملك ضاراب لعلمهم انه لا يمد الى احد يداً ولا يضر باحد ولا يسمح بنهب احد وان غاية الوحيدة الشاه سرور وطيفور فكانوا يتمنون وقوعهما في يديه لينتقم منهما ويقيم عوضاً عنهما من يليق به مثل هذا المقام ويحسن رعاية الرعية . ولما وصل الشاه ليث دخل على ابيه وهو في حالة يرثى لها وشرح له بالتفصيل فعل الاعجام بهم وانتصارهم عليهم واسرهم لاخيه . فقال له وكيف وقع منكم ذلك وانتم بعدد يضاعف عددهم وعلى مقربة من بلادكم والجيوش وراءكم تتجمع على امل الانضمام اليكم . قال ان بالاعداء فرسان كالعفاريت الطيارة

تنقض على الجيش فتضيعة ولا نرجع عن الحرب الا بعد ان تفتك فتك الاسود ولم يكن في رجا لنا من يقدر على الثبات امامهم او يلقاهم في مواقع الحرب والقتال على اننا ما قصرنا في الدفاع ولا فترت همتنا عن تحريك العسكر وتشجيعهِ املاً بالثبات ودوام القتال ولا ريب ان ما بقي من جيوش طيظلوس هو في حالة الضعف فاذا ادركتهم بالعساكر والابطال ولاقيتهم وهم في حالة تعب ومعاناة سفر توقع بهم وتحرز النصر واني على يقين ان هذا الجيش الصغير لا يطول امره بل ينقرض شيئًا فشيئًا وذلك لقلتهِ انما الخوف من ان يكون في اثره غيره او يكون هذا في مقدمة جيش الملك ضارابب لانهُ لا يظن ان جيوش العجم تطرق هذه البلاد بهذا العدد القليل وفي نيتها ان تسير الى بلاد الزنوج ايضًا لتخليص ابن ملكها . قال صدقت فلا بد من ان يكون وراء هذا الجيش جيش اخر وعندي ان المسارعة الى القتال ومحو اثار هذه الشرذمة القليلة من الضروب اللازمة لايقاع الخوف في قلب الباقين والا اذا تهاملنا وقعنا في الخسران . فقال طيفور ان راى سيدي الشاه ان يسير في الغد الى ملاقاتهِ ولو على بعد يوم من هذه المدينة اكون انا برفقتهِ وتصحب معنا جميع الفرسان المجتمعة الان وهي لا تنقص عن ستمائة الف فارس ولا ريب في ان الذين بعثنا فاستنصرناهم من الاصحاب والانسباء يبعثون الينا بالعساكر والرجال . فيزيد عدد رجالنا ويكثر ويفيض بعين الاعداء كما يفيض البحر اذا زخر ومهما كان جيش الاعداء كثير فاننا نضعفهُ واذا نقص فلا قدرة لهُ على سد النقص لبعد بلاده عنهُ فانهض عاجلاً وباشر القتال بهمة الليوث ولي رجاء ان يكون الفوز لنا والانتصار على الاعجام

وفي الحال امر الشاه سرور ان تستعد العساكر الى الرحيل في الغد وتكون على اهبة القتال ليلاقي الاعداء عند خارج المدينة فيما وراء الجبل الاخضر فاستعدت العساكر وباتت على نية المسير وفي صباح اليوم التالي نهض الشاه سرور فركب في موكبهِ وركب الى جانبهِ امراء دولتهِ وقواد مملكتهِ وركب طيفور والشاه سليم حاكم المدينة السليمية وخرجت العساكر فرقًا وصفوفًا تتقدم الى الامام ومن خلفها المهمات والذخائر والمون وصار الاخر يتبع الاول على الترتيب والنظام الا انهم ما بعدوا اكثر من نصف نهار الا ولاحت لهم اعلام الفرس فوق رؤوس الابطال وهم يتقدمون الى جهة المدينة وكان اذ ذاك قد مضى اكثر من نصف النهار . فعندها قال طيفور للشاه سرور لا ريب ان الاعداء في تعب مزيد لا يقدرون على الثبات فمن الموافق ان لا نمكنهم من الراحة بل نفاجئهم بغتة ونوقع بهم ونردهم خاسرين وعندي انهم لا يقدرون على الوقوف امامنا ويتشتتون قبل اتيان الظلام . فاستحسن الشاه كلامهُ وراى فيهِ عين الصواب فامر الفرسان ان تقتحم الاعداء وتبادرهم بالطعن وتقلع منهم الاثار قبل فوات ذاك النهار ففعلوا وحملوا بهمة وحمية وقد اخذهم الطمع عندما شاهدوا قلتهم وضعف حالهم وتيقنوا انهم يستسلمونهم او يفرقونهم في

نفس ذلك اليوم . وكان طيطلوس بعد ذهاب سيامك ساركاً نقدم الى جهة نعزاء اليمن وفي نيته ان يقيم بالقرب منها الى حين يصل اليهِ الملك ضاراب ودام المسير ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع نقدم قليلاً بمهل وفي عزمهِ ان يميل الى الجبل فينزل عليهِ ويكاتب الشاه سرور علهُ يتفق معهُ على امر قبل مجيء سيده او يطاولهُ بالقتال الى حين قدومهِ فصادف عكس ما امل ولما راى حمل الاعداء وشاهد كثرتهم خاف من وقوع الرعب في عسكره فدعا اليهِ بوجه السرعة بهمنزار قبا وقال لهُ قد سلمت اليك امر الحملة فانت المسئول فيها لانك قائد ها العام فاذا ثبتنا يومان او ثلاثة ايام يصل الينا الملك ومعهُ الفرسان والابطال والبهلوانية المشهورون رفقاؤك ورئيسهم فيلزور فهولاء اذا زحفوا على هذا الجيش ابادوه ودمروا المدينة واهلكوا كل مدافع مخاصم فكن انت باول العسكر ودعهم يرون اعمالك فتشتد بك قلوبهم ويثبتون وانا اقيم في الخلف فلا ادع احداً يرجع عن القتال ومهما يفعلهُ الله مقبولاً فقال سوف نشاهد مني ما يطيب بهِ خاطرك وكيف اكون انا نشئة فيلزور ولا احمي هذا الجيش والقى حربهُ اياماً ثم هز في يده العمد الحديدي ولاح بهِ في الهواء وانقض على الاعداء انقضاض الجوارح وتبعهُ جيش فارس بهمة وحمية تسابق رسل المنية . واذ ذاك وقع الصياح من كل فج وناح . وشرعت البيض الصفاح . في اكف الابطال طالبة قبض الارواح . ونقدم الشجاع بقلب الاسد . وتاخر الجبان بعزم الولد . وما مضى على ذلك الا ساعة من الزمان . حتى اختلط القومان . وارتفع فوقهم الغبار الى العنان . ونادى منادي الموت بالقلعان . وحجبت الشمس عن العيان . ونغطي وجه الصحصحان . من جثث الفرسان . وقد اشتد القتال . وعظمت الاهوال . وضاق على العجم المجال . وعلموا ان لا خلاص لهم الا بالثبات . والقتال بصادق النيات . فثبتوا ثبات اسود الاجام وانضموا الى بعضهم اي انضام . وقد شاهدوا من اعمال بهمنزار العجائب وراوا من قتالهِ اغرب الغرائب . فانهُ كان يخترق الجيوش والمواكب . ويفرق الجموع والكتائب . حتى حير بفعلهِ عقول الاعداء وتبين لهم سوء ظنهم وتيقنوا ان فرسان الاعجام . هم اسود تلك الايام وان واحدهم يحسب بالف فارس مقدام . ولا زالت الحرب على تلك الحال . الى ان اقبل الزوال . واسود بحالكهِ الليل فعادت العساكر عن الحرب ونصبت مضاربها في تلك الارض وهي لا تصدق بالخلاص من القتال لتطلب لنفسها الراحة وتفرج عنها لشدة ما لاقتهُ من السير قبل هذه المعركة وقد فعل فيها الجوع والعطش ولا سيما عساكر الاعجام فانها كانت على اخر رمق ومنتهى الامل لشدة ما قاست في الايام السابقة .

وحطت الجيوش في ذلك السهل تنتظر صباح اليوم الاتي واجتمع طيطلوس ببهمنزار وقال لهُ ان من الصواب ان تبرز انت في الغد الى الميدان وتطاول القوم بالبراز والنزال الى ان ياتينا الفرج من الاله المتعال لانهُ لا خفاك ان جيشنا قليل جداً بالنسبة الى كثرة هذا العدد وهنا لظهرنا

من الشجاعة والثبات لا نقوى على قهر العدو وكسره فمن الصواب والراي الحسن ان تفعل ما اشرت به والا ان قاتلونا يومًا اخر افنونا عن اخرنا ولم يبقوا منا بقية واخاف ان ياتي الملك ضارب فيتكدر لهذا العمل ولا يرضيه ولم يكن يخطر لي انهُ يتاخر عنا الى اكثر من هذا اليوم او في الغد. قال اننا لا بد من ان نثبت الى حين اتيانهِ واني في الغد اخذ الميدان لنفسي فمن جاءني من الاعداء البستهُ ثوب البلاء واعمل ذلك الى يوم او يومين او ثلاثة ايام وفي هذه المدة لابد من وفود الملك ضارب علينا

وباتوا تلك الليلة على هذا الاتفاق وفي الصباح نهضوا من مراقدهم وافرغوا عليهم العدد وتقلدوا بالنصول والعمد وعلوا ظهور الخيول وتقدموا الى ساحة الميدان يترتبون ويصطفون في مراكزهم ولما انتهوا من ذلك عولت عساكر اليمن على الهجوم واذا يروا بهمنزار قبا قد توسط الميدان وبيده عمد من الحديد لا يحملهُ الا كل جبار عنيد وقد لعب بهِ اشكال حتى حير عقول الرجال وطلب رجال الشاه سرور ان يتقدموا منهُ ويبارزوه وقد شنع فيهم بكلامهِ حتى اغاظهم فتسابقوا اليهِ فالتقاهم وكان كلما قرب منهُ فارس جادلهُ مقدار ساعة من الزمان ثم ارداه قتيلاً يخبط بدمهِ الى الارض ودام الحال على هذا المنوال الى قرب الزوال حتى قتل ذلك النهار اكثر من خمسين فارس من الابطال الاشداء المشهورين والقى الرعب في قلوب الباقين وعاد من الميدان كما يعود الاسد الى مربضهِ ودخل في عساكر ايران وهو مسرور فرحان فلقيهُ طيطلوس وشكره على فعلهِ وقال لهُ اذا فعلت مثل اليوم يومًا اخر حميت الجيش وصنتهُ ومنعت عنهُ شر الكسرة ودفعت عنهُ الاخطار. قال ان انصفوني افنيتهم باجمعهم على هذه الحالة انما اخاف ان لا ترضيهم هذه الحالة ولا ينصفوني بالبراز ويحملون في طلب السرعة والانجاز. وهكذا كان لان طيفور غاظهُ ما راه من بهمنزار في ذلك النهار وقال للشاه سرور ان هذه الاعمال توقعنا بالخبال واننا لا ندرك من الاعداء مرادًا ولا ننال غاية الا بالكثرة والا اذا نازلناهم فارس لفارس افنونا وفعلوا بنا ايشم فعلة قال صدقت فانهُ لم يكن هذا في خاطري واني احب ان اسرع في عملي فالاعجام لا يمكنهم ان يثبتوا اكثر من يوم او يومين فهم في حالة الضعف والارتباك وقد قصدوا المطاولة ظنًا منهم اننا نجيبهم الى ذلك فينالون غايتهم وينفذون مآربهم. ثم نشر امره في الجيش ان يباكر الى القتال وان لا يبرز احد في الغد الى فارس الاعداء ولا يطمع احد فيهِ بل يحملوا باجمعهم حملة واحدة

قال ولما كان اليوم الثاني نزل بهمنزار الى وسط الميدان ونادى بان تنازلهُ العساكر والابطال وتبارزه على جاري عادتهِ فلم ياتهِ احد ولم يرَ الا عساكر الشاه سرور قد حملت حملة واحدة وصاحت بصوت واحد ارتجت لهُ كل تلك البلاد وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة ونادوا بعساكر الاعجام الا ابشروا بالموت والقلعان فقد آن الاوان وحل الزمان فهبوا الى الدمار والفناء والبوار

فالتقتها العساكر العجمية . بهمة وحمية . ودار ما بينهم بائع المنية . بروم قبض النفوس وقطع الانفاس واجهدت العساكر جهدها . واظهرت كل ما عندها . ولم يعد يسمع الا صوت صهيل الخيول . ولا يرى الا لمعان بريق النصول . وسدت ابواب الهرب . ووقع بالقوم الهلاك والعطب . وحل بها البلاء . وايقنت بالفناء . وعلموا ان لا ينالون المقصود . الا ببذل المجهود . والثبات في مواقف الحرب . والتجويد بالطعن والضرب . فكأَنَّ يوم القيامة قد آن . او ان جهنم نقلت الى ذلك المكان . تقذف من جوفها شعل النيران . فتحرق الاجسام والابدان . ودامت نار هذه القتال . على اشد ما يكون من الاشتعال . الى ما قبل الزوال . واذ ذاك تاخرت عساكر الاعجام . بعد ان افرغت ما في جهدها في مواقع الصدام . وملاقاة الاخصام . وفعلت بالاعداء افعالاً تحير الخواطر . وتبهج النواظر . الا ان كثرة اليانيين وقلتهم . قللت من عزائمهم واضعفتهم . فلم يروا اوفق من الرجوع الى الوراء وهم يقاتلون حتى ياتي عليهم الظلام فينظرون في امرهم ويرون طريقة تحميهم الى حين اتيان ملكهم ضاراب فيفرج عنهم ويدفع الاعداء وداموا في رجوعهم واليانيون بها جمونهم وقد داروا من حولهم واسرعوا في ربط طريق الفرار عليهم ولولا بهنزار قبا وما اظهره من الهمة في القتال والدفاع عن جيشه لهلك عن اخره لانه اينما نظر فرقة من عساكر الشاه سرور تطارد فرقة من الاعجام وقد كسرتها امامها يقصد تلك الفرقة فيضرب فيها ضرب الابطال فيدفعها عن قومه ويفرج عنهم ثم ينخطف الى جهة ثانية فيفعل كالاول ولا زال على تلك الحال وطيطلوس يصدر باوامره الى الفرق ان تتاخر بانتظام ويجول من خلفها خوفًا من ان تنفرط فتتشتت فلا يعود في امكانه جمعها . ولما اقبل الليل افرج اليانيون عن الاعجام وهم في حالة فرح وسرور وقد ثبت عندهم ان ما بقي منهم ستاكله اسيافهم في صباح الغد فلا تعود بعد ذلك تقوم لهم قائمة . واجتمع طيفور بالشاه سرور وقال له ارايت يا سيدي ما حل باعداك ومن كنت تحسب لهم حسابًا وفي الغد ان شاء الله ستباد هذه الشرذمة الباقية وتندثر فاذا شئت سرنا الى بلاد ايران وانتقمنا من الملك ضاراب وخربنا بلاده ونهبنا امواله ليعلم من هو اقدر واثبت ومن سيكون له النصر والنجاح في مواقف الحروب والكفاح . قال ان المسير الى ايران لا بد منه انما ليس الان لاني اوكد ان الملك ضاراب لا بد من ان ياتي الى هذه الديار فيصادف حظ وزيره طيطلوس ويلاقي بجيشه الموت الاحمر والعذاب الاليم . ولما استقر حال عساكر العجم وامنت من لحاق الاعداء اجتمعت الى بعضها ترتاح من عظم ما قاست من هول ذلك النهار ودعا طيطلوس بهنزار وتشاور معه في امر القتال وقال له اني ارى من الراي ان نرجع في ظلام هذا الليل دون ان يرانا الاعداء الى ان نلتقي بالملك ضاراب وننضم اليه واننا على يقين من انه قريب منا ولو كان في وسعنا ان نثبت يومًا او يومين اخرين يدركنا ويدفع عنا هذه الشدة انما عسكرنا قد وقع بالياس وخابت آماله وقلت عزيمته فلم

يقدر على القتال ساعة واحدة . قال اني لا اوافق على السير ولا ارغب في الهرب وان الذي علمني القتال وعودني على ملاقاة الاهوال لم يعلمني الهرب ولا عودني عليهِ فاما ان اقتل تحت ظل السيوف واما ان افوز بالنصر واكتسب الفخر وكيف يمكني ان الاقي استاذي فيلزور وانا على هذه الحالة من الذل والعار وماذا يقول عنا الملك ضاراب اذا علم اننا البسنا جيوشهُ ثوبًا من المذلة في هذه البلاد بحيث يقال ان عساكر ايران هربت من وجه رجال اليمن . قال اني اعلم ذلك غير ان الرجوع عن القتال من الموجبات والا القينا الجيش بايدينا في جب الهلاك والعدم لاسيما الجرحاء منهم فانهم يحتاجون الى المداواة فاذا تهاملنا بامرهم يذوقون الممات ونقع تحت لوم الملك وغضب الله سبحانهُ وتعالى لان امرهم مسلم الينا واذا كان لا يطيب في عينيك الرجوع الى الوراء فدعنا نلتجئ الى مكان حصين في هذا الجبل الى ان ياتي الفرج وهو قريب منا واذا ادركنا الاعداء نقدر ان نحمي انفسنا منهم ونردهم بضرب النبال ونتخذ لنا مراكز منيعة ونلتفت الى امر المصابين بالجراح . قال اني اجيبك الى ذلك واوافقك عليهِ

وبعد ان تم بينهما الاتفاق على ما تقدم امر طيطلوس ان تنهض العساكر الى الجبل وتترك النيران تشعل لئلا يعلم الشاه سرور برحيلهم فيمنعهم ففعلوا وباقل من ساعة دخلوا بين الاكام وتسلقوا اعالي الجبل وطافوا في نواحيهِ المانعة الى ان وجدوا اكمة عالية تكشف الى الاربع جهات ليس يصل اليها احد الا وينظر من عليها فاعجبت طيطلوس وامر العساكر ان تنزل في تلك الاكمة وتتخذ لها حصونًا تحميها اذا تبعتها الاعداء فاهتم كل بنفسهِ وبتدبير احوالهِ ووضعوا الجاريح في نصف الاكمة واتوهم بكل ما هو لازم لهم من الاكل والشرب . ولما كان الصباح نظر طيطلوس الى تلك الناحية فوجدها مناسبة المركز الا انهُ تكدر جدًّا لما علم ان لا ماء فيها ولا ينبوع يملأ منهُ فعظم كدره وامر ان لا يفرط بالماء الذي مع الجيش لان القرب كانت كلها مملوءة كالعادة وكانوا لا يرحلون من مكان الى مكان الا ويملأونها فتبقى الى حين الحاجة وامر الرجال ان يطوفوا علهم يروا عين ماء او بئر يستقون منها وبعد ان طافوا رجعوا بالخيبة واخبروا طيطلوس وهو على ما هو عليهِ من عظم الكدر وسوء الحظ ولولا املهُ ان الملك سيدركهُ قريبًا ويفرج عنهُ لايقن بالهلاك عطشًا

ونهض الشاه سرور من رقادهِ ونظر الى جهة الاعداء فلم يرَ منهم احدًا ونظر الى طيفور وقال لهُ كيف فاز الاعداء بالخلاص ونجوا من بين ايدينا بعد ان شاهدوا الموت عيانًا قال ان صدقني ظني يكونون قد لجئوا الى الجبال لان لا طريق لهم للرجوع من حيث اتوا فان عساكرنا منتشرة من خلفهم لا تمكنهم من المرور ولا تفتح لهم طريقًا للنجاة وعلى كل حال فهم هالكون . ثم دعا بهلال العيار وامره ان يتاثر الاعجام وينظر في اي طريق سلكوا وياتيهِ بالاخبار عنهم . فانطلق يجري كالسهم

الطيار ونظر الى اثر حوافر الخيل فتبعها حتى تبين له انهم سلكوا طريق الجبل فسار على تلك الطريق الى ان تبينهم وهم على ظهر الاكمة العالية وقد اقاموا عليها الحصون والمعاقل فرجع الى الشاه سرور واطلعه على امرهم واخبره بمكان نزولهم فقال طيفور لا بد لنا من المسير خلفهم للانتقام منهم فلو صعدوا الى السماء او نزلوا تحت الارض لا بد عنهم . ثم امر الشاه سرور ان تركب العساكر على ظهور الخيول فركبوا وركب مع طيفور ودخلوا الجبل حتى امتلا بنواحيه وتغطى من كثرة الرجال وشاهد طيطلوس قدومهم فامر الفرسان ان تكون على استعداد وان تثبت في مراكزها وان يوتر كل منهم قوسه وينتظر امره وان لا يرميهم احد بنبلة ما لم يشاهدوا نبلة بهمزار قد خرجت من وتره ولم يكن الا قليل حتى قربت العساكر من الاكمة واحاطوا بها من اليمين والشمال وجعلوا يتسلقونها بالتدريج شيئًا فشيئًا وهم خائفون من نبالهم حتى كادوا يقربون منهم ولما لم يروا منهم حركة طمعوا فيهم وقالوا ان القوم على نية التسليم وليس فيهم من يقدر على الحرب وما انتهوا الى ما فوق نصف الاكمة الا وتساقطت عليهم نبال الايرانيين من كل جهة وصوب كتساقط البرد في ايام شباط فاصابتهم وكانت تقع فيهم ولا يرون الا نبالاً تتساقط كأن البر كله نبال ولم يعودوا يعرفون الطريق وما تقدم منهم فارس الا ووقعت عليه نبلة من كف فارسي شديد فيلقيه الى الارض حتى عميت ابصارهم وضاعت عقولهم ولم يروا سبيلاً للتقدم فرجعوا القهقرى وقد قتل منهم نحوًا من عشرة الاف نفس حتى امتلأت تلك الارض من جثث المقتولين . وبعد ان امنوا من وصول النبل اليهم اجتمع طيفور بالشاه سرور وتشاورا في امر الاعداء فقال طيفور اني اعلم جيدًا ان لا ماء بالاكمة يستقون منها ولا بد من ان يفرغ الماء منهم فلا يقدرون ان يبقوا بلا ماء فيلتزمون ان ينزلوا من هذه الاكمة او يموتون عطشًا عليها باقل من يومين فمن الموافق ان تحتاط عساكرنا بالاكمة ونقيم على ما هي عليه الى ان يضيق عليهم الامر فنوقع بهم ونكون بذلك قد حقنا دماء ابطالنا وحفظنا رجالنا والا لو داومنا القتال لا ننال منهم مرادًا الا بعد هلاك نصف عساكرنا لانهم يتمكنون منا ولا نقدر ان نتمكن منهم ونصل اليهم الا بعد مقاساة اشد الصعوبات قال الشاه سرور اني اخاف من التطويل فاذا اقمنا يومين او ثلاثة ايام حول هذه الاكمة نترك لهم فرصة ربما كانوا ينتظرونها لانني شاهدت منهم في هذا اليوم وهم يرمون عساكري بالنبال واعينهم تضرب الى جهة البر الى ناحية الطريق الموصلة الى بلادهم كانهم ينتظرون فرجًا واخاف من اتيان الملك ضاراب بالفرسان والابطال قبل انهاء هذا القتال فنلتزم بالرجوع وينضم بعضهم الى بعض ونقع بالخسارة بعد الربح . قال هذا لا اظنه ومع ذلك فمن الراي الحسن ان نرسل هلالاً العيار يكشف لنا الاخبار ويبعد عنا الى اكثر من يومين فاذا شاهد احدًا يعود الينا بالحال ويخبرنا بما راى ونظر فاستصوب الشاه سرور هذا الراي واستحسنه وامر هلالاً عيار بلاده ان يتقدم في

طريق ايران ينظر من آتٍ منها فودعه وسار في الحال . ولما راى طيطلوس رجوع عساكر اليمن ونزولهم في تلك الارض فرح مزيد الفرح وقال لمن حوله ان الاعداء اعتمدوا ان يحاصرونا وان لا يقاتلونا لعلمهم ان لا ماء عندنا فنموت عطشًا او نسلم اليهم فاوصيكم ان لا تفرطوا بالماء وان تسقوا الخيل في اليوم مرة غير كاملة بحيث نقدر ان نقيم بلا ماء الى حد الاربعة ايام مع ان الملك ضاراب في صباح هذا الغد او مسائه يكون في هذه النواحي فلا نعود نحتاج الى الماء

ولما بلغ عين الحياة ما وقع بعساكر الاعجام وانهم عادوا خاسرين تكدرت مزيد الكدر ولم يرق ذلك في عينيها وكانت قد فرحت في بادىء الامر بنصرة الاعجام وقربهم من بلاد ابيها ولم يكن منها ذلك بغضًا بابيها ولا خيانة منها بل حبًا بفيروزشاه وعلمها بان الملك ضاراب اذا فاز على ابيها لا يبطش به ولا يضره ولا يقصد التسلط على بلاده وليس له الا غاية واحدة وهي المسير خلف ابنه واستخلاصه من يد الاعداء اذا كان لا يزال حيًا واخذ ثاره اذا كان وقع عليه سوء او لحق به ضرٌ او نابهٔ مصاب كبير واما ابوها فانه اذا فاز لا يبقي على الاعداء ويوقع بهم واذا وقع بيده احد منهم لا يبقي عليه ولا سيما الملك ضاراب فربما قتله وبقتله تقع العداوة بقلب فيروز شاه لاجله فلا يعود في وسعه ان يتزوج ببنت قاتل ابيه ولهذا كانت في حالة صعبة جدًّا ليس لها شغلٌ الا البكاء على سوء حالتها وشؤم بختها ونحس طالعها وتذمُّ الايام التي اوقعت فيروز شاه بيد الاعداء حتى تسببت بعد غيابه كل هذه الاسباب الرديئة العاقبة والسيئة المصير وتدعوا لله سبحانهٔ وتعالى ان ينهي الخلاف الواقع بين الاعجام وابيها وان يسهل سبل الخلاص لفيروزشاه فيعود اليها ويزيل عنها كل هذه الهموم والاخطار المحدقة بها في كل دقيقة من دقائق ايامها الصعبة وقد بعثت بخبر الى ابيها ان يعلمها بكل ما يصل اليه وما يكون من الاعداء واظهرت له انها تريد بذلك الاطمئنان بالها من جهته و بعثت بخدامها ان يكونوا على مقربة من الحرب وان ياتوها بالاخبار التي تجد دائمًا وما يكون من امر الاعجام ومن ياتي منهم ويذهب عنهم

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع طيطلوس وبهمنزار قبا و بعض الاعيان والمقدمين واخذ كل منهم يبدي رايًا من جهة القتال وكلهم في حزن وكآبة يتعجبون من ابطاء ملكهم عليهم وتاخره الى هذا اليوم فقال طيطلوس ان الملك ضاراب يسير متمهلاً فقد اخبره سيامك بانتصارنا على الاعداء فاطمأن باله وبات في راحة وهو لا يعجل في المسير شفقة على العسكر وترفقًا بهم ولو علم بما نحن فيه لما تاخر عن الجري بما امكنهٔ من السرعة للافراج عنا والامل انهٔ يكون في الغد عندنا . ولم ينتهِ طيطلوس من كلامه هذا الا ودخل عليه شبرنك العيار وهو اسرع من السهم الطيار ووقف بينهم وحياهم فارتاعوا من مجيئه بغتة وتعجبوا من وصوله اليهم في مثل تلك الساعة ونهض الجميع وقوفًا ومالوا اليه يسالونهٔ عن الملك ولا سيما طيطلوس فانهٔ قربهٔ منهٔ وقال لهٔ ما وراءك من الاخبار

فاوجز به فانا في حالة الياس والخطر . قال ورائي رجال لا تهاب المنية ولا تلويها عن الثبات طوارق الحدثان . ورائي الملك ضاراب وفيلزور البهلوان . ورائي سيامك سياقبا وجماعة المقدمين والفرسان . ورائي الراية الفارسية راية الاسد والشمس تجمع تحتها اسوداً تعودت اختطاف الارواح وتجريدها عن الاشباح . فانتعش قلب طيطلوس والباقين عند سماعهم هذا الكلام وثبت لديهم الفرج القريب المنتظر وقال طيطلوس الحمد لله فقد جاء الفرج الذي نطلبة لكن بالله عليك ان تخبرنا اين الملك الان وهل هو بعيد عنا . قال ان الملك اتٍ على طريق اليمن وهو قريب من الوصول ولما وصلنا الى مكان القتال عند وقوع الوقائع الاولى بينكم وبين الشاه هزبر والشاه ليث اقام ليلة في تلك الارض وعمل احتفالاً للنصر فيه ولقب تلك الارض بارض سيامك ليتذكر الفرسان ان من جد في سبيل خدمة الملك والوطن والشعب الفارسي ينال المكافاة التي ما فوقها مكافاة . ثم في اليوم الثاني نهض سائراً على طريقه يقصد هذه البلاد وقد دعاني اليه وقال لي سر يا شبرنك الى نحو تعزاء اليمن بالسرعة الممكنة واكشف لنا خبر الجيش واتينا بما تراه هناك فسرت وسار من خلفي ولا زلت حتى وصلت الى الساحة التي تقاتلتم فيها مع الشاه سرور فوجدت القتلا قد ملات الفلا وشاهدت الوحش لاف الى تلك الجهة وقد ملاً ها لكثرته وهو ياكل من لحم الانسان فساءتني هذه الحالة جداً وقد تبينت ان اكثر المقتولين هم من رجالنا ثم نظرت الى جهة الجبال فوجدتها مغطاة من الرجال فخطر لي ان الحرب واقعة هنا وانكم اختفيتم في بعض النواحي فتتبعكم العدو فانطلقت بين الجبل وقد صادفت من سكان القرى من حكى لي عن كل ما توقع لكم مع الشاه سرور وكيف فاز عليكم حتى التجئتم الى الجبال ولما تخللت عساكر الشاه سرور ثبت عندي كل ما سمعته لاني رايت رجلين يتكلمان بان طيفور فكر ان يحاصركم ويمنعكم من وصول الماء الى ان تموتوا عطشاً او تسلمون انفسكم اليه . فكدرني هذا الامر اكثر من الاول وعولت ان ارجع حالاً الى الملك واطلعه على امركم الا انني خفت من ان تسلمون انفسكم قبل حضوره فاخترقت القوم وسلكت الجبل تحت الليل الاسود دون ان يراني احد واتيت اليكم لاعلمكم بقدومه فكونوا باطمئنان بال وراحة ضمير وها انا عائد اليه . فقال له طيطلوس عجل اليه بالخبر وانع له حالتنا وما اصابنا من المصائب وما نحن فيه فاننا كالمريض القاطع الرجاء من الحياة ينازع ليسلم روحه وعينه تنظر الى هذه الدنيا املاً برجاء منها . فاسرع يا شبرنك ولا تتاخر في طريقك فكل دقيقة تضيعها في تاخرك هي علة كافية لنزول المصائب علينا . فانطلق شبرنك دون وداع ولا سلام وجعل يقفز بين تلك الروابي كالغزال الخائف من الوقوع في ايدي الصياد حتى فات عساكر الاعداء وانحدر الى السهل واستلم الطريق القديم وبعد منتصف الليل وصل الى بين يدي سيده فحثا التراب على راسه وبكى على من قتل من الفرسان وقال له ان لم تسرع الى معونة طيطلوس

الّا في الصباح سلّم الى الاعداء او هلك من العطش لانهُ محاصر في الجبل وحولهُ ستمائة الف فارس من فرسان اليمن مع الشاه سرور وطيفور وقد لقيت عساكرنا عساكرهم عدة ايام واهلكت منهم كثيرًا وهلك منها كثير غير ان عدد الاعداء يزيد على الدوام وعساكرنا قد وقع بها النقص وضعفت ولولا بهمتزار لهلكت عن بكرة ابيها وقد اخبرني طيطلوس انهُ كان في نيتهِ ان يرجع القهقرى لما شاهد ان لا ثبات لعساكره ساعة ثانية فلم يوافقهُ بهمتزار وقال لهُ ان استاذي فيلزور لم يعلمني الهرب فلا اعود الى الوراء وفيَّ رمق ولذلك اختاروا منزلاً لهم الجبل فابعدوا فيهِ ولجئوا الى ظهر اكمة عالية نزلوا عليها وحموا انفسهم فيها وهم ينتظرون قدومكم الا ان الماء قليل معهم ولم يكن من ماء في الجبل وقد احتاطت الاعداء بهم ومنعوهم من النزول والطلوع فباتوا كانهم في سجن ضيق وقد منعوا الخيل من الشرب احتراسًا ان يكفيهم الماء الى يومين وقللوا من شرب الماء فلا يشربون الا القليل وهم في عذاب لم يكن بعده عذاب ولما شاهدتهم بكيت على حالتهم وانفطرت مرارتي عند مشاهدتي المجاريح مطروحين على الارض يعانون عذاب الموت والماء لا يعطى لهم الا بالوقت المعين ولما رآني طيطلوس سجد لله وطلب اليَّ ان ارجع على عجل وان انهي اليك حالتهم لتسرع اليهم قبل مضي الغد ومما زاد كدري ما كنت اسمعهُ من اليمنيين من انهم مصممون على ان يبيدوا دولتنا وينزعوا اسمها من العالم وقد غرهم ما نالوه من النصر على رجالنا ولم ينظروا الى كثرتهم وقلتنا على انني ايقن انهُ لو كان مع طيطلوس بعض الفوارس المشهورة علاوة على بهمتزار كسيامك سياقبا وغيره لما نالوا هذا الظفر

وكان الملك ضاراب اذ ذاك في فراشهِ فلما سمع هذا الكلام نهض حزينًا ولبس ثيابهُ ودعا اليهِ فيلزورًا فحضر وعاد عليهِ كل ما سمعهُ فتكدر ايضًا وقال لا غنى لنا عن المسير في ما بقي من هذا الليل واننا لا نصبح الا ونحن عند قومنا ولا نبقي وجهًا لطمع الاعداء فيهم واني اشكر رجالنا الذين اشادوا لنا اسمًا من الشجاعة لا يمحى بكرور السنين ومن العجب ان يثبت اقل من ثمانين الف في بلاد غريبة امام ستمائة الف فارس في نفس بلادهم . وفي الحال ركب الملك وارسل شبرنك يعرض على القوم امره بالركوب والمسير على عجل فجعل شبرنك يدخل خيام الفرسان والقواد وينادبها بالركوب عن امر الملك فتستيقظ وتعلو على خيولها وما مضى على ذلك نحوًا من ساعة الا وسارت الجيوش على طريقة نظامها وقد جدت في مسيرها طالبة خلاص عسكرها وهي لا تصدق بالوصول الى مكان القتال لتفرج عنها وتحل باعدائها الوبال

واما ما كان من هلال العيار فانهُ بعد ان فارق سيده في طلب الاكتشاف على خبر من جهة الاعداء لا زال في انطلاقهِ وسرعة جريهِ حتى تبين جيش الملك ضاراب وهو على ما تقدم فارهبهُ وحدثتهُ نفسهُ ان لا يرجع الى سيده الا بالخبر الصريح ويقف على حال القوم الكبير منهم والصغير

ويخبر امر الفرسان ويميزهم ليكون الشاه سرور منهم على انتباه فياخذ لنفسهِ الحذر ولذلك تخلل العساكر دون ان يراه احد او يعلم بهِ لانهُ كان يلبس كلبس الخدم ويغير زيهُ لينكر حالهُ على من يراه فلا ينتبه اليهِ واقام في الجيش يجس احوالهُ الى ان توسط الليل فعزم على الرحيل والرجوع الى سيده واذا بشبرنك قد وصل الى الملك ضاراب وكان من امره ما كان وسارت العساكر مسرعة الى جهة تعزاء اليمن وشاهد مسيرها واذ ذاك خرج امام القوم يجري على قدمهِ كالريح عند اشتداده لا يستكن عن الركض ولا يهدأ حتى وقف امام الشاه سرور عند بزوغ الفجر وحكى لهُ ما شاهده ونظره وقال لهُ والله يا سيدي ان الامر خطير والصعب كبير والعدو غفير والملك ضاراب شديد الحيل والتدبير عظيم السلطان كثير الاعوان لديهِ من الابطال والفرسان ما تعجز عن قتالهم كل انسان وقد تركتهم خلفي سائرون تحت ستار هذا الليل وذلك عندما بلغهم مصاب جيشهم وعرفوا مضايقتكم لهم وبعد ساعات قليلة يكونون هنا وقد اسرعت اليك بالخبر لتكون على حذر قبل ان يمسك الاعداء عليك باب الطريق ويحصروك في هذا الجبل ويمنعوك من الوصول الى المدينة ويقطعوا المخابرة بينك وبينها . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع عليهِ اشد من ضرب الحسام وقال لطيفور ها قد جاء الملك ضاراب وستقع بيننا الوقائع الهائلة وتنتشر حروب لا تطوى الا بخراب الديار وسبي الاحرار وانقصاف الاعمار وهلاك كل جبار . فقال طيفور ما تذكره كلهُ احب لدينا من الذل للغير واضاعة ناموس الملك بيدنا مع اني لا اظن نجاحًا للاعداء عندنا ونحن متيقظون لهم وجمعنا العدد الغفير واقمنا عليهم العيون والارصاد فنعرف حركاتهم وجيشنا لا يزال يزيدهم واذا احتاج الامر ضاعفناه بحيث يصير عندنا اربعة عشر جيش كل جيش مائة الف فارس يمكنا ان نقاتل بهم ملوك الارض باجمعها لان انصارنا والذين كاتبناهم قد اجابوا طلبنا وهيأوا لنا العساكر وهي تنتظر امرنا واذا احتاج الامر بعثنا اليهم ان يرسلوها لنا فكن على يقين من النجاح ولا تكن ضعيف الجنان ففي مثل هذا الوقت تجب الشجاعة وقوة الجنان ولا تظهر الضعف امام الاعداء فيطمعون بنا ويزدرون بحالنا ويسهل عليهم قتالنا . قال وماذا يجب ان نفعل الان . قال ينبغي الرجوع عن هولاء والتاخير الى جهة المدينة والقتال على مقربة منها فنضم الينا في كل يوم ما يصل الينا من العسكر وناتي بالمؤن من المدينة واذا احتيج الامر لجئنا اليها ولا نمكن العدو من الدنو منها

وفي الحال امر الشاه سرور برجوع رجالهِ عن الاكمة بالسرعة الممكنة فعزف نفير التاخير فعادوا على اعقابهم ورجعوا من حيث اتوا واستلموا طريق تعزاء وعسكروا عندها وقد سر فعلهم هذا اطيطلوس وقال قد عرف الشاه سرور باتيان الملك ضاراب ورجالهِ وفرسانهِ وابطالهِ فعاد الى مراكزه خوفًا على نفسهِ من ان يحاصر في هذا الجبل فتدخل عساكرنا المدينة فانهضوا الان

وكونوا على اهبة السير والانضام الى ملكنا فقد اعاد الله الينا الفرج عن قريب ولم يسلم بهلاكنا من يد الاعداء . واما الشاه سرور فانهُ قال الى طيفور اني احب ان انظر الى جيش الملك ضاراب عن بعد واختبره وانظر الى ترتيبهِ في المسير فاصعد بنا الى اكمة عالية على جانب الطريق ننظر من بعيد ونرى ذلك . فصعد الشاه سرور وطيفور ومعهما هلال العيار واقاموا على ظهر الاكمة مقدار ساعة ينظرون عن بعد الى ان لاح لهم غبار القوم وظهر لهم قرب وصولهم فاحدقوا نظرهم ولم يكن الا القليل حتى تبين لهم مقدمة الجيش فنظر الشاه سرور يرى راية حمراء عليهـا علامة افعى ذات راسين وهي تخفق فوق راس فارس واسع الوجه كبير الراس والجثة على جواد ادهم بلون الليل ومن حولهِ جيش يحدق بهِ وهو يسير بترتيب ونظام فقال من هو هذا الفارس ومن يدعى . قال هلال هذا ياسيدي سيامك سياقبا الذي اسر سيدي الشاه هزبر وفعل بعساكرنا ما فعل المرة الاولى وقد كان اذ ذاك يحسب من عامة الناس واما الان فقد رفعهُ ملكهم الى منصب القواد ورتب لهُ هذا الجيش وعدده ثلاثون الف فارس وعقد لهُ هذه الراية وهو يسير في مقدمة العساكر العجمية . ثم نظر الشاه سرور الى ما وراءه فراى راية اخرى تخفق وعليها النقش الذهبي وعلامة نسر كبير يرف بجاحيهِ وتحت تلك الراية فارسان على رووسهما قبعان من الحرير المزركش بالذهب وعليهما الملابس الذهبية ولسلاحهما لمعان كلمعان البرق ومن حولهما الفرسان والحراس والعساكر تسير لديهما . فقال الشاه سرور ولمن هذه الراية . ومن يكونان هذان الفارسان . قال هلال ان الفارسين المذكورين هما من العائلة الملوكية وهما اولا اخت الملك بهمن ابي الملك ضاراب واسم الاول منهما خورشيد شاه والاخر جمشيد شاه وجيشهما ستون الف فارس ولهما في القوم مزيد الاكرام والانعام بعد الملك ضاراب . ثم نظر الشاه سرور الى راية وتحتها فارس عليهِ دلائل الشجاعة فسئل عنهُ فقيل لهُ هذا بهمنزار العتبي وهو من بهلوانية ايران من تلامذة فيلزور البهلوان ومعقود لهُ على ثلاثين الف فارس وهو يسير بين يدي الملك ضاراب . واذ ذاك تبين الشاه سرور فراى راية كبيرة خضراء تلوح مع الهواء وعليها علامة الاسد والشمس والسيف وبراس العلم اكرة كبيرة من الذهب الوهاج عليها جوهرة بقدر البيضة الكبيرة وكلتاهما تتوقدان وتلمعان وكانت الشمس تنكسر عليها فينبعث منها نور يبهج الناظر ويدهش الخاطر وتحت ذاك العلم عشرون الف فارس بايديها السيوف مسلولة وعليها القبعات السوداء وتحتها الخيول الاعجمية الجيدة ومن حولها كثير من الفرسان والمشاة وتحت تلك الراية التاج المرصع باليواقيت والجواهر والرسوم من صنعة الفرس وهو التاج المعروف بعد ذلك بالتاج الكسروي وهو فوق راس رجل حسن التركيب مهاب جليل واسع الجبهة ابيض الوجه اسود اللحية وعليهِ وعلى جواده من الذهب والجواهر ما لا يقدر بثمن ولا يحصاه قلم . فقال الشاه سرور لا ريب في ان هذا الملك ضاراب ملك القوم

واني لم ارَ ملكًا اعظم منهُ واكثر مهابة . قال هلال نعم ياسيدي هذا ملكهم وجيشهُ الخاص مائة الف فارس منهم عشرون الفًا من ابسل رجال فارس واذا . بفارس يسير بجيش اخر فسال عنهُ فقيل لهُ هذا عبد الخالق القير واني احد الستة بهلوانية وهو معقود له على ثلاثين الف نفس ومن خلفهِ طهمور ومعقود لهُ على ثلاثين الف نفر ايضًا ووراءه مرادخت الطبرستاني وشبر بن الشبيلي الطلقاني وكل منهما معقود لهُ على جيش لا ينقص عن الثلاثين الف فارس . ثم نظر الشاه سرور الى راية في موخرة جيوش فارس فوجدها تكاد تعادل راية الملك ضاراب مرسوم عليها اسد بيده قوس نشاب وعليها اكرة من الذهب كثيرة اللمعان ومن تحتها فارس ابيض الوجه بلحية كبيرة بيضاء تحيط بوجههِ من كل صوب وحواجب طويلة بيضاء واقفة الى الامام لا تنزل على عينيهِ وعلى راسهِ طاسة من البولاد كبيرة وعليها بيضة من الذهب تلمع عن بعد وتحتهُ جواد عال يكاد لا يكون اوطى من الجمل علوًّا وجيشهُ يقابل جيش الملك كثرة وانتظامًا فسال هلالاً عنهُ فقال لهُ ياسيدي هذا فارس بلاد فارس وحاميها وشجاعها الذي يضرب بهِ المثل في بلاد العالم باجمعها هذا فيلزور البهلوان ابو فرخوزاد الذي كان عندنا وقد شاهدت من فعلهِ مابرهن لك عن فعل ابيهِ وهو في سن الصغر . وبعد ذلك عاد الشاه سرور عن الاكمة الى العساكر وقد كدره كل ما راى ونظر من حسن جيش الاعداء وكثرة فرسانهم المشاهير وشاهد طيفور منهُ ذلك فاراد ان يقويهُ فقال لهُ لا تخف يامولاي فان الله قد ساق الينا هذه العساكر غنيمة باردة لان معهم من الاموال والجواهر ما لا يوجد عندك ولا عند غيرك ومتى راتها عساكرنا تقاتل في سبيل الحصول عليها حق القتال ولا يرجعون عن النصر الى ان يحرزوه وعندنا من التدابير الحسنة ما يكفل لنا كل نجاح وتوفيق

وكانت عساكر فارس قد وصلت الى امام عساكر اليمن فحطت تجاهها ونزلت عن خيولها وضربت اطنابها وضرب للملك ضاراب صيوان من الحرير الاخضر يبلغ قطره خمسمائة ذراع على اربعة عواميد من خشب الابنوس وكل منها محلى بالذهب وعلى اعلى الصيوان وبراس كل عمود قوس من الذهب بوسطهِ نجم من الذهب ايضًا والاطناب من اغلى الحرير واحسنهُ وبالجملة ان ذاك الصيوان كان يحسب من احسن الصواوين وافضلها وقد يفضل على ابهج القصور وكان من داخلهِ طاقم من الكراسي الذهبية المغطاة بالنسيج الفاخرة وهي كثيرة العدد حتى تبلغ نحو الثلثمائة وما فوق وكلها معدة لجلوس الفرسان والمقدمين والامراء ولما استقر الجلوس بالملك ضاراب ونزلت عساكره بالمراكز اللازمة واستراحت بعث شبرك الى طيطلوس يبشره بقدومهِ ويدعوه بن معهُ اليهِ . وكان طيطلوس قد شاهد عساكر العجم ونظر الى الرايات الفارسية فعادت روحهُ اليهِ وامل من بعد الضيق بالفرج وفي الحال استعد للنزول عن الاكمة فحمل الجرحى واعتنى بها وسيرها امامهُ وحمل ما بقي معهُ من المؤن واذا بشبرك قد وصل اليهِ وبلغهُ امر الملك وان يرحل

اليهِ على عجل وإذ ذاك انحدر ومعهُ الفرسان والابطال الذين بقوا معهُ حتى انتهى الى الملك ضاراب فلاقاه بالاكرام والترحاب وهنأه بالسلامة ومدحهُ على فعلهِ واجلسهُ في كرسيهِ وقال لهُ كان يصعب علي ان يحصل عليك كل ما حصل الا ان ذلك كان بسماح منهُ تعالى وكنت اظن انك تسير بالرفق ولا تسرع الى ان نصل الى هذه البلاد ونحن في راحة وسكون لا يلحق بنا مرض ولا تعب . قال اني ما اسرعت السير الا وفي نيتي ان اخفف كثيرًا من الاثقال اما بالمخابرات بيننا وبين الشاه سرور وابرام الصلح والوفاق واما بالحرب والقتال ولم يكن في ظني ان الشاه سرور يكون على استعداد غير منتظر وقد بعث اليّ بولدهِ فانتصرنا عليهم انتصارًا تامًّا بهمة سيامك سيافيا وهمة بهمزار فهربوا منا وانكسارنا فيما بعد لا يحسب شيئًا بالنسبة لهذا الفوز والظفر وكفانا فخرًا باننا ثبتنا امامهم ثبات الابطال ومنعناهم عن التقدم اياما مع قلتنا وكثرتهم ولم نهرب منهم حتى صعدنا الرابية واقمنا عليها واني اوكد لكم انهُ لو جاء بجميع عساكر اليمن والزنوج لما قدروا ان يصلوا الينا او يدنو منا او يزيحونا من مكاننا الا ان الماء قليل عندنا فكنا نخاف من فوات الفرص وفراغ الماء قبل مجيئكم الينا فنلتزم اما نموت عطاشًا او نزحف عن الاكمة ونسلم بانفسنا لاسنة الرماح فنموت كرامًا . غير ان الله لم يشا ان يطيل علينا تلك الحال ولا نسلم بهلاكنا فنشكره تعالى على ذلك . قال الملك لا قدرة لنا على رد ما مضى فلننظر في امر الحال ونرى ما يجب ان نعملهُ مع الشاه سرور لانهُ ضعيف جاهل في اجراءاتهِ سيء العمل وكان في وسعي الآن ان احمل عليهِ واقاتلهُ الا انهُ يصعب عليّ ان اقاتل عباد الله الحافظين على شريعتهِ لان اهل اليمن مثلنا يسجدون لله ويرفضون عبادة غيره ويلوح في ذهني ان اكتب لهُ كتابًا اطلب منهُ الصلح والاتفاق وان يصحبنا بعساكره وسفنهِ ويسير معنا الى بلاد الملك هورنك فان اجاب سالمناه وصفحنا عن ذنبهِ وان ابى وتمرد قاتلناه وتملكنا بلاده وتسلطنا على سفنهِ فنسير عليها وقد يكون بعد ذلك النصر لمن يشاءه الله عز وعلى . فقال اني اظن ان الشاه سرور يقبل بما تشير بهِ لو كان عنده وزير عاقل فاضل غير ان طيفور ينعهُ ويلعب بهِ كتلاعب الاطفال بالاكر وهو لا يعي على نفسهِ ويظن بهِ الحكمة والتدبير ولا يعلم انهُ لا يحسن النجاح الا بالحيلة والخداع . ثم امر الملك ضاراب ان يكتب كتاب الى الشاه سرور فكتب وهو

بسم الله اله السماء والارض

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس الى الشاه سرور سيد بلاد اليمن وحاكمها

اما بعد فقد كتبت اليك وانا بعيد عنك والآن قد وصلت الى ارضك ووطئتها عساكري وشاهدت بعينيك جيوشي وفرساني ولم يعد سبيل للشك عندك من انهُ ستقع بيننا حروب واهوال لا يعلم عاقبتها الا الله سبحانهُ وتعالى تحفظًا لحقوق الامن والسلام وحقنًا لدماء الانام اعيد عليك ما

كاتبتك به قبلاً وهو ان ترفع من ذهنك الغرور وتحد معنا فتسير بعساكرك الى بلاد الزنوج وتجعل سفنك تحت امرنا تنقلنا الى جهة جزيرة الطيور علنا نقدر ان نخلص فيروز شاه اذا كان لا يزال حيًا ونعود به فنزوجه بعين الحياة ويتصل بيننا حبل النسب والقرابة ويرتفع الشر والخصام واذا كان ابني قتل وشرب كاس الحمام اخذنا بالثار من الكفار وجعلنا تلك البلاد من عبدة الله وعدنا على وفاق وسلام واطلق لك ولدك الشاه هزبر. واكد اني ما كتبت لك ذلك الا طمعًا بالسلام لا خوفًا وفزعًا لانك وانت بستمائة الف فارس لم تقوَ على اقل من ثمانين الف من عسكري وليس معه من الفرسان المشاهير الا واحد فقط واما الان فانك ترى سيامك سياقبا الذي قهر بالامس عساكرك واسر ولدك وبهمنزار العتبي ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشبلي الطلقاني وطهور وكل فارس معروف بالحرب ومشهور. ولا سيا مع عساكري ايضًا فيلزور البهلوان الذي ضربت بشجاعته الامثال وفاق على كل من نقل القنا وحمل السيف في عصره فاذا خالفت تكون قد سعيت الى حتفك بظلفك وقدت نفسك ومملكتك الى الخراب والدمار فاسال ذاتك عن الجواب ولا تسال غيرك فتندم والسلام على اهل الله وانبيائه واصفيائه

وبعد ان فرغ من كتابة الكتاب طواه وختمه ودعا بشبرنك العيار فسلمه اياه واوصاه بسرعة الجواب فاخذه من يده وانطلق الى ان وقف بين يدي الشاه سرور وعنده وزيره طيفور فدفع اليه الكتاب واطلع على معانيه واستشار وزيره في ماذا يجيب على ذلك . قال اجيب غير ما اجبناه في الاول وهو ان لا دخل لنا بمسئلة ولده وانه يسير بنفسه الى قتال الزنوج وياخذ بثاره من اعدائه ونحن لم يكن بيننا وبين الملك هورنك عداوة تستوجب الزحف عليه بجيوشنا وان هولنك ابن الملك هورنك المذكور لم يكن قد جاء لعداوة بيننا وما جاء الا لمعاضدتنا ومساعدتنا على ابناء جنسه وكان في نيته ان يلوذ بنا وقد بعثه ابوه لنزوجه من عندنا فقتله كان ظلمًا وتعديًا من فيروز شاه واذا شاء الملك ضاراب ان يرفع الحرب بيننا فنجيبه اليه ونرغب فيه انما لا نتحد معه ولا نرافقه . فكتب الشاه سرور جوابًا الى الملك ضاراب على هذا النمط يذكر له فيه انهم يرغبون بالسلام وحقن دماء العباد غير انهم لا يسيرون الى جزيرة الطيور اذ لا ثار لهم عند الزنوج فاذا شاء فليرحل اليه بنفسه وينظر في امر ولده وذكر له في اخر التحرير بانه ان اصرّ على طلبه ولم ينظر بعين الصواب الى الواجب عليه فانهم مستعدون لقتاله متهيئون لحربه ونزاله فيدافعون عن بلادهم الى اخر جهدهم . وبعد ان فرغ من كتابة هذا التحرير سلمه الى شبرنك العيار فاخذه وانسحب راجعًا الى سيده وما لبث ان صار امامه ودفع اليه الكتاب فاخذه منه وقراه بحضور وزرائه ومقدميه ولما فرغ من قراءته قال لم ارَ ملكًا اجهل من الشاه سرور فقد كتبت له ما فيه الصواب لنفسه فابى وامتنع وحتى الساعة لا يفهم مني ان جل غايتي ان اصحبه معي الى بلاد الزنوج كونه المتعدي

على ولدي والمسئول عنهُ فهو الذي سلمهُ الى الملك هورنك ولم يعاملهُ بما يليق بابناء الملوك ولم يتذكر انهُ مخلص بلاده ونفسهِ وصائن عرضهِ من السبي والانهتاك وما جاء هولئك الا وفي نيتهِ اخذ عين الحياة اما بالرضا واما بالجبر فينضم الى الاعداء وهو يحسب اكبر عدو لانهُ لا يقدر ان يزوج بنتهُ برجل كافر على غير دين الله ولا تقبل هي ان تقترن بعبد اسود ضخم الجثة قبيح المنظر وحيث امتنع الان عن اجابة ما كتبت لهُ عنهُ فسوف يرى بعينيهِ ما ينتهي اليهِ ويلوم نفسهُ بعد ذلك على امتناعهِ ويندم الندم المحرق . ثم بعث شبرنك ثانية الى الشاه سرور ينذره بوجوب القتال في اليوم الاتي وان يكون على حذر فليس في نيتهِ ان يغدر بهِ فاخبره شبرنك ورجع الى معسكره وباتوا تلك الليلة على اهبة القتال يتمنون سرعة زوال الليل واتيان الصباح

وكان خدم عين الحياة الذين اشرنا الى انها قد ارسلتهم الى ان يقيموا بالمعسكر قد عادوا اليها واخبروها بما كان من مجيء الملك ضاراب بالعساكر والفرسان ووصفوا لها ما شاهدوا من عظمتهِ وعلو شانهِ وانتظام عساكره وكثرة مقدميهِ واخبروها ايضًا انهُ قد بعث الى ابيها بكتاب يطلب الاتحاد معهُ والمعاهدة على الاعداء فابى وامتنع وكان ذلك براي طيفور فكدرها هذا الامر وزادها اضطرابًا . وقالت طالما نصحتهُ ان لا يسلم نفسهُ الى اهواء طيفور فلا ينتصح وقد قاد الى بلاده الخراب بيده وما غاية الملك ضاراب الا مقدسة صادرة عن نية سليمة وقلب طاهر . فلا ريب ان العجم تتغلب على ابي فيقع بهِ الندم . ثم اعادت الخدم وامرتهم ان يقيموا في الجيش ينظرون ما ينتهي اليهِ الامر بين اليمنيين والاعجام وقالت الى قهرمانتها شريفة لو لم يكن ينسب اليَّ الخفة والطيش ويحكي الناس بحقي لسعيت بينهما بالسلام وقدت ابي الى موافقة الملك ضاراب غير ان ذلك يكون عارًا عليَّ ويزعمون اني سعيت بهِ رغبة بالتقرب من الاعجام وان غايتي فيروزشاه وعملي هذا لا ريب انهُ يكدره ويغيظ ابي واني اعلم اكيدًا انهُ لم يعد يقع صلح ولا سلام بين ابي والملك ضاراب فيما بعد لان ابي حقود كنود لا يصفح عن خصمهِ ولا يسمح عن المخطىء اليهِ ولا يعترف بذنبهِ . قالت شريفة يا ليت التقادير تسوق الينا فيروزشاه لحسم هذا الخلاف فاذا جاء لا يلبث ان يحصل عليك باي طريقة كانت اما بالسلام واما بالخصومة وبعد ذلك يعود عن ابيك بعسكره ويرجع الى بلاده فيلتزم ابوك بعدئذ برضاهِ . قالت من اين لنا ذلك وهو رابع المستحيل ففيروزشاه الان في عذاب عند اعدائهِ هذا اذا لم يكن قد قضى نحبهُ فاذا سارع ابوه الى بلاد الزنوج ربما نفع ابنهُ وخلصهُ غير ان الياس وقطع الرجاء وعدم ايجاد سفن تحملهُ الى تلك البلاد الزمتهُ الى اجبار ابي على معاضدتهِ ولا يمكنهُ ان يسير بحرًا من بلاده لان الطريق الى البحر الاحمر صعبة الوصول فلا تسلكها السفن باعوام ولا يمكنهُ حمل السفن الى هذه النواحي فالزنوج هم في جوارنا

قال وفي صباح اليوم التابع ليوم وصول الملك ضاراب نهض من منامهِ باكرًا وامر ان تاتي

اليه المقدمون فوقفوا بين يديه جميعاً فقال لهم الان انتم مزمعون ان تقاتلوا اليمانيين وتتحول الحرب عليهم فهو قدرتم ان تستاسروه منهم فلا تتاخروا ولا تقتلوا الا كل من يمانع ولا يسلم لان لا ذنب لهولاء العساكر فهم ملزومون بالانقياد لسيدهم وملكهم واني على يقين ان اهالي البلاد غاضبون على ملكهم عالمون بسوء رايه وقباحة تدبيره واخاف ايضاً من ان يتصل النسب بيننا وبين الشاه ونسمح الايام بان يتزوج ابني بنته فتكون اراقة الدماء علة كبرى لوقوع العداوة الاصلية وقد صرفت جهدي الى منع القتال املاً ان لا تراق نقطة واحدة من دم بري. فلم اتوفق الى السلام وليس في وسعي الوصول الى بلاد هورنك الا بمساعدة الشاه سرور. فقال طيطلوس ان لا ذنب علينا بانتشاب هذه القتال وقد عرضنا الصلح مراراً على الشاه فلم يقبل بل طوّح برجاله الى الهلاك ورماهم في حفرة الموت بيده فكل رجل يقتل منهم هو المسئول عنه لدى الله والناس. ولا بد لنا من العجلة في الحرب وسرعة انهائها لتنظر بعد ذلك في امر سيدي فيروزشاه ولا بد ان يعود الينا بهروز العيار اما به واما بالخبر عنه وقد طال عليه المطال والامل ان يكون قد التقى به لانه لو سمع عنه انه هلك لعاد على عجل إذ لا يمكن ان يقيم بعد ذلك في بلاد الزنوج بغير سبب فاسر هذا الكلام الملك صاراب وقال اصبت بقولك هذا فيروزشاه هو حيٌّ حتى الساعة وبسالة تعالى ان يجمعني به قريباً ثم بكى فابكى الجميع ونهض في طلب القتال وتفرقت من حوله الفرسان كلٌّ يطلب فرقته وكان اشدهم فرحاً بهذا القتال سيامك سيا فإنه اراد ان يظهر دعواه للملك بالبرهان ليريه انه ما نال هذا المنصب الا بالاستحقاق الذي هو فوق ذلك

وما قل من ساعة ركبت تلك العساكر ظهور الخيول. وتقلدت بالعمد والنصول. واصطفت الكتائب. وترتبت المواكب. وهم يقاربون بكثرتهم الكواكب. ورفعت البنود والرايات. فوق رؤوس السادات. وركب الملك صاراب. وهو كالاسد المهاب. واحتاطت به العساكر. من الميامن والمياسر. وكذلك الشاه سرور. والوزير طيفور. وبقية الفرسان والمشاة. والاطلاب والسقاة. واستعد كل واحد الى وظيفته. وتهيأ الى معاطاة مهنته. واذ ذاك امر الملك صاراب بالهجوم فهجمت العساكر. مقومة الاسنة والشواكر. والتقت الفرسان بالفرسان. واختلط الشجاع بالجبان. والعزيز بالمهان. وارتفع الغبار الى العنان. وفقد من بين القوم الامان. من جرى كثرة الضرب والطعان. وافتراق النفوس عن الابدان. وانجار الدماء كالغدران. واندفقت من انابيب الصدور كالعارض الهتان. وتدحرجت الرؤوس على الصحصحان. وظهر ملك الموت وبان. وجلس على كرسي انتقامه مفتخراً بما له من السلطان. ورفعة المقام وعلو الشان. ونادى منادي الهلاك والقلعان. بالاستعداد لمبارحة الراحة والاطمئنان. والدخول الى هوة الانقراض والهلكان. واتسع بين القوم باب العدوان. وسدت نوافذ الصلح من كل مكان. وجلا للشجاع

الجولان . والتوسع في الميدان . فكأ ن يوم النشر قد آن . ودعت النفوس الى الحسبان . لتعطي الجواب عمّا وقع منها وما كان . في غابر الازمان . وبهرت من لمعان السيوف الاعيان . وصمت من صهيل الخيول الاذان . وكثر التقابض باليدان . والتشقشق باللسان . وعمل سيامك سياقبا افعال الجان . وعمل فيلزور اعمال عفاريت السيد سليمان . حتى اذهلا الخواطر والاذهان . وملأا من جثث الاعادي تلك البراري والقيعان . فتقوت بهما عساكر ايران . ومالت في الحرب اي ميلان . وجودت الضرب بالسيف اليمان . وارسلت الى الصدور ثقال العمدان . ونظرت اهل اليمن افعال الاعجام . وما هم عليهِ من البسالة والاقدام . فتحقق عندها الموت والاعدام . ولولا كثرتها لطلبت الانهزام . واختارت الفرار على شرب كاس الحمام . واملت بزوال النهار والعود الى الخيام . والرجوع عن الحرب والصدام . ودامت في ثباتها الى ان مضى النهار ومالت الشمس الى الاستتار . واقبل الليل بالاعتكار . فرجع العسكران عن القتال يطلبان الراحة لانفسهما من عظم ما كان من امرهما في ذلك اليوم الكثير الاخطار

وكان الملك صاراب واقف في ذلك النهار عند علمهِ ولم يباشر حرباً حرباً ولا قتالاً وهو يشاهد افعال رجالهِ بالاعداء وينظر الى قتالهم بقلب ملآن من الفرح والسرى ولم يكن يكدرهُ الا هلاك الرجال الابرياء لانهُ كما تقدم كان لا يحب كثرة سفك الدماء ولا يرغب في هلاك قوم يعبدون الله غير انهُ كان مضطراً الى ذلك وقد شاهد من اعمال سيامك العجائب والاهوال ونظر اليهِ ليتحقق ما سمعهُ عنهُ فوجدهُ طامة الحرب ورحاها فما قصد فرقة الا وفرقها وما دنا من فارس الا واقتلعهُ من بحر سرجهِ وضرب بهِ الارض وان مانع قتلهُ وعجل هلاكهُ وفناه حتى كانت الابطال تخافهُ وتهابهُ واينما راوهُ مالوا من امامهِ وبعدوا عنهُ وقال لطيطلوس وهو بقربهِ لقد اصبت بالتفاتك لسيامك سياقبا فهو يكاد يشبه فيلزوراً في قتالهِ . ولما عاد سيامك اكرمهُ الملك وشكره على فعالهِ . واما الشاه سرور فانهُ كان ايضاً واقف تحت اعلامهِ وبين رجالهِ والى جانبهِ طيفور وهو ينظر الى القتال وكان يومل نجاح قومهِ وتقدمهِ الى الامام فخاب املهُ وتكدر عند ما شاهد ابطال العجم كقضاء الله المبرم يتلاعبون بعساكره كتلاعب الاولاد بالاكر وقد ارجعوهم عن مراكزهم وليس لرجالهِ فارس يحميهم فقال لوزيره ان هذه الحرب سيئة العاقبة رديئتها فاننا من اول نهار كدنا نطلب الهرب ولم يكن فينا من يحسن الثبات لدى فرسان الاعداء وما ذاك الا من عظم ما وقع عليهم من الرعب في قتال الاعجام وليس بينهم فارس تشتد بهِ قلوبهم او يدفع عنهم غارات الاعداء . فقال لهُ طيفور الا تعلم ما يقال في الامثال ان الحرب يومان يوم لك ويوم عليك فلا يكدرك ما تراه الان من انحطاط شوكة عساكرك وارتفاع عظمة الاعداء فلا بد في الغد او ما بعده ان يكون الفوز لنا لان الدهر لا يكون على حالة واحدة ولا بد من انقلابهِ او ان ياتينا من

عالم الغيب بما لم يكن لنا في بال وانَّنا سنكاتب من لنا من الانصار ان يدركونا بالعساكر والرجال فيكثر جيشنا ويشتد ظهره وتاتي الفرسان المشهورة والابطال المعروفة ولا بد ان يكون فيهم من نعلق به املاً ونرتجي فيه نجاحاً . ولما فرغ القومان من القتال رجع الى صيوانه مكدراً وبعث الرسل الى عموم بلاد اليمن ومن في جوارها يستنصرهم الى قتال الاعجام وقد اخبرهم ان في نية الاعداء ان يدخلوا بلاد اليمن ويتسلطوا عليها ويملكوها من اولها الى اخرها وان يدافع عنها بكل جهده وهو ينتظرهم ليكونوا يداً واحدة على الاعداء فلا ينفكون عنهم مالم يرجعوهم الى البلاد التي اتوا منها بحالة الذل والقهر

وبعد ان رجعت العساكر عن القتال واخذت لانفسها الراحة في خيامها نهض بهنزار من مكانه واتى الى المكان الذي فيه خورشيد شاه ابن اخت الملك بهمن وكان في شوق زائد اليه لانه يعزه ويوده وبينهما من روابط المحبة وحسن المودة ما يستحق الذكر فاقام عنده برهة يتحادثان بامر النهار وما كان من عسكرها وعسكر اليمنيين ثم اتصل بينهما الكلام الى اتساع تلك الارض وحسن اشجارها وطيب مناخها . فقال خورشيد شاه اني احب ان اخرج في هذه الليلة الى جوانب المعسكر وابعد قليلاً عنه لاختبر هذه الارض ونجلس في احدى احراشها نستنشق بارد نسيمها ورطبه . فقال اليك ما طلبت فاني رفيقك في ذلك وانا اعرف حالة هذه النواحي واقدر ان اسير معك الى غابة قريبة من هنا حسنة الهواء بها من الاشجار ما لا يوجد في احسن الرياض وماؤها يجري باسفلها عذباً وهي منحرفة عن القوم نقيم فيها بامان واطمئنان . وسار كل منهما وقد تقلدا بالسلاح الكامل وركبا جوادين من الخيول الجياد واخذا معهما بعضاً من الشراب وسارا وكثير من رجال الجيش ينظرون اليهما ولا يعلمون الى اين مسيرهما حتى انتهيا الى طرف المعسكر الايمن وفاتاه باكثر من نحو نصف ساعة الى ان انتهيا الى الغابة المقصودة فما لا اليها واشعلا قنديلاً تحت شجرة غضة الاغصان واخرجا ما اتيا به من الشراب وجلسا على بساط الارض يتعاطيان المدام ويتناشدان الاشعار ويتذاكران بحالة فرسان ذاك الزمان ويعدان انفسهما بالانتصار على بلاد اليمن وقد قال خورشيد شاه ان النصر بعونه تعالى قريب جداً ولا بد لنا من الانتصار على اهل هذه الديار والمسير بعد ذلك للكشف عن امر فيروزشاه ولنا امل ان نراه حياً فنعود به ويتزوج بعين الحياة التي يصفونها بكل جمال ولطف ومن الامر الغريب ان الشاه سرور يمتنع عن اجابة سوال الملك ضاراب لانه بيه الخير والهنا فهل يا ترى يتخذ له اليق من فيروزشاه عريساً لبنته وهو اجمل انسان وافرس فارس لان كل ما عملناه نحن في هذا النهار مع كثرتنا يقدر ان يعمله وهو باقل من عشرين الف لا بل يعمل اكثر من ذلك فقبح الله الشاه سرور على هذه الغباوة وهذا التعامي . قال بهنزار لو كان عاقلاً لحفظ من الاصل اصول السلم وراعى جانب مصالحه واكرم فيروزشاه

الى اجابة طلبة وتزوجه بنتهِ في الحال ولا سيما وقد شاهد منهُ ما لم يشاهده قط من انسان فقد دفع عساكر الاعداء بعد تغلبها على المدينة في مدة يومين وقتل بهروز وميسرة وفعل افعالاً تعجز عنها المردة الطيارة وقتل هولنك ابن هورنك وفعل معهُ غير هذه الفعال الحسان الا يستحق ان يسلمهُ لاجل ذلك ملكهُ كلهُ لو لم يكن جاهلاً فاسال الله ان يرينا وجه فيروز شاه باقرب وقت فاننا بهِ نقدر ان نملك الدنيا باسرها من مشرقها الى مغربها ونسود على البلدان والممالك ونفتخر بين كل انسان فقبح الله الغدر ما اشأمهُ فلولا غدر الشاه سرور به ورداءة طيفور وشريره لما اصابهُ ما اصابهُ

قال وبينما هما على مثل ذلك الكلام يشربان صافي المدام . ويتناقلان احاديث الانام . اذ بهلال العيار مرَّ بالقرب من تلك الناحية لانهُ اختلط بجيش الاعجام ودخل بين الخاص والعام يكتشف على امر جديد او حادث غريب يعود بهِ الى سيده ويطلعهُ عليهِ علهُ يجد وسيلة لافراج همهِ (ذلك داب عيارين ذلك الزمان) فلم يرَ شيئاً يذكر فعاد على عجل واوسع في القفار من جانب القوم ليعود الى قومهِ من جانبهم واذا بهِ يرى نوراً عن بعد في تلك الغابة تحت ظلام الليل فتعجب منهُ وامل ان يقف على خبر جديد فتطاير الى تلك الناحية وانسل بين الادغال حتى قرب منهما وهو يراهما وهما لم يريانهِ وقد سمع كل ما دار بينهما فسره ذلك جداً وقال الان قد بلغت المقصود ونلت المراد فهذا ابن عمة الملك ضاراب خورشيد شاه والاخر بهمزار قبا احد مقدمي بلاد فارس الكبار . فلا بد ان اذهب الى سيدي واطلعهُ على امرهما وادعهُ ان يبعث بها لعساكر تستاسرهما ففيهما نوال المراد . ثم انخطف باسرع من البرق حتى وقف بين يدي الشاه سرور فاعلمهُ بما راى وقال لهُ ياسيدي ان هذه فرصة لايجب ان نضيعها فهذين من اشد رجال فارس ففي قتلهما او اسرهما صالح كبير لمملكتنا لانهما بحالة خمول بعيدين عن قومهما لا علم لاحد بهما . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام اخذهُ الفرح والاستبشار وامر الف فارس من فرسانهِ ان تسير الى تلك الغابة وتاتي بالاثنين اسيرين فسارت . وبالصدفة كان شبرنك حاضراً وقد سمع وشاهد ما كان وكان قد اتي يتجسس حالة اليمنيين ليعود بخبر عنهم الى سيده وقد شغل باله لما لم يرَ هلالاً العيار وعرف انهُ طرق معسكر الاعجام فقال والله لا ابرح من هنا حتى ياتي واسمع ما يخبر بهِ سيده . فلما فهم منهُ ذلك عاد بكل سرعة وخاف من ان يطش الاعداء بخورشيد شاه ورفيقهِ فسبق الفرسان حتى وقف امامهما فارتاعا منهُ وصاحا بهِ فقال لهما الحذار الحذار فقد علم بكما الاعداء وقصدوكما بالف فارس وفي نيتهم ان يغدروا بكما ويقودوكما اسيرين حقيرين الى الشاه سرور فاذهبا من هنا الى المعسكر . فقال بهمزار ان كان الذين يقصدوننا الف فارس فقط لا ينالون منا غرضاً ولا نهتم لهم ابداً ثم نهض ونهض خورشيد شاه ايضاً وركب كل منهما جواده واذا بالقوم قد

ادركوها وانطبقوا عليهما وفي نيتهم انهما على غير استعداد فالتقياهم بقلب كالصوان . وطعن احر من لهيب النيران . وقام القتال على ساق وقدم . واشتدت من بهمنزار وخورشيد الهم . ففعلوا افعال اسود الاجم . وثبتا اي ثبات . تحت حالك تلك الظلمات . ولما شاهد هلالاً كثرة الفرسان انطلق الى معسكره واخبر الملك ضاراب فامر سيامك ان يدركهما بخمسمائة فارس قبل ان يحل بهما المصاب ويقعا بيد الاعداء فركب وانحدر الى الغابة في الحال فوجدهما على اخر رمق من معاناة القتال وقد كادا يقعان الى الارض من التعب والملال لانهما كانا من الشراب في ثمول وسكر . وقد فعلت في راسيهما فواعل الخمر . ولولم يكونا من اشد الفرسان . لما ثبتا في الميدان . ولما راى سيامك الحال على هذا المنوال . صاح وحمل بمن معهُ من الابطال . فانسع المجال على خورشيد شاه وبهمنزار . وامنا من القتل والاستئسار . واشتبك الفريقان تحت ظلام الاعتكار . وراى هلال العيار . اتيان عساكر الاعجام الاخيار . فعلم انهُ وصلت للملك ضاراب عنهم الاخبار . فاسرع الى الشاه سرور واطلعهُ على اتيان سيامك سياقبا على غير انتظار . بخمسمائة فارس كرار . فامر في الحال . ان يسرع عشرة الاف من الابطال . لمحاربة الاعجام والتعجل بسرعة الاعمال . فسارت العساكر بهمة واقدام . طالبة مقاتلة الاعجام . حتى اقتربت من الغابة وشاهدت ان عساكرها قد عولت على الانهزام . ولم يكن في وسعها الثبات والوقوف في مواقف الصدام . فنادتها نداء الاستغاثة والمعونة وحملت بقصد ان ترفع عنها ثقل تلك الحملة فالتقاها سيامك برجالهِ . ونادى مفتخرًا بقتالهِ . وكان سواد الليل يستر الحقيقة عن العيان . فلا يعرف الانسان الا ما هو امامهُ وقريب اليهِ ولذلك خاف سيامك بان تغتال رجالهُ تلك الكثرة فيذهبون طعم السيوف ويلقون اشر الحتوف . ولذلك كان يصيح وينادي ويضرب في رجال الاعادي . ليشتد قلب قومهِ بندائهِ فيثبتون امام لهيب قتال الاعداء ولظاه . واما شبرنك فانهُ اغتاظ من مجيء عساكر اليمن . وخاف لئلا تحل بقومهِ البلايا والمحن . فانخطف الى المعسكر واخبر الملك ضاراب بان عشرة الاف من الاعداء اتوا لنصرة قومهم وان سيامك معهم في صعوبة حرب ونزال . فامر الملك ان تعجل فرقة من العساكر وقدرها عشرة الاف فارس تحت امرة احدى المقدمين ففعلوا وسار من جيش ايران فرقة كبيرة واختلطت بالمتقاتلين اختلاط الماء والطين . واذ ذاك انخطف هلال العيار الى الشاه سرور واخبره بما جد في الغابة من الامور فبعث بخمسين الف من الابطال وانضمامهم الى الذين بعثهم في الاول فساروا وانطلق شبرنك فاخبر مولاه فسير فرقة ثانية كثيرة المقدار ولا زال كلما جاءت فرقة من اليمنيين يسير شبرنك بفرقة من الاعجام ثم يسير هلال ويأتي بفرقة اخرى حتى انقاد الجيشان . الى الحرب والطعان في ذلك المكان . ووقع بينهما من الضراب ما يشيب الولدان . ويحير عقول الشيوخ والشبان . وقد انقضى الليل واشرق نور الصباح . والقوم على اعظم ما يكون

من اشتداد القتال ما ساغ دائرة الحال . وقد ظهر للبيهم الحق عند طلوع النهار . وتبين الفارس خصمهُ عند بزوغ شمس الانوار . فعاد كل واحد الى صوابهِ . وطلب من خصمهِ تادية حسابهِ . ودار سوق البيع والشراء . في واسع ذلك الفضاء . وكان ذلك اليوم اعظم من اليوم الاول قتالاً . واشد مصابًا على اليمنيين واكثر وبالاً . فقد ذاقوا فيهِ مر العذاب . وشاهدوا من عساكر الملك ضاراب . ما لم يكن في حساب . فتقطعت منهم الاعصاب . وانقطع منهم الامل وخاب . وغابوا عن الصواب . ودام القتال في تلك الغابة الى حين الزوال واذ ذاك افترق كل الى ناحيتهِ وطلب مقامهُ والاقامة في خيمتهِ . بعد ان امتلأ البر من اجساد المقتولين وسدت تلك الغابة حتى لم يعد في الامكان الدنو منها بعد ان كانت نزهة للناظرين وانبعثت منها الروائح الكريهة وانتشرت في تلك الجهات فلفي اليها الوحش والطير فكانت مرتعًا لها . ولما عادت عساكر الاعجام الى ملكها وهي فرحة بما احرزتهُ من التقدم في القتال دعا اليهِ المقدمين ومن جملتهم خورشيد شاه وبهمنزار وكان من اجلها على مقالي النار من ان يكون لحق بهما اذى او جرحا بجراح من الاعداء وقد لامهما على خروجهما عن المعسكر منفردين في ظلام الليل واوصى الجميع ان لا يخرج احد بعد ذلك اليوم بدون علم الملك وقال لهم في اخر كلامهِ ان فقد احد الفرسان منا يعيقنا عدة ايام وربما حكم الاعداء فينا فتشتد بهِ قلوبهم فيفدونهُ بمن عندنا من الاسرى وعندي ان كل نفر من رجالي يساوي رجال اليمن باجمعها فوعدهُ الجميع بعدم الخروج من ذلك اليوم

وبات القوم في تلك الارض يحارسون وينتظرون اليوم التابع الى ان جاء واشرقت شمسهُ على تلك الروابي والبطاح فهبت العساكر من مراقدها وعلت على ظهور خيولها . واعتقلت برماحها ونصولها . وافرغت عليها الجنات . ولبست في رؤوسها الطاسات . وتقدمت الى حدها المعروف وكل امير وفارس يدبر فرقتهُ بمعرفتهِ ويرتبها بحكمتهِ ودرايتهِ ويعطيها الاوامر المقتضية اثناء الحرب والصدام . لتكون على غاية ما يرام

ولما فرغ القوم من التهيء والاستعداد وصدرت الاوامر بالحمل على القتال . حملت الرجال والابطال . وعظمت المصائب والاهوال . وكثر القيل والقال . واشتعلت نار الحرب اي اشتعال . وكان ذاك اليوم مهولاً لم يسمع بمثلهِ منذ اجيال . بهِ استطالت الاعجام على اهل اليمن . وانزلت بهم الويلات والمحن . وضيقت عليهم الطرقات . واذاقتهم اشد النكبات . وقد استاثرت منهم كثيرًا واهلكت جمعًا غفيرًا . واظهرت فرسانها العجائب . واتت من انواع القتال بالغرائب . ودامت الحرب في ذلك اليوم الى المساء وافترقوا عن بعضهم البعض وعادوا الى الخيام . وباتوا تلك الليلة كسابق الايام ونهضوا في الصباح ورجعوا الى الصدام . كاسود الاجام . واشتبكوا بالاخذ والرد والقرب والبعد . حتى لم يعد امل لعساكر الشاه سرور . وحل بهم قضاء الله المقدور . فرجعوا

الى الوراء وفي اقفيتهم عساكر الاعجام . تكثر من التقدم والاقتحام . ولا زالت في اثرها حتى اوصلتها الى ابواب المدينة واذ ذاك امر الملك ضاراب بالرجوع عنها والانكفاء عن القتال وان تنقل الخيام الى الامام . ففعلوا وعسكروا بالقرب من المدينة وامل الملك ضاراب بقرب انتهاء القتال . وقال لا بد في الغد من ان ينقاد الشاه سرور الى كلمتي وقد شاهد بعينيه ما كان من امر عساكره وما حل بهم من المصائب . وعسكر الشاه سرور عند الابواب ولما هدأ منه البال وامن على نفسه وعسكره دعا وزيره طيفور وقال له لا نزال نعلل انفسنا بالمحال وننتظر ما لا نراه فها قد دارت الدائرة علينا واذا قاتلنا يوماً اخر نهلك عن اخرنا ولا نعود تقوم لنا قائمة وربما دخل الملك ضاراب برجا له المدينة قبل ان نتمكن من حصارها . قال لا بد من الفرج فسوف تصل الينا العساكر و ياتينا المدد ومن الواجب ان ننظر في امر اطالة الحرب الى حين ينتهي عندنا اجتماع العسكر واذ كنت اعلم ان الملك ضاراب من الملوك العادلين المنصفين وانه يرغب في حسم هذا القتال فكرت اننا نكتب اليه ونطلب منه الهدنة الى مدة عشرة ايام لنتبصر في امر الصلح فان اجاب كان لنا الحظ الاوفر بحيث يكمل عندنا اكثر من الف الف نفس ما عدا عسكرنا الحالي و بهذا العدد نقدر ان نزحف على الاعداء فنبيدهم عن اخرهم واذا لم يجب الى عقد الهدنة دخلنا المدينة وقفلنا ابوابها وحاصرنا بها الى ان يجتمع عندنا العدد وعلى كل حال فاننا نقدر فيما بعد على النجاح و يكون دون شك الفوز والانتصار لنا والخذل والعار لعدونا قال اكتب ما انت كاتب عسى الله ياتينا بالفرج القريب فكتب طيفور كتاباً الى الملك ضاراب يرجوه به عقد الهدنة الى عشرة ايام ويقول له فيه ان ما عرضته علي في الاول يحتاج الى عقد مجلس والسؤال من كامل اعيان مملكتي فاذا شئت ان تضرب لي اجلاً يكون الى عشرة ايام تسهلت بيننا اسباب المصالحة وربما توافقنا الى المسير سواء الى جزيرة الطيور وقد يفعل الله ما يشاء . ثم بعث الكتاب مع هلال العيار فاخذه وسار الى ان دخل على الملك ضاراب فسلمه اياه فقراه وعرف قصد الشاه سرور وقال لوزيره طيطلوس و بقية الفرسان . ان الشاه سرور يطلب الينا ان نرفع القتال الى عشرة ايام ويزعم انه يوافقنا الى مطالبنا في اثناء هذه المدة واني اعلم ان ما قصده بذلك الا غشي ومنع الحرب عنه ليتمكن من جمع العسكر فيعود بعد ذلك الى ما كنا عليه الا اني اجيبه الى طلبه واهادنه الى عشرة ايام ليعلم اني حليم كريم لا اقصد الاذية الى عباد الله وعسى ان الله في هذه المدة يبين له وجه الصواب و يعلم صعب الحالة التي هو واقع فيها . قال له طيطلوس انه كان في الظن ان لا يطول معنا الامر اكثر من يومين او ثلاثة ايام فهذا عين الغلط والخطإ . قال انت تعلم اني لا ارغب في سفك الدماء واني متكدر من هذه الحالة التي نحن فيها لاني انظر الى هذا الدم البري يتدفق في مازيب هذه الارض لاجل غاية واحدة وهي ولدي فيروزشاه وسبب واحد وهو زواجه ببنتي عين الحياة

ولولا ذلك لما اهلكت كل هذه النفوس وجر الينا هذا القتال الطويل العريض ولو يكن في وسعي ان اترك ابني لما ارقت نقطة واحدة من دم عساكري لاجله غير ان عموم مملكتي لا تسلم معي بتركه وهي باجمعها تطلبه وتبيع نفوسها في سبيل خلاصه . واني ايضاً لا اريد ان يقال عني ظالم عات فلا كتب الجواب الى الشاه سرور واساله ان ينظر الى نفسه بعين الخبرة ويراعي وصايا الله بنع الاسباب ودفع الخصام . فكتب طيطلوس كل ما اخبره به الملك ضاراب واعطى الكتاب الى هلال فاخذه منه وسار به الى سيده وبشره بانعقاد الهدنة الى المدة المطلوبة فقرأ الشاه سرور الكتاب وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وشاع هذا الخبر ما بين العسكر فسر به الجميع وما فيهم الا من امن على نفسه من تعب القتال ونزلت العساكر الى المدينة ودارت البشائر بها وطلبوا من الله دوام الهدنة ليرتاحوا من حمل الاثقال . واما الشاه سرور فانه بعث بالكتب معجلة الى كل من لم تصله عساكره بعد وكانت العساكر لا تزال ترد اليه افواجاً فيضمها الى بعضها ويقدم لها المؤن والعلوفات ويعين لها مراكز ومواقف وكان الملك ضاراب يرى ذلك ويعلم غاية العلم بسرور الا انه كان غير مكدر من ذلك لعلمه ان النصر سيكون في المستقبل له وان لديه من الفرسان والبهلوانية ما لا يثبت امامهم جيش العالم باجمعه

وبلغ هذا الخبر عين الحياة من عيونها وارصادها فتكدرت من عمل ابيها وغشه للملك ضاراب وتعجبت من حلمه وقالت لشريفة الا ترين ان هذا الملك الجليل المقام والحليم الطباع قبل واجاب الى انقطاع القتال الى مدة عشرة ايام بعد ثبوت الفوز لديه وترجح النصر له ولو قاتل يوماً اخر لدخل المدينة وملك ابي ونال غايته منه انما الحق يقال ان مثل هولاء القوم يجب القرب منهم والاختلاط بينهم فهم معدن اللطف والرقة ونتيجة الكرامة والرافة لا يعرفون الظلم ولا يقبلون بالغدر . فقالت لها شريفة كيف لا يكون الملك ضاراب على هذه الصفة وهو علة وجود فيروزشاه الم تشاهدي من ذاك كرامة اخلاق وحسن معان تفرد بها عن سواه . فتنهدت عين الحياة عند سماعها هذا الكلام من فواد قد كوته تباريح الجوى وهاج عليها غرامها وحن قلبها الى لقاء حبيبها وتمنت ان تكون بين يديه تنظر اليه وذمت اباها على فعله معه وسالت الله ان يجعل الفرج قريباً عن يده . ثم انشدت ما لاح في خاطرها

في مثل حبكم لا يحسن العذلُ	وانما الناس اعداء لمن جهلوا
راوا تحير فكري في صفاتكم	فاوسعوا القول اذ ضاقت بي الحيلُ
لو انهم عرفوا في الحب معرفتي	نشانكم غدروا من بعد ما عزلوا
كم قد كتمت هواكم لا ابوح به	والامر يظهر والاخبار تنتقلُ
وبت اخفي انيني والحنين بكم	توهماً ان ذاك الجرح يندملُ

كيف السبيل الى اخفاء حبكمُ ... والقلب منقلب والعقل معتقلُ
حملتموني على ضعفي لقوتكم ... ما ليس يحملهُ سهلٌ ولا جبلُ
لله ايامنا والدار دانيةٌ ... والشمل مجتمع والجمع مشتملُ
شفيت علة قلبي والغليل بها ... فاليوم لا غلتي تشفي ولا العللُ
لا اوحش الله من قوم لبعدهمِ ... امسيت احسد من بالغمض يكتحل
غابوا والحاظ افكاري تمثلهم ... لانهم في ضمير القلب قد نزلوا
وخلفوني اعض الكف من ندم ... واكثر النوح لما قلت الحيلُ
اقول في اثرهم والعين دامية ... والدمع منهمر منها ومنهملُ
ما عودوني احبائي مقاطعةً ... بل عودوني اذا قاطعتهم وصلوا

ثم امرت الخدم ان تعود الى ما بين العسكر وان تاتيها بالاخبار دائمًا ووعدت ان من اتاها منهم بخبر اللصلح اكرمتهُ غاية الاكرام . ولم يكن جل قصدها في اقامة خدمها بين عسكر ابيها الا لتعلم شيئًا عن فيروزشاه لانها كانت تتيقن انهُ لا بد من وصول خبر الى ابيهِ او ابيها عنه من تلك البلاد اما حيًا واما ميتًا لاسيما وكان لها رجاءٌ كبير ببهروز العيار الذي وعدها بخلاصهِ واخذ منها تحريرًا لهُ

ودامت الهدنة بين القوم الى نحو خمسة ايام .وكان الملك ضاراب ينتظر خبرًا من جهة الشاه سرور يعلن بالموافقة والقبول بما اعرضهُ عليهِ الى ان تيقن اخيرًا خداعهُ وذلك لما شاهد ان تلك الارض قد امتلات بالعساكر والجنود حتى صار عددها اكثر من الف الف واربعمائة الف فارس مختلفي الاجناس وكلهم يطلبون قتال الايرانيين وقال طيطلوس لسيده ان هذا الرجل كثير الشر قليل النفع فها قد صار عنده من العساكر ما يتقوى بهم على قتالنا ويمتنع عن مصالحتنا ولو كان في وسعنا خرق المعاهدة قبل نهايتها لفعلنا ذلك وحملنا عليهم في هذا اليوم . قال ان ذلك كان احب عندي غير اني لا ارغب في رجوعي عن كلامي ولا اريد ان ينسب اليَّ الغدر كما ينسب للشاه سرور ولا بد ان يعلم من نفسهِ ان هذه العساكر التي تجمعت لا تفيده شيئًا ولا تنجيهِ من سيوف الاعجام واني على اطمئنان تام من ان النصر سيكون لنا ان شاء الله انما الخوف من اطالة المدة لان قلبي يشعل بالنار على ولدي وحتى الساعة لم يصلني عنهُ خبر وقد طال غياب بهروز ولا بد ان يكون وقف على شيء من اخباره واخاف ان يكون قد وقع على بهروز مصاب منعهُ من ايصال الخبر لنا ولولا رجائي بالله سبحانهُ وتعالى واتكالي عليهِ لما كان يرتاح بالي عن ذلك دقيقة واحدة

قال صاحب الحديث وفي اليوم السادس من الهدنة بينما كان الشاه سرور مجتمعًا باعيانهِ

في صيوانهِ والى جانبهِ طيفور وهم مسرورون بتجمع تلك العساكر وفرحون بما سيلاقون من النصر على يديها واذا بهلال العيار دخل عليهم وهو مكمد الوجه مغبر معفر لا يحسن كلامًا ولا ينظر الى ما بين يديهِ فارتاع الشاه سرور عند رؤياه على تلك الحالة وسالهُ عما اذا كان وراءه من الاخبار المكدرة ما يوجب ذلك . فبكى ثم رفع راسهُ وقال يامولاي الان قد حل اوان خرابنا وثبت عندي هلاكنا ودمارنا فاننا قد وقعنا بامر خطير ومصاب عظيم الان صرنا نخاف هلاك النفوس وسبي الحريم وتشتيت الشمل الان تنقرض دولتنا وتنمحق ولا يعود لها ذكر يذكر . فارتعب جميع الحضور من كلامهِ هذا وما فيهم الا من ظن ان فيروزشاه قد اتى منتقماً لنفسهِ وقال الشاه سرور اوجز ياهلال ولا تطيل الشرح بالكلام . فقد اشعلت في قلوبنا نار الاضطرام . قال اعلم ياسيدي اني كنت في عساكر الاعجام اطوف بين المضارب والخيام وبعد ان دخلت من اولها الى اخرها وعدت في طريق آخر تسلقت الجبل وخطر لي ان اصعد الى الاكمة التي كان عليها طيطلوس آكشف ما وسع من البر علي انظر الى ما يكون لنا نافعًا وما استويت على الاكمة حتى وقعت عيني الى ما وراء بلادنا لجهة الشرق واذا انا بغبار مرتفع الى حد العنان ولمعان اسنة تضي كالمشاعل في حندس الظلام فظننت ان جيشًا جديدًا قد جاء لنصرتنا ففرحت لذلك وقلت في نفسي انطلق اليهِ واعود فابشر سيدي بهِ فجريت نحوهِ الى ان كدت اقرب منهُ وكان ينجلي لي شيئًا فشيئًا كلما دنوت منهُ حتى تبين لي انهُ جيش عظيم جدًّا لا يعلم مقداره الا الله تعالى ثم تبين لي بعد ذلك انهُ من الزنوج فخفق لذلك قلبي وارتاع ضميري ثم اتخذت لي مركزًا عاليًا احقق فيهِ حالة اولئك الزنوج واذا تبينت فيما بينهم رجلاً طويلاً يبلغ طولهُ نحو ٦ اذرع عريض المناكب لا تنقص ضخامة جثتهِ عن الذراع ونصف ذراع وهو راكب على فيل كبير وبيده عمد من الحديد يبلغ طولهُ ٧ اذرع على الاقل وقطره نحو ذراعين ولا زلت واقفًا والقوم يقربون مني حتى تحققت ان ذلك الفارس هو طومار الزنجي سيد فرسان هذا الزمان الذي تخافهُ الانس والجان فكادت ركبي ان لا تحملني لدى مشاهدتي اياه وثبت عندي انهُ جاء بعساكره يطلب ثار اخويهِ بيروز وميسرة وقد جمع بالجيوش الجرارة فانكفئت راجعًا وانا محلول العزائم لا اقدر على حمل نفسي الى ان وصلت اليك لتدبر لنفسك امرًا تدفع بهِ هذه البلية الدهماء لاننا ونحن بهذا العدد لا نقدر ان نثبت امام الايرانيين فكيف نثبت يومًا وحدًا امام طومار ورجالهِ الذين بعدد رمال البحار ومن ياترى من فرسان الارض يقدر ان يثبت لضربة سيفهِ الذي يبلغ طولهُ ذراعان ونصف وعرضهُ نصف ذراع او من ياترى يقف امامهُ ويحمل ثقل ضربة عمده فاذا ضرب بهِ الجبل هدمهُ وازاحهُ من مكانهِ

فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام انعقد لسانهُ عن الكلام وكذلك بقية الحضور وما فيهم من

نطق بكلمة الى اكثر من نصف ساعة وقد ايقنوا بالهلاك والدمار والسبي والاستئسار . وعلموا ان هذه المصيبة مصيبة كبرى لا طاقة لهم على حملها وما فيهم الامن لعن بقلبهِ الشاه سرور وطيفورا ولما شاهد طيفور حالهم وما هم عليهِ وقف امام الملك وقال يجب على سيدي الملك ان يفرح ويسر لان ما جاء هذا الجيش الا لنجدتهِ ومعونتهِ . قال كيف يكون لنجدتي وهو عدوي وقد قتل لهُ بسبب بنتي اخان وجاء بطلب ثارهما والان ارى نفسي بين عدو بن عظيمين قويين فالملك ضاراب يتهددني من جهة وطومار من جهة ثانية فماذا ياترى يجب ان افعل . قال لا يخاف سيدي ولا يهاب وعنده مثل طيفور وزيره الامين فاني بعناية الله ازيل عنك هذا الخوف واقود اليك طومار الزنجي واجعله ان يكون ساعداً لك وعضداً وبهِ تبلغ الغاية من الاعجام لانهُ فارس لا نظير لهُ في هذا الزمان ويمكن ان يلقي عساكر الايرانيين وحده بدون مساعد ولا عضد . قال الشاه سرور ان فعلت لي ذلك وتممت ما قلت جعلتني في راحة ونعم بال وحق لك علي كل جميل واكرام لان من كان مع طومار لا يخسر ولا يخاف . قال سوف ترى بعينيك ما يسر بهِ خاطرك ويطيب بهِ قلبك . ثم خرج طيفور فاحضر الهدايا الفاخرة والجواهر النفيسة واركب المماليك واخذ بعضاً من الجواري وسار هو في المقدمة ولا زال في مسيره نحو من ثلاث ساعات حتى انتهى الى مقدمة جيش الزنوج فدخل بينهم واظهر ان غايتهُ مواجهة البطل طومار وقد اتاه بالهدايا والمماليك فسار العبيد امامهُ حتى وصلوا الى طومار واخبروه بان وزير الشاه سرور قد جاء طائعا وهو يقصد الوقوف بين يديهِ فدعاه اليهِ وسالهُ عما يريد فدنا منهُ وقبل قدميهِ وقال لهُ قد عرف سيدي الشاه بقدومك وهو في ضيق الخناق بالحرب بينهُ وبين قوم قاتل اخويك فارسلني اليك بالهدايا النفيسة والمماليك والجوار الحسان ثم قدم لهُ كل ما جاء بهِ فانبهر طومار من حسن الجوار والمماليك وكثرة الهدايا وقال لهُ كيف يظهر لي الشاه سرور طاعتهُ بعد ان فعل ما فعل وامات لي اخوين كانا عزيزين عندي . قال ان سيدي لم يمدد يداً قط الى اخويك ولا بد ان يكون قد اخبرك من بقي من عساكرك بان رجلاً غريباً جاء بلادنا وكنا اذ ذاك بالحرب مع الشاه روز واخويك وقد عزمنا على التسليم والطاعة لهما فسطا على بيروز وميسرة وقتلهما في الميدان وبعد ان انجلت عساكركم عن المدينة وفرقها بنفسهِ لانهُ من الفرسان الصناديد قتل هولنك ابن هورنك حاكم جزائر الزنوج وفرق الف فارس كانوا قد جاؤا معهُ بقصد ان يتزوج بعين الحياة بنت سيدي الشاه سرور فغاظنا هذا العمل وتكدرنا منهُ جداً وخاف سيدي عاقبة هذا الامر وقال لي اني تكدرت جداً من قتلة بيروز وميسرة حباً باخيها طومار لانهُ بطل من الابطال فمن الراي ان نحتال على قاتلهما ونبقيهِ عندنا ولا بد ان ياتي البطل طومار فنسلمهُ اياه ياخذ منهُ بثاره وقد سالنا هذا الرجل عن اسمهِ في بادىء الامر فاخبرنا انهُ كان مملوك في بلاد اليونان الا انهُ لما وقع بيدنا وقيدناه اظهر

نفسهُ بانهُ فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وما يليها وقصد بذلك خلاصهُ فلم نعبأ بهِ الا انهُ بعد ذلك بايام جاءَنا الملك هورنك على بغتة بعساكره ورجالهِ وحاصر المدينة وطلب منا ان نسلمهُ المدينة او ندفع اليهِ قاتل ولده فالتزمنا ان ندفعهُ لهُ فاخذه وسار ليقتلهُ بثار ولده هولنك ولا نعلم ماذا جرى لهُ بعد ذلك غير ان اباه علم بما كان من امره فجمع عساكره وجاء الينا وطلب منهُ ابنهُ فاخبرناه بفعلهِ وانهُ سلم الى اعدائهِ فلم يرجع عن عزمهِ وقال لنا اما تسيرون معي الى بلاد هورنك فنقتلهُ ونخرج الزنوج عن عبادتهم ونعلمهم عبادة الله ونخلص فيروزشاه ومن ثم نقصد طومار الزنجي فنلحقهُ باخويهِ فغاظ هذا الكلام سيدي الشاه سرور وتكدر منهُ وقال لهُ اني اود جدًّا في مصالحة ملك الزنوج طومار واريد ان اعقد معهُ ودادًا فلا اسير لبلاده واخاصمهُ ولو هلكت رجالي وخربت دياري فكان من ذلك ان انتشبت الحرب فيما بيننا وانسعت دائرتها وهلك لنا كثير من الفرسان الى ان احتجنا الى طلب هدنة من ملك العجم الى عشرة ايام املاً ان تجتمع عندنا العساكر فنقاتل فيها دفاعًا عن الوطن والحريم ورجاء ان ياتينا فرج قريب ولنا الان ستة ايام الى ان علمنا بقدومك فسرنا ذلك جدًّا وقال لي سيدي الشاه سرور ها قد انتهى الينا ما كنا نرجوهُ من الفرج فسر انت بالهدايا الى السيد طومار واعقد ما بيننا روابط الحب فنكون انصارًا لبعضنا وياخذ بثاره من ابي قاتل اخويهِ فلا يضيع لهُ بذلك ثار فاتيت اليك مسلمين زمام امورنا ليديك مرتجين من بسالتكم نصرًا مجيدًا لنكون على هذا العدو يدًا واحدة

فلما سمع طومار هذا الكلام قام وقعد وارغى وازبد واسودت الدنيا في عينيهِ وكان بسيط القلب لا يعرف كلام الجد من والخداع فصدق كلام طيفور وركن لهُ غاية الركون واقسم انهُ لا بد من محاربة الاعجام والفتك بهم وتتبع اثارهم الى ان يفنيهم عن اخرهم وقال أكان من قدر هولاء الاوباش ان يقصدوا بلادي ويتعدوا عليَّ وما كفاهم ان ابن ملكهم قتل لي اخوين حتى جاء ابوه في طلبهِ وفي نفسهِ ارجاعهُ بعد ان فعل ما فعل . فسر الان يا طيفور واخبر الشاه سرور باني قبلت هديتهُ ووافقتهُ على غايتهِ وسانتقم لهُ ولنفسي من جيوش الاعداء ولا ادع منهم حيًّا في هذه البلاد وهئنذا بعد قليل اكون عنده فسرَّ هذا الكلام طيفورًا وشكره واثنى عليهِ ومدحهُ على حسن طويتهِ وشجاعتهِ وخرج من عنده بعد ان قبل يديهِ وهو يكاد يطير من الفرح وقد امل الظفر والفوز على الاعداء ودخل على الشاه سرور وهو يصفق من الفرح وبشره بما كان من امر طومار وانهُ اجاب الى مصالحتهم وعزم على ان يقاتل الاعجام معًا وانهُ وعده بالانتقام من ملكهم . فاسرَّ هذا الكلام الشاه سرور ومدح طيفورًا المدح الكثير وقال لا زلت مدبر ملكي ومساعد دولتي فمثلك يجب ان تستوزره الملوك والا فلا وهذا اكبر فرج ننتظره فماذا يا ترى يحل بجيش الاعداء اذا عرفوا باصطحابنا مع طومار لا ريب في انهم يقعون بالهم والكدر ويختارون الرحيل من هذه الديار

قلتهنا رجالي وليفرح قلبي فان النصر صار مكفولاً لنا وسنكسب اسماً متوجاً بالفخر والمجد .

وبينما كان الشاه سرور في حالة فرح وسرور واذا بهلال العيار دخل عليهِ وقال لهُ ان طومار آت الى صيوانهِ وفي نيتهِ ان يجتمع بهِ . فنهض فرحاً وخرج الى ملتقاه بعيداً عن صيوانهِ وترحب بهِ ومشى امامهُ بجماعة من عسكره وهم يدعون لهُ ويحتفلون بهِ فزاده ذلك حباً وميلاً للشاه سرور ورغب في توطيد الحب بينهما ولا زالوا الى ان دخلوا الى صيوان الشاه سرور وكان طيفور راكباً على الفيل المتقدم ذكره وفي يده عمده الحديد الثقيل العيار وعلى راسهِ بيضة من الفولاذ يبلغ وزنها النصف قنطار وكل ما عليهِ من الحديد السميك فلا تفعل فيهِ الصوارم ولا الرماح وكان وهو سائر بين الفرسان يزدحمون للفرجة عليهِ وهم يتعجبون من جالهِ وكبر دماغهِ وقدرتهِ العجيبة على حمل قناطير من الحديد وما فيهم الا من امل النصر والظفر واعجب من عظم الفرح والمسرة ولما جلس طومار في صيوان الشاه سرور واجتمع حواليهِ الامراء والوزراء اعاد عليهِ كل ما اخبره بهِ طيفور وزاد لهُ في التبجيل والتفخيم حتى نفخته الكبرياء وقال ما جاء ملك ايران الى هذه البلاد الا وقد فرغت ايام دولتهِ وحل زمان انقراضها فسوف ترون باعينكم ما يصل اليهِ ويحل بهِ فقال لهُ طيفور اني على يقين من نجاحك عليهِ وعلى رجالهِ لان ليس فيهم فارس يلقاك او يثبت بين يديك ولذلك لم يكن في وسعنا ان نصبر الى نهاية الهدنة بل من الواجب خرق المعاهدة والمبادرة الى القتال والاسراع الى تدمير هذه الدولة وقتل ملكها واخذ الثار منهُ . قال طومار لا بد لنا في صباح الغد من القتال واني لم اعقد عهداً مع احد واريد ان اقضي الاشغال بالسرعة الممكنة واعود الى بلادي او اسير الى بلاد فارس فامتلكها واقيم حاكماً عليها من السودان . وبعد ذلك امر الشاه سرور ان يقدموا الى طومار الماكل الفاخرة اللذيذة والمشارب الطيبة العذبة الصافية وان ينقل الى قواد عساكره مثل ذلك وتحمل لهم العلوفات والمؤن ففعلوا وكان ما يراه من الخسارة في بذل الدراهم وتوزيع الماكل ربحاً يلقاه في الغد فلا يتكدر من ذلك بل كلما كان يفعلهُ كان يسر بهِ ويبين لهُ طيفور وجه الفوز والنصر ويحركهُ الى مداومة العداوة وكان يخاف من ان يميل قلبهُ الى مصافاة الملك ضاراب فيجهد نفسهُ في القاء البغض في قلبهِ وذرع الشر وحب الانتقام من عدوهِ وكان عملهُ هذا يصادف نجاحاً وحسن قبول لانهُ كان متسلط الاعمال والاراء على عقلهِ . وصبروا ينتظرون ما بقي من ذلك النهار وذهاب الليل ليبكروا الى حرب الفرس .

وكان الملك ضاراب قد شاهد عن بعد جيشاً من الزنوج قد اختلطوا باليمنيين فارسل شبرنك يكشف لهُ الخبر وياتيهِ بالامر الصريح عنهم فانطلق بين القوم ودخل الى ان وقف بين خدم الشاه سرور وهو بصفة واحد منهم لا يراه احد ولا يعلم بهِ احد وقد سمع كل ما دار بين القوم من الحديث بخصوص القتال وانهم في الغد سيقاتلون وشاهد طومار الزنجي وهو جالس في الديوان

كانهُ طود من الاطواد فارعبهُ منظره وتعجب منهُ وكان يسمع عنهُ اقوالاً متعددة . ورجع شبرنك الى بين يدي الملك ضاراب وهو في حالة كدر ويأس وقال لهُ قد وقعنا في امر صعب لم نقع قبل الان باصعب منهُ وصار من المستحيل نجاحنا في هذه البلاد ان لم يأتنا الله بالفرج من عالم الغيب قال الملك وماذا رايت . قال رايت ان عساكر الاعداء قد بلغ عددها الف الف واربعمائة الف فارس فصاروا قادرون على قتالنا غير ان ذلك لم يصعب علي لان كل فارس منا كفوًا لان يلقاهم بجيشهِ الا ان الخبر المشئوم هو ان طومار الزنجي الزابع الصيت قد جاء بطلب ثار اخويهِ بهروز وميسرة ومعهُ من عساكر الزنوج ما لا يعد ولا يحصى فاتفقوا معهُ بعد ان جاء الى قتالهم واخبروه ان سيدي فيروزشاه قتل اخويهِ وانهم يقاتلون لاجل ذلك حبًا بهِ ولذلك اقسم انهُ لا بد ان ياخذ بثاره منا ولا خفاكم ما هو عليهِ من البطش والاقتدار وهو يركب الفيلة ويحارب بعمد من الحديد يكاد لا يحملهُ عشرون رجلاً على عواتقهم وعليهِ من العدد الحديدة كالدرع والطاسة والبيضة ما لو وضع على جبل لانهز ومال ومع ذلك لا يتعب ولا يكل ولهُ اعين تقدح من اتون جهنم شرار النار فهذا الذي رايتهُ وانهم قد صمموا ان لا يلتفتوا الى ما طلبوه وما منحتهم اياه من الراحة عن القتال الى عشرة ايام بل في نيتهم ان يباكرونا ويوقعوا بنا

وما انتهى شبرنك من هذا الكلام حتى وقع الرعب في قلوب جميع الفرسان الحاضرين لانهم كانوا يسمعون من السياح والتجار عن طومار قصصًا وحكايات يكاد لا يصدقها العقل لان اقوى الخيل واشدها حيلاً لا يقدر على حملهِ وانهُ اذا شد برجليهِ على الفيل الكبير القاه الى الارض او ضرب بعمده الحديدي اكبر صخر سحقهُ وطيره وكذلك الملك ضاراب لم يبدِ خطابًا وكان كدره من الشاه سرور وطيفور لا خوفًا من طومار كبقية الفرسان . ونظر فيلزور الى الفرسان والبهلوانية فوجدهم كالموتى صفر الوجوه لا واحد منهم يبي على رفيقهِ فكدرتهُ هذه الحالة ونهض واقفًا بين يدي الملك ضاراب وصاح بما نبه الجميع اليهِ . وقال اشكر الله ياسيدي الملك واحمده تعالى على آتيان طومار لاني كنت اخاف ان اموت ولا التقي بهِ في ميدان وطالما طلبت من الله ان يجمعني بهِ ويرسلهُ اليَّ لانتقم منهُ واعلمهُ كم تتفاوت الفرسان لاني سمعت كثيرًا ان رجالهُ وغيرهم من الذين كانوا يطرقون بلادنا يقولون لهُ ان لا فارس في الدنيا يلقاك الا اذا كان فيلزور فارس بلاد ايران فيشتمني امام الفرسان ويقول لهم ان جمعتني بهِ الاقدار ضربتهُ ضربة واحدة جعلتها القاضية عليهِ فحينما اسمع هذا الخبر اتكدر منهُ واطلب الى الله ان يضمني واياه الميدان ليعلم من هو الثابت والقادر ولا خفاك ان ابي قتل اباه من قبلهِ ونحن لا نزال اطول منهم باعًا واشد باسًا فان شجاعة الفرس موصوفة ومعروفة . وعندي اقل واحد من رجالي يقدر على ان يلقاه ويعدمهُ الحياة لانهم فرسان هذا الزمان وكل واحد منهم يعد بجيش كرار ولنا شاهد ما اظهروه اثناء هذا القتال وغيره بما كان

يضمن لنا الفوز والانتصار . وكان فيلزور يطنب بمدح رجاله ويظهر قوتهم املاً ان ينقلع الرعب من قلوبهم فلا يخافون من طومار عند القتال . فاشتدت بكلامه قلوبهم واملوا بالخير والنجاح لانهم كانوا يعلمون ان فيلزورًا بطل ذلك الزمان وانهُ قلما وجد مثلهُ بين الفرسان . واصدر الملك ضاراب الى الفرسان ان تكون على اهبة الاستعداد حتى اذا جاء الغد وقصد الاعداء القتال يكونون على انتباه للقائهم وقتالهم

وانقضى ذلك الليل والقوم من الفريقين في حديث طومار وشجاعتهِ واقدامهِ وبسالتهِ الى ان كان صباح الغد فاشرقت الشمس بانوارها على ذلك المكان وهي غضوبة على القوم فارسلت لهم حرارة غضبها فبسطتها عليهم ولذعتهم بلهيب محرق فلم يسعهم الا النهوض الى القتال والانشغال عن ذلك الاشتعال . ونظر الملك ضاراب الى جهة الاعداء فوجد جيوشهم قد نهضت تنهيأً للحرب فعلم غايتهم وقال قبح الله الظالم فما اشره ايطلب الشاه سرور القتال قبل نهاية المدة ومع ذلك لا ينبئني اليه ولا يخطرني غير اني اشكر الله لم اكن ظالمًا ولذلك لا يتركني بيد اعدائي الباغين وامر عساكره ان تركب خيولها وتتقلد بنصولها ففعلت واصطفت في مراكزها على حسب ترتيبها المعتاد واذا بعساكر الزنوج قد تقدمت من جهة اليمين وعساكر اليمن من جهة الشمال وبين الزنوج طومار سيدهم وهو راكب على الفيل ومقلد بالحديد بما صور للناظر انهُ جبل يسير بين الرجال وكان لعلوه تراه كلُّ عين وتحدق بهِ وتتاملهُ حتى ارتعب منهُ الجميع وركب الملك ضاراب في موكبهِ ونشرت فوق راسهِ الراية الفارسية واجتمع حولهُ حرسهُ الخصوصي وبايديهم العمدان والسيوف وهو ينظر الى طومار من بعيد ويتعجب بخلقة الله سبحانهُ وتعالى كيف ميز هذا الانسان بكبر الراس وطول القامة عن سواه . ولما وقفت العساكر تجاه بعضها البعض وانتظرت صدور الاوامر بالحملة وطلب القتال واذا بطومار حرك الفيل فخرج فيهِ الى وسط الميدان وقد لوح بخرطومهِ في الارض فانزاح ما امامهُ من الاحجار ونفخ في التراب فاثار غبارًا كثيفًا كالضباب فامالهُ طومار الى جهة اليمين ثم الى جهة الشمال ولوح بعمده في الهواء حتى كاد يلحق السحاب ونادى بلسانهِ الغير مفهوم واشار الى عساكر الاعجام بالبراز وما انتهى من اشارتهِ حتى صار سيامك سياقبا امامهُ وكان سيامك كما تقدم من الابطال المعدودين فصدمهُ صدمة جبار فالتقاه طومار بعزم قوي المقدار . واخذا في الجولان . واوسعا في الميدان . وتضاربا بالعمدان . واظهرا من الشجاعة ما يكل عن وصفهِ اللسان . حتى مضى عليهما جانب من النهار وهما في قتال احر من لهيب النار . وقد لاقى سيامك من خصمهِ اشد الصعوبات . وشاهد من حربهِ ما لم يرَهُ في سائر المعارك والوقعات . لانهُ كان عالٍ عليهِ لا يتمكن من ضربهِ ولا يلحقهُ حسامهُ ويلتزم ان يتجنب ضرباتهِ وكذلك طومار فانهُ كان لا يظن ان يثبت امامهُ اقوى بطل وجبار اكثر من ساعة من

النهار وقد مضى الظهر وكاد يقرب العصر واذ ذاك توقف طومار في الميدان وصاح في سيامك ان الجولان يطيل الحرب والحرَب . ويكثر من التعب والنصب . فان كنت فارساً تدعي ملاقاة الابطال فاثبت لاضربك ثلاث ضربات من عمدي فاذا لقيتها عدت انت فضربتني مقابلها وبذلك يكون الانصاف في القتال . اثناء الحرب والنزال . قال اجيبك الى سؤالك . واني اوافقك على مقالك فاضرب انت ضرباتك الثلاث واستعد لضرباتي واسال الله ان يعينني عليك وانتقم منك على افرج عن عساكر الاعجام هذه الضربة القوية . فقال له خذ لنفسك الحذر . ثم رفع طومار بيده العمد فاداره بالهواء حتى حمي ورفعه بكل يده الى ما فوق راسه ونزل به بعزم قوي سمع له دوي ورعيد من كل الجيش وايقن سيامك ان الضربة اذا نزلت عليه سحقته وذهبت به الى المقابر فصبر الى ان كاد العمد يقرب منه وقفز كالغزال الى بساط الارض وهو لا يصدق بالنجاة فوقع العمد على الجواد سحقه كالكحل فلما راى سيامك ذلك عاد يجري الى جهة قومه يطلب له جواداً يركبه وحينئذ صاحت عساكر الاعجام وحملت . وكذلك عساكر اليمن والزنوج قابلتها بما فعلت . والتقتها بقلوب لا تحسب للموت حساباً . ولا تخاف لدى المنية عقاباً . ولا ترتاح من كثرة الجموع . ولا ياخذها الجزع ولا الهلوع . وتسعرت نيران الحرب بنفوس الابطال واضرمت بها الاجسام تزيدها بالاشتعال . وهجم الفارس ومال يطلب الحرب والقتال . ويقصد هلاك النفوس وسبي الاموال . وتاخر العاجز الضعيف السبال . مظهراً التلاعب والاحتيال . خوفاً من الهلاك والوبال . وكان ذلك اليوم عظيم الاهوال . كثير الاحوال . يبعث به الارواح بيع السماح . وغنى السيف القرضاب . في محكم الصدور والرقاب . واندفقت الدماء تجري كالسحاب بين تلك الروابي والهضاب . كانها تدفقت من افواه الانابيب . وفتحت لها في الارض خنادق وميازيب . فلله در فيلزور البهلوان . وما فعل في ذلك اليوم العظيم الشان . فانه اهلك كثيراً من الابطال والفرسان ومثله فعل سيامك سياقبا في ساحة الميدان . فانه بعد ان اتخذ له جواداً من الخيول الحسان . عاد الى الكر والجولان . واخترق الصفوف بقلب اشد من الصوان . وعمل اعمال مردة الجان . وكذلك مرادخت الطبرستاني . وبهمنزار العتبي وشبر بن الشبيلي الطلقاني . وبهمنزار قبا القيرواني . وما منهم الا من اظهر في القتال العجائب . وابدى من الشجاعة الغرائب وثبت امام فرقته ثبات الابطال الاشداء . لتشتد به قلوبها لدى الهيجاء . وكان اشد الحرب واقع

انتهى الجزء الرابع من قصة فيروزشاه

ويليه الخامس عما قليل ان شاء الله

الجزء الخامس

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

في عساكر فيلزور لان طومار قصد تلك الناحية وإباد بعمده كثيرًا من الرجال وكلما تجمعت من حوله العساكر ودنت منه بددها بصوت واحد مريع وضرب بها ضرب الاسود الكواسر حتى كادت تضمحل وتطلب الفرار. لولا فيلزور الاسد الكرار. والفارس المغوار. فانه حماها كما يحمي الوالد ولده وردعنها صدمات طومار. وقد التقى فيه باخر النهار فتجاولا وتضاربا وتطاعنا حتى غابت الشمس واقبل الظلام. ودقت طبول الانسلاخ عن الحرب والصدام. فعادت العساكر راجعة الى الخيام. وقد فعل طومار ذلك النهار افعالاً سرّ منها الشاه سرورًا واملّ بالفوز والنجاح وقال لوزيره طيفوران سيامك سياقبا الذي هو اشد فرسان الاعجام لم يثبت امام طومار ولا قدر على ان يلقى ثقل ضربة من ضرباته وقد ولى يطلب الفرار. قال صدقت فاني لا ازال اتصور في ذهني قوة تلك الضربة التي وقعت على الجواد وكيف ان ذلك الحيوان قد سحق منها فليتها كانت على سيامك او على فيلزور. قال لا بد من ان يبارزهم جميعهم وان امتنعوا عن مبارزته افناهم بالحرب والهجوم. ولما اجتمعا بطومار شكراه على فعله ومدحاه على ما ابداهُ في ذلك النهار ودعيا له بالنصر على الاعداء وبطول العمر والبقاء

واما الملك ضاراب فانه بعد ان عادت جنوده من القتال اجتمع بمقدمين رجاله وبهلوانية مملكته وقال لهم ان الامر علينا خطير والخطب جسيم وان في الاعداء فارس عظيم من الطبقة الاولى في الشجاعة والثبات وعدد العساكر المجتمعة لقتالنا تفوقنا باضعاف الاضعاف فلا نقدر ان نتغلب عليها الا بقتل طومار لان بقتله تتقطع منهم القلوب ولا يعود فيهم فارس يذكر. واني اخاف ان لا يكون ما بينكم فارس يقدر على قتل طومار فلذلك عولت ان ابرز اليه في الغد واني لكم عمره ليهون عليكم بعد ذلك كل امر عسير. فلما سمع طيطلوس هذا الكلام. قال ان ما تقوله لا نقبل به ولا نوافق عليه ومن المستحيل ان ندعك تبارز احدًا لاننا ان ذهبنا باجمعنا تقدر ان تستعوض عنا وتاتي بفرسان من بلادك غيرنا واما انت فاذا لا سمح الله وقع عليك خطر لا يمكن ان ناتي بما هو مثلك انما عندي من الراي الحسن ان نجعل كيس قرعة نضع فيه اسماء الفرسان فمن سحب اسمه يخرج الى ملاقاة طومار ولا بد ان الله قد كتب منيته على يد احد الفرسان فيقتل ونرتاح منه فاجاب الجميع الى هذا الراي وعملوا قرعة وسحبوا اسم الاول منهم فاذا بهمزار قبا فقالوا له في الغد ابرز اليه بدورك فاجاب بالسمع والطاعة وباتوا تلك الليلة على هذه النية وفي الصباح

هبت الجيوش من مراقدها . وخرجت كالزنابير من اوكارها . وركبت بقصد القتال . والحرب والنزال . فترتبت الابطال . واصطفت الى اليمين والشمال . وتقابل الصفان . في جانبي الميدان واذا بطومار صاح بصوته الخشن العالي فارتجت منهُ تلك البراري والقيعان . وخرج على ظهر ذلك الفيل الكبير الجثة القوي البنان . وطلب براز الفرسان . وفي الحال صدمهُ بهنزار قبا بهلوان عساكر ايران . واخذ معهُ في الكر والفر والجولان . وتباعدا وتقاربا . وتطاعنا وتضاربا واشتد ما بين الاثنين القتال . حتى زاد عن حد الاعتدال . ودام الى نحو الظهر واذ ذاك استظهر طومار على خصمهِ وضربهُ بعمده ضربة خفيفة القاه الى الارض فاسرعت رجال الزنوج وشدوا منهُ الاكتاف وربطوه بالحبال فتكدرت عساكر العجم وهجمت على اعدائها فالتقتها كما تلتقي الارض اليابسة وابل المطر وقام القتال على قدمهِ وساقهِ . وايقن كل فارس بهلاكهِ ومحاقهِ . ودامت نار الحرب في اضطرام واشتعال . الى قرب الزوال . فافترقوا عن بعضهم ورجع كل منهم الى مضاربهِ وكان فرح اليمنيين لا يقدر بما شاهدوه من افعال طومار وشجاعتهِ وايقاعهِ بالاعداء واسر فرسانهم وباتوا في هرج ومرج ينتظرون الظفر على ابواب الصباح وقبل المساء وكل واحد يعد نفسهُ بالسلب والنهب . واما الايرانيون فانهم كانوا بمزيد كدر واسف عالمون ان لا ينجيهم من تلك المصيبة الكبرى الا الله سبحانهُ وتعالى فكان جل معتمدهم عليهِ ورجائهم ان يهلك لهم طومار فيفرج عنهم وكان اكبر مانع يمنعهم من الظفر والفوز وجود طومار

وفي الصباح دعا الملك ضاراب فرسانهُ وضرب بينهم القرعة فاصابت بهنزار العتبي فعلم انهُ لا بد ان يهلك او يتبع برفيقهِ انما لا يسعهُ التعالل ولا يقدر على المخالفة فاخذ عدة حربهِ وركب جواده وطلب مساعدتهِ تعالى وصبر الى حين اصطف الفريقان . وترتب الجيشان وخرج طومار كجاري عادتهِ يزأر كالاسد وهو على ذلك الفيل المتقدم ذكره كانهُ البرج المشيد وباسرع من طرفة عين التقى الاثنان وهما بهنزار العتبي وطومار الزنجي واشتبك بينهما القتال باشد حال . وعظمت عليهما الاهوال . وارتفع فوقهما الغبار . حتى لحق بالجو الاعلى فاخفاهما عن الابصار . واحدقت اليهما الفرسان . تنظر نتيجة ذلك الجولان . ولمن يكون الفوز والنجاح من الاثنين ودامت الحرب عاقدة بينهما حتى كلاَّ وملاَّ وضعفت عزائمهما وكان بهنزار العتبي من الفرسان الصناديد فثبت اي ثبات . وخاف من الهلاك والممات . فاظهر كل ما عنده من فنون الشجاعة . وانفق كل ما لديهِ من البضاعة . حتى قرب انقراض النهار . ولبست الشمس حلة الاصفرار . فشاهد طومار ان خصمهُ سيفلت من يديهِ فلم يهن عليهِ . وكدره ذلك فصدم بهنزار وقال لهُ لا تطمع بالخلاص والفرار فاستعد لضرب العمد وودع هذه الدنيا وداعًا اخيرًا ورفع العمد بيده وضربهُ بهِ فنظر العمد نازلاً عليهِ ولم يرَ سبيلاً للفرار منهُ فجمد بنفسهِ على ظهر الجواد وصاب ساعده بكل قوتهِ

ووضع الطارقة فوق راسهِ واذا بالعبد قد وقع عليها فشعر كان يده قد انقلعت من عند كتفهِ وتتعتعت قوتهُ وغاب وعيهُ فقلب عن ظهر الجواد الى الارض واذا بجماعة الزنوج قد ادركوه فشدوه وثاقًا واخذوه اسيرًا وقادوه ذليلاً حقيرًا وهو ضائع الوعي غائب الادراك واقرنوه الى رفيقهِ ورجع طومار وهو مسرور الفواد الا انهُ تعب في ذلك النهار من معاناة حرب بهزار فنزل الى صيوانهِ واتاه الشاه سرور وشكره على فعلهِ وقال لهُ ياسيدي اذا اسرت تكملة الفرسان رفقاء هذين الاسيرين انتصرنا على القوم وبددنا شملهم بفرد يوم ولا سيما سيامك سياقبا وفيلزور واستاذ هولاء قال لا بد لي من اخذ الجميع اسارى ولا ادع بين فرسان ايران فارسًا يذكر وكذلك الملك ضاراب ولا بد لي بعد اخذ فيلزور من قتل الجميع امام عينيك ليسر قلبك ويرتاح بالك وتعلم ان فرسان ايران مهما كانوا اشداء لا يقدرون على الثبات امامي . فقال لهُ طيفور ان فرسان الاعجام لا يتباهون ولا يفخرون اذا وجد بالميدان من هو مثلك عرفت الشجاعة انك ابوها وسيدها وابي الحرب ان يكون لهُ رئيس غيرك فاهنأ بما اعطتك النار ذات الشرار من القوة ووحدانية البسالة حتى فقت كل من حمل سيفًا وبارز فارسًا

وفي اليوم الثالث طلب الملك ضاراب ان تقترع الفرسان فوقعت القرعة على مرادخت الطبرستاني فنزل في ذلك النهار وتحارب مع طومار وما تناصف النهار حتى وقع بيده فاخذه اسيرًا وقاده الى جنب رفيقيهِ وحملت العساكر على بعضها وتقاتلت الى ان انقضى النهار فرجعت الى الخيام وقد زاد الرعب في قلوب الاعجام لما شاهدوا فرسانهم توقع بيد طومار واحدًا بعد واحد وفي اليوم التابع اصابت القرعة شبرين الشبيلي الطلقاني فاستاسره وقرنهُ الى رفقائهِ وفعل بالاعجام ذلك النهار افعالاً عجيبة واهلك منهم قومًا كثيرًا وعاد وهو كالغول ودخل الى خيامهِ ونام تلك الليلة وفي اليوم السادس نزل عبد الخالق القيرواني وتجاول واياه مجاولة الاسود وكان اخر ما ظهر من قتالها ان استظهر طومار على خصمهِ فقاده الى بقية البهلوانية الذين اسرهم ورجع ذلك اليوم واجتمع بالشاه سرور وقال لهُ لم يبقَ علينا من الفرسان الذين ذكرتهم الا اثنان وهما فيلزور وسيامك سياقبا فالاول لا بد من قتلهِ او اسره والثاني قد فر من امامي ولا عاد يقدر ان يلقاني في مجالي واذا حدثتهُ نفسهُ مرة ثانية بالنزول يكون من حظهِ ما كان من حظ رفاقهِ واني عزمت في الغد اذا وقع بيدي فيلزور اقتل الجميع ولا ابقي عليهم لاني لا احب ان اقتل الان الذين اسرتهم وفي جيشهم فارس يدعون انهُ يقدر على خلاصهم فمتى اقرنتهُ اليهم وعرفوا ان لا فارس فيهم يلقاني يقطعون الرجاء فاميت فارسهم قبلهم قال لهُ اعانتك الالهة عليهم وساعدتك النار على هلاكهم

ولما كان الصباح نهض الملك ضاراب حزينًا واجتمع في صيوانهِ طيطلوس وفيلزور وسيامك

سياقبا وبقية من كان له الراي والتدبير في جيشهِ وقال لهم الان يخرج طومار ولم يعد في جيشي من يطلبه او يرغب في قتالهِ وقد وقع الرعب بقلب جميع الفرسان ولذلك عزمت ان انزل اليهِ وابيد حياتهِ واعجل هلاكهُ فقاطعهُ طيطلوس وقال معاذالله ان نحتاج الى مثل هذه المخاطرة ومن يكون هذا طومار لتبارزه انت في ميدان القتال وتخرج من تحت الراية المعقود لدولتكم عليها ولم يزل عندنا فارسان كل منهما يقدر على قتال طومار . فقال فيلزور لا يمكن ان ندعك تقاتل مثل هذ الزنجي ونحن على ظهور الخيول ونقدر على حمل السلاح وسوف تنظر في هذا اليوم ما يكون من امري وامره وتشاهد بعينيك ان الفرسان تتفاوت وان الشجاعة والبسالة لا تكون بكبر الدماغ وركب الافيال فشكره الملك ضاراب وقال له اني اعرف جيداً انك من ابطال هذا الزمان غير اني لا ارغب ان افادي بفرساني مع هذا العاتي الطاغي وانا انظر من بعيد وارى في نفسي الكفاءة لهلاكهِ وقصف عمره قال اننا نسال عن ناموس الملك الفارسي وفي قانونهِ ان لا يبرز الملك لمن هو ادنى منهُ الا بعد خلو جيشهِ من الفرسان وقطع رجائهِ من الثبات والوقوف امام الاعداء . وكانوا على مثل ذلك والجيوش من الفريقين تنهض الى القتال وتركب على خيولها حتى انتهى انتظامها وترتيبت حق الترتيب واذ ذاك خرج طومار كجاري عادتهِ ودار بالفيل عدة دورات في وسط الميدان ثم وقف في وسطهِ وقال هيا ابرزوا اليَّ يافرسان العجم ان كان ثمَّ فيكم فارس يذكر واني اعلم ان لا فارس فيكم بعد الا فيلزور فليدنُ مني ويرى ما يحل بهِ ولياتي بكفنهِ على جوادهِ ولا يظن ان طومار الزنجي كمن لاقى من الفرسان فلا بد لي من قتل فرسانكم وهلاك ابطالكم وسبي حريكم ونهب اموالكم وبعد ذلك اشنق ملككم ضاراب بثار اخوي بيروز وميسرة اللذين قتلهما ابنهُ فيروزشاه واذا ساعدتني الايام وخدمتني الصدف واوقفت فيروزشاه امامي انتقمت منهُ بنفسي بعد ان اعذبهُ العذاب الاليم

ولما انتهى من كلامهِ حتى صدمهُ فيلزور صدمةقوية وقال له ويلك يا طومار كفاك شقشقة لسان وهذار اتظن ان فرسان العجم تتاخر عن قتالك وفيها كل فارس مشهور وبطل معروف وما اسرت منهم الا ادناهم ومن الان وصاعداً ستشاهد اقصاهم فاثبت ان كنت تدعي الشجاعة امامي والقى حربي وضربي . فنظر اليهِ طومار فوجد ان للشجاعة عليهِ دلائل وعلائم ورأى في بياض لحيتهِ وكبر وجههِ واتساع جبهتهِ ما برهن له انهُ من الاجلاء واهل الهيبة والوقار وانهُ محنك من الدهر مختبر من الايام . فقال له ويلك ايها الشيخ المسن من انت ومن تدعى بين فرسان ايران وهل وانت في هذا السن تطلب قتالاً وحرباً ونزالاً فماذا يا ترى ابقيت للشبان اصحاب العزم القوي والعنفوان . فقال فيلزور ان كنت ترغب ان تعرف من انا فانا الذي جدي قتل جدك وابي اهلك اباك في مثل هذا الميدان انا فيلزور البهلوان وقد وصلتك اخباري وانت في بلادك

وطالما تمنيت ان تلتقي بي وحكى لك رجال قومك القدماء قدم العداوة بيننا وان الله خولنا النصر والفوز عليكم وتزعم ان الكبر لا يليق بالقتال فمن كان له وجه الشيوخ وهم الجبال لا يقدر غيره على رفع الاحمال . ثم صدم فيلزور طومار صدمة قوية فالتقاه ذاك بهمة وحمية ودار بينهما دولاب الحرب . واختلف وقوع الطعن والضرب . واشتد بينهما القيل والقال . وعظمت عليهما المصائب والاهوال . فاكثرا من الصيحات . واجهدا نفسيهما بالوثبات . ولم يكن برَ منهما الا تطويح عمدان . وبرق ولمعان . وهما تحت قسطل من الغبار . مرفوع بالهواء يلعب به النيار . فيذريه الى ابعد مكان فيغطي كالضباب تلك السهول والوديان . وقد شخصت نحوهما الفرسان . وتعلمت منهما حقيقة الضرب والطعان . فان فيلزور كان لا يفتر عن الصراخ والصياح . ولا يقلل من الحرب والكفاح . بل كان يقاتل قتال الاساد . ويطارد اشد الطراد . ويضرب طومار ضربات تزيح الجبال . وتمحق الروابي والتلال . حتى راى منه طومار . ما حير الافكار . وعلم انه اشد من لاقى من الفرسان وكان كيفما دار يراه امامه يكر ويفر ويصول ويجول فاعياه امره واشغله قتاله . فصاح فيه وقال له ويلك يا فيلزور اني اعترف لك بالشجاعة وعلو المنزلة في القتال . فانت اشد من قاتلت من الابطال . واني اكره كثرة المطاولة فهل لك ان تلقى مني ثلاث ضربات ثم تعود انت فتفعل مثلها اما بسيفك او بعمدك وبذلك يعرف من منا اشد اقتدارًا على الثبات واقوى عصبًا واقدر ضربًا قال اليك ما اردت فاني منصف في القتال فاضرب انت اولاً ضرباتك الثلاث وبعد اعود انا فاضربك بسيفي ثلاثًا مثلها . قال اثبت . ثم رفع طومار بيده عمده ونهض بيده الى ما فوق راسه حتى كاد يصل العمد الى السماء ثم هوى به فسقط كسقوط الصاعقة حتى وقع على طارقة فيلزور فدفعه بعزمه وثبت كالوتد في الارض فلم تضره تلك الضربة بشيء ثم نظر طومار الى فيلزور فوجده على حاله فقال لله درك يا ايها الشيخ فما ظننتك تعيش بعد هذه الضربة فلو نزلت على جبل لاخذت فيه طريقًا . قال اضرب ولا تطل كلامًا فمثلي لا يعتد بمثل هذه الضربات ولا يحسب لها حسابًا فحنق طومار ورفع العمد بهمة وثبات وضرب الضربة الثانية فلم تؤثر به وكذلك الثالثة فتكدر طومار وزاد غيظه كيف فرغ من ضرباته ولم يات بنتيجة تخوله النصر على خصمه ولم يعد يرى ما بين يديه فصاح في فيلزور وقال له اضرب انت ضرباتك الثلاث واني اقسم بالنار المحرقة والانوار المبرقة اني ما حاربت قط رجلاً وثبت لديَّ ثباتك ولا ضربت فارسًا اكثر من ضربة واحدة واحتجت الى الثانية قال اثبت في مركزك وكان فيلزور قد شعر بضعف الجواد من تحته فان تلك الضربات التي لم تؤثر في فيلزور اثرت في الجواد من تحته فاضعفت قوائمه وقللت قواه فاراد ان يجول به ويطلق له العنان في الميدان فلم يمكنه بل سقط الى الارض وسقط معه فيلزور وقبل ان يتمكن من النهوض انقضت عليه عيارين الزنوج فاوثقوه كتافًا وقادوه الى

بامري وينتهون لنهي وقد دست هذه الارض برجالي و باقرب وقت اكون عند مدينتك فاما ان تخرج الى ملاقاتي صاغرًا طائعًا نادمًا على ما وقع منك معتذرًا عما جنتهُ يدك مسلمًا اليّ وزيرك طيفورًا واما تستعد لقتالي وتخرج بجميع عساكرك الى حربي وتكون قد سلكت بذلك طريق الجهل ولم تنظر في مصلحة نفسك . وليكن موكدًا اليك اني لا اقيم اكثر من ثلاثة ايام على قتالك فاهدم لك حصونك وادمرها الى اساساتها وادخل مدينتك قهرًا وجبرًا واخذ بنتك بالرغم عنك وقد شاهدت بعينيك فعلي يوم قتلي بهروز وميسرة اخوي طومار الزنجي واني اسال الله ان يجمعني بهِ لاتبعهُ بهما واعتبر بما وقع على الملك هورنك وانا اذ ذاك وحدي ليس لي مساعد الا اخي فرخوزاد بن فيلزور فارس بلاد فارس وسيد مقدميها وارجوك الجواب مع بهروز العيار حالاً فاني انتظره وارغب في سرعة الرجوع الى بلاد ابي لانهُ لا بد ان يكون على مقالي الجمر من اجلي والسلام ختام

وعندما انتهى طيفور من قراءة التحرير وقع الخمول على الشاه سرور وتالم وارتاع لهذا الخبر واطرق الى الارض لا يبدي كلامًا ونظر الشاه سليم الى هذه الحال فاستغنم هذه الفرصة للكلام بخصوص خلاص فيلزور فوقف وقال الى الشاه سرور ها قد عاد فيروزشاه من بلاد هورنك بالنصر والظفر ولا نعلم ما سيكون من امره ولا بد ان يتبدل هذا النصر الذي نلناه في هذه المدة الاخيرة بالفشل والخيبة فينتقم منا ولا ريب في ان جميعكم قد شاهدتم قتال فيروزشاه وفرخوزاد وعرفتوهما قبل الان ولذلك ارى من الراي الحسن ان يتاخر قتال هولاء الفرسان الى ما بعد هذا القتال لنعلم الى ما تنتهي بهِ حالنا فان دام النصر لنا وظفرنا بالاعداء كان القتل اوائذٍ بيدنا والا صالحناهم بهم ودفعنا شرهم عنا . وكان طومار حينئذ يسمع ويرى وقد نظر الى انقباض الشاه سرور من هذا الخبر فاظهر الغضب وقال اتخافون من فارس واحد قد عاد اليكم بطلب الهي لاني ارغب في ان اخذ بثاري منهُ واقتلهُ بدلاً من اخوي وكيف تتوهمون منهُ وتقدرونهُ فوق قدره الا تعلمون انهُ لا يقدر ان يثبت امامي اكثر من ساعة لو كان اشد فارس في هذه الدنيا واني اقسم بالنار ذات الشرار وما تسطع من الانوار اني لا اقتل هولاء الفرسان ما لم اقتل في مقدمتهم فيروزشاه وابدد شمل الذين جاءوا معهُ فلا يهولنكم امرهم واعلموا ان طومار الزنجي ان قال فعل وليس هو كمن تعرفون من الفرسان وحتى الساعة ما انهزمت امام فارس ولا خفت من فارس ولا رجعت عن امر نويتهُ فارجعوا بهولاء الفرسان الى سجنهم الى ان اقرن اليهم ابن ملكهم . فتكدر طيفور عند سماعهِ هذا الكلام وخاف من تاخير آجال الاسرى فقال لطومار ليس من الصالح ان نبقي عليهم خوفًا ان يتسبب لهم الخلاص لان عيارين العجم كالعفاريت وهم يتطايرون بين جيوشنا بدون ان يعلم بهم احد او يراهم فنخاف من ان يتوصلوا بالحيلة الى اطلاق سبيلهم فيجمعون

باصحابهم وتزيد حالهم نجاحًا ومن الاوفق ان نقتل هولاء ومتى وقع فيروزشاه وغيره قتلناهم . قال لا خوف من اطلاق سبيلهم فهم في محل محفوظ ومع ذلك فاننا نرسلهم الى مكان اشد حفظًا من هنا فتبعدهم عن الجيش ولا يعلم احد منهم وحيث اقسمت ان لا اقتلهم الا بعد ان اقتل ابن سيدهم فلا مطمع بغير ما اقسمت. فقال الشاه سرور اني عزمت ان ارسل الاسرى الى القلعة الجميلة لانها صعبت الدخول لا يمكن لعموم جيش فارس اذا حصروها ان يفتحوها واذا اقفلت ابوابها امنت من كل عدو مفاجيء ولا يمكن ان يشير الاعداء الى هناك

فوافق الجميع على هذا الراي واستحسنوه واذ ذاك استدعى الشاه سرور بخمسمائة فارس تحت امرة فارسين من رجال قومه يقال لاحدهما تميم وللاخر تميمة وقال لهما اريد ان تذهبا بهولاء الفرسان على عجل الى القلعة الجميلة وتسلماهم من قبلي الى طوغاب حاكم القلعة الذي اقمته عليها واني ابعث له بتحرير معكما آمره بالمحافظة والتحرس ثم دفع اليهما الاسرى فاخذاها وركبا بفرسانهما وقادا الاسرى امامهما وهم مكبلون مصفدون وقد املوا الخلاص وفرحوا بتاجيل اجالهم وكان اشدهم فرحًا فيلزور البهلوان فانه سمع بمجيء ابنه مع فيروزشاه وادهشه ما سمعه من خوف الاعداء منهما وكيف انهما سلما الى القتل واخذا الى بلاد الزنوج فعادا براية النصر والفخر بعد ان دوخا كل تلك الجزائر . واما بهروز العيار وهو ابن الغول فلم يعد ينتظر من الشاه سرور جوابًا على الكتاب الذي اتى به بل انطلق كالريح عند هبوبه ليخبر فيروزشاه بمسير الفرسان الى القلعة الجميلة فيقاطع للقوم ويخلصهم منهم

قال وكان السبب في اتيان فيروزشاه ووصوله في ذلك الوقت هو انه قد قدمنا انه رجع من بلاد الزنوج على السفن متقدمًا الى جهة اليمن الى ان لاح له شاطيء عن بعد وكان الوقت اذ ذاك عند المساء فامر فيروزشاه ان يميلوا الى ذلك الشاطيء ويباتوا عليه وفي الصباح يرجعون الى السفر فقال له فرخوزاد دعنا نسير في هذا الليل الى نحو شواطيء اليمن ومتى بلغناها نزلنا عليها فنرتاح هناك دفعة واحدة قال ان هنا جزيرة واحب ان اقيم عليها بضع ساعات من هذا الليل فان نفسي قد اشتاقت الى اليابسة واريد الراحة فيها وبعد ذلك نعود الى السير في سفننا . وبعد ان قاربت السفن الشاطيء نزل فيروزشاه وفرخوزاد وبهروز وطيلا وطيل وميمون وحمدون وخرجوا الى البر واجتمعوا الى بعضهم وقد احضروا بعضًا من الشراب فشربوا ومن الاكل فاكلوا وهم مشروحو الصدور طيبو الخواطر . وبينما كانوا بمزيد من السرور والراحة سمع فيروزشاه نداء بهروز بالقرب منه يقول له ادركني ياسيدي والا هلكت لا محالة فركض واخذ السيف بيده وهجم لجهة الصوت وكان الظلام شديدًا بحيث يسمع الصوت ولا يرى احدًا وتقدم كثيرًا وهو يركض وكلما سمع صوت بهروز مرة يقول له ادركني ياسيدي والا هلكت يجاوبه لا تخف فاني

راكض في اثرك متتبعك غير انهُ كان يركض ولا يرى احدًا ولا قدر ان يعرف ماذا جرى على بهروز وقد خاف من ان يكون وحش قد اختطفهُ فحملهُ الى مربضهِ وقد كاد يهلك من الركض دون جدوى الى ان تبين نارًا تضطرم في تلك الجهة وهي تبعث بنور الى ما حولها فانكشف لهُ الامر وبان ان بهروزًا محمول من اربعة رجال وهم يركضون الى جهة النار وقد تبين لهُ منهم ان في نيتهم ان يلقوه فيها فخاف ان يسبقوه اليها فيموت حرقًا فصاح عن بعد صياح الرعود وقفز قفزات الاسود حتى ادركهم فضرب بالسيف الاول قطعهُ الى قطعتين والثاني القاه الى جنبهِ وهرب الاثنان بعد ان القيا ببهروز الى الارض وفي تلك الدقيقة وصل فرخوزاد وبقية الفرسان وشاهدوا تلك النار تضطرب وفيروزشاه ينهض بهروزًا وقد سالهُ عما وقع عليهِ فقال لهم بينما كنت جالسًا معكم خطر لي ان اقضي حاجة فبعدت عنكم قليلاً وانا على غير انتباه فلم اشعر الا واربعة انفار قد قبضوا عليَّ واسرعوا بي جريًا وقالوا لي اننا نقدمك اليوم محرقة للالهة فصرت اصيح الى ان ادركتني بهمتك وانتشلتني من بين ايديهم ولا ريب انهم من البرابرة سكان الادغال يقيمون على عبادة النار وقد استغنموا الفرصة وسرقوني من بينكم ليجعلوني محرقة فهنأهُ فيروزشاه على خلاصهِ وقال لهُ كان في خاطري تتبع هولاء الوحوش لانتقم منهم واعيدهم الى عبادة الله فقال فرخوزاد اني لا اسلم لك بذلك وانت تعلم ان المراكب مشحونة بالرجال واننا في الغد او بعد الغد ندخل بلاد اليمن وننزل على شواطيء مدائنها وندخل تعزاء اليمن ولا بد لنا ان نجتمع بالاحباب فكن على بصرة من امرك فليس في هولاء من نفع لانهم يسكنون الادغال والاحراش لا يفهمون اذا علمتهم شيئًا ولا يعون الى شيء . قال اني اعرف ذلك غير اني لا ارغب في ان ادوس ارضًا واذهب عنها بدون ان اترك فيها اثرًا بذكر انما الله يفعل بعباده ما يشاء ثم انكفأ راجعًا بمن معهُ حتى وصلوا الى الشاطيء فنزلوا منهُ الى السفن فركبوها وفردوا شراعها وفيروزشاه من الفرح في موكب عظيم يعلل نفسهُ بالاماني وبعدها في الاجتماع بعين الحياة وليس عنده خبر مجيء ابيهِ الى بلاد اليمن ولا ما هو واقع بينهما وكلما قربت المراكب من نحو بلاد حبيبتهِ تبعد عنهُ الوحشة ويشعر بالاستئناس والمسرة وهو يتمنى ان يرى من يسالهُ عن عين الحياة ولم يعد في وسعهِ الصبر على انقضاء ما بينهُ وبين مدينتها من المسافة الغير بعيدة ودام على ذلك وهو لا يلتفت الى غير هذا الفكر ولا تلوح لهُ غير هذه التصورات الى ان شعر بوقوف السفن فنظر الى البر واذا بهِ يرى نفسهُ على شواطيء اليمن فصفق قلبهُ من الفرح ونهض واقفًا لا يفتر عن شكر الله ونظر الى اليمين والشمال واذا بهِ يرى السفن كلها قد رست فنزل الى القارب ومن حولهُ فرخوزاد وبهروز وجماعة المقدمين والفرسان وخرجوا الى البر وهم في فرح لا يوصف واقاموا الى ان كملت الفرسان على البر ولم يبق في المراكب غير النوتية وقد نقلوا المؤن والخيل والاسلحة وكل ما اتوا بهِ ونقل بهروز ايضًا الصندوق الذي

جاء بهِ من عند الساحرة الذي فيهِ الثياب والزجاجتين وكذلك صناديق الذهب والجواهر ونحوها

ولما تكامل عديدهم على البر واقاموا ريثما استراحوا اخذ فيروزشاه فكتب كتاباً الى الشاه سرور وهو الكتاب الذي تقدم ذكره وكتب على ظهره ان يقرأ علناً املاً ان توصل اخباره الى عين الحياة فتسر ويفرج عنها الهم وقال لبهروز اريدك ان تقدمني بهذا الكتاب واني سائر على اثرك فلاقني بالجواب على الطريق وبعد ان دفع الكتاب الى بهروز ركب على جواد من الخيل الجياد ورفع فوق راسهِ علم الزنوج يخفق من وراء العلم الفارسي ومشت من حوالهِ الفرسان والمقدمون وهم يسيرون ازواجاً وارباعاً على خطة واحدة وهو بينهم كالقمر بين النجوم وقد عاوده فكره لملاقاة عين الحياة وتحرك شوقهُ الى الوصول اليها والنظر في محاسنها وكلما هبت عليهِ نسمة يستنشق منها ريا ذكرها العطر فيزداد بهِ غرامهُ وتحن جوارحهُ وتخطر على بالهِ وقد لاح لهُ ان ينشد فقال

لا تحسبي ان طول البعد غيرني	ياعين لكنهُ قد زاد في شجني
ما ذقت لذة عيش بعد فرقتكم	ولا شعرت بغير السقم في بدني
ملكت ارض العدا والقلب مضطرم	حقاً بنارين من شوقي ومن حزني
وما رضيت بغير المجد منزلة	ولا اتخذت سوى بيت العلى سكني
قتلت هورنك مع هولنك انهما	ذاقا المنايا بسيف عد للمحن
سامنع الغير عنك الدهر اجمعهُ	او انزوي صاغراً ياعين في كفني
عين الحياة ابشري فاليوم مائلة	خيول جيشي على الايقاع باليمن
وعن قريب تريني والسيوف لها	فوقي بريق وغير النصر لم يكن
انا ابن من ارعب الدنيا بسطوتهِ	وارهب الكون من قافٍ الى عدن

وكان ينشد وهو يتقدم في مسيره على ما تقدم من الفرح والمسرة وفرخوزاد الى جانبهِ وحالتهُ كحالتهِ وقد تذكر من حبيبتهِ طيب حديثها ورقة معانيها وما كان لهُ عند وجوده معها وكيف ان الحوادث ابعدتهُ عنها فانشد يعلل نفسهُ ويسليها

لو تم لي في الحب سعدي	ياحب ما اخلفت وعدي
لكن مقادير القضا	ء كانها حكمت ببعدي
اخفيت حبك في الفوا	د فخطهُ دمعي بخدي
وعدا على جسمي النحو	ل فعاد الاسقام بعدي
محن الهوى جمعت عليَّ	فلست احصيها بعدّ

فالسقم يشهد والدمو ع بوجدني في العشق وحدي
يابدر سل عني السهى ان السهى ادرى بسهدي
وابعث رسول الطيف بـ ـمع ما اعيد له وابدي
آهًا على زمن مضى لو كان قولي آه يجدي
ايام وصل منك لم نقطع ولم نوصل برد
والشمل يجمعنا على حب بود بصدق ود

وكان فرخوزاد يكتم حبهُ في هواه ولا يشكوهُ الى غير قلبهِ لعلمهِ ان لا وصول له لقضاء مصلحتهِ قبل قضاء مصلحة سيده ورفيقهِ ومن احبهُ اكثر من نفسهِ وهو فيروزشاه ولذلك كان يطلب من الله ان يسهل له اسباب وصولهِ الى عين الحياة وما كان يزيد انشغالهُ الا ما يراه من الصعوبات في طريق زواج عين الحياة وخباثة ابيها ورداءة قلبهِ بعكس ابي حبيبتهِ الشاه سليم فانهُ كان يحبهُ مزيد الحب ويرغب في قربهِ

ولما قربوا من تعزاء اليمن ولم يبق بينهم و بينها الا يومًا واحدًا امر فيروزشاه ان تنزل العساكر في تلك الارض ينتظرون رجوع بهروز بالجواب الذي كان اعطاه اياه الى الشاه سرور فنزلت العساكر وضربت الخيام وضرب له صيوانهُ المزركش بالذهب من عمل الزنوج واقاموا على اتم ما يكون من الاطمئنان وراحة البال حتى كان المساء ودخل قسم من الليل وفيروزشاه في صيوانهِ بين مقدميهِ وفرسانهِ وقد فرغ صبره لطول غياب بهروز واذا بهِ قد دخل عليهِ وهمس في اذنهِ ان يتبعهُ الى الخارج فنهض معهُ فقص عليهِ الخبر من اولهِ الى اخره وقال له عجل ياسيدي لنسرع الى قطع الطريق بين تيم وتميمة قبل ان يصلا بالاسرى الى القلعة فيصعب علينا بعد ذلك خلاصهم وكان قصد بهروز ان لا يطلع احد على ما هو واقع بين الايرانيين والاعجام وان لا يشيع الخبر بان قصدهما خلاص الاسرى لئلا يطول المطال او يوجد بين الجيش عيار غريب فيسرع الى ايصال الخبر. وفي تلك الدقيقة اخذ فيروزشاه سلاحهُ ونهض ركب جواده ودعا اليهِ فرخوزاد واطلعهُ على بعض الخبر من ان اباه اسير وان في النية خلاصهُ قبل وصولهِ الى القلعة الجميلة وان كان في نية الشاه سرور قتلهُ قبل وصول بهروز بالجواب فكاد يطير عقلهُ لذلك واسرع الى جواده فركبهُ وسار بهروز امامهما ولما راى بقية الفرسان عملهما سالوهما عن السبب فقال فيروزشاه الساعة نعود فان امرًا غير مهم دعانا ان نستدركهُ الان ولا نزال بهروز يسرع في جريهِ وفيروزشاه وفرخوزاد يركضان بخيلهما وراءه حتى وصلوا الى طريق القلعة الجميلة بعد ان كادوا يهلكون من التعب فلم يروا اثرًا لمرور القوم فاقاموا ريثما استراحوا واذا بعساكر اليمن اقبلت وفي مقدمتها تيم و تميمة وليس عندهم علم بشيء وقد املوا الوصول الى القلعة قبل طلوع النهار فلم

يشعروا الا واصوات القتال قد اخترقتهم وفيروزشاه ينادي فيهم ويضرب بسيفهِ في صدورهم وقد
قامت الغوغاء وارتجت تلك السهول من صياحهِ فمالوا اليهِ وصاح تميم وتميمة برجالهِ ان يجاهدوا في
القتال . وان لا يتخلوا عن الاسرى فقام الحرب بينهم على قدم الاشتعال . وراج سوق الحرب على
انفق حال . وكان الليل كثير الظلام فلم يعد يرى فيهِ الا سيوف تلمع كالكواكب في السماء وعمد
تشرع كجذع النخل البواسق . وفي تلك الساعة سمع صوت فيلزور وهو ينادي بالقتال ومن خلفهِ
الفرسان والابطال . وذلك انهُ لما فاجأ فيروزشاه القوم كان لا يزال مقيداً وقد سمع صوتهُ وصوت
ابنهِ فارتعش لذلك قلبهُ وزأر كما تزأر اسود الدحال وقال لمن حولهِ ابشروا بالخلاص فهذا
الاسد الكرار والبطل المغوار ابن ملكنا الموفق قد جاء بخلاصنا ومعهُ ابني واني اشكر الله حيث
ادركنا قبل وصولنا الى القلعة وما تم كلامهُ حتى شاهد امامهُ بهروز قد انقض على من حواليهِ
كالقضاء المنزل واستل بيده خنجره فضربهُ بصدر الاول القاه الى الارض قتيلاً ثم فعل بالثاني
مثلهُ حتى بهت الجميع وباسرع من لمح البصر وصل اليهِ فقطع لهُ كتافهُ واطلق لهُ يداه ثم اخرج من
وسطهِ مبرداً جاداً يفعل بالحديد كما تفعل السكين باللبن فكسر قيده وقال لهُ رد عني بقية
الاعداء ياسيدي لاحل وثاق بقية الفرسان فما صدق ان ملك فيلزور حرية الانطلاق حتى
انخطف على سلاح المقتول فاستلمهُ وكان وقع الصياح بموخرة المتقاتلين ان الاسرى قد اطلقوا فمال
البعض الى جهتهم ولما سمعوا صياح فيلزور وقع الرعب في قلوبهم ففاجاهم وضرب فيهم بقلب
مقروح من فعل ملكهم وكان كلما تخلص واحد من الاسرى انقض الى سلاح مقتول فاخذهُ وركب
من الخيل الشاردة وانحدر الى الميدان ولم يكن الا القليل حتى قام القتال من اول الخمسمائة فارس
ومن موخرتهم والتقى فيروزشاه بتميم فقتلهُ وكذلك فرخونراد قتل تميمة ولعب سيف الموت في
الباقين فلم ينجُ منهم من يخبر بخبر وقد امتلا من جثثهم ذلك البر لان ميمونًا وحمدونًا وطيل وطيلا
قد وصلا ايضًا حيث انهُ كان قد شغل فكرهم لغياب سيدهم فاعتمدوا ان يتأثروه ولا يتركوه
وحدهُ فوصلوا والحرب قائمة فباشروها وكانت ساعة على الاعداء عظيمة الاهوال محتهم
عن اخرهم .

ولما هدأ البال وراقت الحال اجتمع فيلزور بفيروزشاه فقبلهُ وقبل ولده وسلم عليهما وشكرهما
على فعلهما وكذلك بقية البهلوانية تقدمت من فيروزشاه وقبلت ايديهِ وسلمت عليهِ فقبلهم وقربهم
منهُ ونزلوا يرتاحون برهة في تلك البقعة وقد اسعادوا الحديث من فيلزور فاعادهُ من اولهِ الى
اخره مفصلاً وكيف كان غدر الشاه سرور بهم وكيف اتحد مع طومار وانهُ كان في نيتهِ قتلهم ولو
تاخر بهروز دقيقة واحدة لكان قضي عليهِ قتلاً . فهناوه بالسلامة وحكوا لهُ كل ما توقع لهم مفصلاً
من حين خروجهم من ايران الى حين ملتقاهم وبعد ذلك قال فرخونراد فلنعد الان الى المعسكر

ومنهُ نسير الى القتال خوفًا من ان يقع على عساكر الاعجام امر نكرههُ لان طومار لا يصطلى لهُ بنار فاذا اصاب احدًا من بقية الفرسان ربما قتلهُ او اوصل اليهِ اذاه قال اني اعلم ان طومار ينتظرني فلا يبدي امرًا مكدرًا قبل وصولي لانهُ اقسم بهلاكي قبل الجميع وليس من الراي ان نسير الى الجيش ونترك القلعة الجميلة قائمة في مكانها وقد كان في نيتي هدمها من حين اسرت منها قاطرًا وقطيرًا والان اقسم بالرب العظيم اني لا ارجع الى ابي ما لم ادمر هذه القلعة واسحقها الى اساساتها قال فرخوزاد الا تعلم ان هذه القلعة حصينة جدًّا ولا نقدر على هدمها ان لم نفرغها من الجيش وقد اعهد الشاه سرور امر حفظها الى احد امرائهِ وهو طوغاب اليمني ومعهُ الف فارس وهولاء اذا كانوا داخل القلعة جوها من الوف والوف الوف من الفرسان لان نوافذها عالية جدًّا لا يدخل اليها الا من باب حديدي سميك يتجه الى جهة مرامي القلعة فمن قصد الدخول من هذا الباب رماه سكان القلعة بالنبال فاوقعوا بهِ واهلكوه ولذلك لا يدخل اليها الا برضا اصحابها ويمكننا ان نعود اليها بعد فراغنا من قتال الشاه سرور وطومار قال ان الامر لا يحتاج الى التاخير وسوف ترى كيف اهدمها بوقت قريب ثم اطلق لجوادهِ العنان فتبعهُ المقدمون والفرسان يقصدون القلعة الجميلة ولا زالوا الى ان قربوا منها في منتصف النهار التالي فنزلوا بالقرب منها واذ ذاك اخذ فيروز شاه قلمًا وقرطاسًا وكتب كتابًا الى طوغاب محافظ القلعة يقول لهُ فيهِ اعلم اني انا فيروز شاه ابن الملك ضاراب قد عدت من بلاد الزنوج ظافرًا منصورًا ورجعت للانتقام من الشاه سرور وفي اثناء طريقي بلغني ان طومار الزنجي قد اسر بعضًا من فرساننا وارسلهم الى القلعة لتحافظ عليهم خوفًا من ان يتخلصوا فاسرعت الى منتصف الطريق وخلصت فرساني وبهلوانية بلادي بعد ان قتلت تميمًا وغيمة ومن معهما من الفرسان وسرت بعد ذلك الى هذه القلعة لاستلمها منك فاذا سلمتني اياها كان لك الخير العظيم والاكرام الجزيل والا انزلت بك البلاء وانت تعلم عظم اقتداري وتسمع بعلو همتي ولك برهان قاطع ما اوصلت الى قاطر وقطير قبل ان دخلت بلادكم ولم تحمها مني هذه القلعة . فالحذر من الممانعة بل بحال وصول تحريري هذا اليك بادر الى الاجابة وارضى بخدمتي تجد مني ما يرضيك ويسرك . ولما فرغ من التحرير سلمهُ الى بهروز وقال لهُ عجل بالجواب وانظر في امر القلعة ومن اين يمكننا الوصول ال داخلها وكيف نقدر ان نستلمها اذا امتنع طوغاب عن تسليمها . قال سمعًا وطاعة وانطلق حتى وقف على باب القلعة فطرقهُ وصاح على من داخلها بان يفتحوا بابها ووقف ينتظر الجواب واذا فتحت نافذة من اعاليها وطل رجل وسال بهروزًا عما يريد قال بيدي تحرير من فيروز شاه ابن الملك ضاراب الى الامير طوغاب واريد ان اسلمهُ اياه بيده وارجع منهُ بالجواب . قال ان الباب لا يمكن فتحهُ ولا تقدر على ان تدخل القلعة واننا نرسل اليك خيطًا من هذه النافذة فاربط بهِ التحرير ومثل ذلك نفعل بالجواب . قال بهروز ان سيدي امرني

ان اسلمهُ اياه بيده . قال ندعوه الك فتسلمهُ اياه من هذه النافذة ولا تطمع قط بفتح الباب ولما وجدان لا سبيل الى الدخول طلب ان يرسل اليهِ خيطاً كما تقدم فدلوا لهُ الخيط وربط بهِ التحرير فرفعوه الى فوق واخذوه الى طوغاب ففضهُ وقراه وعرف ما بهِ وقال ايظن فيروزشاه ان القلعة القلعة تسلم اليهِ بالوعد والوعيد واني سانظر ماذا ينفع تهديده الا يعلم انهُ لو جاء بكل عساكر ايران وفرسانها لامتنعت عليهم القلعة ولا قدروا على ان يستلموها . ثم كتب الجواب يقول فيهِ ان لا سبيل الى تسليم القلعة الا بامر من الشاه سرور فانهُ اوصاني بالحفظ عليها كثيراً وان لا افتح ابوابها لاحد من اهل اليمن فكم بالحرى لاعداء دولتنا فلا رجاء لكم بذلك ولا اخون سيدي واني ادافع واما نع حتى الموت ثم ختم التحرير و بعثهُ بالخيط الى الاسفل فاستلمهُ بهروز وعاد الى ان وقف بين يدي سيده فدفعهُ لهُ فاخذه منهُ وقرأه واذا بهِ الامتناع عن التسليم فتكدر من ذلك وقال لبهروز الا رايت طريقاً للدخول اليها قال بلى يا سيدي فاني امعنت الفكرة كثيراً وطفت حولها مراراً فلم ارَ الا سبيلاً واحداً صعباً وهو اني وجدت في اعالي القلعة نافذة صغيرة مدورة مشبكة بالحديد وتحتها شجرة كبيرة عالية انما توصل الى نصف المسافة بين الارض والنافذة فعرفت اني اذا تسلقت اعلى الشجرة اقدر ان ارمي بالكلاليب الى النافذة فتلحق بها وتعلق في حديدها وبذلك انصب سلماً من الارض الى النافذة غير انهُ لا يمكن ان يدخل منها الا انا وانت فقط ومتى دخلنا اسرع انا الى فتح الباب فتدخل بقية الفرسان بينما تكون مشغلاً بالمدافعة عني قال اسرع بالعمل ودبر السلم . فاخذ بهروز في تهيئة سلم من الحبال طويل يمكن نصبهُ من الارض الى النافذة وربطهُ بالكلاليب وصبروا الى ان قدم الليل واشتد ظلامهُ فقدموا لجهة القلعة وكان ميمون قد رجع من النهار الى الجيش وجاء بهِ الى القلعة وسار فيروزشاه وبهروز الى الشجرة المذكورة فتسلقها وصار في اعلاها ونظر الى النافذة واحكم وقوفهُ الى جهتها ورمى بالكلاليب فاصابت حديد النافذة وتملكت فيها فتمطى بالحبال وشدها فوجدها قوية متينة فعلم انها قد تشبكت جيداً بالنافذة فاخذ حبال السلم وربطها بها وسحبها ببكرة معلقة باعلى الكلاليب ثم شد حبل الكلاليب الى الشجرة وسقط الى الاسفل وقال لسيده ان الامر قد قضي على اتم ما يرام فاتبعني على هذا السلم ثم صعد على السلم وتبعهُ فيروزشاه ولا زالا يتدرجان سلم الحبال الى ان قربا من الوصول الى النافذة واذ ذاك وقف بهروز واوقف سيده وقال اصبر لنمتحن اذا كان عند النافذة احد خوفاً من ان يغدروا بنا اذا شاهدوا رؤوسنا قد طلت . ثم اخذ قبعتهُ فوضعها على خنجر ورفعهُ في يده حتى اوصلهُ الى جهة النافذة ورفعهُ وانزلهُ مراراً دون ان يرى حركة فقال لا خوف اذاً ثم تمسك بحديد النافذة واخذ من وسطهِ المبرد فقطع الحديد وفتح لهما طريقاً للدخول فدخل وقفز الى ارض الغرفة وفعل مثلهُ فيروزشاه واذ ذاك اخذا في الدخول واشغلا الصياح في القلعة لما شاهدا ان

القوم قد احتاروا منها ولا سيما طوغاب فانهُ سمع الصياح وسأل عن الخبر فقيل لهُ ان الاعداء دخلوا القلعة فتعجب ولم يعلم من اين دخلوا فاخذ سيفهُ وخرج من غرفتهِ فوجد فيروزشاه ينادي باسمهِ ويضرب بالفرسان فيلقيها الى الارض و بهروز يسير من امامهِ ساحبًا بيده خنجره وكل من وقع بطريقهِ القاه بضربة في صدره وهما يسيران الى جهة الباب فعلم قصدهما وكانت القلعة واسعة وقد تعلق بجدرانها مصابيح كثيرة فاتسع المجال على فيروزشاه وطاب لهُ القتال فاخترق الصدور وقطع الروس وشرد النفووس فعارضهُ في طريقهِ الامير طوغاب وظن انهُ ينال منهُ مرادًا ولا يعلم ان فيروزشاه لا تثبت امامهُ الجبال الراسيات وما جال معهُ الا القليل حتى شعر ان سيفهُ يخترق صدره فوقع الى الارض قتيلاً وكان اكثر العسكر في الطبقة السفلى ولما وصل بهروز الى الباب فتحهُ فاندفعت الفرسان الى الداخل وباسرع من لمح البصر اهلكوا من كان باقيًا داخلها وهنأوا فيروزشاه بسلامتهِ لانهُ خاطر بنفسهِ بصعوده وحده على ذلك السلم ثم قال فيلزور الان قد ملكنا القلعة فانفذ غايتك فيها ودعنا نرجع الى الجيش فان اباك في حالة يصعب شرحها ولا سيما بعد علمهِ بارسالنا الى هذه الجهة ولا ريب انهُ اذا علم بقدومك وشاهدك تنفرج عليهِ الحال ويفرح مزيد الفرح فهو من اجلك على مقالي النار قال صدقت فاني ارغب في السرعة مثلكم ثم امر الفرسان ان تخرج من القلعة كل ما هو ثمين فيها ففعلوا ثم امر ان تهدمها العساكر فاقتحموها بالعمدان وداروا بها من كل جهة وفيروزشاه وفيلزور وبقية البهلوانية يفعلون كفعلهم فانهم ما ضربوا حائطًا الا ودمروهُ الى اسفلهِ ودام عمل العساكر في القلعة الى ان اشرق الصباح فاصبحت خرابًا لا حجر منها فوق حجر فسروا من ذلك وشكروا الله على نوال غايتهم وبعد ان استراحوا واكلوا شيئًا من الزاد نهضوا وساروا الى جهة العساكر وهم يطلبون سرعة الوصول وفي اثناء مسيرهم وقف فيروزشاه واطرق الى الارض فسالهُ فرخوزاد وفلزور عن السبب فقال عليَّ ان اصل الى ابي وجوادي الكمين في المدينة قال فرخوزاد ان جوادك لا ريب عند عين الحياة حيث اوصيتها ان تطلبهُ من ابيها وتبقيهِ عندها ولذلك يصعب الوصول اليهِ ويمكنك بعد وصولنا الى حضرة ابيك ان ترسل احد العيارين فيطلبهُ منها ويأتينا بهِ قال لا بد لي من ان اقابل ابي وانا على ظهره فان ذلك مما يسره ولا اريد ان اقاتل طومار وانا على غيره ولذلك ساعرج لجهة المدينة فاما ان تنتظروني هنا واما ان تسيرون امامي وتتقدمون قليلاً واياكم من ان تدخلوا الجيش قبل ان اعود اليكم فقال فرخوزاد اذا كنت لا ترعوي عن عزمك فاني اسير برفقتك ونصحب معنا بهروزا

ولما اتفقوا على ذلك سار فيروزشاه ورفيقاه الى جهة المدينة وفيلزور اقام بانتظارهم على امل ان يسير واياهم الى الجيش باحتفال وعظمة ولا زالوا سائرون حتى قربوا من ابواب المدينة

فشاهدوا جثث الفرسان على ذاك البساط يحوم عليها البوم والغربان فقال فيروزشاه لا ريب ان القتال كان واقع هنا عندما كان الظفر بيد الاعجام واما الان فقد تاخروا فتتبعهم اليمنيون ولا بد لي من ان اعيدهم الى داخل المدينة بذل وانكسار وهذا اكبر دليل على انكسار قومنا ثم تقدموا مسرعين لجهة المدينة وقبل ان يدخلوا في احدى ابوابها وجدوا رجلاً من اهالي اليمن خارجًا منها يقود خلفهُ الكميت وهو مسرج بسرجهِ الذهبي المرصع بالجواهر فلما راه فيروزشاه انعطف قلبهُ اليهِ وانقض عليهِ على غير وعي لانهُ كان يحبهُ جدًّا ولم يرَ جوادًا نظيره في كل سفرتهِ وتقدم من الرجل وسالهُ الى اين يقود هذا الجواد . قال انهُ كان عند ستي عين الحياة من قديم ففي هذا اليوم دعتني اليها وقالت لي اريد منك ان توصل هذا الجواد الى ابي وقل لهُ ان بنتك تذكرت انهُ يلزمك اثناء الحرب فلا بد ان يركبهُ احد فرسانك الشداد فيقاتل عليهِ وهو بعين راكبهُ على البراز لانهُ نادر الوجود في هذا الزمان . قال فيروزشاه دعهُ عنك وارجع الى سيدتك وقل لها ان صاحب الجواد قد اخذه فكوني براحتك وهو يشكرك على حفظك اياه الى حين ايابهِ فنظر اليهِ الرجل واحدق بهِ وهو مرتاب في امره وقال لهُ كيف اتخلى لك عن الجواد وستي قد امرتني ان اسلمهُ الى ابيها . قال لا تفيدك الممانعة ولا تجديك نفعًا فارجع واخبر عين الحياة بما رايت ولا ريب في انها تسر منك وتجزيك بالخير والانعام والا اذا مانعت اخذتهُ بالرغم عنك وربما فقدت حياتك لاجلهِ . فلما سمع الرجل كلامهُ خاف على نفسهِ فقال لهُ خذه ياسيدي انما اعلمني عن اسمك قال اسمي صاحب الجواد والصور . ثم اخذ فيروزشاه قبضة من الذهب ودفعها الى الرجل واوصاه بان يهدي عين الحياه سلامهُ ويقول لها انهُ سيقاتل عليهِ كما امرت ويعيد النصر الى اهلهِ ويقتنص ظبيتهُ اينما كانت فرجع الرجل وسار فيروزشاه وهو يشكر الله على الهامهِ بالمسير الى اخذ جواده وفيما هو يفكر بعين الحياه وقد استحسن عملها قال لهُ فرخوزاد الا رايت يامولاي فعل عين الحياة فلم يكن في عهدي انها تخونك وقد صدق من قال ان النساء قليلات الامانة . قال لا اعهد فيك الغباوة الى هذا الحد فما عين الحياة الا حكيمة عاقلة خبيرة مع انك تعلمت معي عند استاذ واحد فكان من اللازم ان تدرك معنى بعث الجواد من اول سماعك كلام الرجل قال لم ادرك الا ان عين الحياة قد بعثت بالجواد الى ابيها ليستعين بهِ على قتال ابيك مع انك اوصيتها بالمحافظة عليهِ وان تبقيهُ عندها الى حين رجوعك فكان من الواجب اذا كانت قطعت الرجاء منك ان ترسلهُ الى ابيك ولا تسلمهُ الى عدوك وان كان ابيها . قال لو كان في زعم عين الحياة كما زعمت لسلمت الكميت الى ابيها من بدء القتال غير انها حافظت عليهِ الى حين بلغها خبر وصولي وتاكد عندها اني ساقاتل في جيشي بعثت بالجواد الى معسكر ابيها لعلمها اني اذا رايتهُ لا اتخلى عنهُ بل اقتل كل من يملكهُ واستخلصهُ منهُ ولو كان دونهُ الوف الوف من الفرسان وقصدت بذلك وصولهُ

الي بهذه الطريقة وهي عين الصواب . ولم يكن الا القليل حتى التقوا بفيلزور والعسكر وساروا جميعًا نحو ساحة القتال وفيروزشاه في وسط القوم تحت الرايات والاعلام تحدق به الفرسان من كل جهة ومن تحته جواده الكمين برجج بجواهر كانها النجوم ذات الانوار . ومن حوله فرخوزاد وابوه فيلزور وكانا فرحين بلقاها غاية الفرح والسرور وهما الى جانب بعضهما

فهذا ما كان من هولاء ولنرجع الى حديث عين الحياة لاننا ذكرنا كثيرًا ما كانت تلاقي بعد حبيبها وما وصل اليها من الحزن حتى نحل جسمها وخارت قواها ولم يكن احد يعلم سببًا لذلك غير هي وقهرمانتها اسما و بنت قهرمانتها شريفة اللتين كانتا تلازمانها في كل الاوقات وتسليانها عن مصائبها وكان ابوها يعلم شيئًا من ذالك غير انهُ كان لا يحب ان يظهره املاً ان تتسلى بنتهُ وتترك ما هي عليهِ مع طول الايام خوفًا من توبيخات ضميره بغدره بفيروزشاه ورفيقهِ وقد صرف جهده الى تسليتها وتعزيتها بالملاهي وعرض عليها السفر مرارًا وهي تمتنع وتدعي ان مرضًا داخلها لا يمكنها من السفر والتنقل من مكان الى مكان . ولما وقعت الحرب بين ابيها والملك ضاراب خرج ابوها ولم يعد الى المدينة انما كان يرسل دائمًا بالسوال عن صحتها ويخبرها بالنصر الذي نالهُ بواسطة طومار الزنجي فكانت تكدرها كل هذه الحوادث ولا ترغب في نجاح طومار

فذات يوم بينما كانت جالسة في غرفتها وبين يديها قهرمانتها وبنتها تعزيانها وتسليانها وتسألانها ترك البكاء والحزن وهي لا تزيد الا نوحًا وتعدادًا وقد قالت لهما كيف لا ابكي الم اخسر حبيبي فيروزشاه خسارة لا ترد بعد ان وصل الى يدي واملت قربهُ حتى على الدوام او كيف لا انوح وانا التي كنت السبب في وقوع المصائب عليهِ لاني لم انصرف تصرف العقلاء ولو لم اقتل ذاك العبد على السطح لما جرى ما قد جرى ولا اطلع احد على حبنا ولا عرف احد بهِ وهو داخل قصري بالقرب مني او ليس لاجل صوني من اللئام وخوفًا من وقوعي بيد هولئك او الشاه روز فعل ما فعل وصانني من السبي ومنع عن ابي الخراب فانتج فعلهُ هذا وقوع العداوة بين طومار وهولئك و بينهُ او كيف لا اقتل نفسي وانا التي جررت كل هذه العساكر الى الحرب حتى كاد يهلك اكثرها ومع كل ذلك لم يكن من سبيل الى الوقوف على خبر من جهة الحبيب يجعلني ان اعلق الامل برجوعهِ او بالحري اسمع خبرًا عن حياتهِ . وفيما هي على مثل ذلك واذ دخل عليها رسول ابيها فحياها بالسلام وقال لها ان اباك قد بعثني لاخبرك ان طومار قد اسر فيلزور البهلوان وعول على قتلهِ في هذا اليوم ولذلك لم يعد من رجاء للاعداء وفي الغد او بعده يجلون عن هذه الديار وهم اذلاء مقهورون وتنهب عساكر اليمن والزنوج اموالهم وامتعتهم ولا يعود بعد ذلك تقوم لهم قائمة وما فرغ الرسول من كلامهِ حتى شعرت بانسحاب روحها من جسدها واشارت الى الرسول ان يذهب فذهب وعند ذهابهِ مزقت ثيابها ولطمت على خدودها وكادت ان تقتل

نفسها وصاحت واخيبة الرجاء وقطع الامل كيف عاد من الممكن ان يرجع السلام بين هذين الدولتين وهل اذا قتل فيلزور يسكت الملك ضاراب عن الاخذ بثاره او هل اذا عاد فيروزشاه وفرخوزاد وعلما بقتل فيلزور يصبران عن قتل ابي فالان قد اشتدت العداوة واتسع خرق الخصام ولم يعد من امل الصلح وبينما هي على مثل تلك الحالة تندب حظها وتذم الزمان وتطلب الموت لتلحق بمن سبقها واذا باحد خدمها وقد وقف بين يديها وقال لها اني اتيتك بخبر جديد قد وقع بين عساكرنا بما اضعف حالة الجيش ورماه بارتباك لم يكن بعده ارتباك فمالت اليهِ باذنيها وانفتحت علائق قلبها على غير قصد وشعرت كأن قواها قد تجددت وسرى في جسمها ساري روح جديدة منعشة وقالت لهُ ماوراءك من الاخبار وماذا جرى في الجيش . قال ان سيدي كان قد عزم على قتل فيلزور عندما اسره طومار وبينما الجلاد يدور من حواليهِ واذا برجل عيار من عياري العجم لطم الجلاد لطمة قوية القاه الى الارض واخرج من جيبهِ كتاباً دفعهُ الى ابيك مكتوب عند عنوانهِ ان يقرأ علناً بصوت عالٍ مسموع من كل من حضر وقد رايت العجب في بادىء الامر فان اباك لما اخذ الكتاب اصفر وجههُ ورجفت يداه وكذلك طيفور فقد ادركتهُ رعشة عصابية كادت توقعهُ الى الارض . قالت وما هو السبب لذلك قال هو لما نظروا على ظهر التحرير ختم فيروزشاه ابن الملك ضاراب . ولما سمعت عين الحياة بذكر فيروزشاه وانهُ بعث بتحرير الى ابيها لم يعد في وسعها ان تتمالك نفسها فوقعت الى الارض وغابت عن الوعي وحكمتها نوبة قوية من تاثيرات الفرح كادت تذهب بحياتها لو لم تتداركها قهرمانتها اسما وتسكب ماء الزهر على وجهها وتضع في انفها المشمومات وتسقيها من المنعشات والمرطبات ودامت اكثر من ساعة والخادم ينظر ولا يعلم لذلك سبباً وقد ظن ان ذلك كان من ضعف جسمها وانها تكره مجيء فيروزشاه خوفاً على ابيها منهُ لانهُ عدوه الالد

ولما انتبهت لنفسها وهدأ بالها وعادت الى حالتها الاولى نظرت الى الخادم وقالت لهُ اتمِ حديثك فاني لا اعلم سبباً لما اصابني قال يا سيدتي كفاك ما جرى عليك واخاف ان يزيد عليك الحال اكثر من ذلك لان فيروزشاه تخلص من الاعداء وجاء . قالت احكِ ماحواه الكتاب مفصلاً فلا خوف عليَّ بعد وقد انفتح في جسمها الوف من الاذان والاعين . فقال لها لو كنت اعلم يا سيدتي ان هذا الخبر اذا وقع عليك بغتة يلقيك بهذه الحالة لما جسرت ان ابثهُ دفعة واحدة واما ما تضمنهُ التحرير ان فيروزشاه قد تخلص من السجن واطلق سبيلهُ فقتل هورنك وكل عاصٍ في بلاده وقتل ايضاً صفراء الساحرة وقطران شاه وايران شاه وملك على كل جزائر الزنوج واقام حاكماً من قبلهِ على جزيرة الطيور وجاء بخمسة وعشرون الف فارس من الزنوج ينقادون لامره وهو يامر اباك ان يخرج الى ملاقاتهِ فيسامحهُ عما كان قد اساء اليهِ وان ابي يتهدده بالخراب والقلعان

ولما سمع ابوك ما في التحرير اخر قتل اسرى الاعجام وقرّ رايهم على ان يبعثوهم الى القلعة الجميلة ولذلك رجعت اليك اخبرك بهِ قالت اصبت باتيانك اليَّ فاني ارغب في كل دقيقة ان اعرف ماذا يجرى على ابي وما يكون لهُ مع فيروزشاه لعلمي انهُ من اشد الابطال وان ابي لا ينال بوجوده غرضًا فعد انت الى الجيش وعد اليَّ عند سماعك الاخبار الجديدة اي بعد وقوع الحرب بينهما فمن اسر او قتل فعد واخبرني بهِ . ثم امرت لهُ بجائزة وصرفتهُ واقامت بعده تصفق من الفرح والمسرة وقد عادت اليها قوتها وشعرت بلذة المعيشة وطلبت نفسها شرب الخمر. فقالت لقهرمانتها ان كان لك رجاء فيَّ فاليوم هو لانني لم اكن اسمع قبل الان كلما تذكرينهُ لي حيث كنت لا اريد بعد حبيبي تعزية ولا اطلب سلوة ولم اسمع باسمهِ مرة الا وتقطعت احشائي وطلبت الموت تخفيفًا لمصائبي وكان اذ ذاك رجائي ضعيف جدًّا بمجيئهِ واما الان فقد رفعت عني اثقال تلك الاوجاع فها جسمي صحيح لم يكن بهِ ما يشتكيهِ وها قواي قد تجددت وقلبي مملوء من الفرح والسرور فاحضرى لي الصور التي حجرتها من حين غيابهِ وصفي لي بواطي المدام وروقي صافي الخمور واكثري لي من ذكر حبيبي فيروزشاه فها قد عاد اليَّ والسعد يخدمهُ وعما قريب ترين هذه الحرب قد انتهت اما بالصلح والسلام واما بالنصر لهُ وسوف يقتل طومار الخبيث العاتي ويكون لهُ الاسم الاول بين الفرسان

فما صدقت قهرمانتها ان سمعت منها هذا الكلام حتى اسرعت الى انفاذ مقاصدها وهي تشاركها بالفرح والمسرة لانها كانت ترغب في راحتها وهنائها كونها ربتها وصرفت حياتها بقربها وقد قدمتها على كل جواريها وخدمها واعهدت اليها بسرها واتخذتها مشيرة لها ومدبرة لاحوالها وباسرع من لمحة نظر احضرت لها كل طلبها ووضعت الصور الثلاث بجانبها ودعت سيدتها وجلست على كرسيها وتناولت قدحًا من الخمر فشربتهُ وهي تكاد لا تعرف نفسها افي يقظة ام في منام وانشدت

ايا قمرًا من وجههِ طلعة البدر	ويا رشا من لحظهِ صنعة السحر
حكيت القنا والبيض لحظًا وقامة	فمن اجل ذا ارتاح للبيض والسمر
وحقك لولا البدر يحكيك طلعة	لما طمحت عيني الى روية البدر
ولو لم يكن الخمر في فيك نسبة	لما كنت اصبو عند ذكراك للخمر
فيا نازحًا عن مقلتي وهو حاضرٌ	بقلبي لقد افرطت في الصد والهجر
ويا فاتكًا عيناه قد طلتا دمي	واسلمتا قلبي الى نوب الدهر
ترفق بطرف دمعهُ فيك مطلق	وقلب من الاشواق في اوثق الاسر

وشربت من الخمر ما كثر مقداره وفي كل دقيقة ترمي بنفسها على الصور وتقبلها وتمرغ بوجهها عليها وتضمها الى صدرها وقد طاب لها الوقت ولذ لها الهناء وسهل لديها تذكر حبيبها وافرطت

من كثرة ما رددت من الاشعار التي منها

قلبي من الاشواق لاهف | والدمع من عيني ذارف
ابكي ودمعي لم يزل | احدًا بحالي غير عارف
لو لا المحبة يارفيقي | لم يلن قلبي لعاطف
ارعى النجوم ولي فوا | دٌ من دواعي البين خائف
اصبو اذا غنى على | اعلا غصون الدوح هاتف
ويشوقني برق بدا | من جانب الاحباب خاطف
فوحق اغصان القدو | د ولين هاتيك المعاطف
وصباح مبيض الجبيـ | ـن وليل مسود السوالف
ولواحظ فتاكة | في جفنها هاروت عاكف
ومراشف عسالة | ياحبذا تلك المراشف
وموافق الذل التي | عرفتني ذل المواقف
اشكو الغرام وارتجي | من متلفي حسن العواطف
ماحلت عنك وليس يصـ | ـرفني من الاشواق صارف
واذا اسات فانها | عندي تعد من اللطائف
فسقى الاله زماننا | ورعى ليالينا السوالف
ايام كنت لعاذلي | وللائمي فيها اخالف

ومنها وهي تشكو ثقل البعاد وتتأوَّه عن حرقة فواد

فواد ابى الا التوسع في الحب | ولم يرضَ بعد البين يسكن في جنبي
وطرف قريح جفنهُ قاطع الكرى | وواصلهُ دمع يفوق حيا السحب
تساعد قلبي في تلافي وناظري | فخذ ليَ حقي منهما انت يا ربي
فطرفي اذا ما رمت امساك دمعة | يزيد على خدَّيَّ سكبًا على سكب
وقلبي طلبت الصبر منهُ فخانني | فما للهوى ذنب اذا خانني قلبي

وكان كثير تناشد الاشعار يزيدها من شرب الخمر وهي لا تشعر بثمول ولا ترى في الرجوع عنهُ صوابًا وقد غاب عن ذهنها كل ما مرَّ عليها من الاحزان والاكدار ولم ترد ان تتذكر هاتيك التذكرات المؤلمة الموجعة ولم تعد ترى في حالتها الحاضرة وفي مستقبل تعد نفسها بهِ وترجوهُ عن قريب وهي لا تدري من دون ذلك من المصاعب بل كان كلما يخطر على بالها ان الموانع قد زالت والتجاريب قد انتهت وتقلبات الدهر قد استوت وجاءت الايام تنيها حق الهناء وتصالحها

بالاجتماع بحبيبها عما جنتهُ ضدها قبل ذلك من جنايا التفريق والتباعد فكان يلوح لها من خلال تلك الاوهام قوام فيروز شاه وهو يدنو منها بقدم ثابت وعزم جري وهو ينظر اليها بعين مملوءة من الحنو ويبسم امامها عن ثغر يفترعن شنب بقوام يذري بالاغصان وجبين ساطع اشرق ببعض نوره النيران . ووجه يتدفق بتموج المحاسن فيطفو عليهِ من الجواذب ما يذهب بعقل كل انسان . وكان ذلك يشغلها ولا ترى غيرهُ امام عينيها وقد رأتهُ بعين التصور اذ ذاك ربَّا يتجلى عليها من سماء اللطف والكمال و يتقلب على بسط الجمال على سائر الاحوال وكان لسان فكرها يناديهِ بقولها

هاتها هات نصطبح يا نديمُ	قد تناهت خطوبنا والهمومُ
ليس ينفي الهموم غير شمولٍ	كم حساها فابرئهُ سقيم
هي شمس والهم ليل وليس الـ	ـليل والشمس في الوجود يدومُ
علنا نقطع الزمان سكارى	لا نبالي بما جرى يا نديمُ
فلنا اسوة بهذي البرايا	كيف نخشى البلاء وهو عميم
انما الامر للاله تعالى	وهو برٌّ بالعالمين رحيمُ
ما لنا والحرب نحن اناس	ما لنا طاقة بشيء يضيم
هيا شرب الطلا وهوانا	من قديم هذا الشراب القديم
اترك الناس في يصير ويجري	ويجيبوا ويقعدوا ويقوموا
واسقنيها واشرب ثلاثا ثلاثا	هكذا حكمها وانت حكيمُ
لا تصل بالصبوح غير غبوقٍ	وتجنب في شربها من يلومُ
ان كل الحياة كاس مدارٌ	ونديمٌ حلوٌ وساقٍ كريمُ

وكانت هذه حالة عين الحياة كل ذلك النهار وذلك المساء والليل بطولهِ ولم تنم الا في صباح اليوم الثاني ودامت في نومها الى ما بعد العصر ثم قامت وامرت بتجديد صفرة المدام وان يوتى اليها بالصور واقامت بينها الى اخر الليل وهي في بحر من اللذة لا تعرف مقدار عمقهِ وعليها من حلل البهاء ما لا يبلى بيد الاقدار وقد اعاد اليها هناؤها رونقها و بهاءها فكانها لم تقاسي ما قاسته ولا لاقت شيئًا من كل ما تقدم حديثهُ اثناء غياب فيروز شاه وقد سرَّت من حالتها هذه اسما وشريفة وقالت لها اسما كنت اخاف عليك من جرى النحول الذي كنت واقعة فيهِ ان يصل بك لشدة الحزن الى درجة لا تمكنك من العود الى سابق جمالك ولا بزمان طويل فالان اراك قد زدت عما قبل ولبست حلل الجمال الفائق واسترجعت بيوم واحد من حسنك البديع كل ما كان قد سلب منك اثناء احزانك الطويلة . قالت لها اتعجبين من ذلك مع انك تعلمين ان ذكرى حبيبي بالخير تعيد

اليّ الحياة ولو فقدتها فلو كنت مدرجة بالاكفان وبالية العظام وذكر فير وزشاه عند مسمع من عظامي البالية لنفعني وهذا مشهور ومسبوق قولهُ من كثير من العاشقين والعاشقات اللاتي هنَّ ادنى درجة بالحب مني واقل ودادًا ايضًا واضعف ميلاً الى الاحباء من ميلي . قالت لها ان الله قد جاء بالفرج بعد الضيق وقرب يوم التلاقي واسالهُ تعالى ان لا يجد مانع يمنع اجتماعك ويسهل نهاية هذه الحرب التي ربما تاتي بعاقبة مشؤمة نجهلها . قالت اني لا اعد افكر مهما كانت العواقب ثقيلة بشرط أن تكون بعيدة عن فير وزشاه وان يكون سليمًا منها فما زلت اسمع انهُ بخير وانهُ على حبهِ باق لا يتغير اومل نهاية المصائب مهما كانت تقلباتها حسنة موافقة لي ومن الموكد عندي انهُ محبوب من الصدف موفق من الزمان لا نقدر ضرباتهُ مهما كانت ثقيلة ان توثر فيهِ واي خطر يمكن ان يكون بعد اعظم من الاخطار التي وقعت عليهِ وقد تخلص منها الا سمعت قول الخادم انهُ قتل صفراء الساحرة بعد ان وقع في اسرها ومن يظن ان مثل هذه الساحرة تغلب او تقهر فمن خدمتهُ الليالي وسالمتهُ الايام لا يخاف عليهِ من شيء ولا يرجى لهُ غير الخير ولا يصيبهُ ضرٌّ ولو لم يكن الله قد كتب لي نصيبًا عليهِ لما تمكن حبنا من بعضنا هذا التمكن ونحن بعيدان لم يرَ احدنا الاخر اليس ذلك كان من فعل العناية وارادتها فاعتبري بعناية الله وصدقي ان كل ما اقولهُ هو عين الحكمة والاصابة

ودامت في اطيب سرور وحبور بين شرب عقار ومناشدة اشعار الى اليوم الثالث وفيهِ جلست كعادتها ومن حولها الصور تنظر فيها وتتامل في معانيها واذ خطر في ذهنها ان فير وزشاه يكون قد وصل الى معسكر ابيهِ ولا بد ان يكون مكدر الخاطر لاجل جواده الكميت . فقالت لقهرمانتها قد غاب عنا في مدة هذه الايام التي مضت علينا ان ننظر في امر يرضى بهِ فير وزشاه ويسره ويحمدنا عليهِ . قالت واي شيء فاتنا . قالت كان من اللازم ان نسعى في ايصال الجواد اليهِ لانهُ لا بد ان يكون على مقالي النار من جرى ذلك ولا يعلم ماذا جرى على جواده ولا يعرف ان كان ابي سلمني اياه او لا يزال عنده لاسيا وهو مزمع ان يقاتل رجلاً جبارًا وهو طومار على فيلهِ فاذا لم يكن تحتهُ جواد قوي كجواده النادر المثال لا يؤمل نجاحهُ . قالت واي طريقة يمكننا ان نستعملها لذلك افي وسعنا ان نرسل الجواد الى معسكر الاعداء ونسلمهُ الى صاحبهِ مع خدمنا او احد رجالنا فذلك يلبسنا من العار ثوبًا لا يمحى وتحكي الناس بحقنا وننفضح ونقول الناس انك خنت اباك لاجل هواك وانت على يقين من انقياد ابيك الى طيفور فاذا بلغهُ ذلك لا تخلص من شره ولا لومهِ فيمنعك ابوك كل المنع من الوصول الى غايتك وربما ابعدك الى غير هذه البلاد ليضعف بذلك حبك لفير وزشاه ويميتهُ كمدًا وينتقم منهُ باخفائك عنهُ وليس عندنا من اصحاب فير وزشاه من يقدر ان يذهب اليهِ بهذا الجواد دون ان يشيع خبر دخالك بذلك واطلاعك عليهِ فاقلعي

اذًا عن هذا العزم ولا نسعي الى الفضيحة وترتكبي الخطاء. قالت اني سارسل الجواد بطريقة تخولني شرفًا وناموسًا وتمنع عني كلما تذكرينهُ وذلك اني عزمت على ان ارسل الجواد الى ابي مع احد خدمي وارسل اليهِ كلامًا يقولهُ لهُ علنًا فيعلم الجميع براءتي من مثل هذه التهمة وهوان يقول لهُ ان بنتك عين الحياة لما كانت في شاغل من نحوك وكان همها الوحيد انتصارك على العدو تذكرت هذا الجواد وعلمت انهُ لا يفيدها بشيء وربما ينتعلك اثناء القتال فتركبهُ او يركبهُ بعض الفرسان المشاهير فينجو بهِ من الموت لانهُ يسبق ولا يسبق ويساعده راكبهُ وقت الحرب على الجولان لانهُ سريع الحركات طلق الجري. فاذا بلغ ابي ذلك يحمدني عليهِ ويشكرني. قالت وبماذا تنتفعين من ذلك فاخذ ابيك للجواد يغيظ فيروزشاه ويقلل املهُ منك اذا عرف بارسالك الجواد الى ابيك ليستعين بهِ عليهم. قالت اني اعهد انهُ من الحكمة والتبصر على جانب عظيم فاذا علم بذلك يعرف ان جل قصدي ان يرجع اليهِ لانهُ اذا رآهُ في الميدان لا يقعد عن الوصول اليهِ ولو كان دونهُ كل عساكر ابي والف طومار مثل طومار على اني مؤكدة ان ابي يدفعهُ الى بعض القواد ليبارز عليهِ ويقاتل فيخاصهُ منهُ وغير ذلك لا رجاء لنا. ثم انها دعت بالسائس فامرتهُ ان يمسح الجواد جيدًا ويلبسهُ عدتهُ الخصوصية ويسرجهُ بسرجهِ الذهبي ففعل حتى صار كانهُ الكوكب اللامع واتى بهِ اليها فاعجبها عملهُ ودعت باحد خدمها وقالت لهُ اريدك ان تذهب الى ابي بهذا الجواد وتقول لهُ ما هو كذا كذا فاذا اوصلتهُ اليهِ اكرمتك غاية الاكرام فاخذ الجواد منها وسار عنها قاصدًا الشاه سرور الا انهُ عندما خرج من باب المدينة عارضهُ فيروزشاه كما تقدم الكلام واخذ منهُ الكمين وارجعهُ الى سيدتهِ وكانت لا تزال في مكانها وهي مسرورة بعملها وتطلب ان يصل الجواد الى صاحبهِ واذا بالخادم قد عاد اليها فخفق قلبها لما رأتهُ قد عاد على عجل قبل ان يصل الى ابيها وليس معهُ الجواد فقالت لهُ اين الجواد وكيف عدت بالساعة. قال يا سيدتي اني ما خرجت عن المدينة الا قليلاً حتى لاقاني ثلاثة انفار عند باب المدينة نزعوا مني الجواد بالرغم عني فقصدت الممانعة فتهددوني بالهلاك اذا مانعت وقال لي احدهم اذهب الى سيدتك واخبرها ان الجواد قد رجع الى صاحبهِ. فارتعش من ذلك قلب عين الحياة وشغل بالها الا انها اظهرت الجلد فقالت للخادم كيف يكون قد اخذ الجواد صاحبهُ وهذا الجواد جواد ابي فمن هم هولاء الانفار وما هي صفاتهم. قال يا سيدتي ان اثنين منهما كانا يركبان على فرسين والاخر يمشي على قدميهِ بين يديهما وما اظنهُ الا عيارًا من عياري الاعداء لان ملابسهم جميعًا كملابس الاعجام فاحدهما ابيض الوجه واسع الطلعة يشبه تقريبًا مملوك الخواجه ليان الا انهُ مغبر معفر يظهر انهُ آت من اسفار بعيدة والثاني يكاد يشبههُ تقريبًا واما الرجل الماشي فهو ابيض الوجه احمر الخد واسع العينين رقيق الرجلين دقيقهما مع انهُ كبير الجسم. وقد شاهدت منهُ بعد ان ركب الجواد الذي اخذه مني واطلق لهُ

العنان انهُ يسبقهُ في الجري والسرعة فلذلك لم اقدر على الممانعة وارجوك المعذرة يا سيدتي فان لا سلاح بيدي لادافع عنهُ فلو تكلمت بكلمة اخرى لهلكت واخذوا الجواد بالرغم . فلما سمعت منهُ هذا الكلام تأكد عندها ان الذي اخذ الجواد هو فيروزشاه وقد كان قصد المجيء اليها لياخذه منها بالحيلة او باي طريقة كانت فطفح السرور على قلبها وكادت الدنيا لا تسعها من عظم الفرح وقالت لخادمها الم يقل لك غير هذا الكلام . قال بلى يا سيدتي فانهُ قال لي ان عين الحياة لا تؤذيك اذا اخبرتها بان الجواد سلم الى صاحبهِ وانهُ سيقاتل عليهِ انقياداً الى امرك ويقتنص ظبيته اينما كانت فلم افهم شيئًا من ذلك ولا علمت الا انهُ كذاب قصد اخذ الجواد . فزاد فرح عين الحياة وقالت للرجل اذهب الى مكانك فان الحق عليَّ حيث لم ارسل الجواد مع كثير من خدمي ويكون جميعهم مسلحون الا اني ما حسبت حساب الاعداء ان يكونوا عند ابواب المدينة . وبعد ان ذهب الخادم رمت عين الحياة بنفسها على كرسي من الحرير محشو بالريش النعام وهي في ابتهاج ومسرة وقد قالت لقهرمانتها الا رايت نجاح مساعينا فهل تنكرين بعد ذلك ان الله يدبرنا وان الصدف تخدمنا فانظري كيف ان فيروزشاه جاء وقت بعثي للجواد مع اني كنت الوم نفسي كيف قصرت الى هذا اليوم عن بعثهِ مع اني كنت افكر انهُ كان من اللازم ان ابعثهُ من اليوم الاول فالحمد لله على بلوغ مقاصدي واسال الله النهاية الى خير

فلنترك الان عين الحياة في مزيد هناء وحبور تسكر وتخمر وتصبو الى الصور وتتصبب عليها وتقلبها وتصرف وقتها على ما تقدم خوفًا من تكدير صفائها ولنرجع بحديثنا الى الملك ضاراب والشاه سرور اي الى ساحة القتال كوننا قد تركنا هناك الادمية تتدفق انهرًا ومددنا رواقًا من الحزن على الايرانيين ونشرنا الوية من الفرح على اليمنيين والزنوج والشاه سرور وظيفور وطومار في راحة ونعم بال وقد ثبت لديهم الفرج وتاكد عندهم النصر عندما قبضوا على فيلزور الا انهُ تبدل ذلك بالخوف والاضطراب عند الشاه سرور ووزيره لما بلغهم قدوم فيروز شاه وكان طومار يعدهما بكل ما يريح بالهما وقد علقا بهِ كبير امل وباتا يومهما على امل ان يصبحا الى القتال الى ان طومار قال اني فكرت ان لا احارب هذا النهار فاني عزمت ان ارتاح فيهِ واي خوف تخافهُ من فيروز شاه وقد نظرتم باعينكم فعلي بفيلزور ورجالهِ فليطمئن بالكم وكونوا على يقين من ثبوت النصر لنا ومن كان مثلي لا يخاف من الف رجل مثل فيروزشاه وفي الغد ان شاء الله تنقضي الاحوال ونسير الى القلعة الجميلة فنقتل من فيها واتفرج عليها واعود بعون النار وبركتها ناصرًا مظفرًا اخذًا بثاري من عدوي . ولما مضى قسم من النهار ولم يخرج اليمنيون الى القتال تعجب الملك ضاراب وقال لوزيره طيطلوس ان تاخر العدو عن القتال مما يظهر لنا انهُ جد فيهم حادث جديد اضعف منهم الامال والا لو كانوا خرجوا الينا في هذا النهار لفعلوا بنا العجائب لان

عسكري في تعب زائد وضعف ونزاع بعد ان لاقى ما لاقى من الاهوال وشاهد بعينهِ افعال طومار فوقع الرعب في قلبهِ وكاد يفقد كل قواه ولم يعد لهُ رجاء الا فيَّ وفي سيامك فياليتهم يبقون اياماً بلا قتال عسى يأتينا الله بالفرج ويكون قد ارتاح الجيش وسكن رعبهُ . قال ان صح ظني يكون رجوع الاعداء عن القتال في هذا النهار هو من طومار لانهُ تعب في اليوم الماضي من فيلزور وقد رأيت منهُ ذلك ولو ثبت جواد فيلزور تحتهُ لما تمكن من اسره غير ان الله اراد لنا هذا العذاب لغاية لا بد ان نعلمها فيما بعد

وصرفوا ذلك النهار وتلك الليلة وفي صباح اليوم الثاني نهض الملك ضاراب باكراً وجلس في صيوانهِ واجتمع عندهُ طيطلوس وسيامك ومن بقي من الفرسان واذا اخبروا ان الاعداء ينهضون للقتال . فامر ان تنهض عساكرهُ لملاقاتهم وقال لطيطلوس لا بد لي في هذا النهار ان اخرج الى الميدان والاقي طومار وانجز امرهُ وافرج عن عساكري ورجالي . فعارضهُ طيطلوس وقال لهُ ياسيدي اني لا اقدر اوافقك على ذلك واخاف عليك من طومار ان يغدر بك او يلحق اذاهُ بذاتك لانهُ يركب الفيل فما زلت انت في الجيش فالجيش ثابت مهما تعب وفقد منهُ واما اذا اصبت بضر فالجيش يتفرق بالحال والساعة ويلحق بنا الخراب وربما نستعبد لهولاء الاعداء قال لا بد لي من كبح هذا الظالم العاتي فقد تجبر وظن بنفسهِ ان لا احد بجيش الفرس يلقاهُ فمسك طيطلوس بدهِ ورمى بنفسهِ عليهِ وهو يقبل يديهِ ويقسم عليهِ ان لا يفعل وبينما هما على مثل ذلك واذا بجيوش الفرس تنفر راجعة الى الوراء وهي تصيح وتنادي بالفرار ومن خلفها طومار الزنجي يضرب بعمده في اقفيتها لانهُ ركب قبل ان تم انتظام الجيوش وعول على ان ينهي الامر بنحو ساعة من الزمان فيهجم على صيوان الملك وياخذه اسيراً ويذلهُ بعد عزه فاقتحم الفرسان وصاح فيها فارتعبت وفرت من امامهِ وما فيهم الا من يعجل في الرجوع عن نظره حتى تمزق حرس الملك ولم يبقَ امامهُ احد وشاهد الملك افعال طومار فغاظهُ وقال لطيطلوس الا ترى هذا الخادع الغادر قد قصد الهجوم علي وانا في صيواني فلا بد لي من الانتقام . ولم يعد في امكان الملك ضاراب ان يصبر الى ان يركب جوادهُ بل صاح بصوت ارتجت منهُ تلك الوديان . وجفلت من عظمتهِ اسود تلك الغابات واخذ بيده دبوسهُ وهو من الحديد ثقيل العيار فاداره بيده عدة دورات . حتى تمكن من مقابلة طومار وحذفهُ بهِ بعزم يهد الجبال ويزيحها من اماكنها فخرج الدبوس من يد الملك ضاراب كانهُ صاعقة في اشتداد انقضاضها واصاب صدر الفيل وفي الحال سمع لهُ صوت قوي يدل على المهِ ووقع الى الارض من عظم الضربة وقد غاب عن الوعي كان سهماً قد اخترقهُ ولما سقط الى الارض سقط طومار ونهض واقفاً وعاد الى الجيش وهو من الغضب في مزيد عناء وقد ارهبتهُ تلك الضربة وعجب من قوة زند الملك ضاراب على انهُ لو سقط جبل

على فيلهِ لما صرعهُ الى الارض ولا اضعف من قواه وكان عنده فيلة اخر لاجل ركبهِ قد احضرها خوفًا من انهُ اذا مات واحد منها يركب غيره فامر ان يقدم لهُ فيل قوي معهود بالجري والارتفاع وقد وقفت العساكر باجمعها عن القتال لما رات تلك الحال وخفق قلب الشاه سرور وقال لوزيره طيفور الا رايت الى فعل الملك ضاراب وكيف صرع الفيل عن بعد بضربة دبوس قد حذفهُ من يده ولو وقعت تلك الضربة على طومار لكانت اهلكتهُ والقتهُ قتيلاً الى الارض ففتح الله الفرس فانهم فرسان اشداء لا مثيل لهم في هذا الزمان ولا ريب ان الملك ضاراب هو اشدهم باسًا وهو اعظم من فيلزور وان قلبي يخطرني باننا سنخسر هذا الفوز ونرجع الى الخيبة والفشل وذلك عندما يصل الى الجيش فيروزشاه ابنهُ ومعهُ فرخوزاد وبقية الفرسان وكما ان جيش الفرس مرهب من طومار كذلك جيشنا مرهب من فيروزشاه . قال لا خوف علينا من الخسارة فان النجاح ظاهر لان طومار لو قاتل الملك ضاراب على مقربة منهُ لما مكنهُ من الوصول اليهِ والى فيلهِ ولو وقعت الف ضربة مثل هذه الضربة عليهِ لما اثرت فيهِ لانهُ يلقاها بطارقتهِ ويمنع عنهُ قوتها ويضيعها بمعرفتهِ واما من جهة فيروزشاه فلابد ان يقتلهُ طومار لان لهُ عنده ثار قديم واذا اجتمع بهِ وتذكر انهُ هو الذي قتل اخويهِ انتقم منهُ وكيف تظن اننا نخسر النصر وعندنا من الجيوش ما يكفل لنا المحاربة والثبات امام الاعداء سنين واعوام هذا اذا لم يكن بين جيشنا جيش الزنوج ولو لم يكن فينا مثل طومار فليطمئن بالك ويرتاح لذلك فكرك وفي تلك الساعة شاهدت تلك العساكر عن بعد غبارًا قد ثار حتى ارتفع الى العنان ومن تحتهِ جيش يسير الى جهتهم فوقف الجميع ينظرون اليهِ وقد تاكد عند الشاه سرور وطيفور ان هذا فيروزشاه قد جاء الى ابيهِ واما الملك ضاراب ورجال ايران لم يكن عندهم علم بهِ ولذلك احدقوا نحوهُ بابصارهم وفي ظنهم انهُ آتٍ لمساعدة الاعداء وقال الملك ضاراب بعد ان تبين لهُ عن بعد رايات القادمين اني اعجب يا طيطلوس من هذا الجيش القادم فاني كنت موكدًا انهُ لمساعدة اليمنيين ولا ازال ارجح ذلك الا انني ارى عن بعد رايتين متلاصقتين فالاولى تظهر لي انها فارسية ايرانية والثانية لا اعلم صنفها فمن اين يا ترى تاتينا النجدات من هذه البلاد ومن يا ترى يسوق هذا الجيش ولولا تنبهات قلبي الى ان فرجنا متعلق بهذا الجيش لثبت عندنا ان الاعداء يحتالون علينا غير اني ارى قلبي يميل الى الاتين ولم يعد في وسعي ان اصبر الى حين قدومهم . قال وانا الاخر معجب من ذلك فمن الموافق ان نرسل عيارًا يكشف لنا الخبر لنكون على حذر . قال اصبت ثم دعا بشبرنك العيار وقال لهُ اسرع الى هذا الجيش القادم واكشف لنا خبره واتنا بعلم اليقين عنهُ واذا اتيتنا ببشارة سارة اجزلت عطاك وزدت من انعامي عليك فانطلق شبرنك بخفة الريح حتى قارب الجيش واذا بهِ يرى رجلاً يتقدمهُ وهو ات لجهة الجيش فقرب منهُ ولما تبينهُ انهُ بهروز كاد يطير من الفرح وتقدم منهُ وسلم عليهِ

وقال له الى اين تسير وما هذا الجيش الذي في اثرك .قال اني كنت سائرًا الى سيدي الملك ابشره بقدوم ابنهِ فيروزشاه فارس هذا الزمان وسيد ابطالهِ وقد عاد منصورًا مظفرًا بعد ان قتل هورنك وملك بلاده ونشر فيها جميعها عبادة الله سبحانهُ وتعالى وجاء بعساكر الزنوج لمحاربة الشاه سرور وما عنده علم باتيان ابيهِ الى هذه الديار غير اني كشفت له الخبر باسر فيلزور وقد ارسل الى القلعة الجبيلة فسار سيدي وخاصةٌ مع بقية الفرسان وهدم القلعة الى اساساتها وعاد وعن قريب يجتمع بابيهِ فعد انت اذًا الى سيدي الملك واخبره بقرب الفرج واعلمهُ بمجيء ابنهِ واني ساعود الى خدمة سيدي واطلعهُ على امرك .قال وقد زاد من العجب والفرح ان الله قد بعثهُ في وقت الضيق فان عساكرنا لا نقدر ان تثبت امام الاعداء أكثر من هذا النهار فالحمد لله على كل حال . ثم رجع شبرنك وهو يصفق من المسرة والفرح ويعد نفسهُ بالخير الجزيل والعطاء الغزير ولما قرب من الجيش وجد الملك ضاراب بانتظاره فصاح بهِ وقال له ما رايت يا شبرنك فنادى شبرنك باعلى صوتهِ حتى سمعهُ البعيد والقريب وقال بشراك يا سيدي فليهنأ قلبك وينعم بالك وقد جاءك الفرج واتاك السعد وزال الضيق .قال وقد كاد يطير شعاعًا اوجز بمن هذا النصر وممن الفرج .قال بمن انت بانتظاره وهو الليث الاروع والبطل الصميدع وحيد هذا الزمان ومقدم فرسان الطعان من خدمت السعادة ركابهُ وتمنت شوامخ الافلاك ان تخدم جنابهُ . واصبحت الاسود في مرابضها تهابهُ . وتجوهرت الحصى عندما لمستاها رجلاه . وتضعضعت من عظم هيبتهِ اركان اعداه . فخر بلاد فارس .وقاهر كل جبار وفارس . وملين كل عنيد . ومذل كل صنديد . ابن تاج الملوك وفخرها . وراس المحسنات وصدرها . وحامي الحريم . ومكمد الغريم . ومن سحب الينا النصر تحت الراية الفارسية . وقرن اليها بسيفهِ البتار الراية السودانية وشاد لدولتكم بيتًا من المجد رفيعًا . واعد لعظمتكم بهمتهِ السعد فجاء سامعًا مطيعًا . قال ويلك يا شبرنك قد اطلت في خبرك فقد فرغ صبري فمن الذي رايت .قال رايت شمسًا ضاءت بامر الله . وقمرًا عم الاكوان نوره وسناه . واسدًا تخضع لديهِ كبار الاسود وتخشاه .اتاك يا سيدي وهو ابنك فيروزشاه . فما صدق ان سمع الملك ضاراب هذا الكلام حتى سقط على وجههِ الى الارض يلثم التراب وهو يهلل ويكبر ويسبح الله وكان شبرنك يتكلم بصوتهِ العالي والعالم تجتمع من حواليهِ وتزدحم ازدحامًا كثيفًا لتسمع منهُ خبره . ولما سمع الجميع بذكر اسم ابن ملكهم المحبوب منهم والذي يقاتلون لاجلهِ صاحوا صياح الفرح وصفقوا بايديهم فاهتزت لاصواتهم تلك الارض وسمع صوت غوغائهم الى بعد عدة فراسخ فارجف صياحهم جيش الاعداء وكانوا عرفوا بقدوم فيروزشاه فتاخروا عن القتال ووقفوا ينظرون ما يكون من الايرانيين

ودام الملك ضاراب ساجدًا الى الارض لاثمًا التراب عدة دقائق ثم رفع راسهُ ودموع الفرح

ترقرق في عينيهِ وجميع الفرسان واقفون حواليهِ وما فيهم الا من بكى من الفرح والمسرة وقال الملك أصحيح ما تقول يا شبرنك من انهُ جاء ولدي اني في يقظة نحن ام في منام . قال نعم يا سيدي جاءك والنصر معقود على جبينهِ فانهُ قتل هورنك وملك بلاده واقام حاكماً فيها من قبلهِ وعلم كل اهل تلك البلاد عبادة الله وجاء معهُ ٢٥ الفًا من عساكر الزنوج وليس في علمهِ اننا نقاتل الشاه سرور ومعهُ فرخوزاد وبهروز واني ابشرك بشارة ثانية يا سيدي وهو ان الاعداء بعد ان عولوا على قتل فيلزور ورفاقهِ ووضع فيلزور تحت سيف الجلاد اتي بهروز اليهم بكتاب من سيدي فيروز شاه يامره بهِ ان يخرج الى ملتقاه فارعب هذا الخبر الشاه سرور وتاخر عن قتل فيلزور واعتمدوا ان يرسلوهم الى القلعة الجميلة فيحبسوهم فيها ليروا ما يكون من امر سيدي ابنك فرجع اليهِ بهروز بالخبر فسار بما اعطاه الله من التوفيق وخلص فيلزور وبقية الفرسان وهدم القلعة بيوم واحد وجاء نحوك وكان قبل وصولي قد بعث ببهروز اليك ليعلمك بقدومهِ ويسالك السماح عن ذنبهِ وكان شبرنك يتكلم والملك يذرف دمعًا لذيذًا حلوًا صادرًا عن فواد حنون رقيق مملوء من شعائر الحب والرافة فقال في اخر الكلام ابن ولدي فلنسر الى ملتقاه فليباركهُ الرب وينعم عليهِ برضاه . وفي الحال نهض الملك واعتلى على ظهر جوادهِ وسار الى خارج الجيش ومن خلفهِ امراؤُه ووزراؤُه وكان فيروز شاه قد قرب من عساكر ايران وهو يسير في موكبهِ تحت الرايات والاعلام فلما شاهده جميع الايرانيين عن بعد وهو على تلك الحالة من العظمة والجلال صاحوا . فليحيَ فيروز شاه فليحيَ سيد بلاد فارس وترجلوا باجمعهم وتقدموا واما الملك ضاراب فكان لا يصدق ان يرى ابنهُ وكاد يخسر عقلهُ عندما راه يسير كالقمر ومن تحتهِ جوادهُ الكميت كالكوكب وحولهُ الفوارس صفوفًا وافواجًا وقبل ان يدنو منهُ ابنهُ ترجل عن جوادهِ وتقدم اليهِ ففعل ابوهُ كفعلهِ ليتمكن من مصافحتهِ ورمى بنفسهِ وكاد يغمى عليهِ وكان يقبلهُ والدموع تتدفق وفيروز شاه يقبل يديه ويقول لهُ اغفر لي يا ابي ذنبي لم اشعر بعظم خطائي الا بعد ان وقعت في المصائب فاحتجت الى رضاك فناديتك فافرج الله عني بسببك . خرجت من بلادي ولم اعلمك فكان ذلك عصيان على حقوقك الابوية والان قد جئتك فاقبلني . فكان كلامهُ هذا مؤثرًا في ابيهِ وفي جميع الواقفين وقد تقدم كل منهم بدوره وسلم عليهِ وساروا جميعًا الى صيوان الملك ضاراب فجلس فيروز شاه الى جانب ابيهِ ومن حواليهِ ميمون وحمدون وطيل وطيلا وكذلك جلس فيلزور ورفاقهُ وقد هناهم الجميع بسلامتهم وحمدوا الله على خلاصهم وكان باقي المهنئون افواجًا فيقبلون ايدي ابن ملكهم ويرجعون وهو جالس يخبر اباه بكل ما توقع عليهِ من البداية الى النهاية من حين خروجهِ الى حين رجوعهِ والملك يتوجع لما قاساه ويحمد الله على خلاصهِ العجيب من مثل هذه المصائب فانهُ قد قدم الى القتل مرارًا ونجا بتدبيرات العناية وكذلك وقوعهُ في يد

صفراء الساحرة وخلاصة منها واحتماله عذابها الاليم . ثم نظر الملك فلم يرَ فرخوزاد وقد فطن اليهِ ولم يرَه من الاول فسال عنهُ كيف لم ياتِ اليهِ ويسلم عليهِ . فاجابهُ فيلزور اني سالتهُ في ذلك غير انهُ في خجل منك احتراسًا ان تلومهُ على مسيره مع ولدك بدون علمك . قال اني امدحهُ ولا الومهُ فلو لم يسر مع ابني لسار وحده بدون رفيق وربما كان في ذلك ضرر كبير لا يدفع فمسيره مع فيروز شاه هو نافع لهُ . وفي الحال امر ان يدخلوه فدخل عليهِ وقبل يديهِ وهو مطرق الى الارض مظهر على نفسهِ الحياء والخجل من الملك والحاضرين فقبلهُ الملك وقال لهُ اني اشكرك على مرافقتك لولدي ومساعدتك اياه في اسفاره ومشاركتك اياه في مصائبهِ لانك لو لم تسر معهُ لسار وحده وما اخبرني فيكون بلا رفيق وذلك من الخطر العظيم والحمد لله على سلامتكما . ثم امر الملك ان يوتى لهُ بثوب من ثياب فرسان الفرس وان يرتب لهُ معاش كابيهِ وان يعد من ذلك الحين في مصاف فرسان فارس ويكون لهُ راي وقول في مملكتهِ . وبعد ذلك دعا بهروز العيار وشكره على فعلهِ وقال لهُ اني لا اقدر ان اكافيك على فعلك الجميل مع ولدي فانت الذي خلصتهُ من صفراء الساحرة فانت مقدم على عياري بلادي واني ارتب لك الرواتب الكثيرة واقطع لك القطائع العظيمة . فقال يا سيدي اني لا استحق لعملي هذا الاكرام فما انا الا عبد نعمتك وقد نظرت في نفسي واجبًا كبيرًا لخدمة سيدي فيروز شاه وهذا الشرف الذي اطلبهُ واتمناه وتحسدني عليهِ كل بلاد فارس من كبيرها الى صغيرها فمن منهم يا ترى لا يرغب في ان يكون بين يديهِ سامعًا لامره مطيعًا لنهيهِ . وبعد ذلك دعا الملك شبرنك وانعم عليهِ الانعام الزائد وقال لهُ حيث قد بشرتني بمجيء ولدي فصار لك عليَّ حق البشارة فشكره على تنازلهِ ووداعتهِ وقبل يديهِ ودعا لهُ بطول العمر والبقاء

قال وكان الفرح عامًا في كل جيوش الفرس وقد املوا النجاح والتوفيق وتاكدوا ان فيروز شاه يقهر طومار ويبيد جيشهُ ويرجع لهم فخرهم السابق وبعكس ذلك كان الشاه سرور ورجالهُ ولا سيما طيفور فانهُ كان لا يعي من شدة الغيظ والكدر وهو يذم الزمان الذي ساعد فيروز شاه على خلاصهِ ورجوعهِ بعد ان وقع في عدة مصائب وترجح عنده انهُ ان وقع في يده لا بد ان يقتلهُ لانهُ هو الذي كان السبب في ايصال كل ما وصل اليهِ من المصائب والنوائب وقد شاهد بعينهِ تلك العظمة وراه عن بعد وهو ركب جواده بين فرسانهِ وفوقهُ الرايات والاعلام وبين يديهِ الخدم والحشم فزاده ذلك بغضًا على بغض ولولا رجاءه بطومار وبما هو متجمع عندهم من الجيوش الكثيرة لدخل المدينة واختفى او هرب منها الى غير جهة من جهات العالم تحميهِ من شر عدوه وكان جل اهتمامهِ في ان يحافظ على مداومة ما ذرع البغض في قلب الشاه سرور بحيث لا ينقاد الى اميالهِ لانهُ كان يعلم ان الشاه سرور سريع التقلب وانهُ لا يكره فيروز شاه ولا يريد لهُ الشر وانهُ يميل لهُ بعض

الميل وانهُ اذا تركهُ بزوجهُ ببنتهِ ويتفق معهُ فكان شغلهُ الوحيد القاء الفساد وهو يعلم حق العلم ايضًا انهُ متسلط على عقل الشاه سرور وانهُ يدبره بيده كيفما اراد ولذلك كان يرتاح نوعًا الى الوصول الى النجاح ذات مرة ويؤكد انهُ لا يسلم بزواج بنتهِ الا برايهِ وخاطره . وكان بين جيش اليمن رجل حكيم عادل حليم رقيق الطبع ينظر في صالح نفسهِ بعين خبيرة وهو الشاه سليم صاحب المدينة السليمية وقد سره جدًّا ما راه في جيش الفرس من الفرح باتيان ابن ملكهم واكبر سروره كان بفرخوزاد لانهُ كان يحبهُ الحب الزائد ويتمنى قربهُ منهُ وقد اتخذه كولد لهُ فحفظ على عهد التبني ولا سيما انهُ يكره طيفورًا ويستقبح رايهُ وعملهُ غير انهُ يعلم بنفوذه فلا يقدر ان ياتي بامر وينتظر ان تساعده الايام فيقهره ويكيده

وبلغ الخبر الشاه سرور بما كان من امر اطلاق سبيل الاسرى وهدم القلعة فتكدر جدًّا وقال لوزيره قد جاء فيروزشاه وجاء النصر بصحبةِ ولا بد من ان تبتدىء مصائبنا من الان فصاعدًا واني على يقين اننا نغلب معهُ فياليتنا قتلنا الفرسان او بالحري فيلزور البهلوان لانهُ من طبقة طومار . قال شتان بين ذا وذاك وسوف ترى ما يحل بفيروزشاه وغيره من فرسان العجم ونقلع عنك هذا الوهم الذ نتوهمهُ

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض الملك ضاراب الى صيوانهِ فجلس في صدره واجتمع اليهِ وزرائهُ وفرسانهُ وعقدوا مجلسًا في ماذا يفعلون . فقال الملك اني عزمت على ان ابعث بتحرير الى الشاه سرور اخبره بهِ ان غايتي كانت من قبل الوصول الى ولدي والمسير خلفهُ ولذلك رغبت في الحرب وحيث الان قد جاء فاسالهُ ان يزف بنتهُ على ابني فناخذها ونعود ويرتفع بيننا الخصام فوافق الجميع على رايهِ فامر طيطلوس ان يكتب التحرير فكتبهُ وهو

بسم الله اله الفرس ورب الارض ومدبر الكون

من الملك ضاراب الى الشاه سرور صاحب بلاد اليمن . اعلم ايها الشاه اني قد كتبت لك قبلاً عدة كتب كان جل ما احتوتهُ اني اسير واباك الى بلاد الزنوج لخلاص ولدي فيروزشاه منها حيث كنت السبب في ذلك وحيث لا اقدر ان اصل الى تلك البلاد الا بالاتفاق معك وقد امتنعت ورغبت في القتال مع اني كنت اكره وقوع حرب بيننا واتمنى السلم احتراسًا على هلاك عباد الله فانهم يموتون بحد السيف لاجل تنفيذ غاياتنا الذاتية وقد وقع بيننا من الحروب ما كان يكدرني جدًّا ولا اقدر ان ادفعهُ او امنعهُ وصبرت على احكام القضاء والقدر وسالت الله نهاية محمودة العقبى والله سبحانهُ لم يخب رجائي وقد نظر اليَّ واني في حالة الضيق وسبب لي الفرج على يد اقرب انسان مني ولم يرد ان يفجعني بهِ واعاده اليَّ بهيئة ملكية فانهُ هو الان سلطان جزائر الزنوج وملكها وقد جاء بفيئة من جيشهِ وعرض عليَّ ان اسالكم الصلح والسلام لانهُ يكره ان يوصل اليكم شرًّا

ولا يرغب في اراقة دم واحد منكم . ولذلك لم يعد بيننا سبب نتخاصم عليهِ فاذا رغبت في الصلح ونظرت بعين الصواب اجبت ما اسالك بهِ وهو ان تزف بنتك عين الحياة على ابني فيروزشاه ويتصل النسب فيما بيننا وترتفع هذه الخصومة ونعود عنكم ولا نحاربكم ابداً بعد ونكون يداً واحدة على السراء والضراء وانت تعلم جيداً ان بنتك عين الحياة لا تكره الزواج بابني وانك لا ترى لها زوجاً لو صرفت حياتك بطولها اليق لها منهُ فكن بصيراً ولا تنقاد لغيرك فتندم والسلام ختام

ثم طوى الكتاب وسلمهُ الى شبرنك وامرهُ ان يسرع بهِ الى الشاه سرور ويأتي منهُ بالجواب بما امكن من السرعة فاخذهُ وانطلق حتى وقف بين يدي الشاه سرور وكان اذ ذاك في صيوانهِ وعندهُ طيفور وطومار يتشاورون في الركوب والحرب فسلم الكتاب الى صاحبهِ فاخذه ودفعهُ الى طيفور يقراهُ فقراهُ حتى جاء على آخرهِ وكان يقراهُ والشاه سرور يفكر بماذا يجيب وقد عول ان يوافق على طلب الملك ضاراب وقال في نفسهِ انهُ لا يليق لبنتي زوجاً غير هذا الاسد فقد اعطاهُ الله كل معنىً حسن ولحظ ذلك منهُ طيفور فاستدرك الحال ونظر الى طومار وقال لهُ الا رايت كيف ان الملك ضاراب يطلب الصلح وقد اتخذ وسيلة مراضاة سيدي الشاه سرور بزواجهِ ببنتهِ ويدعي ان بذلك يتعلق النسب بين الفرس واهل اليمن فهل يمكن بعد عقد زواج بين امتين اهلكتا بعضها وملئتا الارض من جثث الناس واي نسبٍ بعد اراقة الدماء وهلاك النفوس فمن منا لم يكن لهُ ثار عندهم ولا سيما انت وقد جاء وقت وفاء الدين ايظن الملك ضاراب انهُ يحمي ولده فيزوجهُ ويرجع بهِ . الا يعلم ان عمر ولده قد فرغ . فقال طومار اني اقسمت فلا بد لي من انفاذ القسم وهو ان اقتلهُ واقتل الفرسان الذين تخلصوا من القلعة الجميلة واخرب هذه المملكة وسوف ترى ما يحل بفيروزشاه لانهُ وان كان يعد من الفرسان الا انهُ لم يبارز قط فارساً كطومار . فلم يعد اذ ذاك في وسع الشاه سرور الا الامتناع عن اجابة طلب الملك ضاراب وبان لهُ ان الحق مع طيفور فانهُ اذا قبل هو بالصلح لا يقبل طومار ولا يقبل احد من جيشهِ وقد وقع بينهما اراقة دماء والكل يطلبون الثار . فكتب الملك ضاراب بالامتناع وانهُ لا يقبل الا بمداومة الحرب والقتال فرجع شبرنك بالجواب ودفعهُ الى سيده ففضهُ وعرف قصد الاعداء وحكى لهُ شبرنك ما قالهُ طيفور فقال اني اعلم ان كل هذه الامور مسببة من هذا الرجل الخبيث المحتال واني اقسم ان وقع بيدي اذقتهُ مر العذاب لانهُ يستحق الموت جزاء على رداءة عملهِ

وفي تلك الساعة نهض طومار فركب فيلهُ واعتد بعدده وركبت حولهُ الزنوج وفعل مثل ذلك الشاه سرور وطيفور واهل اليمن . ولما راى الملك ضاراب فعلهم ركب بفرسان ايران وركب فيروزشاه على جوادهِ الكمين واقام بين الزنوج والى جانبهِ ميمون وفرخزاد وبقية الفرسان

وما ترتبت الصفوف . واصطفت الالوف . الا وكان قد تعالى النهار . وانبسطت الشمس بشديد حرارتها على تلك الروابي والقفار . فانحدر طومار وفي يده العمد الحديدي وهو يزأر كالاسد وصاح بعساكر الاعداء وطلب منها البراز فعولت الفرسان ان تتسابق اليهِ واذا بطيل الزنجي قد سبق الجميع اليهِ فعجب منهُ طومار وقال لهُ ويلك الست انت من طائفة الزنوج كيف تقاتل مع هؤلاء الكفار فأتِ بقومك اليَّ فانا احميكم ممن تخافون . فقال لهُ ان من كان مثل فيروزشاه يفدى بالنفوس والارواح وقد علمنا عبادة الله وابعد عنا عبادة النار واذا دخلت انت في دينهِ وانقدت لاوامره اتوسط لك عنده واجعلهُ ان يعفي عنك وان يجعلك كبير مقدميهِ وسيداً عليهم ويرفع منزلتك فاغاظ هذا الكلام طومار وهجم على طيل فالتقاه ووقع بينهما القتال والحرب والنزال واتسع عليهما المجال واكثر من القرب والبعد والاخذ والرد حتى حمي عليهما الميدان ومضى عليهما ساعتان من الزمان وبعد ذلك صاح طومار بخصمهِ ورفع العمد بيده وضربهُ بهِ فمنعهُ بالطارقة فلم يقدر على احتمال قوتهِ فوقع على ام راسهِ فسحقهُ والقاه قتيلاً الى الارض ولما راى فيروزشاه هذا العمل كاد يطير صوابهُ فصاح وحمل وحملت من خلفهِ فرسان الزنوج وكذلك صاح فيلزور بعساكره فحملت وقد اشتدت قلوبها وفعل مثل ذلك سيامك سيا قبا وبهمنزار قبا وبهمنزار قلي ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشبيلي الطقاني وخورشيد شاه وجمشيد شاه وميمون وحمدون وطيل وحملت ايضًا عساكر ايران برمتها وعساكر الزنوج . ولم يكن الاكلمح البصر حتى اشتبك القومان . ودار بينهما الحرب والطعان . وارتفع الغبار الى العنان . وعلا ضجيج الفرسان . من كل صوب ومكان . حتى صمت الاذان . وصاح دلال المنون ينذر بالقلعان . ويبشر بخراب البلدان . وانهتاك الحريم والنسوان . وباقل مرة ساعة من الزمان . تغطى ذلك الميدان . من جثث المتقاتلين من اهالي اليمن واهالي ايران . ولم يكن يرى بين ذلك الغبار الا بريق ولمعان . ورؤوس تطاير ويدان . وجثث تقع وابدان . وسيوف تشرع وعمدان . كأن بوم القيامة قد آن . ونصب على الحق الميزان . ودعيت النفوس ليوم الحسبان . وتمنى الخائف الجبان . والذليل المهان . انهُ لا كان . وزادت الابطال والشجعان . في الكر والجولان . طلبًا لعلو المنزلة ورفعة الشان . وفعل فيروزشاه افعال مردة الجان . وقد قصد عساكر السودان . وضرب فيها بقوة عزم وثبات جنان . فمدد اكثرها على بساط الصحصحان . ورماها من حر حربهِ بسهام النيران . وفرقها في تلك البراري والقيعان . وقد شاهدت منهُ الموت بالعيان . وتلون لها الهلاك باشكال والوان . ولم تعد تعرف طريق الفرار من اي مكان . ولم ترَ سبيلاً الى الامان . ولا واسطة للاطمئنان . وكذلك فيلزور البهلوان . وسائر فرسان ايران . وما منهم الا من طاب لديها الموت وهان . فشفى فؤاده من الاعدا . وابلاهم بالمذلة والردى . ودامت الحرب على تلك الحال . وهي تضطرم بنيران الاحقاد

والادغال . وتتسعر بنفوس الفرسان والابطال . الى ان مالت الشمس الى الزوال . واسرعت الى الاختباء لتمنع القوم من القتال . وتصون ما بقي لهم من الراحة في حجر الليل . وتدفع عن المتقاتلين سر المصائب والويل . فعزف نفير الانفصال ورجع القوم عما كانوا عليهِ وهم يشكرون اتيان الليل اليهم ودعوتهُ لهم الا فيروزشاه فانهُ تكدر كيف فرغ ذلك النهار ولم تنتهِ الحرب على ما يريد ورجع وهو مضرج بالدماء ومن خلفهِ فرخوزاد وبهروز العيار يتطاير بين يدي الكمين وكان افرح الناس بعمل فيروزشاه الملك ضاراب وقد شاهد منهُ اثناء ازدحام الرجال العجائب والاهوال وقال لطيطلوس وقد كان بالقرب منهُ الا رايت كيف ان ولدي يخترق الصفوف وهو كالنجم يتساقط على القوم فما قصد جهة الا واباد من فيها فكيف لا تحبهُ امتي وهو افرس فارس في هذا الزمان واني قبل اليوم لم ارَه في حرب ولا قتال ولم يخطر في فكري انهُ يكون على هذا المنوال . فقال لهُ اعلم يا سيدي ان من كان اباه الملك ضاراب لا يتعجب اذا خرج وحيداً بين اهل زمانهِ نعم اني شاهدتهُ ورايت انهُ يفعل بعساكر الزنوج كما تفعل النار بالقش اليابس وهي تنفر بين يديهِ كما تنفر الحجال من البواشق فلله دره فان النصر معقود بقوائم سيفهِ والفخر موقوف عند عوامل عمده ولو لم ياتنا لكنا هلكنا عن اخرنا ووقع بيننا الفشل وذلك من جرى الخوف الذى لحق بجيوشنا من اعمال طومار . ولما وصل فيروزشاه الى بين يدي ابيهِ اخذه الى صدره وضمهُ وقبلهُ وقال لهُ لا عدمتك يا ولدي فانت فخر فارس ومجدها فلا عاش من يريد لك شرًّا ويرمي بك ضرًّا . فقال لهُ بعد ان قبل يديهِ ان بركات رضاك عليَّ تحميني من كل ضرّ وتدفع عني كل خطر فاسالك دوام رضاك وما انا الا عبد بلادي وخادم وطني وشريك امتي بالبوءساء والنعماء فهي مني وانا منها وكلنا منك وفيك وعليك اتكالنا وبك فخرنا . ثم عادوا الى الصيوان ونزلوا فيهِ لياخذوا لانفسهم الراحة وياكلوا شيئًا من الزاد وكذلك عموم الابطال والفرسان وما منهم الا من شخص امام عينيهِ قتال فيروزشاه وتصوره في ذهنهِ وهو يطارد عساكر الزنوج ويقتل فيها القتل الذريع لانهم لم يروا فعلهُ قبل ذلك الان ولا شاهدوه في حرب ولا طعان . فتاكد لديهم فوق ما سمعوه بالعيان وترجح عندهم انهُ يهلك طومار . اذا التقى بهِ تحت الغبار . وبعد ذلك بساعتين اجتمع جميع الفرسان في صيوان الملك ضاراب وهم يتحدثون باعمال ابن ملكهم وقد شكروه على فعلهِ واثنوا عليهِ وهنأُوا اباه بهِ . فقال لهم اني اقاتل الان بسيفكم فانتم ظهري وسندي وفخري فلولاكم لما اشتد لي حصب ولا خف مني تعب . ولا زال عني وصب . غير اني تكدرت كيف لم تنتهِ الحرب في هذا النهار اذ لا ارغب في التطويل واحب الاختصار ولا اصبر على اعمال طومار فلا بد من قتلهِ بعد ابادة جيشهِ وتفريقهِ . على اني انكدر جدًّا من كسر شوكة الشاه سرور وفهرن وارغب في ترفيع مجده وفخره ولو كان ذو عقل لفاز بسيفي على ملوك الارض لاني مستعد ان اعيره اياه اذا قبل بطلبي وخص بي ولذلك

تروني لم اقصد جهة عساكر اليمن ولا قصدت لاحد منهم الضرر ولولا العار وشرف الملك وناموس ابي الذى افضلهُ على حياتي لاخذت عين الحياة بالدسيسة وسرت بها الى بلادي الا اني اعرف ان ذلك عار يبقى على المملكة الفارسية مدى الايام وعليَّ ايضًا واطلب اليهِ تعالى ان يختم بيننا هذه الحرب ويقرب السلام . فقال طيطلوس لولا وجود طيفور وطومار لانتهى بيننا الامر وانقضى امر الزواج وعدنا الى بلادنا واوطاننا غير ان الاول لا يقف في طريق نجاحنا ومتى قتل طومار تبطل الحرب وتنقطع ظهور اليمنيين ويلتزم الشاه سرور ان يفتدي بلاده ورجالهُ بابنتهِ عين الحياة فيزوجها بالرغم عنهُ وعن وزيره . قال لا بد لي من قتل طومار كيف كان الحال

فهذه كانت حالة الاعجام في ليل ذلك النهار الذى احرزوا فيهِ النصر والتقدم واما حالة الشاه سرور وقومهِ فانها كانت حالة ياس وقطع رجاء وقد اجتمعوا الى طومار وتشاوروا في امر القتال وكان طومار قد زادت عليهِ الاكدار ونما غضبهُ لانهُ افتقد جيشهُ فوجده قد نقص كثيرًا وسال عن مقدميهِ فقيل لهُ قتلوا وذاقوا الممات وشكوا لهُ من افعال فيروزشاه ورجال السودان فانهُ ما ضرب الفارس اكثر من ضربة واحدة الا اعدمهُ الحياة وقطعهُ الى نصفين ولو لم تتخلَّ عنا لما وقع بنا هذا المصاب فقال لهم اني قصدت جيش الاعداء الخاص لانتقم لنفسي من فيلزور ورجالهِ ولم يكن في ظني ان فيروزشاه يقدم على هذه الفعال ويجسر على الدنو من جيشي دون جيش اليمن ولما اجتمع بالشاه سرور وطيفور وهو في حالة كدر وجدهما مثلهُ يشتكيان ثقل ما وقع عليهما في ذلك النهار وقالا لهُ اذا دام علينا الامر نهارًا اخر فقدت قوة الجيش برمتها وما ذلك الا برجوع فرسان ايران من الاسر الى فرقهم فياليتنا كنا قتلناهم لكنا الان في راحة وفوق ذلك انهم يقاتلون على زعم ان ابن ملكهم يحميهم ويمنع عنهم الاخطار فاذا لم تبادر القوم بالبراز وتصطادهم واحدًا بعد واحد لما قدرنا على الثبات بين ايديهم وقد قتلت في هذا النهار فارسًا من الزنوج ففي الغد اذا قتلت واحدًا فاسرع بطلب الاخر فلا ينقضي النهار الا بعد ان تكون قد قتلت او اسرت كثيرًا منهم وعسى تحرك دواعي المدنية فيروزشاه فيبرز اليك ويكون ذلك اخر عمره قال اني انتظر ان اصادفهُ فلا ابقي عليهِ ولا بد من هلاكهِ وهلاك جميع فرسان ايران بمعونة النار ذات الشرار وسوف ترون في الغد ما تحدثون بهِ فيما بعد

وبات القومان في ذلك الليل يتحارسان تحت مشيئة العزيز الرحمن . وينتظران قدوم الصباح الى ان آن . مشرقًا بانواره الوضاحة على سكان ذلك المكان . فلما تبينوا النهار هبوا من مراقدهم وتقلدوا باسلحتهم واعتلوا ظهور خيولهم وتقدموا الى ساحة القتال وقد استلم كل فارس قيادة قومهِ فرتبهم على مقتضى الحال . وما انتهوا من الترتيب والتدريب الا وسقط طومار الى ساحة القتال وفي يده ذلك العمد وهو فوق فيلهِ وراسهُ يكاد يلحق بالسحاب ومن حولهِ جماعة من الزنوج

خرجوا في ركابهِ الى ان توسط الميدان ووقف في موقف الجولان فعادوا عنهُ الى الوراء وبقي هو وحده فصال وجال ثم صاح بعساكر ايران وطلب منها البراز وسرعة الانجاز فما اتم كلامهُ حتى فاجئهُ طيل اخو طيلا وصدمهُ صدمة قوية وتجاول وإياه وقد عزم على اخذ ثاره منهُ لانهُ قتل لهُ اخاه كما تقدم في الامس ودام القتال بين الاثنين وقد تضاربا بالعمدين . حتى اثقلا منهما اليدين . وضعفت قوة الساعدين . وما مضى قسم من النهار . الا لحق بطيل الضعف والخوار . وذل امام خصمهِ الثقيل العيار . وعزم على الهرب والفرار . فلحظ منهُ ذلك طومار . فصاح بهِ وخبلهُ . وضربهُ بعمده فقتلهُ . وعجل من الدنيا مرتحلهُ . وبعد ذلك نادى طومار بان يبرز اليهِ غيره فاخذت الحمية حمدون اخو ميمون وكان من الابطال المعدودة طويل القامة عريض المنكبين وصدم طومار صدمة قوية . فالتقاه بهمة وحمية . ودار بينهما الحرب والطعان . الى ان لحق غبارهما الى العنان . ونظرت اليهما الفرسان بالعيان . تنظر ما يكون بينهما من نهاية الحال . ومن يكون منهما الغالب ومن المغلوب في هذا القتال . وهما في حر نزال . ولهيب واشتعال . الى ان كاد يقرب الزوال . وحينئذ اخذ بطومار الحنق والكدر . من ان ينتهي ذلك النهار ولا ينال من خصمهِ الوطر . فمال بفيلهِ عليهِ . وطوحهُ بعمده الى ان وصل اليهِ . فوقع بقوة عزمهِ على عاتق حمدون . فسقاه كاس المنون . ورماه الى الارض قتيلاً . وفي دمائهِ جديلاً . وعند ذلك دقت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى المضارب والخيام وكان اشدهم كدراً واعظمهم قلقاً فيروزشاه فقد اغاظتهُ اعمال طومار ولا سيما قتلهُ لفرسانهِ الذين جاء بهم من بلادهم باملٍ ان يكونوا دائماً في ركابهِ وتحت حمايتهِ مكرمين معززين ورجع الى صيوان ابيهِ وهو لا يعي على نفسهِ من الغيظ والكدر وقد شاهد منهُ ذلك ابوه وطيطلوس وبقية الفرسان فطيبوا بخاطره وعزوا ميموناً على فقد اخيهِ فقال لهم ان هذه عادة الحرب غير ان النهار لم يساعدني في هذا اليوم لاخذ لنفسي بالثار من طومار . فقال لهُ فيروزشاه لا اريدك تبرز اليهِ مطلقاً ولا بد من ان انهي لكم عمره في الغد لان هذه المطاولة تزيده عتوًّا وتكبراً واني لا احب الا حسم المسالة في الغد وهلاك هذ الوغد . ومن المؤكد ان ثارك ثاري وان فقد اخيك اغاظني اكثر مما اغاظك فلعن الله طومار ولعن معهُ الشاه سرور وطيغور فانهم قد جبلوا على المكر والخيانة وعدم الانصاف والجور والاسراف . فلما سمع الملك ضاراب ان ابنهُ سيبرز الى طومار خفق قلبهُ وخاف عليهِ وقال من الموافق ان ننظر في طريقة تخولنا النصر والظفر وتسهل علينا قتل هذا الجبار الذي لم يعد فينا من قدر ان يثبت امامهُ واذا لم ننصفهُ في القتال نكون قد ظلمناه او اظهرنا العجز عنهُ . فقال طيطلوس يا سيدي ان طومار من ابطال هذا الزمان الاشداء وليس في وسع احد من جيوشنا ان يفوقهُ الا ابنك فيروزشاه واني اؤكد حق التاكيد انهُ يقتلهُ ويريحنا من شره وتفريق هذه الجيوش متوقف على قتلهِ . قال كيف يمكني ان اخاطر

بولدي واسمح له ان يقاتل هذا الرجل على انهُ بركب الفيل وهو عالٍ بالنسبة لبقية الفرسان فالذي يقاتلهُ يلاقي معهُ أكبر صعوبة وأشد تعب وهذا لا اقبل بهِ ابدًا ولا ارضاه ولو كان لي غيره لخاطرت بهِ طمعًا بالخلاص من فعل هذا الجبار . فقال فيلزور اني في الغد ابرز اليهِ لان لي عليهِ ثار وقد يزعم انهُ اسرني فلا اقبل على نفسي لان الجواد غدر بي ولو حملني الجواد لما وصلنا الى هذه الحالة بل كنت قتلتهُ في نفس ذلك اليوم فلا يطمع احد غيري بقتالهِ وسوف ترون ما يكون بيننا من الاعمال

وكان الشاه سرور بعد رجوعهِ من القتال مسرورًا بعمل طومار وقد اطنب في مدحهِ وقال له هكذا يجب ان يكون القتال لان المطاولة تفيدنا وتضر بهم واني اعلم جيدًا انهم لو قاتلوك فارسًا لفارس افنيتهم عن اخرهم لا سيما ونحن في بلادنا لا تضر بنا المطاولة في القتال ولا تؤذينا كما تضر بهم وتؤذيهم . قال اني أعرف انهُ كيف كان الحال اننا نحن المنصورون وهم المقهورون ومتى قتلت منهم فيروزشاه لا تعود عساكرهم تقدر على الثبات فتختار الفرار وتفضل الرجوع الى بلادها بالخيبة من ان ترمي بنفسها في جهنم حربي فتلهمها ناري وتذيبها . ولما كان الصباح نهض القومان الى الحرب والكفاح عندما شاهدوا شروق الشمس قد لاح وفل الظلام الى خبائهِ . ينتظر فرصة للرجوع بجيوش مسائهِ . وركبت الفرسان . واصطف القومان . وترتب الفريقان . واذا بطومار قد صار في نصف الميدان . وهو على ما هو عليهِ من العتو والفخر . والادعاء بالتعظم والكبر . ولما توسط الساحة نادى قوم فارس . ان تبرز منها الفوارس . فما انهى كلامهُ . حتى صار فيلزور امامهُ . وكان قد اخذ له جوادًا من الخيول الجياد . خوفًا ان يصيبهُ ما صار بذاك الجواد . وصدمهُ صدمة قوية . وصاح بهِ صيحة فارسية . وقال له الى مَ هذا العتو فقد طال امرك ونحن عنك ساكتون فها جاء اليوم الذي ينقرض فيهِ ذكرك وتعدم النظر الى هذه الدنيا فياليتك قد ودعت قومك قبل الخروج لانك لا تعود فيها بعد فتراهم فغاظ هذا الكلام طومار وقال له ويلك يا فيلزور اتجسر ان تقول لمثلي هذا الكلام وقد شاهدت حربي وقتالي ووصل اليك نتاج فعالي ووقعت في اسري ولولا مساعدة الصدف ان تخدمك لاعدمتك الحياة فكان من الواجب ان تتكلم مثل هذا الكلام وانت تحت يد الجلاد . ثم صاح بهِ وهجم عليهِ فالتقاه فيلزور ودار بينهما دولاب القتال . في ساحة المجال . واختلف بينهما الطعان . باختلاف الالوان . وكثر بينهما الكر والفر . والقرب والبعد . والاخذ والرد . وهما تارة يلتطمان . فيتضاربان بالعمدان . وطورًا يتباعدان . فيصيحان ويزأران . وقد شخصت نحوهما الفرسان . وتحولت اليهما انظار الشجعان . واحدقت منتظرة ما يكون من النهاية . ومن من الفارسين يقدر على بلوغ الغاية . فيقتل خصمهُ . ويمحو اسمهُ . ويبيد رسمهُ . وداما في اقتتال اشد من لهيب النار . حتى حجبهما الغبار عن الابصار . ومد عليهما رواق الاستتار . وزهقت منهما الارواح وقد حمت

حوافر خيلها الشرار . وكانا في الحرب متقابلين . وفي القتال متعادلين . لا يصادف احدها على الاخر فرصة فينالها ولا تمكن من خصمه بضربة قاضية الى ان مضى اكثر النهار وهما على مثل تلك الحال حتى ضاقت الدنيا على طومار ولا يرى بدًّا من الرجوع الى الوسيلة بما كان قد اعتاد عليه من فرسان ذلك الزمان من ان يطلبون الانصاف على خطة عادلة وهو ان يضرب كل من المتقاتلين ثلاث ضربات فمن كان اشد قوى واقوى عصبًا نال الفجر واحرز النصر على رفيقه واوقع به وقتله ولذلك تاخر طومار ووقف عن القتال وصاح في فيلزرو وقال له ان هذه الحالة تذهب بارواحنا من الملل والضجر فاذا كنت ترغب في الانصاف فاضربني ثلاث ضربات بعمدك بقدر ما اعطاك الله من القوة فاذا لم تنجع فيّ عدت فضربتك خلافها الى ان ينتهي النهار ويعدم احدنا حياته ويموت من ضربات خصمه قال اليك ما طلبت فاني منصف على كل حال فاحذر لنفسك مني واثبت لضرباتي ثم اطلق لجواده العنان فخرج من تحته كالسرحان ومال به راجعًا الى جهة طومار وصاح به اثبت مكانك وخذ هذه الضربة من يد فيلزور البهلوان ورفع بيده العمد وضربه به فاخذها بالطارقة نحوًا من ثلاثة اذرع طولاً بعرض فلم توثر فيه ولا وصلت اليه وقال افرغ الثانية والثالثة ففعل وضربه الثانية والثالثة ولم يبلغ منه مرادًا وحينئذٍ قال طومار قد جاء دوري فاثبت انت في مكانك قال اني ثابت لك صابر عليك . فحرك الفيل واخذ بيده عمده وبرمه بالهواء حتى حمي واظهر فيه كل قوته ثم رفعه الى ما فوق راسه وضرب به فيلزور فثبت في مكانه واحكم وقوع العمد على طارقته ودفعه وارتد من عظم الضربة ولم توثر في فيلزور وصاح بطومار افرغ ما عندك فاني لا اعبأ بضرباتك فاغتاظ طومار من ثباته وارسل اليه الثانية والثالثة ثم عمدا الى السيوف فضربا بها ثلاثًا كلاً بدوره دون ان ينال احدهما نصرًا او يصل الى خصمه باذية ودام الحال بينهما على هذا المنوال الى ان قرب الزوال فافترقا على سلام ورجع طومار وهو لا يعلم من اي طريق يسير لان حياته بطولها يقاتل ويحارب ويبارز فلم يرَ من ثبت امامه النهار بطوله ورجع من بين يديه وقد عاد وهو لا يدري طريقه ولا يميز يمينه من شماله ولا زال سائرًا حتى انتهى الى صيوانه فنزل عن فيله واقام وهو يرغي ويزبد ويبرق ويرعد ويذم الزمان كيف اوصل البسالة والاقدام الى مثل فيلزور وهو قصير القامة صغير البنية وصبر ينتظر الصباح ليعود الى خصمه وما لبث الا ان اتاه الشاه سرور ووزيره طيفور فهنأه بالسلامة وقال له طيفور قد عجبت جميع فرسان اليمن كيف ان شيخًا يقدر ان يثبت امامك فاخبرتهم ان ذلك كان بقصد منك وانك لو شئت الايقاع به لاهلكته من اول وهلة والحقته بقومه غير انك قصدت المطاولة معه لتفرغ له كل ما عندك من ابواب الحرب والطعان فيعلم عظم مقدرتك في فن القتال . فقال طومار اني لا انكر ان فيلزور البهلوان من اشد من لاقيت من الفرسان فهو فارس العجم بالحقيقة وحاميها

لانهُ ثبت امامي كل هذا النهار وما ذلك الا من عجائب الاقدار . ولا اعلم ان كانت قد غضبت عليَّ النار . فقصدت امتحاني بهذا الايراني خوفًا عليَّ من ان انساها ولذلك اني انذر لها نذرًا كافيًا وافيًا وهو ان اقدم ضحية لها كل فارس يقع في يدي منهم ولا سيما فيلزور وفيروزشاه والملك ضاراب ولا ريب في انها تقبل مني ذلك وترضى عني وتمد لي في الغد يد المساعدة وتنتقم لي من اخصامي وانما اعدكم الوعد الشافي ان في اليوم الآتي تنقضي الاشغال وينتهي القتال ونقهر الاعداء فيعلمون اي منقلب ينقلبون فحمده طيفور والشاه سرور وشكراه على قولهِ واطنبا في مدحهِ

اما فيلزور فانهُ ما صدق ان زالت شمس ذلك النهار حتى عاد عن طومار وهو لا يصدق بالخلاص من يديهِ وكان ساعداه قد تخدرتا ولم يعد في امكانهِ ان ينهضهما واصبح كالهائم السكران لا يعي على ما بين يديهِ ولما وصل الى جيشهِ لاقاه الملك ضاراب ومدحهُ على ثباتهِ . فقال لهُ اني قد لاقيت من شدة قتالهِ هذا النهار ما لو لاقاه الجبل الاخضر لانهدم واندك لان عمده ثقيل جدًّا لا يثبت تحت ضرباتهِ الا كل من خصهُ الله بالامتياز عن الجنس البشري وما عدت عنهُ الان وانا على رجاء من السلامة والخلاص وليس في نيتي بعد ان ارجع الى قتالهِ الا ليرتاح جسمي وتقوى يداي على حمل العمد واحتمال شدة ضربهِ . فلما سمع فيروزشاه اضمر في نفسهِ انهُ في صباح اليوم الثاني سيبارزه ويعجل امره ويري فرسان قومهِ ما اعطاه الله من القوة الفائقة الوصف والادراك وكان الداعي الاكبر لتحريكهِ الى براز طومار فروغ صبره من المطاولة بالقتال وعلم ان لا فارس من العجم يقدر على طومار فاذا تخلى هو عن القتال استفحل امر طومار واوقع بقومهِ وزاد فيهم الرعب والخوف واكبر داع كان يدعوه الى ذلك تذكره بحبوبتهِ عين الحياة و بعده عنها وكيف انهُ جاء ولم يتصل لهُ خبر منها ولا قدر ان يعرف شيئًا عنها وكان قد ثبت عنده انها علمت باتيانهِ وفكر انهُ لا بد ان تكون واضعة بين العساكر عيونًا ترصد لها احوالهُ فتبلغها كل ما يكون من امره وتوصل اليها كل حركة من حركاتهِ الحربية وغير الحربية ولا بد انها تتكدر من هذا التطويل فلا يهون عليها فيهِ لعلمها انهُ متى قتل طومار طفئت نار القتال ووقع الصلح بين القومين وربما قبل ابوها بعقد زواجها دفعًا للشر والخصام . واكمن ذلك في صدره وبات تلك الليلة وهو على تلك النية

ولما كان اليوم الثاني واشرقت الشمس على تلك الروابي وانبسطت بكليتها على القوم تنشر عليهم اية النور وتبعث لهم من خلال شعاعها حرارة لطيفة ممزوجة بهبوب نسيم بارد خصهم بهِ سلطان الطبيعة ليستنشقوا منهُ رائحة ما حملهُ من ازهار تلك الارض المجللة بالرياض العطرة والكثيرة الاحراش والادغال فهب القوم وقد تنسموا من تلك النسمات محاسن الطبيعة و بهجتها فاسرعوا الى اسلحتهم فتقلدوها والى خيولهم فركبوها وانقادوا الى قوادهم يطلبون الانتظام في صفوف

المتقاتلين ولم يمض الا قليل من الوقت حتى ترتبت تلك العساكر احسن ترتيب وانتظمت انظم نظام فحملت بايديها العمد وادارت رؤوس الخيول ووقفت تنتظر الاوامر غير انهُ قبل ان يباشر بالقتال او يبتدئ احد بحرب او نزال خرج طومار وهو راكب على فيلهِ ومن حولهِ و بين يديهِ موكب من الزنوج يسير في ركابهِ و يتقدم بخدمتهِ الى ان صار في وسط الميدان وحينئذ اشار الى رجالهِ بان تتاخر فتاخرت وادار براس فيلهِ الى اليمين واطلق لهُ العنان فخرج يضرب الارض باخفافهِ فتهتز من تحتها اهتزاز الغصون عند هبوب الرياح و يلوح بذنبهِ فيضرب بهِ الى الهواء فيدفع الغبار الذي يثير بخرطومهِ الى الجو فيتالف ضباب كثيف فوقهُ يكاد يحجبهُ مع طول قامتهِ وكبر جثتهِ عن العيان و بعد ان دار في الميدان ثلاث دورات وقف في وسط الميدان ونادى بفرسان ايران ان تبرز الى قتالهِ فتوقفت اذ ذاك ولم يجسر احد على الدنو منهُ والتقرب اليهِ وعند ذلك تقدم فيروز شاه من ابيهِ وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ اريد منك يا سيدي ان تسمح لي بقتال طومار وتاذن لي بالخروج اليهِ فلم يعد في وسعي ان اتقاعد عن قتالهِ واتركهُ على تمردهِ وعتوهِ وقد فضح جيوشنا بكلامهِ وهتك ناموسنا بافعالهِ وتابى نفسي ان تراه على ما هو عليهِ ونتقاعد عن الانتقام منهُ . فقال الملك كيف اسمح لك بان تقاتل طومار وتخاطر بنفسك معهُ وماذا يا ترى يصير بي اذا وقع عليك امر مكروه. فقال طيطلوس دعهُ يا سيدي يخرج الى طومار لاني اعلم يقيناً ان سيدي فيروز شاه يقتلهُ ويريحنا منهُ وقد تبين لي ذلك بعين الفراسة وسوف ترى بعينيك صدق مقالي وتحقق ان ابنك هو وحيد هذا الزمان وافرس فرسانهِ واثبت من وقف في ميدان قتال فليطمئن بالك وليسكن خوفك فاجاب الملك بانكسار فليفعل الرب ما يشاء ثم امر ابنهُ ان ينزل الى طومار فما صدق ان سمع منهُ ذلك حتى طار من الفرح فقبل يدهُ وطلب اليهِ ان يزوده بالدعاء والرضاء فاجابهُ و بينما كان طومار ينادي بعساكر الاعجام ويقبح فيهم بالكلام ويذم فرسانهم ويشتم ملكهم والشاه سرور مسرور بعملهِ لما شاهد وقوف الفرسان عنهُ وقد قال لهُ طيفور الا رأيت كيف ان الاعداء قصروا عن البراز ولم يعد فيهم فارس يجسر على الدنو من طومار واذ بفيروز شاه قد صدمهُ صدمة تتعتع الجبال وصاح فيهِ بصوت ادوت لهُ تلك السهول وصمت منهُ آذان الخيول وهو ينشد ويقول

هيا انظري عين الحياة قتالي ... فترى المنية تنتهي بفعالي

وترى جيوش ابيك وهي جوافل ... وجيوش طومار باسوء حالي

يتسابقون الى الفرار فمن نجا ... منهم يعد بفارس ريبال

ولقد فتكت بهم بقوة ساعدي ... وعزيمة جلت عن الامثال

فانا الذي لما بليت بعشقكم ... اخلصت فيهِ مودتي ومقالي

وحفظت حبكمُ بصدر واسع ... عند الخطوب وما بخلت بحالي
عين الحياة فدتك مني مهجتي ... ترجوك حسن تعطف بوصال
فاليوم يوم تشهد الفرسان لي ... فيهِ ويذكر كلهم اعمالي
وتذل آساد المرابض ان رأت ... ضربًا يشيّب هامة الاطفال
ولطالما رغمت بقائم صارمي ... شمّ الرجال وقبلت لنعالي

فلما سمع طومار كلامهُ كدره جدًّا وهالهُ امره لما رآه يخطف في الميدان من جهة الى اخرى وهو كالبرق الخاطف لا تقدر ان تدركهُ الابصار . وكان لما خرج فيروز شاه الى الميدان خرج بعظمة وجلال نادري المثال لانهُ كان راكبًا على جواده الكميت المسرج بالسرج المرصع بافخر الجواهر واثمنها وقد تقدمت بين يديهِ العيارون والفرسان وفي ايديها السيوف والخناجر وفوق راسهِ الرايتان راية الزنوج والراية الفارسية ومن حواليهِ نحوًا من الف رجل يخدمون ركابهُ ويحيطون بهِ وهو بينهم كالبدر يشرق لمعان جبينهِ الوضاح فيسبي كل من شاهده وكالاسد تتساقط بين يديهِ من هيبتهِ رسل البسالة والاقدام فلما شاهد الشاه هذه العظمة وراى ما راى من فيروز شاه قال الى وزيره طيفور وقد كان بجانبهِ . الم ترَ الى جمال فيروز شاه وشجاعتهِ وكيف ان الله قد جملهُ باجمل الخصال وكملهُ بالمآثر الحسنة فكل ما فيهِ يحب ويعشق واني والحق يقال اميل اليهِ كل الميل واعلم جيدًّا انهُ لا يتوفق لبنتي عين الحياة زوج يليق بها مثلهُ فكلاهما يوافقان بعضهما واني لمخطئ باعمالي وامتناعي عن اجابة طلبهِ لا سيما وهو البادئ بالجميل والمعروف معي وقد قابلناه بعكس ما استحق من الاكرام والاعزاز . فخفق قلب طيفور عند سماعهِ هذا الكلام وتكدر خاطره وعلم ان فيروز شاه هو فوق ما وصفهُ سيده غير انهُ كان يكرههُ ويحسدهُ على اتفاق الاراء بوحدانية صفاتهِ ويتمنى لهُ الشر والاذى وعرف ان الشاه سرور ينقاد اليهِ ويحبهُ وربما زوجهُ بنبتهِ اذا ترك النميمة والفساد فعاد اليها وقال لسيده اني اعجب منك يا سيدي ومن قولك هذا كانك لم تصب من الدهر بنكباتهِ فباقل من لمحة ناظر ترجع عن عزمك ويضعف رجاؤك وما ذلك الا من عدم الثبات في الامور فلولاي بدون شك لكنت الان قد اذللت نفسك للاعداء وانقدت اليهم وتحكموا فيك وفي بلادك واخذوا بنتك عين الحياة بالرغم عنك واضعت ناموس ملكك وطالما حفظتهُ اباؤك واجدادك وقاتلوا عنهُ بثبات عزم وجنان فكيف تسلم بنتك لقوم قد جاءوا يحاربونك وينازلونك نعم لو بدأ من الاول بما هو لازم على ان يجرى بين الملوك اي انهُ لو بعث الملك ضاراب بواحد من وزرائهِ يخطب بنتك منك لابن سيده وياتيك بالهدايا ويقود اليك الجنائب وهل الجواهر لكان في الامكان اوائذٍ ان نجيب سوالهُ ونصغي اليهِ واما الان فيقال اننا ما زوجناه بها الا خوفًا من سيفهِ وخشية من باسهِ وتصبح هي بين يديهِ ذليلة كمن اخذت بالسبي لا يحق لها ان

تدعي بالشرف وتفاخر بابيها فاسكت هذا الكلام الشاه سرور واقنعهُ ولم يعد يجيب بكلمة وقد مال الى قول وزيره وصبر ينتظر نهاية القتال

قال ولما قرب فيروزشاه من طومار تعجب منهُ وقال لهُ من انت من فرسان ايران ومن تدعى بين ابطالها . قال ويلك الم تعرفني حتى الساعة وقد اهلكت قومك وانزلت بهم الدمار وفتكت بجيشك حتى لم تعد تقوم لهُ قائمة فانا الذي قتلت اخويك بيروز وميسرة وجئت الان لارسلك اليهما على عجل فاستعد لنفسك واعلم ان يومك هذا هو الاخير من حياتك فانا هو فيروز شاه الذي سمعت بذكره وحدثتك قومك بفعلي وسترى بعينيك فوق ما سمعتهُ باذنيك وتعلم ان ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمة

فلما علم طومار انهُ فيروزشاه اظهر الفرح والابتهاج وقال لهُ لا ريب في ان هذا اليوم هو اخر الايام لاني موكد ان ثبات قومك فيك وقد صار لي عندك ديون كثيرة فساستوفيها منك دفعة واحدة واني عندما كنت اسمع بذكرك كنت اظنك انك كبير الجثة وعليك من السلاح ما يقارب الذي عليّ ولا اراك الان الا تحمل سيفاً صغيرًا ومجنًا لا يمنع وطارقة لا تدفع وابن عمدك فاني اراك بلا عمد ابهذه الحالة قتلت اخويّ فكيف كان ذلك وكيف اصدقهُ . فقال ويلك يا طومار انظن ان القتال بكبر الدماغ او بحمل السلاح الثقيل الا تعلم ان هذه الطارقة تدفع الوفًا من مثل عمدك اذا كان يحملها ابن الملك ضاراب . وهذا السيف الذي استصغرتهُ بعينيك يقطع درعك وطارقتك اذا كان الضارب بهِ حبيب عين الحياة فاثبت لقتالي واستعد لملاقاة المنية فلم يعد بينك وبين الموت الا ساعات قليلة فتنقضي وكان كلام فيروزشاه هذا موثر في طومار فلم يجبهُ بل هجم عليهِ وصاح بهِ ورمى بنفسهِ يطارده فالتقاه فيروزشاه بقلب كالجبال الراسيات وعزم يزعزع بنايات الارض من الاساسات . وكان لهما ساعة من اشد الساعات . ووقت من اعظم الاوقات . كثر فيهِ بينهما الصراخ والصياح . واتسع باب الحرب والكفاح . وسدت نوافذ اللعب والمزاح . ونظرت اليهما الفرسان . من كل جهة ومكان . وارتفع فوقهما الغبار الى ان لحق العنان . وغارت تحتهما الارض فمالت واي ميلان . وانحجب نور الشمس عنهما وما بان . واظهر كل منهما ما عنده من الحرب والطعان . واجهد نفسهُ بالمصادمة والجولان . وكانا وهما يتناطحان . ويهمهمان ويدمدمان . كانهما اسدان . وقع بينهما الخصام والعدوان . فاشتبكا للصدام . والتحما للانتقام . وصاح فوقهما طير الحمام . وقد صدق من قال . ممن راى تلك الحال . انهُ لم يقع قط قتال . بين بطلين من الابطال . مثل ما وقع بين طومار وفيروزشاه الاسد الريبال . منذ قديم الاجيال . ولا حكى الحاكون ولا سمع السامعون . بما فعل فيروزشاه ابن الملك ضاراب من التفنن في الحرب . والتسارع بعجائب الطعن والضرب . حتى اذهل طومار مما شاهد منهُ . ونظر فوق ما سمع عنهُ . لانهُ

كان يضربهُ بعمده ضربات قوية . فيضيعها بهمة وحمية . وقد اتعبهُ واكربهُ وهو يدور من حوله كما يدور دولاب الاشغال . عند اشتداد البخار المندفع بقوة . الاشتعال . ويخطف انخطاف البرق اذا برق او النجم اذا زرق . فلا يتمكن من ايقاع نظره عليهِ . ولا يراه الا كاللولب من حواليهِ . وثبت عند الجميع ان فيروز شاه اعرف بمواقف الطعان . واثبت في ساحة الميدان . وقد شاهدوا اعمالهُ مع طومار واستطالتهُ عليهِ بما اوقعهُ بالانبهار وتاكدوا انهُ يزيده الدرهم قنطار . هذا والحرب عاقدة بين الاثنين اي انعقاد . ونيرانها تتزايد لهيبًا واي ازدياد . واحقادها تشتد واي اشتداد . وكانا في التحام وافتراق . ورجوع وانطباق . وتقصير وسباق . وكر ولحاق . حتى قصر طومار مع خصمهِ وعلم انهُ هالك لا محالة . اذا دام معهُ على تلك الحالة . ولذلك توقف عن القتال . وصاح يستوقفهُ عن النزال . فاجابهُ الى ما بهِ اشار . وقال لهُ كيف رايت نفسك ياطومار . فلا بد من ان اسقيك كاس البوار . والحق بقومك من بعدك الهلاك والبوار . قال اني لا ازال على عزمي . واني احب الانصاف مع خصمي . فان رغبت فيما اقولهُ لك وكنت منصفًا انتهى بيننا القتال وعرف كلٌّ منا مقدار نفسهِ وتبين الجميع من منا الراجح ومن الخاسر . قال يعلم الله اني لا اكره ان اجيبك الى طلبك فاسال ما انت سائلهُ واطلب ما انت طالبهُ واعرض عليَّ ما خطر لك كي لا تبقى بنفسك حاجة ولا يقال اني جرت عليك في هذا المجال قال ان شرط الانصاف ان يكون الضرب بيننا متبادل بالاسواء فتضربني ثلاثًا واضربك ثلاثًا فمن منا كان اشد عزمًا واقوى عصبًا يظهر لدى الجميع ويبان الفرق بيني وبينك قال اليك ما طلبت فاضربني انت ثلاث ضربات بعمدك الحديدي وبسيفك الثقيل واني اضربك بعدها ثلاثًا بسيفي هذا الصغير الذي احتقرتهُ وسوف يكون بهِ القضاء عليك . قال اذن اثبت في مكانك واستعد لضربي . ثم رفع طومار عمده بقوة ساعد وبفواد ملذوع الى الانتقام حتى سمع لعمده في الجو رعيد وهدير ونزل بهِ يهوي وكل العساكر تنظر اليهِ وما فيهم الا من قال ان فيروز شاه قد سحق ومحق تحت تلك الضربة وصاح الملك ضاراب يستجير بالاله القدير ان لا تصب الضربة ولده الا انها وقعت على طارقتهِ واندفعت راجعة من تصادم القوتين الى ما فوق راس طومار وكان يظن انها تقضي على خصمهِ لا محالة لانهُ لم يضرب بزمانهِ قط ضربة مثل تلك الضربة ولما لم توثر فيهِ وشاهدها وقد انصدمت بمعرفة فيروز شاه الى الاعلى انفطرت مرارتهُ وعلم انهُ هالك لا محالة لان يده تخدرت وضعف ساعده ولم يعد في وسعهِ ان ياتي بواحدة ثانية كالاولى وقد استصغر نفسهُ بعد تلك العظمة وعلم ان الفرسان تتفاوت وان خصمهُ من اشد الابطال واقواها فغاب صوابهُ ولم يعِ الا وفيروزشاه قد صاح بهِ وقال لهُ ويلك يا طومار اضرب ضرباتك فاني بالانتظار فاين ضربتك الاولى وما جرى عليك فزاد هذا الكلام غيظهُ وعرف انهُ يتهكم عليهِ وقد اظهر كانهُ لم يشعر بضربتهِ فقال لهُ قد بعثت اليك

بالاولى فاذا كانت لم تقض عليك فبالثانية بمساعدة النار ذات الشرار ثم رفع العمد وبرمهُ في الهواء وضربهُ بهِ ضربة ثانية قوية فدفعها فيروز شاه بقوة ساعده ففلت العمد من يد طومار واندفع الى بعد اكثر من عشرين ذراعاً ووقع الى الارض فاشغل قسماً من تلك الساحة وقد غاب وعي طومار وكاد يقع عن ظهر فيلهِ الى بساط الوهاد ولم يعد يعي الى ما بين يديهِ ولا يعلم في اي موقف هو ولو شاء فيروز شاه الايقاع بهِ وكان من شيمتهِ الغدر لفعل واماتهُ قبل ان يتم ضرباتهِ غير انهُ صبر عليهِ الى ان هدأ بالهُ وسكن جاشهُ فقال لهُ ان هذا التطويل ما يضيع فرصة نتوقعها انا وانت فخذ الان سيفك واضرب به فقد قرب دوري . فاجابهُ اصبت غير اني كنت لا احب ان اجرد سيفي على من هو مثلك لانهُ ثقيل العيار فاذا وقع على طارقتك قطعها وقطعك وقطع الجواد من تحتك الى شطرين . ثم اخذ بيده السيف فهزه حتى لاح الموت في افرنده وضرب بهِ فيروز شاه فالتقاه بطارقتهِ ومنع فعلهُ بمعرفتهِ فلم يوثر فيهِ ولا نال منهُ مراداً واذ ذاك صاح فيهِ وقال لهُ اثبت يا طومار فقد جاء دوري وانت تزعم الانصاف فاستعد في موقفك الى ان افرغ . قال افعل ما انت فاعل وكان من الغيظ في بحر عميق لا قرار لهُ فاستوى في بحر سرجه واخذ طارقتهُ بيده وقد ظن انها تحميه من خصمهِ لانها كما تقدم كانت كبيرة سميكة مانعة مغطاة بمسامير من الحديد ملذذة الى بعضها وصبر ينتظر ما يكون من فيروز شاه ومن ضرباتهِ . واما فيروز شاه فانهُ اطلق عنان الكميت ولعب بهِ في الميدان ذهاباً واياباً وقد شخصت نحوهُ كل عين وانتظر الجميع ما يكون من امره فازدحمت الاقدام فوق بعضها وعلق الايرانيون آمالهم بالنجاح وخاف اليمنيون من ان يقضى على طومار من يد بطل ذلك الزمان وبينما كان الفريقان على تلك الحالة كان فيروز شاه يصول ويجول حول عدوهِ الى ان صدمهُ وجاء امامهُ وصاح بصوت صمت لهُ اذان الخيل وانعطفت نحوهُ اعين الرجال ونهض بخفة البرق الى ان وقف بسرعة عجيبة في بحر سرجه ثم ضرب برجليه ظهر الجواد فارتفع عنهُ عدة اذرع وقد اشهر الحسام وقال بصوته العالي وقد ضربه بسيفه ضربة قوية خذها من يد فيروز شاه حبيب عين الحياة وكان بارتفاعه في الهواء قد علا الى ما فوق طومار فنزل ونزل سيفهُ يهوى ولهُ بريق ولمعان فانبهر طومار من عمله وارتبك في امرهِ خصوصاً لما شاهده قد علا الى فوقه وكادت تعمى عيناه فلم يشعر الا والسيف قد وقع على درقته وكان تستر بها فسمع لوقعها قرقعة ورعيد ثم شعر بالسيف بعد ان قطع الطارقة الى نصفين قد وقع على كتفه فقطع الحديد ودخل اللحم وخرج من تحت ابطه فاندفعت يده التي كانت تحمل الطارقة الى الارض وهي كجزع نخل واندفعت الدماء كالشئبوب من جسدهِ فالوى عنان فيله وعزم على الهرب وقد تالم من عظم الوجع وغاب عن صوابه فلم يتركهُ فيروز شاه ان يفتل العنان بل استوى في بحر سرجه واستلم لجام جوادهِ وطوحهُ بسيفه فوقع في صدره واخترقهُ فمال عن ظهر فيله

ووقع الى الارض فاختطف فيروزشاه الى سيفه فاقتلعهُ من صدره وفي تلك الساعة علت اصوات اهالي ايران ونادت عن فرد شفة ولسان لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس الانام وحامي الاعجام وسيد سادات الزمان وإنسع صدر الملك ضاراب من الفرح والمسرة بعد ان كان يحسب الف حساب واندفعت دموع الفرح من عينيه وقال بصوت سمعهُ كل من حواليه فليبقك الرب يا ولدي من كل عين وحاسد وليساعدك في ايام حياتك ويمنع عنك طوارق الحدثان وغدرات الزمان ‑ ثم امر عساكره ان تقتحم عساكر الاعداء وتساعدابنهُ فيروز شاه لانهُ راهُ وقد اقتحم بحر تلك الجيوش المتلاطم وهو شاهر سيفهُ يقاتل ويصادم . وينادي مفتخرًا بحسبه . مباهيًا بنسبه . فهزت عساكر الاعجام . البيارق والاعلام . واقتحمت ساحة القتال والصدام . كانها اسود الاجام . لا تخاف الموت الزئوام . ولا تهاب من ضروب فواعل الحمام . وفي مقدمتها فيروزشاه الاسد الضرغام . وفيلزور الليث الهجام . وبهمنزار قلي وطهمور الفارس المقدام . وجمشيد شاه . واخوه خورشيد شاه . ومرادخت الطبرستاني . وشبرين الشبيلي الطلقاني . وعبد الخالق القيرواني . وسيامك سيا قبا . وبهمنزار قبا . وميمون فارس السودان . وبقية الابطال والفرسان . فالتقاه جيش الاعداء وهو باسوإِ حال . وقد وقع بالخيبة وانقطاع الامال . لما شاهد طومار قد قطع بسيف فيروزشاه الاسد الريبال . وفي تلك الساعة اشتبكت الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وسطا سلطان الموت وجال . يطلب رواح الارواح ورواج الاجال . وقام سوق القتال . على قدم الاستعجال . فسرَّ فيه الشجاع ومال . وتكدر منهُ الجبان المختال . وكثر بين الفريقين القيل والقال . وعظمت المصائب والاهوال . وزادت نار الحرب بالاشتعال . وفاضت فيوض البلايا فيضان العارض الهطال . ودارت دواعي المنايا تشير بالهلاك والوبال . وتنذر بالقلعان والزوال . وتنادي على القوم بالرحيل من الاطلال . ومفارقة هذه الديار الفانية الاعمال . والقاسية الافعال . وامتلات من جثث المقتولين تلك الرمال . وتغطت بابحر الدماء تلك السهول والجبال . وسبحت الخيل فيها فضاق عليها المجال . وقد تقطعت من الفرسان الاوصال . ومال فيروزشاه وجال . وفعل افعالاً ترمي بالعجب والاندهال . وتحدث بها الناس الى نهاية الاجيال . فانهُ اقتحم جيش العدو فمال . وضرب بهِ ضربًا عجيب الاحوال . قصرت عن الاتيان بمثلهِ اسود الدحال . وتذكر محبوبتهُ عين الحياة ذات الجمال . وقد لاحت لهُ من خلال كثيف ضباب المعمعة تميل بثياب الدلال . وتبسمت معجبة بعملهِ عن ثغر انقى من اللآل . وهي تنظر اليهِ نظرة الشكر وتطلب اليهِ الاستعجال . والرجوع اليها في عاجل الحال . فجدد الطعن والضرب وانشد وقال

يا عين لا تنكري بعدي عن اليمنِ ‏ ‏ ‏ فما رجعتُ كأنَّ البعد لم يكنِ

وها حسامي يشق الجيش عن حنق | فينزع القلب مفصولاً عن البدنِ
وها جيوش ابيك اليوم اهزمها | فيخبط البعض بعضاً وهي في محن
وتنفر القوم قطعاناً معجلةً | الى الفرار بقلب الذل والجبن
وقد تخلت عن الاوطان تاركةً | تحت المذلة حب الدار والوطن
ارديت طومار مقتولاً يعض بنا | جذيهِ وجه الثرى ملقىً بلا كفن
تدوسهُ وهو كالطود الممدد في | وسط المجال جديلاً ارجل الحصن
عيناك تبظرني والجيش منهزمٌ | لديّ من وجلٍ عيناك تنظرني
اولا اذكارك والبيض الصفاح لها | وميض برق كبرق الثغر هيجني
لما قدمت على الاخطار ممتطياً | جواد عزمٍ لعظم الجري لم يبن
خضت الربوع ومزقت الدروع وفرّ | قت الجموع وجند السعد يخدمني
ذلٌّ عليّ اذا ابقيت قط فتىً | من الزنوج ومن نصارة اليمن
ان تخفري فبسيفي وان فخرت ففي | عهد الوداد وما اعطيتِ من حسن
اقمار وجهك لاحت لي مجللةً | من المحاسن في عهد وفي دمن

وكان ينشد وهو يطعن في الصدور . ويخترق الاكباد والنحور . ويهبط بسعود الابطال من بروجها . ويسقط باسود الفرسان من سروجها

قال وكانت عيون عين الحياة وارصادها يشاهدون ما كان من قتل طومار وكيف ان فيروزشاه ضربهُ بسيفهِ تلك الضربة المهولة فعولوا على الرجوع اليها وان يخبروها بقتل طومار وما جرى عليهِ وقد تقدم معنا ان عين الحياة كانت تصرف اوقاتها بين الكاس والطاس وليس لها شغل ولا هم الا مناشدة الاشعار والشكوى من حالة هذه الحرب وطولها وقد وضعت بين يديها الصور فتشرب على صحة صاحبها وفي كل ساعة تصل اليها الاخبار وما كان من الحوادث بين الجيشين الى ان كان ذلك اليوم فنهضت في صباحهِ ودعت بقهرمانتها الكبيرة و ببنتها وقالت لهما اني اشعر هذا اليوم بلذة داخلية وقد انتبهت من فراشي مسرورة وانا لا اعلم سبباً وعلى ما اظن انهُ سياتيني خبر جديد مفرح يزيد مسرتي فصفا لي بواطي المدام وروقا لي صافيها وارقبا لي جواسيسي ان تاتيني بالاخبار فقالا لها السمع والطاعة واحضرا لها كل ما طلبت واقامت على شغلها من تذكر الحبيب وقد لاح لها ان تنشد فانشدت وهي تحدق بنظرها الى الصور وتميل بكلي عواطفها وجوارحها اليها

قسماً بصبح جبينك المتنفسِ | ما شيب ثوب محبتي بتدنسِ
يا من اذا هزت معاطف قده | هزأت باعطاف الغصون الميس

رشقت لحاظك في فوادي اسهماً   قد فوقتها عن حواجبك القسي
حتى م ابذل في هواك حشاشتي   وتصان عني يا شقيق الانفس
لو شئت ما عذبت قلبي بالجفا   يا موحشًا بسواك لم استانس
ايحل في شرع المحبة انني   اجني الصدود من الصباء الانّس
او ان يبيت الطرف بعد رقاده   يرعى السهاد من العيون النعس
او انني اعتاض يا كل المنى   بالصبر عن لثم الثغور اللعس
من لي ببدر قد جلا شمس الطلا   في كوكب فمحا ظلام الحندس
غصن ولكن بالفكاهة مثمرٌ   بدرٌ ولكن بالمحاسن مكتسي
لم انسهُ اذ زف بكر مدامةٍ   لاجل ندمان بابهج مجلس
وسعى بشمس في زمان زجاجة   وادار راحًا في محاجر نرجس
وغدا يغازلني بسحر لواحظٍ   ازرت بالحاظ الجواد الكنس
فسكرت لما ان سقيت بلحظهِ   اضعاف ما اسقيتهُ بالاكوس
غني بكاسك يا نديم فانما   سكري بكاس جفونهِ في مجلسي

وانشدتها شريفة بعد ان ناولتها كاسًا من الخمر ممزوجة بالسكر والثلج تعرض لها بذكر حبيبها

مذ مال خرت لهُ الاغصان ساجدةً   خوط لهُ من رحيق الثغر اسكارُ
حط اللثام فغاب البدر من خجل   وقد بدا في الدجى للصبح اسفارُ
وشاحهُ مثل قلبي خافق ابدًا   ولحظهُ الفاتك الفتان سحارُ
اضحى كجسمي منهُ الخصر ليس يرى   ومنطقتهُ من العشاق ابصارُ
كانما شعرة في خال وجنتهِ   دخان قطعة ندٍّ تحتها نارُ

وصرفت قسماً ليس بقليل من ذلك النهار وهي على جانب كبير من المسرة والحبور تنتظر اخبار ذلك النهار وماذا كان من امر ابيها وامر فيروزشاه وطومار والملك ضاراب وما كان من حالة الحرب وبينما هي على مثل ذلك واذا بالخدم قد وقفوا بين يديها مظهرين كدرهم فقالت لهم وقد مالت كل اميالها الى معرفة الخبر بماذا جئتم اليوم من الاخبار قالوا لها اعلمي ياسيدتي ان النصر الذي كان قد ترجح لنا وكفل لنا اياه طومار قد زال بزوالهِ وعادت احوالنا الى التاخر والانكسار فقد قتل طومار وشرب كاس البوار فقالت ويلكم ومن الذي قتلهُ واظهرت لذلك كدرًا عظيماً وغضباً زائدًا . قالوا لها قتلهُ يا سيدتي الرجل الذي لا يوجد لهُ نظير في هذا الزمان ولا نظرت من قبل عين مثلهُ وهو فيروزشاه ابن الملك ضاراب . فنزل هذا الكلام على قلبها اطرى من الماء الزلال وشعرت براحة عجيبة في كل بدنها لم تشعر بمثلها منذ الليالي الثلاث التي اجتمعت بهِ فيها وقالت

لخدمها وكيف قتلهُ وهو طويل عريض يركب فوق فيل يكاد لا يدركهُ الفارس العظيم من رجالنا قالوا انهُ بارزه في الميدان والناس تنظر اليهما فكان مع كبر جثتهِ وضخامة هامتهِ وعلو فيلهِ لا يطيق امامهُ حراكًا ولا قدر ان يفتل عنانًا بحضورهِ فقد اتعبهُ واكربهُ فضيع منهُ صوابهُ ولما ضربهُ بسيفهِ قفز عن ظهر جوادهِ في الهواء حتى علا الى ما فوق راسهِ وضربهُ ياسيدتي ضربة قوية شغلت الجيش برمتهِ فتحدث بها الكبير والصغير وهو ان السيف وقع على طارقة طومار فقسمتها الى قسمين وقطعت الدرع وخرج السيف يهوي في الهواء من تحتهِ فوقع الى الارض جديلاً وداستهُ حوافر خيل الاعداء ومن ثم هجمت العساكر الى بعضها واشتبك القتال بين قومنا وبين الاعداء فاسرعنا الى ان نخبرك بالخبر ونطلعك على قتل طومار لعلمنا انك ترغبين في ان تعرفي ذلك في وقتهِ وقد اوصيتنا بهِ . قالت اني اشكركم على فعلكم وامدحكم على الاسراع باخباري . فارجعوا الآن الى ساحة القتال وعودوا اليَّ كيف ينتهي الحال واذا وقع صلح او فاز قومنا او الاعداء او وقع امر اخر مهم فعجلوا اليَّ بهِ واني اجزلكم العطاء وارفع منزلتكم فقبلوا يديها ورجعوا من حيث اتوا واقامت هي بعدهم بمزيد فرح وقالت لقهرمانتها الا سمعت كيف ان حبيبي سائد على العالم برمتهِ فهل يوجد في زمانهِ من يماثلهُ او لا يحق لي ان اقدم بنفسي بين يديهِ وافاديهِ كلي باجمعي او كيف لا اصرف الوقت بذكره واقطع الليل والنهار على تردد اسمهِ وهو يقاتل الجيوش ويقتحم بحور المنايا ويرمي بنفسهِ بين مشتبك القنا ويسلك طرق الاخطار املاً بالحصول عليَّ ورجاء منهُ بان يزيل الموانع التي تحول بيني وبينهُ ويقلع الاسباب بقائم سيفهِ الصمصام . فقالت لها اسيا اني اعلم انك بحبهِ مصيبة وقد نظرت في صالح نفسك موقع النظر فغيره لا يليق بك من كل ابناء هذا الزمان فقد جمع الله بهِ الكمال باجمعهِ ويا ليت ان لابيك عيون مفتحة تنظر الى وجه الحقيقة فترى فيروزشاه من حيث هو وتقدره حق قدره فيعرف انهُ اهلاً لك وانهُ خير لهُ اذا سمح لهُ بك وزوجك منهُ ولكن عدو فيروزشاه لا يزال يعمي اباك عن ان ينظر الى وجه الصواب باعين الرغبة . قالت انهُ مثبوت لديَّ ان طيفور الخبيث يكره حبيبي ويرغب في هلاكهِ ولذلك صار من الصعب نهاية الحال قبل ان تزول كل الصعوبات والموانع والامل منهُ تعالى ان الحرب تنتهي بوقت قريب بعد قتل طومار ولا بد من ان يعرض الملك ضاراب بعد فوزه الصلح على ابي وبسالة زواج ابنهِ مني فيجيبهُ بالرغم عنهُ اذ يعلم انهُ لا بد لهُ من اخذي على اي طريقة كانت .

انتهى الجزء الخامس من قصة فيروزشاه

ويليهِ السادس عما قليل ان شاء الله

الجزء السادس

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

قالت شريفة ان طيفور واسع الغدر كثير الاحتيال ياتي بالمصيبة من حيث لا ندري. فلا بد من وضع مصاعب وعراقل في طريق الصلح وسوف ترين ذلك بعينك فاذا لم يقتل طيفور او يكرهه ابوك الشاه سرور لا تنقضي الامور. قالت اني اعلم ان في النهاية لا بد من قراننا من بعضنا مهما كان من طيفور وابي فقط يكفاني ان اسمع واعرف ان فيروزشاه بخير وانه محرز النصر والفوز ولا يكدرني الا وقوعه في ما يكدره وهذا الحمد لله مكفول الان ولا بد ان يكشف لنا الغد او بعد الغد عن حقيقة الامر وما يكون من امر الصلح وعدمه ويظهر لنا ما وراء هذه الحرب من الخفايا الكامنة في زوايا الغيب

ودامت الحرب عاقدة بين المتقاتلين بغيظ واحتدام . حتى قرب الظلام . ودقت طبول الانفصال تعلن بالرجوع عن الصدام . فعادت عساكر الاعجام . بعد ان اشفت غليلها من الاعداء وانزلت بهم المصائب والبلاء . وارجعتهم اميالاً الى الوراء . ولا سيما الزنوج اصحاب طومار . فقد وقع بهم الهلاك والدمار . وتشتت جيشهم بين الروابي والقفار . لان فيروزشاه ما رجع عنهم الا بعد ان اوقع فيهم اي ايقاع وجعل حالتهم عبرةً لكل من قعد وقام يتحدثون فيها احيالاً واعواماً ولم تعد تقم لهم بعد ذلك قائمة فتبددوا وانتشروا كالهباء المنثور . ونزلت العساكر في تلك الارض واجتمع هالي ايران بملكهم وهناوه بالنصر واتوا من فيروزشاه فقبلوا ايديه وشكروه على فعله ومدحوه على قتله طومار وخلاصهم من شره ومثل ذلك ابوه والوزراء فانهم قبلوه بين عينيه وقال له طيطلوس لقد اتيت الجيش الفارسي بفخر يعقد له على رؤوس الاشهاد وما فعلته مع طومار وضربك له هذه الضربة العجيبة القت الرعب في قلوب جميع الذين شاهدوها ولا سيما الاعداء فانها لم تسبق قط من من احد قبلك ولا اظن عاد احد يقدر ان ياتي بمثلها فبشراك على ما اعطاك الله من الخفة والسرعة في القتال والقوة والبسالة الممتاز بهما على كل من هب ودب . قال اني ضربت تلك الضربة وانا مستعين بها ببركة ابي ورضاه عليّ وعني ولولا دعاه لي لما فعلت ما فعلت واظهر لك الان اميالي من جهة نفسي فاني لا افتخر كوني على جانب من الاقدام والمقدرة العجيبة وانه يحق لي المباهاة بذلك غير اني اعلم يقيناً ان الله اوصل اليّ ما انا فيه واوجدني بهذه الحالة تعززاً لجيش ايران وافتخاراً لبني فارس فما وجدت الا لاخدمهم ولا اعطيت نصيباً كاملاً من البسالة الا لادفع عنهم عدوهم واحرسهم بسيفي ويميني من نكبات الدهر وضرباته . فما منهم الا من اثنى على كلامه وتاكدوا ان

الله جمع فيهِ كل المآثر الحميدة وخصهُ باللطف وكرامة الاخلاق وحسن السجايا فهو عجيب الاطوار رقيقها . وبعد ذلك قال فيلزور ان اليمنيين لا يقدرون على الثبات اكثر من يوم او يومين فقط وبعد ذلك يدخلون المدينة ويحاصروننا بها فنلتزم ان نقيم اياماً على الحصار . قال الملك ضاراب اني لا اظن ان الشاه سرور يقدم بعد ان لحق بهِ ما لحق في هذا النهار على قتالنا وهو يعلم ان لا ثبات لهُ في وجهنا وعلى ما اظن انهُ في الغد يرسل الينا بكتاب الصلح او يعقد هدنة لتدبير امره واني ساجيبهُ الى كل ما هو طالبهُ لعلمي ان ابني لا يرغب في اذية اليمنيين ولا يحب ان يكون ظالماً عليهم الا اذا احتيج الامر الى ذلك . قال فيروزشاه اني لا اكره من اليمنيين الا طيفور ولا ارغب الا في اذيتهِ لانهُ هو واقد هذه النار ومسعرها ولا بد من منع الشاه سرور عن التسليم اذا رغب فيهِ وتحريكهِ الى القتال حتى الى اخر نفس من حياتهِ ولولا رغبتي بالتقرب منهم لما قصدت في القتال سواهم ولا سعيت الا في تبددهم وفناهم غير اني أعلم انهُ لا بد لي من زواج عين الحياة واتصال حبل النسب بيننا فالمراعاة لهم واجبة وقلبي لا يطاوعني على الانتقام منهم لعلمي ان عين الحياة هي يمنية وانها تحب ابناء جنسها قال الملك فلنصبر الى صباح الغد لنعلم ما يكون من امر العدو وما وصل الينا من اخباره

واما الشاه سرور فانهُ ما رجع عن القتال الا وهو في سوء حال تكاد لا تسعهُ الدنيا من الغيظ والغضب يذم الزمان ويلعن الايام التي اوقعتهُ في هذه المصائب وقد تبين لهُ ان رحا الحرب تدور عليهِ وان النصر سيكون لاعداه فعقد مجلساً اجتمع بهِ امراء الحرب ورجال الدولة وقال لهم ارايتم ما وقع بنا هذا النهار وشاهدتم ما حل بطومار من ضربهِ فيروزشاه وفي ظني ان اسعى بالصلح والسلام واجعل قتل طومار ختام الحال فبعده لا تقام لنا قائمة ولا عاد يمكننا ان نثبت امام وجه الاعداء اكثر من يوم واحد تنقلع بهِ اثارنا ويحل بنا الويل والتشتيت كما حل بجيش طومار فقد تفرق واندثر فمن الراي ان تنظروا في امر صالح بلادنا بما يكفل لنا البقاء دون ان يحملنا المذلة والعار . قال طيفور أتظن ان الصلح والسلام موقوف على ارادتك فمن اخبرك ان الملك ضاراب سيقبل بهِ بعد ان رفضنا طلبهُ هذا من البداية وارجعنا رسولهُ بالخيبة والفشل فنهاية القتال لا تكون الا بطلبهم فلو رغبوا فيهِ لطلبوه منا لانهم في حاجة اليهِ اكثر منا اولاً لبعدهم عن بلادهم واهلهم وقيامهم في بلاد بعيدة كبلادنا وهم غرباء بعيدون عن نسائهم واولادهم ثانياً ان ابن ملكهم يرغب في زواج عين الحياة فمن الواجب عليهِ مراعاتنا انما مثبوت عندي الان انهم يرغبون في ان ياخذوها سبية بعد ان يقتلوا اباها ويخربوا بلاده وهذا بعنايتهِ تعالى لا يمكن ان يقع ابداً ولديَّ من التدابير الحسنة ما ينجح بهِ رايهم ويخيب املهم وعند الحاجة تعلمون ما سيكون من مشورتي والان ارى ان نداوم القتال فاذا ظهرت علينا الغلبة لجئنا الى المدينة وحاصرنا فيها وبعدئذ نرى م

يأتينا الله بهِ من التدابير الحسنة . وإذ ذاك نهض الشاه شجاع ابن الشاه سرور واقفًا على قدميهِ وقال اهل نعجز نحن عن القتال وجيشنا لا يزال برمتهِ محفوظًا ونحن فرسان اليمن وشجعانها فاذا قتل طومار لم يقتل عزمنا فعندنا الامير قتيل وهو من الفرسان الشداد وقد اخبرني انهُ يرغب ان ياخذ على نفسهِ معي في الغد عهدة القتال وما ابقينا انتسنا الى مثل هذا الوقت الا لتعلموا عظم منزلتنا وانتم في حال الضيقة اهل لولا طومار كنا لا نقاتل ولا نحارب وهل طومار كل عمره بجيشنا فسوف يبان لكم في الصباح ما يكون فتعلمون صدق ما نقولهُ لكم . فقال الشاه سرور كفاني يا ولدي ان الذي بكم الى الاخطار فقد فقد منكم الشاه غضنفر مقتولاً والشاه روزراخذ اخاك الى بلاده اسيرًا ولا اعلم بعد ذلك ماذا جرى عليهِ وعلى ما اظن انهُ قتل او يقاسي عذاب الهوان والشاه هزبز هو في بلاد ايران اسير وانت لا تلبث اذا برزت في الغد ان توسر او تقتل فتزيد مصائبي وويلاتي قال لا خوف عليَّ فاني اعلم عظم منزلتي في الحرب وكيف ان فيروزشاه لا يخاف عليهِ ابوهُ اليس هو وحيد عنده ومثل ما هو فارس كذلك انا ايضًا فسكت الشاه سرور وصبر على حكم القدر وارفض المجلس على دوام القتال في الغد وان يكون بيد الشاه شجاع والامير قتيل امر البراز

وفي صباح اليوم التالي نهضت العساكر من مراقدها وهي تنظر فيما يكون من امر ذلك اليوم واذا بطبول حرب اليمنيين تضرب ورجالهم تتهيأ وتستعد فقال الملك ضاراب اني اعجب من عمل الشاه سرور وسوء عقلهِ وتدبيره ايظن في نفسهِ انهُ يقدر على الثبات وان يقاتلنا يومًا اخرًا مع انهُ لو سعى بما فيهِ خلاص نفسهِ وطلب الينا الصلح لاجبناه ولكن لا يزال يرى في نفسهِ بعضًا من القوة فلا يرعوى عن القتال ما لم تضعف تلك القوة ضعف الموت ثم امر في ترتيب عساكره وملاقاة اعدائها ففعلت وباقل من ساعة اصطفت الصفوف وترتبت الميئات والالوف وتعددت بالسلاح وتقدمت تطلب الحرب والكفاح واذا بالشاه شجاع قد توسط الميدان فعرض وبان وطلب براز الفرسان فما اتم كلامهُ حتى صدمهُ فرخوزاد واخذ معهُ في الصدام والطراد وكان فيروزشاه قد حرصهُ واوصاه . ان لا يؤذيهِ وان ياتي بهِ اسيرًا كونهُ اخو عين الحياه . ولذلك طاولهُ . وصارعهُ وجاولهُ . فتقابضا باليدين . وتضاربا بالسيفين . حتى غاصا بالعرق . وتمنى كل واحد منهما انهُ لا خلق . وارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن الابصار . وحجبهما عن اعين النظار . وصار القوم بالانتظار . الى ان مضى النهار . واذا بصيحة من جهة المتقاتلين . قد مالت اليها كل عين . وتبينت ما كان من الاثنين . واذا بفرخوزاد حمل الشاه شجاع . كانهُ اضعف الخراف في يد اقوى السباع . وهو لا يستطيع حراكًا ولا يقدر على الافلات . وكان قد ضعف منهُ العزم والثبات . فاقتلعهُ كما يقتلع الباشق الجسور . من بحور الهواء العصفور . واتى بهِ الى امام الفرسان . والقاه الى بساط الصحصحان . فتسابقت اليهِ الرجال . واوثقتهُ بالحبال . وقادتهُ بالقهر والاذلال . ثم عاد فرخوزادُ الى جهة

الميدان . يستنزل الابطال والفرسان . واذا بالامير قتيل قد صاح فيهِ واندفع عليهِ يطلب اخذ الثار لرفيقهِ الشاه شجاع فالتقاه فرخوزاد . وقام بينهما سوق الحرب والطراد . وكان القتال عظيماً . والنزال جسيماً . والاثنان في اخذ ورد وقرب و بعد وقد حمي عليهما الحر . واتعبهما الكر والفر . وزاد عليهما من نار القتال . لهيب الاشتعال . ورمتهما سهام الملال . باصوب نبال . وداما على تلك الحال الى قرب الزوال . واذ ذاك هجم فرخوزاد على خصمهِ وقبض عليهِ من جلباب درعهِ وفعل بهِ كما فعل بالشاه شجاع واذ ذاك ضربت طبول الانفصال ورجع القومان الى الخيام وامر الملك ضاراب ان يسلم شجاع والامير قتيل الى طود الايراني السجان ليحافظ عليهما ولا يتغافل عنهما واقام في الخيام وقد فرح غاية الفرح باسر ابن الشاه سرور لعلمهِ ان اباه يسرع الى انقاذه فيفتديهِ باخيهِ عين الحياة و يسرع بالصلح ويرغب بالسلام ومثل ذلك فيروزشاه فانهُ سر غاية المسرة وثبت لديهِ انقياد عدوهِ وقهره وكان اعظم سروره بسلامة الشاه شجاع من يد اخيهِ فرخوزاد وشكره على ذلك وصبروا تلك الليلة على نية ان لا يعودوا الى القتال في غد اليوم التابع شفقة منهم على اهل اليمن واظهاراً لهم برغبتهم في الافراج عنهم والتساهل معهم

واما الشاه سرور فانهُ رجع الى صيوانهِ وهو في حالة كدرة جداً وقد عظم عليهِ اسر ولده لانهُ كان يحبهُ كثيراً و يفضلهُ على اخوتهِ واقام لا يريد ان يكلم احداً ولا يكلمهُ احد نحو ساعتين و بعد ذلك سالهُ طيفور وقال لهُ لما يا سيدي هذا الامر فان سيدي الشاه شجاع لا يزال حيًّا في جيش الاعداء وقد يمكن ان يتخلص باقرب طريقة والحمد لله لم يقتل كما قتل غيره من الفرسان ومن الواجب ان نبصر فيما يجب اتخاذه من التدابير اللازمة لخلاصهِ ولمنع القتال . قال اني افضل خلاص ولدي على كل شيء فمن قدر من عياري بلادي ان ياتيني بهِ انعمت عليهِ واكثرت عطاه واوصلت انعامي اليهِ . فتقدم اليهِ في الحال هلال العيار وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ اذا امرني سيدي خلصت لهُ ولده والامير قتيل بوقت قريب واني اعدك وعداً ثابتاً اني لا اعود من جيش الاعداء الا بهما وسوف ترى مني ما يسر خاطرك واعلم ان هلالك شرارة تطفئ نار كل عيار . قال ان فعلت يا هلال كافئتك على فعلك بالجميل وشكرتك على طول الحياة واذ ذاك ودعهُ هلال وانطلق الى جيش الايرانيين بعد ان تزيَّ بزيهم واختلط بهم فلم يعد يعرف ولا يميز عنهم ولا زال في مسيره الى ان وقف عند صيوان الملك ضاراب فوجده محتبكاً بالناس من كبار الوزراء والامراء وكلهم في صفوف مرتبة على حسب مراتبهم فوقف ينتظر الفرصة الموافقة واذا بهِ سمع الملك ضاراب قد امر بان يوتى اليهِ بالشاه شجاع والامير قتيل فاتوه بهما وهما مكبلان بالحديد مقيدان الايدي ولما وقفا بين يديهِ قال الملك ضاراب للشاه شجاع ارايت عتو ابيك وكبره الى اين اوصلهُ وتبينت جهالهُ وقد اوقعهُ بالمصائب واوصل اليهِ الاذى والضرمع انَّنا لم نقصد لهُ ضرراً

ولا نوينا له شرًّا وما غايتنا الا امرًا واحدًا سهلاً عليه له بهِ الشرف والفخر والمجد بين ملوك الزمان فمن يكون صهره فيروزشاه ولا يفخر على ملوك الارض باجمعها و يباهي بهِ عزًّا وشرفًا . قال اعلم يا سيدي ان ابي منقاد لرجل كثير الشر والخداع ولذلك لا يمكن زواج اختي بفيروزشاه لانهُ يحبهُ اكثر منها ولا ياتي رايًا بغير علمهِ واني اسال الله ان ينهي بيننا الحال على طريقة تحفظ لنا ولكم سلامة المصير . قال فيروزشاه لا بد لي من قتل طيفور وكل خصم يمانع في منعي من الوصول الى غايتي وسوف يعلم الاعداء اي منقلب ينقلبون واما انت فلا باس عليك فانك تبقى عندنا الى حين النهاية لا خوف عليك من بوس ولا ضرٌّ ولولا الرغبة في سرعة الانجاز والوجوب الى حرمة شرف ملك ابي لاطلقت سبيلك غير ان ذلك يكون مع قوم لا تضيع عندهم الحسنات فان اطلقت سبيلكم الان يعتبر ابوك ذلك من قبيل الواجب اللازب فلا يحسب ان ذلك من كرامة اخلاق ولا يعدها من قبيل المعروف لاني عملت معهُ من الاعمال المحمودة ما عملهُ الناس باجمعهم ومدحوني عليهِ الا هو ووزيره طيفور فانهما مطبوعان على الشر منطويان على الغدر . قال الشاه شجاع اني لا اسالك الا شيئًا واحدًا وهو ان تامر بنقلي من عند هذا المحافظ الذي اقمتهُ عليَّ فانهُ ظالم غادر لم يطعمني منذ اقامتي عنده حتى خارت قواي ولم يعد في وسعي ان انقل قدمي فاغاظ هذا الكلام فيروزشاه والملك ضاراب وقال الملك لا باس مما كان فانهُ لم يكن باختيارنا وعلمنا ثم دعا باحد الامراء وامره ان يضعهما عنده وان يكرمهما ويحسن معاملتهما و يكثر لهما من المآكل الطيبة فاجابهُ الى ما امر وسيرهما مع خدمهِ الى خيامهِ فخرجوا بهما الى خارج الصيوان وساروا وسار من ورائهما هلال العيار وقد شاهد وسمع كل ما كان مما تقدم ذكره ولا زال سائرًا حتى وجدهما قد ادخلا الى الصيوان واقيم عليهما الحرس واذ ذاك اسرع الى فتيلة من البنج فاشعلها ورماها بين الحراس فتصاعد دخانها وهم لا يعلمون ما هي وما لبثوا ان سقطوا الى الارض كالاموات وكان قد استغنم فرصة خلو الصيوان فاسرع الى داخلهِ واخذ من وسطهِ مبرد العيارين وكسر بهِ قيود الشاه شجاع والامير قتيل وقال لهما اتبعاني فان الحراس نيام واني اذهب بكما الى جيش السجن فانا هلال العيار فلما سمع الشاه شجاع انهُ هلال العيار كاد يطير من الفرح فاسرع الى الخارج وكان ظلام الليل يسترهما عن الاعيان لانهُ كان حالكًا جدًّا لا يقدر المرء ان يرى رفيقهُ فسار هلال العيار بهما يخترق المضارب والخيام الى ان خرج من اخرها واوسع من جهة البر حتى قرب الى عين ماء وهناك رمى بنفسهِ الشاه شجاع الى الارض وصاح اني وقيعك يا هلال قال لماذا يا سيدي قال اريد منك ان تاتيني بقليل من الخبز فان قواي قد خارت حتى لم يعد في وسعي ان اتحرك او اقدر على المشي . قال هذا لا يمكن يا سيدي فاني لا اقدر ان اتركك هنا خوفًا من ان يراك احد عياري الاعجام فيعيدك الى اسرك ولا اقدر بعد على خلاصك فهلمَّ بنا فان الجيش قريب من

هنا ومتى وصلنا الى طلائعو اتينك بكل ما تطلب . قال لا يمكني ذلك فاني الان في حالة نزع وموت فاذا لم تستدركني با لاكل تعدمني ومثل ذلك فعل الامير قتيل فتكدر هلال من ذلك وحاولهما كثيراً دون جدوى وارتبك في امره وحار ماذا يفعل و بالصدفة صادف وجود شبرنك العيار في ذلك المكان لانهُ كان في جيش اليمن وجاء عند اخر الليل منهُ وهو لابس لبس درويش بعمامة كبيرة ولحية واسعة وثياب ممزقة و بيده كشكول فيهِ من الخبز كسر كثيرة ولما قرب من تلك العين دنا منها ليشرب و بعد ان شرب سمع صوت مشي فاختبأ في زوايا العين عند شجرة هناك ليعلم من الاتين وصبر الى ان سمع ما دار بينهم من الكلام وتاكد ان ذلك العيار هو هلال وقد خلص الشاه شجاع والامير قتيل فانفتح لهُ باب الامل وقال في نفسهِ كيف اعود الى سيدي الليلة بلا خبر جديد ثم انسحب الى جهة الطريق المؤدية الى العين وجعل نفسهُ كانهُ آتٍ من جهة اليمن واخذ بنجاً مزجهُ بمعجون وضعهُ في كشكولهِ وجاء يتدرج في مشيتهِ وهو يسبح الله و يصلي وهو ماش كانهُ لا يشعر بوجود احد في تلك الارض فسمع هلال العيار صوتهُ فقال للشاه شجاع اصبر يا سيدي فاني اشعر بقدوم درويش علينا فلا بد من ان يكون معهُ شيئًا من الخبز وقد ساقهُ الله الينا من اقرب طريق ثم تقدم منهُ شيئًا فشيئًا حتى وصل اليهِ وتبين حالتهُ وعلم في نفسهِ انهُ درويش مسافر في ظلمة الليل يصلي لله ولا يفتر عن تسبيحهِ فكلمهُ بالتحيات واراد ان يدعوهُ الى جهة سيده فاجفل وقال لهُ بلهجة يمنية من من الاعداء يقطع عليّ الطريق في ظلمة هذا الليل . قال لا احد من الاعداء يا عبد الله بل انا هلال العيار من قوم اليمن ومعي الشاه شجاع والامير قتيل فليطمئن بالك واني ادعوك اليهما فانهما في حالة جوع ويريدان منك كم كسرة من الخبز يسدان بها رمقهما لاننا آتين من جيش الاعجام ولم يعد الجوع يسمح لمولانا ورفيقهِ ان يخطيا خطوة الى الامام . قال دعني منكم فما انتم الا قطعة طرق منافقون تقصدون لي الاذى فماذا يا ترى تاملون ان تاخذوا مني وانا لا املك غير هذا الكشكول وفيهِ معجون الدراويش وقطع من الجبن وصوانة وقداحة وصوفانة وكبريتة وشمعة و بصلة ونصف راس توم و باذنجانتان ومكب خيطان فيهِ ابرة ارقع بها ثوبي واخيطهُ فاذهب عني والا دعوت الله سبحانهُ وتعالى عليك لينتقم منك فان الله يسمع من رجالهِ ولا يحب ان يظلم الظالمون ولا سيما الاشرار الذين يقطعون الطرق و يغشون الناس فاين انت وابن هلال العيار فانك ايراني لا محالة وهذا برهان على عدم صدقك وانك تريد لي شراً . قال لا كذب يا عابد الله في قولي فانا هلال عيار الشاه سرور وقد اتيت الى بين الايرانيين ولبست مثلهم لئلا اعرف بينهم وخلصت من الاسر ابن الشاه سرور والامير قتيل فهيا معي الى مولاي واني اقسم لك بالرب العظيم القدير خالق الليل والنهار اني ما بسطت لديك الا واقعة الحال والله شاهد عليّ ولو كنت ممن تزعم لما صبرت عليك الى الان بل كان في وسعي ان ابطش

فيك وانزعك ما معك غير اني اعلم ان الذي مثلك لا يقرب منهم ولا يطمع فيهم وما غايتنا الاّ بعض كسر من الخبز فاظهر شبرنك انه طامع بالتمسك وارتاح اليه وقال له ان كان صحيحًا ما تقول فمعي معجون اسمه معجون الدراويش اذا اكله المرء بقيته مدة اسبوع . فسارا حتى وصلا الى الشاه شجاع فوجداه يتاوه من الجوع فقال له هلال قد توفقت يا مولاي الى طلبك فهذا درويش من اهالي اليمن آتٍ ومعه معجون وقد سالته ان يعطيك بعضًا منه . قال عجل عليّ يا درويش وخذ مني عن كل قطعة منه قطعة من الذهب . قال ماذا نفعل نحن بالذهب الا تعلم ان عباد الله لا يرجون غير قوتهم الضروري ولا يقربون من مجد هذا العالم ولا يرغبون في شهواته فهاك المعجون بدون عوض لانه اتاني مجانًا ومثلما آخذ اعطي فانها من فضلات المحسنين . ثم دفع اليه كسر الخبز ومثل ذلك للامير فتيل فتناول الثلاثة منه واكلوا بنهمة واشتياق وبعد ذلك رفع عصاه بيده وضرب بها هلالاً ضربة كادت تعدمه الحياة فضاع عقله ثم صرعه الى الارض واقام عليه يشد كتافه فصاح من تحته ويلك يا درويش ما هذا العمل ولما غدرت بي وانا لم اوصل اليك باذية وقد عملت جهدي بمراضاتك وطيبة خاطرك . قال واي درويش تعني الا تعلم اني انا شبرنك العيار عيار الملك ضاراب وقد اوقعك الله في يدي للانتقام منك وهل تظن انك تخلص مني او تنجو باسيرينا وترجع بهما ونحن كالاصنام لا نعي عليك ولا نلتفت اليك وليس الان وقت كلام وتهديد . فلما سمع هلال كلامه نقطع ظهره وعلم انه وقع في مصيبة كبرى وان العدو قد درى به وتاثره ولعن الزمان كيف اضعف سيده عن المشي فاوقفه في تلك الساحة عند تلك العين ثم ضاع من النجح .

واما شبرنك فانه نظر الى الشاه شجاع والامير فتيل فوجدهما ملقيين الى الارض فربطهما بايديهما وحمل هلالاً على كتفه واسرع به عائدًا الى جيش ايران وكان الصباح قد قرب ان ينبثق بنوره المبهج شيئًا فشيئًا فدعا بعضًا من العساكر فاقامهم حراسًا على هلال واخذ معه رجلاً وعاد الى جهة العين فحمل الشاه شجاع والامير فتيل وكر راجعًا الى ان دخل بالجيش وسار باسراه الثلاثة حتى انتهى الى صيوان الملك ضاراب فوجد الملك والامراء في اضطراب لان الامير عاد الى صيوانه في اخر الليل فلم يرَ اسيريه ووجد الحراس مبنجين نيامًا الى الارض فعلم ان حيلة وقعت عليه وان الشاه شجاع والامير فتيل تخلصا ونجيا فارتبك وغضب الغضب الزائد وطاف في نواحي الجيش شرقًا وغربًا وهو يسال فلم يهده احد الى الصواب وكان الناس نيامًا وليس غير الحراس فقط منتبهون وما من واحد منهم راى احدًا الى ان كاد يفرغ الليل واذ ذاك عاد الى الملك ضاراب فايقظه واطلعه على فقدان الاسيرين فتكدر جدًا ولم يهن عليه هذا الامر واجتمع عنده وزراؤه وامراؤه وعلموا جميعًا ان الذي فعل ذلك هو من عياري اليمنيين وبينما هم على مثل ذلك واذا بشبرنك العيار قد وقف بين يدي الملك وطرح امامه هلال العيار وهو موثوق اليدين فقال له

من هذا يا شبرنك قال هذا يا سيدي عيار بلاد الشاه سرور وقد وقع بين يديَّ فاتيتك به ذليلاً حقيراً لتقابلهُ على فعلهِ لانهُ خلص منك اسيريك وهما الشاه شجاع والامير قتيل وقد صادفتهُ في الطريق فاسترجعتهما منهُ وقدتهُ قود البعير . قال وابن الاسيرين قال ها هنا يا سيدي ثم امر بان يدخلا عليهِ وكانا قد استيقظا من البنج بضده فلما شاهدهما الملك فرح فرحًا لا يوصف وشكر شبرنك على عملهِ وقال لهُ كيف قدرت على ذلك فحكى لهُ كل ما توقع لهُ مع خصمهِ الى ان اوصلهُ اليهِ فقال خيراً ما فعلت لانهُ يصعب عليَّ ان يدخل عيار العدو الى جيشي ويجري غايتهُ فيهِ ونحن فيهِ ولا ينتبه احد اليهِ ولذلك لا بد لي من قتل هلال العيار والانتقام منهُ وفي الحال امر ان يوضع في نطع الدم فقال لهُ هلال واي ذنب فعلت يا سيدي لاقتل اهل لا يحق لي ان اخلص سيدي وهو عندك اسير اليس ذلك من واجباتي وضرب مفروض عليَّ وما هي مهنتي يا ترى غير هذه فاذا قتلتني تكون قد ظلمتني لان مثل ذلك يفعل عياروك فيدخلون جيشنا بصفاتهم الغريبة المتنوعة ويجرون كل ما يقدرون عليهِ من الحيل والمكر وتلك مهنة العيار فهل يقتل الذي يخدم سيده بامانة ولو كنت من عياريك لرايت مني ما يسرك وفوق ما يسرك فاعجب الملك ضاراب كلامهُ وقال لهُ قلت صوابًا يا هلال واني ارغب في ان اشدك الى عياري بلادي واصل اليك بانعامي فتكون مبجلاً معظماً عندي مقدماً بين عياري مملكتي فقد اعجبتني صفاتك فاذا كنت تقلع عن خدمة الشاه سرور وتخدمني ازيد مرتبك واعطيك اموالاً جزيلة . قال ان هذا جل ما ارغبهُ يا سيدي واطلبهُ من زمان واي شرف لي اعظم من هذا الشرف بان اكون دائمًا في ركابك وتحت امرك وطوع ارادتك واني اعدك الوعد الثابت عن قلب طاهر اني لا اخونك واني اصرف حياتي خادمًا طائعًا لك ولامرك واقسم لك بالرب العظيم القادر اني لا اخلف في قولي ولا ارجع عنهُ وان شئت ان تبقي عليَّ فضعني في سجنك الى نهاية هذه الحرب ان كنت تخاف مني خيانة او تظن بي سوءا . قال الملك ضاراب اني اجبتك الى قولك ولا اريد ان ابقيك في سجني بل ارغب في ان انتفع فيك اثناء هذه الحرب ويكون لك اليد الطولى في كل الاعمال والاجراءات اللازمة انما اريد منك كفيلاً على صدق قولك هذا فاطلقك لهذه الساعة ثم التفت الملك يمينًا وشمالاً في الامراء والفرسان فوجد بهروز العيار واقفًا بالقرب من سيده فيروز شاه وهو ينظر اليهِ وعيناه تقدحان شرار النار . فقال لهُ اتكفلهُ يا بهروز بانهُ لا يعود الى خدمة الشاه سرور ولا يخون بنا ويكون محافظًا على صوالحنا امينًا على اقوالنا . قال كلا يا سيدي فاني لا اكفلهُ مطلقًا لاني اعلمهُ انهُ خبيث محتال وان في نيتهِ ان يغدر بنا ويوصل شره الينا وسوف يكشف لك المستقبل عن الحقيقة فتعلم صدق ما اقولهُ لك الان ونتذكره فيما بعد . فقال هلال اخطأت يا بهروز فقد طعنت بي على غير حق فاني اقول الصواب ولا اريد ان اخرج من الان وصاعداً عن خدمة الملك ضاراب

وستاتي الايام بالحقيقة واني من زمان تطلب نفسي ان انضم الى عياري الاعجام لما اعلمهُ فيهم من الشجاعة والاقدام ولا سيما فاني اعرف ان الملك ضاراب يعرف قيمة عياريهِ ويقدرهم حق قدرهم ولا يضيع لهم تعباً بخلاف الشاه سرور فانهُ لا يظهر منهُ الجميل دليل ولا يمدح احداً على صدق خدمته وقد اقسمت الان بالرب العلي العظيم اني على ما اقول صادق . فقال الملك ان كنت يا بهروز لا نقبل ان تكفلهُ لدى ابطالي وفرساني وتخاف من خيانتهِ وغدره فانا اكفلهُ واضمنهُ انهُ يكون من جملة عياري بلادي لا يغدر باحد من رجالي ولا يؤذي احداً . فاجاب هلال مظهراً شكره وممنونيتهُ للملك الان زدتني رغبة يا سيدي في خدمتك فقد يمكن لو كفلني بهروز ان تحدثني نفسي بالرجوع الى خدمة الشاه سرور اما الان وقد ضمنتني انت فلا عاد قط يخطر لي ان اذكر الشاه سرور و بلاده بخير لا سيما واني اعلم ان نجم سعده قد قرب على الزوال فلا عاد يقدم على النجاح ولا يتوفق في امر من الان وصاعداً

فلما سمع الملك كلامهُ ركن اليه كل الركون فامر ان يؤتى بصدرية مزركشة من الذهب فافرغها على هلال وكذلك امر لهُ بخنجر محجر من قبضتهِ بالحجارة الكريمة مجوهر النصلة فدفعهُ اليهِ وقال لهُ انزع عنك ثياب عياري اليمن والبس ملابس عيارينا وكن بينهم كواحد منا وقد عينت لك عن كل شهر خمسة وعشرين وزنة من الذهب ورتبت لك العلوفات المقتضية فما صدق ان سمع هلال هذا الكلام حتى وقع على قدمي الملك يقبلها وقد شكره على معروفهِ وكان خبيثاً محتالاً قادراً على المداهنة والخداع واقام من ذلك اليوم بين القوم كعيار منهم وسوف نعود اليهِ والى ما يكون منهُ فيما ياتي

واما الشاه سرور فانهُ كان معلقاً كبير امل بهلال وهو يعد نفسهُ انهُ يعود اليهِ ومعهُ ابنهُ والامير قتيل الى ان كان الصباح ومضى قسم من النهار ولم يرجع فعلم انهُ وقع في يد العدو اسيراً فامر باحضار وزيره واستشاره فيماذا يفعل . قال لا نعلم ان كان ذلك حقيق فان هلالاً قال انهُ لا يرجع الا بهما فربما لم يتوفق الى الصواب ولا اهتدى الى طريقة تمكنهُ من خلاصهما فصبر الى هذه الليلة واننا نشكر الله حيث الايرانيون لم يبادونا بقتال في هذا النهار الا انهم في الغد لا بد من ان يبكرون الى قتالنا فقبل كل شيء يجب ان نرسل الجواسيس تكشف لنا خبر هلال العيار و بعد ذلك ندخل المدينة وننظر في تدبير امرنا . قال اصبت بحسن الراي . ثم امر ان تسير الجواسيس الى جيش الاعداء تستكشف لهُ الخبر عن هلال وتاتيه بالحقيقة فسار العيارون الى ان دخلوا بين جيوش الاعجام وكل منهم قد تزيا بزي كي لا يعرف وما جاء اخر النهار الا ورجعوا على اعقابهم فوقفوا بين يدي الشاه سرور واخبروه ان ولده لا يزال اسيراً عند عدوه وان هلال العيار هو قائم بخدمة الملك ضاراب لابس ملابس عياري العجم متقلد باسلحتهم لا يفرق عنهم وقد صار

كواحد منهم فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام قلب الضياء في عينيهِ كالظلام وقال ما الذي اوجب هلالاً الى الانقياد الى الاعداء والمخالفة علينا قال لهُ احد العيارين قد سمعت انهُ بعد ان خلص الامير قتيل والشاه شجاع وعاد بهما التقاه شبرنك العيار فاسترجعهما منهُ بالحيلة واسره هو ايضاً وقاده الى بين يدي الملك ضاراب فتكدر من عملهِ واراد الانتقام منهُ على عملهِ فدافع عن نفسهِ وعرض خدمتهُ على الملك ضاراب وقال لهُ اني ارغب في ان اكون دائمًا بين يديك لعلني ان بخدمك وان سعد الشاه سرور قد زال فاخذ عليهِ الملك ضاراب العهود والمواثيق وانعم عليهِ بزائد الانعام وشده بين عياريهِ . فزاد لذلك غضب الشاه سرور وقال لطيفور اني اتعجب من الزمان كيف ياتيني بما لا انتظره فهو مجهد على عنادي عامل على تاخيري ولم يكن في ظني ان الدهر هلالاً يعمل على الغدر بي ويوافق عدوي وكنت اظنهُ من احب الناس الى مصالحي واشدهم رغبة في صوالحي ونجاحي . قال طيفور اني لا اظن ان هلالاً اطاع الملك ضاراب عن خلوص نية ولا بد من ان ياتينا بالنجاح وسوف تظهر لك الحقيقة انما الان نرى من الواجب ان ناتي على ما فيهِ نجاحنا وننظر في ما هو اهم من مسالة هلال . قال بماذا فكرت وعلى ماذا عولت قال فكرت بان نجمع الجيش وندخل تحت ظلام هذا الليل المدينة ونقيم على اسوارها ومن قرب منها رميناه بالنبال وندبر الخندق بالمدينة وفي ايدينا سهام المنايا فاننا نرى في ذلك نجاحًا مكفولاً مدة ايام الى ان ننظر الى ما ياتينا بهِ الزمان وعلى الامور الايلة الى رجوع فوزنا مخبئة لنا فتظهر فيما بعد . قال افعل ما بدا لك واني استصوب هذا الراي لعلمي ان قيامنا خارج المدينة يوقعنا بالبلايا والمصائب وربما لا نتمكن فيما بعد من الدخول الا بعد فقدان كثير من عساكرنا ورجالنا واننا متى كنا على الاسوار نقدر ان ندافع اعوامًا لاسيما وان جيشنا كثير وان القتال يكون بالسهام والنبال فهم على بساط الارض مكشوفون لنا ونحن في الاعالي نتمكن منهم ونبطش فيهم جميعًا والله يعطي النصر لمن شاء واراد

وبعد ذلك صبروا الى ان اشتد ظلام الليل فاقلعوا راجعين على الاعقاب بدون ان يبدوا حركة او ياتوا بما يظهر للاعداء انهم قد اخلوا تلك الارض وكان جل خوفهم ان يعلم الاعجام بهم فيمنعونهم من الدخول ولا زالوا يدخلون من الابواب افواجًا افواجًا الى ان دخلوا برمتهم واخلوا تلك الارض حتى لم يعد فيها الا اثارهم واقفلوا من خلفهم الابواب وتسلقوا الاسوار فاقاموا عليها وتفرقوا على الحصون يترتبون ويتدبرون وقد اخذوا قسيهم واكثروا من نبالهم وكانوا كالجراد المنتشر في كثرة العدد وقد املوا بعض النجاح بالمدافعة والممانعة وثبت في اعينهم انهم يثبتون على تلك الحالة زمانًا طويلاً كانهم قد تبينوا قوة افعالهم وتدابيرهم الفعالة القوية . ولما كان الصباح نهض الملك ضاراب ورجال ايران وفرسانها ونظروا الى جهة الاعداء فلم يروا احدًا منهم بل

نظروا الى اثارهم فوجدوها باقية في تلك الارض فتأكدوا انهم قد دخلوا المدينة من الخوف والجزع وعزموا على الحصار والدفاع من داخل المدينة فكدرهم هذا الامر وقال الملك ضاراب لم ارَ بزماني قوماً اكثر جبناً من اليمنيين واعظم غدراً منهم وخيانة واضعف عقلاً ورأياً فهم جهلاء لا يحسنون التدابير ولا يعرفون ما به صالحهم وخيرهم وظنوا ان القلاع والحصون تحميهم منا او تمنعهم عنا وقد علموا شدة حربنا واننا لا نمتنع بالحصون واني اراهم عليها كالنجوم المنتشرة في افق السماء . فقال طيطلوس انه من الصواب ان نتقدم الى الامام ونقف مقابل الحصون ونباكرهم في الغد الى القتال وقد ثبت عندي اننا ننتصر عليهم انما بعد صعوبة كلية لانهم قد اتخذوا مراكز على الحصون وبفكرهم ان يقاتلوا بالنبال ويرمونا بالسهام فيوقعون بنا ويذهبون بعمر كثير من جيشنا وليس لنا مراكز تحمينا منهم فلنذهب اولاً الى تجاه المدينة وننظر هناك في امر القتال لعلنا نتوفق الى طريقة تقربنا نجاحاً . وكان فيروزشاه غير واعٍ على كل ما بسط امامه بل كان غائصاً في بحر من الهواجس وقد رآه ابوه على تلك الحالة وشاهد فيه دلائل الغيظ والتأثر الناتجين عن فواعل الحب فانفطر قلبه له وامر في الحال ان تتقدم العساكر الى الامام وتقف في مراكز تكون مقابلة لحصون المدينة ومعاقلها . ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى نهضت تلك الجيوش فعلت فوق ظهور الخيول ورفعت الاحمال فوق ظهور الجمال والبغال ونقلت الذخائر الى جهات المدينة وحطت عساكر ايران بالقرب منها بحيث تشاهد كل ما يكون منها وما هو فيها وضرب الملك ضاراب صيوانه في نصف جيشه وضربت من حواليه صواوين حرسه وكل قائد ضرب صيوانه في قلب جيشه وكذلك فيروزشاه فانه ضرب له صيوان في قلب جيوش الزنوج والى جانبه صيوان الامير ميمون وما انتهى اخر ذلك النهار الا وهم على غاية ما يكون من التهيء والتأهب وقد انتهوا من النقل واقاموا في تلك الارض كالنبات المبسوط على وجه القفار في ايام الربيع الخصبة . ولما راى الملك ضاراب الى الحصون وشاهد مناعتها ورأى الذين عليها يعجون ويضجون وبايديهم القسي والنبال وشاهد حول المدينة خندقاً عميقاً لا يمكن للخيل ان تتعداه ولا للمشاة ان تجتازه تكدر جداً ودعا اليه وزراءه ورجال دولته وعقد مجلساً في صيوانه واستشارهم في ماذا يفعلون وكيف راوا في سبيل خرق هذه الحصون باقرب وقت ومنع الحصار بما امكن من السرعة . قال طيطلوس واي شيء راينا غير القتال والدفاع انما من الواجب على القواد والفرسان ان تتخذ قلوب الاسود فتقاتل فيها امام جيوشها كي لا تصعقها سهام الاعداء ولا تضعضها نبالهم وعندي يقين اننا لا نلبث ثلاثة ايام ما لم ندخل المدينة قال الملك كيف ذلك والحصون منيعة وحول المدينة خندق واسع قال اننا باثناء القتال نعين رجالاً مخصوصين يشتغلون بسد الخندق بالتراب وطمره وفي تلك الساعة نهض ميمون وقال لا يرهب سيدي الملك عظم هذه الحصون فهي بيد قوم من اجبن رجال العالم ولو كانوا

من الاشداء لمدافعوا فيها ملايين من العالم احيا لاً كثيرة واني قد جئت اليها مرة مع هورنك وكدنا نفتحها بوقت قريب لضعف الرجال الذين عليها لو لم يبادروا الينا بالصلح والطاعة ويدفعوا عن المدينة بان سلموا الينا سيدي فيروز شاه وذلك كان رحمة من الله على بلادنا ورجالنا ولذلك اعد سيدي الملك اني برجالي اقدر على فتح المدينة بهمة رئيسنا فيروز شاه ولا اريد منكم الا من يمنع عنا سهام الاعداء وذلك بان يقابلوهم بالمثل ويكثروا عليهم من رمي السهام فيخافون ويقاتلون بضعف قلب فليعين سيدي الملك اناسًا لرمي السهام والنبال واخرين لترميم الخندق وهدمه ونحن نكفل لكم هدم هذه الحصون بعمدنا والصعود عليها قبل فوات نهار غد واننا لا نرجع ما لم نفتح المدينة دفعة واحدة . فشكر الملك ميمونًا على قوله وقال ان ما اشرت به صوابًا فلننتخب لنا قومًا ماهرون برمي النبال قادرون على الثبات عليه فنقيمهم يدافعون عنا فنهض سيامك سيا قبا وقال ان امر سيدي الملك اخذت على نفسي هذه العهدة لانه مقرر عندكم ان جيشي هو من اشد الرجال معرفة برشق السهام النارية وقد صرفت جهدي الى ان جعلته في اول درجة فهو وحده قادر ان يوقع بجميع من على الحصون ويعمي ابصارهم عن ان يعودوا الى الثبات على الحصون واثبت قولي هذا بوعد اثبت منه اني لا ادع النهار يمضي وعلى الحصون رجل من اليمنيين مع كثرتهم فشكره الملك ضاراب وفيروزشاه وجميع الحاضرين واعهدوا اليه بهذه المهنة ثم امر الملك بان يتقدم مرادخت الطبرستاني وشبربن الشبيلي الطلقاني برجالها الى هدم الخندق وان يزحف الباقون على الاسوار وفي مقدمتهم ميمون بجيش الزنوج وفيلزور بجيش ايران وانتهى الحال على هذا المنوال وفض المجلس وكل يهيء نفسه ويتاهب في الصباح الى اجراء مهنته وما اعهد اليه اما فيروزشاه فانه كان ينظر الى تلك الحصون ويعض على اسنانه من الكدر والغيظ كانها قائمة على قلبه لانها كانت المانعة القائمة بينه وبين حبيبته ولولاها ولولا من عليها لدخل المدينة وشاهد عين الحياة وبل شوقه من النظر اليها فانه في تحرق زائد الى ذلك وقد مضى عليه كثير من الايام دون ان يسمع عنها خبرًا او يصل اليه من نحوها علم وقد ارق تلك الليلة ولم يعد يخطر على باله غيرها وكيف دار بوجهه يرى شخصها يلوح لعينيه وقد زادت بهاء ورونقًا واكتست من اثواب الجمال حللاً لا تبلى مع توالي السنين والايام وهي منكسرة الخاطر محصورة البال تطلب الوصول اليه ولا تقدر عليه حتى ضاق صدره وعيل صبره وعول ان يلهي نفسه بالنوم فلم تطعه ولا خفي عنه خيال محبوبته وهو ملاصقه يدعوه الى الدنو منها والمصافحة والعتاب على طول الغياب فلم يرَ داع لعلاج غرامه واسكان بعض جاشه الا مناشدة الاشعار فعدد كثيرًا منها مشيرًا الى الحب ودواعيه

هجوعك بعد بينهم حرامُ وان كثر التعرض والملامُ
فما بخليٍّ احشاء سليمٍ كما بفتيٍّ اضرَّ به السقامُ

لقد اخفى الهوادج بدر تمٍّ | وكان الامس مطلعهُ الخيامُ
بماذا نفتديهِ وما لدينـــا | عتيب رحيلهِ الا العظامُ
انهنه ادمعي فيهِ ويعرو | فؤادي من تجنيهِ الاوامُ
وتروى الكاس من شفتيهِ لثماً | ويجنى ورد خديهِ اللثامُ
يواصل ساعةً ويصد دهرًا | فما نعماؤه الا انتقامُ
وليس يطيب وصل للغواني | اذا لم يصحب الوصل الدوامُ
اذا هي اقبلت فالصبح بادٍ | وان هي ادبرت جنَّ الظلامُ

وقولهُ ايضًا

الى مَ الجفا تالله انحلني الهجرُ | وان اصطباري قد قضى فلك العمرُ
ايا ريم وادي المنحنا من ضلوعنا | ترفق فان الصب انحلهُ الصبرُ
بغيرك ان اتهمت اني احبهُ | يمينًا فما للغير في خاطري ذكرُ
خليليَّ كونا لي فما الخل غير من | يعين خليلاً عندما دانهُ العسرُ
وقولا كئيبًا قد تركناه باكيًا | ومن شربهِ خمر الهوى جاءه السكرُ
لكي تعتريها رأفةٌ وترقُّ لي | ويظهر في ليل النوى ذلك البدرُ
يمينًا وان جدَّ الزمان ببعدنا | فلا انثني عن حبها ما بقيَ العمرُ
سقى الله ايامًا لنا ولياليًا | وسرًّا خفى عن كل واشٍ له سترُ

وبالحقيقة انهُ لم يكن في زمان فيروز شاه من هو مثلهُ في كل مزاياه فانهُ كما كان افرس اهل زمانهِ واشدهم اقدامًا واجملهم شكلاً كان اعظمهم حبًا واكثرهم غرامًا وكان ايضًا اصبرهم على الحب واقدرهم جلدًا عليهِ وعلى احتمال المكاره وهو يعد نفسهُ من يوم الى يوم بالاجتماع بعين الحياة بعد نهاية الحرب ورجوع ابيها عن عناده ونظره الى الصواب فيوافقهُ على غايتهِ وتنقضي بينهما العداوة وينقلع الشر والفساد فكان كلما قرب آمالهُ كلما طالت وبعدت وتصعبت وهو يجهد نفسهُ في ان يخفي شدة حبهِ ولا يظهره امام احد الا فرخوزاد وبهروز غير ان عموم الجيش كان يعلم بحالتهِ ويعرف ما هو عليهِ وانهُ يبيت في كل ليلة على نار من الهيام تتسعر بشدة كلما طال المطال وتوقد بايدي الفراق والجفا وكان اعرف الناس بحالتهِ ابوه لانهُ كان ينظر اليهِ بعين حبهِ فيبان لهُ ما هو عليهِ من العشق المفرط فيتاثر من جرى ذلك ويضيق صدره ويتمنى انهُ يفدي بلاده ورجالهُ في سبيل نوال مراده ولولا شرف نفسهِ واعداد الملك لابنهِ لعرض على الشاه سرور ان يعطيهُ بلاده وملكهُ وجميع ما تصل اليهِ يده في مقابل زواج بنتهِ لابنهِ وكان ذلك يسهل عليهِ فلا يدع حاجة في نفس ابنهِ الكريمة الا ان الرجاء كان يهون عليهِ الصعائب فيظهر لهُ ان الشاه سرور سينقاد

صاغرًا و يسلم ببنورغماً وقهراً

وفي صباح الغد نهضت عساكر ابران على نية القتال فضربت طبول الحرب اعلانًا للاعداء كي لا يقال بانهم غدروا بهم وتهيأت الصفوف واستلم كل فارس قيادة جيشهِ وتوجه في طريق ماموريتهِ وما عهد اليهِ عملهُ واما سيامك فانهُ جمع جيشهُ وعدده ثلاثون الفًا كما تقدم الكلام وقال لهم اني ما صرفت هذه الايام الطوال بتعليمكم رمي النبال الا لمثل هذا اليوم وقد اعهد الينا الملك ضاراب بحماية الجيش كلهِ لما كان يحق الركون لنا و يعلم مانحن عليهِ من البسالة والاقدام فكانهُ قد اختارنا عن سوانا فلا تضيعوا حق ركونهِ ولا تتاخروا او تتاثروا عن تصويب سهامكم الى الاعداء القائمين على الاسوار بل اريد منكم ان لا يضيع سهم دون مرمى اي دون ان يشك صدرًا وان تكون سهامكم كضباب في وجه الاعداء يغطي بقية الجيش فاجابوه عن فرد لسان اننا سنكون فوق ما تظن ليعلم ملكنا اننا نخبة جيشهِ فشكرهم وسار بهم الى اكمة تتجهُ الى الاسوار عرف ان نبالهم تصل اليها منها فاتخذ لهم مراكز فيها ومواقف من الرمال واحكموا عملهم وما انتهوا من تدبير احوالهم الا كان بقية الجيش قد بدأ بالزحف وتهيأ الاخر لطر الخندق وتقدم جيش الزنوج تحت امرة فيرونرشاه وميمون يقصد هدم الاسوار وفي تلك الساعة تساقطت النبال من عن الاسوار كما تتساقط الامطار واندفعت اليها سهام رجال سيامك النارية كما تندفع الكلل من فم المدافع واشتغل عمل القوم وعلا صياحهم ونواحهم وكان دخان القتال يرتفع و يتكاثف شيئًا فشيئًا حتى اعمى الابصار وحجب المدينة عن الانظار ولم يعد يرى الرجل خصمهُ ولا يعرف اين يضع قدمهُ وقد عظم الحال واشتدت الاهوال وجال بين القوم عزرائيل يقبض الارواح ويبعث بها الى مستقرها حتى عجز وضعف من كثرة العمل ولم يقدر ان يقوم بمهنتهِ لكثرة القتلى فاستعان برفاقهِ على تتميم مهنتهِ وكان جيش المدينة من على الاسوار يرمي بالنبال وهو لا يعلم الى اي صوب تقع لانهُ كان قد عميت ابصاره من كثرة رمي السهام النارية المنبعثة من قسي رجال سيامك سياقبا واحتجب الجيش عن اعينهِ بما ثار من غبار حوافر الخيل وكانت ساعة مهولة زهقت بها نفوس الابطال . وتقطعت اوصال الرجال . وقام منادي الويل واقفًا على الاقدام . ينشر ذيول الهلاك والاعدام . وتعجل سلب الارواح . عن تلك الاشباح . ولم يكن الا قليل من الوقت حتى تمكن رجال الخندق من سده فاجتازتهُ العساكر وقربت من الاسوار واشتغل ضرب العمدان بها حتى صمت الاذان من قرقعة وقع الحديد على الاحجار فلم تعد ترى في تلك الساعة الا عمد تشرع وقطع الحجارة تتطاير وتدفع وصياح وعويل وهمهمة وزئير واحتدام ووعيد وانتشرت رجال العجم على تلك الحصون انتشار النجوم واندفعت تهدم فيها بقلوب الاسود الكواسر وقد عزمت على ان لا ترجع ما لم تهدمها الى اساساتها وتدخل المدينة وكان اشد القوم عملاً جيش الزنوج فانهُ بذل جهده مرضاة لفيرونر

شاه ورغبة في اخذ الفوز والظفر لنفسهِ ودام الحال على ذلك المنوال حتى بان وجه النصر وحققت الامال وانهدم جانب من الحصن الاول واندفعت العساكر الى الذي بعده واخذت في العمل فيهِ وسهام سيامك سيا قبا تحميها وهي متواصلة لا تنقطع مطلقًا فتنبعث طلقات طاقات وتنحدر على الرجال فتلقيها من اعالي الحصون وتخترق المتارس والمعاقل وتنفذ من النوافذ باحكام وعناية حتى ضاق الحال على المحاصرين وعلموا ان المدينة لا تقدر على الدفاع اكثر من ساعتين او ثلاث وبعد ذلك تدخل رجال ايران المدينة فينهبون ويسلبون ويسبون وتوهموا انهم لا يبقون على احد فارتفع صياح النساء وبكاء الاطفال واشتد العويل من كل صوب وعرفت عين الحياة بقرب فتح المدينة واندكاك اسوارها فارتاعت وان كان قلبها يميل الى نصر فيروز شاه وخافت من انحطاط قدر ابيها وان تؤخذ سبية وتتزوج على طريقة غير التي تحب واقامت بين الرجاء واليأس الا انها كانت بشوق زائد الى الدنو من الاسوار لتنظر فيروز شاه وهو في القتال وتشاهده وهو بين قومهِ يصادم ويدافع وقالت الى قهرمانتها الان قد صحت الامال ولا اظن عاد يطول المطال فالمدينة على وشك الافتتاح وبعد ساعات ترين فيروز شاه يخترق برجالهِ اسواق المدينة ويخربون قصور ابي واني اعلم انهُ لا يقصد الى غير هذه الجهة ولا يلتفت الى كل ما في المدينة واني اعلم انهُ اذا وعى الى نفسهِ لا يدع احدًا من رجالهِ يؤذي من المدينة احدًا غير انهُ يلتهي عن ذلك فيَّ فيسبق الجميع للوصول اليَّ ولا يرجع عن غايتهِ واعرف ذلك من نفسي لاني منفطرة الفؤاد لاجلهِ مشتاقة الى النظر الى جمال وجههِ ميالة جدًّا الى القرب منهُ فكيف يصبر وقد دك الحصن بيده وازال المانع الذي كان يمنعهُ عن ان يراني . فقالت شريفة لا باس مما تخافين فانت تعلمين انهُ اكرم الناس اخلاقًا فلا يقبل على نفسهِ ان ياخذك سبية فيسرع اولاً الى مسك ابيك واجباره على اجابة طلبهِ بعد ان يقتل طيفور جرثومة هذا الفساد ومتى قتل طيفور وشاهد ابوك سوء حالهِ ينقاد الى الملك ضاراب ويفعل بارادتهِ

وكانت نار الحرب لا تزال في اشتداد وعساكر الاعجام تفعل في الحصون كما تفعل النار في القتاد . وهي تتسلق الاسوار من جهة وتهدمها من جهة وتخرقها من اخرى وبلغ الشاه سرور هذا الخبر فتكدر وضاقت عليهِ الدنيا وقال لوزيره طيفور قد اصبحنا على شفير الخراب والدمار واني عما قليل اقع في قبضة الاعداء فلا يبقون عليَّ ومثل ذلك يفعلون فيك وقد كان في ظننا ان تثبت الحصون مدة مديدة فلم تثبت يومًا واحدًا فلله در الاعجام فانهم اشد رجال الدنيا اقدامًا وبسالة واعرفهم بمواقع الحرب والطعان فمدني يا طيفور برايك الصائب قبل ان نقع في يد الاعداء فنعدم الحياة ولم يعد من ثم خلاص . قال لا باس علينا ولا خوف وقد خطر لي خاطر فيهِ السلام والامان وان نسالم الاعداء موقتًا بينما نكون قد دبرنا امرنا . قال كيف نسالم الاعداء وهم على هذه الحالة واي

مسالمة يقبلون فيها بعد فوزهم ووقوعنا بيدهم ومن يا ترى يقدر ان يصل اليهم ليخابرهم بصلح وسلام قال عندنا الخواجه ليان وهو لا يزال بالسجن فاذا احضرناه واطلقناه وسلمناه هذه المهمة يقوم بها حق القيام لانه امين على حب بلاده سليم الطوية فاذا اعتذرنا اليه قبل عذرنا واجاب طلبنا ووافقنا على قصدنا ثم بعث اليهمن يحضره اليها بالسرعة والعجلة

وكان قد تقدم معنا ان الخواجه ليان قد سجن في سجن عميق بطلب طيفور الوزير لاجل فيروز شاه بعد ان كان قد نوى على قتله فبقي في سجنه يقاسي عذاب الهون لا يطعم ولا يشرب الا من المساء الى المساء وهو متروك منسى من الناس ولم يعد يلتفت اليه احد وغاب عن ذهن الشاه سرور امره ولم يعد يفكر فيه الا عين الحياة فانها كانت قد اتخذت الوسائط اللازمة لتطمينه وايصال الماكل الطيبة اليه من وقت الى اخر غير ان ذلك لم يكن كافياً لدفع الشدائد عنه وتخفيف ويلاته لانها كثيراً ما كانت تنساه وتلتهي عنه بما كان يطرأ عليها من الحوادث فكانت حالته من اصعب الحالات لا يرى وجهاً للخلاص ولا سبيلاً لاطلاق سبيله فقطع رجاءه من الحياة وتبين في نفسه انه سوف يموت في السجن فصبر على مضضه مسلماً امره الى الله سبحانه وتعالى موملاً منه فرجاً ودام على مثل ذلك الى ان دخلت عليه رسل الشاه سرور فاخذته من سجنه بالعجل واسرعت به وهو لا يعلم أ لخير او لشر فكان تارة يقول في نفسه لا بد من ان يكون الوزير طيفور اقنع الشاه سرور فوافقه على قتلي واجابه اليه وقد دعيت لاقتل وطوراً يقول ربما تكون سيدتي عين الحياة قد سالت اباها فيّ فاجابها الى اطلاق سبيلي والعفو عني ولا زالت هذه الافكار تتناقله وتتلاعب به ولم يكن يخطر في فكره قط امر فيروز شاه لانه كان مقتنع كل القناعة بانه هلك ومات الى ان وقف بين يدي الشاه سرور فخفق قلبه ووقع الرعب في ركبه عندما شاهد طيفور الوزير بقربه وكاد يقع الى الارض لو لم يسارع طيفور الى تطمينه فهش في وجهه وبش وقال له لقد اخطانا اليك يا خواجه ليان فنريد منك المعذرة والمسامحة

قال اني عبدكم فتفعلون بي ما شئتم وليس لي ان اعارضكم فقال الشاه سرور لا بد من التعويض عليك بالاكرام الزائد وارجاعك الى منصبك وليس الان وقت عتاب اكثر من ذلك واننا ما دعوناك الا لامر خطير وسبب كبير نحن في حاجة الان الى تدبيره ودفعه وعلمنا يقيناً انك انت وحدك القادر عليه فهل تعدنا بالجميل وبالمحاماة عن وطنك وبلادك لانك مثلنا في المصيبة وشريكنا عليها . قال اني ارهن نفسي لخدمة بلادي وسيدي فامرني بكل ما انت طالبه من قضاء هذه المصلحة التي انت طالبها تجدني اسرع بكل جهدي الى اتمامها . قال اعلم ان الملك ضاراب قد فاجأ بلادنا فحاربناه كثيراً وكدنا ننتصر عليه ونرجعه بالخيبة غير ان السعد لم يخدمنا كما خدمه فبينما نحن في فرح وسرور نرتع في رياض الفوز والا بفيروز شاه مملوكك قد جاء من بلاد

السودان مظفراً منصوراً ففتك فينا واهلك منا قوماً كثيراً فلجئنا الى المدينة وقفلنا ابوابها فهجم برجاله على الحصون وهم كالاسود الكواسر فدك البعض منها ولا يزال القتال الان قائم عند الاسوار واذا لم نتدارك امرنا تفتح المدينة باقل من نصف ساعة وتدخل الاعداء الينا فينهبوننا و يسبون نساءنا ويفعلون بنا القبائح وليس فينا من عاد يقدر على الدفاع ولذلك رضينا بالصلح والسلام فدعوناك ليكون الصلح بيدك لعلمنا بمنزلتك عند فيروزشاه فسر الان بالراية البيضاء فارفعها على الاسوار واذا رآها الاعداء فلا بد من ان يقفوا عن القتال ويمتنعوا عن التقدم فانزل الى بين يدي فيروزشاه واعرض عليه السلام واننا مستعدون لان نعقد معه صلحاً ونسلمه عين الحياة عروساً له وينتهي الخلاف بيننا وتنقلع جرثومة الشر. فقال الخواجه ليان اني افعل يا سيدي كما اشرت اليه واعدك بالنجاح لاني اعلم صدق نية فيروزشاه وسلامة طويته فهو لا يكره صلحاً كهذا ويرغب فيه مثلكم فادفعوا اليّ الراية لارفعها وبعد ذلك تروون مني كل ما يسركم فامر الشاه سرور ان تسلم راية الامان الى الخواجه ليان فاخذها وتقدم الى جهة الاسوار وهو في مزيد فرح ومسرة لانه كان في شوق الى رؤية فيروزشاه ومما زاده سروراً علمه بخلاصه من الاعداء وانتصاره على عدوه وثبت لديه انه يسر به ويكرم منزلته ويقربه منه ولا ينكر ما بينهما من سابق المودة فيكون بعمله هذا قد خدم الشاه سرور وبلاده وخدم ايضاً فيروزشاه وعين الحياة وقرب منهما ما هما في التباع وشوق اليه فينتهي الامر على يديه وتنقضي الحاجة بواسطته وبمسعاه

قال وكانت سهام الايرانيين تقع على اسوار المدينة كالصواعق ورجال الزنوج والاعجام تهدم فيها وتقرب منها شيئاً فشيئاً ولم يعد الا السور الداخلي وقد بدأ فيروزشاه يهدمه مع رجاله وهو يعرف ان ما وراءه الا حبيبته تنتظر مجيئه فكان يهيج كما تهيج فحول الجمال ويزأر كما تزأر الاسود ويضرب في السور فيرتج من اساساته وتتساقط الحجارة من اعاليه كان الزلازل تزلزله والارض تدفعه عنها لثقله وليس لها طاقة على حمله. هذا والملك ضاراب واقف في موقفه تحت الرايات والاعلام والى جانبه طيطلوس ودوش الراي وزيريه وبيده نظارة ينظر الى القتال وقلبه مملوء من الفرح وقد قال لوزيره ومن حوله هوذا قد فتحت المدينة وعما قريب تدخل رجالي البلد براية النصر والفخر تحت امرة ولدي البطل القسور واني اراه وغبار القتال يجلله متوجاً بالنصر مكللاً بالظفر ولم يكن في عهدي ان الشاه سرور يحتمل كل هذه البلايا والمصائب ويجالد عليها ولا يطلب صلحاً ولا يرغب في سلام فقبح الله الجهل فما اشره في الملوك فانهم يقودون بلادهم الى الخراب ورجالهم الى الهلاك وهم لا يعرفون السبيل المودية الى تحسين صوالحهم فلو كانت سياسة الشاه سرور حسنة لكان الان في راحة وطمانينة مرفوع المقام بين الملوك وعنده مثل ولدي وفرساني باجمعهم ينقادون اليه ويرغبون في خدمته كل ذلك لاجل بنته عين الحياة واما الان فقد فقد

خرق هيبته بيده وإضاع ناموسه وعما قليل يقع في ايدينا فيلتزم ان يزوج بنته بابني غصبًا عنه ورغمًا عن انفه وبينما الملك ضاراب يحاكي وزراءه وينظر الى الاسوار واذا به قد راى علمًا ابيض قد رفع عليه فحققه واذا به علم الامان فعلم ان المدينة وهي في اشد ضيق تطلب اليه الامان فامر في الحال ان تضرب طبول الانفصال لانه شاهد رجال اليمن قد انكفأت عن القتال وامتنعت عن رمي النبال وفي الحال ضربت الطبول ونفخ نفير الانفصال مشيرًا الى الوقوف عن الحرب وفي الحال توقفت العساكر عن القتال تنتظر معرفة السبب لهذا الامتناع وقد نظرت الى الراية مرفوعة فعلمت ان الشاه سرور يطلب الامان ويرغب في الصلح ووقف ايضًا فيروزشاه ناظرًا الى ما فوق السور واذا بالخواجه ليان يناديه فحققه وعرفه وقال له بماذا اتيت . قال اني بشير السلام وقد اعهد اليَّ مولاي بهذه المهمة لما يعلمه من ارتباطي بحبكم وميلكم اليَّ ولذلك اسالك يا سيدي ان ترفع الحرب عن المدينة وترجع الى الوراء فان الشاه سرور قد انعم لك بطلبك وانه راغب اليك يرجوك في عقد صلح مجيد لكم وله . وقد اخذت على نفسي العهدة بان اقبل ايديكم واسالكم العفو عن المدينة وقبول طلب سيدي . فما صدق ان سمع فيروزشاه هذا الكلام حتى اجابه الى طلبه وقال له اني لا اضيع لك ظنًا فيَّ واني لا ازال اتذكر ما كان بيننا من صدق الولاء وانك انت الذي اوصلتني الى تعزاء اليمن واهديتني الى طريقها وقربتني من قصورها وبدورها فاخرج اليَّ لنذهب الى ابي ونعرض عليه طلب الشاه سرور ونرى على اي شرط يرغب في صلحه ولما صدق الخبر الخواجه ليان خرج في الحال من باب المدينة وهو في فرح لا يوصف لقضاء مهمته ولاجتماعه بفيروزشاه وقربه منه وسلم عليه فترحب به واكرمه وسارا معًا والعساكر واقفة في مراكزها وقد ثبت لديها ان السلام قريب وان الخواجه ليان هو رسوله فاقاموا ينتظرون النهاية . وفي الحال دخل الخواجه ليان على الملك ضاراب وقبل الارض بين يديه وجلس الى قرب فيروزشاه ثم اطلق لسانه شاكرًا من ابنه وافضاله السابقة وقال له في اخر حديثه اني كنت مسجونًا بسببه الى هذه الساعة ظلمًا وتعديًا من الشاه سرور وذلك بوشاية طيفور لانه معدن كل شر وفساد وخبث وغدر وفي هذه الساعة تذكروني بعد ان كانوا قد نسوني واهملوني في زوايا العذاب وطلبوا اليَّ ان اطلب اليهم منكم عفوًا واسالكم رجوعًا عن الحرب واسهل عقد صلح بينكم تحت شرط ان الشاه سرور يزف بنته على سيدي فيروزشاه فوعدته بذلك وكفلته له املاً ان اخدم بذلك سيدي فيروزشاه ولما سالته الرجوع عن القتال اجاب طلبي لكرامة اخلاق ندرت في مثاله وجاء بي الى بين ايديكم التمس الموافقة على وعده وقبول سوالي وليس ذلك مني رغبة في خدمة الشاه سرور ووزيره طيفور انما حبًا بدفع الشر عن وطني ومنع الخراب عن قوم صرفت العمر بينهم واني اعلم حق العلم انكم لا تكرهون ما عرضته عليكم لانكم جبلتم على العفو والحلم وكرامة الاخلاق . فاجابه الملك ضاراب اني

ارغب في هذا السلام ويعلم كل العالم ان غايتي الوحيدة هي ان ازف ابني على بنت الشاه سرور واصل النسب بيننا لانهٔ احبها بالرغم عنهٔ اجابة لطلب العناية الالهية وانفاذاً لمقاصدها ومن المقرر في العقول اني اكره هذه الحرب ولا احب فتح المدينة وطالما عرضت على سيدك الصلح والسلام وسالته في منع اراقة الدماء وصون نفوس العباد التي خلقها الله سبحانهُ وتعالى فيكابر بنفسهِ ويحاول المكر بنا ويخدعنا حتى كان ما كان من امرنا وقد شاهد بعينهِ عظم باس رجال ايران وعلم انهم اسود لا تدفع صدماتهم ولا تمنع والان فاني اجيبهُ الى طلبهِ اكراماً لك وحباً براحة امتهِ بشرط ان يكون صدر المعاهدة زواج بنتهِ بابني فمتى انتهى ذلك اخذناها ورجعنا الى بلادنا واني اخاف من غدرهِ وخداعهِ لانهُ ينقاد الى طيفور فيعمل بافكاره ولا ينظر في الصواب ولا يراعي مصلحة رعيتهِ كيف كان الحال قال لا اظنهُ بعد ان وصل الى هذه الحالة يعود الى الغدر وهذا الطلب الذي اتيت بطلبهِ كان براي طيفور وارادتهِ فانهُ اظهر ندامتهُ وعرف خطاءه واظهر لي كل ذلك . قال فيروزشاه واي شيءٍ يقدر بعد ان يفعل على اننا لا نمكنهُ من الغدر والخيانة بل نعقد معهُ الشروط المقتضية ونقيم على حالنا الى ان ينقضي الامر ومع ذلك فلندعهُ يفعل ما يفعل فاننا قادرون عليهِ في كل دقيقة ولا تفوتنا فرصة الانتصار عليهِ والانتقام منهُ . فاجاب الملك ضاراب ان كانت سيمتهُ الغدر فسيمتنا الانصاف والوفاء فلو طلب مني الاقالة الف مرة في الاسبوع لاجبتهُ الى طلبهِ لاعلمهُ رقة الاخلاق علهُ يقتدي بي وينظر الى سوء اطوارهِ وخبث مزاياهُ فيعرف من نفسهِ انهُ رديء الطباع . ثم قال للخواجه اليان سر الى مولاك واخبرهُ باني بانتظار رسلهِ فليقترح من شروط الصلح ما يخطر لهُ فاوقع عليهِ واجيبهُ اليهِ واوافقهُ على كل ما يوافق غرضهُ وغرضي فاني احب ان احفظ ناموسهُ كما احب ان احفظ ناموسي واخبرهُ ان الشرط الاول هو وجوب زواج بنتهِ بابني ومهما شاء غير ذلك فليختر ويسال فيهِ . فشكر الخواجا ليان الملك ضاراب وقبل يديهِ وخرج من حضرتهِ بعد ان ودعهُ وعاد الى المدينة وهو يتعجب من الطاف الملك ضاراب ورقة طباعهِ وكرامتهِ وكيف انهُ تنازل الى منع عساكره عن المدينة بعد ان فتحها وتسليم عقد الاقتراح لعدوه . ودخل على الشاه سرور وطيفور فوجدهما على مقالي الجمر من اجلهِ وهما لا يعلمان نتيجة ماموريتهِ وما كان من امره الى ان نظراه قد عاد اليهما فانعطفا اليهِ وسالاه بلهفة ماذا كان من الملك ضاراب وابنهُ فيروزشاه . قال لما كان منهما الخير العظيم والاسراع الى اجابة سوالكم كيف لا وهما اكرم خلقاً من كل من هب ودب واحسن ما ترو صفات فلله درهما فلهما تجب السيادة والرئاسة ولهما تقدم النفوس والنفائس ويخدمان على الراس قبل العين فان هذا النصر لم يرق في اعينهما ولا دوخهما الظفر والكبر بل قالا اننا نرغب في صالح سيدك كما نرغب في صالح نفسنا مثلهُ في السلام وطالما عرضناه عليهِ شفقة منا على عباد الله وحفظاً لناموسهِ من الاخراق فلم يرعو عن عملهِ ولا اجاب الا بالعناد حتى راى الموت عياناً ولكي

لا نطالمة نسرع الى طلبه ونوافقة عليه ولا نقترح عليه الا شرطاً واحداً وهو ان تزف بنتك عين الحياة على فيروزشاه زفافاً مقدساً بكل كرامة واحترام واحتفال ومهما شئت فاقترح انت فبوافقانك على طلبك ما عدا الامتناع فلا يوافقانك عليه . فما صدق الشاه سرور ان سمع هذا الخبر حتى ملئ من المسرة وامل زوال الحرب وقال لوزيره طيفور هوذا قد اجابنا الملك ضاراب الى سوالنا ورغب في الرجوع عن المدينة وسألنا عمل شروط السلم . قال اني كنت اعرف ذلك منه لانه محتاج الينا وراغب في مصاهرتنا فلا يمانع في امر به الخير له اكثر منا فلو فتح المدينة وخربها الى اخرها لما نال بغيته بدون موافقتك على عقد الزواج لان ابنة لا يقبل ان يزف على عين الحياة بطريقة مهينة لناموسه وناموسها . ثم التفت الى الخواجه ليان وقال له اكتب شروط الصلح وهي اولاً . ان الشاه سرور قد انعم واجاب لطلب الملك ضاراب وخطب بنته من كل رضاه وخاطره الى فيروزشاه ابن الملك ضاراب وقبل به صهراً شرعياً . ثانياً . يعين يوم الزفاف بعد اربعين يوماً من حين عقد المصالحة وذلك لتدبير شان العروس وتهيئة ما يلزمها . ثالثاً . ترجع العساكر عن المدينة في كل هذه المدة وتقيم في سفح الجبل الاخضر انما تكون ابواب البلد مفتوحة لا تمنع احداً من الدخول ولا من الخروج فيمكن ان يختلط القومان فاليمنيون يذهبون الى الايرانيين والايرانيون يذهبون الى اليمنيين يشترون ويبيعون كانهما قوم واحد لا فرق بينهما . رابعاً . يكون تقديم المهر الى عين الحياة منوط بارادة الملك ضاراب فمهما شاء ان يقدم مهراً فيحمله الى عين الحياة في نهاية المدة ولا شرط عليه في ذلك

وبعد ان كتب الخواجه ليان ما امر به طيفور دفعه الى الشاه سرور وطلب اليه ان يوقع عليه بامضاه ففعل ثم دفعه الى الخواجه ليان فامره ان يسير الى الملك ضاراب ويسأله التوقيع على نسخة ثانية مثله ويقدم له شكره والثناء عليه منه فاخذه الخواجه ليان وذهب الى حضرة الملك ضاراب حتى وقف بين يديه وهو بين بطانته وحاشيته وكبراء دولته ينتظرون رجوعه فلما دخل دفع الشروط الى الملك فاخذها ودفعها الى طيطلوس فقراها علناً ووجدها موافقة مطابقة وقال ان الشاه سرور على ما يظهر في هذه المرة قد نظر موقع النظر وابعد عنه ما كان واقع فيه من الغباوة والجهالة فان كل ما يذكره صادر عن قلب سليم ونية صافية فاني اشكره عليه واعاهده على الحب الاكيد الدهر بطوله ولم يكن في شروطه ما نكرهه الاّ تطويل المدة والاجل الى اربعين يوماً غير ان وقوع زفاف كزفاف ابني ببنته لا ينتهي قبل ذلك ولا يمكن ان تدبر امرها باقل من هذه المدة واما من جهة المهر فلدينا من الجواهر والتحف ما لا يوجد عند اكبر ملوك هذا الزمان وكفى ما اتى به فيروزشاه من قصر صفراء الساحرة فانه يبهر العقول وياخذ بالنواظر . وفي الحال كتب طيطلوس نسخة ثانية من المعاهدة امضاها الملك ضاراب ودفعها الى الخواجه ليان وانعم عليه الانعام الغزير وسأله فيروزشاه

شاه ان يعود اليهِ ويلازمهُ في كل هذه المدة فاجابهُ . وامر بعد ذلك الملك ضاراب ان ترجع العساكر عن المدينة وتتاخر الى جهة الجبل فتتخذ لها مقامًا فيهِ وتنتظر نهاية الاربعين يومًا ففعلت وقفلت راجعة الى سواحل الجبل فانتشرت فيهِ وتفرقت عليهِ وضربت خيامها في ظلهِ وكذلك الملك ضاراب ضرب صيوانهُ الى يمين ماءٍ هناك تحت شجرة كبيرة تظللهُ من حرارة الشمس وفعلت كفعلهِ جميع الفرسان وفتحت ابواب المدينة وخرجت منها اهلها واختلطوا بالايرانيين وهم فرحون بهذا السلام والوفاق وكذلك الايرانيون دخلوا المدينة آمنين من كل شر وغدر فكانوا يشترون منها كل ما يروق في اعينهم ويعودون الى خيامهم وهدأت الحال وراق البال

ولما عاد الخواجه ليان الى الشاه سرور دفع اليهِ الرقعة بعد ان بلغهُ تشكرات الملك ضاراب وبعد ان ذهب قال لوزيرهِ طيفور اني لو اجبت الملك ضاراب الى زواج ابنهِ من بداية الامر لما وصلنا الى هذه الحالة ولا لبسنا هذه المذلة واهلكنا قسمًا من رجالنا وخربنا حصوننا ودمرنا اسوارنا فقال طيفور اتظن الان ان هذا العقد ينتهي وتزف بنتك على فيروزشاه قال وما المانع الذي يمنع ذلك وقد خطبتها منهُ ووعدتهُ بزواجها واشرطت على نفسي برايك شروطًا سلمية موافقة لنا ولهم . قال الا تفكران ما سالناهم في هذا الصلح الا لما وقعنا في ضيق الخناق واشرفنا على الخراب واي زواج بعد وصولنا الى مثل هذه الاحوال وقد يخطر في بالهم اننا اجبرنا الى ذلك فقدمنا بنتك عين الحياة فدية عن المدينة وضحية في سبيل خلاصنا على ان اعظم ملوك الارض يرغب في زواجها بحالة شريفة ويدافع عنها بمالهِ ورجالهِ ولديّ من التدابير ما يظهر لك ان في الزوايا خبايا ليس يعلمها الا الذي حنكتهُ الليالي والايام . قال وعلى اي عزمت وبماذا فكرت . قال الا تعلم ان الوليد ملك مصر هو الان ارفع الملوك قدرًا واعظمهم سلطانًا واكثرهم رجالاً واجمعهم فرسانًا واحكمهم عقلاً ورايًا وقد بعث اليك يطلب منك بنتك لابنهِ زوجة فرددت رسلهُ بالخيبة ولم تجب سوالهُ لبعد البلاد وعدم رغبة بنتك فيهِ بما جعل ابنهُ صالحًا في حالة ياس وعدم عقلهُ وجنّ ولم يكن لهُ غير ذكر عين الحياة فاذا بعثنا اليهِ واعتذرنا لهُ عن السبب واخبرناه بما كان من امر الاعجام ودخولهم لبلادنا في طلب عين الحياة وقلنا لهُ اننا اخترنا ولدهُ على فيروزشاه ورغبنا فيهِ يمدنا بالعساكر ويسرع الينا بالفرسان على اني اعلم ان عنده فارسان من فرسان هذا الزمان لا نظير لهما في كل هذه الاقطار وقد قدمهما على كل رجالهِ وسارت بذكر شجاعتهما الركبان وتحدثت السياح بعجائب اعمالهما فاذا اتيا الينا لا شك في ان النصر يكون على يديهما وننال بها الغاية المطلوبة وعندي انهما ابسل من فيروزشاه واشجع فيقتلانهِ وبعدمانهِ الحياة . قال وهل يمكن للوليد ملك مصر ان يوافقنا على سوالنا بعد ان قطعنا امالهُ ورددنا رسلهُ بالخيبة والفشل وهل يمكن ان تدركنا عساكره اذا اجاب طلبنا قبل انقضاء الاربعين يومًا . قال لا ريب في ذلك فاني اعلم يقينًا انهُ يسرع الى

اجابة طلبنا و يبعث بعساكره لنا وهو يظن ان تلك مكرمة منا وفضيلة يشكرنا عليها واما البعد فان الايام كافية لهذه المسافة ولو كنت اعلم انها تحتاج لاكثر من ذلك لجعلتها الى شهرين غير اني اعرف اكيداً ان في نهاية الاربعين يوماً تكون العساكر المصرية في بلادنا تقاتل عنا الاعجام وتدافع عن عين الحياة لتاخذها لابن ملكها . فانقاد الشاه سرور الى هذه المشورة وسلم بها و وافقه عليها وقال له اكتبْ انت الكتاب الى الوليد ملك مصر وانا اوقع له عليه علّ الصدف تساعدنا في هذه المرة فننال مرادنا وندفع عدونا عنا . وفي الحال اخذ طيفور قلماً وقرطاساً فكتب

من الشاه سرور صاحب بلاد اليمن الى الوليد ملك مصر وضواحيها

بعد السلام ومزيد الاحترام اخبركم اني راغب في القرب منكم مرتاح الى الالتصاق بكم ولذلك دعتني الضرورة ان اطلعكم على كل ما وقع عليّ وما انا فيه فتنظر من نفسك نظر الصواب وتختار لنا الموافق لامرنا ولكم . وذلك انكم بعثتم في غابر الايام تطلبون بنتي عين الحياة زوجة لابنكم وكان في ذلك جل ارادتي ورغبتي الا انه لسوء الحظ صادف وصول رسلكم وطلبكم هذا يوم وصول رسل ملك كشمير العجم يطلب ايضاً بنتي لابنه الشاه روش وايضاً وصول رسل الملك قيصر يخطبها لابنه اينوس ولوقوعي اذ ذاك في هذا المشكل العظيم اعتمدت على ان لا اجيب احداً الى طلبه دفعاً للشر ومرضاة للجميع لان كلاً منكم من الملوك العظام وكان يلوح لي دائماً انكم تعودون الى طلبكم مرة ثانية فانعم بها ويكون قيصر قد امتنع وملك قندهار عرف اني لا ارغب فيه ولم يمضِ على ذلك الا ايام قليلة حتى جاءنا ابنه الشاه روش بعساكره واجناده وقد استنصر علينا طومار الزنجي فبعث معه عساكره الزنوج تحت امرة اخويه بروز وميسرة وفي نيتهم ان يسبوا بنتي وياخذوها بالرغم عني فدافعت دفاع الاسود لاحفظها لابنكم الشاه صالح الا اننا ونحن في اثناء القتال برز رجل من بين الجبال لانعلم ان كان هبط من السماء او اخترق الارض فطلع علينا فقتل بروش وميسرة اخوي طومار وفرق العساكر . وبعد ذلك تبنيته واستسميته فاذا هو ابن الملك ضاراب ملك ايران العجم وضواحيها وجل غايته ان يخطب عين الحياة لنفسه فمنعتها منه فلم يمتنع وكان قد قتل هولنك ابن الملك هورنك فقبضت عليه وسلمته لان ينتقم منه الا ان الظروف خدمته وساعدته التقادير فقتل هورنك وتسلط على بلاده وقتل صفراء الساحرة وعاد الينا بالعساكر والاجناد وصادف وصوله عند وقوعنا بالحرب مع ابيه وفي عساكرنا طومار الزنجي سيد بلاد الزنوج بجيوشه وفرسانه فقتله واهلك قومه وفعل فيهم فعلاً ذريعاً وسالنا ان نزف عين الحياة عليه فامتنعنا وبعد وقائع عديدة دخلنا المدينة وحاصرنا ضمنها وفي نيتنا انه يرعوى عن عزمه ويعلم من نفسه انه لا يليق به ان يتزوج بفتاة من اكرم فتيان هذا العصر ادباً وجمالاً وشرفاً دون رضا ابيها وخاطرها وبالرغم عنها وعن اميالها لانها لاتميل الا الى ولدكم الشاه صالح

وترغب فيهِ لعلمها اني انا ارغب الى ذلك واختاره واريده فما كان من فيروزشاه وابيهِ الا انهما هاجما المدينة واندفعا عليها بالرجال فدافعنا الى ان كادت تفقد قوتنا وقد دكت بعض الحصون والبعض الاخر اصبح على وشك التسليم . فجمعت قومي واستشرتهم فاشاروا عليَّ بزواج بنتي بفيروز شاه فما هان علي بذلك واظهرت لهم غايتي وبينت لهم مقاصدي فشار عليَّ وزيري طيفور وهو محب لكم مثلي راغب في مصاهرتكم ان اوافق القوم واعقد معهم شروطًا على السلام والصلح واضرب لذلك اجلاً تطول مدتهُ الى اربعين يومًا وبعد ذلك نرسل اليكم ونعلمكم بكل ما هو حاصل علينا حتى اذا كان لا يزال بخاطركم ان تزوجوا ابنكم ببنتي تسرعون الى انقاذي من هولاء الاوغاد فتدفعونهم عن بلادي وتبعدونهم عن طلبهم واذا كان لم يعد ذلك في خاطركم تجاوبوني على كتابي هذا لازف بنتي على فيروزشاه واخلص بلادي من شره لانهُ لاقدرة لي على مقاومتهِ ان لم تمدوني بالعساكر والرجال ولا اظن انكم ترجعون رسولي بالخيبة وقطع الرجاء وبودي انكم تتفضلون القرب مني كما اني افضل الرغبة اليكم واطمع في مصاهرتكم ولا يخلصني من هذه الورطة الا سرعتكم لان ابناء الملوك باجمعهم طامحون الى الزواج ببنتي وكلما رددت واحدًا ياتيني اثنان فلا بد من زواجها باقرب زمان انما لا ارى من يوافق ان يكون لي صهرًا الا ولدك صالحًا وذلك لما بيننا من سابق المودة وصادق الولاء والسلام ختام

وبعد ان انتهى طيفور من كتابة التحرير دفعهُ الى الشاه سرور فاعجبهُ ووقع عليهِ بامضائهِ ثم ختمهُ بختمهِ ودعا عيارًا من عياري بلاده اسمهُ خفيف العيار فقال لهُ اريد منك ان تاخذ هذا التحرير وتسرع الى مصر الى الوليد حاكمها فتدفعهُ اليهِ وتاتني بالجواب واني ارغب منك السرعة الممكنة فلا تتاخر يومًا واحدًا واذا وصل اليهِ وعدت لي بالجواب وكان ذلك قبل انقضاء الاربعين يومًا اكرمتك ورفعت منزلتك فضلاً عن ان تكون قد خدمت بلادك وخلصتها من خطر عظيم وارضيتني وفعلت قصدي ومشتهاي . قال سوف تراني عائدًا اليك بما يسرك قبل انقضاء هذه المدة ثم اخذ التحرير منهُ وسار مسرعًا في طريق مصر يقمز قمزات الغزال وينطلق انطلاق الريح وقد اصحب معهُ كل ما يحتاجهُ من مواد السفر ولا زال يخرج من مدينة ويدخل في اخرى وهو لا يستقر في سيره ولا يفتر عن سرعتهِ يوصل سير النهار بسير الليل فلا ينام الا كل ثلاثة ايام ثلاث ساعات حتى دخل مصر ووقف بين الوليد وهو في ديوانهِ بين فرسانهِ واعوانهِ فحياه بالتحيات والاكرام وقبل يديهِ ثم دفع اليهِ التحرير ووقف الى الوراء ينتظر منهُ الجواب وما يكون من امره . فاخذ التحرير وتلاه علنًا حتى فهمهُ الجميع الكبير منهم والصغير وبعد ان قراه التفت الى من حواليه وقال لهم ان هذا الامر مشكل لا ينتهي الا بشفاء ابني صالح لانهُ مختل الشعور لا يهدأ لهُ بال ولا يقدر على التمييز بين الخير والشر فكيف اجيب الشاه سرور وبماذا فان الرجل راغب في مصاهرتنا

راضٍ في التقرب منا وقد فضلنا على سوانا وكنت في الاول قد اعرضت عن هذا القصد لعلمي
ان الشاه سرور لا يرغب بابني وقبلت في ان اراه مجنونًا من ان اغصب ملكًا على زواج بنته به
واني اعرف ذلك من نفسي ولا اريد احدًا يغتصبني على ما املكهُ ولا يعارضني في امر اولادي
وحيث الان قد انعم واجاب فاني احب ان اسرع الى طلبهِ واساعده على دفع عدوهِ واحضر بابنتهِ
اليَّ فازفها على ولدي انما اريد منكم من يذهب الى ولدي ويعرض عليهِ هذا التحرير ويطلعهُ على
ما لهِ حرفًا حرفًا ويشرح لهُ عن طلب الشاه سرور فان عاد الى عقلهِ اسرعت الى انفاذ غايتهِ وزوجتهُ
بعين الحياة بالرغم عن ملوك الارض باجمعها لان فرساني من اشد فرسان العالم باسًا وجيوشي من
اكثر جيوش ملوك الارض برمتها ولا ريب في ان ولدي يرجع الى عقلهِ متى سمع مثل هذا الحديث
لانهُ جنَّ بهذا المعنى فلا يعقل الا بانقضاء غرضهِ فاستصوب كلهم رايهُ ودفع التحرير الى وزير من
وزرائهِ عاقل حسن التدبير وامر ان يوخذ بخفيف العيار الى منزل الضيافة بينما يمكن من اعطائهِ
الجواب وسار الوزير الى قصر ابن سيده فوجده على حالهِ وهو ممزق الثياب منبش الشعر حافي
الاقدام وحولهُ الحرس ورجال الشرطة وقد قيدوه خوفًا منهُ على نفسهِ لانهُ كثيرًا ما كان يسرع
ليلقي بنفسه الى بئرام من نافذة وكثيرًا ما يجرح جسمهُ باظفاره ويهشم بدنهُ وليس لهُ شغل الا
الصراخ والصياح فينادي عين الحياة ويطلب قربها ويامرها بالقدوم اليهِ حتى كانت حالتهُ هذه
كافية لان تصدع صم الجلاميد ويرق لها كل قلب قاسٍ فلما قرب منهُ الوزير وجده اذ ذاك هادئًا
صاغيًا الى الارض وقد فارقتهُ النوبة فتقدم منهُ وقال لهُ بشراك يا سيدي فقد جاء الى ابيك كتاب
من الشاه سرور يعرض عليهِ زفافك على بنتهِ عين الحياة ويعجل في الطلب بالمسير اليهِ فاحدق
بهِ الشاه صالح ونظر اليهِ محملقًا بعينيهِ كانهُ يسمع شيئًا لا يصدقهُ فدام الوزير في حديثهِ وقال لهُ وان
اباك اخذ الكتاب وهو بمزيد السرور والفرح وعول على اجابة طلب الشاه سرور وبعثني اليك
لانتظر في الجواب وها الكتاب اقراه عليك فتسمعهُ وتنظره ثم قرأ عليهِ الكتاب بتأنٍ وقال لهُ في
اخر قراءتهِ لم يعد مانع الا قبولك بزواج عين الحياة فيسارع ابوك الى جلبها اليك واجتماعك بها
فانتبه الى كلامهِ كل الانتباه وقال لهُ وقد بكى بكاء مرًّا اي شيء اطلبهُ في هذه الدنيا غير عين
الحياة فان كان ابي يعدني بزواجها فانا على اتم انتظام وتعقل وها انا ذاهب اليهِ من هذه الساعة
ليراني اني على ما يروم اهلاً لان اجتمع بحبيبتي وليس من مانع يمنعني واحب ان اسمع منهُ كلمة واحدة
يشير بها الى زواجي بعين الحياة فابات الدهر صابرًا منتظرًا وقوع ذلك

ثم ان الشاه صالح نهض واقفًا وظهر انهُ صحيح الجسم والعقل كانهُ لم يصب بشيء وسار متقدمًا
في طريقهِ ومن خلفهِ الوزير حتى وقف بين يدي ابيهِ فقال لهُ اني قد عرفت بكتاب الشاه سرور
ووعيتهُ جيدًا ولم اعد ارى مانعًا يمنعني عن ان اتزوج ببنتهِ الا تقاعدك عن السعي في والاهتمام

باقتراني وها انا الان بصحة عقل اكثر مما تعهدني واريد أن تعدني بانك تحضر لي عين الحياة الى هنا فاصبر على حبها ولا ابدي حركة ومتى قطع الرجاء منها فاني لا محالة هالك فسرّ ابوه من كلامهِ وكذلك كل الحاضرين لانهم كانوا يتاسفون على حالتهِ و يعرفون ما لحق بهِ وقال لهُ ابوه كن مطمئنًا يا ولدي فاني ساعٍ من هذه الساعة الى قضاء غرضك وسوف تتم مقاصدك وانت في قصرك فعلل نفسك بالاجتماع بها وعمّا قليل تراها في بلادنا قرينة بك فما صدق ان سمع هذا الكلام حتى صفقت اكف قلبهِ من الفرح وكاد يطير شعاعًا ورمى بنفسهِ على قدمي ابيهِ يقبلهما لحركة منه حبة وحنوه فامر في الحال ان يجتمع اليه فرسانهُ واعيانهُ وعقد مجلسًا حافلاً واستشار الجميع في ماذا يفعل في جواب الشاه سرور فقر الراي ان يكتب له كتاب و يرسل مع خفيف ما لهُ ان العساكر سائرة اليهِ تحت امرة الفارسين المشهورين خاطر وخطر واذا كان لم ينتهِ على ايديهما الامر وينجح العدو يسير اليهِ بابنتهِ من وجه العدو ويقيم في بلاده الى ان تروق حالة وتنتظم اموره وترجع الاعجام عن بلاده . وفي الحال اخذ الوليد فكتب الى الشاه سرور ما ياتي

من الوليد حاكم مصر وسلطان الصعيد والارياف الى الشاه سرور سيد بلاد اليمن وحاكمها

بعد السلام عليك والتحيات اليك ابدي اني كنت سابقًا قد بعثت اليك برسلي حاملة هداياي وتحاريري اخطب منك كريمتك عين الحياة الى ولدي الشاه صالح وكان بعهدي لما هو راسخ بيننا من الحب القديم ان لا تعود رسلي الا بالايجاب تحمل اليَّ العروس لازفها على ولدي فكان منكم عكس ما املت وهو انكم رددتم رسلي بالفشل ولم اكن اعلم لذلك سببًا ولا اعرف المانع بل فكرت انكم لا ترغبون مصاهرتنا وربما لا تقبل عين الحياة بالشاه صالح فكدرني ذلك شفقة على ولدي غير اني قلت في نفسي ان لا حق لي في التعرض لكم باذى لانكم احرار وقد سلم اليكم امر الاعتناء بولدكم فلا يحق لي ان اظلمكم بان اسير اليكم عسكرًا لمحاربتكم فينسب اليَّ التعدي والغدر ولما راى ابني مني ذلك وقع في الياس والقنوط وخسر عقلهُ وجن لشدة عشقهِ وحبهِ اذ لم يرني اسرعت الى قضاء مصلحتهِ فزادتني حالتهُ كدرًا ولبثت على حالي وانا صارف الجهد الى مداواتهِ دون جدوى لان العلاج لم ينجع فيهِ وكان بعهدي انهُ يسلو كريمتكم مع تداول الايام فكان بعكس ذلك اذ كان يزيد غرامًا يومًا فيومًا وبينما انا في بحور من الاكدار والهموم بسببهِ جاءني كتابكم و بهِ تعرضون زفاف عين الحياة عليهِ وبينتم المانع الوحيد الذي دعاكم قبلاً الى الامتناع ولما عرضت تحريركم هذا على ولدي وهو في حالة صعبة جدًا سر بهِ وعادت اليهِ قواه الطبيعية ورجع عقلهُ باحسن مما كان وامل النجاح والفوز في انفاذ مقاصده ولما رايت منهُ ذلك بادرت الى طلبكم فبعثت اليكم بخمسين الف من فرسان بلادي الاشداء تحت امرة الفارسين الخطيرين الشهيرين خاطر وخطير وقد تعهدا لي انهما وحدهما كافيين لقضاء هذه المهمة الا اني لم اقصد ان امدكم بكثرة العساكر لعلمي ان

جيوشكم كثيرة ولا تزال مجتمعة انها خالية من الكمات والابطال فاذا انتهى الامر ورجع العدو مقهورًا واحرزتم النصر والظفر ارجوكم ان ترسلوا الي مع رجالي عين الحياة لازفها على ولدي ويتصل بيننا حبل النسب فتاخذون بناتنا وناخذ بناتكم ونصير يدًا واحدة نتساعد في السراء والضراء واذا وجدتم ان العدو لايزال قادرًا على التغلب عليكم فسيروا بابنتكم اليّ مع من يرافقكم من جيشكم فتقيمون ضيوفًا في بلادي ونجري عقد الزفاف على اتم ما يكون من المسرة والفرح وعندي ان الملك ضاراب لايجسر قط ان يطأ بلادي ولا تحدثه نفسه ان يتاثركم خوفًا من الهلاك والبوار فيرجع الى بلاده خائبًا مايوسًا يعض كفيه من الغيظ والاحتدام واذا شاء القدر وحركة جهلة فتاثركم لقي الموت الاحمر في بلادي فيدفن مع ولده ورجاله تحت رمال مصر لان فرساني كثيرة وجيشي لا يحصى وانتم تعلمون انني لو قصدت ان ابعث اليكم بكل جيشي لكانت طلائعه عندكم تقاتل وتناضل ومؤخرته لا تزال تتهيأ وتتعدد وليس في ذلك مبالغة ولم يكن اوفق لي من ان تاتوا الى بلادي وتشاهدوا مجد بنتكم والى ما تصل اليه من العظمة والسلام ختام

ثم ختم الكتاب بخاتمه ودفعه الى خنيف العيار وقال له سر انت في هذا اليوم على عجل الى مولاك واخبره انه في الصباح تسير العساكر على اثرك بالسرعة الممكنة فلا تنقضي الايام المضروبة الا ويكونون في بلاده يحاربون ويقاتلون عنه وعن بنته فشكره العيار وقبل يديه وخرج من حضرته فرحًا مسرورًا بنجاح مسعاه ومهمته وهو يشكر الله على اجابة الوليد الى سيده ولازال في مسيرة السريع ينهب الارض نهبًا ويطوي البراري كشحًا الى ان دخل على سيده الشاه سرور وهو مجتمع مع طيفور على انفراد فدفع اليهما الكتاب وبشرهما بالخبر والنجاح وان خاطرًا وخطيرًا سائران على اثره بالعساكر والاجناد فسرهما هذا الخبر وفتحا التحرير وعرفا ما به فزاد فرحهما وقال طيفور الا رأيت ياسيدي كيف ان اعظم ملوك الارض يرغب في ان يلوذ اليكم ويدافع عنكم رغبة بالوصول الى عين الحياة فكيف يمكنا ان نسلمها لمن يحاربنا ويقتل في رجالنا ويأسر اولادنا فلا كان ذلك ابدًا ولا طاوعتك عليه ولو عدمت الحياة واني مسرور كون ملك مصر دخل معنا بهذه الحرب ولذلك صار من المؤكد الثابت اننا سنقهر هذا العدو العاتي ونرجعه بالخيبة فاما ان ننتصر عليه فنذيقه الشدائد والاهوال واما نرحل عن المدينة ونوقعه بمرارة الغيظ والقهر ونحرمه من عين الحياة ولا ريب ان فيروزشاه اذا عرف برحيلنا الى مصر يلحق به ما لحق بالشاه صالح فيجن ويسكن البراري ولا يطاوعه ابوه على تأثرنا خوفًا من الوقوع في وهدة الهلاك والعطب لان مصر واسعة الجنبات كثيرة الفلوات حارة الارض لايحسن الاقامة فيها الا كل من كان صبورًا جلودًا خبيرًا بمركزها عالمًا بخطوطها وبلدانها . قال الشاه سرور اني اعرف كل ذلك انما اقول لك ان فيروزشاه لا يصعب عليه امر في الدنيا فانه موفق في كل اعماله قد خصه الله بوحدانية كل شيء فاذا عرف اننا

سرنا الى تلك البلاد لا ريب في انهُ يتاثرنا بجيوشهِ ويدع اباه ان يرافقهُ لانهُ يحبهُ جدًّا واهالي ايران قوم لا يلويهم عن عزمهم مانع فهم والحق يقال اشداء اقدر من غيرهم على ملاقاة المصائب والاهوال لا تقعدهم الحدثان عن نوال مقاصدهم ولا يرجعون عنها الا بنوالها . فقال ولو فرض انهم ساروا الى تلك البلاد فنبقى نحن على حدة ونتركهم يتقاتلون مع رجال مصر وفرسانها وعندي انهم لا ينجون مطلقًا ولا يثبتون في تلك الارض هذا اذا لم نقهرهم في هذه المرة ونبيدهم على اعقابهم واني ارى من خلال الامال ما يشغل لي افكاري دائمًا ويبرهن لي عين الحقيقة ان خاطرًا وخطيرًا يقضيان الغرض وينهيان امر الاعداء ويقتلان فيروزشاه وكل فرسان ابيهِ . ثم انهما بعد ان دار بينهما هذا الكلام اقاما ينتظران ورود جيش مصر المتقدم ذكره ولم يكن في عساكر الاعجام من يعلم هذا العمل وهم مطمئنون مرتاحون ينتظرون فوات الفرصة وانقضاء الغرض بانقضائها وفيروزشاه جالس على بساط من نار شديد الحرارة وليس لهُ شغل الا التفكر بحبيبتهِ وبمحاسنها وفي كل ظنهِ ان اباها سيزفهُ عليها بعد ايام قليلة فكان لا يسليهِ الا مناشدة الاشعار والتوغل في الاحراش والبراري يلاهي نفسهُ بصيد الوحوش والغزلان فكان يرافقهُ فرخزاد ويسليهِ على بعاده عن محبوبتهِ وكذلك الخواجه ليان فانهُ كان يصرف اكثر اوقاتهِ عنده يزيده من ذكر عين الحياة بما يزيد بهِ الامال والرجاء لانهما كانا مطلعان على سره من البداية مساعدان عليهِ وكانت كلما مضى يوم تزيد بهِ الاشجان ويشعر بحاول السعادة فيكذب نفسهُ من نفسهِ وهو لا يصدق ايقرب ذلك اليوم المعهود ويرى نفسهُ الى قرب عين الحياة الى ان كان ذات ليلة وهو في صيوانهِ وليس عنده الا بهروز العيار لانهُ كان لا يفارقهُ لا بليل ولا بنهار لعبت بهِ دواعي العشق وحركتهُ محركات الغرام وهزتهُ هزات الاشواق فجلس يتذكر ما كان من محبوبهِ وما لقيهُ من خلوص محبتها وكيف سمحت لهُ بنفسها على رضا منها وذلك لتبادل الحب الواقع بينهما على وتيرة واحدة ولم يضعف هذا الحب مع ما طرا عليهِ من الحوادث والتقلبات فخطر في بالهِ الشعر فانشد

جلا وجهها الديجور لما تجلّت	لتهدي نفوسًا في الهوى قد اضلّتِ
ولاحت وقد ارخت ذوائب شعرها	تخالت شعاع الشمس تحت الدجنة
وسلت جفونًا كالسيوف ولم ارى	لعمري جفونًا كالقواضب سلتِ
مهاة تثنت اذ تفرد حسنها	فاثنت عليها الورق لما تثنت
تبدت وقد هزَّ الشباب قوامها	الم ترَ ان الشمس بالغصن حلتِ
وماست بعطفي بانة قد علاها	هلال جبين لاح في ليل طرّة
ايا سامح الله العيون وان تكن	احدّت ظبي تلك اللحاظ لقتلتي
ولا واخذ الاصداغ فيما تحملت	عقارب بها بالفتك من لسع مهجتي

خليلي هل عاينتما او سمعتما | محبًا براه الشوق قبل المحبة
مليكة حسن لذّ في شرعة الهوى | خضوعي لديها وانكساري وذلتي
وسقمي وتسهيدي وشوقي وادمعي | ووجدي وتعذيبي ونوحي وأنتي
ولم يستطع قلبي امتناعًا عن الهوى | ولم تستطع روحي سبيلاً لسلوتي
ساصبر حتى تنقضي مدة الجفا | وما الصبر الا من حلاي وحيلتي
فما كل من نادى اجيب نداؤهُ | ولا كل من نودي اجاب بسرعة
ايا راكبًا تطوي عزائمهُ الفلا | بنجب اشتياقي لم تقد باذمة
رويدًا بطرفٍ ناظر كل مهجةٍ | ورفقًا بقلبٍ قابل كل صورة
فطورًا أرى في كل سرح ومربع | وطورًا ارى في كل دوح وروضة
وطورًا ارى في كل درسٍ ومعبدٍ | وطورًا ارى في كل دير وبيعة
ادين بدين الحب في كل موضع | واصبو لذات الحسن في كل جهة
والثم ما بين اللثام وثغرها | وثم كؤوسٌ راحها فيه راحتي

وما انتهى من مناشدة شعره هذا الاَّ دخل عليهِ الخواجه ليان فوجده على حالة قلقة من جرى الارق وقلة النوم فحياه فرد عليهِ تحيانهُ وتعجب من حضوره اليهِ في مثل هذا الوقت وسالهُ عن السبب الداعي الى ذلك . قال لا شيء مزعج يا سيدي الاَّ اني قصدت ان اتيك لاخبرك عن عين الحياة الاخبار السارة المروضة للفكر واشرح لك عن حالها وشوقها قال ومن اين عرفت ذلك . قال دعتني في هذه الليلة مع خادمتها شريفة لتسالني عنك وعن حالتك فذهبت اليها واذا هي قائمة بين الكاس والخمر تشرب على ذكرك وقد صفت عند مائدتها صورك الثلاث التي اوصلها اليها شياغوس النقاش وهي تشرب عليها وتنشد الاشعار وقد داومت ذلك في كل فرصها فلا ترفعها الاَّ عندما ياتي اليها ابوها وبعد ان يذهب من عندها تعود اليها . وعند ما وقفت بين يديها سالتني عنك بعد ان جلست بالقرب منها فاجبتها انهُ في حالة جيدة من جهة صحتهِ واحوالهِ انما يشغلهُ امر حبهِ فلا ينام الليل ولا يهدأ بالنهار حتى عرف حالتهُ القريب والبعيد وذاع خبر عشقهِ بين كل من رجال قومهِ فهو منقطع في هذه الايام لا يجتمع باحد قط الاَّ بي وبفرخوزاد فيذهب كل وقته الى البرية يشغل نفسهُ بالصيد ومطاردة الوحوش ولم تكن هذه الحالة كافية لان تشغلهُ عن اضطرابهِ وقلقهِ وقد بات ينتظر بفروغ صبر نهاية المدة المتفق عليها مع ابيك لاجل حصولهِ على تطلبات قلبهِ . فقالت لي اني اتاثر لحالتهِ وارغب الى راحتهِ غير اني لا ارى ابي مهتمًا بامر زفاف ولا اخذ بتهيأة نفسهِ الى ذلك بل اراه قد ضرب صفحًا عن الاهتمام بمثل هذا الامر وتصل اليَّ الاخبار من خدمي دائمًا بانهُ مجتمع الى طيفور بالليل والنهار واخاف من ان تكون عاقبة هذا الاجتماع

عائدة بالشر والرجوع الى الخصام ولا اعرف بعد نهاية المدة ما يكون من امره فاجبتها ان اباك لا يثبت على حالة ولا بد من ان يدبر امرًا جديدًا يعود بهِ الى الخراب التام وما ذلك الا من انقياده الى آراء طيفور واصغائهِ الى اقوالهِ واعمالهِ على ان الآن ليس في ظواهر اعمالهِ ما يدل على الاحناث بوعده الا تهاملهُ عن القيام بامر تدبير حوائجك ولا بد بعد نهاية الاربعين يومًا ان يعطي جوابًا عن ذلك ولا اظن الا انهُ يطلب تمديد المدة وتاخير الاجل الى اجل آخر . قالت اني اسالك ان تطلع فيروزشاه على ذلك وتخبره ان لا يقبل بعد نهاية المدة بمدة ثانية احتسابًا من الوقوع في المصائب لان طيفور كالافعى لا يومن جانبهُ ولا يركن اليهِ ومثل ذلك ابي ولا يعلم ماذا دبرا الا الله تعالى جل وعلا . فبقيت عندها نحوًا من ساعة الى ان طلبت الانصراف من عندها فاذنت لي بهِ وسالتني ان ابلغك اشواقها وقد انشدت لديَّ

لي فؤاد على المودة باقِ ... لم يزغ عن تذكر الميثاق
غير ان البعاد جار عليهِ ... فبراه ولم يدع منهُ باق
وجفون جفت لذيذ كراها ... واستفاضت بمدمع غيداق
كلما طال عهدها طال منها ... مدمع يرتقي وليس براق
ان درًّا اودعتموه باني ... رد مذ بنتموا من الاماق

وانشدت بحضوري ايضًا لاحملهُ اليك

حديث غرامي في هواك صحيح ... وقلبي كاقوال الوشاة جريح
وشوقي الى لقياك شوق حمامةٍ ... لها فوق اغصان الفنون صدوح
فتندب اطلالًا لهـا ومعاهدًا ... وتظهر اشجانـًا لها وتصيح
فلا مونس في الدار لي غير صوتها ... اذا هاج وجدي والدموع نسيح
كلانا غريب يشتكي الهجر والنوى ... فيبكي على الفِ لهُ وينوح
فقلبي وجفني ذا يذوب صبابة ... حزينـًا وهذا بالدموع قريح
ولو كان امري في يدي عنانهُ ... سعيت ولكن عن مناي جموح

وكان الخواجه ليان ينشد اقوال عين الحياة وفيروزشاه يذرف دمعًا لذيذًا لما خامر قلبهُ من طلاوة كلامها ورقة معانيهِ ولما يعهده فيها من الثبات على الحب والقيام فيهِ بخلوص لا نظير لهُ . ثم قال الخواجه ليان وقد فارقتها وانا متاثر من حالتها العشقية التي هي قائمة عليها وعلمت يقينًا انكما في قلب واحد تعشقان بعضكما فلا يفرق حب احدكما عن الآخر قط واتيت اليك اردد اقوالها وقد يعجبني منها انتباهها الى اعمال ابيها وعدم ركونها اليهِ لما نعلمهُ فيهِ من النكث والخيانة . قال فيروزشاه اني لا اعرف حتى الساعة كيف اطوار هذا الرجل وعلى ما اظن انهُ ليس من الجوق

الانساني كيف ان تلك الدرة اليتيمة قد اوجدت منهُ فعين الحياة هي البنت الوحيدة بين عموم هذا الجنس التي اقامت على صدق القول وبذلت حياتها في سبيل المحافظة على شرف وعدها وخلوص حبها وبغضها لمثل هذه الخيانة يبرهن لي فوق ما اراه فيها على الصفاء والوفاء وابوها اخبث رجل بين جنس الذكور ومن الغرائب ان تكون عين الحياة المجملة بالطف المزايا وارقها بنتًا للشاه شرور والملبس باقبح الاعمال واردأها ومع كل ذلك فاني لا اخاف من غدره ولا اخشاه لاننا متيقظون له قادرون على كبحهِ والايقاع بهِ في اي ساعة شئنا . فسر الى عين الحياة في الغد وبلغها تحياتي واشواقي وطمنها عن انتباهنا الى ابيها وان الايام قريبة الموعد ولولا رجائي بان زفافنا سيكون قريبًا ونحصل على السعادة المطلوبة لما صبرت كل هذه المدة عن ان استتر بظلام الليل وانسحب اليها في كل ليلة ولو ركبت اعظم الاخطار واكبرها انما لها عندي رسم مطبوع في فوادي فلا يمحى قط الا بالموت وبلغها ايضًا قولي

ايا مربعًا عهدي بهِ وهو آهلُ ... سقاك من الغيث الملث هواطلُ
لك الله من ربع تفيأت ظلهُ ... وواصلني فيهِ الحسان العواطل
الفت بهِ نشوان من خمرة الصبا ... تفوق الصبا في اللطف منهُ الشمائل
اقام بقلبي منهُ حبٌّ مبرّح ... وما القلب الاَّ للغرام منازل
وخضت بحار العشق حيران تائهًا ... وما لبحار العشق ويلاه ساحل
وما كنت ادري يا ابنة القوم ما الهوى ... وهل يعرف الانسان من لا ينازل
رضيت بان اقضي قتيل يد الهوى ... اذا كان يرضى الحب ما انا فاعل
رعى الله ايامًا نقضت بقربكم ... اذ العيش غضٌّ والحبيب مواصل
زمانًا بهِ غصن الشبيبة يانع ... يرف وطرف الدهر وسنان غافل
وحيا على رغم الوشاة لياليًا ... اطعت الهوى لما عصاني العواذل
ليالي لا ريحانة العشق طوحت ... ولا رنقت عن واردبهِ المناهل
ايا برق سل عن زفرتي وساكني الغضا ... ويا غيث سل عن مدمعي وهو سائل
ويا بانة الوادي تشفعت بالصبا ... لديك هل الركب اليماني قافل
ويا ظبيات القاع لولاك لم ابت ... وفي القلب من قول الوشاة شواغل
ويا نسمة الاحباب هل فيك نفحة ... تحيى بها صبًّا شجتهُ بلابل
ترى يسمح الدهر الخؤون باوبة ... وامنيتي منهُ غرور وباطل
فما كان فيهِ صادقًا كان كاذبًا ... وما كان منهُ مخصبًا فهو ماحل
لحى الله دهرًا اثقلتني صروفهُ ... يذيب الرواسي بعض ما انا حامل

فيا دهر قد برحت بي وتركتني ترامين بي منك الضحى والاصايل
واشمت بي الاعداء حتى تيقنوا باني لا عون لديَّ يحاول

وبلغها مدائحي لبديع معناها وقيامها على عهدها وحبها وحفظها لشروط الحب التي ذرعتها يد العناية بقلبها فجعلت مديونًا لها الدهر بطولهِ كما اني اعجب من رقة معانيها وطيب اخلاقها وفصاحة اقوالها

بدت بديعة وصف في مغانيها وكلَّ كلٌ بيان من معانيها
كانما نظم در في لطافتها او النجوم التي تبدو مرائيها
غراء ازرت بقس في فصاحتها وقد رقت رتبة عزّت مراقيها
بل اخجلت كل منطيق بلاغتها يحلو لقلب محب مدح بانيها

فكل ما تسمعهُ مني انشده اما مها وزدها شرح حالتي وما انا عليهِ من القلق والهيام وما فعل بي البعد وبعد ان فرغ فيروزشاه من كلامهِ ذهب عنهُ الخواجا ليان واقام هو بعد قيامهِ على زيادة ارق لانهُ اثر فيهِ كلام محبوبتهِ تاثيرًا شهيًّا واشغل منهُ فكره شغلاً مريحًا للقلب فصرف باقي ليلتهِ على تلك الحال وهو مسرور بما سمعهُ عن عين الحياة من المداومة على ذكره وانها مقيمة والصور بين يديها ليلاً ونهارًا وعظم سروره لعلمهِ ان الخواجا ليان سيذكر لديها حالتهُ ويحكي لها عن ما انشده من الشعر فتعلم فوق علمها انهُ غير مقصر في الحب قائم عليهِ يصرف كل اوقاتهِ بهِ وهكذا كانت حالة المحبين فيروزشاه وعين الحياة فان الدهر والمصائب بذلت جدها في سبيل عنادهما وهما حليفا شوق تنمو محبتهما نموًّا عجيبًا لم يسبق ان سمع بمثلهِ قبل ذلك الحين

وفي صباح اليوم التالي نهض فيروزشاه وسار الى الصيد ثم عاد واجتمع بابيهِ ولم يرد ان يذكر لهُ ما سمعهُ من رسول عين الحياة عن الشاه سرور انهُ هامل امر بنتهِ غير مفكر الى الاهتمام بامر عرس ولا زفاف وذلك كتمًا للسر الذي يطلبهُ الحب الصحيح الثابت وتستدعيهِ واجبات رسائل الاحباب السرية وقال في نفسهِ لا بد ان يظهر ذلك بعد ايام قليلة فيعلم بهِ ابي فاما ان يكون في نيتهِ ان يزوج بنتهُ دون اهتمام ولا احتفال واما ان يكون في فكره خاطر اخر لا تلبث الايام ان تظهره وكان فيروزشاه جلودًا على نكبات الايام فكان ينظر اليها بعين الازدراء قليل الاهمية بحوادث الزمان . ولا زالت الايام تقلب يومًا بعد يوم ولا يمضي يوم الا ويسر بهِ فيروزشاه مزيد سرور كما تسر بهِ ايضًا عين الحياة انما كانا ينظران الى اليوم القادم كعدو مفاجيء قد جاء لتعذيبهما فيعاجلان قطعهُ ولا يصدقان بانقضائهِ وهو عليهن اطول من شهر الصوم حتى يصافحان غيره وهكذا الى ان انقضت المدة

ففي ذات يوم بينما الشاه سرور مع طيفور في خلوة وقد اجتمعا الى بعضهما قال الشاه اني اخاف من ان تنقضي الايام ولا يعود خنيف العيار بالجواب من الوليد حاكم مصر اذ لم يبقَ من الاجل

المضروب الا بضعة ايام لاتلبث ان تنقضي وحتى الساعة لم ياتنا بخبر واخاف ايضاً انهُ بعد انقضاء الار بعين يوماً يطالبني الملك ضاراب بالوفاء بزفاف بنتي فماذا ياترى اجيبهُ عنهُ وانا لم اهيء نفسي الى ذلك واني اقول عن صدق نية انهُ اذا لم ياتنا خبر من جهة الوليد ولم يبعث من يقوم بنصرتنا زففت عين الحياة على فيروزشاه وانهيت هذه المشاكل وارجعت الامن والسلام الى بلادي فقال لهُ طيفور اني اعلم اكيداً ان الله لم يقسم نصيباً لفيروزشاه على بنتك وان الاحق بها هو صالح ابن الوليد وبعد قليل من الايام اي بعد يومين او ثلاثة ايام ترى عساكر مصرانية للقتال عنك والدفاع عن وطنك وسوف ترى بعينيك ما لا تصدقهُ الان وانت تعلم جيداً اني ما نظرت في شيء وابديت فيهِ رايًا الا وكان بهِ الصواب . وبينما كانا على مثل هذا الكلام واذا بخفيف العيار قد دخل عليهما معلنًا تباشير الهناء فسالهُ الشاه سرور عما وراءه من الاخبار وقد صادف دخولهُ عليهما بوقته فانعطفا اليهِ كل الانعطاف وصغيا الى جوابهِ . فقال لهما ان ورائي العساكر قادمة وفي مقدمتها خاطر وخطير ثم اخرج كتاب الوليد حاكم مصر ودفعهُ الى سيده فاخذه وقرأه مع طيفور وسرّا بهِ غاية السرور وفرحا بهِ مزيد الفرح وقال طيفور للشاه سرور الم اقل لك ان الوليد يلاقي هذا الخبر بلهفة فيحلهُ محل القبول ويسر بهِ عظيم المسرة ويبادر في الحال وهو غير مصدق بهذا الخبر الى اغاثتنا وانقاذنا فهوذا النصر قادم علينا آتٍ الينا لا يلبث ان يسود بنا على عدونا فنقهره ونذلهُ قال الشاه ان الرجاء ضعيف في ذلك لان عساكر مصر لا تتجاوز الخمسين الفًا من الفرسان فهولاء لا يثبتون ساعة امام اهالي ايران وفرسانهم ولا سيما فيروزشاه وفيلزور وفرخوزاد او بالحري الملك ضاراب . قال ان الوليد يعرف عظم بسالة خاطر وخطير فلو لم يكونا من اشدّ الفرسان واقدرهم في مواقع الطعان لما اكتفى بهذا العدد القليل لانهُ كما يزعم قادر ان يجعل العساكر متصلة من بلادنا الى بلاده فلا لزوم اذاً لكثرة العساكر لان عساكرنا كثيرة وهي لا تزال مجتمعة تنتظر نهاية الامر بيننا واخيراً اذا وجدنا انفسنا في غلبة نرحل الى مصر ونترك المدينة بضعة اشهر وناخذ معنا عين الحياة ولا بد للايرانيين بعد ذلك من الرجوع الى اوطانهم او تتبع اثارنا فاذا رجعوا نرتاح من شرهم ويكونون قد قطعوا الرجاء از واج عين الحياة بابن الوليد فلا نراهم فيما بعد واذا تاثرونا يصادفون في مصر جزاء اعمالهم ويرون فضلاً عن لهيب حرارة برها المتسعر شرار موت احمر من جهنم فرسان الوليد حاكمها فتاكلهم وحوش تلك النواحي وتطويهم جنبات ارضها . فسكت الشاه سرور وصبر ينتظر قدوم المصريين ليرى ما يكون منهم وكان مرجح عنده انهم لا يقدرون على الثبات امام الايرانيين ولذلك كان موطد كل العزم على الذهاب الى مصر بابنتهِ وقد مال كل الميل الى زواجها بصالح ابن الوليد واشتاق الى الفرجة على تلك الديار

وفي نهاية الاربعين يوماً وهو اليوم الاخير للاجل المضروب بين القومين كان الشاه سرور

في مزيد كدر خوفًا من ان يمضي ذلك النهار ولا ياتيهِ احد وتاتيهِ العساكر بعد وقتها فلا ينتفع بها ولا ينال بواسطتها مرادًا واجتمع بطيفور واخبره بما تقدم ذكره وقال لهُ اخاف من ان تتاخر العساكر اياماً فلا تحضر في هذا الوقت ويسالني الملك ضاراب وفاء الشروط الموقع عليها والمتفق فيها فماذا يا ترى اجيبهُ قال اذا لم تحضر العساكر نرسل الخواجه ليان ونطلب تمديد المدة الى عشرة ايام ونظهر اهتمامنا بعمل العرس ونقيم الدعوات فيرتاحون الى ذلك ويصدقونهُ وفي هذه المرة لا بد من وصولهم لانهُ على ما يذكر في كتاب الوليد ان العساكر سائرة في اثر رسولنا ولا بد ان تصل الينا وقد فكرت الان ان نرسل لنا من يكشف اخبارها ويعود الينا بالعلم اليقين ويوضح لنا وقت وصولها ولا ارى من يقدر ان يقوم بذلك الا خفيف العيار ثم دعاه اليهِ وقال لهُ اسرع عائدًا الى الطريق التي اتيت منها واكشف لنا خبرًا عن المصريين وفي اي يوم يكون وصولهم وعين لهم مكانًا يقيمون فيهِ وهو الى يمين المدينة فنخرج اليهم ونجتمع بهم ونتعاضد واياهم. وفي الحال سار خفيف العيار بمهمتهِ ولم يغب الا القليل حتى رجع يصفق من الفرح وقال للشاه سرور بشراك يا سيدي فانك في حساب وهم وعساكر مصر قريبة جدًّا من المدينة فلا ينقضي هذا النهار الا ويكونون في المركز الذي عينتهُ لهم فاني ما بعدت عن المدينة الا القليل حتى شاهدتهم قادمين بهمة وحمية وعجلة كلية فاخبرتهم بانتظاركم لهم وعينت لهم المكان الموافق للقتال الواجب فيهِ انضمامكم اليهم وعدت على عجل لتتاهبوا وتتعددوا. ففرح طيفور لهذا الخبر وقال للشاه سرور الا رايت ان التوفيق قد بدأ بمصالحنا واخذ السعد في ان يخدمنا ولا بد من ان يكون قد فرغ النحس فاختار بدلا منا الايرانيين وسترى بعينيك تدابير فيروزشاه قال اني اعلمها ولم يبقَ علينا الان الا اخذ الاهبة للخروج في صباح الغد وقد يفعل الله ما يشاء. ومن تلك الساعة امر الشاه سرور بالاستعداد للخروج وقد تعجبت اهل المدينة من ذلك ولا احد منهم عرف ما دبر ولا سيما الشاه سليم وتعجبوا كيف عاد يمكنهُ الوقوف امام الاعجام وهم يفوقونهُ بالقوة اضعافًا او كيف يحنث بشروطهِ وينكث بعهوده. وعرفت عين الحياة بذلك فتكدرت من عمل ابيها جدًّا ولعنت الغدر والخيانة ولم تكن عارفة السبب الموجب لهذا الاستعداد وقالت في نفسها ان ذلك لامر غريب ولا بد من ان يكون قد استند الى معين يعينهُ والا فقوتهُ لا تساعده على النهوض والقيام في امر حرب ثقيلة لا يقدر على حملها اقوى ملوك هذا العالم. ثم بعثت برسلها تكشف لها الاخبار وتعود اليها بعلم اليقين ومن اين لابيها القوة المساعدة لهُ على الحرب وصبرت على ذلك وهي بمزيد غيظ من عمل ابيها

واما فيروزشاه فانهُ كان قد سر مزيد السرور لانقضاء الاربعين يومًا وقال في نفسهِ هوذا اليوم الاخير قد وافانا وما من سبب جديد نراه ولا بد من الزفاف بعد اليوم وكذلك الملك

ضاراب قد عول في ان يبعث في صباح اليوم القادم الى الشاه سرور يطلب اليهِ تسليم عين الحياة وزفافها على ابنهِ وامل كل الامل من الرجوع الى بلاده باقرب وقت ولم يكن يخطر في ذهنهِ ان دون ذلك صعوبات جمة فان امامهُ سفر طويل لا ينقضي لسنين واعوام ممزوجًا بمشقات واتعاب واكدار واثقال يعجز القلم عن وصفها وفي صباح اليوم الاول بعد الاربعين نهض الملك ضاراب من فراشهِ وجلس في مكانهِ واذا بالعيار شبرنك قد وقف بين يديهِ وقال لهُ اعلم يا سيدي ان الشاه سرور قد غدر بوعده ولم يقم بهِ وذلك انهُ ما طلب اليك ان تمهلهُ اربعين يومًا الا وفي نيتهِ ان يستنجد بالوليد حاكم مصر والصعيد وها ان شرذمة من عساكر مصر قد نزلت في ضواحي المدينة . فقال ومن اين عرفت بذلك قال اني نظرت في آخر الليل وانا في اطراف جيوشنا ادور كعادتي الى اضطراب في جهة المدينة وسمعت حركة جديدة فانسحبت واذا انا بقوم قادمون الى بين المدينة يضربون خيامهم و يعدلون انفسهم فسالت منهم عن اسباب قدومهم وقد شاهدت من صفاتهم ولغتهم انهم مصريون فقيل لي انهم جاءوا من مصر لمحاربة الملك ضاراب تحت امرة الفارسين المشهورين خاطر وخطير وذلك ان الشاه سرور قد بعث بتحرير الى ملكهم يعرض عليهِ بنتهُ عين الحياة وان يزفها على ابنهِ صالح لانهُ كان قد خطبها منهُ قبل الان فرده بالخيبة واخبره بما هو واقع بيننا و بينهُ واستنهض همتهُ في ان يخلصهُ منا فبعث اليهِ بخمسين الف من العساكر المصرية المنتخبة . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام كدره غاية الكدر ولعن الشاه سرور وجهالتهُ . وكان قد اجتمع اليهِ كل وزرائهِ وفرسانهِ واخذوا يتحدثون بعمل الشاه سرور وخداعه فقال لهم الملك ضاراب اني اعلم ان عساكر اليمن ستنضم الى هولاء القادمين و يعود الحرب الى بدايتهِ الاولى لكن لا نلبث ان ننتصر عليهم ونهلكهم غير ان ذلك يكدرني جدًّا لاني اكره ان تقع العداوة بيني و بين الوليد ملك مصر على غير سبب و يكون سببها فساد طيفور والشاه سرور واعظم شيء يزيد في كدري هو ان ولدي فيروزشاه لا يقبل ان ياخذ خطيبتهُ الا بطريقة محمودة عند الملوك ولا يرغب في ان يفعل سيفهُ في قوم عين الحياة الا بكراهة وكدر وقد يعلم ايضًا ان عين الحياة لا تقبل بذل نفسها كما انها لا تقبل بذل ابيها واهانتهِ وهذا الذي يحملني على الغيظ والغضب من اعمال هولاء الاوباش فلو فتحت المدينة ومسكت الشاه سرور لا اقدر ان اعمل معهُ عملاً اذا امتنع عن الموافقة وما زال ممتنعا لا تسلم عين الحياة بنفسها كسبية فهي من اعقل بنات عصرها واحكمهن ترغب في الشرف والناموس وتتغلب في كل الاوقات على اميالها كما يرغب ابني ايضًا وعلى ذلك فاني ارى صعوبة كلية فاننا لا نقدر ان نزفها زفافًا مجيدًا دون ان نلتجيء الى السيوف ونذل الشاه سرور ونقهره ونرغمهُ الى الموافقة . فقال طيطلوس ان المصريين واليمنيين لا يثبتون اكثر من يومين او ثلاثة ايام وبعد ذلك لا بد لنا من الدخول الى المدينة فاذا رانا الشاه سرور قد دخلنا يرجع الى الحيله والخداع . فلا

نوافقة عليهِ واذا وعد بزواج بنتهِ طلبنا اليهِ التعجيل والسرعة الممكنة فلا نترك لهُ مجالاً لاستعمال الحيلة والخداع . وقال فيلزور واني لا عجب كيف ان الدهر يخدمني في آخر زماني ويجمعني بفرسان كنت اطلب منذ كنت في عنفوان الشبوبية ان التقي بهما وهانذا الامير خاطر واخوه خطير قد حضرا ليجربا بنفسيهما معي وطالما قيل لي ان فرسان مصر من الاشداء ولا سيما هذين الاثنين فلابد لي من ان ابارزهما وحدي في الغد فلا تبقى حاجة في نفس يعقوب وعندي اني بعونهِ تعالى ساحرز النصر والظفر عليهما واهلكهما بيوم واحد

وكانت عساكر مصر لا زالت في مسيرها حتى اتى العيار واخبرها بمكان نزولها فسارت كما تقدم ونزلت الى يمين المدينة وضربت اطنابها بين سواد الليل وانبثاق الصباح ولا زالت حتى علت الشمس وارتفعت في القبة الزرقاء واذا بعساكر اليمن قد فتحت ابواب المدينة وخرجت اجواقاً وزمراً وفي مقدمتهم الشاه سرور ووزيره طيفور وضربت اطنابها الى جنب المصريين حتى امتلات بهم تلك الارض واضحت تعج بكثرتهم وتضج من غوغائهم واجتمع الشاه سرور بخاطر وخطير فسلم عليهما مزيد السلام وشكرهما على قدومهما وسألهما عن سيدهما الوليد فبلغاه سلامهُ واخبراه انهُ راغب فيهِ وانهُ اوصاهما بخدمتهِ والجد في سبيل نصره وقهر عدوه . ثم طيبا قلبهُ ووعداه بكل جميل وخير واظهرا لديهِ انهما قادران على تفريق الفرس باقرب وقت وتشتيت شملهم فسر الشاه سرور من كلامهما واقام ينتظر الغد ليرى من عجائبة ما يكون بين فرسان مصر وفرسان الاعجام الى ان انقضى ذلك النهار وجاء النهار الذي بعده بانوار اظهرت لكل عين مكنونات الخبايا فنهضت العساكر من مراقدها وتعددت وعلت في ظهور خيولها ونقدمت طالبة القتال والحرب والنزال وكان الملك ضاراب قد امر في الصباح ان تنتقل مراكز جيشهِ الى الوراء مقدار ساعة ليتسع المجال عليهم فلا يختلطون بالاعداء وبذلك يعرفون كيف ياخذونهم ومن اي باب يدخلون اليهم ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان سقط خاطر الى نصف الميدان وكان افرس من اخيهِ فصال وجال ولعب بالرمح اشكالاً والواناً حتى تعجب منهُ كل من شاهده ثم بعد ذلك وقف في الساحة واشار الى عساكر الفرس بالبراز وفي اقل من طرفة عين صدمهُ فيلزور صدمة تزعزع الجبال الراسيات وقال ويلك من انت من الفرسان وما تدعى وما هو اسمك قال ان كنت لا تعرفني انا اعرفك بنفسي انا الامير خاطر فارس بلاد مصر وحاميتها وقد بعثني سيدي نصرة للشاه سرور لانتقم لهُ منكم فمن انت يا ترى قال انا فارس راسك وحربة قلبك انا الذي طالما بلغك حديثي واخبرت بشجاعتي انا فيلزور البهلوان رئيس مقدمي بلاد فارس وسيد سيافيها فاستعد الان لضربي واحمل حر نار حربي وباقل من لحظة عين انطبقا على بعضهما انطباق الغمام واخذا في الطعان والصدام . وكان فرخوزاد قد نظر الى الامير خطير وهو يستعد ويتهيأ كانهُ يرغب ان يساعد اخاه اذا قادتهُ الظروف واحوجتهُ

الضرورة فقصد ان يبارزه لينهي امره بينما ابوه ينهي امر اخاه وفي الحال توسط الميدان وإشار اليه بالبراز وناداه للقتال فاجاب دعوته وصدمة صدمة جبار عنيد بعد جدال وتفنيد فانسحبت الافكار وتوجهت الابصار الى ما هو حاصل في مضمار القتال بين فيلزور وخاطر وبين فرخوزاد وخطير فارتفع الغبار وامتد الى السماء وتاججت النار وثارت منها ثوائر البلاء وعلت الصيحات واي علاء . وامتلئت القلوب حنقًا واي امتلاء وامتلات عساكر الشاه سرورفرحًا على يدي هذين الفارسين وإعجب قلبها فرحًا لما شاهداه منهما برأى العين . لانهما ثبتا ثبات الابطال الشداد امام فيلزور البهلوان وابنه فرخوزاد . وقيامها في مواقف الصدام والطراد . على رسوخ قدم واستعداد . ومثل ذلك انتظرت عساكر الاعجام . اسود الهجوم والصدام . وقد قوم كل من المحاربين الاسنة . وهيئ لاطلاق الاعنة ينتظر عند بيان وجه الظفر فرصة الهجوم على الخصوم . هذا وفيلزور مع خاطر بضرب عمدان وطعن شواكر . وافعال تبهر العقول وتبهج النواظر . وتشغل الاوهام وتحير الخواطر . وفرخوزاد مع خطير بحرب احر من نار السعير . وكل منهم يبذل جهده . ويظهر ما عنده . ويطلب الفوز على خصمه . ويرغب في قهره وامحاء رسمه . وكان خاطر اشد من خطير باسًا . واقوى قلبًا واصعب مراسًا . فكان يقاتل قتال الاسود . وينقض انقضاض البواشق وفيلزور يلتقيه كطود من الاطواد . ويكثر له من ابواب الحرب والطراد . وبينما هما على مثل ذلك الايراد . اختلف بينهما ضربتان قاطعتان . وطعنتان فاصلتان . وقعت ضربة خاطر على درقة فيلزور فاضاعها بمعرفته وكثرة اهتمامه ومخبرته . ووقعت ضربة فيلزور على درقة خاطر وزحفت عنها فوقعت على راس الجواد فسحقته ووقع خاطر الى الارض فاراد فيلزور ان يهجم عليه وينهي اجله واذا بعساكر مصر قد صاحت وحملت ومثل ذلك فعلت عساكر الفرس وعساكر اليمن فالتقى القومان في ساحة العدوان . وغنت السيوف بنغمة العيدان . غناء طيب الالحان . ورقصت الخيول في ساحة الميدان . على صوت دمدمة الفرسان . وهمهمة الشجعان . وكان القتال عظيمًا . والخطب جسيمًا . سالت الدماء كالسواقي . وانهلت الدموع من الاماقي . وفارقت الارواح الاجسام . وانتشرت في عالم الاعدام . وانتشرت محجوبة في سماء الاوهام . على امل ان تعود الى ديجور القتام . فتجدد ايام صباها . وتعيد اليها رونقها وبهاها . وكان كل فارس من فرسان الاعجام . يقاتل بثبات واقدام . واجتهاد واهتمام . وكذلك خاطر فانه كان قد ادركه قومه فقدموا اليه جوادًا من الخيل المبددة فركبه واندفع ياخذ لنفسه بالثار من الاعداء وينفي ما لحق به من العار واما خطير فانه تخلص من فرخوزاد وسار كل منهما يقاتل في جهة ودامت نار الحرب في اشتعال الى ان قرب الزوال ودقت طبول الانفصال ورجع كل من القومين الى مضاربه وخيامه وهو لا يصدق بالخلاص من التهاب لهيب ذلك اليوم الشديد المصائب والاهوال . ولما هدأ

الشاه سرور في ديوانهِ اجتمع بوزيره طيفور وقال لهُ الم اقل لك ان خاطرًا وخطيرًا لا يثبتان امام فرسان الاعجام وقد كاد في هذا النهار ان يقضي عليهما و يذوقا كاسًا من الموت مرة ذاقها قبلهما من هو اشد منهما باسًا . هذا ولو نزل فيرو زشاه اليوم الى الميدان والتقى بخاطر واخيهِ لما ابقى عليهما ساعة واحدة وعندي ان من الواجب ان نتخذ التدابير اللازمة لصيانة الشرف والناموس والعرض وحيث قد صممنا النية على الذهاب فصار من اللازم ان نكون دائمًا على اهبة المسير حتى اذا بان لنا وجه التاخير وحبطت مساعينا اقلعنا وخرجنا عن هذه البلاد الى جهة بلاد مصر قال طيفور لقد اصبت في ذلك فارسل خبرًا الان الى بنتك عين الحياة واطلعها على رغبتنا في السفر ومرها بان تكون في الغد او ما بعده على اهبة المسير فنبعثها امامنا مع بعض من الامراء والقواد قبل ان يعلم بها الاعداء فيمنعوننا عن السفر وربما استخلصوها وهي في الطريق واخذوها اليهم فنقع من اجلها في البلايا ونكون قد ارتكبنا اعظم الخطاء

وفي الحال دعا بخفيف العيار واوصاه ان يبلغ عين الحياة اوامره بطريقة سرية و يخبرها ان تستعد لان تسافر في وقت قريب و بعد ان سار خفيف العيار من حضرتهِ نهض مع طيفور ودخلا خيام المصريين حتى انتهيا الى صيوان خاطر وخطير وعندما اجتمعا بهما سلما عليهما وهنأاهما بالسلامة وبخلاصهما من الاعداء . فقال خاطر اني لم اكن اعهد انهُ يوجد بين فرسان الفرس من يقدر على ان يثبت امامي ساعة او يلقاني في ميداني وكنت اسمع عن هذا فيلزور بانهُ من اشداء الحرب وكماتها غير اني كنت ازدريهِ في عقلي والحق يقال انهُ من اعظم ما شاهدت في حياتي وعدم اهتمامي بهِ كان في غير محلهِ لانهُ وان كان شيخ فهو فتى الحرب ورحاها وتهاملي هذا اوقعني تحت طائلة الخسران والندم وحيث الان قد عرفت مقدار قوتهِ ومعرفتهِ وطدت العزم في الغد ان شاء الله ان لا ارجع عنهُ الا ظافرًا بهِ منصورًا عليهِ فاما اقتلهُ واعدمهُ الحياء وارفع عني الذل الذي القاه عليَّ بين هولاء الفرسان واما اني اذلهُ واقوده ماسورًا مهانًا تراه كل عين وتبصر بهِ فشكراه على ذلك وهما يعلمان انهُ مقصر عن كل ما يدعيهِ واما اخوه خطير فانهُ قال الى اخيهِ الا تذكر يا اخي ان سيدنا الوليد امرنا ان نعود اليهِ بعين الحياة و بابيها اذا وجدنا انفسنا غير قادرين على القيام بنصرتهِ وعليهِ فدعنا نرجع الان على اعقابنا فناخذ برفقتنا طلب سيدنا ولنترك وراءنا الاعداء يعضون الاكف لا سبيل لهم الى الوصول الينا وبذلك نحقن دماء رجالنا ونكيد الاعجام وحتى الساعة لم يكن بيننا وبينهم ثار تحترق لهُ اكبادنا فانظر بعين البصير الخبير . قال لا ارعوي عن عزمي ولا يكون ما قلت الا بعد ان اقتل فيلزور وانتقم منهُ واذلهُ بين جميع قومهِ واما الرجوع الى مصر فلا بد منهُ فليهيء الشاه سرور نفسهُ و بنتهُ و بعد الغد نرى في ذلك

وبات القومان في تلك الليلة يتحارسان تحت مشية الرحمان ينتظران الصباح وقدومهُ بانوارهِ

الوضاحة ليعودا الى القتال وفي الصباح نهض فيلزور وقبل جميع من نهض واعتد بعدتهِ ولبس لامتهُ
وقد عزم كل العزم في ذلك النهار ان لا يرجع عن خاطر ما لم يذقهُ كاس المخاطر وقد تكدر كيف
خلص منهُ بالامس ونجا من بين يديهِ وخلصهُ قومهُ ثم اصطف القومان وترتب العسكران وقام
الضجيج والصياح من كل مكان واذا بفيلزور قد اطلق لجواده العنان الى ان توسط الميدان فعرض
وبان . ولعب اشكالاً والوان . حتى حير العقول والاذهان . واشغل البصائر والاعيان . ثم
وقف واشار الى خاطران يبرز اليهِ ويلتقيهِ في ساحة القتال . لتنتهي بينهما الحال . وينقضي الامر
على حسب الطلب فما اتم كلامهُ حتى صار الامير خاطر امامهُ وصدمهُ صدمة قوية بكل عزيمة
واخذ معهُ في الكر والفر . والقرب والبعد . والهذل والجد . والتقابض والتماسك . والاخذ
والرد والصياح والسكوت والالتحام والافتراق والهمهمة والدمدمة . والزئير والتحرق وهما
على فروغ صبر من هذا القتال وقد ضاقت منهما الانفاس وايقنا بهلاك النفوس وتمنى كل واحد
الخلاص من خصمهِ والرجوع عنهُ الى الوراء ولولا فواعل الشجاعة الموجودة في صدريهما لطلبا
الاقالة وعادا عن الحرب مخافة من الهلاك والعطب لانهما كانا ككفتي ميزان او قبتي قبان لا يرجح
احدهما على الاخر ولا يزيده ثقلاً ولا عياراً وما زالا يضربان بعضهما بالعمد حتى كلت منهما
الايدي وخدرت السواعد وقد افرغا كل الابواب بدون جدوى ولا نتيجة ولذلك عمدا الى
السيوف الصقال لانها اقرب الى خطف الارواح وتقريب الاجال وتقصير الاعمار فاكثرا من
لمعان السيوف وبريقها وهي تشرع وتدفع كالنجم عند انخطافهِ في ظلام ليل حالك ولا زال هذا
العمل عملهما وهذه الحالة حالتهما حتى تبين لفيروز شاه ان خصمهُ قد كل ومل ولم يعد لهُ من قدرة
على الثبات امامهُ وظهر لهُ وجه الطمع فيهِ والظفر عليهِ فصدمهُ وصاح فيهِ ودار من حواليهِ وكان
مع كبر سنهِ قوي القوائم متين العزائم كلما طال وقوفهُ في القتال زادت همتهُ واشتد عصبهُ فضايق
خصمهُ وزاد عليهِ العيار حتى لم يعد يعرف يمينهُ من شمالهِ وخارت قواه وعميت نواظره وضعفت
اعصابهُ وغاب وعيهُ فلم يشعر الا وسيف فيلزور قد وقع على رقبتهِ فازاحها عن جسده وانحذف
الى الارض بقوة ثقل جسمهِ وما عليهِ من الحديد وقد شاهد القومان تلك الضربة ونظروا ما حل
بخاطر فاندهشوا واما خطير فانهُ صاح وناح وبكى وحمل برجالهِ ياخذ لنفسهِ بالثار من قاتل اخيهِ
واذ ذاك حملت عساكر اليمن وعساكر الفرس ودار دولاب الحرب من كل ناحية وغنى السيف
القرضاب . في محكم الصدور والرقاب . ولعبت طوال العمدان . في نواعم الابدان . فالقتها على
بساط الصحصحان . ومددتها على تلك البراري والقيعان . وتركتها ماكلاً للوحوش والعقبان .
ودام القتال الى ان جاء الزوال ونشر الليل ظلامهُ فغطى القوم عن العيان فدق طبل الرجوع
فعاد القومان عن القتال وقد اشفت الاعجام غليلها من الاعداء وقتلت فيهم قتلاً ذريعاً وتركتهم

بحالة العدم لا يرى لهم بدًّا من الهلاك او الهرب وقد مدح الملك ضاراب و بقية الفرسان فيلزور البهلوان على قتلهِ خاطر واثنوا عليهِ مزيد الثناء فقال لهم اني بسيفكم اضرب و بعزمكم اقاتل فلا احسب لي فخرًا في قومي الا اذا تركوا عليَّ قضاء مثل هذه الخدمة لاني لا ارغب ان اموت في بيتي بين حريمي ونسائي انما ارغب ان اموت وعين الناس تنظر اليَّ نظر المتعجب المسرور اي اني ارغب ان اموت في نصف الميدان وانا اخدم بلادي وقومي وعيون الناس تحدق بي وتشخص اليَّ فتعجب الجميع من قولهِ وعلموا انهُ رب الحرب وهمامها وان الكبر والشيخوخة لم يضعفا من عزمهِ بل لا يزال على نمو بسالة وشجاعة . واقام الفرس تلك الليلة في فرح وسرور وهم على اتم ما يكون من المسرة

واما الشاه سرور وطيفور فانهما عادا الى الخيام وفي فوادهما نار الاضطرام لا يريان ما بين ايديهما ولا امامهما ولما اجتمعا الى بعضهما قال الشاه سرور ان هذا الذي كنت احسبهُ واخافهُ فها قد وصلنا اليهِ ولا بد لعساكر الفرس من ان تبطش بنا وتهلكنا على اخرنا اذا داومنا على قتالها ولم نرجع عن الحرب ونطلب منهم الصلح والامان . قال طيفور لم يعد في الامكان ان نطلب منهم صلحًا الا بتسليمهم عين الحياة لاننا لو سالناهم ذلك لا يجيبون سوالنا انما يطلبون على ذلك ضمانة او اننا نسلمهم عين الحياة واني ارى الان من الموافق ان نبعث بعين الحياة امامنا في هذه الليلة ومتى راحت و بعدت عن هذه البلاد على نوع ما يمكننا ان نسير بعد ذلك في اثرها اي وقت اردنا . وكان قصد طيفور ان يبعد عين الحياة قبل كل شيء خوفًا من ان يقع الشاه سرور في ايدي الملك ضاراب فيطلب اليهِ ان يسلمهُ اياها فيجيبهُ حالاً و ينقضي غرض فيروزشاه و ينتقم منهُ انما اذا بعدت وصارت في بلاد مصر نقصر عنها كل يد ولا سيما يد ابيها و يلتزم ان يسير في اثرها اذا لم يكن مانع . فوافقهُ الشاه سرور الى ارادتهِ ودعا بولديهِ الشاه اسد والشاه حارث وقال لهما الان ادخلا المدينة وحملا ما خف وغلا وارفعا اختكما عين الحياة على هودج وسيرا في هذه الليلة على طريق مصر امامنا وحذار كل الحذار من ان تطلعا احدًا على امركما او تدعا احدًا يعرف مقصدكما فيطلع العدو على ذلك فيقف لكما في الطريق و ياخذ عين الحياة منكما ومتى انهيتما عملكما وخرجتما ارسلا اليَّ بالخبر لابعث معكما الامراء ونحو ٥٠٠ نفس تكون في ركابكما فاجاباه الى طلبهِ وخرجا من حضرتهِ ودخلا المدينة يقومان بامر ابيهما

وكانت عين الحياة على اطيب ما يكون من العيش وراحة الضمير وهي تامل ان الحرب تنتهي نهاية موافقة لمشربها كما تقدم معنا الايراد ولئن كانت قد تكدرت من جرى اتيان المصريين الا انها علمت انهم سيفرقون ذري الرياح لقلتهم وشجاعة الفرس ودامت على معاطاة الخمور في الصباح والمساء و بين يديها الصور قائمة على اعظم اكرام وارفع مقام الى ان بلغها امر ابيها بان تستعد

للسفر و يبعدها عن حبيبها وهي تومل ان يعدل اباها عن عزمهِ ولا يعود يرضى بالرحيل ولما راتها اسما على تلك الحالة تركتها مع بنتها وسارت هي فدبرت نفسها وهيئت لوازمها وحزمت لها ثيابها وفي مساء اليوم الثاني دخل اخوها الشاه حارث عليها وقال لها ان اباك بعثني لاذهب بك الى مصر وها قد رفعت كل ما يلزمنا اثناء السفر على ظهور الجمال وركب اخوك الشاه اسد ولم يبقَ الا انت فيها اخرجي من قصرك فان الباذل ينتظرك عند الباب وقد ضربت لك عليهِ هودجًا يليق ببنات الملوك من مثلك ولا تتعوقي او تتهاملي فاننا نرغب في السرعة فلا يصبح هذا الليل الا ونحن بعيدون عن هذه الديار لا نرى فيها احد ولا يرانا منها احدًا . فلما سمعت كلامهُ شعرت بانفطار كبدها ولم تجب بكلمة بل نظرت الى الارض ساهية وكان الشاه حارث يعلم بحب اختهِ لفيروزشاه وانهُ لا يهون عليها السفر فلم يزد عليها اكثر من ذلك بل سار عنها نحو جاريتها اسما يطلب اليها مرافقتها وان تسلمهُ ثيابها وامتعتها . و بعد ان بعد عنها اخوها ذرفت دمعًا غزيرًا من ماقي مقرحة وانشدت

كيف اصبحت يا دار وقد زا	يلك الانس حين بانوا وولى
وكأن الديار اذ فارقوها	زهرة من لآلىء الطل عطلى
كان فيها بدر اذا ما تجلى	فالمحبون بين صرعى وقتلى
حجبتهُ عن ناظري سحب البين	وفي القلب والجوانح حلاَّ
ايها النازح الذي ليس يهوى	غيره القلب في البرية خلاَّ
كل يوم اقضي عليك حذارًا	ان يرى مبصر شخصك ظلاَّ
واشتياقي اليك في البعد مثل ال	قرب نار بها الجوانح تصلا

واكثرت من التعداد والبكاء لفرقة الوطن و بعدها عن الدار وقالت في نفسها هل يا ترى اعود فارى هذا القصر الذي ربيت فيهِ والفت رياضهُ وحياضهُ وهل يا ترى تسمح لي الايام ان اشاهد خدمي وحشمي ويسر قلبي بملقى اقربائي وانسبائي وجعلت تزيد من لوم الدهر وتنديده وقد صح لديها الصحيح وقطع الرجاء ولم يعد من امل للقاء وقد اصبحت بحر من الاوهام والافكار المقلقة والاكدار واذا باخيها قد قرب منها فاخذها من يدها ونزل بها الدرج الى باب القصر وهي ماشية من خلفهِ لا تعي على نفسها ولا تعرف اين تضع رجلها وكانت كالعمياء التي تقاد من يديها ولا تبصر ما امامها وما وراءها . ثم رفعها اخوها الى هودجها وسارت البغال والجمال بالاحمال وهي في وسطها وفي تلك الساعة وصل الامراء والرجال الذين اعدهم الشاه سرور للمسير بعين الحياة الى مصر فساروا في المقدمة وهي من خلفهم على هودجها ودموعها تنهل كالسواقي وهي تعرف من نفسها انها سائرة الى سفر طويل لا تلاقي بعده ولا تعرف ان كان فيروزشاه يهتدي الى الوصول اليها او

لا او انها تراه او يراها فيا بعد ولما خرجت من باب المدينة اصعدت زفرة حرا وتنهدت تنهد المتبول و بكت بدمعة سخية وانشدت مودعة

بعاد يزيد الجوى والحنينا ... وبين يعلم قلبي الانينا
فراق اذاب الحشا ادمعًا ... فاجرى بصافي الدماء العيونا
الفنا السهاد لسكب الدموع ... فانكر منا الرقاد الجفونا
فقدت اصطباري غداة الرحيل ... وعوضت عنه الجوى والشجونا
رعى الله ايام قرب مضت ... وحيا لياليها والسنينا
وجاد الحيا اربعا بالديار ... وسلم صحبًا بها قاطنينا
وهبت بها نسمات القبول ... تحدو اليها سحابًا هتونا
وغنت بها سحرًا ورقها ... تنبه للنور فيها عيونا
ولا برحت في رباها الصبا ... تروح شمالاً وتغدو يمينا
احبتنا هل يفك الرهونا ... غريب ويقضي البعاد الديونا
وهل عائد زمن بالحمى ... و بالقرب هل يسعف النازحينا
وهل بالتلاقي يجود الزمان ... لنعلم احبابنا ما لقينا
فقد صدع الصبر طول البعاد ... والقلب قد كان حصنًا حصينا
وعلمني البين ما قد جهلت ... فذقت النوى وعرفت الحنينا
فهل تذكرون غريب الديار ... ويذكر من بالحمى الظاعنينا
رحلنا فيا تابعتنا القلوب ... وسرنا فظلت لديكم رهونا

وكانت راكبة الى جانبها قهرمانتها و بنتها وما اشرقت شمس ذلك الليل الا وقد غابوا عن المدينة وبعدوا عن تلك الديار وكان لا اثر لهم بها ولا دليل . ولندعهم الان سائرون على هذا الطريق الطويل ونعود الى تلك الامم المجتمعة وما كان منها فانه بعد ان بعث الشاه سرور بولديه الشاه اسد والشاه حارث جمع اليه امراء مملكته و بينهم الامير خطير المصري واستشارهم في ماذا يفعلون فقال طيفور اني لا ارى بدًّا من المسير الى مصر الى حضرة الوليد حاكمها نتمسك باذياله ونطلب منه المعونة على الاخصام اذا تبعوا اثارنا فنتحد وإياه يدًا واحدة فنقلع منهم الاثار ونبيدهم عن اخرهم ونهلكهم وإذا امتنعوا عن المسير وشاهدوا الصعوبة الواقعة لهم بارتكابهم مثل هكذا خطر نكون قد ارتحنا من شرهم لانهم يعودون الى بلادهم وعيالهم و يستكنون مرتاحين من هذه الحرب واخطارها فوافقه الجميع على ذلك وقالوا ان هذا عين الصواب فاننا نفضل ان نرحل الى مصر ونقيم بها اشهرًا وأيامًا من ان نذهب فريسة لسيوف الايرانيين وعمدهم . فقال خطير اني ارى من اوفق

الاراء ان نترك العدو وشانهُ ونرحل الى بلادنا غير اني اخاف من انهم لا يتبعوننا الى تلك الديار فيضيع ثار اخي ويذهب دمهُ هدرًا ولذلك عزمت على ان اكبس عساكر الزنوج المقيم فيها فيروز شاه في الليل الذي نعزم فيهِ على الرحيل فبينما تكون قد ركبت الفرسان وسارت امامنا المهمات احط بجيشي على فيروز شاه فانتقم منهُ وآخذ لنفسي بالثار وارفع عني العار وغير فيروز شاه لا اريد بدلاً عن اخي فهو اعز رجل فيهم وابسل فارس بينهم فقالوا لهُ افعل ما بدا لك في ذلك ثم ان الشاه سرور قال اني ارى من الموافق ان اسلم المدينة الى الشاه سليم فيكون حاكمًا عليها مدة غيابنا واذا دخل الملك ضاراب المدينة ونظره هو القائم عليها لا يؤذي احدًا بسببهِ ولا يتعرض لاحد لان لهُ فضل كبير على فرخونزاد وليس بينهُ وبينهم من الاسباب العدوانية ما يستدعي الايقاع بهِ والتعرض اليهِ بشر. ثم قر الراي على مثل ذلك وقبل الشاه سليم بان يبقى في المدينة وان يسلم امر الحكم اليهِ في مدة غيابهم . وتفرق الجميع من حول الشاه سرور ولم يبقَ عنده غير وزيره طيفور فتذكر كل ما وصل اليهِ من المصائب والاهوال والحروب الذي انعبتهُ واكربتهُ ورمتهُ بالخسران فالتفت الى طيفور وقال لهُ لا شيء اصعب لديَّ من مبارحة هذه الديار واخاف من عناد الدهر وغدره ان لا اعود فاراها فيما بعد واني لاعجب من تقلبات الايام كيف بعد ان كان الزمان صافيًا رائقًا لا يشاب بكدر ينقلب عليَّ بكل هذه المصائب التي مرت علينا واعجب منها اذ ما فكرنا بامر ودبرناه الا عاد علينا شرًّا ووبالاً فقبح الله هذه الايام وقبح افعالها ورجالها واعظم شيء يكدرني ان من كان احب الناس اليَّ واصدقهم في خدمتي قد اخلف عليَّ وخانني واقام بخدمة عدوي وهو هلال العيار فما كنت اظنهُ الى هذا الحد من الخبث والخيانة . فقال لهُ طيفور لا تغضب يا سيدي على هلال فقلبي يحدثني ان هلالاً سياتينا بنفع عظيم في قيامهِ بين الاعداء . قال واي نفع يرجى منهُ وهو الى هذه الايام لم ياتنا بخبر ولا فكر فينا واخاف من ان نرحل عن هذه الديار وهو ليس معنا لاننا كنا ننتفع بهِ غاية الانتفاع ونعهد اليهِ بالمهمات العظيمة

قال وما اتم الشاه سرور كلامهُ الا راى هلالاً قد دخل عليهِ من باب الصيوان وهو اشعث اغبر وعليهِ الملابس العجيبة كانهُ من اكبر عياري الفرس فانعطف اليهِ الشاه سرور وقال لهُ بلهفة اين كان غيابك يا هلال فاني اراك كعياري ايران وقد اخبرت انك عاهدت الملك ضاراب على خدمتهِ ولم يكن عهدي فيك الى هذا الحد مع انك رئيس عياري بلادي وقد انعمت عليك كثيرًا وما قصرت معك قط . قال كلا يا سيدي فاني لم اخدم الملك ضاراب عن صدق نية ولا عاهدتهُ على خلوص طوية بل اضمرت لهُ الشر ونويت ايصال الاذية اليهِ والان قد ترجح عندي انكم سترحلون عن هذه الديار الى بلاد مصر فقصدت الانجاز واعتمدت الى عمل الحيلة فاتيت اليكم اعرض ما خطر في فكري عليكم واود سرعة العودة خوفًا من الطولة فينكشف الامر .

قال طيفور واي شيء خطر لك فابده في الحال فاننا نوافقك عليهِ اذا كان صوابًا . قال انهُ خطر في ذهني ان ادخل الان على فيرونرشاه وهو على انفراد واقول لهُ اني كنت الان بين عساكر اليمن اتجسس اخبارهم فرايت ان انزل الى البلد لا شاهد عيالي فيها واذا بعين الحياة وقد اركبها ابوها على هودج و بعثها الى بلاد مصر ومعها ١٠ امراء فقط لا غير فتاثرتهم حتى وصلوا الى فم الوادي فرجعت اليك وهم يسيرون بتمهل فاذا سمع كلامي لا بد من ان تحرك فيهِ نيران الحب فيقصد ذلك المكان وحدهُ وتكونون انتم قد بعثتم بهودج فارغ فوق ناقة مجللة بالحرير وحولها ١٠ رجال وترسلون ايضًا مائة الف نفس تكمن في اعالي الوادي فمتى توسط الوادي وقرب من الهودج تهجم عليهِ العساكر بوقت واحد وتحتاط بهِ من كل صوب و باقل من ساعة نقوده اسيرًا وتنالون منهُ مرادًا . فقال لهُ الشاه سرور حسنًا ما فكرت فان صح هذا الراي واُسر فيرونرشاه لا نعمت عليك مزيد الانعام واوصلت اليك غزير العطايا . قال طيفور اني على يقين من اسر فيرونرشاه ووقوعهِ في ايدينا فاسرع اذن يا هلال وها نحن من هذه الساعة نسير العساكر الى ذلك الوادي الذي اشرت اليهِ ونبعث بالهودج محمولاً على ناقة مع عشرة من الامراء ليكون كما قلت وبعد ذلك فالتدبير على الله . فودع هلال الشاه سرور وطيفور وخرج من عندهما وهما في فرح لا يوصف وقد بعث في الحال فاستدعى باحد قواده الامناء واطلعهُ على الدسيسة وقال لهُ اريد منك ان تذهب بمائة الف من العساكر وتكمن في الوادي على جانبيهِ ومتى نظرت الى احد وقد اعترض الهودج وقصد توقيفهُ فانطبقوا عليهِ باجمعكم واستأسروه وقودوهُ اليَّ فهذا يكون فيرونرشاه ابن الملك ضاراب واياك من التهامل ففي مثل هذا الوقت يجب الانتباه والتيقظ قال سمعًا وطاعة واخذ من تلك الساعة مائة الف من العساكر المنتخبة وسار بهم الى حيث امرهم الشاه سرور واقاموا ينتظرون النهاية وما يكون من امر هلال العيار . ثم امر الشاه سرور ان يوتى بهودج فرفعهُ على ناقة وسلمهُ الى عشرة من الامراء وساق بين يديهم العبيد وقال لهم متى اجزتم الوادي فسيروا على مهل الى ان يفاجئكم فيرونرشاه فاتركوا الهودج وتفرقوا عنهُ وسوقوه امامكم واياكم من ان تقطعوا الوادي قبل ان يفاجئكم فاجابوهُ بالسمع والطاعة وخرجوا من بين ايديهِ وساروا على الطريق الذي اوصاهم ان يسيروا عليها

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من هلال العيار فانهُ عاد من عند الشاه سرور وسار الى ان دخل جيش الزنوج فقصد صيوان فيرونرشاه وكان اذ ذاك قد قرب نصف الليل واسود حالكهُ فتقدم مظهرًا على نفسهِ التعب واللهثة وهو يقمز و يقفز الى ان قرب من الصيوان وعول على الدخول على فيرونرشاه واذا يرى فرخوزاد وخورشيد شاه خارجين من الصيوان وكانا قد صرفا السهرة عنده ثم ودعاه وتركاه وحده ليس عنده الا بهروز العيار فلما

راها اراد ان ينزوي الى جهة الصيوان فما مكناه بل تقدم منهُ فرخوزراد وقد راه على تلك الحالة فاشغلهُ امره وكان قلبهُ يجفل منهُ ويخافهُ وصاح بهِ ما بالك يا هلال في هذه الجهة واي شيء تقصد في هذه الناحية مع ان مهنتك ان تقوم بخدمة الملك ضاراب مع بقية العيارين الذين عنده قال يا سيدي ان معي بشارة اريد ان ابشر بها سيدي فيروزشاه واطلعهُ عليها لاني عالم بانهُ في مزيد احتياج اليها وانها تسره جدًا ولذلك قصدت ان اخدمهُ خدمة يتذكرني بها الى آخر الايام ويعلم اني امين على مصالحهِ . قال وما هي هذه البشارة وما هو هذا الذي يحتاجه فيروزشاه فابده لنا . قال ليس في وسعي ان اطلع احدًا على مثل هذا السر فهو مخصوص بهِ متعلق بذاتهِ لا دخل لاحد غيره بهِ فاذهبا الى مكانكما فليس ذلك من مصلحتكما ثم قصد ان يتقدم فصاح بهِ فرخوزاد واستوقفهُ وقال لهُ ويلك يا هلال انطمع بالخلاص من بين يديَّ او تظن اني اتركك تدنو من فيروزشاه فوحق الله العظيم الذي خلق المخلوقات وكون الكائنات اذا خطوت خطوة واحدة الى الامام ارسلت سيفي هذا الى صدرك فاسكنتك قبرك وجعلتك عبرة للناظرين والسامعين فابدِ الذي اتيت بصدده لي حتى اذا كان صوابًا تركتك ان تدخل على فيروزشاه لاننا تركناه وقد دخل الى فراشهِ ونام فيهِ فلا اوافق على نهوضهِ منهُ الا لامر خطير . فلما راى هلال ان لا بد من اطلاع فرخوزاد وخورشيد شاه على امر دسيستهِ اظهر الجد في كلامهِ وابدى وجه الحيلة وقال اعلم يا سيدي اني كنت بخدمة الملك ضاراب فبعثني لاكشف لهُ امرًا جديدًا من جهة الاعداء فسرت واختلطت بينهم وانا بصفة واحد منهم ثم حدثتني نفسي ان ادخل البلد لان لي هناك اهل وعيال وانا في شوق زائد اليهم وفيما انا داخل المدينة سمعت الناس يقولون ان في هذه الليلة تسافر عين الحياة فسالت عن ذلك فقيل لي ان اباها مراده ان يرسلها الى بلاد مصر الى الوايد حاكمها لتزف على ابنهِ صالح فلما سمعت هذا الكلام كاد يطير الشرار من عينيَّ وقلت ماذا يا ترى يصير بسيدي فيروزشاه اذا عرف بسفرها وغابت عنهُ . ثم خطر لي ان اقصد قصر عين الحياة فقصدتهُ املاً ان اطلع هناك على شيء انفع بهِ سيدي فلما وصلت اليهِ وجدت الاحمال مرفوعة على ظهور الجمال وقد رفع لها هودج من الحرير على باذل مجلل بالحرائر والزخارف ثم رفعوها اليهِ وسلموه الى جماعة من العبيد وبعد ذلك وصل عشرة رجال من امراء اليمن فساروا من خلف الهودج وهم بالعدد الكاملة ليحموها في الطريق فلما رايتهم انقطع رجائي من ان اخلصها فتاثرتهم من ورائهم وهم لا يعلمون بي الى ان خرجوا من المدينة وتسلموا الطريق المودية الى مصر وعند ذلك لاح لي ان اقصد سيدي فيروزشاه واطلعهُ على هذا الامر عساه ان يسرع فينقذ عين الحياة قبل ان تبعد عن هذه الديار فيعض كفيهِ ندمًا واسفًا ولا يعود يقدر بعد ذلك على الوصول اليها لان اباها يعمل براي طيفور الخبيث الحاسد قبح الله وجهه فما هو الا خداع ماكر وفي رجائي ان فيروزشاه

ن يتم له مراده ينعم عليَّ بالاموال الغزيرة واحوز عنده على التقدم لانهُ لم ياتهِ احد بمثل هذه
نه من عياري بلاده . قال فرخوزاد سر اذن امامنا ودعنا نقضي الغرض ونعود قبل الصباح
دعنا يا سيدي ناخذ معنا فيروزشاه لان له غرض كبير في ذلك وربما يلومنا اذا لم نتوفق في
قنا قال لا سبيل الى وقوفهِ على هذا الامر الا بعد انقضائهِ ولا اريد ان يستيقظ الان من
و لامر بسيط كهذا في وسعنا ان نقضيهِ ونعود على عجل لانك زعمت ان مع عين الحياة عشرة
واء فقط فلا يحتاج الامر لفيروزشاه ونحن كفوٌ لالفي امير من امراء اليمن فهيا سر امامنا بالعجل
لا رأى هلال اصرار فرخوزاد على المسير وحده مع خورشيد شاه وانهُ لا يقبل مطلقًا ان يعرف
فيروزشاه سار امامهما وهو يلعن الصدف التي منعتهُ من اتمام مرغوبهِ وقال في نفسهِ لا بد من
التوفيق فان لم يكن فيروزشاه فهؤلاء من اعيان الفرس واحدهما ابن فيلزور البهلوان والاخر
ابن عمة الملك ضاراب ولا زال سائرًا بين يديهما وهما سائران من ورائهِ وقد اخذ كل منهما جوادًا
سابقًا وتقلد بسلاح عامة الزنوج الذين صادفوهم في طريقهم وخرجوا من الجيش دون ان يعلم
احد اي جهة يقصدون وفي اي طريق يسيرون وقد راهم الحرس فلم يقصد ان يعترضهم لماعرفهم
وقبل الصباح بساعتين وصلوا الى تلك الوادي فدخلوا وساروا فيها وهم مجدون في المسير الى
ان تبينوا على نور الافلاك الهودج وهو سائر امامهم ومن خلفهِ الامراء وبين يديهِ العبيد بالمزاريق
فصفق هلال بيديهِ من الفرح والتفت الى فرخوزاد وقال له هوذا يا سيدي عين الحياة محمولة على
هودجها وقد ادركناها بمكان قريب فلما شاهد فرخوزاد وخورشيد شاه الهودج تحققا صحة كلام هلال
العيار فقوما العمدان واطلقا العنان وصاحا بالامراء ويلكم ايها الاوغاد الى اين تغدون في هذه
البراري اتظنون انكم تخلصون بعين الحياة ووراءكم اسود الاعجام تطلب لكم الموت والانتقام .
فلما سمع الرجال الذين مع الهودج الصياح اظهروا على انفسهم الخوف والجزع فنخسوا الناقة وتفرقوا
الى جهة الكمين وكذلك هلال العيار فانهُ لما شاهد هجوم فرخوزاد ورفيقهُ اطلق ساقيهِ الى جهة
العساكر الكامنة في اطراف الوادي فصاح فيها وامرها بان تحمل وكان فرخوزاد قد وصل
الى الهودج فاناخ الناقة ورفع سجاف الهودج واذا بهِ يراه فارغًا ليس فيهِ احد فالتفت الى ورائهِ فلم يرَ
هلال العيار فخاف من المكيدة والغدر فصاح في خورشيد شاه وقال له هيا بنا الى الرجوع على عجل
فان هذه مكيدة تمت علينا من هلال العيار فما اتم كلامهُ حتى سمع صياح عساكر اليمن وقد تدفقت
من الفهم مثل السيل العرمرم واحاطت بهما من كل جهة وصوب وهي تصيح وتنادي وقد سدت
بكثرتها تلك الوادي . فعرف فرخوزاد وخورشيد انهُ لا خلاص لهما الا بالضرب والثبات وملاقاة
الاعادي الى ان ياتيهما الله بالفرج فاطلقا العنان وشرعا بايديهما العمدان وخاضا ذلك البحر العجاج
المتلاطم بالامواج ولم يكن الا القليل حتى قامت الحرب على ساق وقدم وطاف ساقيها بكاسات

العدم يسقيهم فيها سم البوار ويعجل عليهم بقصف الاعمار . وكلما ازدحم القوم على خورشيد وفرخونراد . صاحا فيهم وحملا عليهم حملة الاساد . فدفعاهم الى الوراء بهمة وحمية . وفعلا افعال فارسية . وقاتلاهم مقاتلة فيروزية . تحدث بها الابطال والفرسان في كل زمان ومكان . وكان القتال قائم بين فرخونراد ورفيقهِ وبين رجال اليمن وهلال العيار الخبيث المكار واقف على راس اكمة بفم الوادي ينتظر نهاية الحال وما يكون من امر القتال وهو ينتظر اسرهما وقودهما الى الشاه سرور ليظهر لهُ صدق خدمتهِ ونجاح مهمتهِ وكان النهار قد قارب الوصول فانبعث من انبثاق الصباح نور ضعيف تتميز بهِ الاشباح من بعضها البعض وبينما هلال على تلك الرابية واذا بهِ يرَ شخصًا آتٍ الى تلك الجهة فتبينهُ واذا بهِ شبرنك العيار وكان شبرنك في عسكر اليمن وقصد الرجوع قبل وصول النهار فصادف مروره بالقرب من تلك الجهة فسمع غوغاء على بعد فانخطف الى ذلك المكان يستكشف الاخبار وهو لا يعلم السبب ولما قرب اخذ يتلصص وفي علمهِ ان لا احد يراه . فلما نظره هلال قال في نفسهِ لا بد من كيدهِ والقبض عليهِ قبل وصولهِ الى مكان المعركة ثم انحذف الى الطريق ودار بظهره الى جهتهِ

قد انتهى الجزء السادس من سيرة فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وبهِ انتهى المجلد الاول من هذه السيرة وسياتي ان شاء الله المجلد الثاني مبدوءًا بهِ بالجزء السابع

خاتمة المجلد الاول

قد انيت بحولهِ تعالى على تتمة المجلد الاول من هذه القصة وانا اردد مزيد الشكر لكامل مشتركينا وغيرهم ممن تلقوها بالقبول واحلوها محل الرضا وواصلوها مواصلة الميل اليها والعفو عن ذلاتها واني اسنغنم هذه الفرصة لان ابدي للعموم اني بدئت بكتابتها من نحو اقل من شهرين ودولاب الطباعة يلتهم ما اكتبهُ شيئًا فشيئًا ولذلك كانت قصار الوقت تحول بيني وبين مراجعة كتابتي ولذلك صرفت العناية الى العجلة كي لا يفرغ صبر الطالبين ولا ازال اصرف الجهد ايضًا الى انهاء هذه القصة بوقت قريب اي بسرعة ربما لا يصدقها مصوبو سهام التنديد . والتقطت لها كثيرًا من الاشعار من اقوال فطاحل الشعراء ونظمت لها ما احوجتني الضرورة اليهِ مما يحتاجهُ الموضوع ولا يمكن وجوده باقوال الغير . وقد قسمت القصة بعد دخولي فيها الى اربعة مجلدات نظير هذا كل منها يضم ستة اجزاء فيكون مجموعها كلها ٢٤ جزءًا وعليهِ فالتمس من ذوي الرحمة عفوًا عما سقطت بهِ من الذلل واسقط بهِ اذ ليس كامل الا الله وحده سبحانهُ وتعالى كاتبهُ

نخلة قلفاط

قصة

يروزشاه

تصحيح نخله قلفاط

كن عارفًا باحاديث الاولى سلفوا ... يزيدك العرف آدابًا على ادبِ
فرب نفعٍ غزيرٍ لست تدركهُ ... بدا بما اغمضتهُ سالف الحقبِ

المجلد الثاني

يباع بالمكتبة الوطنيه في سوق ابي النصر عند الخواجا لطف الله الزهار

طبع في بيروت سنة ١٨٨٥

الجزء السابع

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

وظهر على نفسهِ انهُ لا يراهُ وانهُ منهمك بامر يفتش عليهِ في الارض فلما راه شبرنك على تلك الحالة ظن انهُ لم يرَهُ فقال في نفسهِ لا بد لي ان اعرف قصدهُ وماذا يفعل هنا فاختفى خلف شجرة وجعل ينظر اليهِ فوجدهُ قد دنا من الارض فحفر وطمر ثم نقل الى الامام وفعل كذلك ثم نقل ايضًا وفعل كالاول فاحتار من عملهِ وقال ماذا يا ترى يخبي في هذا المكان فوالله لاحرمنهُ ما يخبئهُ وصبر عليهِ الى ان صار بعيدًا منهُ فقرب من الحفرة الاولى فوجدهُ قد وضع فوقها حجرًا فثبت عندهُ انهُ طمر شيئًا مهمًّا فرفع الحجر وحفر قليلاً واذا بهِ يرى حنجورًا فيهِ ماء كدر فانشغل بالهُ من ذلك وجعل ينظر الى الحنجور فوجدهُ في هيئة غريبة لم يرَ قط مثلهُ ففتحهُ ورفع سدادتهُ فانبعثت منهُ رائحة زكية انفتح لها صدره فوضع فم الحنجور على انفهِ وجعل يستنشق منهُ وهو مسرور برائحتهِ ولم يمض الا دقائق قليلة حتى شعر من نفسهِ بانهُ في اضطراب وقد ثقل راسهُ واسدل على عينيهِ فعلم انهُ قد بنج وان تلك حيلة نصبت لهُ ثم زاد عليهِ الحال فوقع الى الارض ولم يعد يعي على نفسهِ . وكان هلال قد شاهدهُ من بعد فعاد اليهِ وهو يصفق من الفرح فوجدهُ على تلك الحالة فشد كتافهُ واوثق رجليهِ ثم ايقظهُ بضد البنج فانتبه ونظر ما بين يديهِ واذا بهِ يرى هلالاً العيار امامهُ فقال ماذا جرى عليَّ يا هلال قال قد وقعت في قبضة يدي واصطدت بفخ قد نصبتهُ لك وعما قليل ساقودك الى حضرة الشاه سرور ينتقم منك على تجسسك جيوش اليمن . قال ويلك اتغدر بنا ونحن في امان منك ولم نحذر من عملك لاننا مركنون لك واثقون بايمانك . قال لا تطمعون مني بخلوص لاني ما وافقت الملك ضاراب واجبتهُ الى خدمته الا لا تخلص من الهلاك ولا نصب لهُ او لاحد من اعزاء قومهِ شرك الهلاك فهكذا عمل العيارين والا فلا وها انني قد نجحت في عملي فقدت فرخزاد وخورشيد شاه الى وهدة الهلاك وعما قليل تراها اسيرين او قتيلين وقد خدمتني الصدف باكثر ما طلبت فقد قادتك اليَّ على غير انتظار لاني ان احرمتك الدخول بين قومك ومنعتك عنهم احرمتهم منافع عديدة لانك من اكبر المتجسسين المحتالين وقد رماك الله بيد من هو اقدر منك حيلاً وحيلة . فسكت شبرنك ولم يبدِ خطابًا ولا جوابًا وصبر على حكم القضاء واما هلال فقد تركهُ على حالهِ ملقى الى الارض وصعد الى الرابية التي كان عليها قبلاً فشاهد الحرب لا تزال قائمة بين قومهِ و بين فرخزاد وخورشيد شاه فتعجب من ثباتهما امام هكذا عسكر جرار وراهما يصيحان صيحات الاسود ويهجمان على اليمنيين

فيفرقانهم ذات اليمين وذات الشمال ويخوضان بحر ذلك الجيش بثبات وعزيمة تكاد تاخذ بالعقول فخفق قلب هلال عندما شاهد منهما ذلك وقال في نفسهِ هوذا النهار قد قرب والشمس سوف تشرق على القوم واخاف ان تاتي عساكر الفرس لمساعدة فارسيها فتذهب ماموريتي سدى واكون قد تعبت دون نتيجة ولم اتمكن من خدمة سيدي الشاه سرور خدمة ترضيهِ ليكون ذلك كفارة تشفع لي عنده على اقامتي عند عدوهِ . ثم ان هلال انطلق الى بين العساكر وصاح ويلكم يا رجال اليمن انكم ان قاتلتم هذين الفارسين اياماً وشهوراً لا تنالون منهما مراداً . فصوبوا سهامكم الى جواديهما فمتى وقعا الى الارض مسكتوهما مسك اليد وقدتوهما قود البعير . فلما سمع الفرسان كلامهُ تنبهوا اليهِ فمالوا الى جواديهما فقتلوهما وللحال وقع فرخوزاد ورفيقهُ الى الارض فامتشقا سيفيهما وجعلا يقاتلان وهما على الارض حتى كلا وملا وضعفت عزائمهما لانهما اثنان وامامهما مائة الف فارس ولم يكن الا القليل حتى سقطت السيوف من ايديهما ووقعا الى الارض وقد سلما بانفسهما بعد ان قتلا مقتلة عظيمة واهلكا قسماً كبيراً من الاعداء فرمت الفرسان انفسها فوقهما واوثقوهما بالحبال وقادوهما اسارى اذلا لانهُ قد اضعفهما التعب وفعل فيهما الملل كل الفعل كونهما لم يناما كل الليل فاستلم هلال العيار امر قيادتهما وهو يقول لهما ويلكما اظننتما اني دعوتكما الى وليمة فسابقتما اليها فيروزشاه ولم تتركاني ان اتي بهِ لاني نصبت هذا الفخ لهُ فوقعتما بهِ انتما ولا بد لي من ان اسعى خلف فيروزشاه فاقوده اسيراً ذليلاً لينتقم منهُ سيدي الشاه سرور فقال لهُ فرخوزاد قبحك الله من خائن غادر أتظن ان فيروزشاه قريب التصديق مثلنا لاسيما وعنده بهروز العيار ولو تركناك تصل اليهِ لما كان وقع علينا ما وقع وما ذلك الا من افعال العناية ولا بد من انك تقع مرة ثانية بايدي الملك ضاراب فينتقم منك جزاء على خيانتك وغدرك هذا . قال اني لا اقع بيده ولو نصب لي الف شرك وسوف ان شاء الله ترون فرسان العجم واحداً بعد واحد اسراء مثلكم واما بهروز فلا بد لي من مسكهِ كما مسكت شبرنك عياركم وها هو ملقى الى وجه الصعيد ثم شدها الى شبرنك وكر راجعاً ومن خلفهِ الفرسان تتدفق كالسيل العرمرم وهو من افرح خلق الله بنجاح مسعاه وعدم ضياع تعبهِ

قال الراوي ولا زالوا سائرين الى ان وصلوا الى الشاه سرور فدخل عليهِ هلال العيار وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ بشراك ياسيدي بنجاح مسعانا فاننا اسرنا فرخوزاد وخورشيد شاه وشبرنك العيار . فلما سمع الشاه سرور ذلك تكدر وقال لهُ ويلك ياهلال قد وعدتني باسر فيروزشاه فاين هو وما بالك قد اتيتني بغيره . قال لهُ ياسيدي لم تساعدني الظروف على ايصال الخبر اليهِ ثم حكى لهُ كل ما كان من امره الى ان عاد اليهِ . فقال طيفور لا باس فان الاثنان من امراء العجم فاحدهما ابن فيلزور البهلوان فارس بلاد فارس وثانيهما من امراء العائلة الملكية فهو ابن

عمة الملك ضاراب وسيد في قومهِ . فلما سمع خطير ان ابن فيلزور البهلوان اسير في ايديهم نهض واقفًا وقال قد ساق اليَّ الله سبحانهُ وتعالى اخذ الثار من اقرب طريق فان فيلزور البهلوان قد قتل اخي وها ابنهُ الان في ايدينا فنقتلهُ وناخذ بثار اخي خاطر منهُ ونحرق قلب ابيهِ عليهِ كما احرق ابوهُ قلبي على اخي . فقال لهُ طيفور لقد اصبت في ذلك وانا في نيتي ان يقتل الاثنان فنرتاح من شرها وماذا يقدر يعمل معنا الملك ضاراب ونحن في هذه الليلة نقلع عن هذا الديار وفي صباح الغد لا يعود يرى لنا اثر في كل هذه النواحي فوافقهما على ذلك الشاه سرور وقر الراى على قتل الاثنين معًا . فلما سمع الشاه سليم بذلك وتحقق انهم اعتمدوا على قتل فرخو زاد كاد يطير الشرار من عينيهِ وخفق قلبهُ وانفطر فوادهُ من خباثة طيفور وغدره ولم يعد يسعهُ السكوت فقال للشاه سرور ان قتل فرخوزاد وخورشيد شاه ياسيدي من اكبر الخطاء ولا اريد ان توافق عليهِ فتندم فيما بعد ولا يجب ان تنسى ان لك ولدان في اسر الملك ضاراب احدهما في جيشهِ والاخر في بلاد فارس فاذا عرف بانك قد قتلت اسيريك يامر بالحال بقتل ابنيك فيعدمك اياهما وماذا ياترى يفيدك قتلهما اذا قتل ابناك على ان الملك ضاراب لم يعاملهما معاملة صارمة بل يكرمهما ويراعيهما وفي اسره ايضًا الامير قتيل فينزل بهِ البلاء والتنكيل وفضلاً عن ذلك فانكم راحلون الى مصر الى الوليد حاكمها واعتمدتم ان تتركوا تعزاء اليمن تحت سلطتي ولا بد بعد رحيلكم من ان يدخل الملك ضاراب المدينة فاذا قتلتم فرخو زاد ورفيقهُ لا يبقى على احدٍ فيها ولذلك لا اقبل انا ان ابقى عرضة للمصائب ولغضب فيروزشاه افة الحرب ورحاها ولا اعرض بنفسي لانتقام فيلزور وغيره من فرسان ايران . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام راهُ عين الصواب وقال صدقت فيما قلتهُ فقد غاب عن ذهني امر ولدي واني اشكر الله سبحانهُ وتعالى حيث لم اقتل هذين الاسيرين والاَّ لو قتلتهما وعرف الملك ضاراب بقتلهما يقتل ولديَّ في الحال . ثم امر الشاه سرور ان يسلم فرخو زاد ورفيقهُ الى جماعة من الامراء واوصاهم بالتحفظ والانتباه عليهما وقال لهم في المساء سيروا بهما امامنا الى مصر وانتظرونا في الطائف عند المنذر بن النعمان حيث يكون الملتقى وامر ان يسلم شبرنك الى هلال فاخذهُ وشده الى الطنب واقام على عذابهِ واتفقوا جميعًا على السفر في ليل ذلك النهار وقد وطد خطير عزمهُ على كبس جيش فيروزشاه تحت الظلام علهم يقعون بهِ فياخذونهُ اسيرًا في طريقهم ويقدمونهُ للوليد لانهُ يسر باسره كونهُ يزاحم ولدهُ في عين الحياة

فلنترك اهالي اليمن وعساكر مصر الى ان يقدم الليل ونتوجه الى جهة الايرانيين فانهم نهضوا في الصباح على نية القتال ونظروا الى جهة الاعداء فوجدوهم لم يخرجوا من خيامهم فتعجبوا من ذلك ولا سيما الملك ضاراب فانهُ تحير وجلس في ديوانهِ وجمع اليهِ اعوانهُ ووزراءهُ ورجال مجلسهِ فاجتمعوا اليهِ وجلس كل في مكانهِ فنظر الى كرسي خورشيد شاه وفرخوزاد فوجدهما فارغين

فسال عن سبب غيابهما فلم يجبهُ احدٌ فبعث من يسال لهُ عن الخبر في خيامها و بين عسكرها فلم يعلم احد عنهما خبرًا فقال لهُ فيروزشاه انهما صرفا السهرة عندي وانصرفا عني في اخر السهرة ولم اعد اعلم عنهما خبرًا فبعث واحضر حراس فيروزشاه وخدم صيوانهِ وسالهم عنهما فقال لهُ الخدم انهما خرجا من الصيوان و بعدا بضع اذرع واذا بهلال العيار قد جاء وفي نيتهِ الدخول على سيدنا فيروزشاه فمنعاهُ واستفسرا منهُ عن السبب فقال لهما ان الشاه سرور قد بعث بنتهُ عين الحياة الى مصر وقد شاهدتها فوق الهودج وخلفها نحو عشرة امراء من امراء اليمن فتتبعت آثارهم الى ان خرجوا من المدينة واتيت مسرعًا لاخبر فيروزشاه علهُ يتاثرهم ويستخلصها وقصد الدخول ثانيةً فمنعاهُ وسارا وهو بين ايديهما واظن انهما سارا معهُ الى المكان الذي اشار اليهِ . وقال لهُ الحراس ايضًا اننا نظرناهما وقد خرجا من الجيش الى الجهة اليمنى ولم نكن نعلم مكان مسيرهما وكان بين يديهما هلال العيار. فلما سمع الملك ضاراب وسائر الموجودين هذا الكلام اطرقوا الى الارض وقالوا ان تلك حيلة قد تمت من هلال العيار وقد صفق فيلزور من الغيظ وبكى خوفًا من ان يتم على ولده امر يكرههُ وكان اعظم الجميع غيظًا فيروزشاه لانهُ تكدر مزيد الكدر كيف ان هلال العيار لم يصل اليهِ وكيف تمكن من اخيه وقاده بالحيلة مع ان الحيلة كانت منصوبة لهُ ولو تركاه يصل اليهِ وسار معهما لما تمكن احد منهم . ثم رفع الملك راسهُ وسال عن شبرنك العيار فقيل لهُ انهُ من الامس لم يظهر لهُ خبر فقال الملك لا بد من انهُ يكون قد وقع في قبضة الاعداء بدسائس هلال الخبيث واذ ذاك لاحت منهُ التفاتة الى جهة ولده فيروزشاه فوجد بالقرب منهُ بهروز العيار ابن الغول وهو يحدق من واحد الى الاخر وشرار النار يتطاير من عينيهِ وقد كاد يختنق من الحنق فلحظ منهُ ذلك وقال لهُ لما هذا التقاعد يا بهروز وقد نظرت ما جرى علينا من جرى اعمال هلال العيار وكيف غدر بنا وخاننا . فقال لهُ يا سيدي قد نبهتك الى ذلك لاني كنت اعرف خباثتهُ وانهُ سيخوننا وقد سالتني ان اكفلهُ فلم اقبل وقد اخبرتك بوقتهِ امام فرسانك واعيانك . قال لهُ ان كنت تعلم غدره وخباثتهُ كيف لم تنتبه اليهِ ونقف في طريق دسائسهِ وتمنعهُ عن ان يغدر بنا . فقال لهُ بهروز اني كنت موكدًا ان هلالاً لا يقصد الايقاع باحد من كل جيوشنا وامرائنا الا بسيدي فيروز شاه ولذلك كنت ملازمهُ ليلاً ونهارًا اسهر عليهِ ولا ادع احدًا يخدمهُ غيري ولا اترك هلالاً يقرب منهُ قط او يدنو من صيوانهِ ولو وصل هلال الى سيدي فيروزشاه واخبره بما اخبر بهِ فرخوزاد وخورشيد شاه لعرفت منهُ الحيلة وعملت على كيحهِ وانما الان اقسم لك بالاله العظيم اني لا بد من ان امسك هلالاً واقوده لبين يديك تجازيهِ على فعلهِ واني ساقصد جيش الاعداء واتجسس حال فرخوزاد ورفيقهِ فان كانا ماسورين فلا اعود اليكم الا بهما ولو اقمت بين الاعداء اشهرًا واعوامًا وان كان وقع عليهما امر مكدر فاني آكرر قسمي بسيدي فيروز شاه اني لا

اعود الا ومعي الشاه سرور وطيفور تفعل بهما ما تريده
وفي الحال خرج بهروز من حضرة الملك ضاراب بعد ان ودعهُ وودع فيروزشاه واخذ معهُ سياغوش النقاش واقاما ينتظران الليل وسواده الى ان جاء وهو مقتم مظلم اسود الوجه والقلب فسارا الى ان توسطا الطريق بين الجيشين فحفرا في الارض حفرة برأي بهروز وتدبيره ثم امر شياغوس ان يقيم في الحفرة وعلمهُ كلاماً يقولهُ كلما راى شخصاً مارًا من تلك الجهة وقال لهُ ان هلال العيار لا بد لهُ من ان يطرق جيشنا في هذا الليل فاذا شعرت بهِ مارًا وقرب منك فقل لهُ ما هو كذا وكذا وافعل ما هو كذا وكذا وانا كامن بالقرب منك فاني لا اترك هذا الليل يمضي ولا اريد ان يطلع الصباح قبل ان اقبض على هلال العيار واكيده فاجابهُ شياغوس الى سوالهِ واقام في الحفرة وبعد بهروز عن الطريق . وبالقضاء المقدور صادف مرور هلال من تلك الطريق بعد ذلك بقليل فلما قرب من الحفرة سمع صوت انين عميق صادر من فواد موجوع الى جانب الطريق فتعجب من ذلك وكان سواد الليل يستره ولم يعهد ان احدًا رابط لهُ في تلك الجهة فتقدم من تلك الحفرة وصغى باذنهِ واذا يرى الانين قد زاد وسمع لغة يمنية ورجلاً يقول . قد قرب الاجل يا ربي وكدت اهلك من الجوع ولي ثلاثة ايام في هذا المكان لا ترسل لي احدًا يسحبني الى قومي يا رب اني انذر لك النذور وافرق باموالي على الفقراء اذا بعثت لي احدًا ياخذني الى المدينة ربي ارسل لي هلال العيار او غيره فانت السميع المجيب . فلما سمع هلال كلامهُ تاكد عنده انهُ من اهالي اليمن فقال من انت يا هذا ومن الذي رماك في هذه الحفرة . فاجاب قل لي من انت فاني اراك يمنيًا . قال انا هلال العيار كنت مارًا من هنا فسمعتك تأن وتشكو فقصدت ان اطلع على امرك فاظهر شياغوس انهُ متألم من حالتهِ وزاد في توجعهِ وقال بالله عليك يا هلال ارفعني من هذه الحفرة واوصلني الى اول الجيش وارمني هناك فانا ساعد وكيل اشغال الشاه حارث ابن الشاه سرور وكنت مع الجيش اثناء الحرب من نحو يومين بالقرب من سيدي فاصبت بعدة جراحات ووقعت الى الارض ولما كان القتال لا يزال عاقد خفت من ان اداس بارجل الخيل فذبذبت الى هذه الطريق فوقعت في هذه الحفرة وقد خارت قواي وضعفت ولم اعد اقدر على النهوض لكثرة ما سال مني من الادمية ثم اغمي عليَّ وغبت عن الدنيا ثم وعيت الى نفسي ولم اصادف احدًا ولا اقدر على المشي فبقيت كما تراني افيق تارة واغيب اخرى ولا يعلم بي احد وها الدم يتدفق من جراحاتي واني هالك في هذه الليلة لا محالة فبالله عليك يا هلال خذني الى مكاني . فصدق هلال كلامهُ لانهُ كان عالم ان وكيل اشغال الشاه حارث قد قتل في تلك المعمعة وكان بهروز يعرف ذلك وقد شاهده ينازع فسالهُ عن نفسهِ فاخبره انهُ يمني وانهُ اصيب بجراح فتمم قتلهُ . فقال لهُ هلال اصبر عليَّ يا ساعد فاني ذاهب الى معسكر الاعداء وساعود بسرعة لان في نية عساكرنا ان تكبس في هذا

الليل عساكر فيروز شاه وقد بعثوني اترقب لهم الفرصة الى حين يناموا ومتى عدت اخذتك معي فقال بالله عليك يا هلال لا تتركني فانك ربما اذا رجعت تجدني قد مت وانت تعلم محبة سيدي لي فمتى علم بانك كنت السبب في نجاتي من الموت انعم عليك وزاد سروره منك . قال لا يمكني الان وساعود قريباً فاخذك بطريقي واخاف من العاقة لاسيا وان خورشيد شاه وفرخوزاد عندنا اسيرين وفي النية ان يرسلا الى مصر في هذه الليلة قبل ان يتسهل لهما الخلاص . فقال لا عاقة الان فان الاعداء لا يزالون متيقظين لان الليل من اوله فيمكنك ان ترفعني الى مكاني وتعود دون ان يعلم بك احد واقسم لك بالرب العظيم اني اعطيك اموالاً غزيرة واجيزك جائزة لم ترها كل عمرك وادع سيدي ايضاً ان يسر قلبك ويرضيك وانت تعرف عظم منزلتي عنده وحبه فضلا عن انك تكون قد فعلت معي عظيم رحمة لا انساها منك ما دمت حياً . وجعل شياغوس يتوقع عليه ويبكي ويعده بدفع الدراهم والدنانير الكثيرة حتى لعب الطمع في راسه وحدثته نفسه ان يوصله الى محله ويقبض منه ما وعده به حالاً واشرط عليه بذلك فاجابه اليه . فقال له اذن قم بنا لاوصلك قال لا اقدر على الوقوف فارفعني على ظهرك . فتقدم منه هلال واوقفه ثم دار بظهره واركبه عليه وقصد الرجوع الى جهة الجيش وكان شياغوس طويل القامة والرجلين فلف بيديه على رقبة هلال وفعل برجليه كذلك فوق رجليه حتى لم يعد يقدر هلال على المشي وكاد يختنق فصاح فيه وقال له ويلك يا ساعد ارفع نفسك وحل يديك لاسرع بك فاني اود العجلة والرجوع فان قومنا بانتظاري لانهم يرغبون في كبسة فيروز شاه هذه الليلة . فقال له واي ساعد هنا ومن الذي تعني وما هذا الاسم الذي تقوله فانا شياغوس النقاش وهذا الذي تراه الى جانبك بهروز العيار . فلما سمع هلال هذا الكلام خارت قواه وتقطعت عزائمه ولم يعد يقدر على المشي عند سماعه بذكر بهروز . ثم شد عليه شياغوس برجليه فالقاه الى الارض وكان بهروز قد حضر اليه وقد راى كل ما كان وما تقدم فاوثقا هلالاً وشداه بالحبال وقال بهروز لشياغوس سر انت بهلال الى المعسكر وانا سائر الى خلاص فرخوزاد وخورشيد شاه واني لا ارجع الا بهما واعلم فيروز شاه بما قاله هلال من ان في نية خطير والشاه سرور ان يكبساه في هذه الليلة ليكون على حذر فاجابه شياغوس الى طلبه ورفع هلالاً على كتفه وهو مغلول الايدي والارجل وسار به عائداً حتى انتهى الى حضرة الملك ضاراب فوضعه امامه وقال له خذ يا سيدي فهذا الخائن الناكث هلال العيار الذي غدر بنا وقاد رجالنا الى الذل والاستئثار فلما راه الملك سرّ باسره وسال شياغوس عن بهروز فحكى له كل ما كان منه وكيف اسرا هلالاً وسار بعد ذلك لخلاص فرخوزاد ورفيقه . وبعد ذلك امر الملك بان يوضع هلال الى جنب الشاه شجاع والامير قتيل عند طور الايراني بعد ان وبخه ولامه وتهدده واخبر شياغوس فيروز شاه ما سمعه من هلال من ان في نية الاعداء ان يكبسوا جيشه في تلك الليلة

وحذره من غدرهم

واما بهروز فانهُ دخل بين جيوش الاعداء وطاف بين خيام الاعيان وقد راى منهم الاستعداد والتهيؤ الى الكبسة وعلم انهم بانتظار هلال ليعود اليهم بالخبر ولا زال الى ان قرب من المكان الماسور فيهِ فرخوزاد فوجد شبرنك العيار مشدود الى الطنب ومربوط بالحبال فدنا منهُ شيئًا فشيئًا بحيث لا يراه احد واخرج سكينهُ فقطع الحبال واطلق لهُ يديهِ ورجلاه وسار بهِ بعيدًا وعرفهُ بنفسهِ وقال لهُ ماذا جرى عليك يا شبرنك فحكى لهُ بالاختصار كل ما كان من هلال وكيف غدر بهِ بعد ان غدر بفرخوزاد ورفيقهِ . ثم قال لهُ وقد عرفت الان ان في نيتهم هذه الليلة ان يرسلونا الى مصر لنبقى فيها الى ان يصلوا حيث في خاطرهم ان يرحلوا الى مصر وقد وكل بنا نحو ١٠ او ١٢ نفسًا من الامراء وهم بانتظار امر الشاه سرور ليسيروا بنا فالحمد لله الذي وصلت قبل ذلك قال لا باس فاني ازمعت ان البس ملابس الامراء واختلط بينهم واجعل نفسي حارسًا على فرخوزاد الى ان يتسهل لي خلاصهما واما انت فسر بالعجل واخبر فيروز شاه بكل سرعة بان في خاطر خطير ان يكبس جيش الزنوج في هذه الساعة وانهُ متاهب مستعد وهو منتظر رجوع هلال ولا بد اذا استعوقوه ان يرسلوا غيره فليتخذ روا لانفسهم . ثم ودعهُ وسار شبرنك وهو فرح بالخلاص مسرور بهِ ومن بعد ذهابهِ اختلط بهروز بين امراء الشاه سرور القائمين على حراسة فرخوزاد وخورشيد شاه كحارس معهم وكان كل واحد منهم من جهة من جهات المملكة قد انتخبهم سيدهم واوصاهم بالمحافظة على الاسيرين وحرصهم على ذلك فلما اقام بينهم بهروز لم يعرفوه فسالوه عن نفسهِ فاخبرهم انهُ مرسل للحراسة معهم على الاسيرين فصدقوه وظنوا انهُ مبعوث من قبل الشاه سرور مثلهم فامتزجوا معهُ بالمعاشرة والمكالمة وقد شاهدوا منهُ ما سرهم واعجبهم فاحبوه وانشرحوا من مرافقتهِ . وفي تلك الساعة وصلت اوامر الشاه تامرهم بالركوب والمسير امامهم على طريق مصر وان ينتظرون قدوم العساكر في الطائف وهي مدينة المنذر ملك النعمان الى ان تصل اليهم فيسيرون معًا وكان كل خوفهِ من ان عياري الاعجام تحتال على خلاص اسيريهِ فتنتشلهما من يده ولذلك قصدا بعادهما قبل حملهِ على عساكر الاعداء . وفي الحال نهضت الامراء فركبت خيولها وركب بهروز جوادًا سرقهُ من باب بعض الخيام وخرج الجميع من المدينة بعد ان رفعوا الاسيرين على جوادين وهما موثوقان مغلولان واستلموا طريق مصر وتبطنوا التلال والسهول وهم يقصدون الطائف

وبعد ذهابهما ارتاح فكر الشاه سرور ووزيره طيطبور فاصدروا الامر بان تتاهب العساكر للسفر وتتهيأ وتستعد للرحيل بعد ساعات قليلة تحت سواد الليل دون ان يعلم بها احد من الاعداء ففعلوا واخذت الاحمال ترفع على ظهور الجمال والبغال وتدخل المدينة لتخرج من باب

اخر مؤدٍ الى طريق مصر وكانت ايضًا عساكر مصر تحت امرة خطير تستعد للهجوم على جيش فيروزشاه بعد ان رفعت احمالها وسيرتها امامها مع عساكر اليمن وكان الشاه سرور قد اضاف الى المصريين جيشًا من اليمنيين واوصاهم ان ياخذوا كل ما يقع في ايديهم كونهم مسافرون قبل الصباح فامل الجميع النجاح ولم يكن من عائق يعيقهم الا رجوع هلال وقد شغل بالهم عليه ولعبت بهم الهواجس حتى قطعوا منهُ الرجاء وارتابوا من طول غيابهِ . فدعا الشاه سرور اليهِ خفيفًا العيار وقال لهُ سر الى جيش فيروزشاه واكشف لنا خبرهُ اهل لا يزالون سهارى وتفرقوا للمنام وانظر لنا خبر هلال العيار وما هو سبب غيابهِ فاجاب بالسمع والطاعة وانطلق في الحال حتى دخل بين خيام الزنوج فلم يجد احدًا ووجد ان الخيام مقفلة الابواب فتوهم ان الجميع نيامًا فكر راجعًا بسرعة كلية وهو فرحان ومسرور بذلك ولا زال حتى وصل الى بين يدي سيدهِ فعرض عليهِ ما راه وقال لهُ اعلم ياسيدي ان الجميع في الخيام ما منهم واحد في الخارج حتى ان الحرس في غفلة وقد دخلت بين الخيام وخرجت دون ان ارى احدًا من الزنوج الا بعض حرس نيام ففرح الجميع لهذا الخبر ولا سيما خطير وفي الحال نهض الى جوادهِ فركبهُ وفعلت مثلهُ سائر الفرسان وتقدموا الى جهة الزنوج وفي نيتهم ان يكبسوهم و يوقعوا بفيروزشاه فياخذوهُ اسيرًا او يقتلوهُ ولما قربوا من الخيام هجموا عليها هجمة واحدة من كل الجهات وجعلوا يدوسونها و يدخلونها فلا يروا داخلها احدًا ومثل ذلك فعل خطير فانهُ دخل الى مضرب فيروزشاه وسيفهُ مشهر بيده فلم يرَ فيهِ احدًا فطار عقلهُ وتاكد انهُ علم بدسيستهم فرجع حالاً الى الوراء وجعل يصيح برجالهِ ان ترجع عن الكبسة والا هلكت وما لبث ان سمع اصوات فيروزشاه تدوي كالرعد القاصف في خلال ذلك الليل ومن خلفهِ الزنوج تبربر بالسنتها وتهم كالاسود الكواسر

قال وكان السبب في ذلك ان شياغوس لما رجع بهلال العيار اتى بهِ الى جهة فيروزشاه بكل سرعة واخبرهُ بالذي سمعهُ من هلال العيار وانهُ كان آتٍ ليرى في اي وقت ينام الفرسان وتقفل الخيام ليعود الى مولاه ويخبره بذلك . فسرَّ فيروزشاه من هذا الخبر وفي الحال امر ان تركب عساكره وتترك كل شيء في محلهِ وتقفل الخيام بما يدل انها نيام داخلها وترجع معهُ الى الوراء ففعلوا وما استقروا الاَّ القليل حتى اتى شبرنك ايضًا فاخبر فيروزشاه بان الاعداء يتهيأُون ويتعددون وانهم منتظرون رجوع هلال فامر شبرنك ان يبقى عند الخيام فمن جاء من العيارين يجس الخبر لا يعارضهُ ولا يمانعهُ بل يدعه يدخل ويرجع من حيث اتي . فاقام شبرنك مع بعض من عياريهِ وفي تلك الساعة وصل خفيف العيار فنظروه وقد دخل الى بين الخيام فراقبوه وعلموا انهُ غش بالحال الحاضرة وظن ان الجميع قد ناموا لانهم راوه رجع بالحال وهو بمزيد فرح فاخبروا فيروزشاه فتاكد قرب مجيئهم ولم يكن الا القليل حتى سمع الصياح وشاهد الاعداء وقد

تخللوا الخيام وطافوا بها من كل جانب واذ ذاك صاح باعلى صوتهِ وامر العساكر بالهجوم فهجمت من خلفهِ وقد اطلق لجوادهِ العنان فخرج من تحتهِ كالسهم الطيار و بدقائق قليلة ادرك الاعداء فارسل حسامهُ الى صدورهم يخترقها وهوى بعمده على روءوسهم يسحقها وفعل مثلهُ ميمون وباقي الفرسان والابطال وقد تمكنوا من القوم واي تمكين فمالوا فيهم بضرب النصال من اليمين والشمال وسدوا عليهم طرق الخلاص حتى لم يعد لهم من مناص وصاروا كيفما داروا يرون عساكر الزنوج تضرب فيهم في وجوههم واقفيتهم فينقلبون عن خيولهم ولما راى خطير صعوبة هذا المركز وان جيشهُ هلك كر راجعًا عن الخيام وطلب الهرب بنفسهِ وهو لا يصدق بالنجاة وقد تبعهُ من تسهل لهُ سبيل الفرار وستره الليل عن اعين النظار وذهب الباقون ضحية شفار السيوف لان فيروزشاه علم ان هذه العساكر هي عساكر مصر ورجال عدوه الذي يزاحمهُ في عين الحياة وتصور وقوع اخيهِ فرخوزاد ونسيبهِ خورشيد شاه في قبضة الاعداء فشعلت بقلبهِ نيران الغضب ولذلك جود الضرب في الاعداء ليشفي غليلهُ منهم فكان يلقي الفرسان فوق بعضها اكوامًا كالتلال المتجمعة ويدوس بنعال فرسهِ روس الرجال والابطال ولا يسمع في تلك المعمعة غير صوتهِ فانهُ يعلو على كل صوت وكانت رجالهُ تشتد فيهِ وهي تراه حاضرًا في كل مكان لانهُ كان كالنجم يتخطف من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وهو يبدد الرجال وينزع منها ارواحها ويحرمها النظر الى هذه الدنيا . ولم يكن ساعة حتى وصلت ايضًا عساكر ايران تحت امرة فيلزور البهلوان لانهم سمعوا الصياح والصراخ فعلموا ان الاعداء قد كبسوا جيش فيروزشاه ولم يكونوا يعلمون بما دبره من كيدهم فامرهم الملك ضاراب بالركوب وان يسرعوا لانقاذ ولده فركب فيلزور في الحال وتقاطرت من خلفهِ الفرسان والابطال وقصد واسماعدة فيروزشاه الاَّ انهم لما وصلوا اليهِ وجدوه قد فرق الاعداء وبدد شملهم واهلكهم عن اخرهم وقد هدأَت الحال او كادت . ثم نزل عن فرسهِ ودخل الى صيوانهِ والدم قد غطى ثيابهُ فاغتسل ونزع ما عليهِ ولبس لباسًا اخر وجلس في الصيوان ثم دخل عليهِ فيلزور وبقية الفرسان وسالوه الخبر فاخبرهم بعمل بهروز وشياغوس وخلاص شبرنك وانهم اوصلوا اليهِ خبر الاعداء وقد عقدوا رأيًا على الايقاع بهِ وهو في غفلتهِ على فراشهِ فاخلى الخيام واقام بعيدًا عنها يكمن لهم الى ان تخللوا الخيام فضربهم برجالهِ ورماهم بنبال قوتهِ فتطايروا الى الموت سباقًا واكتست الارض من جثثهم ثوبًا نجيعًا وتبدل لونها بالاحمرار القاني . ثم بعد ذلك نهض وسار الى ابيهِ ودخل عليهِ فوجده على مقالي الجمر وكان الوقت اذ ذاك آخر الليل وقد قرب الصباح فدنا منهُ وقبل يديهِ فقبلهُ بين عينيهِ وسالهُ عما اوجب ذاك القتال في الليل الدامس فحكى لهُ ما كان شبرنك وشياغوس وقال لهُ في اخر كلامهِ اني صرفت الجهد الى ان لا يتصدع خاطركم الى ذاك لعلمي باني وحدي قادر على هلاك اهل اليمن ومصر باجمعهم والحمد لله بد خدمتني السعادة

وساعدتني يد العناية ففعلت بالاعداء افعالاً لم يروها طول زمانهم وايامهم فانهُ لم ينجُ منهم احد الا القليل وما ذلك الا ببركة رضاكم ويد عنايتكم فقبلهُ ابوهُ ثانياً وبكى من الفرح لانهُ كان يحبهُ حباً قوياً عظيماً ويفرح بشجاعتهِ وبسالتهِ

فهذا ما كان من هولاء واما الشاه سرور فانهُ اقام في صيوانهِ ينتظر رجوع الامير خطير من كبستهِ لفيروزشاه وما اقام الا القليل حتى عاد اليهِ ذليلاً مقهوراً وهو يركض ملتفتاً الى ورائهِ ومن خلفهِ العساكر متقطعة من عشرة وعشرين وهي على غير هدى لا تعي على نفسها ولا تصدق ان تصل الى مراكزها فالتقاه الى خارج الصيوان وسالهُ عن السبب فقال لهُ ان الله لم يقسم لنا نصيباً بالنصر وعوض ان تكون الكبسة لنا صارت علينا وها ان العساكر التي نجت وصلت اليك والباقي لا ريب انهُ هالك او هلك فانهض في هذه الساعة وسر نتتبع السائرين امامنا فاني لا اقبل ان ابقى دقيقة ثانية في هذا المكان فنهض الشاه سرور وطيفور وقد كادا ينشقا من الغيظ والحنق مما لحق بالعساكر وما وقع على خطير من الفشلة والانكسار وركب كل منهما جواداً وركبت بقية الفرسان والامراء ومن كان لا يزال في ذلك المكان ودخلوا المدينة وسلموها الى الشاه سليم واوصوهُ بكل الحفظ وودعوهُ وخرجوا من الباب الاخر وهم بحزن لا يوصف على فراق وطنهم وبلادهم وتركهم لها وبعدهم عنها ما عدا طيفور فانهُ كان وحده مسروراً بهذه الرحلة حيث كان يعد نفسهُ بانهُ ينال الخيرات من الوليد ملك مصر بحيث دبر لهُ على الاتيان بعين الحياة اليهِ لتزف على ابنهِ واكبر فرحهِ كان عند تصورهِ بانهُ قد افلت من يد فيروزشاه حبيبتهُ وابعدها عنهُ وقهرهُ وانزل بهِ الاحزان والاكدار ولم يعد لهُ من سبيل الى الوصول اليها فيما بعد واذا وصل فلا بد من هلاكهِ وموتهِ وكان يشتهي من كل نفسهِ ان تسول لفيروزشاه نفسهُ ويتبعهم الى تلك الديار ليدبر في هلاكهِ وهكذا انتهت مدة قيامهم في تعزاء اليمن ولم يعد من سبيل الى رجوعهم اليها فيما بعد وخرجوا من المدينة وتبطنوا القفار وسلكوا طريق مصر يقصدون المرور على الطائف لينزلوا على المنذر ابن النعمان سيدها الذي كان بجيشهِ معهم في هذه الحرب وكانت مدينة الطائف منتهى حكم الشاه سرور وياخذوا فرخزاد وخورشيد شاه من هناك ويسيروا بهما الى مصر وسنعود الى اتمام حديثهم فيما ياتي

واما الشاه سليم فانهُ اقام في المدينة الى ان تبين وجه الصباح واشرقت الشمس على تلك الارض والبلاد واذ ذاك دخل دار الاحكام وبعث فدعا اعيان المدينة والامراء المتخلفين فيها وقال لهم اني ما دعوتكم الا لاعرض عليكم امراً خطيراً نحن في حاجة اليهِ الان فقالوا لهُ مرنا بما شئت فاننا مطيعون لك سامعون لقولك وما نعهده فيك من الحكمة وحسن الادارة وسلامة الطوية تجعلنا امناء بانك لا ترغب الا في ما فيهِ مصلحتنا ونفعنا . قال انكم باجمعكم تعلمون عظم سلطان الملك

ضاراب واتساع شوكتهِ وكثرة جيوشهِ وفرسانهِ ولهذا قد رايت من الموافق ان نذهب باجمعنا الى حضرتهِ ونعرض عليهِ طاعتنا ونخبره بسفر الشاه سرور الى مصر بجيشهِ وابنتهِ وبهذا نشتري مرضاة الملك ضاراب خوفًا من ان يظن باننا لا نزال مصرين على العناد فيوقع بنا وينهب المدينة قصاصًا للشاه سرور واني اكفل لكم قبولنا عنده والعفو عنا منهُ وبطاعتنا لهُ نحفظ اموالنا وارواحنا وليس فينا من يقدر على مقاومتهِ وعناده فاستحسن الجميع رايهُ وقالوا لهُ افعل ما انت فاعل فاننا نرى بعملك هذا الصواب وليس فينا من يكرههُ . ونهض الشاه سليم واخذ معهُ جماعة من الاعيان وسار بهم يقصد الملك ضاراب

وكان الملك ضاراب اذ ذاك في حيرة عظيمة لانهُ لما اشرقت الشمس نظر الى جهة جيش الاعداء فلم يرَ احدًا منهم وكان لا يزال عنده وزراؤه وابنهُ فقال لهم ان حالة الشاه سرور تستحق الشفقة والرحمة لانهُ ناقص العقل ضعيف الراي متقلب الافكار فلا اظن الا انهُ دخل المدينة وفي نيتهِ ان يدبر لهُ امرًا جديدًا يستعين بهِ على عنادنا على انهُ لا خلاص لهُ منا الا بشيء واحد لا بد منهُ على كل حال وهو زواج بنتهِ بابني وبهذا تنتهي بيننا الحرب ويعود السلم ويرجع الى بلاده الامان وترتاح رعيتهُ . فقال طيطلوس اني اخاف من ان يسافر الشاه سرور ببنتهِ الى مصر ليزفها على الشاه صالح ابن الوليد ويلزمنا ان نتبعهُ الى هناك هذا اذا لم يكن قد رحل في هذه الساعات القليلة . قال الملك اني احب ان اعرف ذلك فينبغي ان نرسل من يكشف لنا الاخبار ويأتينا بالعلم اليقين . وما اتم كلامهُ حتى دخل عليهِ شبرنك وقال لهُ ياسيدي ان الشاه سليم صاحب المدينة السلمية ومعهُ جماعة من اعيان المدينة آتون اليكم . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام خفق قلبهُ ونبهتهُ دواعي الحقيقة وحكى لهُ ضميره بكل ما وقع على عين الحياة واصبح بانتظار الشاه سليم لتجلى لهُ الحقيقة ويظهر ما كان من امر الشاه سرور ولم يمضِ الا دقائق قليلة حتى وصل الشاه سليم ودخل الصيوان فلاقاه الملك ضاراب بالترحاب والاكرام واجلسهُ الى جانبهِ وابدى لهُ من الملاطفة فوق ما كان يظن وفعل ذلك مع جميع الذين كانوا معهُ . وبعد ان جلس الشاه المذكور بدقائق قليلة بدأ بالكلام فقال للملك ضاراب اعلم ياسيدي اننا نحن قد جئناك طائعين صاغرين ملتمسين منك العفو والسماح عن المدينة ومن فيها وقد حملتنا كرامة اخلاقك على الاتيان اليك والرجاء منك بالعفو والسماح ولا خفاك ان الشاه سرور قد ترك المدينة وسار عنها قاصدًا بلاد مصر وقد اعهد اليَّ بولاية المدينة ولذلك قد اتيت اليك اعرض عليك قبولي ودخولي واني اذا قبلت ان اكون على البلاد اكون مقامًا من قبلك لا من قبل غيرك لانك انت الان سيد البلاد وحاكمها كونها فتحت بسيفك وسيف ولدك سيد فرسان هذا الزمان . فلما سمع الملك ضاراب هذ الكلام سرى الدم باردًا في عروقهِ واسودت الدنيا في عينيهِ وانعقد لسانهُ في الاول عن الكلام فنظر الى

الارض باهتاً . واما فيروزشاه فقد ضاع عقلهُ وغاب وعيهُ وغلب عليهِ الحب فصاح وهو على غير هدىً وهل سار ببنتهِ عين الحياة معهُ فاني سادركهُ في طريقهِ واستخلصها منهُ وانزع منهُ روحهُ ان شاء الله. فقال كلا ياسيدي فانهُ بعث ببنتهِ من قبل ولا ريب انها قد بعدت كثيراً عن هذه الديار ومعها اخواها الشاه حارث والشاه اسد وهما يسرعان المسير فكثر غضب فيروزشاه وزاد خفقان قلبهِ ونمى الغيظ بهِ على حين كان شدة الشوق والم الفراق يصدعان قلبهُ ولبهُ . ثم اجاب الملك ضاراب الشاه سليم بهدء وسكينة وقد نظر الى عواقب الامور بعين الباصر الخبير وخاف على ولده من ان تتكدر شعائره وتنفطر مرارتهُ وقال لهُ اعلم انهُ لا بد لنا من المسير خلف الشاه سرور ولو اختبأ فوق القبة الزرقاء او نزل تحت الارض الى ما تحت الماء ولا ارجع عنهُ بعناية الله الا بارغامهِ على زواج بنتهِ بابني وما سار الى مصر الا ليجلب الانتقام والويل الى تلك البلاد والى حاكمها الوليد الذي كان في غنى عن كل ذلك فان ابنهُ لا يصلح ان يكون زوجاً لعين الحياة ولا نقبل بهِ وقد اخبرت انهُ ناقص العقل اعمش العينين جبان مهان فقبح الله الشاه سرور ما اجهلهُ فهو مجنون ناقص الفكرة خرب بلاده ووطنهُ وقاد بنفسهِ الى العذاب والغربة وجر من خلفهِ الى وهدة الهلاك الوفاً من الامراء والفرسان والقى بهم الى الاخطار انقياداً لطلب طيفور ذاك الحية السامة ايظن انهُ يتوفق لبنتهِ زوجاً كاملاً باوصافهِ كفيروزشاه على اننا سننظر في ذلك متى دخلنا المدينة واما انت فاني اعرف حسن مزياك وما انت عليهِ من الحكمة والتعقل ولا سيا وقد وصل الينا كثير من جميلك ومعروفك فانك في اول الامر قد عاملت فرخوزاد معاملة العقلاء وقدرتهُ حق قدره ورفعت منزلتهُ لما شاهدت فيهِ البسالة النادرة في امثالهِ ولم يتولد فيك البغض لهُ والحسد منهُ بل اوصلتهُ انعامك واحسانك وفوق ذلك فاني عرفت خلوصك بما ابديتهُ للشاه سرور عندما كان في نيتهِ ان يسلم فيروزشاه وفرخوزاد الى هورنك وقد ابديتهُ النصح بان يطلقهما و يعهد اليهما كف عدوهِ فامتنع بطلب طيفور وكان ذلك منك عن حكمة ودراية وميل الى خلاصهما و ياحبذا لو قبل او انتفع بمشورتك لكان الان في راحة وطانينة واكثر من جميعهِ فاني اذكر لك فضلاً وجميلاً دفاعك عن فرخوزاد وخورشيد شاه في هذه المرة عندما كان الشاه سرور قد نوى قتلهما وقد اخبرني شبرنك الذي كان حينئذٍ معهما ما قلتهُ رغبة في منع قتلهما وعليهِ فاني بالاتفاق مع سائر ملكتي واعيانها وفرسانها نشعر باحسانك ومن ينكر الاحسان ليس بانسان فاحكم الان انت على نعزاء اليمن واملك فيها فمثلك من يصلح ان يكون ملكها الان بقلبك من الرحمة وحب العدل ما يكفل لعموم الرعية السعادة وحسن الاقبال وليكن حكمك مطلقاً وليس لاحد تسلط عليك واني ساعدك وعونك وغوثك عند الحاجة واثبت قولي الان بالقسم اني سامنع الشاه سرور اذا رغب في الرجوع الى بلاده من الحكم والسيادة وساكون لهُ من الان وصاعداً اكبر عدوٍ وسانتقم منهُ اذا

وقع في يدي ولا ابقي عليهِ مطلقًا وساخذ بنتهُ بالرغم عن انفهِ وازفها على ابني بعد موتهِ وقد يعلم الله اني لو كنت اعلم ان ابني يوافق على الانتقام منهُ لما قصرت عن مسكهِ و فيروزشاه نفسهُ اقدر من الجميع على ذلك انما كل رغبتهِ في عدم خرق حرمتهِ مراضاة لعين الحياة لعلمهِ ان ذلك لا يرضيها اما الان وقد زاد الى حد انهُ رضي بفوات ملكهِ و بعد الى ابعد الاقطار ملتجئًا الى من ليس في وسعهِ ان يحميهُ مني فلا بد من تاثره وكيده

وكان فيروزشاه يسمع هذا الكلام وهو لا يكاد يميز بين معانيهِ و تركيبهِ لانهُ كان غائب العقل والهدى وجلّ ما ادركهُ من قول ابيهِ انهُ سيتاثر الشاه سرور ويأتي بعين الحياة ولذلك علق نفسهُ بقليل امل بعيد النوال ولم يسعهُ الوقت ولا مكنتهُ حالتهُ الحاضرة من الكلام فرمى بنفسهِ الى كرسيهِ وقد اسند براسهِ عليها وهو غير ملتفت الى انتباه الجمع اليهِ وكدرهم من حالتهِ وقد يفعل العشق باربابهِ اكثر مما فعلهُ بفيروزشاه على انهُ وان كان متمكنًا منهُ غاية التمكين الى درجة جنونية الاَّ ان قواه العقلية وجلده على احتمال المكاره وصبره عند وقوع المصائب عليهِ جعلتهُ يقاوم صدمات الحب بثبات عجيب ومع كل ذلك لم تخلُ حالتهُ من المظاهر الارتباكية العشقية الفعالة فكان الجميع ينظرون اليهِ بقلوب الشفقة والرحمة ولا سيما ابوه . ثم تقدم فيلزور وسال الشاه سليم عن ولده فرخوزاد فاخبره بالتدقيق عما كان من امره وامر خورشيد شاه وقال لهُ انهما بعثنا امام العسكر من اول الليل مع بعض امراء اليمن وقد اوصى الشاه سرور ان يقيموا بهما في الطائف الى ان يصل هو الى هناك وعندي ان الشاه سرور لا يقدر ان يمد اليهما يدًا الا اني نبهتهُ انهُ اذا فعل بهما شرا يخسر ولديهِ و بقية الاسرى الذين عندكم ولذلك امتنع عن قتلهما وامر بمراعاتهما واني اسال الله ان يسهل لهما الخلاص ويرجعهما اليكم لاني احب فرخوزاد وقد انزلتهُ منزلة الولد وياحبذا لو سمح لي الزمان ان ابقيتهُ عندي لكنت ملكت بسيفهِ قسمًا عظيماً من البلاد واخضعت تحت اقدامي كل عدو الد انما بعده عني اورثني حزنًا لا ينقضي الا بقربهِ وقد اجهدت النفس الى اقناع الشاه سرور طمعًا براحة فرخوزاد وفيروزشاه فلم اتوفق الى الغاية لان طيغور صارف الجهد الى هلاكهما غير ان العناية لا تساعده على ذلك

وبعد ان اقام الشاه سليم مدة في صيوان الملك ضاراب يشرح لهُ عن احوال الشاه سرور وطيغور ويذمهما لرداءة عملهما نهض الملك ضاراب بفرسانهِ وابطالهِ وامر ان يركب الجيش برمتهِ ويدخل المدينة وياخذ لهُ مراكز موافقة يقيم فيها لاجل راحتهِ لبينما يامرهم بالمسير الى مصر وسار هو في المقدمة والى جانبهِ فيروزشاه وهو حزين كئيب لا يقر لهُ قرار ولا يهدأ لهُ بال واكثر حزنهِ كيف انهُ يدخل المدينة وعين الحياة بعيدة عنها قد فارقتها بالرغم واجبرت على مبارحتها وكان يخطر في خاطره ان لا يدخل المدينة لو لم يحركهُ شوقهُ الى الدخول الى قصرها علهُ يجد من

تلك الاثار اللطيفة ما يبل بهِ شوقهُ أو يرى من يخبره بخبر رحيلها كيف كان وماذا فعلت وفوق كل ذلك كانت رغبتهُ في ان يقف و يذرف العبرات السخية و يندب فراقها منهُ و يصرف وقتهُ فيهِ . ولم يكن الا القليل حتى ازدحمت الاقدام عند ابواب المدينة لان اهلها باجمعهم خرجوا لملاقاة الملك ضاراب وفيروزشاه وبقية قومهما وهم ينادون بالطاعة والانقياد و يدعون لهما بطول العمر والبقاء وكانت المدينة بابهج زينة وارهج احتفال وقد خرجت النساء من خباياها والاطفال من مهودها والشيوخ من زواياها وكلهم يسرحون ويمرحون وقلوبهم مملوءة بالفرح لنهاية هذه الحرب ورجوع الامن والراحة الى المدينة التي اصبحت في ضيقة عظيمة فلاقى الملك ضاراب جميع الاهالي بالبشاشة والتحيات وهو يخترق الاسواق سائرًا الى دار الحكومة ولا زال حتى انتهى اليها والقوم افواجًا من خلفهِ ومن امامهِ وكان فيروزشاه مع كل التجمع والازدحام وهو غائب الوعي محصور من التطويل يرغب في الافراج و يتمنى قدوم الليل لينفرد بنفسهِ يشاهد مكان حبيبتهِ الخالي منها ولما استقر الملك ضاراب داخل القصر امر ان يوتى بتاج بلاد اليمن فاتي بهِ فرفعهُ بين يديهِ ووضعهُ على راس الشاه سليم واجلسهُ في صدر الديوان وامر ان ينادى باسمهِ في سائر البلاد وان يكتب الى كل جهات المملكة بما كان من الشاه سرور وتركهِ للبلاد فارًا من وجه الملك ضاراب الى بلاد مصر غير ملتفت الى ما فيهِ مصلحتهُ وخيره وقد اختار خراب بلاده وهلاك رعيتهِ وتشتيت شملهِ و بعده عن مسقط راسهِ على ان يسلم بنتهُ زوجة لفيروزشاه وما ذلك الا بغضًا وعدوانًا ولهذا قد فتح الملك ضاراب البلاد بسيفهِ واستولى عليها عنوة ولما لم يكن لهُ من صالح في فتحها اعهد بها الى الشاه سليم صاحب المدينة السليمية والبسهُ التاج اليمني واقامهُ حاكمًا عوضًا عن الشاه سرور فمن اطاع وجاء صاغرًا استقر في مكانهِ وكان هو الحاكم والوالي ومن خالف كان خصمهُ الملك ضاراب وولده فيروزشاه الفارس الكرار والاسد المغوار الذي اشتهر صيتهُ في سائر الاقطار . و بعد ان بعث الملك ضاراب بهذه التحارير امر الشاه سليم ان تدفع مراكز المدينة الى عساكر الاعجام وان يقدم لهم ما يحتاجون اليهِ من الماكل والعلوفات . واختار لنفسهِ بحضور الملك ضاراب وزراء عاقلين حكماء وقوادًا باسلين اشداء واعهد اليهم بتدبير المملكة وقيادة الجيوش فاستحسن الملك ضاراب عملهُ وصرف ذلك النهار كلهُ في تدبير احوال الشاه سليم واستقراره على البلاد على امل ان يعود في الغد الى ضرب مجلس من قومهِ للتدبير في امر صالحهِ ولما كان المساء دعي الملك ضاراب وبقية الفرسان الى وليمة الشاه سليم الا فيروزشاه فانهُ اعتذر لنفسهِ بانهُ يرغب في الاعتزال واتخذ لهُ مركزًا قصر عين الحياة فانصرف وحده اليهِ فوجده مقفلاً فخلع بابهُ ودخلهُ وعبراتهُ تتساقط من اجفانهِ منهمرة كالغدران ولما اجتاز الباب وتوسط الدار تذكر تلك الليالي التي مرت فيها فبكى بكاء الثاكلات وانشد من حرق قلب وانفطار كبد

بكيت حتى بكي من رحمتي الطلل ... ومن بكائي بكت اعداي اذ رحلوا
يا منزل الحي ابن الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سيقت الابلُ
انعم صباحًا سقاك الله من طللٍ ... غيثًا وجاد عليك الوابل الهطلُ
سقيًا لعهدهم والدار جامعـــة ... والشمل ملتئمٌ والحبل متصلُ
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفهُ ... والدهر ذو دولٍ بالناس ينتقلُ
بانوا فبان الذي قد كنت آملهُ ... والبين اعظم ما يبلى بهِ الرجل
فالشمل مفترقٌ والقلب محترقٌ ... والدمع مندفق والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم ... صبٌ به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وصارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو اليَّ ودمع العين منهمل
ياحادي العيس عرّج بي اودّعهم ... ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقي لا انسى مودتهم ... واليت شعري بطول العهد ما فعلوا

ثم خنقتهُ العبرة وشاجت بهِ بلابل الاشواق ووقف نحوًا من ساعة وهو في ضياع عقل وازدياد وجد وشكوى لا يرى في تلك الدار الا شخص حبيبتهِ الوهمي مع علمهِ بغيابها ولا يحاولهُ غير البكاء والنوح فانهُ كان ينادي وما من سامع ويدعو عين الحياة وما من مجيب الى ان فاض الدمع بحورًا من عينيهِ فانشد ايضًا

ترى ينقضي حال التهاجر والقلا ... ويرجع ما قد انقضى لي اولا
ايام كنا والديار تلمنا ... في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا ... من بعد هاتيك المنازل والحلا
اتروم مني يا عذولي سلوة ... وارى فوادي لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي ... فالقلب من انس المحبة ما خلا
ياسادة تركوا الديار وسافروا ... لا تحسبوا قلبي لبعدكم سلا

ثم تقدم الى المقصورة التي كانت تجلس فيها عين الحياة فوجد اثاثها لا يزال على حالهِ وصفرة المدام التي كانت تجلس عليها الى جانب ومن حولها كرسيها فشاقهُ ما راه وزاد بوجده وغرامهِ وهيجتهُ الذكرى الى ايام كانت تعاطيهِ المدام وتنشده الاشعار فوقف بقدم الحزين والدموع لا تنقطع عن السيلان وقلبهُ لا يفتر عن الخفقان وعيناه تنظر الى شخص عين الحياة الوهمي وهي كانها تلومهُ عن بعد وتقول لهُ لو اسرعت اليَّ لما قدر ابي ان يبعدني عنك فجعل يصيح من فواد مجروح وقد

اعتراه ضرب من الجنون وكاد يختل عقلهُ ولم يرَ في القصر لا انيساً ولا جليساً الا رسوماً وآثاراً فكلما كان في المقاصير كان من اثر حبيبتهِ عين الحياة وذلك كان من اكبر الاسباب المهيجة لغرامهِ والموجبة لتدفق ادمعهِ ولا زال على حالهِ حتى شعر كان الاغماء يصارعهُ فالقى بنفسهِ على كرسي عين الحياة واسند راسهُ بيديهِ وهو يروم ان يصبر نفسهُ على فراق حبيبتهِ فلم يقدر وكان التعداد لهُ اكبر سلوى ومناشدة الاشعار اعظم صبر ولذلك انشد

يا منزلاً لعب الزمان باهلهِ ... فابادهم بتفرق لا يجمعُ
ان الذين عهدتهم فيما مضى ... كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من راك وطالما ... كنا اليك من المخاوف نضرع

وبقي على حالتهِ هذه الى ان مضى قسم طويل من الليل وهو بين بكاء وتعداد ثم تبع ذلك نوم ثقيل فغرق بحران الثبات لا يعي على حالتهِ وهو ملقى على الكرسي الى ان بدت غرة الصباح فانتبه من نومهِ ونظر الى حالتهِ وقد كدرتهُ جداً ولام نفسهُ على اعطائها مداها فجعل يسندها بالصبر ويقويها على احتمال صعوبة الفراق ثم خرج من القصر فوجد خادمهُ لا يزال ينتظره على الباب ومعهُ جوادهُ الكميت لانهُ كان قد اوقفهُ عندهُ منذ الليل فنسيهُ ولم يعد ينتبه اليهِ فاقام الخادم على حالتهِ والجواد معهُ وهو ساعة ينام وساعة يستيقظ الى ان وصل اليهِ فيروزشاه فركب جواده وهو حزين اًعلى تهاملهِ فيهِ كيف لم يلتفت اليهِ ويامر الخادم بان يقدم لهُ العلف وينزع عنهُ العدة ولا زال سائراً الى ان دخل دار الاحكام فوجد مجلس ابيهِ قد حف بكامل اعضائهِ فدخل بعد ان كان اوصى الخادم ان يعتني بالجواد وقبل يد ابيهِ وجلس في مكانهِ وكان النحول قد اخذ منهُ ماخذاً عظيماً وظهرت على وجههِ اثار الليل الماضي ودلائل البكاء والنواح التي لا تخفى على احد فعلم الملك ضاراب ان ابنهُ صرف ذلك الليل في لوعة واشتكاء ولذلك فكر ان لا يتركهُ وحده بل عزم ان يوكل فيهِ طيطلوس ان يرافقهُ ويقيم معهُ كل مدة اقامتهم في المدينة واخبر بذلك طيطلوس فاجابهُ اليهِ ليسليهُ ويبرد شوقهُ . ثم ان الملك قال اني ازمعت على السفر الى بلاد مصر لاقيم فيها حرباً عواناً واخربها على راس حاكمها واستخلص عين الحياة بقوة الله سبحانهُ وتعالى فما قولكم في ذلك . وكان مجلسهُ اذ ذاك مولفاً من كامل وزرائهِ وبطانتهِ فاجابهُ طيطلوس ان ذلك لا بد منهُ الا انهُ يلزمنا ان نبصر في مستقبل الحال ونرى ما امامنا من المصائب والاهوال . فقال فيروزشاه اني لا ارى لزوماً لمسير الجيش برمتهِ الى مصر فاني قد ازمعت ان اسير بجيشي الى بلاد مصر واني استعين بالله فاقضي الاشغال وحدي واعود اليكم ولا خفاكم اني كنت وحدي في بلاد الزنوج فساعدتني العناية حتى تسلطت عليها واهلكت ملكها وكنت اذ ذاك دخلتها وانا اسير مغلول واما الان فاني مطلق وسيفي في يميني وجيشي مطيع لي يوافقني على ركوب المخاطر والاهوال وكلهُ ابطال وفرسان . فقال

طيطلوس ان مصر ليست كبلاد الزنوج فهي صعبة المسالك كثيرة الرجال واني اعرف اننا لو سرنا بالجيش كله لنلاقي من الاخطار ما لا يخطر لنا الان ببال وعندي اننا نرسل الى طهران الى مصفر شاه ابن عم الملك ضاراب نستدعيه الينا بالعساكر والابطال ونرسل ايضاً الى طبرستان الى كرمان شاه حاكمها فياتينا بالخبر الذي عنده واننا في احتياج الى هذا المدد لانه قد نقص من عساكرنا اكثر من مائة الف فارس بسبب هذه الحرب ولا بد اننا اذا قصدنا مصر ينقص اكثر من هذا العدد ولا ريب في اننا نغلب اذ ليس في وسعنا ان نسد النقص هنالك . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام راه عين الصواب فقال لا ينبغي بنا ان نخاطر بانفسنا ونهلك رجالنا ولا ننال المقصود وقد يعلم الله ما نلاقي في هذه الخطوة ولا نعرف ما وراءها من الاهوال ولا ندري ان كان نعود الى بلادنا في الحال او تطول غيبتنا وتتشعب الى شعب وفروع . فوافق الجميع هذا الراي الا فيروز شاه فانه تكدر غاية الكدر وكادت مرارته ان تنشق وتنفطر من هذا التطويل الا انه لم يفه بكلمة ولا ابدى رأياً بل صبر على مضض وقد خاف في نفسه ان بسبب هذه المطاولة والتاخير يحصل على عين الحياة امر مكدر يذهب بحياتها لانه كان متيقن انها لا تسلم بنفسها الى الزواج بغيره انما كان يلوح له انها اذا اجبرت اليه تقتل نفسها وتفضل الموت على الحياة مع غيره وقد لحظ ابوه منه ذلك وكذلك طيطلوس قد قرأ ما في باطنه فاستدرك الامر تطميناً له وتطيباً بخاطره فقال انه لمن الواجب ان نسير في الحال خوفاً من ان تجبر عين الحياة على الزواج الا اني اعلم حق العلم واتاكد ان الشاه سرور وطيفور لا يرتضيان بقيام العرس على هذه الصورة ولا يقبلان بزواج عين الحياة ووراءها عدوٌ يتأثرها مثلنا ولذلك لا بد للشاه سرور ان يعتذر الى الوليد بانه لا يسمح بينته الا بعد خلاصه من عدوه وارتياح باله من جهته ليكون في امان فيما بعد ويرجع الى ملكه اميناً غير خائف عليه فاني لا ارى في التاخير من ضرر يذكر في مقابل النفع الذي ينتج عنه وفي الحال امر الملك ضاراب طيطلوس ان يكتب الكتابين الى مصفر شاه وكرمان شاه فاخذ وكتب

بسم الله اله العرب والعجم وسائر الامم

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس وابي فيروز شاه الى ابن عمه مصفر شاه عامل طهران وحاكمها . فبعد السلام عليكم وايصال التحيات اليكم ابدي انه لا تخفاكم الاسباب التي وقع الحرب لاجلها فيما بيننا وبين اهالي اليمن وحاكمها الشاه سرور الا اننا بعد ان توجهنا من ايران في طلب خلاص فيروز شاه والسعي خلفه وقضاء مصلحته سرنا وسار امامنا في المقدمة طيطلوس فلقي الشاه سرور وحاربه بعد ان حارب ابنه وقهره فتاخر طيطلوس وهلك ممن معه خلق كثير فالتزموا ان يلتجئوا الى الجبل ليتخلصوا من الهلاك فشدد عليهم الضيق الشاه سرور ولو لم ادركهم لهلكوا عن اخرهم ثم اشتدت بعد ذلك نار الحرب وزاد استعارها فيما بيننا وبين اليمنيين حتى احرزنا عليهم نصراً

مجيداً وكدنا ننهي الحرب ونقضي منهم وطرنا فهادنوننا الى عشرة ايام فاجبناهم وفي تلك الاثناء جاء طومار الزنجي بجيوش الزنوج وهو من جبابرة هذا الزمان وعمالقتها يركب الفيل ورجلاه تكاد تصل الى الارض فانضم الى الاعداء وجددوا الحرب معنا فاسروا الفرسان باجمعهم ومن جملتهم فيلزور واشتد ازر الشاه سرور وامل الفوز والظفر وعزم على قتل الاسرى وفي مقدمتهم كبيرهم فيلزور فوضع تحت سيف الجلاد واذا لم يكن الله يرغب في موته بعث بولدي فيروز شاه من غربته وهو لا يعلم بنا بل عاد من جزائر الزنوج بجيوش الملك هورلك بعد ان قتله وتملك على بلاده وقبل وصوله بعث بتحرير الى الشاه سرور يتهدده ويتوعده مع بهروز العيار فصادف وصوله وفيلزور تحت خطر الموت فوقع الرعب في قلوب اهل اليمن وخافوا سوء العاقبة لما يعلمونه من اقدام فيروز شاه وبسالته فاخروا قتل الاسرى وبعثوهم الى القلعة الجميلة وفي نيتهم انها تحميهم الا ان بهروز رجع فاخبر سيده بالواقع فاسرع الى خلاصهم فخلصهم وهدم القلعة الجميلة وعاد الينا براية النصر الفارسية وقد اقرن اليها الراية السودانية وبحال حلوله بيننا حل النصر وجاءنا الفرج فانه اهلك جيش طومار وبدده وقتل طومار على مرأى من الجميع بضربة سيف لا تبرح من ذهني حتى الموت وبعد ذلك حاصر الشاه سرور في المدينة فدخلها وقفل ابوابها فزحفنا عليه وكدنا نخرب المدينة وندك اسوارها دفعة واحدة فلما رأى منا ذلك بعث الينا بشروط الصلح ووعد بزواج بنته عين الحياة بفيروز شاه وضرب لذلك اربعين يوماً على زعم انه يهيئ امرها فكان منه انه استجار بالوليد ملك مصر ووعده انه يزوج بنته بابنه الشاه صالح اي خطيبها فمده بفئة من العساكر مع خاطر وخطير فقتل فيلزور الاول وتبدد الجيش المصري ولما راى الشاه سرور نفسه غير قادر على مقاومتنا فرّ هارباً الى مصر ببنته عين الحياة ووزيره الخبيث طيفور وكان عياره هلال قد احتال على فرخزاد وخورشيد شاه فاستاسرهما وسار بهما الى مصر الى بلاد الوليد وحتى الساعة لا نعرف خبراً عنهما . ولذلك عزمت ان ارحل بجيشي ورجالي واتبع هذا الخبيث فاقتله واقتل وزيره طيفور لانه هو الاصل لكل هذه البلايا واخلص اولادنا منه وازف بنته على فيروز شاه ولذلك اطلب اليك ان تعجل المجيء بالمسير بمائة الف فارس مع بطل بلادك وحاميها الاروع وليثها الصنديد بهزاد البهلوان ابن فيلزور لاننا في حاجة اليه واياك من التاخير والعاقة فاننا على جمر الغضا نطلب السرعة والعجلة كي لا يفوتنا هذا المخادع الخاتل او يفعل امرا به يزداد كدرنا ومصيبتنا ونحن الان في بلاد اليمن بانتظارك والسلام

وكتب كتاباً اخر مثله الى كرمان شاه يطلب اليه السرعة والاستعجال وبعد ان ختم التحريرين دعا شبرنك وشياغوس وقال لهما كل منكما ياخذ كتاباً يوصله الى صاحبه وليكن مسيركما مسيراً يسابق مسير الطير فقال شبرنك بما اني قليل الخبرة لا اعرف كل الطرقات فاني اسير الى طهران

الى مصفر شاه وشياغوس يسير الى طبرستان لانهُ خبير بالطرقات لكثرة تردده اليها والى غيرها من الممالك فاجابهُ شياغوس واخذ كلٌّ منهما تحريرًا وانطلق يجري بسرعة البرق وافترقا في الطريق فسار كل منهما الى جهة وسار شبرنك يقطع القفار ويوصل سير الليل بسير النهار وهو لا ياخذه هدو ولا يقر لهُ قرار حتى دخل الى طهران وكانت من المدن الشهيرة وهي من اعمال ايران وكان الملك ضاراب قد اقام عليها ابن عمهِ مصفر شاه وهو من الفرسان المشاهير ومن اصحاب الحكمة والدراية وكان شاب من عمر فيروزشاه ومثلهُ شكلاً وهيئة لا يقدر ان يميز الراءي بينهما فانهُ جميل الطلعة بهيجها احمر الوجه واسع الجبهة معتدل القامة واسع العينين صغير الانف وبالاختصار كل ما فيهِ جميل وكان محبوبًا جدًّا من الاعجام وخصوصًا من الملك ضاراب . وكان بهلوان تختهِ وحامي بلاده بهزاد ابن فيلزور وهو من الجبابرة العظام الذين ضربت بهم الامثال في تلك الايام وكان في سن العشرين الا ان الذي يراه لا يظن الا ان لهُ من العمر اكثر من ثلاثين وسياتي لهُ معنا في هذه القصة حديث كبير لعظم ما اوجد الله فيهِ من الشجاعة التي ندرت بمثلهِ بين عموم فرسان ايران وغيرها من فرسان ذاك الزمان . ولما وصل الكتاب الى مصفر شاه وجده مختومًا بختم الملك ضاراب فاخذه بلهفة وكان يحب ان يعرف ما كان من امره ففتحهُ ودفعهُ الى احد امرائهِ يقراه على رؤُوس الحاضرين فقراه ذاك الامير وكان بهزاد حاضرًا فما انتهى على سماع اخر التحرير الا صاح بصوت ارتج منهُ ديوان مصفر شاه وقال اكل ذلك يجرى على عساكر العجم ونحن هنا براحة واطمئنان ناكل ونمرح فوا اسفاه ياليتني كنت حاضرًا لاري طومار كيف تتفاوت الفرسان وكيف يجسر ان يمد يدًا الى ابي ويأسره ثم جعل يحرق الارام ويتلهف الى الطيران الى الملك ضاراب وقال ايوخذ اخي اسيرًا ويقاد الى بلاد مصر وانا حي فلا بد لي من السرعة للانتقام ثم انهُ سال مصفر شاه ان يسرع بالمسير فاجابهُ اليهِ لانهُ كان مثلهُ يحب العجلة اجابة لطلب الملك ضاراب وفي الحال امر القواد والفرسان ان تتهيأ الى المسير بعد ثلاثة ايام وان تجتمع العساكر في ظاهر المدينة وتخرج المؤن والذخائر التي يحتاجونها في سفرهم وفي الحال ارتبكت المدينة وانتشر الخبر في البلاد فما منهم الا من طلب السير والسفر وبعد نهاية الثلاثة ايام خرج مصفر شاه وقد نشرت على راسهِ رايتهُ المخصوصة بهِ ومن عن يمينهِ بهزاد ليث الطراد وهو راكب على جواد ادهم كالليل الحالك ومقلد بسيف مشطب ماضي الحدين وقد علق الى جنب جواده عمدًا من الحديد ثقيل العيار لا يحملهُ الا كل صنديد جبار واخذت العساكر في المسير طالبة تعزاء اليمن

فهذا ما كان من امر مصفر شاه واما كرمان شاه فانهُ وصل اليهِ شياغوس النقاش ودفع اليهِ الكتاب وكان اذ ذاك في مجلسهِ فتلى الكتاب في حضرتهِ وكان بهلوان بلاده بولتا بن فيلزور ايضًا وهو ابن ١٧ سنة اصغر من بهزاد وكان جبارًا صنديدًا فلما سمع ما كان من امر ابيهِ واخيهِ فرخوزاد

فعل كما فعل بهزاد وسال كرمان شاه ان يسرع الى اجابة امر الملك ضاراب فانفذ امره الى الجند بالخروج وان يتسابقوا الى المسير ولا يتاخروا قط عن ذلك ولم يمض الا ثلاثة ايام حتى نهضت عساكر كرمان شاه من المدينة وسارت تحت امرتها اياماً ولياليًا الى ان يصلوا .

ومن الواجب ان نرجع الى عين الحياة لانا تركناها محمولة الى بلاد الوليد مجبورة الى ذلك البعاد الذي كان عندها من ضروب الفواجع القتالة وكانت لا تسير دقيقة بدون نوح ولا تعداد تذم الزمان وفعله وتلعن الايام وغدرها حيث اطاعت اباها وخدمت طيفور وهي في هودجها منفردة عن الناس لا تنظر الى اخويها الا عند الاكل وكان اخواها يريان اثار البكاء والتقرح في عينيها فيلومانها عليه وهي تظهر انها في كدر على الوطن العزيز وبعدها عنه وكان يكدرها النظر اليها وهي على تلك الحال وقد اخذ النحول الذي كان قد فارقها منذ عودة فيروزشاه من بلاد الزنوج ان يعود اليها بالتدريج شيئاً فشيئاً ولا زالوا في مسيرهم الى ان دخلوا بلاد مصر واذ ذاك ارسل الشاه حارث رسولاً الى الوليد يعلمه بقدومهما ومعهما عين الحياة وكان قصده بذلك ان يخرج الوليد بنفسه الى ملاقاتهما وتشاهد اخته عظمته فتنزع عنها الحزن والكآبة وتميل الى الشاه صالح وتنسى فيروزشاه ولما وصل الخبر الى الوليد سرّ قلبه غاية السرور فدعا اليه وزيره بيدانديش وقال له ها ان عين الحياة قد وصلت الينا وصارت في يدنا وفي صباح الغد ندخل المدينة ونقيم في قصورها ومن الواجب ان يخرج الجميع الى ملتقاها اكرامًا لها وتعززاً لشانها ومقامها لتعلم عظم منزلتها عندهم وحبًا ايضاً بالشاه حارث والشاه اسد اخويها اللذين جاء بها من بلادها فاجابه بيدانديش الوزير الى ذلك وامر في الحال ان تخرج الفرق بالزينة والملابس الفاخرة وان ترفع الرايات المذهبة وتخرج الحرف وارباب الصنائع كل حرفة لوحدها وان تعزف في المقدمة الموسيقات العسكرية والموسيقات الوطنية وان لا يبقى نوع من انواع العظمة والملاهي الا ويخرج وامر ابنه ايضاً ان يتزين بملابسه وان يحتف به موكب من رجاله واوصى وزيره ان يكون مع ابنه ويعتني به ويلاحظ حركاته وخطواته وان لا يترك يبدي حركة تحطه عند عين الحياة وكان يعلم حالة ابنه وما هو عليه من البلادة وقباحة المنظر ولذلك كان يريد ان تجبر عين الحياة على قبوله ويعرف جيداً انها اذا خيرت لما قبلت به مطلقًا لان مملكته كانت تضحك عليه وقد لقبوه بالشاه صالح بظاظ الدين شلبي ابي مخطة وكان جل غايته ان يزوجه في حياته فياتيه غلام يعهد اليه بولاية العهد التي تفقد من بعده اذ ليس من وارث غيره لانه وحيد له وهذا هو السبب الوحيد الذي حمله ان يرضى بالمفاداة برجاله وامواله وان يخاصم اعظم ملوك ذاك الزمان لان ابنه مع ما هو عليه من الضعف والجبن وبلادة الطبع علق بحب عين الحياة على السماع فلم يعد يقبل غيرها حتى انه لعدم صبره وخلوه من الجلد والرزانة خسر عقله وجن كما تقدم معنا ابراده

وفي الحال انتشر خبر وصول عين الحياة في المدينة وبلغ مسامع الكبير والصغير من رجال ونساء فخرج الشيخ يتوكأ على عصاه وبرزت النساء على غير انتظام وطافت الاولاد بين العساكر فبعضها يصفق بالايدي وبعضها ينادي بالازقة . قوموا بنا ننظر عين الحياة . وباقل من ساعتين اصبحت المدينة خالية خاوية وقد خرج من اهلها الخاص والعام بحسب طلب الوليد فبعضهم يحمل اكاليل من الزهور وبعضهم يحمل مشاعل توقد بالعنبر والعود فينبعث منها رائحة زكية ملئت تلك النواحي وكان فيما بينهم الشاه صالح بظاظ الدين وقد لبس من الملابس ما يبهج الانظار ويدهش الابصار ويشغل الافكار ومن حوله الوزراء والاعيان وبين يديه الجيوش والخدم واجواق الاهالي على اختلاف حرفها وكلٌّ يشتغل بحرفته تقليداً والرايات تخفق مرفوعة بايدي الابطال والموسيقات تعزف باطرب الالحان والانغام حتى كان المشهد عظيماً والاحتفال بمجالم يسبق له مثيل حتى تغطت فسحات تلك الارض بالخلائق وهم سائرون على ما ذكر يتقدمون شيئًا فشيئًا الى ان تبينوا الهودج عن بعد فصاحوا بصوت واحد مظهرين الفرح والمسرة وكان الشاه امد والشاه حارث يشاهدان عن بعد هذا الاحتفال العظيم فقالا لعين الحياة هوذا اهل مصر برمتهم قد خرجوا للقياك ترحبًا بك وتحببًا فيك ولا ريب في انك تكونين مكرمة مبجلة في هذه البلاد وتصبحين وحدك الحاكمة في اهلها وكل ما فيها والمالكة عليها وعلى اموالها فلم تلتفت الى كلامهما لانها لم تكن من النساء اللواتي يؤخذن بالزخارف والزين ويملن الى العظمة الخارجية بل كانت تنظر في كل شيء الى جوهره وتترك عرضه ولا يميلها عن عزمها ويضعف رايها اعظم الاشياء وابهجها وعلمت من نفسها ان الوليد قصد بذلك انقيادها الى ولده وترغيبها فيه فزاد ذلك في كدرها وقد كانت تتمنى ان تدخل المدينة دون ان ترى وجه احد او يراها احد ومع كل بغضها للشاه صالح كانت لا تكره ان تراه وذلك رغبة في انحطاط منزلته وارتفاع منزلة فيروزشاه عندها لانها كانت تعلم انه قبيح المنظر لا يقاس بفيروزشاه ولا بمزية من مزاياه وكانت تتاكد انها اذا نظرته يزيد نفور قلبها منه فلا تعود توافق مطلقًا على قبول عقدها عليه وكما ان شخص فيروزشاه اللطيف مرافقها وحسنات اعماله لا تزال مرسومة في دماغها كذلك يصير شخص صالح القبيح ومزاياه الكريهة جلية لديها فتبعدها عنه وتنفرها منه ولم يكن الا القليل حتى وصلت تلك الامم المجتمعة فدنت من الهودج واحاطت به وهي في مزيد فرح تسرح وتمرح وتصفق وتغني وكلها تميل الى ان ترى عين الحياة من سجاف الهودج وان تطل منه ولذلك ازدحمت الاقدام حول الهودج ثم وصل الشاه صالح وبيداندبش الوزير وبقية الامراء فصافحوا والدي الشاه سرور وسلموا عليهما وترحبوا بهما وسالوهما عن ابيها فاخبراهم انه عن قريب يصل وانه سائر على الاثر . وتامل الشاه حارث صالحًا وما هو عليه من قباحة المنظر وبلادة النطق وتلعثمه بالكلام وقصر قامته وغير ذلك فارتاع منه وقال

في نفسهِ لا ريب ان اختي تفضل الموت ولا ترغب في ان تكون زوجة له الا انهُ اخفى ذلك واظهر السرور بهِ والفرح بلقياه واجهد الوزير نفسهُ في ان يقوم مقام الشاه صالح بتادية فروض الترحاب وان يمنعهُ من كثرة الكلام وبعد ذلك وقفوا بقرب الهودج منتظرين عين الحياة ان تمد راسها وتحييهم باشارة السلام فيبدون لها علامة التاهل والترحاب وكانت عين الحياة كما تقدم كارهة هذا الاحتفال ولا ترغب في ان ترى احدًا الا انهُ لما كان من فروض التادب والكياسة ان تبدي ما هو منتظر منها رفعت سجاف الهودج ومدت براسها منها فوقع نظرها في الاول على الشاه صالح فشخصت اليهِ واحدقت بهِ ولم تعد تعي على نفسها لانها وجدتهُ قصير القامة كبير الراس والانف تسيل من انفهِ اقنية من السوائل الدماغية الكريهة فتدخل الى فمهِ وعيناه تسيل ايضًا على الدوام سوائل الدموع الناتجة عن مرض عضال في عينيهِ ولم تكن ترى لهُ رقبة قط بل كان يظهر للراءى ان كتفيهِ يرتفعان الى قرب اذانهِ وفمهُ يمازج صدره كانهُ مركب فيه ومما زادها فيهِ احداقًا ما رانهُ فيهِ من الخفة والطيش لانهُ حالما راها لم يعد يتمالك نفسهُ فصاح صياح عدم الصبر وجعل يردد اسمها وقد رجع اليهِ قسم من حالته الجنونية التي كانت قد وقعت عليهِ ولذلك لم يطاوعها قلبها وعقلها على ان تبدي اشارة او تحيي احدًا بل لتظهر للوزير كراهتها فيهِ ضحكت ضحكة الازدراء وهزت براسها استخفافًا بهِ واظهرت نفسها انها تتفرج عليه فاجهد بيداندبش الوزير ان يصرف هذه الحالة وقد كدرتهُ اعالهُ وغاظهُ مقابلة عين الحياة لهُ على هذه الصورة حتى ازدرت بهِ واسقطتهُ من عينيها واستخفت بهِ غاية الاستخفاف وكانت عموم الاقوام الموجودة هناك شاخصة الى الهودج ناظرة الى عين الحياة لان بدر جمالها لم يخفَ على احدٍ بل انحدر ببهاء نوره الى ابعد مكان من تلك الجهة واشرق ساطعًا في كل عين وقلب حتى انها لما انزلت سجاف الهودج صاح الجميع بصوت واحد وقامت فيما بينهم الغوغاء وارتفع الصياح ودار حديثها في كل شفة ولسان وكل يشكر محاسنها وجمالها ويأسف على ضياعها مع الشاه صالح ويتمنى في قلبهِ ان تكون لنفسهِ واما الوزير فتكدر مزيد الكدر من عملها كيف لم تحيي احدًا غير انهُ كان قد انبهر مما شاهد فيها وعذرها على ضحكها على ابن سيده واستخفافها بهِ وعلم ان عين الحياة مدركة تنظر الى الحقائق من حيث هي فلا يميلها عن عزمها كل زخارف هذا الكون لانهُ راها لم تلتفت الا الى الغاية الوحيدة التي جاءت لاجلها ولم تظهر اهتمامها لشيء ولا فرحها من شيء ولما رات ان الشاه صالح غير موافق لها رغبت في ان تظهر ذلك على مراى من الجميع ليعلموا من حركاتها انها غير راضية عنهُ مجبورة اليهِ فلا يلومها احد فيما بعد . واما الشاه حارث والشاه اسد فقد خجلا من الوزير كيف ان اختهما لم تحيهِ ولا اشارت الى احد بالسلام بل كان منها ما كان وارادا ان يعتذرا امام الوزير فقال الشاه حارث ان عين الحياة كانت لا تنتظر ان تلاقي منكم هذا الالتفات وقد ابهرها هذا الاحتفال حتى غيب عنها وعيها فلم تعد تعرف بماذا تفعل او ماذا يجب

عليها ان نقدم لحضوركم من فروض الشكر غير ان النساء مهما كنا عاقلات لا بد ان تشغلهن الافراح عن المتوجب عليهن وما ذلك الا لانحجابهن عن عموم الهيئة المجتمعة من جنس الرجال ومن المعلوم ان المرء لا تسمو سريرته وتعلو همته وينمو عقله الا بعد ان تحنكه الايام وتقلقه الحوادث ظهراً لبطن وبطناً لظهر وتدفعه وقائع الحادثات الى اكف المصائب فتتلاعب به زنود الاحوال وتوضح لديه كل ما كان محجوباً عن اعينه بعيداً عن ادراكه وهذا كله لا يمكن ان يكون في غير جنس الرجال المعدين من قبل الطبيعة للقيام بخدمة هذا الكون . فعلم الوزير منه غايته بانه يريد ان يقنعه ان ما كان من عين الحياة كان على سبيل الدهشة لا بالقصد والغاية فوافقه على كلامه وهو يعلم ان عين الحياة فوق الرجال حكمة وما فعلت هذا الا بقصد تصويباً لغاياتها وما ربها الا انه قال في نفسه ان كان قصد ابيها واخويها زفافها على الشاه صالح نزفها عليه قبلت او لم تقبل ومن اللازم ان نصبر الى النهاية لنرى ما يكون منها وبعد قليل من الوقت كرت تلك الجموع راجعة الى المدينة على الحالة التي اقبلت فيها وهي بغاية الانتظام الى ان قربت من الابواب واذا بالوليد قد خرج الى ابواب البلد وهو بانتظار عين الحياة واخويها ولما راه الشاه حارث ترجل واخوه عن جواديهما واقتربا منه فترحب فيهما واعادهما الى جواديهما وسالهما عن ابيهما فبلغاه سلامه واعلماه انه بعثهما اليه واخبرهما انه يسير على اثرهما في اليوم الثاني ولا ريب في انه يصل قريباً وانه لا يقيم في الطريق الا اياماً قليلة لانه يسير على مقتضى مسير العساكر ثم اخبراه بما كان من الملك ضاراب ونعيا اليه خاطراً فتكدر من هذا الخبر وكاد يغمى عليه لانه كان يحبه جداً ولام نفسه كيف خاطر بهما فبعثهما بهذا الجيش القليل وعزم على الانتقام من الملك ضاراب اذا جاء بلاده وكان يترجح عنده انه لا بد ان يطرق بلاده ولا يترك عين الحياة قط . وفي تلك الدقيقة رفعت عين الحياة السجاف ونظرت الى الوليد فوجدت عليه من المهابة والوقار ما جعلها ان تشير اليه اشارة السلام وارخت السجاف حالاً فتاه بها عقل الوليد وجد من محاسنها وتمناها لولده وتاقت نفسه الى تعجيل اجتماعه بها ولم يكن يعرف منها النفور والبغض وامر في الحال ان يذهب بها الى قصر بنته طوران تخت وان تبقى عندها في قصرها بكل اكرام وتبجيل

وبعد ذلك سار الوليد بالشاه حارث واخيه الى دار الحكومة فاقاما بها عدة ساعات ترد اليهما الاعيان مسلمة ومرحبة ومن ثم عين لهما الوليد مكاناً للاقامة فذهبا اليه وهما بغاية السرور لما لقيا من المجابرة والاكرام وكان يلوح لهما ان الوليد اقدر الملوك عند انتشاب الحرب واكثرهم اعواناً واجناداً واصعبهم باساً ومراساً . وبعد ذهابهما اجتمع الوليد بوزيره فقال له ان ولدي معذور لمحبته عين الحياة فهي بدون شك من اجمل بنات هذا العصر واعقلهن . قال اني وافقتك على وحدانية جمالها وخصالها انما اظهر لك حقيقة الامر الذي تبينته فيها انها لا تقبل مطلقاً بان تكون

زوجة لولدك ولا خفاك ان طلابها الان كثيرون وكلهم من ابناء الملوك العظام اصحاب الحسن والجمال والبسالة والاقدام ولم تقبل احدًا منهم الا افضلهم حسنًا واحسانًا واشجعهم عند وقع المصائب واثارة القتال وهو فيروزشاه ابن الملك ضاراب وعلى ما قيل لي وما هو مسموع انهُ اجمل منها وجهًا واعدل قدًّا وناهيك عن اقدامهِ وبسالتهِ وكفى ان يقال انهُ قتل طومار الزنجي واباد جيشهُ وارسل اسيرًا الى جزائر الزنوج فتخلص من اسره وسطا على هورنك فقتلهُ وقتل كل عاص وتملك جزائر البحر وحدهُ وقاد من خلفهِ جيشًا من الزنوج عرمرمًا وهذا لا يصدق ان يكون من فارس واحد وفوق كل ذلك فانهُ قتل صفراء الساحرة واستولى على كل ما في قصرها من الجواهر والتحف التي لا يمكن ان توجد عند اعظم ملوك هذا الزمان ولو لم تكن عين الحياة ذات عقل واصابة لكان يمكن ان تبدل فيروزشاه بالشاه صالح اجابة لطلب ابيها وجهلها عن مستقبل حياتها وما اعلمهُ حق العلم انها عاشقة لهُ مغرمة بهِ ولهذا لا توافق على زواجها بغيره ما لم يقطع رجاؤها منهُ اي انهُ اذا تزوج بغيرها او اذا مات ولم يعد من وسيلة للوصول اليهِ والحصول عليهِ والاّ مادام يطلبها بجدٍ ويفادي بنفسهِ لاجلها فلا تنكث لهُ عهدًا بل تبقى مصرة على حبهِ . ثم اخبر الوزير الوليد بما كان منها حال وقوع نظرها على ولده وكيف انها ضحكت منهُ عندما رات قباحتهُ وخفتهُ واظهرت على نفسها عدم الاعتناء بهِ بل اعتبرتهُ كسخرية جاء لتفرج عليهِ . فتكدر الوليد من هذا العمل وقال ان اباها ما بعثها الى هذه البلاد الا تحت هذه الغاية الوحيدة وهي زفافها على ولدي وهي الان قد صارت في يدي فلا تفلت منها قط ولا بد لي من ان اقتل فيروزشاه واقطع رجاءها منهُ وكما اشرت نعود فتنظر الى ابني بعد ذلك بعين الرضى والقبول لعلمها ان لا خلاص لها وتعلم من نفسها ان لا مندوحة لها عن الزواج بهِ فضلاً عن اني ساطلب الى ابيها حال وصولهِ ان يزفها عليهِ فاذا اجاب اقمت بالحال باحتفال الزفاف واجبرتها بما امكن من السرعة رضيت او لم ترضَ فقال الوزير لا اظن ان الشاه سرور يوافقك على زفاف بنتهِ في الحال ووراءه مثل الملك ضاراب ويخاف اذا سمع بها تتركهُ ولا تعود الى المحاماة عنهُ ولا بد للملك ضاراب ان ينتقم منهُ ويقتلهُ وانهُ ليس من الصالح ان تزف في الحال على الشاه صالح خوفًا عليهِ من ان توقع بهِ وبنفسها حفظًا لحب من احبتهُ ولا تزال تطلبهُ ومع كل ذلك فلا بد لنا ان نصبر الان الى حين اتيان ابيها فنرى ما يكون من هذا الامر فالذي يراه موافقًا نتبعهُ لانهُ اعلم بحال بنتهِ ومسئول عنها كونهُ وليها ومدبر امرها واقام بعد ذلك الوليد بانتظار الشاه سرور وسنرجع الى شرح ما يكون منهُ في ما ياتي

لا ريب في ان القاري يرغب في ان يعرف ماذا جرى على فرخوزاد وخورشيد شاه لاننا بعثناهما اسيرين مكبلين من ١٢ اميرًا مع امراء اليمن وبهروز العيار بينهم كواحد منهم وقد اركنوا لهُ ومالوا اليهِ كل الميل لانهم وجدوه انهُ حريص جدًّا بالمحافظة عليهما وكان يحرسهما في دوره مع ستة

من رفقائهِ وفي اليوم التالي يحرس غيره فينام هو مع رفقائهِ الستة وفي النهار يسيرون جميعاً ولم يتمكن بهروز من خلاصهما في الطريق ولا ساعدتهُ الظروف بل كان معلق كل الامل بانهُ يتسهل لهُ السعي بخلاصهما حال وصولهما الى الطائف حيث يمكن للامراء جميعهم ان يناموا سوية كونهم يامنون على الاسيرين بوضعهما في غرفة تقفل عليهما الابواب ولا زالت على هذه الحال حالتهم حتى وصلوا الى الطائف فبعثوا الخبر الى وكيل المنذر وكان اسمهُ الامير بدر يعلمونهُ بانهم آتون باسيرين من امراء الفرس وقد امروا من الشاه سروران ينتظروه في الطائف و بعثوا اليهِ ايضاً بتحارير المنذر يطلب اليهم فيها ان يجروا كل المحافظة والانتباه على الاسيرين لبينما يصل هو والشاه سرور لانهُ كما سبق كان مع جيشهِ في معسكر اليمن يحارب مع اليمنيين في كل هذه الحرب وقد وكل بالمدينة هذا الامير وخلف لهُ نحو الف من العساكر واوصاه بالاقامة دائماً على الاسوار وكانت اسوار الطائف منيعة جدًّا من عمل القدماء ذات مراكز طبيعية صخرية وهي عالية غاية العلو لا يقدر الراءي من اعلاها ان ينظر الى الارض دون ان تاخذ بعقلهِ الصفراء ويقع في قلبهِ الوهم والخوف. فلما وصل الخبر الى الامير بدر فتح ابواب المدينة وخرج لادخال امراء اليمن وشاع الخبر في البلد فتجمعوا ليروا الاسيرين المذكورين وعلموا انهما لو لم يكونا ذا شان لما حوفظ عليهما كل هذه المحافظة و بائل من ساعة ادخل فرخزاد و رفيقهُ مكبلين بالحديد ومن حولهما حراسهما وقد جروا من خلفهم رجال المدينة باجمعهم وقد علت النساء السطوح وملئت الجدران للفرجة على الاسيرين وطلب الامراء اليمنيون ان يطاف بهما المدينة قبل الذهاب الى القصر للمحافظة عليهما فطافوا الاسواق والشوارع والناس تزدحم افواجاً افواجاً حتى كادت تتمزق احشاء بهروز ولم يهن عليهِ هذا العمل الا انهُ لم يكن في وسعهِ عناد الامراء رفاقهِ ومنعهم من امر اتفقوا عليهِ كلهم لان رغبتهُ كانت التظاهر بما تتكدر بهِ شعائر الاسيرين اظهاراً يبرهن للامراء انهُ صادق المحافظة صافي النية وبعد ان طيف بهما كل شوارع المدينة أخذا الى غرفة كبيرة في اسفل قصر المنذر بن النعمان صاحب الطائف وهناك رفعا عنهما بعض ما كان عليهما من اثقال الحديد واتوهما بالاكل والماء واقام في نفس الغرفة كامل الامراء وقد تاقت انفسهم الى الراحة واملوا ان يقيموا اياماً في تلك المدينة فيصرفون وقتهم باللهو والطرب والنزهة وكانت الطائف مدينة كثيرة الرياض حسنة المناخ وهي عبارة عن جنة الارض وفيها كثير من النخل ذات الثمر. ففي مساء ذلك اليوم اجتمع كل الامراء الى بعضهم وتحدثوا في امر الحراسة هل تكون كالعادة او ينام في كل ليلة خفير واحد فاجاب بهروز وقال ان البلد من اعمال اليمن وليس فيها عدو نخشاه فيسطو علينا و ينزع منا اسيرينا فضلاً عن اننا قائمون عندهما لا نفارقهما فاذا طرأ شيء فالذي يخفر ينبه الباقين واننا في غرفة منيعة محاطة من كل جهة بالابنية لا خوف من ان يصل الينا شرٌّ او اذى فاستصوب الجميع رايهُ وقالوا لقد

اصبت فاننا نقيم في كل ليلة حارسًا واحدًا يعهد اليهِ امر المحافظة لاننا كلنا تعبانون من شدة ما لقينا في سفرنا وقبل وصولنا وما منا الا من تطلب نفسهُ الراحة بكل شوق واشتياق وان هذه المدينة طيبة المناخ فليس من الضرورة ان نجور على انفسنا بها . ثم انهم اعتمدوا على ذلك واعهد الى بهروز امر المحافظة تلك الليلة فسر غاية السرور وقال في نفسهِ هوذا ما كنت اطلبهُ فمن الواجب السعي الان في اطلاق سبيل فرخوزاد وخورشيد شاه من عقالها والاَّ اذا فاتتني هذه الفرصة ووصل الشاه سرور ووزيره واجتمعت العساكر والعيارون وساروا من هذه المدينة يصعب عليَّ امر خلاصهما غاية التصعب وصبر الى ان بجل الليل وينام الامراء ولكي يكون امينًا من نجاح مسعاه عول على ان يشغل النور بالبنج فيثقل نوم الامراء فتتم غايتهُ على احب ما يروم واقام ينتظر نصف الليل ليقدم على العمل

قال وبالامر المقدر انهُ لما كان فرخوزاد وخورشيد شاه في اسواق المدينة يطاف بهما من شارع الى شارع قصد رجال الدرك ان يمرا بهما من قرب قصر الملك لتنظره حريمهُ ونساؤهُ وكان المنذر بنت وحيدة ليس لهُ سواها قد كملت حسنًا وزادت بهاء ورونقًا وفاقت بنات المدينة بجمالها وظرفها ولم تكن ترى من يضاهيها جمالاً من الشبان الذين خطبوها من ابيها ولذلك لم توافق على واحد منهم وصبرت على امل ان يخطبها من تطالبهُ نفسها وترغب فيهِ وكان ابوها قد سلم اليها امر رضاها لانها وحيدة لهُ ولا يريد ان يجبرها على امر تكرههُ وكلما تقدمت قليلاً في السن يزداد حسنها ويلتف جسمها وتثقل نهودها حتى نضج ثمر جمالها وطاب قطفهُ لشهوة المشتهين ولذلك اخذت تحركها دواعي الصبوة الى التقرب من زوج يوافق مشتهاها فكان ذلك كل همها وعملها حتى لم تعد تفكر بغير هذا المعنى ولما كانت هذه الحالة حالتها اخبرها البعض من خدمها ان اباها آتٍ الى المدينة بعد ايام وان الشاه سرور ارسل بفارسين من فرسان العجم اليها وقد طيف بهما في الاسواق حتى وصلا الى تحت قصرها وسالاها ان تطل من النافذة فتراهما وقالوا لها اعلمي يا سيدتنا بانهما لا ريب من كبراء الرجال واولاد الملوك لما اعطاهما الله من الحسن والجمال والهيبة والكمال . فلما سمعت هذا الكلام حركتها دواعي الطبيعة الى التفرج عليهما والنظر اليهما فدنت من النافذة وارسلت نظرها الى الاسفل فوقع في اول الامر على خورشيد شاه وكان على جانب عظيم من الحسن والبهاء فلم تعد تتمالك نفسها ووقع في قلبها موقعًا عظيماً وتمكن حبهُ منها تمكنًا عجيبًا فعدمت صبرها ووعيها وفقدت عقلها وعولت على ان تصيح بالعسكر ان يتوقف عن المسير فلم يطاوعها لسانها بل اخذ يتلعثم ولم يظهر غايتها وعزمت ان ترمي بنفسها من النافذة الى الاسفل فخانها قواها وضعف عزائمها اذ خارت من جرى ما لحق بها من شدة الحب المفرط التي وقع عليها بغتة وللحال رمت بنفسها الى الارض ولم يكن امامها الا قهرمانتها وكان اسمها نعمى فدنت منها وانهضتها

على صدرها ولم تكن تعلم سببًا لما اصابها فجعلت تطيب خاطرها واستفسرت منها عما لحق بها وما اصابها فتنهدت عند استماعها كلامها وانشدت

راح يثني عطفهُ مرحا ... اي صب من هواه صحا
مفرد في الحسن ليس لهُ ... من شبيه فاق شمس ضحى
ينجلي في ليل طرتهِ ... منهُ مسك الخال قد نفحا
خده وردٌ ومقلتهُ ... نرجس تسقي النهى قدحا
مهجتي في حبهِ تلفت ... واصطباري في الهوى نزحا
ما راينا مثلهُ قمرًا ... بالبها يختال متشحا

فلما سمعت قهرمانتها منها هذا الانشاد اخذتها البهتة وارتبكت من امرها لانها لم تكن عرفت منها قبل ذلك شيئًا مما ذكرت ولا تعلم انها احبت احدًا ولا مالت الى احد قط ثم عولت على ان توضح لها باجلى بيان عن معنى هذه الشعور التي تبديها وانها تحب من ونقصد من بقولها واذا بها قد وقفت ودنت من النافذة على امل ان ترى خورشيد شاه مرة ثانية فلم ترَ احدًا الان الخفراء ساروا بهِ وبفرخوزاد وبعدوا بهما فلما لم ترَ احدًا لطمت خدها وبكت وعولت ان ترمي بنفسها ثانية من النافذة فعرفت القهرمانة منها ذلك فمنعتها ولامتها وابعدتها عن النافذة فجلست الى الحائط وانشدت

سيدي مذ غبت عن نظري ... لم افقْ من خمرة الكدرِ
احسب الصبح العشا ابدًا ... فنهاري اول السحرِ
لم تمل روحي الى وطنٍ ... لا ولا قلبي الى وطر
سل نجوم الافق عن قلقي ... فعسى تنبيك عن خبري
لا وعين منك راقدة ... لم تذق عيني سوى السهر
ايها البدر الذي حجبوا ... نوره الوضاح عن بصري
لو ترى حالي بكيت على ... قلبيَ المسجون في سقر
كدت اخفى من ضنا جسدي ... عن عيون الجن والبشر

فوقفت امامها قهرمانتها وقالت لها بالله عليك يا سيدتي ان توضحي لي الاسباب الموجبة لعملك هذا وقلقك ومن الذي تعنين بكلامك هذا لاني قبل الان لم اكن اعهد فيك الا النفور عن الطلاب والخطاب فهل من حادث جديد لم اعلمهُ فاظهري لي امرك واخبريني بما في صدرك واظهري سرك ولا تخشين امرًا فلما سمعت كلامها اذرفت دموعها وتذكرت تلك النظرة التي اعقبت هذه الحسرة فزاد تسعر قلبها وانشدت ايضًا

بهوى جدّ بقلبي طامعًا في لفتاتك
وفؤاد ضل في حصر قليل من صفاتك
وبطرف لم يمتع نظرة من نظراتك
غافلاً عن ذنبه اذ هو من بعض هباتك
يا غزالاً خاطر القلب بروّيا خطواتك
آه ما اعجزني عن حمل ماضي عزماتك
بالحمى ترتع والاسد ثوت في عرصاتك
كيف يرجوك فؤاد والحمى بعض حماتك
بابي حبات مسك نقلت في وجناتك
بل سويداء قلوب احرقت في جمراتك
اترى يا دهر هل في لحظة من لحظاتك
يغفل الواشون كي احسبها من حسناتك

فنما شوق القهرمانة الى معرفة الحقيقة وخافت ان تكون مولاتها قد علقت بحب فتى وان لا يكون لها بذلك علم ودخل فتحركت الى معرفة الحقيقة وفي نيتها انها تكسب رضاها فقبلت يدها وقالت لها بالله عليك يا سيدتي ان لا تكتمي عني امرًا فاني محروقة من اجل عملك هذا واكدي اني لا اكره ما فيه خيرك وصالحك واني اساعدك عليه بما فوق قوتي ان امكن . فقالت لها ويلك يا نعمى ان الذي احببته والذي اقصده في كلامي لم اكن قد رأيته قبل الان ولا سمعت بذكره ولا اظن ان الله يخلق مثيلاً له فهو اله المحاسن وسيدها وملك اللطف واميره جلّ جماله عن ان يماثل بجمال او قوامه يقاس بقوام وما نظرته والله الا نظرة واحدة ففعلت في فؤادي ما لا اطيق له حملاً وما ذلك الا من وحدانية ظرفه ولطفه فقد صدق من قال فيه

غلام كما سال في خده عذار تنمنم في ورده
بفيه المعطر ماء الحياة وماء الحياء على خده
به برد جامد كم اذاب قلبًا يتوق الى ورده
واني لارشفة بالضمير فحرّ فؤادي من برده
لقد اقلق القلب هجرانه فاصبح احير من بنده
وانحل جسمي اعراضه فجسمي اوهن من عهده
جفاني من غير ذنب جنيت مولى يجور على عبده
فياويح قلبي من حبه ويا ويح نفسي من صده

نعم هو فوق ما ذكرت فمن يا ترى يساعدني على حبهِ ومن يا ترى يوصلني اليهِ ويجمعني بهِ فهو والله

ريمٌ حياتي في يديهِ ومنيتي في مقلتيهِ

توريد دمعي كل يو م من تورد وجنتيهِ

واحر قلبي من قلو ب اصبحت اسرى لديهِ

ابداً يغار عليهِ من عيني اذا نظرت اليهِ

من لي بقلب غير قا بي استعين بهِ عليهِ

ولا تعجبي من كثرة شوقي اليهِ ووصفي لهُ فلو نظرتهِ لعذرتني وقلت بالحقيقة انهُ اهل لان يقال انهُ افضل حبيب يحب فما هو الا فارسي المحاسن وكنت اسمع ان جماعة الفرس ينبوع الجمال وقد خصهم الله بو منة عليهم وطالما تاقت نفسي الى ان ارى واحداً منهم وسالت الله كثيراً ان يسهل لي ما اتمناه فاجاب سوالي وبعث اليّ باحسنهم وارفعهم وافتاهم وارقهم فانظري يا نعمى في امري ولا تتركيني وساعديني يساعدك الله . فقالت لها العلك علقت باحد هذين الاسيرين اللذين بعثهما الشاه سرور وابوك الى هذه المدينة . قالت نعم علقت بالطفهما بهاء واعدلهما قامة واسناهما اشراقًا فياليت اليد التي مدت اليهِ قطعت فلا كان من يطلب لهُ اذى ويتمنى لهُ شرًّا فلا بد من الافراج عنهُ فدبري ولا تتهاملي . قالت ان طلبك هذا صعب النوال لا يمكن الحصول عليهِ قط لان مع الاسيرين ١٢ اميرًا يقيمون في الليل والنهار على المحافظة عليهما ولا بد في الغد او ما بعده ان يصل ابوك والشاه سرور وعساكر اليمن برمتها فيدخلون هذه المدينة فيطلبانهما وياخذانهما معهما فماذا يا ترى يكون من امرك اذا علم ابوك بذلك وانك احببت اعداء المملكة وهل يمكن ان تصلي اليهِ بدون ان يطلق من اسره ويحل عقالهُ وترجع اليهِ حريتهُ . قالت اني لا اخاف من ابي ولا من احد في جنب سوال مرادي فاني ارغب في ان اكون زوجة لهذا الفارسي وانال وصالهُ ولو ساعة ومن ثم لا اعود اقدر مصائب واهوال هذا الكون وان مت فموتي لا يحسب بشيء بالنسبة لهذا الحظ السعيد وقد سدت عليّ طرق التدابير فان عقلي لم يعد يرى الا حبيب قلبي ومتمناه وقد وعدتني بالمساعدة فساعديني ولا تضعي العراقيل في سبيل حصولي على بدري واكدي انك اذا امتنعت عن النظر في تدبير ذلك انتقمت منك بالموت وانعت نفسي فيك لان الحياة بلا من احب لا تطيعني ولا ترغب في ان تبقى عندي ولا ريب بانها تفارقني واذا ساعدتني وحصلت على هذه السعادة التي اذكرها لك فاني ابيت مديونة لك كل حياتي لا امنع عنك شيئًا ولا افضل احدًا عليك بل تكوني مدبرة حياتي واذا ساعدتني المقادير وكان حبيبي هذا من العائلة الفارسية المالكة واطلق سراحهُ ورجع الى اهلهِ كان لك عندهُ اكبر مقام وارفع منزلة

فلما سمعت القهرمانة منها هذا الكلام اطرقت الى الارض ونظرت فيها نظر المتحير واحدقت الفكرة الى ايجاد طريقة تسهل فيها طلب مولاتها وصرفت على ذلك نحوًا من نصف ساعة وتاج الملوك تائهة في بحران العشق وفيافي الغرام تنظر الجواب من القهرمانة وكان قلبها معلق كل التعلق بجوابها لعلمها انها ذات بصيرة وخبرة وانهٔ لا يصعب عليها تدبير امر من الامور الصعبة . وبعد مضي نصف ساعة رفعت القهرمانة راسها وقالت لتاج الملوك هل لا تزالين مصرة على هذا الطلب وهل لا ترجعين عن عزمك لانك باصرارك هذا تجبرين على ان تخاطري بحياتك وحياتي ايضًا ونلتزم بان نلقي بانفسنا الى حفر الهلاك فاما ان نفوز واما ان نهلك وينفضح امرنا . قالت اني اعرف حق المعرفة اني احتاج الى ان اسلك طرق المهالك وارمي بنفسي في اعظم الصعوبات انما لا خفاك ان القلب الضعيف لا يحصل على الظريف وقد قيل في لسان الحكماء من لا يخاطر لا يطيب لهٔ خاطر فاظهري لي ما لاح في ضميرك في هذا المعنى وعلينا ان نسعى وعلى الله ان يدبر ويتم امر مسعانا . قالت قد لاح لي اولاً ان نتدلى هذه الليلة بعد نصف الليل الى الغرفة التي فيها الاسيران والامراء ولا بد ان يكون الجميع اذ ذاك نيام وهناك اما نقتل الامراء ونخلص الاسيرين ونقفل الغرفة من داخل ونخرج من هذا القصر ونبعد عن المدينة واما ينتبهون الينا وينفضح امرنا وننظر منهم فيعلمون بذلك اباك والشاه سرور ويكون من امرنا ما لا نعلمهُ وغير هذه الطريقة لا اجد قط . قالت نعم هي طريقة مصيبة ولا بد لنا في المساء من زيارة تلك الغرفة وخلاص حبيبي ورفيقهٔ وبعد ذلك نستشيرهما فيماذا يفعلان فاستحضري اذًا على خنجرين لقضاء الغرض بكون واحد بيدك وواحد بيدي واني ارى وجه الفوز ظاهر لي عيانًا وسوف تذكرين ما قلتهُ لك واقولهُ الان . وبعد ان اعتمدوا على ما تقدم اقامتا تنتظران حلول الليل ودنو الوقت المطلوب

واما فرخوزاد وخورشيد شاه فانهما بعد ان اقاما في تلك الغرفة التي اعدت للمحافظة عليهما اصبحا ينتظران الفرج القريب على يد بهروز وقد قالا لهُ سرًا ويلك لقد طال علينا المطال ونخاف من ان يدركنا الشاه سرور وطيفور فيصعب علينا بعد ذلك الخلاص وربما اطلعا على امرك فيقرنانك الينا وتكون المصيبة الاخيرة اشر من الاولى . قال اني اعلم ذلك جيدًا وقد دبرت في نفسي طرق الخلاص وفي هذه الليلة ان شاء الله احل عقالكما واذهب بكما من هذه المدينة بعد ان اقتل كل الامراء الذين معنا وكان مساء ذلك الليل مظلمًا جدًا بما يساعد بهروز على نوال مراده . ولما قرب نصف الليل واعتمد الامراء على ان يناموا اخذ بهروز قطعة من البنج ودنا من النور فاشعلهُ بها وتركها في زواية الغرفة وخرج الى الخارج مظهرًا ان نيتهُ قضاء حاجة وصبر الى ان عرف اكيدًا انها فعلت فيهم وانها احترقت الى اخرها عاد فدخل ونظر اليهم فوجدهم قد صافحوا الارض وهم كالاموات من عظم ما لحق بهم من فعل البنج لانهم استنشقوا منهُ رائحة

زكية فمالوا بقلوبهم وافكارهم اليها وقد حمدوا فعل بهروز وقالوا لا ريب في انهُ استحضرها من بلاده لان في بلادنا لا يوجد مثل هذه الرائحة الزكية ثم ضعفت ابصارهم واخذت قوة انتباههم تنقص شيئًا فشيئًا فظنوا ان ذلك من فعل النعاس لانهم صرفوا سهرة طويلة ثم اخذوا يقعون الى الارض واحدًا بعد واحدوهم يجهلون السبب حتى غابوا جميعهم عن الوجود . فلما راهم بهروز على تلك الحالة اسرع الى باب الغرفة فقفلهُ من داخل وقفل سائر النوافذ واستل من وسطهِ خنجره ودنا من الاول فذبحهُ وذبح الثاني ايضًا وعول ان يذبح الثالث ويفعل بالباقين مثلهُ واذا بهِ سمع صوت مشي على ظهر سطح الغرفة ثم راى قافعة فتحت من السقف وحبل دلي منها على شكل سلم فاسرع الى احدى الزوايا فاختفى فيها وكانت الغرفة كبيرة جدًا لا يظهر فيها النور جليًا وصبر الى يعلم ان الحقيقة وقد اخذتهُ الدهشة وحسب لذلك الف حساب وعول ان يوقع بالقادمين أيًا كانوا فلا يتاخر عن اتمام اعمالهِ وتعجب غاية العجب عندما شاهد انهُ قد سقط من تلك القافعة على ذلك الحبل فتاة بديعة المحاسن تحمل بيدها خنجرًا ثم نظر من خلفها فتاة اخرى تزيدها عمرًا وهي بنحو الثلاثين من السنين وبيد الثانية ايضًا سكين مشهرة ففكر انهُ ربما كان قصدها الايقاع بفرخوزاد ورفيقهُ فهيأ نفسهُ الى مفاجئتهما وصبر ينتظر النهاية

وكانت تلك الفتاة تاج الملوك وقهرمانتها وكما تقدم معنا الكلام انهما صبرتا تنتظران الليل لاتمام ما اتفقتا عليهِ وكانت القهرمانة تعرف منزلًا لتلك الغرفة يوصلها الى الاسفل فجدلت لها حبلًا رتبتهُ على ترتيب السلالم وبعد نصف الليل سارت مع سيدتها وهي تحمل ذلك السلم الى ان دخلت غرفة تعلو تلك الغرفة ودنت من تلك القافعة ففتحتها شيئًا فشيئًا فنظرت الى ضعف النور والى الامراء وهم ملقون الى الارض فقالت لسيدتها هوذا القوم نيام فلنطلب من الله المساعدة وننزل الى الاسفل ومهما شاء ربك فعل فقالت افعلي ما بدا لك وللوقت ربطت في الاعلى طرف الحبل ودلتهُ الى الاسفل . ثم نزلت تاج الملوك ومن خلفها القهرمانة حتى انتهتا الى الارض واستقرتا عليها ونظرتا الى النيام فوجدتا اثنين منهم قد ذبحا جديدًا والدم يتدفق من اوراهما وقد فصلت رؤوسهما عن جسديهما والروح لا تزال تخبط فيهما فجمدتا وارتبكتا في امريهما وقالت تاج الملوك ما هذه الحالة ومن يا ترى قتل هذين الاميرين ولم يعد في امكانهما ان تجريا امرًا الان تاج الملوك وان كانت من قوة القلب والبسالة على جانب عظيم وقد هوّن عليها عشقها ركوب هذه الاخطار والنزول الى ذبح ١٢ ميرًا في وسع كل منهم ان يدافع عن نفسهِ منها فلا يمكنها من الوصول اليهِ اذا كان مستيقظًا الا ان ضعف القلب البديهي في جنس النساء من تاثرهنّ لدى مشاهدتهنّ مثل هكذا مشهد مريع اضعفها ورفيقتها وخافتا من ان يكون احد يرقبهما لان ما فعل تلك الافعال الا من قادتهُ الحوادث الى ارتكابها رغمًا وانهُ فعل ذلك في الحين ثم نظرت تاج الملوك الى الاسير بن

فوجدتهما قد توسدا الارض وهما يطفحان نورًا وبهاء فكادت تصرخ من انشغافها وقالت لقهرمانتها انظري ياقهرمانتي الا يحق لي ان افادي بنفسي لاجل حبيبي هذا الذي علقت به من نظرة واحدة فقالت دعي عنك ياسيدتي قولك الان وتجلدي فاننا ماجئنا الا لقضاء غرض مهم فلاح لبهروز بعض الحقيقة وقال لا ريب في انهما قد جاءتا لخلاص فرخوزاد وخوشيد شاه و يظهر انهما في حالة غرام ولذلك دنا منهما بتأن شيئًا فشيئًا الى ان نظرتاه فارتاعتا منهُ وخفقت قلوبهما وخارت قواها وارتخت اعصابهما وكادتا تقعان الى الارض لو لم يبادر الى تطمينهما بصوت بشوش رطب وقال لهما لا تخافا ولا ترتاعا فاني مساعد لكما معين لمقصدكما فاظهرا لي الغاية التي جئتما لاجلها . فما اجاباه بشيء بل بقيتا واقفتين كالاصنام لا تبديان حراكًا ولا تفوهان بكلام . فقال لهما قلت لكما لا خوف عليكما من شيء والاً فاني لا اترككما تذهبان من هنا قبل ان اعرف مقصدكما وأزيدكما ايضاحًا بان اعرفكما بنفسي فانا بهروز العيار عيار فيروزشاه ابن الملك ضاراب وقد اخذت على نفسي العهد بان اخلص سيدي فرخوزاد ابن فارس بلادنا فيلزور ورفيقهُ ايضًا وهو خورشيد شاه ابن عمة الملك ضاراب الذي اشرتما اليهِ ولذلك كنت كواحد من هولاء الامراء وهم باجمعهم يظنونني بعثت من قبل الشاه سرور للمحافظة معهما ولم تسمح لي الفرص ان اسعى بتعهدي الا هذه الليلة وقد بدأت بالعمل وقتلت اثنين من الامراء وهممت بقتل الباقين واذا بكما قد فتحتما النافذة فاختبأت منكما حتى عرفتها بالحال وشاهدتما المقتولين ولذلك لم يعد في وسعي ان ابقيكما خوفًا من ظهور امري فاطلعاني بالحيل على سركما ولا تكذبا عليَّ بشيء

قال فلما سمعت تاج الملوك ما سمعتهُ من بهروز كادت تطير من الفرح واعظم فرحها ان من احبتهُ ومالت اليهِ هو من اكابر عائلة الملك ضاراب . ولذلك لم يعد في وسعها ان تخفي عنهُ امرها وتاكد لديها ان الصدف تخدمها وان التوفيق مصحبها فقالت لهُ اني اطلعك على واقعة الحال ولا ريب في انك تصدقني وذلك اني بنت المنذر وقد سمعت ان الخنزير يدور بأسير بن من اسراء الفرس مرسلين الى مدينتنا فنظرت من النافذة بينما كانا تحت قصري فوقعت عيني على هذا البدر الذي دعوتهُ خورشيد شاه فمالت اليهِ نفسي وتعشقتهُ بالرغم عن ارادتي ولم يعد لي من صبر قط عنهُ فدعوت قهرماتي واطلعتها على حالتي وشكوتها عشقي وسالتها تدبير واسطة لخلاصهِ فلم نرى الا ان ننزل من هذه النافعة بينما يكون الامراء نيام فنذهب ونخلص الاسيرين ونرجع الى القصر ومن ثم نخرج من المدينة بعد ان ناخذ ما نحتاج اليهِ ونبعد عن هذه الديار ونترك امرينا بعد ئذ الى تدبيرها . ولما صرنا داخل هذه الغرفة اخذتنا الحيرة لدى مشاهدتنا هذين الاميرين مذبوحين ولم نرَ قط احدًا مستيقظًا والان قد عرفنا حق المعرفة انك بهروز العيار وما سخرك الله الا لقضاء مصلحتي واتمام مرغوبي . قال اني اعلم جيدًا انك بنت المنذر انما لا ارى شاهدًا يدلني على

صدق حبك لخورشيد شاه وانك لا تخونين عملنا . فقالت كيف لا ترى شاهداً واكبر شاهد هو نزولي الى هذا المكان ومخاطرتي بنفسي بين قوم لا اعرفهم وما ذلك الا من عظيم حبي وعشقي له . قال ان كنت كما تزعمين انك جئت لاجل ذبح هولاء الامراء فاقدمي اذن على هذا العمل امامي واذبحي الباقين فانهم مبنجون لا خوف من استيقاظهم وانتباههم وبذلك يثبت عندي انك انيت لهذه الغاية فتممنها وذبحت بيدك اعداءنا قالت على عينيك يا بهروز انما ايقظ لي محبوبي ليرى بعينيه ما افعل له باعداه فدنا من خورشيد شاه وفرخوزاد وايقظهما فاستيقظا وقالا بدهشة اين الخلاص يا بهروز قال قد وقع ثم نظرا الى تاج الملوك وجاريتها فاندهشا من جمالها المفرط ووجودها في ذلك المكان ولا سيما خورشيد شاه فانه مال اليها واحبها كما احبته وقال لبهروز من هذه ومن اين اتت . قال سوف تعلم انما انظر الان ما يكون من امرها ثم تقدمت تاج الملوك من الامراء واخذت خنجرها بيدها وقد اشتدت قواها وفرحت غاية الفرح وسرت مزيد السرور لان حبيبها يشاهد عملها ويعلم ان ذلك لاجله وابتدأت تنحر الامراء وكلما قربت من واحد فصلت راسه عن بدنه حتى ذبحت الجميع وقد تلوثت بالدم من راسها الى قدمها وفي الحال دنا بهروز من فرخوزاد وخورشيد شاه فقطع وثاقهما وقيودهما وقال لهما هذه تاج الملوك بنت المنذر قد جاءت لخلاصكما فتقدما منها وسلما عليها وشكراها على معروفها معهما فما صدقت ان سمعت كلامهما وعولت ان تبيح بغرامها لخورشيد شاه وتشكو له ما لحق بها من حبه حالما نظرته وهو ماسور غير ان السرور الذى طفح على قلبها حال دون ذلك فلم تقدر ان تجيب بكلمة بل تساقط من عينيها دمعة رقيقة برهنت عما دعاها الى هذه المخاطرة

وفي الحال قالت القهرمانة وقد قصدت تقصير ذلك المشهد تخفيفاً على مولاتها من المصائب هلموا بنا الى قصر مولاتي حيث هناك يمكننا ان نتفق على راي فيه النجاح فان الوقت قصير والامر خطير وعدونا كبير وفي الحال اخذت تاج الملوك من يدها وصعدت بها السلم وصعد من خلفها خورشيد شاه وفرخوزاد وبهروز ولما صاروا على ظهر الغرفة اقفلوا القافعة وساروا الى دهليز طويل انتهوا منه الى دار وسيعة وهي دار القصر ثم صعدوا ايضاً بسلم اخر مؤدٍ الى اعلى طابق في القصر وهو مقام تاج الملوك فدخلوا مقصورتها وجلسوا في مراتب معدة للجلوس ولما استقر بهم المقام قالت تاج الملوك لخورشيد شاه لا تعجب مني ومن عملي ولا تستخف بي اذا ذكرت لك حبي وما لحق قلبي من جرى نظري اليك النظرة الاولى على اني كنت قبل ان اراك لا تميل نفسي قط الى الزواج ولا ارغب في ان املكها لاحد وطالما رددت خطاباً وطلاباً وقد اجهد ابي نفسه دون حصوله على جدوى ولم يقدر ان يقنعني بقبول من كان يرغب ان يزوجهم بي وكان امري بيدي لاني وحيدة له ولما رأتك عيني ولم اكن اظن انك تغنك بقلبي هذا ... بل قصدت ان

اتفرج على رجال العجم . غير ان الله قادك اليَّ لسعادتي وحاولت ان اخفي عن قهرمانتي حالة حبي فلم اقدر ولم اكن اعهد ان العشق يصل بالانسان الى هذه الدرجة وبعد ذلك اتفقت مع قهرمانتي ان نسعى بخلاصكما ونخرج من المدينة فحملني غرامي ان القي بنفسي في نصف الليل الى اعماق هذا القصر بين جماعة غرباء الديار ولتاكدي اني لا انال مراداً الا باعدامهم فبتدبير العناية قد وصلت اليكما وكان بهروز العيار قد سهل لي طرق مساعيَّ والحمد لله فكل شيء موفق ولم يعد يهمني الا شيء واحد وهو ان تقبلني خادمة لك امينة على حبك وان لا تبعدني عنك ما دمت حية وها انا بين يديك اسيرة مطروحة على اقدامك لا اريد منك الا كلمة واحدة تنذر اما بموتي واما بحياتي ولا تحسب ذلك مني وقاحة فاني اتكلم عن صفاء نية اجابة لتطلبات قلبي الذي لم يعد في طاقتي ان ادفع عنه ثقل هذه الضربة الا بموافقتك والتفاتك ورضاك . ثم رمت بنفسها على اقدامه تقبلها فتحركت منه عواطفه نحوها وقد تقدم ان حالما راها تحركت فيه شعائر حبية لانها كانت بديعة بمحاسنها يندر وجود مثلها بين بنات عصرها ولذلك دنا منها ورفعها وقال لها طيبي قلباً فاني مجيبك الى سوالك ولك في قلبي فوق ما لي في قلبك وقد مالت نفسي الى حبك كل الميل ولا بد لي من اتخاذك زوجة عندما يجمعني الله بقومي ويروق بالي ويتزوج فيروزشاه بعين الحياة لان لا احد منا يرغب في ان يجري زفافه على فتاة قبل ان نرى فيروزشاه زوجاً لعين الحياة فهو فخرنا وتاجنا وسيدنا وقد وقفنا ارواحنا في سبيل خدمته وقضاء مصلحته . فما صدقت تاج الملوك ان سمعت هذا الكلام حتى وقع على قلبها اشهى من وقوع العافية على بدن العليل ولم تعد تعرف لكثرة فرحها بماذا تجيبه او بماذا تكافيه على قبوله فبقيت صامتة الى ان قال لها وانا لا ننسى معروفك معنا وجميلك الينا وقد خاطرت بحياتك من اجلنا ورميت بنفسك طمعاً بخلاصنا الى وهدة الفضيحة وركوب الشنار ولو عرف الامراء بخبرك لاطلعوا عليه الشاه سرور والمذكور لا بد ان يجبر اباك على اهانتك واحتقارك عندما يعلم انك سعيت الى خلاص اسيره . فاجابت اني لم افعل الا ما هو متوجب عليَّ وما سعيت الا بصالح نفسي لاني تاكدت ان كنت احصل عليك اكون قد حصلت على كل السعادة ونلت درجات الراحة والمجد التي لم تنلها قط بنت من بنات عصري . واذ ذاك قال فرخوزاد اننا لا نضيع لك معروفاً ولا بد من قرانك بخورشيد شاه لانه حتى الساعة لم تعلق نفسه بحب فتاة وقد صادفك ولا اظن انه يهتدي الى من هي احسن منك غير انه يجب ان ننظر في الاهم ونرى في تدبير انفسنا قبل فوات الفرصة وضياع الوقت ونحن الان لا نزال في خطر محدق بنا وحتى الساعة لا نملك سلاحاً وقد يمكن في الصباح او ما بعده ان تاتي عساكر اليمن وليس في طاقتنا ان ندافع مثل هذا الجيش دون ان يكون لنا من حصون هذه المدينة حامية يدافع عنا وعنها . قالت واي تدبير اوفق من المسير الى بلاد اليمن والاجتماع بقومك فهيا بنا نسير

في هذا الليل فنفتح ابواب المدينة بالرغم عن حراسها ونخرج قبل وصول الصباح ونسير على غير الطريق المستقيم. قال فرخوزاد ليس ذلك من الصواب فاني لا اوافق على الخروج من المدينة وجل ما ارغبهُ ان امتلك المدينة وانسلط على اسوارها وادافع فيها عند قدوم الشاه سرور لبينما يدركنا الملك ضاراب لاني اعلم ان الشاه سرور اذا فرّ من وجه الملك ضاراب الى مصر لا بد لهُ من ان يتاثره بعد ان يجمع شتاتهُ فلا يتركهُ دون أن ينتقم منهُ ويجبره على ان يزف بنتهُ على ابنهِ . قالت اخاف ان يكون في ذلك صعوبة كلية لان ابي قد اقام على المدينة قبل ذهابهِ منها حاكماً يقال لهُ الامير بدر وقد ترك معهُ الفاً من الحامية تحمي المدينة وتحافظ على اسوارها . فقال هل لا يوجد اكثر من الف فارس في المدينة قالت كلا لا يوجد اكثر من الف نفر مع الامير بدر . قال ان ذلك هين فان كلاً منا يقدر على ان يلقى الف والفي فارس فاطلب اليك ان ترسلي في الصباح الى الامير بدر ان ياتي لمواجهتك فنعرض عليهِ الطاعة فان اجاب وسلمنا المدينة ابقينا عليهِ والا قتلناه واستلمناها في عاجل الحال . فاجابتهُ الى ذلك

وبينما كان الحديث متبادل بينهما كانت القهرمانة قد هيأت صفرة الطعام ورتبت مائدة الشراب واحضرت كل ما يحتاجون اليهِ فدعتهم الى مباشرة ذلك فنهضوا اليهِ جميعًا فجلسوا ياكلون من تلك المآكل الفاخرة وكان فرخوزاد ورفيقهُ من مضي ايام كثيرة لم يلتذا باكل ولا شرب فاكلا بشوق زائد وبعد فراغهما قاما مع تاج الملوك الى معاطاة الشراب وهم في غاية ما يكون من الامان والاطمئنان ينتظران الصباح وبعد ان جلسا اخذت تاج الملوك في ان تعاطيهما من تلك الخمرة المعتقة وتناشد خورشيد شاه الاشعار وهو تائه بحر من الغرام قادتهُ اليهِ وقائع الصدف وكلما نظر الى وجهها يشتد بهِ وجده ويتزايد حبهُ وينمو غرامهُ ويتمنى ان يبقى على تلك الحالة طول حياتهِ لو امكنهُ لان لا شيء الذ على العاشق الولهان من استماع الناظ من احبهُ وشكواه لهُ بانهُ مثلهُ هائم وانهُ يتمنى ما يتمناه ولا احب على قلبهِ من ان يرى محبوبهُ ساعٍ الى التقرب منهُ والاجتماع بهِ يسهل الطرق ويزيل المصاعب وكانت تاج الملوك مثلهُ ترى ما يراه وقد يسرها كلما راتهُ محدقاً بها متشوقاً اليها ملتذاً بحديثها مسروراً برؤيتها . وبعد ان صرفا نحو ساعتين تقريباً على تلك الحال لعب بهم النعاس وكان لم يبقَ للصباح الا نحو ساعتين ايضاً فناموا واقامت القهرمانة حارسة عليهم وقد رفعت ما على الموائد وانتظرت ذهاب الليل الى ان رحل وجاء نور صباح اليوم الثاني فاستيقظتهم من نومهم واعلمت لهم وصول النهار فهبوا وهم نشاوى من خمرة الليل فغسلوا وجوههم وجلسوا ريثما استراحوا ثم طلبوا ان تهيء لهما القهرمانة سلاحاً وجوادين وتحفظهما عندها ففعلت وطلبا من تاج الملوك ان تستدعي الامير بدر ليعلما ما يكون من امره فاجابت الى ذلك وارسلت احد خدمها ان يدعوه اليها ولم يكن الا القليل حتى حضر فشاهد عندها الاسيرين فاخذتهُ الدهشة

ولعب بهِ العجب الا انهُ صبر ليعلم ما يكون من امر تاج الملوك ويعرف باي طريقة تخلصا فسلم عليها وسالها عما تريد فقال لهُ فرخوزاد اعلم يا بدر اني انا فرخوزاد بن فيلزور البهلوان اعظم رجل في بلاد فارس بعد الملك ضاراب ورفيق فيروز شاه واعز الناس عنده وهذا خورشيدشاه ابن عم الملك ضاراب وسيد قوم وقائد جيش والذي تراه امامك ايضاً هو بهروز العيار الذي سعى في خلاصنا وان قلت كيف سعى اخبرك انهُ من حين خروجنا من اليمن اختلط بين الامراء كواحد منهم واقام معهم على حراستنا ولم يعرفهُ احد منهم الى ان وصل الى هذه الديار وخلا لهُ الجو فذبح الامراء عن اخرهم وخلصنا من ذلك الاسر وها اننا قد ملكنا سلاحنا وعادت الينا الحرية ولما اتينا الى هذه السيدة الكريمة قبلتنا بكل رغبة وطاوعتنا الى طلبنا ولذلك دعوناك الى ان نعرض عليك امراً فيهِ الخير لك وهو ان تقيم على طاعتنا وتنزل العلم اليمني عن اسوار المدينة وترفع العلم الفارسي فتنال منا الخير والهناء والا فاننا نحن وحدنا قادرون على استلام المدينة بالرغم عن كل ممانع ومدافع ولا يغرنك ما عندك من الجيش القليل فاننا بساعات قليلة نبيده واعلم ان الشاه سرور ما قدر على اسرنا الا ان اكمن لنا ونحن على غير انتباه مائة الف فارس وكان في وسعنا ان نلقاهم اياماً لو لم يقتل جوادانا فانظر الان في امر نفسك واجب الى ما نسالك فيهِ والا فاخلع نفسك فنقيم غيرك مكانك ولا تطمعك نفسك باتيان الشاه سرور وسيدك المنذر والجيش اليمني فانهم سياتون هذه الديار فارين من وجه الملك ضاراب واحوالهم غير منتظمة ولا بد ان يكون في اثرهم الملك ضاراب فاذا وصلوا الى هذه المدينة ووجدوها قد خالفت عليهم يسيرون في طريقهم ولا يلتفتون اليها خوفاً من ان تدركهم عساكر الفرس . فلما سمع الامير بدر هذا الكلام اطرق برهة الى الارض ثم قال الى فرخوزاد اني اجيبك الى ما تطلبهُ وها انا ذاهب لاتينك بمفاتيح البلد واحضر اليك ايضاً العلم اليمني تحرقهُ بالنار وتفعل بعد ذلك ما يخطر لك فكلنا تحت امرك . فشكره فرخوزاد وخرج من القصر وبعد خروجهِ قالت تاج الملوك اعلموا ان الامير بدر موصوف بالمكر والغدر فلا بد ان يذهب وياتي بالعسكر وفي نيتهِ ان يقبض عليكما ويردكما الى الاسر وهو محب لابي ويطمع نفسهُ فيَّ فلا يهون عليهِ ان يراني قريبة من خورشيد شاه فيجب ان تكونوا على استعداد لانرى بعد قليل ما يكون من امره . فقال بهروز اني ساذهب الى خارج القصر انتظر قدومهُ فاذا فعل كما اشار وشاهدتهُ اتى بمفاتيح المدينة والقلاع تركتهُ يدخل واذا شاهدتهُ قد عاد ومعهُ عسكر دخلت عليكما ونبهتكما تخرجان اليهِ قبل ان يقرب القصر ويمسك بابهُ قالوا احسنت يا بهروز ونظرت موضع النظر فاقام بهروز عند الباب وصبر نحو ساعة من الزمان واذا بالامير بدر قد عاد ومن خلفهِ العساكر والابطال لانهُ لما مضى من عند فرخوزاد كان قلبهُ مملوءاً من الحنق والغيظ وما وعد بالطاعة الا وفي نيتهِ ان يجمع العساكر ويرجع اليها فيعيدهما الى السجن ويمسك

تاج الملوك عنده الى ان ياتي ابوها فجمع اعيان المدينة واطلعهم على الواقع فمنهم من وافقهُ ومنهم من اشار عليهِ بقبول طلب فرخوزاد وقالوا لهُ ان البلاد الان خرجت من يد الشاه سرور ولا بد للملك ضاراب ان ياتي هذه البلاد فنكون في نعمة عظيمة فلم يطعهم بل ذهب الى القلاع واخذ من فيها من الرجال وامرهم ان يستعدوا للقتال وسار بهم على عجل وفي نيتهِ ان يقفل باب القصر ويبقى الجميع داخلهُ ويحاطهُ بالعسكر الى حين مجيء المنذر والشاه سرور وطيفور فيرون عياناً ما كان من خيانة تاج الملوك ويفعلون بعد ذلك ما يرومون في الاسيرين وقبل ان يصل من القصر شاهده عن بعد بهروز فاسرع واخبر فرخوزاد وخورشيد شاه فنهضا كالاسدين وقد طلب خورشيد شاه الى تاج الملوك ان تقف في نافذة القصر وتنظر الى قتالهِ وقد تصدع قلبهُ لما راها تذرف الدمع من عينيها وطمنها وطيب خاطرها وقال لها لا تخافي فسوف تشاهدين بعينيك صدق ما اقولهُ لك فليس في مدينة ابيك من يقدر ان يلقانا في حرب وقتال وكفانا فخراً ان يقال اننا من رجال فارس واننا ننتسب الى فيروز شاه عروس الميدان وسيد فرسان هذا الزمان . ثم انحدرا الى الخارج فوجدا الامير بدر قد وصل الى قرب القصر ومن خلفهِ العساكر والابطال وقد قوموا الرماح واندفقوا من كل ناح وفي الحال صاح خورشيد شاه وحمل وهو كالليث الكاسر وكذلك فرخوزاد اطلق لجوادهِ العنان وخاض ذاك البحر المتلاطم بامواج الفرسان . فابلاهم بالذل والهوان . وانزل عليهم سهام البلايا . وقدمهم لافرند سيفهِ ضحايا . ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال . ميلان اسود الدحال . واما خورشيد شاه فانهُ نظر الى تاج الملوك وهي في نافذة القصر مصفرة الوجه باكية العين فاشتدت قواه وطلب ان ينقلها من تلك الحالة الى حالة فرح ومسرة ويغير عنها حزنها عليهِ بسرورها منهُ فجود الطعن في صدور الرجال . واكثر الضرب في رؤوس الابطال . وكان كانهُ الباشق وهم من امامهِ كالحجال . فما حمل على فيئة الا ومالت بين يديهِ . وقصدت الاختفاء عن عينيهِ . ولا زال القتال يعمل . والدماء تبذل . والرجال تقتل . وسلطان الموت يفعل . حتى قل عدد الاعداء . واغتالتهم المنية . وحكم فيهم حاكم البلاء فانفذ فيهم نافذات الرذية . فتاخروا الى الوراء طمعاً بالخلاص . ورجاء ان يجدوا الى طريق السلامة من مناص ولما راى الامير بدر الى تلك الحال . وشاهد ما حل بعساكره من الوبال . صاح فيها ليثبتها في القتال . وفاجأ خورشيد شاه . وفي نيتهِ ان يعدمهُ الحياه . وقد كدره ما راه من ان تاج الملوك تنظر اليهِ في النافذة وتصيح فرحة من عملهِ وذلك انها في بداية القتال كانت خائفة كل الخوف على حبيبها لانها كانت تتردد في نجاحهِ ونجاح رفيقهِ وفكرت انهما وان كانا من الفرسان المعدودين الا انهُ لا يترجح ان اثنين غريبين يقويان على الف فارس في بلادهم وربما قامت الاهالي معاً ولذلك كانت باكية نائحة الا انها لما شاهدت فعلهما سرها غاية السرور فاتسع صدرها من الفرح وكانت عيناها لا تفارق خورشيد

شاه كيف مال وهي ترى الى ضرباتهِ تخرق صدور الرجال فتمددها الى الارض وعجبت منهُ ومن عملهِ واخذت تصيح داعية لهُ بالنصر والفوز وهي تقول لهُ لا شلت يداك يافارس المعارك وليث المعامع فبمثلك تكون الفرسان والا فلا وبمثلك تفتخر تاج الملوك بين ربات الخدور فبلغك الله مناك ونصرك على اعداك ولا كان من يطلب اذاك ولا يرضى برضاك . قال وكان كلما سمع منها مثل هذا الكلام . يزيد بالبسالة والاقدام . ويهجم كاسود الاجام . الى ان التقى بالامير بدر وقد رمي بنفسهِ الى قتالهِ طمعًا بالفوز عليهِ . وايصال الاذية اليهِ . وليذل تاج الملوك ويريها ما يحل بحبيبها . الا انهُ ما جال معهُ جولة واحدة حتى صاح فيهِ فخبلهُ وامتطى سيفهُ وضربهُ بهِ ضربة قوية . وقال بملء صوتهِ انظري يا تاج الملوك . ما حل بهذا الصعلوك . فقد جاء يوم اجلهِ . وآن اوان مرتحلهِ . وارسل بالسيف يهوي فوقع على قمة راسهِ فشقهُ الى تكة لباسهِ وانطرح الى الارض قتيلاً . وبدمهِ جديلاً . فزغرطت لهُ تاج الملوك وكادت ترمي بنفسها عليهِ من فرحها بهِ واما رجال بدر فشاهدوا ما حل بهِ وكيف وقع قتيلاً الى الارض فصاحوا وطلبوا الامان ورموا بانفسهم الى الارض وتركوا سلاحهم وتقدموا صاغرين ونادوا باسم الملك ضاراب وفيروز شاه فلما سمع فرخوزاد نداهم كف عنهم وقال لهم هيا اسرعوا امامي الى جهة ابواب المدينة فاقفلوها وسلمونا المفاتيح وبعد ذلك ننظر بامركم فساروا امامها الى الابواب فقفلها فرخوزاد بيده واخذ المفاتيح وعاد الى قصر تاج الملوك فدخلهُ مع خورشيد شاه بعد ان اقاما بهروزًا على الباب كالحارس ودخلا على تاج الملوك فتلقتهما بالاكرام واظهرت لهما مزيد فرحها ومن ثم سالاها عما اذا كانت تريد ان نقيم على المدينة حاكمًا خلاف الامير بدر لانهما لا يعرفان احدًا ولا يستخلصان احدًا فقالت لا بد من ذلك واني امينة من وكيل اشغالي ومدبر قصري ناصر الطائني وفيهِ الكفاءة لان يحامي على الاسوار الى ان ياتينا الملك ضاراب

وفي الحال دعت بناصر مدبر القصر وقالت لهُ اني لما كنت امينة منك مسرورة من اعمالك السالفة وقد خدمتني بكل جد واجتهاد عن صدق نية وصفاء باطن وكان من الواجب ان اكافيك على سابق خدمتك الصادقة قصدت ان اقيمك حاكمًا على المدينة متصرفًا بامرها ومتى جاء الملك ضاراب طلبنا اليهِ ان يقرك على حكمك هذا فتصبح من الامراء الذين يحق لهم التعظم والاكرام فاختر لنفسك قوادًا ومدبرين واقم على الاسوار حتى اذا جاء الشاه سرور وطيفور واني اخبرتهم بواقعة الحال فاذا قصدوا الدخول جبرًا مانعت حق الممانعة ودافعت حق الدفاع الى ان يجيء الملك ضاراب لانهُ لا بد ان يكون في اثرهم وعدا ذلك فان الشاه سرور اذا قصد حصار المدينة بعثنا برسول الى بلاد اليمن واعلمنا الملك ضاراب فيبعث الينا بالعساكر والفرسان وعلى كل حال فان امورنا مائلة الى النجاح واياك من المخالفة فان ابي اذا دخل المدينة ووافقتهُ انت بنزع عنك

هذه المامورية وربما اذلك وقهرك فلا تضيع عنك هذه الفرصة وتخسر سعادة بعثها اليك الله سبحانهُ وتعالى . فلم يصدق ناصر هذا الكلام وقال لها اصحيح ما تقولين قالت بدون ريب وها فرخوزاد وخورشيد شاه قد اقاماك ايضًا واعهدا اليك بالولاية وسالاني ان ابلغك ذلك فقال لهُ فرخوزاد سر من هذه الساعة ولا تتهامل بامر المدينة وخذ بتدبير امرك وتمم عملك بهذا اليوم لان الشاه سرور قريبًا يكون هنا واياك من الجبن والخوف فانك قد رايت منا ما رايت واننا بحولهِ تعالى انا وخورشيد شاه قادران على ان نحارب جيش اليمن اشهرًا واياماً الى ان ياتينا الفرج وتصل الينا عساكرنا ورجالنا . قال سوف ترى ما يسرك فاني سافدي بنفسي في سبيل خدمتك وفي تلك الساعة وصل جماعة من اعيان المدينة الى قصر تاج الملوك واستاذنوا بالدخول عليها وعلى فرخوزاد فاذنت لهم فدخلوا وطلبوا الامان على انفسهم واموالهم فقال لهم فرخوزاد لا خوف عليكم وانتم تعلمون عدل الملك ضاراب وحبهُ لرعيتهِ ولا يخفاكم ان الشاه سرور بعثنا اسارى الى هذه المدينة وفي نيتهِ ان يتبعنا فارًا من وجه ملكنا ورجالنا وبعد هربهِ هذا تصبح البلاد بيدنا ولا بد ان يكون الان آتيًا على الطريق وقد ترك بلاده فاستولى عليها الملك ضاراب . وعلى كلٍّ فانتم اصبحتم من اتباعهِ لان الطائف على الدوام تتبع لتعزاء اليمن فمن ملك تلك ملك هذه . قالوا اننا نعلم ذلك ولاجلهِ جئنا اليكم مستجيرين مظهرين طاعتنا وانقيادنا اليكم ونعلم ان الملك ضاراب هو الان ملك البلاد وسيدها ثم قال لهم ان جل ما نطلبهُ منكم ان تبقوا على اعمالكم واشغالكم وقد اقامت السيدة تاج الملوك عليكم حاكمًا ناصرًا الطائفي فوافقناها على ذلك ونريد ان تطيعوه وتنقادوا اليهِ كطاعتكم للمنذر فاجابوا بالسمع والطاعة . وبعد ذلك خرجوا مسرورين وشاع في المدينة تعيين ناصر وانهُ اصبح صاحب الامر والنهي وان ولايتهُ من قبل الملك ضاراب فما منهم من كره ذلك بل سر بهِ الجميع طمعًا بالامن والراحة وقد ثبت لديهم ان لا رجاء بعد بالشاه سرور . واما فرخوزاد فانهُ ذهب الى الاسوار فتفقدها ونظر الى من عليها واخذ العهد على الجميع واوصى ناصرًا بالانتباه والتيقظ وان يخبر الشاه سرور والمنذر بان المدينة بيده وبيد خورشيد شاه وان جميع من فيها طائعون لاوامر الملك ضاراب ورجع الى قصر تاج الملوك فوجدها جالسة مع خورشيد شاه يتشاكيان لوعة الغرام ويعدان انفسهما بمستقبل حسن ويشكران الله على هذا التوفيق الذي حصل ويمدحان من حوادث الزمان كيف اوصلتهما الى بعضهما على غير ميعاد فانتجت بعد العذاب هناء واستخرجت من التعب راحة ومن الشقاء حياة وكانت القهرمانة قد احمت حمام القصر ودعت فرخوزاد وخورشيد شاه للاستحمام والاغتسال من اقذار الدم الذي لحق بهما من جرى القتال فاستحم كلٌّ منهما بدوره ونزعا عنهما ثيابهما وجاءتهما بثياب نظيفة وقد اجهدت نفسها في مرضاتهما املًا بما وعدتها بهِ تاج الملوك من سعادة الاستقبال وحبًا بسيدتها وبعد ذلك جلس كل منهما في غرفة تاج الملوك فاتتهم

بالطعام الذي كانت قد هيأته وهو مختلف الالوان فاكلوا وهم آمنون من حوادث الدهر وغدره لان المفاتيح كانت معهم وبهروز سهران على راحتهم ولم يعد في المدينة من يعصاهم او يخالف لهم قولاً وبعد ان نهضوا عن مائدة الطعام احضروا بواطي المدام وجلس كل الى ناحية فاخذت تاج الملوك قدحًا من زجاجة مملوءة من الخمر الجيدة المعتقة اللذيذة الصافية اللون الموصوفة بما ياتي

راحٌ اذا ما الراح كنَّ مطيها ... كانت مطايا الشوق في الاحشاء
عنبية ذهبية سبكت لها ... ذهب المعاني صاغة الشعراء
صعبت وراض المزج سيئ خلقها ... فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها ... كتلاعب الافعال بالاسماء
وضعيفةٍ فاذا اصابت فرصة ... قتلت كذلك قدرة الضعفاء
جهيمة الاوصاف الاَّ انهم ... قد لقبوها جوهر الاشياء
وكانَ بهجتها وبهجة كاسها ... نارٌ ونورٌ قيدا بوعاء
اودرَّة بيضاء بكر اطبقت ... حملاً على ياقوتةٍ حمراء
يخفي الزجاجة لونها فكانها ... في الكف قائمة بغير وعاء
ولها نسيم كالرياض تنفست ... في اوجه الارواح بالانداء

وناولته الى خورشيد شاه وسالته ان ينشدها شيئًا من الشعر فاخذه من يدها وانشد

بروحي ساقٍ قد جلى تحت فرعهِ ... جبينًا كبدر التم عند شروقهِ
سقاني بنجلاويهِ كاسًا من الهوى ... فاسكر في اضعاف سكر رحيقهِ
وقال اخترع بكر المعاني تغزلاً ... فلي منظر يهديك نحو طريقهِ
فوجهي مثل الروض ان باكر الحيا ... جني اقاحيهِ وغض شقيقهِ
وان اشبه التفاح خدي حمرةً ... فلي نونة تحكي مناط عروقهِ

وبعد ان انشدها الشعر شرب بصحتها ثم سكب في القدح خمرًا واعطاها اياه وسالها ايضًا ان تنشده ما يخطر في بالها فاجابته بكل قبول واخذت الكاس من يده بقلب مملوء من الفرح وانشدت

قدم الراح يانديمي لعلي ... اعقر الهمَّ ان شربت العقارا
واجلُ كاساتها عليَّ وزمزم ... باسم من صيَّر العقول حيارى
قهوة مثل دمعة العين في الكا ... س صفاء فالليل زاد اعتكارا
وادرها اذا النجوم تجلت ... وشهدنا من زهرها الانوارا

وكان السماء روضة حسن ... اطلعت في مقامنا ازهارا
والثريا كانها في الدجى غيد ... تلففن بالشعور عذارى
وكان الهلال يحكي وقد راح ... من الغرب زورقًا او سوارا
فاسقني من يديك حتى ترى الفجر ... عن الصبح قد اماط الازارا
وصل الليل بالنهار فان الـ ... ـعيش اهناه ما يكون جهارا
فاترع الكاس لاعدمتك صرفًا ... فعلى الصرف نصرف الاعمارا

فطرب خورشيد شاه وفرخوزاد لانشادها وسرا لفصاحة كلامها وطلاقة لسانها واقاموا على تلك الحال بقية ذلك النهار وطول ذلك الليل وهم لا يعون الى شيء وقد لعبت بهم الخمرة ودارت فيهم وتلاعبت واي تلاعب ولا زالوا الى ان غابوا عن الهدى ولعب بهم النعاس فناموا في مجالسهم ولم يتمكنوا من القيام الى ان اشرق صباح اليوم التالي

قال فهذا ما كان منهم واما ما كان من الشاه سرور فانه سار مجدًا في طريقه وهو بين حالة فرح وحزن فالاول من جرى تخلصه من حرب الاعجام و بعده عنهم ومسيره الى قوم كان يتصور في ذهنه بما زرعه طيفور في عقله انهم يعظمونه ويجلونه ويقدرونه حق قدره ويحمونه من كل عدو الد لان ملكهم اشد ملوك الارض باسًا واكرمهم اصلاً واوسعهم ملكًا واكثرهم جيشًا وفرسانًا . والثاني من جرى بعده عن وطنه وتركه ملكه و بلاده التي صرف فيها عمرًا طويلا وهو على غاية ما يكون من الراحة والعظمة نافذ الكلمة واسع السلطان مرهوب الجانب بين ملوك الارض اجمع و بين امرائه ووزرائه ودام في مسيره الى ان قرب من مدينة الطائف وكان ثابت في فكره ان فرخوزاد وخورشيد شاه اسيران فيها وقد صمم النية ان يبات يومًا في المدينة فياخذهما في طريقه ويرحل في الصباح على عجل لانه كان يخاف من ان يخطر للملك ضاراب ان يتاثره فيوقع به وهو على الطريق قبل ان يصل الى مصر ولذلك كان يسرع في المسير . ولما تبين الطائف عن بعد دعا اليه المنذر وقال له ها قد اقبلنا الى مدينتك وليس في نيتي ان ابقى فيها اكثر من هذه الليلة فقط فاذهب امامنا اليها وهيء لنا مكانًا نبيت فيه هذه الليلة واخرج لنا المؤن الموجودة فيها لنصحبها معنا في هذه السفرة لاننا في احتياج الى كثرة المؤن قيامًا باود العسكر واخرج فرخوزاد وخورشيد شاه ليكونا بين الجيش فاننا الان في امان من عياري العجم ولا خوف من افلاتهما من ايدينا . قال على الرحب والسعة وانطلق الى جهة المدينة مسرعا امام الشاه سرور وقبل ان يدنو من الاسوار تبين عليها راية فارسية وذلك ان فرخوزاد قد خاط راية بلاده ورفعها على الاسوار املاً ان يراها المنذر والاتون معه فيعلمون ان المدينة خرجت منهم ودخلت في طاعة عدوهم و بينما كان فرخوزاد في القصر عند تاج الملوك جاءه بهروز واخبره بقدوم عساكر اليمن فسار الى ان دخل الحصون وشدد

عليها الحصار واوصى من فيها ان يكون على استعداد وتهددهم بعدم التراخي وشد ايضًا على الامير ناصر وهو الحاكم الجديد الذي قاموه من قبلهم . وفي تلك الساعة قرب المنذر من الاسوار وشاهد العلم عليها فاخذه العجب واحتار من هذا الامر ودنا شيئًا فشيئًا الى ان صار تحتها فوجد الرجال وقد اقاموا عليها مسلحون مهيأ ون مستعدون فزاد قلقة ودنا من الابواب فوجدها مقفلة فرجع الى تحت الاسوار ونادى من عليها ان يفتحوا الابواب فقالوا له لم يعد في الامكان لان المدينة الان هي في حوزة فرخوزاد وخورشيد شاه لانهما تخلصوا من القيود واستوليا عليها بالسيف بعد ان قتلا الامير بدر الطائفي . فقال لهم وكيف تخلصا وماذا جرى على الامراء اليمنيين الذين كانوا على حراستهم قالوا قد قتلوا جميعهم الا واحدًا منهم كان من بينهم كحارس وهو بهروز العيار وانما جل ما نعرفه الان انهم متفقون مع بنتك تاج الملوك قائمون عندها في القصر ياكلون الماكل الطيبة ويشربون الخمور المعتقة وهي التي خلصت الاسيرين مع بهروز العيار . قال ولما لا يمكن فتح الباب وهل انتم متفقون معهم قالوا ان مفاتيح البلد بيد فرخوزاد وهو الان دائر فوق الاسوار يتفقدها وقد تولى بنفسه امر المحافظة عليها وكلنا نخافه وليس فينا من يعصى له امرًا وقد تهددنا مع بنتك اننا اذا قصرنا في الدفاع عن المدينة اهلكونا وعاملونا بالقساوة ولذلك عاهدناهم اذا طلبتم الدخول عنوة ان نمنعكم وليس لنا الا ان نقوم بهذا التعهد ونفي بقولنا خوفًا على حياتنا ولا سيما على ما نظن انهم قد بعثوا خبرًا الى الملك ضاراب يعلمونه بما كان من حالة المدينة ولا ريب انه يبعث بالعساكر اليها وهذا ايضًا مما يزيدنا خوفًا . قال وهل في نيتكم ان ترمونا بنبالكم اذا قصدنا مهاجمة المدينة قالوا سترى منا ذلك دون شك فاذا لم ترجع الان رميناك بالنبال وابعدناك بالرغم والا هلكنا عن اخرنا ولحق بنا ما لحق بالامير بدر وكيلك على المدينة

فلما سمع المنذر هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وكادت ان تنفطر مرارته وعض على زنوده من الاسف والغيظ وتمنى ان يكون قد قتل ولا لحق به كل ما سمعه واكثر غيظه كان من بنته تاج الملوك كيف انها خائنة وسعت في خلاص اعداء بلاده وانقتهم على ابيها وكل ذلك لاجل محبتها لهم وتعلقها بهم وتمنى ان يكون واصلا اليها لينتقم منها ويشرب جرعة من دمها وقد سقطت من قلبه وقلبت محبتها الى بغض وانتقام . ثم عاد راجعًا الى ان التقى بالشاه سرور فقال له قد حبطت مساعينا وخسرنا خسارة كبرى . قال اني ارى على اسوارك راية فارسية فما الداعي لذلك وماذا جرى في غيابك قال ان بنتي خانت وعابت عليَّ واتفقت مع خورشيد شاه وفرخوزاد وبهروز العيار الذي صحب الامراء من نعزاء اليمن وهو بينهم بصفة امير لا يعلمون به وقد اقام على الحراسة مثلهم الى ان دخلوا المدينة وبالاتفاق مع بنتي تخلصا وحاربا بدر الطائفي وكيلي على البلد فقتلوه وبددوا الجيش واختاروا غيره واقاموا حاكمًا اخر وهو وكيل اشغال بنتي الخائنة

واستلموا الحصون واخذوا مفاتيح المدينة و بعثوا بالاخبار الى الملك ضاراب وقد عرفت منهم انهم مستعدون على الدفاع وعاهدهم الاهالي باجمعهم وانقادوا اليهم . فلما سمع الشاه سرور ذلك كادت تنفطر مرارتهُ وتكدر غاية الكدر ومثلهُ طيفور لانهُ كان يود ان يبقى فرخوزاد اسيرًا كيدًا لابيهِ وقهرًا لهُ وقال للمنذر ان كل هذه المصائب وصلت الينا بسبب البنات والزواج فما من بنت من بناتنا الا وتميل لرجال الفرس وتتمناهم فكلهنَّ خائنات خادعات وحيث الان قد حاصرت المدينة فلنسر في طريقنا ولا نعرج الى المدينة ولا نطمع في حصارها خوفًا من ان يعوقنا ذلك فيلقينا في المهالك ويمنع عنا اتمام المسعى الاخذون الان بصدده فلنبقَ في طريقنا الى ان نصل الى مصر ونجتمع بالوليد وهناك نرتاح بالنا ويهدأ روعنا ونأمن من كيد عدونا و بطشهِ . فاجابهُ الجميع الى طلبهِ وداموا في مسيرهم على طريق مصر وهم في غيظ وكدر من عظم ما سمعوه وشاهدوه في الطائف ولا زالوا حتى بعدوا وغابوا . وقد شاهد فرخوزاد مسيرهم فعلم انهم قد خافوا من انهم اذا حاصروا البلد يتعوقون عن المسير على انهم هم سائرون هربًا من وجه الملك ضاراب فلا يمكنهم ان يقاتلوا او يتاخروا عن السرعة والعجلة حبًا بالوصول الى محط وصال امالهم وذلك طمعًا بالامان والراحة واذ ذاك رجع الى القصر واعلم تاج الملوك بما كان من امر ابيها والشاه سرور ففرحت غاية الفرح وزال ما بقلبها من الهموم والاتراح ولم يعد امام عينيها من مكدر يكدرها ونظرت الى مستقبل حياتها بعين الفرح والسعادة وقالت في نفسها قد زالت الاسباب التي كانت تخيفني وها ان ابي قد بعد عني والشاه سرور ترك حصار المدينة ولم يعد يلتفت اليها قط وقد ابقاها لاعدائهِ وها ان حبيبي في يدي والى جنبي ولم آكن اعهد ان الايام تخدمني وتصفو لي الى هذا الحد ويهنأ لي العيش باطيب هناء

و بعد ذلك كتب فرخوزاد كتابًا الى الملك ضاراب وابيهِ يعلمهما بكل ما كان من امرهما الى ان اعلمها بقدوم عساكر اليمن ورحيلها عن المدينة وقال لهما في اخر الكلام وها نحن الان بانتظاركم في الطائف الى ان تمروا علينا اذا كنتم تقصدون مصر والا اذا شئتم اتيناكم على جناح الاستعجال واننا مقيمون عند تاج الملك براحة وهناء وقد نشرنا على اسوار المدينة الراية الفارسية ليعلم الجميع انها تحت حمايتكم واننا نشكر بهروز الذي خلصنا بمساعدة تاج الملوك . ولما وصل هذا التحرير الى الملك ضاراب فرح غاية الفرح وكذلك فيلزور و بقية الفرسان ولاسيا فيروزشاه لانهُ كان يزيد كدر من اجلهِ وللحال بعث الملك ضاراب بتحرير يامرهما بهِ ان يبقيا في الطائف الى حين وصولهما لان في عزمهما المسير الى مصر ولم يعقهم الا وصول مصفرشاه وكرمان شاه ولهذا اقام فرخوزاد وخورشيد شاه في الطائف على حالتهما الاولى بين الكاس والطاس والراحة والسرور

واما الشاه سرور فانهُ لازال مجدًا في مسيره عدة ايام الى ان قرب من مصر ودنا من مدينة

الوليد فبعث اليهِ باخبار قدومهِ وانهُ اتٍ بجيشهِ وفرسانهِ مع الامير خطير فسار الى ان وقف بين يدي الوليد فبلغهُ رسالة مولاه واعلمهُ انهُ قرب من المدينة وكان الوليد بانتظاره يوماً بعد يوم لينهي امر الزفاف و يعلم ما يكون من جوابهِ و يتحقق ماذا كان من الملك ضاراب وهل في نيتهِ ان يقصد مصر ام لا . فلما علم بقدومهِ فرح غاية الفرح وامر بيداندبش الوزير ان ينهض الى ملاقاتهِ بجموع العساكر وان يكون نزولهُ الى المدينة باحتفال عظيم فاجاب طلبهُ وامر ان تخرج الجموع افواجاً ونادى المنادي في المدينة ان الشاه سرور قد قدم وعزم الملك على الخروج فمن منكم كان يرغب في ارضاء الملك فليخرج الى ملاقات القادمين ولم يكن الا القليل حتى خرجت المدينة باجمعها وكلهم بالملابس المزينة و بالاغاني المصرية وخرج الوليد وابنهُ ووزيره وسائر امرائهُ وخرج الشاه حارث والشاه اسد لملاقاة ابيهما و بعد ساعات قليلة اجتمع القومان ببعضهما والتقى الوليد بالشاه سرور فترجلا وصافحا بعضهما مصافحة الاخاء وامر الوليد ابنهُ الشاه صالح ان يقبل يد الشاه سرور ففعل دون ان يبدي كلمة او يظهر مسرة و بعد ذلك تقدمت الاعيان وسلمت عليهِ وعلى طيفور وزيره الذي لهُ موقع كبير عند الوليد لانهُ كان يعلم انهُ السبب الوحيد في ايصال عين الحياة اليهِ ولولاه لما خلصت من فيروزشاه فاظهر لهُ مزيد الترحاب والاكرام و بعد ذلك تقدم خطير وحث التراب على راسهِ وبكى اخاه ولطم وجههُ واظهر الاسف والكدر فتاثر الوليد من عملهِ وبكى على خاطر ووعد خطيراً باخذ ثاره وطيب خاطره وانعم عليهِ . و بعد ذاك كر الجميع راجعون والشاه سرور الى جانب الوليد وطيفور الى جانب بيداندبش وكل واحد يتكلم مع رفيقهِ و يستفسر منهُ عن الحرب وما كان منها وكيف قدر الاعجام ان يسطو عليهم و يتغلبوا على بلادهم الى ان دخلوا المدينة وتخللوا اسواقها ثم اتوا دار الحكومة واقاموا فيها لقبول التهاني كل ذلك النهار وفي المساء ذهب الشاه سرور مع وزيره الى قصر اعد لاقامتهما فدخلاه ونزعا ما عليهما من ثياب السفر وسدا رمقهما بالطعام الذي هيأتهُ الخدم ومن ثم قال الشاه سرور الى وزيره طيفور اني مسرور غاية السرور من الوليد وحبهِ لنا الا اني غير مسرور من ابنهِ لانهُ لا يليق ان يكون زوجاً لبنتي ومن الصعب ان تجيب الى طلبهِ لانها بعد ان شاهدت فيروزشاه وعلقت بحبهِ وعرفت مقدار شجاعتهِ الوحيدة وفصاحتهِ وجمالهِ النادري المثال لا يمكن ان توافق على الزواج بالشاه صالح لانهُ بليد الطباع ابكم جبان شنيع المنظر وقد نفر قلبي منهُ غاية النفور فاظهر طيفور تالمهُ من كلام سيده وقال لهُ لا يليق بك الى هذا الحد ان تكون ضعيف الراي والعزيمة قليل التدبير اهل نحن تحت خاطر بنتك فانت ابوها ووليها فمن رضيتهُ انت تجبر على مراضاتهِ ومن التوفيق العجيب ان يكون ابن الوليد على هذه الصورة لان بعد ابيهِ لا يحسن التملك فتكون هي السيدة صاحبة النهي والامر و يكون اذ ذاك لنا اعظم نفوذ في هذه البلاد على انها لو تزوجت واخذت فيروزشاه فماذا يا ترى يكون لنا من النفع غير انها تذهب

معهُ الى بلاده ولانعود نراها فيما بعد واما الان فاننا نحن اصحاب مصر وحكامها والوليد مسن وقد يمكن ان يتنازل عن الملك في حال حياتهِ فندبر نحن امر ولده ولا ريب مهما قلنا لهُ يفعل حتى لو سالناه ان يقرن بلاده ببلادنا لما امتنع ولا يعرف ان يمتنع وبدون شك يكون كاكرة في يد بنتك تتلاعب فيهِ كيف شاءت او ارادت فدخل كلامهُ هذا في ذهن الشاه سرور وراه عين الصواب وقال لهُ اني كنت غافل عن هذا الامر فبالحقيقة ان الشاه صالح اوفق من ابن الملك ضاراب الذي رغب في ان يقتنص بنتي اقتناص الطيور بالرغم عني وعن رجال مملكتي

ثم انهما باتا تلك الليلة وهما من الجهل في فرح عظيم لا يعلمان الا الحالة الحاضرة الواقعين فيها وقد سرها جدًّا معاملة الوليد لها بالاكرام والتعظيم وقد اتفق ايضًا ان لا يوافقان الوليد على زفاف عين الحياة قبل نهاية الحرب وقهر الملك ضاراب وقتل فيروزشاه والا فيكونان قد قدما بنتهما ضحية لشناعة ابن الوليد الى ان يُبد فعاعداوة عدوهما ويقهراه . وفي الصباح نهضا من منامهما وخرجا الى مجلس الوليد فوجداه محتفًا بوزرائهِ ورجالهِ الاعيان وكلهم يفحصون عما اذا كان الايرانيون ياتون بلادهم ام لا فلما دخلا ترحبوا بهما واجلسوهما في مكانهما وسالهما الوليد اذا كانا يؤكدان مجيء الملك ضاراب الى مصر او تبين لهما انهُ سيعود الى بلاده واذ ذاك نهض الوزير طيفور وتكلم امام الحضور فقال . لا خفي عليكم ان فيروزشاه ابن الملك ضاراب قد علق بحب عين الحياة على السماع فطرق بلادنا وحده لاجل هذه الغاية وكاد يفوز بنوال مراده من جهة ابيها لانهُ ساعده بحروبهِ وقهر لهُ عدوه ورفع عنهُ اضرارًا عظيمة الا انهُ لم يصبر على نفسهِ الى ان يطلبها من ابيها او يسال اباه ان يخطبها لهُ من ابيها كعادة ابناء الملوك بل تسلق السطوح وقصد الدخول الى قصرها ولا نعلم ما كان في نيتهِ الا ان الصدف لم تخدمهُ فمسكناه وقد اثر فينا عملهُ غاية التاثير وقصدنا الانتقام ولم نكن نعرفهُ اذ ذاك انهُ من سلالة ملكية بل كان يدعي انهُ مملوك اشتراه احد رجالنا من بلاد اليونان ولما عرفناه ابقينا عليها صيانة للشرف الملكي ولم نرد ان نسفك دمهُ في بلادنا و ياليتنا كنا قتلناه لكان سهل علينا من بعده كل صعب ثم سلمناه الى الزنوج اسيرًا فتخلص منهم وقتل ملكهم واستأسرهم جميعًا فاطاعوه طاعة عمياء وعبدوه عبادة الالهة وجاءوا معهُ الى بلادنا وكان ابوه قد قصدنا طمعًا بخلاص ولده وتزوجهِ من عين الحياة وهو وحيده وليس لهُ سواه و بعد ان استظهر علينا واخذ بلادنا لا يقبل على نفسهِ ان يرجع بالخيبة ويتخلى عن ولده فيروزشاه ولا ريب ان ولده سيصر على الاتيان الى مصر ولا يرعوي عن عزمهِ ولا يترك غيره ان يصل الى عين الحياة وسيصير في اثرها اينما اخذت و يتتبعها اينما ابعدت وعما قليل ترونهُ وقد غشي بجيشهِ هذه الديار وفي نيتهِ ان ياخذ عين الحياة ويحرمها للشاه صالح ومن المقرر انهُ ينتقم منهُ ومن ابيها ومن كل من يرغب في ابعاده عنها ولذلك ارى من المقتضى ان نكون على اهبة القتال وان لا نتهامل بامر رجال ايران فانهم

جميعًا فرسان وابطال وما فيهم الا من يلقى الالف والالفين وحده الا فيروز شاه فانهُ يخاطر بنفسهِ كثيرًا وهو قادر ان يقهر جيشًا كبيرًا برمتهِ والحق يقال انهُ بطل هذا الزمان وسيد فرسانهِ فحملاتهُ لا تدفع ولا ترد فاذا ضرب حصنًا دكهُ او جبلاً اما لهُ وقد ثبت لدى جميع من شاهد قتالهُ انه لا يغلب وان لا يمكن ان ياتي الزمان بمثلهِ . وكان قصد طيفور بهذا الكلام ان يهيج غضب الوليد على فيروز شاه وينوي من كل نيته على هلاكهِ وان ياخذ منهُ حذره فيستدعي بفرسان بلادهِ وابطالها . فلما سمع الوليد هذا الكلام قال اذن لا بد من اتيان الملك ضاراب . قال نعم فانهُ سيخاطر بنفسهِ وياتي الى هذه البلاد وهو متكل على كثرة عساكرهِ وفرسانهِ وبالاكثر على ولده وعلى فيلزوس حامي بلاده الذي قتل خطيرًا واحرق قلب اخيهِ واولاده عليهِ

فقال الوليد اني ازمعت على ان ابعث بالكتب لعمالي وامرهم ان ياتوا الينا بالرجال والابطال حتى اذا جاء الملك ضاراب يرانا على استعداد لهُ فنبدء بالقتال معهُ ونعيده على اعقابهِ مقهورًا ذليلاً بعد قتل فرسانهِ واحراق كبده على ولده الذي يجهد نفسهُ بزفهِ على بنت الشاه سرور وهي مخطوبة من ولدي وقد انعم لي اباها بها . ثم انهُ امر وزيره ان يبعث بالكتب الى بر الصعيد والى الاسكندرية والقدس والشام وانطاكية وحلب وكل تلك النواحي باجمعها ويطلب اليهم ان يسرعوا اليهِ بالعدد والعدد ويخبرهم بانهُ يستعد لقتال الملك ضاراب وابنهِ فيروز شاه اذ بلغهُ انهُ آتٍ الى بلاده وبعث بالكتب مع الرسل العيارين وامرهم بالسرعة وان يعودوا اليهِ على عجل وتفرقوا في جهات المملكة فسر طيفور عند نجاح مسعاه وهنأ الشاه سرور بقريب النجاح والظفر وشكروا الوليد على اهتمامهِ بهم ومدافعتهِ عنهم واقاموا نحوًا من اسبوع حتى استراحوا واطمأنوا وقد صرفوا اوقاتهم بين افراح وولائم الى ان كان بعد الاسبوع بيوم اجتمع الوليد بوزيره بيداندیش وقال لهُ ها قد مضى اكثر من ثمانية ايام على قيام اليمنيين عندنا ونحن لم نبدِ حركة تتعلق بزواج ولدي ولا ريب انهُ يتقلب من هواه على نيران الهجر والقلا وهو لا يعرف ماذا يفعل وليس لهُ نصير ينصره غيري واحب ان اسال الشاه سرور بحضور ولدي ان يهتم بامر الزفاف فان انعم ووافق كان خيرًا واقمنا ولائم الزفاف في الحال وان امتنع الان عن الاجابة فاسالهُ ان يعدني وعدًا صادقًا ويشهد عليهِ انهُ خطبها من ابني وانهُ يزفها عليهِ عند رواق باله واضمحلال مخاوفهِ . قال بيداندیش اني سائل في الغد منهُ واطلب اليهِ ان يجيب على سوالنا واسال الله ان يكون ما بهِ الخير والصالح فسر الوليد من كلامهِ وصبر الى الصباح وهو يريد من كل قلبهِ ان امكن اجراء الزفاف بالسرعة الممكنة

وفي اليوم التالي جلس الوليد على كرسي عرشهِ واحتاط بهِ جماعة الوزراء والاعيان والامراء واذا بالشاه سرور قد جاء واخذ مكانهُ مع وزيره طيفور ودار بينهم الكلام بخصوص ما كان من

امر الملك ضاراب وما جرى لهم معهُ وانتقلوا الى حديث طومار وكيف ان فيروزشاه قتلهُ بضربة واحدة نزلت عليهِ كالصاعقة وقد طال بينهم الحديث في هذا المعنى واذا بالوزير قد استصغى الجميع فاصغوا اليهِ ثم قال وقد التفت الى الشاه اعلم ايها الملك المعظم والسيد المفخم صاحب البند والعلم انهُ ما كان سبب مجيئك الى بلادنا وقدومك علينا الا لتبعد بنتك عين الحياة عن من ابغضته وما رغبت فيهِ وهو فيروزشاه الفارسي ورغبة منك فينا وفي زواج بنتك بابن ملكنا الوليد وحيث الان قد راق لنا الوقت ولم نعد نرى من مانع يمنع ذلك اريد ان اسالك الانجاز بما رغبت فيهِ ووعدتنا باجرائهِ وما ذلك الا طمعًا بان يتصل نسبنا بنسبكم العالي ويختلط حسبنا بحسبكم فنصبح يدًا واحدة ونتساعد في السراء والضراء لان هكذا شرط الانسباء ولا اظنك ترى عذرًا تعتذر بهِ وما اعلمهُ منك انك تتمنى ذلك من كل قلبك ولا توافق على تاخره . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع عليهِ اشد من ضرب الحسام وارتاع لسماعهِ وعجز عن ان يجيب لانهُ استحى من الوليد ومن الحضور وكان الشاه صالح حاضرًا يسمع ويرى وهو لا يبدي اشارة ولا يظهر حركة بل كان مشغل بمسح ما يسيل من انفهِ من المخاط بكمهِ الطويل واطرق الى الارض متفكرًا فلما راى طيفور ما حل بسيدهِ من الحياء مع علمهِ انهُ لا يمكن ان يسمح بزواج بنتهِ الا بعد قتل فيروزشاه اجاب بيداند يش على الفور وقال لهُ ان سيدي طالما رغب في اتصال حبل النسب بينهُ وبينكم ولو كان في فكره غير ذلك لما امتنع عن ان يجريهُ وهو في بلاده وانما جل ما يرغبهُ الان ويوافق عليهِ كل الموافقة انهُ يعدكم بزواج بنتهِ كما وعدكم بالماضي انما هذا الوعد لا يمكن ان ينتهي الا بعد قتل عدوهِ والايقاع بهِ وقد اقسم بذلك اليمين والحلف العظيم وهو محروق عليهِ ومن المقرر ان العرس لا يقام الا بالافراح والولائم وابداء المسرات ونحوها فكيف يمكن لنا ولسيدي ان نفرح ونسر ونحن في حالة قنوط وياس نصبح في خوف ونمسي بمثلهِ ولا يفارقنا قط شخص فيروزشاه ولا تزال اذاننا تسمع صوتهُ وهو ينادينا بالانتقام فضلاً عن ان سيدي لا يود ان يسلم بنتهِ الا لكم انما يشرط عليكم قهر عدوهِ وارجاعهِ الى ملكهِ وعرشهِ واذ ذاك يكون للافراح محل وللولائم داعٍ فيسر كلٌ منا بصفاء وهناء . فقال الوليد اني وعدتك ولا ازال اكرر وعدي اني لا ارجع عن الحرب ولا انفك عن الفارسيين الا بعد ان اهلك اكابرهم واذلهم مذلة لا يرتفع لهم بعدها راس وانما اريد منكم ان تجيبوا بزواج الشاه صالح بعين الحياة واما بالوعد بذلك وان يشهد ابوها عليهِ هولاء الحاضرين بانهُ انعم

قد انتهى الجزء السابع من قصة فيروزشاه وسياتي الثامن ان شاء الله

الجزء الثامن
من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

بها لابني وخطبها منه ولا يمكن ان يرجع بوعده . فقال الشاه سرور اني مصر على وعدي لك في السابق غير انه لا يخفاك ان اولادي الان اسراء في قبضة الملك ضاراب فاذا بلغه زواج بنتي انتقم من اولادي بالعذاب وربما بالقتل ايضاً فليس من الموافق ان اجيب على امر زواج انما اشهد علي الله وهولاء الحاضرين اني لا ارجع بوعدي واني بعد نهاية الحرب او بالحري بعد قتل فيروزشاه ازف ابنتي بكل قبول ولم يعد اذ ذاك من مانع وعلى كل حال فاني انا وابنتي الان في يديك وتحت طاعتك فلو قدمت على اجبارنا رغماً عنا واغتصاباً لما كان في وسعنا ان ندافع عن ذلك انما معاذ الله ان يفعل من كان مثلك مثل هذه الافعال ويجري كل ما هو ممنوع دينياً

قال وفي الحال اشهد الشاه سرور عليه جميع الحاضرين وعاهد الوليد على خطبة ابنه من بنته وان يكون الاثنين يداً واحدة وبعد قطع الرجاء من فيروزشاه وهلاكه يجري زفاف عين الحياة باحتفال يليق بها وبه فارتاح لذلك بال الوليد وثبت عنده انه سيزوج ابنه بعين الحياة وان المانع سيزول بهمته وهمة جيشه وكان يرى من نفسه انه قادر على كبح عدوه والاضرار به لان عساكره كثيرة وبلاده حارة ربما لا يقدر العدو ان يثبت فيها واعظم شيء كان يريح له اضميره من هذا القبيل هو وجود عين الحياة عنده وفي يده وضمن قصره قائمة مع بنته ليلاً ونهاراً لا يمكن لاحد ان يصل اليها وقد اعهد الى بنته امر مراضاتها والاهتمام بها وتحببها باخيها وان تشرح لها دائماً عن عظم سلطانه ومقدرة جيوشه واتساع ملكها ولذلك كان الوليد مرتاح البال مطمئن الخاطر بعد ولده باتمام مقاصده والوصول الى محبوبته التي يصرف ليله ونهاره بالنوح والتعداد من اجلها وهو لا يعرف كيف يجب أن يتصرف ليدنو منها ويقرب اليها وكلما ذهب الى اخته وسالها ان تقربه من عين الحياة تقول له لا يمكن ذلك الان لاني اراها بحزن وهم وهي تنشد الاشعار الغرامية الفراقية وما ذلك الا كرهاً فيك ورغبة في فيروزشاه ولا بد من ان يزيدها وجودك بغضاً لك اذا فكرت انها ابعدت من بلادها لاجلك فيرجع بالخيبة وقطع الرجاء ودام على حاله وهو يعلل نفسه بين مواعيد ابيه واخبار اخته

كنا قد تركنا عين الحياة عند طوران تخت بنت الوليد اقامت معها في قصرها وقد صرفت طوران تخت جميع جهدها في مراضاة عين الحياة وجلب مسرتها وعين الحياة تعلم ذلك وتميل اليها لانها شاهدت فيها من دلائل اللطافة والانسانية ما لم تجده في غيرها من عائلتها وكانت

طوران تخت بديعة في صفاتها وجمالها وهي لا تنقص بكثير عن عين الحياة الا انها كانت ضعيفة القلب عديمة الصبر قليلة الاهتمام بامر العشق لم تعلق نفسها قط برجل ولا مالت الى شاب . وعندما كانت ترى عين الحياة باكية حزينة كانت تلومها وتقول لها يصعب عليَّ ان اراك يا عزيزتي باكية حزينة لاجل شاب بعيد عنك لا يمكن وصولك اليهِ ولا وصولهُ اليك وما فعلك هذا الا اشبه بافعال المجانين مع انك من احكم بنات هذا الزمان واعقلهنَّ وقد اعطاك الله من المحاسن ما ندر ان يوجد بغيرك من الشابات ولذلك كان لا بد لك من ان تنتبه على كل انسان فمن تسهل لك واعجبك تتخذ بهِ زوجًا لك ومن العجب ان تسلي بنفسك الى واحد وتجلبي لقلبك العذاب الاليم وتحرقي وتتحسري على من ليس في يدك ولا تقدرين على ان تتزوجي بهِ . فتنهدت عين الحياة عند سماعها كلامها من فواد قد جرحهُ الغرام وكوتهُ نيران الاشواق وقالت لها لو كان قلبك كقلبي لما لمتني ولا عنفتني عن حب من احبهُ او بالحري لو رأيتهِ وشاهدت ما هو عليهِ من الحسن الباهر والقد الفاتك ونظرتهِ وهو فوق جوادهِ يطعن في صدور الابطال ويفتك بها فتك الاسود لحققت انهُ وحيد زمانهِ واني ابيح اليك بوجودي لعلمي انك محبة لي تاخذين عملي هذا ماخذ البساطة ولا بد ان الزمان يجري عليك ما اجرى عليَّ واذ ذاك اسائلك ان تكلميني بهذا اللسان الذي تكلميني بهِ الان ولا يخفى عليَّ شيءٌ من مزاياك الحسنة وميلك الى الحق والانصاف فاذا قدرت الايام وسمحت لك يومًا ما ان تري فيروزشاه ورأيتهِ فانصفي اذ ذاك بينهُ وبين اخيك وهل يليق بي ان ابدلهُ بغيره فقالت لها ماذا يفيد حسنهُ وابوك لا يرضاه ولا يقبل بهِ وهل انت الا مطيعة لابيك سامعة لاقوالهِ مجبورة الى الانقياد اليهِ وكيف يمكنك المخالفة والعصيان وان ذلك لا يرضي الله تعالى . قالت اني لو كنت مصرة على عصيان ابي لما بقيت للان دون تزوج بفيروزشاه انما جل ما ارغبهُ ان يجبر ابي على زواجي فيجيب موافقًا طلب فيروزشاه واهم شيء تأباه نفسي الاحناث بالوعد لاني عاهدتهُ عهدًا ثابتًا ان لا اخون لهُ عهدًا ولا اطلب سواه بديلاً ولا ارتضي ان اكون زوجة لغيره حيًا كان او ميتًا وعاهدني هو نفس هذا العهد واني لو اخذت الى داخل جبال قاف لسار اليَّ وازال الصعوبات التي تحول دوني ودونهُ وسوف تريهُ وهو فوق كميتهِ يطعن في رجال ابيك ويفرقها ذات اليمين وذات الشمال ويدك حصون المدينة وينتشلني من بين يديك ويدي ابيك انما اسال الله ان يجعلك من نصيب رجال الفرس لنبقى مع بعضنا وتكونين قريبة مني اراك وتريني في كل وقت فضحكت طوران تخت من كلامها وقالت تطلبين محالاً فانك تضمنين الفوز للفرس مع انهم سيلاقون منا وبالاً ويشاهدون من رجالنا الموت الاحمر ولذلك اسالك ترك محبة فيروزشاه وان تتناسيها وتتناسيهِ ولا تعبئي بهِ ولا بحبهِ ايضًا فانجرح قلبها من كلامها وتنهدت وانشدت

وحق من لا سواهم عنديَ القسمُ ... ومن بغير هواهم لست اتسمُ
ومن اموّه بالذكرى لغيرهمِ ... معرضًا بسواهم والمراد همُ
اهوى جحود الهوى لا بل ادين بهِ ... وان اقرَّ بهِ التبريح والسقمُ
ما كل من صان اجلالاً لمالكهِ ... غرامهُ في صفاء الودّ منهم
استودع الله قومًا ما افارقهم ... الا وتدنيهمُ الافكار والحلم
ومن لكثرة تمثيلي لشخصهمِ ... اظن في كل يوم انهم قدموا
اظنهم ما دروا ما بي وقد بعدوا ... تالله لو علموا حالي بهم رحموا
ساروا وقد تركوا جسمي بلا رمق ... عندي لينديهم والقلب عندهمُ
يا غائبين وما غابت محاسنهم ... ونازحين واقصى بينهم اممُ
نمتم ولم تحلموا بي في رقادكم ... ومع سهادي بكم ما زلت احتلمُ
وحق موثق عهدٍ كنت اعهده ... وصحبة خلت حقًا انها رحمُ
ما لذ لي العيش مذ غابت محاسنكم ... ولا حلت بعد رؤياكم لي النعمُ
قد كان ليلي نهارًا من ضيائكمُ ... فاليوم ضوء نهاري بعدكم ظلمُ
لا ذنب لي يوجب الهجران عندكمُ ... وهبهُ كان فاين العفو والكرمُ
اعطى الزمان نفيسًا من وصالكمُ ... فارتدّه وعراه بعده ندمُ
الى من المشتكى ان عزَّ قربكمُ ... مما جنى الدهر وهو الخصم والحكمُ
قد كنت اقهر صرف الحادثات بكم ... فاليوم اصبح صرف الدهر ينتقمُ
كم قد بكيت وقد سادت ركائبكم ... فالدمع يسفح والاحشاء تضطرمُ
ما للمدامع لا تطفي لظى كبدي ... و يغرق الركب منها سيلها العرمُ
وقفت اظهر للعذّال معذرة ... عنكم وان صح عند الناس ما زعموا
قالوا قضت عمرها صرعى بحبهمِ ... والله يعلم اني مغرمٌ بكمُ

فعلمت طوران تخت انها لا ترعوي عن محبة فيروزشاه وانها مغرمة بهِ ولا يمكن ان تترك حبهُ الاَّ اذا جدَّ من الحوادث ما غير لها قلبها ولذلك سكتت عنها ذاك الوقت ولم ترد ان تكلمها بما يكدر شعائرها . واما عين الحياة فكانت كما تقدم في مزيد كدر واعظم كدرها من ان يتفق اباها والوليد ويعتمدان على قيام الزفاف واجراء العرس واجبارها على الطاعة مع ان خنجرها لا يزال عندها وقد وطدت عزمها ان تقتل نفسها اذا اجبرت الى الانقياد والزفاف ولذلك كانت عديمة الصبر ضائقة العقل حرصًا على حياتها وحياة فيروزشاه وهي تذم الزمان الذي لا يزال يحاربها و ينقلب باعماله معها فيريها بعد الحلاوة صبرًا و يغيرها من حالٍ الى حال و يحاربها بما يلقي عليها من الاحزان

والمصائب فكانت تسرُّ عندما تسمع بخبر مفرحٍ من جهة من احبتهٰ او من جهة حبيبها الاَّ ان تلك المسرة لا تلبث ان تنقضي بما يجد من الحوادث المكدرة فتقلب الى اكدار وغموم . ولا زالت في قلق واضطراب من جرى ما كان يخطر في فكرها الى ان بلغها من طوران تخت ان اباها لم يقبل ان يجري الزفاف في ذلك الوقت ولا قبل ان يسمح بها قبل ان تنقضي الحرب وتقهر الاعجام ويقتل فيروزشاه انما اشهد عليهِ بانهُ خطبها من الشاه صالح وانهُ لا يقبل بغيره مطلقًا وانهُ صار منذ ذلك الحين صهره . فوقع هذا الخبر على عين الحياة مسرًّا بهجًا وقالت في نفسها ان كان يبقوني الى حين انقضاء الحرب فان تلك غايتي لاني اعلم ان الملك ضاراب سيغشى هذه البلاد وفيروزشاه سيوافيني بجيشه ويدافع جيوش الاعداء فيبددها اذا علم اني داخلها وهذا الذي اطلبهُ وظهرت على وجهها بعض الافراح وهدأ اضطرابها الظاهري فلاحظت طوران تخت منها ذلك وقالت لها اني اعلم ان هذا الخبر يسرك ولذلك اسرعت بهِ اليك ولابد بعد انقضاء الحرب ان تجلو لنا الحقيقة وحينئذٍ يمكنك اذ ذاك ان تتبعي الجهة الرابحة المنتصرة . فسكتت عين الحياة ولم تجبها بشيء لعلمها انها مخاصة لها محبة لصالحها انما لا تكره ان تكون زوجة لاخيها وجل مشتهاها ان تقنعها لتميل الى حب الشاه صالح اخيها واقامت مطمأَنة البال مرتاحة تنتظر ورود الاخبار من قبل جيش الملك ضاراب لتعلم ما جرى على قلب فيروزشاه بسبب غيابها وبعدها وهي في كل يوم تظن انهم وافدون الى مصر

قال وكان عند الوليد عيار من اكبر عياري ذاك الزمان زنديق محتال اذا قصد انتزاع الكحل من المقل انتزعهُ دون ان يترك صاحبها يشعر بهِ وان عمد الى اخراج الجنين من بطن امهِ اخرجهُ دون ان تراه او تعلم بهِ واسمهُ طارق العيار وبالحقيقة انهُ من طوارق ذاك الزمان دمياطي الاصل مصري المربى قد شب على هذه الصفة حتى مهر بها وساد على سواه وصار لهُ تلامذة وفروع وكان الوليد يركن اليهِ ويعتمد عليهِ . فذات يوم كان في حضرة الوليد بين اعيانهِ اذ سمع الشاه سرور يتالم من قلب مقروح ويقول لوزيره طيفور آه من غدرات الزمان فاني مشتاق الى اولادي الاسراء ولا سيما الشاه شجاع الذي هو الان اسير في جيش العجم مع الامير قتيل وايضًا احب ان اعرف ماذا جرى على عيار بلادي هلال فاننا في حاجة كلية اليهِ لانهُ آفة كبرى وبلية عظمى امين على مصالحنا محب لنا يسعى دائمًا في خلاصنا فلو كان معنا الان لكنا بعثناه الى طريق اليمن يكشف لنا الاخبار وهل ان الملك ضاراب آت الينا او رجع عنا الى بلاده وترك هذه الحرب وعلى كل حال فاني ارى لزومًا لوجوده معنا واني ارى نفسي محاطة بالاكدار والاهوال والمخاوف والاوهام الناتجة عن فرقة الاولاد والوطن ومبارحة الملك والسلطة فجازى الله الايام عني شرًّا . فدنا منهُ طارق وقال لهُ لا تهتم يا سيدي الشاه فاني مرهون لامرك طائع لك واني اعدك الان بحضرة سيدي الوليد اني لا بد ان اتيك بولدك الشاه شجاع والاسرى في اول يوم تحل بهِ الاعداء في هذه النواحي واني ان

اخلفت بقولي لا ادعى بطارق العيار ويحرم عليّ ان اخدم الوليد سيد مصر وعزها . فقال لهُ الشاه سرور ان كان صحيحًا ما تقول فاني اعدك ايضًا بحضور سيدك بالانعام الزائد والاموال الكثيرة ولا انسى الك هذا الجميل . وفي تلك الساعة ايضًا قال الوليد لطارق اريد منك ان تذهب على طريق اليمن تكشف لنا اخبار القوم لانهُ مضى الان اكثر من شهرين ونصف دون ان نعلم عنهم خبرًا وربما لم يكن في نيتهم ان ياتوا الى بلادنا او فكروا في حربنا واني اريد ان اعرف الحقيقة لان الجيوش اخذت ان تجمع في بلادنا ولا يمضي هذا الاسبوع الا ويكون عندنا جيش عظيم كامل كبير من سائر نواحي بلادي لا ينقص عن الف الف واربعمائة الف فارس ما عدا جيوش اليمن التي ليست باقل من نصف هذا العدد ومن الاصابة ان نعرف كي لا تبقى العساكر مجتمعة تحت مشيئة الرحمان دون ان يكون لها نفع وتلتزم للمحاربة والا فما الفائدة منها . فقال طارق سمعًا وطاعة واني ساعود اليك بالخبر الصريح واعلمك ما يكون من امرهم .

ثم ان طارق اخذ ما يحتاج اليه من ثياب السفر والاكل اللازم لهُ في طريقهِ وسار عن مصر قاصدًا اليمن على الطريق المستقيم وهو مسرع في جريهِ يسير الليل والنهار الى ان بعد عن القاهرة نحو عشرة ايام تمام وفي اليوم الحادي عشر اصبح في تل عال مشرف على سهل وسيع فعول ان ينزل من التل ويستلم السهل واذا بهِ يرى الغبار مرتفع الى العنان والجيوش تزدحم متراكمة صفوفًا صفوفًا ومن فوقها الاعلام تخفق والرايات تلوح والاسلحة تلمع وتبرق بوقوع الاشعة عليها وهي قادمة الى جهتهِ فصبر الى ان تبين المقدمة واذا بها راية فارسية فعلم حق العلم ان هذا الجيش جيش الملك ضاراب وانهُ آت الى مصر فكر راجعًا وهو من الفرح على جانب عظيم لانهُ توفق الى قضاء المطلوب حسب مرغوبهِ وقد كان يشتهي وقوع الحرب بين الاعجام والمصريين واليمنيين لان بذلك يربح الارباح العظيمة ويروج سوق بضاعتهِ ولا زال في رجوعه الى ان وقف بين يدي الوليد وهو في مجلسهِ وقال لهُ اعلم يا سيدي اني ما بعدت نحو عشرة ايام عن هذه المدينة الاّ ظهرت لي رايات الفرس تخفق فوق جيوشهم الكثيرة وهم يتدفقون آتون الينا كالبحور الزواخر وعددهم كثير لم اعرف اخرهم ولا يمضي خمسة ايام الا يكونون في هذه الديار لاني عجلت المسير حتى وصلت بعشرة ايام انما هم لا يمكن ان يصلوا باقل من خمسة عشر يومًا . فلما سمع الوليد كلامهُ علم بان الحرب قريبة ولذلك اصدر اوامره بان تتهيأ العساكر للحرب والطعان وان تخرج خارج المدينة كلها وان تترتب بحسب فرقها ورتبها وان يستلم كل قائد قيادة جيش

واما الشاه سرور فانهُ خفق قلبهُ عند سماعهِ هذا الكلام على غير ارادة منهُ وعلا وجههُ اصفرار المخاوف الناجم عن الرعبة والجبن فشاهد منهُ طيفور ذلك ولحظ عليهِ انهُ في اضطراب فعلم ان فيروزشاه قد زرع في قلبهِ كثيرًا من المخاوف والاوهام حتى لم يعد يقدر على الثبات وضبط نفسهِ

عندما يخطر على بالهِ . وتاكد انهُ يخافهُ جدًا ويرتعب منهُ ولذلك قال لهُ على مسمع من الجميع هوذا يا سيدي العدو قد جاء في اثرك وفي نيتهِ ان سيدي الوليد يتخلى عنك ولا يعلم انهُ قد جمع لهُ من الجيوش والفرسان ما يكفي لابادتهِ وابادة جيشهِ وقتل فيروز شاه باسبوع واحد او بالحري بيوم واحد فليكن قلبك ثابتًا لانك طالما طلبت وقوع هذه الحرب وتمنيتها لتتخلص من فيروز شاه وتزف بنتك على الشاه صالح ونعود بعد ذلك الى بلادنا ونحن نردد الشكر لمن سيكون خلاصنا على يدهِ والا لو لم ياتنا الملك ضاراب الى هذه البلاد لبقيت بلادنا بيد العدو لانهُ لا يعود يمكننا ان نرحل الى تلك البلاد خوفًا من ان يترقبنا هناك فاذا رآنا يفاجئنا وينتقم منا واما الان فسيلاقي شرَّ عملهِ ويقع في قبضة المصريين الذين لا بد من انهم يمحون اثاره ويخربون دياره ويقطعون ذكره من بين الملوك فاظهر الشاه سرور على نفسهِ الجلد والقوى من قلب الضعف وقال لا بد لنا من انتشاب حرب طويلة تتحدث بها بعدنا اهل الاجيال القادمة واني اسال الله ان يكون النصر والفوز لعساكرنا وابطالنا

ثم ان الوليد امر طارق ان يترقب مع عياريهِ الاعداء ويعلمهم بحال قدومهم الى تلك الديار فاجابهُ الى امره وقعد بانتظار الاعجام ولم يكن الا ايام قليلة حتى بانت طلائع الفرس وظهرت عن بعد راياتهم واعلامهم وللحال اسرع طارق الى الوليد فاخبره بقدوم اعدائهِ وقال لهُ هوذا قد جاءوا وعما قليل يعسكرون الى شرقي المدينة وينصبون خيامهم وربما بالقرب من الشعاب . فقال الوليد اني احب ان ارى عن مقربة كيف انتظام الاعداء وترتيبهم وكيف يسيرون ومن المقدم منهم ومن المؤخر . فقال لهُ طارق هيا الى اعالي بعض الاكم فاقم عليها فترى ما انت طالبهُ وتريد ان تعرفهُ وللوقت سار الوليد وسار معهُ طيفور والشاه سرور وبيداند يش الوزير وجماعة من الاعيان والفرسان وصعدوا ظهر اكمة واقاموا عليها وقد احدقوا بانظارهم الى البر وقد وقف طيفور امام الوليد يشرح لهُ عن حالة الفرس الى ان تبينوهم وقد ظهر بالاول سيامك سياقبا وهو في طليعة الجيش كانهُ الاسد فوق جوادهِ . فسال الوليد عنهُ فقيل لهُ خبره وما هو عليهِ من الشجاعة . ثم ظهر من بعده مصفر شاه بمائة الف فارس من فوارس طهران وقد رفعت فوق راسهِ رايتهُ المخصوصة بهِ والى جانبهِ الاسد الريبال والفارس المفضال من ساد على اقرانهِ . وسما بعلو المنزلة ورفعة المكانة بين اهل زمانهِ . بهزاد بن فيلزور . الليث الجسور . والبطل المشهور . فسال عنهُ الوليد فلم يجبهُ اليهِ احد وقد قال لهُ طيفور على ما اظن انهُ من ملوك العجم انسباء الملك ضاراب لانهُ لم يكن حين محاربتنا ويظهر انهُ قد استنجد بهِ ودعاه الى معونتهِ وان صح حذري يكون مصفر شاه او كرمان شاه من اولاد عم الملك ضاراب فان كان مصفر شاه يكون الى جانبهِ بهزاد الطامة الكبرى والافة العظمى الذي شاع صيت شجاعتهِ في مشرق الارض ومغربها . ثم نظر الوليد الى جيش اخر مثلهُ وهو جيش

كرمان شاه ومعهُ بيلتا كالنمر الجارح او الاسد الكاسر. ثم تبين الوليد الجيش العظيم يتقدم تحت الراية الكبيرة الذهبية فقال على ما اظن ان هذه الراية راية الملك ضاراب وهذا الجيش جيشهُ. قال طيفور نعم هذا هو ملك القوم الذي اعتاد على التجرف والبذخ وهو يفاخر في نفسهِ ويتعاظم ويظن بنفسهِ انهُ في اعلى درجة فوق ملوك هذا الزمان ولا سيما قد زاد هذا التعاظم عندما نظر الى ولده فيروزشاه نظر من اعتقد انهُ اول فارس يذكر في زمانهِ. ثم بعد ان تقدم جيش الملك ضاراب نظر الوليد الى ما بعده واذا بجيش صغير منتشر في تلك الارض طولياً وكلهم يرفعون باعمدتهم الى الاعلى وهم طوال القامات سود الالوان وفي وسطهم صاحب هذه السيرة ومرهب الابطال باعمالهِ الخطيرة ليث الفلاه. من داست بساط المجد رجلاه. وتناولت من شامخ السعد بدور الاقبال يداه. فيروزشاه حبيب عين الحياه. وفوق راسهِ رايتان. باهواء السعادة تخفقان. والى جانبهِ ميمون. فسال الوليد طيفور عنهُ فاجابهُ وقد اعترتهُ رجفة عصابية وتحركت منهُ دواعي بغضهِ لهُ وقال لهُ يا سيدي هذا الذي نحن هاربون من وجههِ خائفون من حربهِ ونزالهِ لا يفارقنا شخص هيبتهِ هذا الذي ابعدنا عن بلادنا وشتتنا في اقطار الارض هذا الذي قتل طوماروبيروز وميسرة هذا من اذا ذكر اسمهُ بين جيوش اليمن تطايرت كتطاير الرماد من نفخات الارياح الشديدة هذا الذي تسير جيوش فارس بظل سيفهِ وتحتمي بهيبة اسمهِ وتسود بقائم همتهِ وعلو اقدامهِ ووحدانية بسالتهِ هذا الذي يزاحم الشاه صالح بعين الحياة هذا فيروزشاه ابن الملك ضاراب من اختص بهِ النصر وخدمتهُ الشجاعة حتى اختصت بهِ وحده. فلما سمع الوليد كلامهُ لم يهن عليهِ ان يصفهُ بهذه الاوصاف وقال لهُ لقد وصفتهُ فوق ما هو وسوف ترى بعينيك ما يحل بهِ وما ينتهي من امره وكيف يصبح ماكلاً للبوم والغربان تندبهُ اهلهُ وفرسانهُ انما اسالك عن الرايتين اللتين فوقهُ بخلاف غيره. قال ان احدى تلك الرايتين هي فارسية نسبة لهُ ولدولتهِ والثانية راية الزنوج الذين استولى عليهم واتخذ منهم لنفسهِ جيشاً خاصاً وهم رجال الملك هورنك وهذا قائدهم ميمون الذي علق بحب فيروزشاه وجاء يخدمهُ في حروبهِ بخلوص نية وصفاء مودة. وجعل ينظر الوليد الى جيش بعد جيش والى راية بعد راية بحسب اقسامها وترتيبها وكل جيش يخبره عنهُ طيفور الى ان نظر الى موخرة الجيوش فوجد الراية الاخيرة وهي تخفق فوق راس حامي الفرس وفارسها فيلزور البهلوان وهو مسنٌ في العمر شيخ هرم فلما راه سأل عنهُ فاجابهُ خاطر وقال يا سيدي اذا رمت ان تعرف من هذا فهو الذي احرق قلبي واشعل نار غضبي وابكاني وما رحمني هذا الذي قتل اخي خطيراً واثار بقلبي عليهِ سعيراً فهو فيلزور حامي موخرة الاعداء وهو في هذا السن الا انهُ شديد الحيل قوي القوائم لا يوجد من يقدر ان يلقاه في الميدان من الكهول والشبان. فقال لهُ الوليد لا بد لنا من هلاكهِ واخذ الثار منهُ لاني اعلم عظم الفجعة التي افجعنا فيها بقتل اخيك فارس بلادي وحاميها.

وبعد ان انتهت عساكر الاعجام من التقدم اتت مكانًا رحيبًا في شرقي المدينة بينها وبين جبل مرتفع هناك فضربت خيامها وسرحت انعامها وقد نظرت الى امامها فشاهدت عساكر المصريين متجمعة وهي ضاربة خارج المدينة متهيئة التهيؤ الكامل منتظرة قدومهم ولذلك اختار الملك ضاراب مكانًا لنزولهِ موافقًا يتسلط بهِ على المدينة وعلى جيوشها المتجمعة

واما الوليد فانهُ بعد ان شاهد ما شاهد من عظم ترتيب الفرس اخذه العجب ونزل بمن معهُ من ظهر الاكمة وهو يقول للشاه سرور اني متعجب غاية العجب من الايرانيين وعظمهم ومع كل ذلك فاني لا احسبهم من العقل على جانب لان ملكهم قد طرق بلادي وقصد حربي ونزع عين الحياة من يدي بالرغم عني بهذا المقدار القليل من العساكر الذي لا يبلغ ربع جيشي فباي طريقة يفكرون انهم يقهرون ملك مصر ويكيدونهُ وينفذون غاياتهم فيهِ وما ذلك الا لكونهم يظنون ان كل بيضاء شحمة وكل سوداء فحمة وربما تصوروا ان رجال مصر كرجال اليمن لا يقدرون على الثبات امامهم والدفاع عن انفسهم مع ان في بلادي من الفرسان من يقدر على ان يقاوم جيشهُ برمتهِ فتاثر طيفور من كلامهِ وعلم ان ذلك ازدراء بعساكرهم الا انهُ استعمل الخدعة في كلامهِ فقال لا خفاك يا سيدي ان الملك ضاراب يخاطر كثيرًا ويرمي بنفسهِ الى المهالك على غير تحسب وما ذلك الا عن جهل منهُ ولا ريب في انهُ يجهل عظم مقدرتك وقوة سلطانك وكثرة جيوشك ولو عرف ذلك من البداية لما طرق هذه البلاد لا اولاً ولا اخرًا فقبح الله الجهل الذي يقود الانسان الى انقراضهِ وخراب بلاده غير ان الذي حمل الملك ضاراب على هذا التهور ركونهُ الى ان بين جيشهِ فرسان لا تهاب الموت ولا يفوتها عن نوال الغرض فوت فهي نخبة رجال هذا الزمان فان شئت عددت لك اياهم على انك رايتهم واحدًا واحدًا قال انهُ مخطئٌ في توهمهِ وسوف تظهر لهُ الحقيقة ما يكون من امر فرسانهِ اذا نظرهم ماكلاً لسيوف المصريين . قال نعم ولا بد في الغد او ما بعده يظهر الامر ونعرف الفرسان قيمة بعضها ولا زالوا في مسيرهم حتى دخلوا المدينة من جهة اخرى واذ ذاك اصدر الوليد اوامره الى عموم الجيش ان يكون مرافقًا لسلاحهِ واخرج المؤن والمهمات الى خارج المدينة لتكون عند العساكر كونها لا تستغني عنها واكثر من جمع السلاح والخيول وكل ما يلزم لقيام الحرب كي لا يكون في حاجة الى شيء عند اشتعال نار المعامع واشتباك ارياح المعارك

قال وكان السبب في وصول الملك ضاراب الى تلك البلاد هو ما نقدم معنا ايراده فيما مضى وذلك اننا كنا قد تركنا الملك ضاراب في تعزاء اليمن عند الشاه سليم مع جميع ابطالهِ وفرسانهِ وهم بانتظار مصفر شاه الذي كان قد بعث فاستدعاه اليهِ فخرج من بلاده طهران بمائة الف مقاتل ومعهُ فارس بلاده بهزاد الايراني وسار آتيًا اليهِ وبانتظار كرمان شاه ايضًا الذي خرج مع بيلتا اخي بهزاد بمائة الف فارس وكلهم ساروا الى ملكهم ضاراب حيث كان مقيمًا بسبب وصولهم اليهِ ليرحل

بهم الى مصر وكان في هذه المدة فيروزشاه في هم وكدر وهو في كل صباح يخرج الى البر وينظر الى جهة بلاد الفرس املاً ان يفد عليهم الذين هم بانتظارهم لانهُ كان على مقالي الجمر بسبب هذا التاخير ويود ان يعرف ماذا جرى على عين الحياة بعد رحيلها وهل ان اباها اجبرها على زواجها بالشاه صالح ام لا على انهُ كان محق الركون اليها وقلبهُ يظهر لهُ ما هي عليهِ من الثبات في الحب واكثر خوفهِ كان من انهُ اذا دعوها الى الزفاف وتحققت ان لا رجاء لها بالخلاص من ابن الوليد وانهم سيدعونها اليهِ بالرغم عنها قتلت نفسها لا محالة بحيث تكون قاطعة الامل منهُ لعلمها انهُ بعيد عنها لا يقدر ان يصل اليها ليخلصها وعندما يخطر في خاطره هذا الوهم كان يضرب برجليهِ الى الارض من ضيقة صدره ويتمنى ان يكون ولو وحده في مصر لينتشلها من بين اعدائهِ المتحكمين فيها وهذه الافكار طالما تلاعبت فيهِ فضيعتهُ عن الهدى وهو محصور في نفسهِ لا يقدر ان يصل اليها ولا يمكنهُ ان يخالف اباه او يسبقهُ الى حرب المصريين وخطر لهُ كثيراً المسير فاستاذن من ابيهِ ان يذهب امامهُ فيثير الحرب ويبدأ فيها الى ان يدركهُ بقية الفرسان فمنعهُ ابوه وقال لهُ ان مسير العساكر اقساماً يسهل على المصريين قتالنا والفوز علينا لانهم يحاربوننا ونحن فرقاً فرقاً متفرقة وهم منضمون جميعهم الى بعضهم وليس من الصواب ان نباشر الحرب الاَّ دفعة واحدة ولا ريب ان الله الذي حفظنا الى هذا اليوم سيحفظنا في مستقبل حياتنا ويصحبنا بالنصر ولا ياتيك بمكروه واني مطمئن الخاطر من جهة عين الحياة لان وزيري طيطلوس قد نظر الى ذلك بعين بصيرة فهو عاقل خبير بامور الدهر واحوالها ولا سيما لهُ من كنوز علمهِ معرفة بما يجد من الحوادث وقد قال انهُ لا يسمح الشاه سرور ببنتهِ ان تتزوج باحد قط ما زال يرهب جانبك ويخافك وهذا مقرر لانهُ اذا سمح بزواج بنتهِ لا يعود للوليد صالح بالمخاطرة ليدافع عنهُ وعن بلاده ويفاديهِ بكل قوتهِ ومملكتهِ بحيث يكون قد قضى مصلحتهُ منهُ واما اذا منع بنتهُ عن الشاه صالح يلتزم الوليد طمعاً برضاة الشاه سرور ان يدافع عنهُ ويمانع عن بنتهِ فلا يترك احداً يصل اليها

وهكذا كان فيروزشاه يسكت فلا يجيب اباه عندما يبدي لهُ رأياً او يسالهُ امراً لانهُ كان يعتبره الآمر عليهِ والناهي بهِ ويرى من فروض الانسانية وواجبات الطبيعة ان لا يقبل الا لما يطلبهُ اليهِ لانهُ هو علة وجوده في هذه الدنيا وهو الذي رباه وسهل لهُ طرق الحياة فنشأ عزيزاً مكرماً فضلاً عن ان الفروض الدينية تدعوه الى ذلك ولهذا كان يفضل الانقياد الى ابيهِ ويتحمل مرارة الصبر عن محبوبتهِ . وبالاختصار فان حالتهُ كانت من اصعب الحالات واعظمها كدراً وتعاسة وعند حلول الليل كان ياتيهِ طيطلوس فيلازمهُ ويقيم عنده ولا يتركهُ ان ينفرد بنفسهِ الا دقائق قليلة خوفاً عليهِ من ان يصاب بمرض لكثرة البكاء والنحيب بل كان يشغلهُ بالنوادر والقصص ويسرد لهُ من تواريخ العالم واخبارهم ما يدهش بهِ افكاره لعلمهِ انهُ يميل الى معرفة التاريخ ويرغب في ان يعرف

حوادث من تقدمهُ من الملوك والفرسان الذين اشتهر اسمهم في كل مكان وسادوا على اهل زمانهم ورجال عصرهم وكان هذا الذي يزرع فيهِ حب التقدم من جهة والمخاطرة الى ركوب المعالي كما كان من جهة ثانية ويلقي بهِ حبهُ لعين الحياة في وهد العذاب وهو يراه على قلبهِ عذبًا فيتحمل اصعب الصعوبات بالصبر الجميل دون ان يتضجر او يبدي ادنى كراهة

وبعد ان مضى على الملك ضاراب اكثر من شهر ونصف في بلاد اليمن اقبل عليهِ مصفر شاه ابن عمهِ وبحال وصولهِ الى المدينة كان فيروزشاه خارجها مع طيطلوس وبعض جماعة من رجالهِ ولما تبينت لهُ اعلامهُ فرح غاية الفرح وسار بجواده الى ان التقى بهِ ولما عرفهُ مصفر شاه صاح صياح الفرح ونزل عن جواده وفعل مثلهُ فيروزشاه وصافحا بعضهما مصافحة الاحباب الغياب ودنا ايضًا بهزاد فسلم على فيروزشاه وطيطلوس واتوا جميعهم الى المدينة فالتقاهم الملك ضاراب والشاه سليم وسلموا على بعضهم البعض وقد عينوا لهم مكانًا يقيمون فيهِ الى حين وصول كرمان شاه ورجالهِ واجتمع بهزاد بابيهِ فقبل يديهِ وبكى على ما اصابهُ وقال لهُ كفى يا ابي ان تهين نفسك الى مبارزة الفرسان فان اولادك قادرون على ان يرفعوا عنك اثقال المملكة ويحموها بهيبتك وبعيد صيتك وقد لعنت الساعة التي كنت بها غائبًا عن معسكر الفرس حين تجاسر طومار ان ياسرك ويمد اليك يدًا واني الان قد حضرت بين يديك فارجوك التنازل عن الحرب وان ترتاح في محرابك . فقبلهُ فيلزور بدمعة التشفق والحنو وقال انهُ لا يجب ذلك يا ولدي في مثل هذه الظروف فان الملك ضاراب يحتاج الي في كل الاحتياج والجيش لا يرغب الا ان اكون فيهِ على اني اعهد فيك الكفاءة فانت فخر اخوتك وزينتهم وبك يزداد اسمي رفعة وفخرًا . وكان فيلزور يعلم ان بهزاد اشجع من جميع بنيهِ واقدرهم على الايقاع بالاعداء والثبات بالحرب ولذلك كان يحب ان يكون خليفتهُ في منصبهِ من بعده وقد شاهدهُ عند اجراء الامتحان بين الفرسان فلم يرَ من هو اخف منهُ في الميدان ولا اسبق عند وقوع الضرب والطعان حتى كان يزينهُ بميزان واحد هو وفيروزشاه وعلى هذا كان يسال دائمًا الملك ضاراب ان يعهد اليهِ بپهلوانية بلاده من بعده وكان الملك ضاراب يحبهُ ايضًا المحبة الابوية ويسره ما يراه منهُ من البسالة والاقدام وقوة الجنان والفتك بالفرسان في حومة الميدان

وما مضى على ذلك الا ايام قليلة حتى اقبل كرمان شاه برجالهِ وفرسانهِ فخرجوا اليهِ وسلموا عليهِ وترحبوا بهِ وقد فرح بقدومهِ فيروزشاه غاية الفرح وثبت عنده انهم بعد يوم او يومين يسيرون الى بلاد مصر وهناك يعرف حق المعرفة ماذا جرى على عين الحياة . واقام كرمان شاه في المدينة الى ثاني الايام وفي اليوم الثاني ضرب الملك ضاراب ديوانًا وجمع اليهِ جميع الفرسان بحضور الشاه سليم وقال لهم اخبركم الان اني قد عزمت في صباح الغد على المسير ومبارحة هذه الديار

ولذلك اريد ان امركم بان تبكروا الى المسير وكل منكم يامر جيشه ان يكون مستعداً للسفر وخذوا معكم من المؤن والذخائر ما يكفي لاكثر من سنة واصحبوا لديكم الخيول الجنائب واكثروا من قرب الماء وامشوا بانتظام وترتيب وناموا في هذه الليلة وانتم على هذه النية . ثم التفت الى الشاه سليم وقال له اني ابارحك في الغد وانا على يقين من خلوص حبك لدولتنا وارتباطك معنا واتحادك بالشعائر والانسانية في هذه الحرب التي نحن سائرون اليها ولا يبرح عن بالك اننا في حاجة الى امداداتك اذا احتيج الامر اليها . فقال له اني لا ازال مشعر بواجباتي نحوكم ولذلك تروني في كل دقيقة اميل الى نجاحكم وتوفيكم وستجلو لكم الايام عن الحقيقة فتعلمون صدق ما اقوله وفوق ذلك . ومن ثم انفصلوا ذلك الوقت وبات الجميع في حالة استعدادية ولما كان الصباح هبوا من مراقدهم الى ظهور خيولهم فاعتلوها بعد ان تقلدوا باسلحتهم ورفعت الاحمال والمؤن على ظهور الجمال وانتشرت الاعلام والبنود فوق الامراء والفرسان وخرجت العساكر افواجاً افواجاً من ابواب المدينة وفي الوسط الملك ضاراب ومن حوله عموم ابطاله وفرسانه وخرج الشاه سليم لوداعهم فسار معهم مسافة اكثر من ساعتين ثم ودعهم وودعوه ورجع عنهم مظهراً تاسفه من بعدهم وساروا هم وقد تبطنوا البراري والقفار وفيروزشاه مسرور بهذا المسير وهو يعد نفسه بخلاص حبيبته من ايدي المصريين قريباً وقد تذكر وجودها عندهم ورغبة الشاه صالح فيها واهتمام ابيه بان يزوجه بها ويزفه عليها فزأر كما تزأر الاسود وجاش الشعر في خاطره فباح بما استكن في ضمائره فانشد

عين الحياة ابشري فالليث وافاك ... ماضي العزيمة كي يغتال اعداك

سافلق الجيش في ضرب القنا فترى ... ما افعل اليوم في الاعداء عيناك

افرّق القوم لا شيء يجمعهم ... الا اللحود وهذا فعل مضناك

قد اسقم الحب جسمي فارتديت به ... ثوب اصطبار وعيني العمر ترعاك

حاشايَ من ان اخون العهد مرتضياً ... بالبعد او ان تريدي الهجر حاشاك

انا وانت على عهد الوداد فلا ... حييت ان كنت طول العمر انساك

لا كان غيري يا عين الحياة فتى ... بين الخلائق تهويه ويهواك

انا ابن ضاراب الذي ساد الورى نسباً ... وشاد بيت العلا من فوق افلاك

سلي اباك وقد ولت عساكره ... مني تلطم راحات باحناك

وها جيوشي بهذا اليوم سائرة ... تبيد من منعوا عني محياك

وتحت مني جوادٌ قد وجدت به ... نيل السعادة ان اسعى لالقاك

وفي يدي صارمٌ ان لاح ساطعة ... بدا كبرق تبدّى من ثناياك

يشتد ازري اذا تحت الغبار بدا ... سناك او لاح في الافكار ذكراك

عما قليل تريني كالبزاة على ... جيش العداة فارميهم باشراكي
ويح الاعادي اذا ابليت جمعهمُ ... بصارم في صدور القوم فتاك
لا اغمد السيف الا في رقابهم ... او ان تدوس رؤوس الملك نعلاك
اخفوك بعد شروق الوجه عن نظري ... لا كان بالناس من يابد راخفاك
ان كان في مصر شمس منك ساطعة ... فالف شمس بقلبي من مزاياك
عين الحياة اهل بعد البعاد حيا ... ة ترتجى بالورى للمغرم الباكي
لولا رجائي بعهد منك اعهده ... قديم عهد لما اخرت ملقاك
اياك من ان تطيعي المبغضين على ... كيدي فلا كانت الاعداء اياك
بل فاذكري يوم كان القصر يجمعنا ... وطيب لفظك يطفي لوعة الشاكي
اجري وحولي صناديدٌ غطارفة ... اسود حرب كماةٌ عند اعراك

وكان فيروزشاه ينشد وهو سائر بين الفرسان كانهُ القمر بين الكواكب وقد باح بسره علنًا بين الجميع وسمع انشاده كل منهم وقد رثى لهُ الكل ولا سيما ابوهُ فانهُ سرَّ منهُ لمباهاتهِ بشجاعتهِ وجيشهِ وتوعده الاعداء بالويل والحرب وافتخاره بنسبهِ واحتمالهِ شدة المكاره الا انهُ انفطر قلبهُ عند سماعهِ شكواه وتعداده لغدرات الزمان وافعال الاعداء اللئام بهِ وكيف انهم ابعدوا عنهُ حبيبتهُ التي كان تواعد وإياها على الحب والوفاء وعدم الخيانة وعول في نفسهِ انهُ لا يرجع عن حرب عدوهِ ولا ينفك عن قتالهِ الا بتزويج ابنهِ بعين الحياة ولو كلفهُ ذلك الى هلاك نفسهِ وجيشهِ معًا او الزمهُ ان يلحق بعدوهِ الى ما وراء الشمس او الى ما تحت الارض وكان الى جانب فيروزشاه بهزاد بن فيلزور وهو على جواده يسير مسير الاسد في الادغال ونفسهُ تتوق الى افتراس فريستهِ وكان يرغب في ان يقاتل بين يدي فيروزشاه ليريهُ حربهُ وقتالهُ ويعرف عظم منزلتهِ اثناء دوران دولاب القتال وتحرك جاشهُ الى نظم القريض وتوعد الاعداء فانشد وقال

نعم ابي فيلزور الفارس البطلُ ... مردي الكماة هزبر ما لهُ مثلُ
قد جئت شبلاً عنيد الراي لا اسد ... يلوي عناني ولا الاسياف والاسل
مصلب العزم كسار الرؤوس اذا ... ما النقع يومًا بهِ الابطال تكتحلُ
اكر بالقوم كالدولاب مستويًا ... فوق الرقاب وطل الدم ينهمل
اجوّد الطعن في الاكباد عن شغف ... الى الطراد وجمر الروع يشتعل
ويل الوليد اذا ما رحت اطلبهُ ... بهمة قط لم يلحق بها كلل
وويل مصر ومن فيها اذا نظروا ... لهيب ضرب بهِ الارواح تنتقلُ
او شاهدوا من لظا سيفي المنية لا ... منها مفرٌّ ولا يثنيني العمل

ساخدم الدهر فيروزًا وابذل في مرضاتهِ همةً من دونها زحلُ

ولما انتهى بهزاد من انشاده طرب لهُ الملك ضاراب وابوهُ وفيروزشاه وسروا بهِ وشكروهُ على بسالتهِ واقدامهِ وساروا جميعًا سيرًا غير مرتب الى ان قربوا من لدن الطائف وهي المدينة التي فيها فرخوزاد وخورشيد شاه ولاحت لهم عن بعد اعلام الفرس تخفق على اسوارها فسر بذلك الملك ضاراب وارسل خبرًا الى فرخوزاد يخبره بقدومهم وكان اذ ذاك مع خورشيد شاه عند تاج الملوك يتعاطيان الخمور ويتناشدان الاشعار وقد صرفا وقتًا من الزمان براحةٍ وهناء لا يكدر صافي عيشهما مكدر ولا يمنع هناءهما مانع . فلما بلغهما قدوم الملك ضاراب نهضا باعظم سرعة وهما لا يصدقان بذلك وقد نالهما من الفرح ما لا مزيد عليهِ وخرجا برجال المدينة واعيانها الى ملاقاتهِ حتى وقفوا بين يديهِ وسلموا عليهِ فسلم عليهم وشكرهم على طاعتهم وانقيادهم وهنأ فرخوزاد وابن عمتهِ بالخلاص بعد ذلك الاسر واستعاد منهما الحديث عما كان من سبب اسرهما فحكيا لهُ السبب واجتمع بهزاد باخيهِ فسلم عليهِ وصافحهُ وهناه بالسلامة وكذلك فيروزشاه فانهُ اظهر مزيد فرحهِ بلقاه وشكر الله على خلاصهِ وقد سلم عليهما جميع فرسان الفرس ثم رجعوا جميعًا الى المدينة وهم على ما تقدم من الهناء والمسرة ولما دخل الملك ضاراب وبقية الفرسان والوزراء قصر تاج الملوك ترحبت بهم غاية الترحاب وقدمت لهم الشراب وروجت لهم الماكل وهي على جانب عظيم من الفرح لتقربها منهُ ووقوفها بين يديهِ فشكرها على معروفها واثنى عليها مزيد الثناء ووعدها بكل جميل وخير وانهُ سيزفها على خورشيد شاه عند رجوعهِ من حرب المصريين وعند اتمام غرض ولدهِ وبات الملك ومن معهُ تلك الليلة في ذلك القصر وفي صباح اليوم الثاني نهض من فراشهِ وامر فرخوزاد وخورشيد شاه ان يركبا ويسيرا مع الجيش فاجابا بالسمع والطاعة وكذلك بهروز فانهُ اجتمع بسيدهِ فيروز شاه وقبل يديهِ فشكره على حسن مساعيهِ وعاد الى ملازمتهِ منذ ذلك الحين كما كان في الاول ولم يتضح نور النهار غاية الوضوح الا كانت عساكر ايران قد تحركت من ذلك المكان وهو اخر حدود اليمن وسارت بترتيب وانتظام كل جيش تحت امرة قائده ورفعت الرايات بحسب ترتيبها كل راية فوق فارس مخصوصة بهِ وسارت الجيوش في طريق مصر الى ان دخلت بالبلاد التي لها تعلق بمصر فكانت تمرُّ دون التعرض الى احد او تقصد اذى احد بل كانت تسير متجنبة عن العمران ولا زالت في هذا التسيار الى ان قربت من مصر فعرجت الى جهة الشرق منها واختارت لها مقامًا نزلت فيهِ كما تقدم معنا الكلام وقد شاهد وصولها الوليد وجماعة فرسانهِ والشاه سرور وطيفور وقد عادوا الى المدينة

قال وشاع خبر وصول الايرانيين الى مصر وانتشر بين الخاص والعام حتى انتهى الى عين الحياة فصفقت من الفرح واتسع صدرها وانشرح ولم تخفِ مسرتها عن طوران تخت بل قالت لها اما

قلت لك سابقًا ان من احبتهُ نفسي صادق الوفاء كريم العهد فها قد جاء بطلبي يجرُّ من خلفهِ جيوش ابيهِ برمتها فكيف لا احفظ لهُ عهدًا وارعى لهُ زمامًا وهو يتبعني اينما سار والي ويلقي نفسهُ في حفر المهالك لاجلي . قالت هذا داب كل المحبين كيف لا تنظرين الى حالتنا وقد جمعنا كل هذه الجنود لاجلك لندافع عنك ممن يطلبك وتحفظك لاخي قالت ليس ذلك من اخيك والا لو كان كما يزعم وكان فيهِ الكفاءة لان يكون محبوبًا لسبق الجميع اليَّ ورمى بنفسهِ بين مشتبك السيوف ودافع عني هجمات الزنوج الذي راموا ايضًا الحصول عليَّ والزواج بي اما جبنهُ منعهُ عن ان يفادي بنفسهِ في مثل هكذا اخطار وضعف عقلهِ عن ايجاد وسيلة توصلهُ الى غايتهِ رمتهُ بسهام الجنون فتم جنونهُ ولا ريب في ان جنونهُ بحبهِ لي وتعلق املهِ بالوصول اليَّ هو اعظم من جنونهِ الاخير الذي رماه باليأس والقنوط . وعما قليل تنظرين الى افعال فيروزشاه فتعذرينني على حبي لهُ ومتى رايت جمالهُ وكمال خصالهِ وحسن ادابهِ تنصفينني ولا تعودين فتلومينني على تهوري في عشقهِ ولا بد من انهُ سيزورني وانا عندك في هذا القصر لان لهُ زمان مديد لم يرني وكان يعد نفسهُ بزواجي وهو في تعزاء اليمن ولذلك كان يصبر نفسهُ على احتمال صعوبة الفراق . فتالمت طوران تخت من كلامها انما لم ترد ان تظهر لها ما لحق بها لدى ذمها لاخيها بل اجابتها بكل بشاشة ولطف وقالت لها اتظنين الى هذا الحد ان فيروزشاه ياتي هذا القصر ويخاطر بنفسهِ لاجلك وهل صور لك حبك الاعمى بانهُ اذا حركهُ جنونهُ الى ذلك وقصد الدخول الى هذا القصر يقدر ان يخترق عساكر ابي واسواق المدينة دون ان يشعر بهِ احد مع ان عياري ابي منتشرون في كل المدينة وضواحيها وبين الجيش والخفر قائم في كل صوب وعلى كل باب . قالت سوف تريك الايام ما قلتهُ لك فتعلمين ان من احبهُ ليس هو من الناس بل ذات قدرة تفوق اعمال البشر ولديهِ من العيارين ما يمرون بهِ من اضيق الثقوب وبعد ذلك طلبت عين الحياة من طوران تخت ان تاتيها بصفرة المدام وتاخذ معها على الحظ والانبساط منذ ذلك الحين فاجابتها اليهِ وهي تظهر لها كل لطف وظرف ولا تريد ان تكسر لها خاطر وقالت في نفسها ان كان حبها لفيروزشاه الان يحملها على الفرح والمسرة فلا بد ان ينقلب ذلك الى قطع الرجاء وخيبة الامل عندما يصبح قتيلاً واذ ذاك يضعف هذا الحب ويضمحل بالتتابع شيئًا فشيئًا ويزول بزوالهِ وكانت تنكر ايضًا انهُ ربما فاز الاعجام على ابيها واحتاج الامر الى التوسط عند فيروزشاه والملك ضاراب فتتخذ عين الحياة وسيلة لذلك وكان هذا عن تعقل منها وحكمة بنظرها الى المستقبل وما ربما يكون منهُ وقامتا على اطيب عيشة واهناها

وفي اليوم الذي وصلت فيهِ عساكر ايران وضربت اطنابها لاح لطارق العيار ان يفي بوعدهِ للشاه سرور ويخلص لهُ ولدهُ وعيار بلاده هلال والامير قتيل وقال في نفسهِ ان هذه الليلة لا بد ان ينام القوم من اول الليل لانهم تعبانون من مقاساة الاسفار ومعاناة صعوبات الطرق التي سلكوها

اثناء مسيرهم وسفرهم الطويل فلا ينبغي ان اضيع هذه الفرصة واخسر آكرام الشاه سرور واحرم نفسي من المال الغزير الذي وعدني به اذا اتممت له وعده ولا سيما اني اشهدت على نفسي بذلك واكبر غاية لي في هذا المسعى ان اسطو على جيش ايران وانتشل من بينهم اسراهم فالبسهم ثوبًا من الذل والعار والقي الخوف والوهم في قلوب عياريهم وبعد ان لاحت له كل هذه التخيلات وطد نفسهُ على المسير فغير ملابسهُ وسار بصفة فقير شحاذ ودخل فيما بين الاعداء وبدأ يطوف من جهة الى اخرى يتحن مراكزهم ومواقفهم الى ان عرف المكان الذي فيهِ الاسرى ونظر من عليهم من الحراس ولذلك بعد عن ذلك المضرب واقام عند جماعة الفقراء وهو يخدم في المعسكر الى ان مضى جانب من الليل وترتب الخفر على العسكر من جهة المدينة خوفًا من مفاجئة العدو لهم في الليل ونام الباقون اناسًا بعد اناس حتى سكنت الغوغاء وهدأت الاصوات فتيقن ان الجميع قد ناموا فنهض من مرقده وانسحب الى جهة المكان الذي فيهِ الشاه شجاع فوجد عند باب المضرب حارس واحد يحرس والباقون نيام الى جانبهِ فلم يتحرش لهم ولا ترك الحارس يراه بل جاء من خلف المضرب وتمطى من الوتد بكل قوتهِ فاقتلعهُ من الارض ورفعهُ الى جانب ثم رفع طرف المضرب وانسل الى الداخل فوجد الاسرى مستيقظين فلما نظره هلال قال لهُ احسنت يا طارق فاننا الان بانتظارك فعجب طارق من كلامهِ من اين عرفهُ الاَّ انهُ لم يرد ان يطيل الكلام معهُ في ذلك المكان بل اخرج المبرد من حرندانهِ وقطع بهِ القيود بسرعة عجيبة وبخفة لم يسبق لها نظير واخذ السكين ايضًا فقطع بها الحبال واشار اليهم ان يتبعوه من المكان الذي دخل منهُ فاجابوه وساروا من خلفهِ حتى صاروا خارج المضرب وعند ذلك اخذ الوتد الذي اقتلعهُ فربط بهِ الحبل وانزلهُ في مكانهِ وشده برجلهِ حتى لم يعد يتحرك وخرجوا جميعًا من ظهر جيوش الفرس وانسحبوا من بين الخفر واحدًا بعد واحد وهم يدبون على الارض دون ان يراهم احد وسعوا في البر وجاءوا من طريق بعيد الى ان وصلوا الى معسكر المصريين فدخلوه امنين وقد عرفهم طارق بنفسهِ وسال هلالاً وقال لهُ حينما فككت قيودك قلت لي احسنت يا طارق فمن اين يا ترى عرفتني مع اني لم ارك قبل الان ولا رايتني ولا عرف احدنا الاخر . قال صدقت في ذلك غير اني كنت اسمع عنك بانك من آفات العيارين قد انقنت هذه المهنة فتخرجت فيها حتى اذا ذكر عيار والممالك والملوك كنت تذكر في اولهم ولذلك قلت لسيدي الشاه شجاع وللامير قنيل انهُ في هذه الليلة لا بد لطارق العيار ان يزور الاعداء ليلاقي بهم اثرًا وليس اهون عليهِ وانكى على الفرس من ان يخلصنا ويذهب بنا الى قومنا ولذلك لا ينبغي ان ننام حتى متى جاء يرانا بتيقظ وانتباه فلا نحوجه الى مزيد تعب اخنشاء من ان يسمعهُ الخفر او يدري بهِ احد لاننا اذا رايناك ونحن على غير انتباه نلتبس في امرك ويحتاج الامر الى الاستفسار وقد جرى ما كنت اظنهُ واري من نفسي ان لا بد من وقوعه . قال خيرًا فعلتم ثم قدم لهم الاكل والشراب واكرمهم

مزيد الاكرام وقال لهم يجب ان تبقوا عندي هذه الليلة الى حين الصباح كي اقدمكم للشاه سرور وانال منه المجازاة والمكافاة التي وعدني بها . فاجابوه الى سواله وناموا عنده تلك الليلة فرحين بخلاصهم ونجاتهم ٬

وفي الصباح نهض الوليد من منامه واقام في مجلسه وتوارد عليه رجاله واعيانه ومن بعد ذلك جاء الشاه سرور ووزيره طيفور واخذ كل مركزه فقال له الوليد ان الاعداء لم ينووا القتال في هذا اليوم ولا بد انهم اخروا ذلك لما بعد المكاتبة ليعرضوا علينا مطالبهم واقتراحاتهم وعلى ما ارجح انهم يطلبون عين الحياة منا قال طيفوران هذا لا بد منه وهو من خصائص الملك ضارب ان يضع للحرب حدًا وان يبدأ بالمكاتبات مقترحًا شروطًا ومدعيًا رغبته في الصلح والسلام . على اني اخبرك امرًا واحدًا قد استحسنته من الاعجام فقط وهو انهم اذا كان في قصدهم انتشار الحرب يبدا ون بدق طبول القتال من بزوغ الصباح ليعلم الخصم وينتبه اليهم . قال الوليد اني كنت احب ان اعرف ماذا جرى في ليلة امس بين الاعداء وبماذا يفكرون ولا بد لطارق العيار من ان يكون قد دخل يتجسس احوالهم لاني منذ الامس لم اره فانتبه الشاه سرور الى كلامه وخطر في فكره وعد طارق له وقوله باني في اول يوم من وصول الفرس الى هذه الديار لابد من خلاص ابنك وعيارك وبينما هو على مثل هذا الفكر واذا بطارق العيار قد دخل الى القصر ومن خلفه الشاه شجاع والامير قتيل وهلال العيار وقد دنوا من الوليد وقبلوا يديه . فقال طارق للشاه سرور اني وعدتك وانجزت بوعدي فها ولدك قد خلصته لك بالامس من جيش اعدائك وجئتك به مع عيارك الذي انت في حاجة اليه ولا اقبل ان يقال عني باني قاصر عن القيام بوعدي وما تركت الليل ان ينقضي الا وهم نيام عندي ففرح به الشاه سرور وقال له واني افيك وعدي وازيدك شكرًا لك ولاهتمامك ولا ريب ان من كان مثلك يعظم ويكرم وقد اصاب سيدك الوليد حيث قدمك على سواك من عياريه . ثم ان الشاه سرور انعم عليه بالاموال الكثيرة واكرمه مزيد الاكرام ومدح الوليد منه ومن عمله وقال له اخبرني كيف تسهل لك ان تخلص هولاء الاسراء في وقت واحد وانت لا تعرف الجيش ولا تعلم مكان سجنهما . قال اني دخلت قبل اول الليل وانا بصفة شحاذ حتى عرفت مقرهم وفي اي مضرب هم مسجنون . وحكى له كل ما توقع له وقال له في آخر كلامه اعلم يا سيدي ان الاعداء على غير اهتمام بنا وربما ظنوا بنا العجز والضعف لانهم بافراح ومسرة وما منهم الا من يغني ويخمر وليس عند بالهم امر ولا يهمهم هم وقد نسوا مركزهم الصعب فانهم ببلاد مصر وان خصمهم يفوقهم اضعافًا عددًا وعدًا . قال لا بد ان تكشف الحقيقة للعيان فدعهم بغيهم يخبطون الا اني اريد منك ان لا تتهامل بامر الاعداء وان تاتني منهم بالاخبار في كل يوم بحيث نعرف دائمًا ما يجد بينهم ومنهم ايضًا . قال سمعًا وطاعة وانت تعلم صدق خدمتي فسوف ترى ما يسرك . واريك كلما

تعهده فيّ

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك ضاراب فانهُ جلس في صدر مجلسهِ في اليوم التالي لوصولهِ ودعا بان تجتمع اليهِ القواد والفرسان ليعقد مجلسًا حربيًا يستطلع بهِ على افكار الجميع فاخذوا ياتون واحدًا بعد واحد ولما انتهوا او كادوا ينتهون جاء شبرنك العيار ودخل على الملك وقال يا سيدي اني رايت الخفراء القائمين على الشاه شجاع بحيرة وارتباك فسالتهم ما الخبر فقال لي انهم اصبحوا فلم يروا في المضرب احدًا ولا راوا فيهِ منفذًا مع انهم طول الليل قيام في مراكزهم لم يغفلوا قط عن الحراسة دقيقة واحدة وقد فتشوا فلم يروا احدًا وعلى ما اظن ان الشاه شجاع والامير قتيل وهلال العيار قد تخلصوا وساروا الى جيشهم ولا ريب ان الذي خلصهم هو طارق العيار لاني سمعت انهُ خداع محتال لا يغفل عن شي ويجب ان يحذر منهُ فهو كثير المكر والاحتيال وابواب العيارة عنده واسعة جدًا . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام وقع عليهِ اشد من ضرب الحسام وقال أكان من الاعداء ان يسطوا علينا عيار وهم وانتم في غفلة عنهم كيف قدر هذا العيار ان يصل الى خلاصهم والخفر واقف أكان من الجن الطيارة ام من العفاريت السيارة ان هذا من اعجب العجائب فقال بهروز لا ريب في انهُ اقتلع وتد المضرب وبعد خروجه اعاده الى اصلهِ . فقال طيطلوس انهُ من الواجب عليكم ان تنتبهوا من عياري مصر وتحذروا من ان يغدروا بكم ولا خفاكم؟ انكم اذا اردتم ان تعدوا عياري هذه البلاد تجدون ان كل اهلها من العيارين الماهرين

ثم ان الملك بعد ذلك قال اني ما دعوتكم الا للتدبير في امر الحرب واستشيركم في هل ابدأ بالحرب او اكاتب الاعداء فقال طيطلوس ان الحرب لابد منها انما يجب الان في البداية ان تكتب الى الوليد وتطلب اليهِ ان يسلمك الشاه سرور وطيفور وعين الحياة فنعود عنهُ ولا نقيم عليهِ حربًا ولا بد انهُ يمتنع عن الاجابة فيكون هذا كناية عن اشهار حرب اذ تكون بداية الشر منهُ لانهُ حمى عدونا عنده ورغب في ان ينزع من ولدك من احبها واحبتهُ ليزفها على ولده وما ذلك الا من اسباب التعدي والافتراء فوافق الجميع على هذا الراي وامر الملك في الحال طيطلوس ان يكتب كتابًا ويدفعهُ الى شبرنك ليوصلهُ الى الوليد وياتي منهُ بالجواب فاخذ قرطاسًا ودواة وكتب

بسم الله الذى اوصلنا الى مصر بخير ونعمة وابعد عنا كل مصيبة ونقمة

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس باجمعها وسلطان سلاطين العجم العادل المنصف الى الوليد حاكم مصر وما يليها الظالم المسرف . اما بعد فاعلم ايها الملك الذي نحن الان في ارضهِ وبلاده انك قد تعديت على حقوقنا ووجهت بعملك اسباب العداوة الينا . وذلك لا خفاك ان ولدي فيروزشاه احب بنت الشاه سرور على مجرد روياه لها في الحلم وهذا من عجائب الصدف وغرائب الايام لان الله كتب لهُ نصيبًا عليها فدس بقلبهِ دسم هواها وهو خالٍ من كل حب وكان

اذ ذاك اول ادراكهِ فقصد بلاد ابيها وفيما هو في طريقهِ صادف بعض القرصان وقد قصدوا التعدي على مراكب بنتهِ فخلصها منها وجاء الى القلعة الجميلة وهي من اعظم قلاع اليمن كان فيها اثنين عاصيين وهما قاطر وقطير وقد اهلكا قسماً كبيرًا من عساكر الشاه سرور دون ان يقدر ان يكبحها او يستاسرها فمسكها وقادها امامهُ بعد ان حاربهما وارجع القلعة الى صاحبها اي اليوم جاء نعزاء اليمن فوجد عساكر الشاه روز وعساكر الزنوج مجتمعة حول المدينة وقد ضايق الجيوش المدينة واهلكوا منها قسماً كبيرًا وعزموا على ان يدخلوا اليها وليس في اليمن من قدر ان يقف امامهم فلما راى ذلك ولدي استغنم هذه الفرصة ليري عملهُ الى الشاه سرور فنازل بهروز وميسرة فقتلها وبدد جيوشهما واجلى العساكر عن المدينة فترحب بهِ الشاه واحبهُ في اول الامر ثم ظهر حادث في قصره وهو ان انسانًا قتل عبدًا كان يفعل الفحشاء مع جارية على السطح انتج ذلك كدره وجمع العساكر حول القصر وفي القصر ووجه من ذلك الحين عداوتهُ نحو ابني وقد نسي كل ما فعلهُ معهُ من الجميل والمعروف الذي تقدم ذكره فمسكهُ مع رفيقهِ فرخوزاد وسلمهما الى عدوهما هوزنك الذي قتلا ولده ليخلصا بنتهُ منهُ اذ ليس من العدل ان تكون زوجة لذاك الهمج البربري كما خلصاها من السبي والانهتاك عند مهاجمة الشاه روز الذي كان قد صمم كل النية ان ياخذها سبية دون عقد نكاح والله قد ارجعهما سالمين وكان جل ما رغبهُ ابني من هذا الخائن ان يكافئهُ على جميلهِ معهُ بزفاف بنتهِ عين الحياة فامتنع وفضل خراب الديار والتغرب عن الاوطان والعذاب من مكان الى مكان عن ان يصاهر ابني فيروز شاه وقد عرف كل انسان انهُ اجمل منها وجهًا واشرف نسبًا وقد كملت مزاياه وانتشر صيت شجاعتهِ بين ملوك الارض واعيانها وشاهد الشاه سرور شجاعتهُ بعينهِ حتى اصبح اذا ذكر اسمهُ عنده يرتجف ويخاف . ولهذا اسالك الان اذا كنت منصفًا وترغب في ان تحقن دماء العباد فسلمنا هذا الخائن لنصالحهُ ونعيده الى بلاده فسلمنا ايضًا طيفور جرثومة هذا الشر لننتقم منهُ ونهلكهُ وناخذ عين الحياة ونرجع عنك مكتفيين بهذا الذي تينا بطلبهِ وتكون انت قد نظرت نظر العقلاء وحكمت بالعدل حيث قد علمت ان لولدي الحق الاكبر بعين الحياة اذ كان علة صونها وصون بلاد ابيها وتكون ايضًا قد ابطلت حربًا رديئة العواقب ربما قتل فيها اكثر جيشي وجيشك ظلمًا لان لا دخل لهما والامر متوقف على ذلك واكرر عليك السوال بان لا تخدع بتدلسات طيفور ولا تسمع الى كلامهِ فهو خادع ماكر ولا خفاك ان الذي يمكر بغيرك يمكر بك فرداءة الطوية لا تحرم على صاحبها امرًا ولا تحملهُ على مسالمة الغير وان كان لهُ عظيم صالح فيك الا ان هذا الصالح لا يلبث ان يزول فيرجع الى الخبث والخيانة . ولا بد ان تكون قد شاهدت بعينيك عظم سلطاني وكثرة فرساني الاشداء وقد فاقوا بعددهم العسكر فانظر نظر الحكيم العاقل وافعل فعل المنصف العادل ولا ترمي بنفسك الى قتالنا فتجلب لنفسك

ولبلادك الخراب والويل والدمار واياك من الممانعة فتندم حيث لا يعود ينفع الندم اذ زلت القدم والسلام ختام

ثم ختم التحرير وعنونهُ باسم الوليد ودفعهُ الى شبرنك العيار واوصاه ان يدفعهُ الى الوليد ويأتي منهُ بالجواب وينظر بكل دقة الى نخبة فرسانهِ ويعي الى ما يقولهُ الشاه سرور وطيفور والى كل ما يدور بينهم من الكلام فاجاب بالسمع والطاعه واخذ التحرير وانطلق الى ان وقف امام الوليد ودفعهُ اليهِ فدفعهُ الى وزيره بيداندیش ليقراه وكان في ذاك الوقت قد تجمعت عموم الامراء والاعيان يتباحثون بامر القتال . فقراه الوزير الى اخره حرفًا بحرف الى ان انتهى منهُ وقد وقعت الخبالة على الشاه سرور وانعجم لسانهُ على الكلام ووقع الرعب في ركابه من عظم ما هو واقع من الخوف في قلبهِ واما طيفور فانهُ كاد ينشق حنقًا وقال على الفور ان الملك ضاراب دخل باب الكذب وقصد ان يغش سيدي الوليد بان الشاه سرورخان وعد ابنه فير وزشاه معانهُ جاء بلادنا كلص ومحتال ولذلك صار من العيب الكبير ان نزوجهُ ببنت مثل عين الحياة التي رغب فيها اكبر ملوك هذا الزمان كابن سيدي الوليد حاكم مصر وقاهر الاعداء وقد حدثهُ جهلهُ ان يطلب تسليمي وتسليم عين الحياة وما اراد بذلك الا القاء العار على مصر ورجالها ليقال انهم قد خافوا منهُ فاجابوا طلبهُ وليقال ايضًا ان الوليد قليل المروَّة والذمام لم يحمِ نزلاه من اعدائهِ ولا دافع عنهم بل سلمهم الى اخصامهم ونكث عهده معهم ويرغب في ان يخسر عين الحياة صالحًا ويدفعها الى ابنهِ بارادة الوليد وفوق كل ذلك قد يتهدد رجال مصر بجنوده وفرسانهِ وقد اعمى الله بصيرتهُ عن ان يرى هذه الجيوش المجتمعة وفرسانها المتعددة وابطالها المتهيئة وينسب لنفسهِ العدل ويحذر سيدي الوليد من الظلم والتعدي مع انهُ هو المتعدي لان ابا البنت ووليها خطبها بارادتهِ الى الشاه صالح وهو في بلاده وجاء بها اليهِ يزفها عليهِ وما كان ذلك منهُ بالرغم او بالقهر ولما جاء الى هذه الغاية تبعهُ هو لينزع منهُ بنتهُ فاين يا ترى الظلم والغدر والخيانة والتعدي . وكان طيفور قادرًا بتركيب الكلام وسرد الجمل بعبارات مترادفة بما يحرك السامع الى التاثر والتصديق وكان يتلون بالكلام ويقلبهُ من جانب الى اخر فزاد كلامهُ في حنق الوليد وقال اني اعرف كل ما ذكرتهُ ولا بد لي من ان اهدم عزّ هذا الملك واذل سلطانهُ واعدمهُ ولده المفتخر بهِ واجعل هذه البلاد مدافن لجيشهِ فلا ينجو احد منهُ لانهُ متعظم متعجرف لا يقدر نفسهُ حق قدرها ولا يراعي حرمة الملوك وسلطانهم ايفكر اني اسلمهُ عين الحياة وقد نويت على ان ابذل اموالي ورجالي في سبيل الدفاع عنها لانها صارت من حريم ابني ومن نساء عائلتي الخاصة ثم امر بيداندیش الوزير ان يكتب كتابًا الى الملك ضاراب يتهدده بهِ ويامره ان يرحل من بلاده والا لقي شر مصيبة واكبر تهلكة فاجاب الوزير بالسمع والطاعة واخذ وكتب

بسم الله الذي علم الانسان طرق العدل والوفاء وحذره من التعدي والافتراء من الوليد حاكم مصر والصعيد والاسكندرية وبر الشام وحلب وما حواليها الى الملك ضارآب ملك بلاد فارس وسلطان العجم وسيدها

وصلتني مذكرتكم الحاوية من الوعد والوعيد والمباهاة والتهديد ما لا اظن انه يصدر عن ملك يدعي العقل والحكمة نظيركم ولذلك قد اثرت فينا غاية التاثير وكدرتنا مزيد الكدر ومما زادنا عجبًا طلبكم الينا ان نسلمكم طيفور والشاه سرور كانكم تظنون بنا العجز والضعف او قلة المروّة والوفاء وعدم مراعاة النزيل مع علمكم حق العلم اننا نحن الذين دعوناهما الينا طمعًا في ان نجركم الى هذه الديار ونريكم من حربنا خلاف ما تعهدون والاعجب من هذا جميعهِ طلبكم بان تاخذوا عين الحياة فترحلون بها من هذه البلاد وتكفونا مؤونة حربكم والحق يقال انهُ صعب عليكم جدًّا ان تروا بعد تلك الدرة اليتيمة واقرب عليكم من ان تشاهدوا بلاد مصر وجميع نواحيها قاعًا صفصفًا من ان تروني اسمح بها او اسلمها لسواي او اراها ضجيعة لغير ولدي صالح ولهذا صار من الجنون ان تفكروا بها او تطمعوا بخروجها من يدي وكيف يخطر لكم ان تاخذوها بالرغم عن ابيها وتدعوا الحق بها وابوها يفضل الموت على ان يسلمها اليكم ومع ذلك تطلبون الانصاف منا وتعدون مآثر ولدكم وحسناتهِ مع الشاه سرور على ان المذكور لم يدعهِ الى معونتهِ بل اوجده هواه في بلاده ودعتهُ دواعي الفضول الى ان يخاطر بنفسهِ لاجل غرامهِ ولما كنت اعلم ان الشاه المذكور لا يرغب في ان يزوج بنتهُ بابني امتنعت ان اجبره اليهِ لعلمي ان كل نفس احق بالمحاماة عن صوالحها واما الان وقد خطب بنتهُ من ابني وسمح لهُ بها فصارت من نساء قصري ومن اعز الناس عندي وهل من العدل ان يسلم الرجل الحكيم الخبير كنتهُ لاعدائها عن رضا وقبول وعليهِ فاني انذركم الان باني جمعت لكم جيوشًا وفرسانًا بعدد رمال البحار ولا بد من ان تروا من انفسكم صعوبة مركزكم وتهوركم الى المخاطرة بدخولكم بلادي واخراهكم هيبتي فاستعدوا في صباح الغد الى قتالي وتهيئوا الى نزال ابطالي ولا تظنوا اني اغدر بكم او آخذكم على غفلة الا اذا كنتم تعدوني عن صفاء نية وتتعهدون لي بانكم ترحلون من بلادي وتتنازلون عن مطاليبكم وترجعون الى الشاه سرور بلاده وتحصلون على رضائهِ عنكم وعفوه عن ذلاتكم وما اوصلتم اليهِ من الشر والاذى واذ ذاك تروني لكم صديقًا صادقًا مخلصًا اتنازل لكم عن طيبة خاطر واقبلكم كضيوف في بلادي قد جئتم لتحضروا زفاف ولدي على عين الحياة واما ابنكم فليختر لهُ زوجة من بناتنا فلا نمنعها عنهُ اكرامًا لكم ومجابرة لهُ وهذا جل ما اخبركم بهِ واعرضهُ عليكم فاختاروا لانفسكم احدى الحالين اما القتال اذا اصررتم على عزمكم وطمعتم بعين الحياة واما السلام اذا تركتموها لنا وتناسيتموها وعاهدتمونا على الرجوع الى بلادكم بعد ان تاخذوا لانفسكم الراحة ما شئتم من الايام والسلام

وبعد ان انتهى من كتابة التحرير بعثهُ الى الملك ضاراب مع عياره شبرنك فاخذه وسار وقد فرح طيفور والشاه سرور بهذا التهديد وما ابداه الوليد واطمأنت خواطرهما واملا بالنجاح والفوز وقرب العود الى الديار وباقل من ساعة وصل الكتاب الى الملك ضاراب فاخذه من شبرنك وكان بانتظاره ودفعهُ الى طيطلوس وقال لهُ اقرأه على رؤوس الاشهاد وكان لا يزال الجميع في مجلسهِ فاخذ التحرير وقراه ففهم الجميع معناه وما منهم الا من تكدر خاطره وحركتهُ مروَّتهُ الى سرعة القتال وصاحوا باجمعهم اننا لا نقبل صلحًا ولا نترك عين الحياة ولو ذهبت نفوسنا واجسامنا في سبيل الحصول عليها واستخلاصها من هذا المكابر واما فيروزشاه فلدى سماعة ما كان من كلام الوليد تحركت الغيرة في قلبهِ وفار الغضب في دماغهِ وكاد يختنق من الغيظ الذي لحق بهِ وكاد لولا هيبة ابيهِ ان يركب الكمين ويقتحم جيوش مصر ولا يرجع الاَّ بحبيبتهِ عين الحياة وراى الجميع منهُ حالتهُ فخافوا عليهِ ولذلك قال الملك اننا في الصباح سنبادر الى افتتاح الحرب ونري الوليد من منا الرابح ومن الخاسر انما اريد منك يا طيطلوس ان تذهب الى صيوانك وتاتينا بما يظهر لك في تجيمك عن هذه الحرب وفصل لنا عواقبها لنكون على بصيرة من حالنا ونعرف كيف نحارب ونقاتل قال سمعًا وطاعة ثم حكى شبرنك للملك ضاراب ما سمعهُ من طيفور والوليد فلعنهُ وقال اذا سمح الزمان ورماه بيدي لا بد من قتلهِ وقتل الشاه سرور وقد اقسمت واقسم واحتم ان لا بد من قتلهما ولو مهما كان وجرى واما فيروزشاه فدعا اليهِ شبرنك وقال لهُ هل وصل اليك خبر عن عين الحياة او عرفت عنها شيئًا قال نعم استفسرت من بعض خدم الوليد انها مقيمة في قصر طوران تحت بنت الوليد على اطيب ما يكون من الصحة وعرفت ان الشاسرور لم يقبل ان يزف بنتهُ على الشاه صالح بل اعتذر بانهُ صدر منهُ قسم انهُ لا يزفها الاَّ بعد قتل فيروزشاه ولذلك قد اتفق الجميع في مصر على قتلك وانك متى وقعت في يده لا يبقي عليك لان هذه الحرب لا تنتهي الا بك ولا يضعف جيشنا الا بهلاكك ولا تجيب عين الحياة الشاه صالح الا اذا قطعت رجاءها منك . فزاد غضب فيروزشاه وتمنى ان يكون واصلاً الى الشاه سرور لينزل بهِ الى القبور ويفعل مثلهُ بطيفور وندم غاية الندم كيف كان يراعيهما ولم يقصد هلاكهما ولو قصد ذلك لوصل اليهِ وهما في جيوشهما عند تعزاء اليمن انما كان جل ما برغبهُ ان لا يفجع عين الحياة بابيها ولا يضع لها سببًا اي يكون علة كبرى لبكاها ونوحها . ثم ارفض القوم في ذلك النهار على امل ان يعودوا في المساء الى عقد المجلس لينظروا في كلام طيطلوس وما ياتيهم بهِ

قال وقد تقدم معنا ان الوزير طيطلوس كان من حكماء ذلك الزمان وعقلائهِ قد حنكتهُ الايام وقلبتهُ ايادي الاختبار وكان عالمًا فيلسوفًا ومنجمًا ولهُ اكبر معرفة بالتنجيم ينظر الى عواقب الامور من حيث صحتها . فذهب بعد ان اعهد الملك ضاراب بان يختبر احوال هذه الحرب وما يكون

منها قبل وقوعها ودخل صيوانهُ واخذ في البحث والتدقيق عن تركيب الانجم وما تنتج واحضر الرمل فضرب بهِ اشكالاً على الطريقة المعروفة عند ارباب هذا الفن فتبين لهُ بعد حقائق انتجتها بنات افكاره وعلمهِ وصرف كل بقية ذلك اليوم الى المساء وبعد العشاء اتى صيوان الملك فوجده محتفًا بالاعيان والابطال كعصفرشاه وكرمان شاه وفيروزشاه وبهزاد وفيلزور وبيلتا وفرخوزاد وبقية الوزراء والقواد وكلهم ينتظرون قدومهُ فدخل وحياهم فوقفوا اجلالاً لهُ واكرامًا لمقامهِ . ثم جلس على كرسيهِ الى يمين الملك فصغى القوم الى استماع حديثهِ وقال لهُ الملك عجل فبماذا جئت وماذا تبين لك قال قد اظهرت لي العناية الالهية من غامض الاسرار بجد علينا واخفت عني ما يجب معرفتهُ اذ ليس من وظيفة الانسان المخلوق الضعيف ان يعرف ما يقصده الله بل اعطيت معرفة الاستقبال اليه تعالى وان ما تبينتهُ والله اعلم ان نهاية هذه الحرب تكون حسنت العقبى علينا وخيمها على المصريين والشاه سرور انما ذلك بعد صعوبات كلية وعذابات قوية واهوال لابد منها تلقينا تحت اثقال صعبة الحمل وجل ما قدرت ان اعرفهُ وكدرني جدًّا هو انهُ ظهر لي اثناء تنجيمي انهُ سيقتل من بين عساكرنا بطل مقدم كبير الشان رفيع المقام عالي الهمة يضطرب لهُ الجيش وتهتز لهُ الابطال وتتاثر لموتهِ عواصم العجم ومدنها ويحزن كل من عرفهُ او سمع بصيتهِ فاستدعا هذا القول انتباه الجميع وقال لهُ الملك ضاراب وقد خفق قلبهُ وشعلت بهِ نيران الخوف على ولده وقال لهُ اهل تقدر ان تعرف من يكون هذا الذي يفقد من بيننا ويقتل بيد الاعداء قال ان معرفة اسمه من خصائص الله سبحانهُ وتعالى لانهُ كما تقدم منع عن الانسان ان يعرف كل اسراره انما سمح لهُ بعقل ينظر الى العواقب ببصيرة وان يفهم من طلائع الامور بعض ما يمكنهُ عقلهُ القاصر الضعيف ان يدركهُ

وللحال نزل الملك عن كرسيهِ الى الارض حزينًا كئيبًا واخذت السكتة جميع السامعين وما منهم الا من وقعت عليهِ الخملة وانشغل بالهُ وكان بعضهم يظن ان هذا الرجل العظيم الذي سيقتل هو الملك ضاراب والبعض كان يفكر انهُ فيروزشاه والاكثر قد ظنوا انهُ فيروزشاه لان الملك ضاراب لا يباشر حربًا الا بعد قطع الياس والدفاع عن نفسهِ ورايتهِ واما فيروزشاه فانهُ يخاطر بنفسهِ كل المخاطرة ولذلك نهض فيلزور واقفًا ودنا من الملك وقال لهُ لا يجب يا سيدي ان ترتاع لمثل هذا الخبر فان الحرب نار تحرق من تصل اليهِ ولا ينجو منها الا من طال عمره وكتب الله لهُ السلامة ولا يفقد منا الا الذي انتهى عمره ودنا اجلهُ ولا من مكدر يكدرنا الا ان لا نصاب براسنا وها نحن امنون منهُ اذ انك لا تدخل الحرب ولا تنازل لقتال الفرسان ومعاذ الله ان نحتاج الى قتالك ما زال بين يديك الف من الفرسان والابطال يدفعون عنك الويلات ويحملون الاثقال ولا اظن انك تخرق ناموس المملكة وتخرج من تحت الاعلام فتقاتل للدفاع عنها . فنهض

الملك راسهُ وقال اني لم اكن في خوف على نفسي فاني لا ابخل بحياتي ان كنت اقدمها فدية عن جيشي ووطني لا سيما واني قد اكتفيت من العمر ولم اعد في حاجة الى لذاتها انما جل خوفي على شبان فرساني ولا سيما على ولدي فيروزشاه لان اشارات طيطلوس تعني وتدل عليهِ فهو الذي يضطرب الشرق والغرب لخبر مصرعه ويهم جميع مدن فارس امره فهو ولي عدهم وقد ينتظرون بهِ اقبالاً وسعادة للمملكة والبلاد . فقال فيلزور اني اسال سيدي ابنك ان لا يباشر معنا قتالاً ولا حربًا ولا نزالاً . فقال الملك اني امره الان على سمع كل من الفرسان ان لا يباشر حربًا وان يتنحى الى ناحية عن الحرب ويقيم كمتفرج مع فرخوزاد وبذلك يكون بالي قد ارتاح نوعًا واطمأ ن خاطري واطلب من الله تعالى ان لا يحوجنا اليهِ ولا الى مساعدتهِ وفي الحال رمى فيروزشاه بنفسهِ على يدي ابيهِ يقبلهما وقال لهُ لا تدع يا ابي الخوف يتسلط عليك فلا خوف عليَّ قط ولا تحرمني من ان اشفي فوادي من اعدائي ولا تمنعني من اقاتل امام جيشي فاحرزه النصر والفوز وكيف يطاوعني قلبي او تساعدني حاستي ان ارى نيران الحرب تشتعل دون ان اكون من وقاديها ودون ان احرق فيها فرسان القوم وابطالهم فقال لهُ ابوه عبثًا ترجو ياولدي فاني لا اسمح لك قط ان تدخل الان معنا الحرب او تقاتل بين جيوشنا واطلب اليك ان لا تنزل شيبتي بحزن الى القبر فان في فرساننا الكفاءة على القيام بالقتال وان كان خوفك على جيشك فاعهد بحمايتهِ الى بهزاد واكرر عليك بطلبي وازيدك من الرضا والبركة ولا اريد منك ان تعصى لي امرًا او تخالف لي قولاً فاثر كلامهُ في قلب فيروزشاه فبكي بالرغم عنهُ الاَّ انهُ اجاب بالطاعة وقال لهُ معاذ الله ان لا اسرع الى الانقياد اليك والى طلبك واني اعدك بحضور هولاء الفرسان ان لا اباشر الحرب من تلقاء نفسي دون ان تدعوني اليهِ واني احمل الان ثقل هذا المنع بقبول وافتخر بنفوذ امرك فيَّ ليتعلم جميع الفرسان وجوب الطاعة الى الاباء انما ليكن مؤكدًا عندك وعند عموم رجال فارس اني حزين اذا لم امكن سيفي من دماء الاعداء الذين يسرهم هذا المنع ويفرحون بسببهِ اذ انهم يتخلصون من الكسر بسرعة ويثبون امامكم ثباتًا لا علم لنهايتهِ . ثم التفت الى جهة بهزاد وقال لهُ ها اني اتجنب الحرب الى حين صدور امر ابي اليَّ انما اعهد اليك ان تكون انت بهزاد وفيروزشاه بوقت واحد وان تقاتل قتال الاثنين فنادي تارة باسمك وتارة باسمي ولا تنحصر في الطعان واياك ان تثبت في جهة بل قلب الجيش يمينًا وشمالاً كي يشعر جميع الفرسان والعساكر بقربك وصولاتك منهم ودنوك اليهم فتشتد بك قلوب قومنا وتضعف عزائم اعدائنا . فقال بهزاد سوف ترى مني ما يسرك ويرضيك وتعلم انك لست بغائب عن الجيش بل تقاتل فيهِ . وبعد ذلك ارفض المجلس وتفرق القوم كل الى صيوانهِ . وذهب فيروزشاه وهو في غضب لا مزيد عليهِ وحزن ليس بعده حزن وكان يتظاهر انهُ ان عين الحياة اذا عرفت بتخليهِ عن الحرب ماذا يا ترى تقول عنهُ مع انها تنتظر منهُ نصرًا مجيدًا وتطلب خلاصها على يديهِ

وان يكون لهُ الذكر الاول بين الجيوش المتقاتلة ومن وجهٍ اخر كان يتكدر عندما يتذكر انهُ ربما لحق ضرر بابيهِ او ربما كسرت عساكره وتفرقت فيكون امتناعه عن القتال شراً ووبالاً وصرف تلك الليلة دون ان ياخذه نوم او يطيب لهُ خاطر واخيراً قال في نفسهِ ان كل هذه الامور التي تقلقني لا تحسب شيئًا في جنب طاعتهِ لابيهِ وانهُ الافضل لهُ ان ينقاد الى ابيهِ ولو خسر عين الحياة وخسر كل اعتبار العالم ومجده حتى ولو خسر نفسهُ ايضًا

وقبل صباح اليوم التالي سمعت طبول الايرانيين الحربية فاهتزت منها تلك الجبال والوديان واطرب من كان داخل المدينة واستيقظوا من نومهم ولا سيما عين الحياة فانها سمعت اصوات الطبول فعلمت انها طبول الملك ضاراب فانتعش قلبها وقامت قبل طلوع النهار ودخلت غرفة طوران تخت فايقظتها وقالت لها هيا بنا الى غرفة الشراب ففي مثل هذا الوقت يطيب الخمر وذلك على طبول الاحباب ولا تخفاك ان الخيل تشرب بالصفير كما يقال . فقالت لها تطلبين مني ان اسر لسروركِ بطبول الاعداء قالت اني اسر لما في ضميري فسري انت بما شئت انما اجلسي معي واشربي وعاطيني فان الاصطباح يحلولي في مثل هذا اليوم ويا ليتني كنت قريبة من ساحة القتال ارى بطل الفرس وهو يصول على فرسان ابيك فيطردها بين يديهِ كما يطرد الليث الاروع اضعف الخراف فقالت لها اني اجيبك الى سوالك حبًا بشخصك واكرامًا لك لا رغبة في ان اسمع اصوات اعداء ابي بسرور واطرب بهم الى الشرب وصف بواطي المدام

وعند شروق شمس النهار نهضت عموم العساكر فركبت خيولها بعد ان تقلدت بعمدها ونصولها واصطفت ذات اليمين وذات الشمال . وتقدمت بترتيب الى اطراف المجال وقام كل امير وقائد على تنظيم عساكره وخطب عليهم وحرضهم على الدفاع والثبات في القتال وركب في وسط الايرانيين الملك ضاراب كانهُ فرخ العقاب وعلا فوق راسهِ علمهُ الكبير وضربت امامهُ البوقات والدفوف ورعدت طبول الحرب بين انواع الالات الموسيقية تستدعي القوم لترقص بسلاحها على نغماتها وتمايل بشوق الى خطف الارواح فوق صهواتها . وكذلك خرج الوليد من المدينة الى ما بين الصفوف واعتلى فوق جواده وركب في وسط عسكره وانتشرت رايتهُ فوقهُ وضربت طبولهُ ترعد بعظيم اصواتها حتى كان يخيل للرائي والسامع ان القيامة اخذة في ان تقوم او ان الملائكة السبع قد سكبت بجاماتها على الارض بامر الجالس على العرش كما هو مكتوب في سفر الرويا فحدثت اصوات ورعود وبروق كل هذا يجري من العساكر وهي في تاهب واستعداد فذاك غادٍ وذاك رائح وذاك يشهر سيفهُ وذاك يرفع عمده وذاك يتفقد سرجه وذاك مستوٍ في سرجهِ ينتظر بتحرق الهجوم وايقاع القتال وفيروزشاه واقف على قمة بالقرب من فرخوزاد وهو يذرف دمع التاسف على بعده عن تلك الحالة لانهُ نهض في الصباح فتقلد سيفهُ وركب جواده وغير ملابسهُ حتى لم يعد

معروفًا واذا بفرخوزاد قد جاء اليهِ وقد فعل كفعلهِ لان الملك اذنهُ ان يبقى معهُ ولا يفارقهُ فسار اثنانهما الى ان اختارا تلك الاكمة وهي قريبة من موقع القتال دون ان يعلم بهما احدٌ واقاما متفرجين ينظران ولا ينظران ولما راى فرخوزاد بكاء فيروزشاه قال لهُ لا تحزن ياسيدي على عدم دخولك الحرب هذا اليوم فان في الجيش فرسان وابطال لا يخلف مثلهم الزمان ولا اظنهم يغلبون ولا بد من انتصارهم على الاعداء ومن الواجب ان لا تحزن اباك فانهُ هكذا اراد . قال لولا خوفي من الخروج عن طاعة ابي وان يقال بين الجيش اني خالفت لهُ امرًا لما صبرت دقيقة عن ان اخوض بنفسي هذا القتال بل كنت تراني بين جيش المصريين انزل بهِ الويلات والضربات ولا خفاك ان هذه الحرب لا بد من ان تحتاج اليَّ كما اني احتاج اليها لتعجيل مدتها لاني اخاف من التطويل فيضيق صدر عين الحياة وهي لا بد الان ان تكون منتظرة قدومي اليها لارفعها من بين القوم في كل صباح ومساء او ربما تكون منتظرة ان تسمع ماذا افعل في جيش مصر فاذا بلغها اني لم اكن بالجيش تحزن وتتكدر او ربما يبلغها اني تخبيت عن القتال فتخاف من ان تكون قد تغيرت اطواري فجبنت وخفت الاعداء مع انها تعلم اني لا اقدر العواقب واني ارمي بنفسي دائمًا بين مشتبك القنا ولا فرق عندي كثرة الفرسان او قلتها فكيف يسعني ان اصبر عن ان اروي سيفي من دماء اعدائها الخبثاء الذين حالوا بيني وبينها فجعل فرخوزاد يلاهيهِ بالكلام ويطمنهُ بانهُ سيعود الى الحرب بامر ابيه اذا نظر ان الجيش في تاخير

وفي تلك الساعة هزت العساكر بيارقها وهجمت هجمات الفهود وقومت اسلحتها وذئرت زئير الاسود . ونادت بالحرب والقتال . وصافحت بعضها مصافحة الوبال وقبلت الخدود بافواه النصال . وطأطات الرؤوس لاقدام الاعمدة الطوال . واستراحت الارواح مروّحة بارياح الاهوال ودامت الادمية كالديم تسال . ودارت بدوره دوائر الدمار على الابطال . وطال طالب الطعان واستطال . وخير مخير الفخر فاختار اخبار الخير في المجال . فطال ومال وجال وصال . واكتال كواسر الكبر باكبر مكيال . واقتحم بتحمحم حمحمة اسود الدحال . وكريكسر بكره الكتاف بلا كلال . وهم بهمهم همهمة الفهود في الادغال . ليصطاد صيده بصرامة صارمهِ النصال . وجد واجهد جهده بتعجيل الاجال . وعلى مثل هذه الحال . دار دولاب الاشغال . وكثر القيل والقال . وبان الصحيح من المحال . وزادت نار الوغا في الاشتعال . فاستئصلت الارواح من الصدور اي استئصال واحرقت بسعيرها مهج الرجال . فمددتهم على بساط الرمال . وابعدتهم عن هذه الدنيا وهي دنيا الزوال . واما بهزاد الفارس الريبال . فانهُ حارب دون كلٍ ولا ملال . ولا اخذه فتور ولا انحلال . بل كلما اشتدت نار الروع زاد في الحرب وصال ومال . واشتدت بهِ العزائم والاوصال حتى ارعب القوم بقتالهِ وحيرهم بعجيب فعالهِ . ولم يكن يهدأُ في مكان . او ياخذه هدوٌ او توان .

او يمكن احد من ان يصل اليهِ او يقدر فارس ان يقف بين يديهِ . حتى توهمهُ كل من راه . انهُ لا شك فيروزشاه . ولذلك كانت تفر الاعداء من امامهِ . طالبة الخلاص من منايا حسامهِ . وقد شاهدت العجم افعالهُ . ومدحت حربهُ وقتالهُ . واشتدت اعصابها بهِ . ورجحت النصر عند مشاهدة حربهِ . وما تناصف النهار الا وكان خرق عساكر المصريين عدة مرار . وقسمها الى فرق واقسام . وضيع ما كانت عليهِ من الترتيب والانتظام . وقد سال عليهِ من الدماء . ما غير حالهُ فلم تعد تعرفهُ الاصحاب ولا الاعداء . ولولا مناداتهِ باسم فيروزشاه . واكثاره من افتخاره ونداه . لما ميزتهُ ابطال العجم . من بين تلك الامم . ومن بعد نصف النهار عاد فغطس بين المصريين وجعل يضرب فيهم بعزم وقد اشتبكت من حولهِ الفرسان . ومالت اليهِ من كل مكان . قاصدة لهُ الهلاك والفلعان . حتى اختفى عن العيان . وغاص بين الابطال والشجعان . وهو مسرور وفرحان بتكسير الروس واخماد النفوس . لانهُ ما ضرب ضربة وخابت . ولا طعن طعنة الا وصابت . وكلما قربت ان تدنو منهُ الرجال . صاح فيها ومال عليها بالصارم الفصال فتنفر من بين يديهِ كالحجال ثم يصبر عليها ان تعود ناعمة البال . فيرجع الى تفريقها على تلك الحال . وبينما هو باشد نزال يقاتل ويصادم . ويدافع ويهاجم . لاحت منهُ التفاتة الى جهة الاكمة التي عليها فيروزشاه وفرخوزاد فلم يعرفهما وظن انهما من الاعداء فحدثتهُ نفسهُ بان يسرع اليهما ويعدمهما الحياة ولذلك صاح في من امامهِ من ابطال الكفاح . ومال فيهم بضرب الصارم الذباح . حتى فتحوا لهُ طريقًا ففرقهم وخرج من عن يمينهم وهو مغموس بالدم من راسهِ الى قدمهِ لم يبن منهُ الا انسان عينيهِ وقبل ان يقرب منهما نظر اليهِ فيروزشاه وقال لفرخوزاد اني اعجب من هذا الفارس فانهُ يقصدنا وقد يظهر لي انهُ آت من جهة الاعداء وهو يروم ان يوصل شره الينا ولا ريب في انهُ مبعوث لقتالنا فانزل اليهِ وارجعهُ بالخيبة او اقتلهُ واعدمهُ الحياة ولا تدعني ان اقاتلهُ فاخرق وصية ابي . قال سمعًا وطاعة وفي الحال اشهر فرخوزاد سيفه وتقدم نحوه فوجده آت على نية القتال فصبر الى ان وصل فرفع يده بسيفهِ وضربهُ بهِ وقد ظن انها تكون القاضية عليهِ فضيعها بهزاد بمعرفتهِ ولم يرد ان يطيل معهُ القتال بل تناول مضارب سيفهِ بدرقتهِ في يده الشمال وارسل يده اليمين الى جلباب درعهِ فاقتلعهُ من بحر سرجه وهو كالعصفور في يده ثم رمى بهِ الى الارض فكاد يدخل بعضهُ ببعض وعزم على ان يتناول السيف ويضربهُ بهِ واذا بفيروزشاه قد اخذتهُ السرعة واشتد بهِ الغضب وتعجب من عظم مقدرة ذلك الفارس الذي فعل باخيهِ فرخوزاد ما فعل مع انهُ من الابطال الاشداء ولم يعد ياخذه صبر عن الانتظار لهُ وتخليصهُ من يدهِ قبل ان يجهز عليهِ ولذلك اطلق عنان الكميت فخرج من تحتهِ كالسهم الطيار وقبل ان يصل سيف بهزاد الى فرخوزاد صاح فيروزشاه صيحات الغضب وقال ويلك ايها الجسور ارفع يدك فقد جاءك فيروزشاه ابن الملك ضاراب

فارتعب بهزاد عند سماعهِ هذا الكلام ورفع بيده الحسام وهو محير وارجعهُ عن اخيهِ ونظر الى فيروزشاه فوجده قد احمر وازرق وخرجت الزبد على اشداقهِ وتفجرت عيناه وظهرت عليهِ علائم الغضب والانتقام فخاف من ان يوصل اليهِ شرًا فقال لهُ ارفق يا سيدي فانا بهزاد لا بل فيروزشاه وقد ظننتكما من الاعداء ولم يكن في عهدي انكما تكونان في هذا المكان وانما بغير ملابسكما المعتادة فلما سمع فيروزشاه كلامهُ وتحقق انهُ بهزاد دنا منهُ وقبلهُ وقال لهُ لم يكن في عهدي بين جموع الاعداء من يقدر ان يفعل مثل هذه الفعال او يلقى فرخوزاد في قتال الا ان كان انت يابهزاد قال لم اكن من الاعداء يا سيدي انما خرجت من بينهم وقد فرقتهم في هذا النهار عدة مرات وغاب الاخ عن اخيهِ ولم يعد يعرف القائد اي فرقة يقود ولا باي جهة هو ولو لم يكن بين رجال مصر فرسان وابطال لما ثبتوا كل هذا الثبات انما الكثرة تثبت امام الشجاعة اذا لم اقل انها تتغلب عليها والان فاني لا احب ان اطيل المقام في هذا المكان فليس هو مقام مقال ثم نزل الى اخيهِ فرفعهُ وكان قد تاثر ورض جسمهُ من عظم الضربة وتكدر من اخيهِ وظنهُ قصد بذلك ان يظهر لهُ شجاعتهُ وبسالتهُ ليعلمهُ انهُ ابسل منهُ فاخفى ذلك في قلبهِ وشكره على بسالتهِ فاعتذر اليهِ بهزاد وقبلهُ ثم ركب جوادهُ وعاد الى ساحة القتال وفيروزشاه مسرور بعملهِ فرح بقتالهِ فنظره قد عاد من المكان الذي خرج منهُ فصاح واقتحم معركة الكفاح وعاد الى عملهِ الاول من الصول والجول الى ان مالت الشمس الى الغروب واحتجبت عن الابصار واذ ذاك دقت طبول الانفصال تشير الى الفرسان والابطال ان ترجع عن الحرب والقتال وكانت نار الحرب عظيمة الاشتعال . وهي في تسعر والتهاب واشتداد مصائب وصعاب . فلم تقبل عساكر ايران ان ترجع عن الطعان والضراب . بل ثبتت في مراكزها ودامت في اعمالها لانها كانت فرحة باعمال بهزاد مسرورة القلب والفواد . ولما رات رجال مصر ان الاعجام يرغبون في اتصال الحرب والصدام تحت اعتكار الظلام . التزمت ان تجاريها على اعمالها وان لا ترجع من امامها فتتبعها الى خيامها وعلى هذه الحال اتصلت نار الوغى من النهار الى الليل وجلبت على القوم مصائب الاكدار والويل ورجع عن ساحة الميدان . كل ذليل جبان ونذل مهان . وقصد الاختفاء في الظلام عن العيان . ليكتفي موؤنة الضراب والطعان . ويصون نفسهُ من المذلة والهوان . والهلاك والفلعان . وثبتت الصناديد الشجعان . ترجو لنفسها الفخر وعلو الشان . فلله در بهزاد الصارم اليمان . وما فعل في ذلك الليل الكثير الهوان . ودر فيلزور البهلوان فانهُ سطا على الاعداء بقوة قلب وجنان . واجرى الدماء كالغدران . ومثل ذلك فعل مصفرشاه وكرمان شاه الاسدان . وقد عجزت عن ان تفعل كافعالها الجان او عفاريت السيد سليمان . واما بيلتنا فلم ياخذه هدو ولا توان . بل جال بين المصريين اسيء جولان . وفعل فيهم فعلاً يذكر الى اخر الزمان . كانهُ عنترة عبس وعدنان . وكانت الحرب ترسل من جوف جهنمها السنة من النيران

فتلتهم الرجال وتخرج الارواح من الابدان . وتدفق الدماء من الاوداج بعد الاحتقان . فتسيل في اقنية الارض كمسيل الغدران . وكان الليل قد بعث باشتداد نوره على ذلك المكان . وغاب عنهم من الحنق نور بدره وما بان . وتفرق عن بعضها لكثرة تجمع المتقاتلين الفرقدان . ومالت من ثقل عيار صعوبة الوغى كفة الميزان . وادبر اليهم بظهره اعراضاً عن قباحة تلك المناظر الدبران . وبعث اليهم زحل باكوام النحس اي بعثان . واختار سعد ذابح وسعد بلع وبقية السعود الاختفاء وعدم البيان . اذ لم يكن لها عند اولئك القتلة مقام ولا امتنان . واستوى المشتري واظهر ما له من العظمة وقوة السلطان . وارسل سهام غضبه فالبست الارض ثياب الارجوان . واعترى الزهرة الخمول والذبول لجفاف الوجوه الحسان . ورش عليهم الدلو من ماء غضب المريخ باشكال والوان . وقد حنق على القوم من عظم ما جرى وما كان . ووقفت الكرة مضطربة عن الدوران وامرت الصبح ان يعجل بالاتيان . فلم يجب بل تظاهر بالاعراض والنسيان . ولم يقبل ان يرى ما ما يفعله المتقاتلان . اذ لم يكن يسمع الا البكاء وصرير الاسنان . واحتدام الافئدة بالغيظ والغليان وامتلأت من جثث القتلا تلك البراري والقيعان . وحامت فوق الروس كواسر العقبان . وكان يظهر للقوم ان يوم الحشر قد آن . وجاءت الساعة وان الاوان . وقام ميخائيل وجبرائيل واسرافيل وعزرائيل يقدمون النفوس للحسبان . قال وكان الليل ليل حالك . كثرت فيه المصائب والمهالك . ولم يعد يعرف الصديق من الصاحب . ولا الاعداء من الاقارب . بل كانت الاصوات . تظهر العلامات . فيعرف الرجل الاخصام . معرفة الظن والايهام . وكثيراً ما قتل المصري مصرياً . واليمني يمنياً . والايراني ايرانياً . والشامي شامياً . وامتزج الجميع واي امتزاج . وعالجوا انفسهم بالصبر من داء البلايا فلم ينجع العلاج

هذا وبينما كانت الحرب قائمة بقيامتها المتقدم ذكرها كان فيروزشاه قد انحدر عن الاكمة وهو في ضيق صدر ووقف بالقرب من ابيه وهو يزأر زئير الاسود ويلطم الاكف على الخدود ويحرق ويعض على اسنانه من الم الامتناع عن الحرب وهو تارة ينظر الى نار تلك المعمعة المتسعرة بزناد فرسانه وطوراً يصيح من غير وعي كانه ضمن القتال يقاتل ويناضل ويطعن في صدور الفرسان فادرك ابوه منه ذلك وعرف انه اذا بقي بعيداً عن الحرب يخسر عقله ويعتل فلزم ان يعهد بامره الى طيطلوس في الغد فاما ان يمنعه عن القتال بحكمته واما ان يعود فياذن له فيتقاتل مع الفرسان وقد تحقق عند كل من راه انه لا يرتوي الا بالقتال وشرب دماء الابطال والخوض تحت الغبار المتسردق فوق الرؤوس

قال وما جاء صباح اليوم التالي وفي المتحاربين بقية رمق من عظم ما نالهم من هول ذلك الليل الكثير المصائب والاخطار والمملوء بالاحتفال والويلات ولذلك شعروا بضرورة احتياجهم الى

الراحة والعود الى الخيام وترك الحرب والقتال فضربت طبول الانفصال واخذ العسكر بالرجوع وهم في فرح لا يوصف وقد فرشت فسحات تلك الارض من جثث الرجال المقتولة والخيل المائتة وقد تقدم ان فيلزور قاتل في تلك الليلة قتالاً لم يسبق له ان قاتل مثله فقد اشفى الغليل و بدد جموع الاعداء واهلك منهم جانبًا عظيماً حتى كادت تكل يداه وفي الصباح سمع نفير الملك ضاربًا يامر بمنع العساكر وان تعود عن الحرب فعاد مسرورًا بما فعل في النهار الماضي والليل الذي اعقبه وقد افتخر بنفسهِ فانشد

يجدد الدهر في عزمي وفي هممي	ويرفع السيف في شاني وفي عظمي
انا انا فيلزور الفرس ان رفعت	سرادق النقع اجلتها يدا هرمي
ولي فواد وان خط المشيب على	راسي سطورًا يرى العلياء بالهمم
ارعبت جيش العدا من بعد امنهم	وراح يرجف مني حامل العلم
انزلت بينهم الويلات فاندثروا	وشدت للفرس بيتًا غير منهدم
فخرت بالسيف حيث المجد كان بهِ	والفخر للسيف ليس الفخر للقلم
وما برحت بطول العمر افتك في ال	عدا بصمصامة من صنعة العجم
وكم هوى من هول عزمي غطارفة	تقبل النعل قبل الرجل والقدم
وكم ذللت مليكًا لي وكم بطلاً	اقمته صاغرًا قد قاد في لجمي
حتى غدت ترجف الابطال ان ذكروا	اسمي ويرهب شخصي سائر الامم

وكان فيلزور ينشد اثناء عودتهِ وهو آمن من طوارق الدهر وحدثانهِ يفخر باعمالهِ وما اعطاه الله من القوة والبطش واذا بخورشيد شاه يناديهِ عن مقربة منهُ بصوت الرعشة والاضطراب ويقول له احذر لنفسك يا فارس بلاد فارس فقد غدرت بك ايدي اللئام فالتفت بسرعة الى ورائهِ واذا بسيف خطير يهوي كالقضاء المنزل فلم يتمكن من التحذر منهُ قبل ان اصاب راسهُ فشجهُ ووقع على كتفهِ فازالها فغاب وعيهُ ومال عن جواده الى الارض يخبط بدماه . وكان السبب في ذلك ان خطيرًا كان لا يزال محروق الفواد على اخيهِ خاطر وهو يترصد الفرص لياخذ لنفسهِ بالثار ويقتل فارسًا عوضًا عن اخيهِ امافير وزشاه واما قاتلهُ او احد اولاده فلم يتمكن الى ان كانت تلك الليلة فقال في نفسهِ ان هذا الليل ستار ولا بد لي من ان اخذ لنفسي بالثار فقصد جهة بهزاد وكان قد شاهده ونظر منهُ الاهوال فحاول القرب اليهِ فلم يقدر لانهُ كان يدور كاللولب وينتقل من جهة الى اخرى وهو يصيح و ينادي ويكردس الابطال فوق بعضها ويجفل من بين يديهِ الفرسان وكلما تجاول واياه يرى نفسهُ مغلوبًا معهُ فيفر من امامهِ ويستره الليل فيلتقي بهزاد بغيره وهو غير حاسب له حساب حتى احترق قلبهُ وتالم من عجزه عنهُ وعول على الغدر بهِ على غير انتباه منهُ فترقب ذلك الا

انهُ وجده متحذرًا لنفسهِ لا يغفل عن ان يدور بجواده من الامام الى الوراء في كل دقيقة وثانية ودام كذلك الى ان اختفى عنهُ بهزاد بدخولهِ في عباب ذلك الجيش الكثيف الذي كان يفعل فيهِ كما تفعل النار الشديدة الالتهاب في القش اليابس فمال الى غير جهة وهو يحاول ان يرى من ياخذ منهُ بثاره فلم يتوفق الى ذلك الى ان قرب الفجر فسمع صوت فيلزور يطعن في الابطال ففرح بذلك ودنا منهُ ولم يجسر ان يقاتلهُ لعلمهِ انهُ ليس من رجالهِ فدار من حواليهِ ينتظر اغتنام الفرصة لقضاء غرضهِ الى ان ضربت طبول الانفصال واخذ المتحاربان في الرجوع ورجع فيلزور وهو امن من العدو اذ شاهد ان الاعداء قد عادوا نحو خيامهم ولم يخطر لهُ ان خطيرًا يترصدهُ وانهُ راسـ رجوعهُ فسار في اثره بسرعة كلية وانقض عليهِ بعد فراغهِ من انشاده وضربهُ بالسيف فاصابهُ وكان خورشيد شاه كما تقدم نظره حين رفع يده بالحسام فلم يتمكن من ان يدركهُ فصاح في فيلزور على رجاء ان يميل عن الضربة غير ان فراغ اجلهِ عجل بالاصابة قبل ذلك ولما نظر خطير انهُ تمكن من عدوهِ اطلق لفرسهِ العنان وكر راجعًا حتى اختلط بين قومهِ وادرك رجال جيشهِ واختفى بينهم واذ ذاك علت الضجات ودنا من فيلزور فوجده يتخبط بدمهِ فرفعهُ الى صدره وقد احاطت بهِ رجال العجم من كل ناحٍ فنظر اليهم نظر المودع وقال لهم عند شعوره بارتياح الموت اهدوا وداعي الى الملك ضاراب والى ولده فيروز شاه واخبروهما ان يعاملا اولادي كما كانا يعاملانني وقولوا لولدي بهزاد اني عهدت اليهِ باخذ الثار من خطير الغدار . ثم اغرب عينيهِ واسلم الروح فرمت الرجال بقبعاتها الى الارض وحثت التراب على رؤوسها ومزقت ثيابها ونتفت لحاها واكثرت من بكائها وعويلها وصراخها وتناقلت خبر موتهِ الرجال حتى انتهت الى الملك ضاراب فصاح من شدة التاثر والالم وتاسف على قتلهِ وحزن مزيد الحزن وكذلك طيطلوس وفرخوزاد وفيروز شاه وما منهم الا من ناح نوح الثكلى وبكا بكاء النادبات وقد تفطرت المرائر وشقت الكبود وامر الملك ان تحمل جثتهُ الى صيوانهِ ففعلوا واتوا بها مرفوعة على اعناق الامراء والقواد والصراخ قائم من ورائها ومن امامها وكان بيلتنا ايضًا يندب ويصيح من فواد محروق واابتاه واحرقة كبداه قد احرمتنا لذيذ الهناء واذقتنا لوعة العزاء فلا كان من اوصل اليك الاذى واوقع فيك غدرًا وعداوة فقد نفذت فيك سهام العدا ونحن بعيدون عنك لم نرَ خيانة الغادر الناكث . قال وبينما كان القوم يزدحمون افواجًا افواجًا وهم ما بين باكٍ ونائح ومكشوف الراس وممزق اللباس واذا ببهزاد قد اقبل وهو يخب بجواده كانهُ السهم الطيار ففتح لهُ طريق فدخل بجواده وعمده في يده مرفوع

قال وكان بهزاد في اطراف الجيش يطاعن ويقاتل وما انفك عمن كانوا امامهُ الى ان ادخلهم الخيام وعاد وهو فرح بالنصر الذي احرزه والظفر الذي نالهُ بقوائم سيفهِ وما تقدم الا القليل حتى سمع

اصوات رجال ايران تصيح وتنادي وتندب وتبكي عن بعد اكثر من ربع ساعة ورأى الذين امامه في اضطراب وانشغال فخفق قلبه هلعًا ودنا من بعض الفرسان فسأله عن السبب فلم يجسر ان يجيبه بل نظر اليه نظرة الياس ورفع صوته بالبكاء والتعداد فضاق صدر بهزاد وسأل الاخر ففعل كالاول فقامت عيناه في ام راسه واحمر وجهه من صعود الدم اليه حتى كاد يختنق وصاح فيمن امامه بصوت كالرعد القاصف وقال له ويلك اخبرني ما سبب هذا الاضطراب وهذا النوح ولا تخش غائلة فما انا ممن يوخذ بضربات المصائب ولا تضعف همة النائبات فبكى وحث التراب على راسه وقال له اعلم ياسيدي ان الاعداء قد غدروا بنا واوقعوا بسيدنا واصابوا بسهام خيانتهم مقتل حامينا وفارسنا قد قتل ابوك سيد فرسان ايران واستاذها خليفة جدك صاحب السلالة البهلوانية وفارس الاقطار الايرانية . فلما سمع بهزاد هذا الكلام وقع في قلبه اشد من وقوع السهام الا انه اخفى كدره ولم يصدر من عينيه دمعة بل سار بجواده كالمقدم حتى انتهى الى مكان المأتم فشاهد العزاء قائم الاركان والجميع يلطمون وينوحون حول ابيه ولما راوه بعدوا له وقد ظنوا انه يرمي بنفسه على ابيه او يحول عن جواده ليبكي عليه فلم يفعل بل وقف مطرقًا اليه وقد وضع براسه على عمده والقاه الى الارض وبقي مطرقًا نحوًا من عشرة دقائق والكل ينظرون اليه وقد تعجبوا من عمله ولاسيما اخوته والملك ضاراب وقد تركوا البكاء منتظرين نهاية عمله واذا به قد رفع راسه وقال قد وقع القدر فلا مرد انما اريد ان اسال من كان حاضرًا عند قتل ابي فاجابه خورشيد شاه وحكى له كل ما شاهده فتنهد من فواد محروق ثم التفت الى الملك ضاراب وقال له وعلى م عولت الان وماذا فكرت ان تجري بجثة ابي . قال ان حرقتنا عليه عظيمة فيما قد تمت تنبيهات طيطلوس فبالحقيقة انه ركن عظيم وعمود ثقيل وكان في نيتي ان تحمل جثة ابيك الى ايران لو كانت البلاد قريبة غير انه يلزمنا الصبر لاننا بين اعداء يسرهم مصابنا ويفرحهم بكانا كما يبكيهم هنانا ويكدرهم فرحنا ولذلك عزمت على ان تدفن جثة ابيك الان وفي الغد نعود الى القتال وناخذ له بالثار وننتقم من عدوه خطير الذي غدر به . فقال اني اسالك بما لابي عندك من الحب وما كان له من المراعاة ان لا تدفنه قبل ان اخذ له بالثار ثم مال بوجهه الى عموم الفرسان والامراء وقال اني التمس منكم ان لا احد منكم يبكي ابي قبل ان تروني قد بكيته فما نحن بنساء ولا يليق بنا ان نبكي قتيلنا والاعداء يفرحون لموته فلا نقيم البكاء بيننا ما لم نقم البكاء على خطير الذي غدر به ثم اكز جواده فخرج من تحته كالبرق في السرعة وقد رفع عمده بيده ولعب به بالهواء وهو مشعل بالغضب والحنق حتى وصل الى خيام الاعداء واقام الضرب في فرسان مصر وعسكرها وهو ينادي ويلكم ابناء الحرام واولاد اللئام اسرعوا الى حاكمكم وادعوه ان يامر خطيرًا ان ينزل اليّ لاخذ بثار ابي والا رجعنا معكم الى الحرب والطعان وانزلنا بكم الذل والهوان واذقناكم الموت الذي لا يفوتنكم منه فوت فجفلت

من بين يديهِ الفرسان وقد خافتهُ كل الخوف واسرع اكثرهم الى حضرة الوليد يعلمونهُ بطلب بهزاد وانهم شاهدوا الاعداء يتحركون الى العود الى القتال وفي نيتهم تجديده الى حين استيفاء الثار من خطير

قال وكان الوليد قد رجع من مركزه الى صيوانهِ وهو مكدر من فعل الاعجام لانهُ كان يظن انهم لا يثبتون امام رجالهِ اكثر من يوم دون ان يلحق بهم التعب ويعتريهم الملل وتاخذ قوتهم في الاضمحلال فلما راى ما راى في ذلك اليوم ونظر في المساء انهم لم يوافقوا على ترك الحرب بل اجهدوا انفسهم فيها وابلوا رجالهُ بالويل حتى كادت قوتهُ تضعف لولا كثرة جموعهِ وكان اكثر المقتولين من المصريين ومن اليمنيين قال لوزيره بيداندیش اني كنت انظر الى الشاه سرور بازدراء وانسب اليهِ الجبن وضعف القلب الى ان شاهدت اعمال الفرس فاذا هم بالحقيقة رجال الحرب واسود الطعن والضرب وافات القضاء وويلات البلاء فانظر الى فعلهم في يوم امس وليلهِ فقد افجعونا بكثير من ابطالنا وعمد بلادنا واذا دام علينا الامر على هذا المنوال عشرة ايام يعترينا الانقراض ونتفرق عساكرنا وابطالنا ويقع بنا الخسران واي خسران فقال لهُ الوزير لقد عرفت كل ما عرفتهُ والحق اولى ان يقال بان رجال فارس وفرسانهم من اشد رجال هذا العالم وابسلهم فقد قاتلوا قتالاً لم ارَ ولا سمعت بمثلهِ قط وما كان يحكيهِ لنا طيفور عن فعلهم بطومار والزنوج قد رايتهُ بالعيان . وبينما هما على مثل ذلك الشان واذا بالامير خطير قد ادركهما وهو من الفرح والسرور على جانب عظيم وكان الوليد قد وصل الى صيوانهِ فدخلهُ وجلس وجلس من كان معهُ وجلس الشاه سرور وطيفور واذا بخطير قد دنا من الوليد وقبل يديهِ وقال لهُ يهناك يا سيدي كبح اعدائك والايقاع بهم فقد قلعت من بينهم درسًا متينًا وقتلت منهم فارسًا خطيرًا وقد خدمتني السعادة ورمتني الى اعلى متون الحظ والفرح لاني اخذت بثاري من عدوي الذي قتل اخي خاطرًا واحرق قلبي وقلب اولاده عليهِ . فقال لهُ الوليد ماذا اهل قتلت فيلزور قال نعم قتلتهُ بصارمي هذا الذي لا يزال ينقط من دمهِ وقد مال الى الارض جديلاً مفارقًا دنياه وهو يفاخر ويباهي بفتكهِ فينا ولو لم نرجع عن القتال لافنلت منهم مقتلة عظيمة لاني لم اكن موجهًا باهتمامي الى عامة العساكر بل كنت اقصد الفرسان والامراء حتى التقيت بفيلزور فانزلت عليهِ قضاء الله المقدور وما ذلك الا لعلمي ان الجيش لا يثبت الا برؤسائهِ وفي الغد ان شاء الله لا بد من قتل بهزاد وفيروزشاه او الاثنين معًا ومتى قتلا مالت جيوش فارس وادبرت عن هذه البلاد وهي خاسرة حاسرة ففرح الوليد بكلامهِ وشكره عليهِ وامر لهُ في الحال ان يلبس حلة مزركشة من الديباج الفاخر وان يزاد لهُ في معينهِ واما الشاه سرور فانهُ شعر من نفسهِ بالنجاح والتفت الى طيفور وقال لهُ هوذا قد هد ركن عظيم من اركان الفرس ولا بد انهُ يضعف لموتهِ جيش فارس سيما بعد ان يقتل فيروزشاه وقد تعهد خطير

بقتلهِ في الغد وهو قادر على ما يقول قال انهُ عاجز عن قتل فيروز شاه الا اني اعرف ان السعادة اذا خدمت انساناً ساعدتهُ على نوال غاياتهِ فاذا قصد ازالة الجبال ازالها وعندي ان نحوس الفرس ستقبل عليهم ومن المقرر انهم قد استخدموا السعادة اعواماً وقد انقضت مدتها فلا بد من ابدالها بعكسها وقد يرجح ان خطيراً يقتل فيروزشاه و يعدمهُ الحياة وليس على الله من امر عسير ثم التفت طيفور الى خطير وقال لهُ قد وجب لك علينا الاكرام الزائد وانما نرجوك ان لا تنسى هذا الوعد الذي وعدت بهِ سيدك واني اشهد عليَّ هولاء الجماعة وسيدي الوليد انك ان قتلت فيروزشاه وبهزاد دفعت اليك باموالي وتركت سيدي الوليد ان يبعث اليك بخزائنهِ مملوءة من الذهب ولا تخاف من هذا الامر ومن مبارزة هذين الفارسين فاذا كان قد قضى الله لهما امراً منكراً تخر النملة من وجه الارض فتوذيهما وتميتهما وكم من بطل مات بفعل اصغر الحشرات واحقرها فكم بالحري وانت من فرسان مصر الاشداء وامرائها المقدمين وليس من يقدر بين عموم رجال الاعجام يقدر ان يلقاك الا ان كان هذان الفارسان والثالث قد قتلتهُ والذي عانك على قتلهِ هو قادر ان يعينك على الاثنين المذكورين فحرك هذا الكلام شجاعة خطير وقال سوف تنظرون مني ما يسركم ويرضيكم وقد طمع بالمال الذي وعده بهِ طيفور ووطد عزمهُ على ان يفعل بهما كما فعل بفيلزور فيستغنم الفرصة ويغدرهما واقام مسروراً بالخلعة التي وصلت اليهِ ويمدح الوليد لهُ لانهُ ابدل لهُ حزنهُ بمسرة

قال وبينما الوليد في مجلسهِ وهو مع بطانتهِ والذين داخل صيوانهِ في فرح يوصفون شجاعة خطير وهو يفاخر بنفسهِ واذا بالصيحات قد قامت من كل ناحية واضطربت جموع المصريين واسرعوا يركضون الى الوليد وهم في خوف ورعب فسال ما الخبر وما السبب الموجب لذلك الاضطراب فادخلوا اليهِ احد الفرسان فقال لهُ اعلم يا سيدي اننا بينما كنا قد حولنا عن خيولنا وفككنا لها لجمها ودخلنا الخيام نرتاح من التعب الذي الم بنا من جرى الحرب التي اقمنا بها نحواً من ٢٤ ساعة واذا ببهزاد الفارسي ابن فيلزور المقتول قد هجم على الخيام واخذ في ان يعمل في فرساننا وهو ينادي اسرعوا الى حاكمكم الوليد واسالوه ان يبعث اليَّ بقاتل ابي فاما ان يقتلني ويقرني اليهِ واما ان اقتلهُ واعدمهُ الحياة واخذ بثاري منهُ في نفس هذا الصباح وقد اليت على نفسي ان لا انزل عن جوادي ولا انزع عدتي ولا ادفن ابي الا بعد ان اقاتلهُ ويكون الفاصل بيننا هذا الوقت لا غير واذا ابى وامتنع عن ان يلقاني في الميدان سرت اليهِ الى وسط ديوان الوليد وقتلتهُ هناك وفعلت بجميع من فيهِ مثلهُ واعدت الحرب هذا النهار وهذا الليل ولا اترك راحة لمرتاح ثم نظرنا يا سيدي الى جهة الايرانيين فوجدنا عساكرهم على اهبة الاستعداد وخيلهم ما برحت مسرجة ملجمة وعددهم لا تزال عليهم فاضطرب عسكرنا لذلك وخاف الكبسة وحملة الاعداء ونحن على غير استعداد اذا امتنع

خطير عن مناضلة و مقاتلة بهزاد . وكان هذا الفارس يتكلم وخطير يخفق قلبهُ من الخوف لانهُ
شاهد قتالهُ وعرف عظم بسالتهِ فخالطهُ حزن عظيم ولم يعد يعرف بماذا يجيب او ماذا يكون منهُ
وقد سال العرق بارداً على جبينهِ وحدثتهُ نفسهُ بقرب اجلهِ و بينما هو على مثل ذلك واذا باحد
الفرسان الموجودين قد وقف وسال الوليد ان يسمح لهُ في ان ينزل الى بهزاد ويعدمهُ الحياة و يلحقهُ
بابيهِ وكان هذا الفارس من بلاد الغرب واسمهُ نصر المغربي وكان من الطاعنين الحاسدين وقد
شاهد الوليد انعم على خطير وسمع طيفور يعده بالانعام والاكرام فحسده على تلك النعمة وحدثتهُ
نفسهُ ان يبارز بهزاد فيقتلهُ ويكسب فخراً فوق الفخر الذي نالهُ خطير . فلما سمع الوليد كلامهُ قال
لهُ سر اليهِ واقضِ اجلهُ ولك مني كل ما تطلبهُ وفوق ذلك اني انعم عليك بزواج بنتي واجعلك
بهلوان مملكتي واقدمك على كل فرسان بلادي فسرَّ عند سماعهِ هذا الكلام وتكدر منهُ خطير لانهُ
خاف ان يقتلهُ فيرتفع مقامهُ عليهِ الا انهُ تركهُ يفعل غايتهُ حرصاً على حياتهِ من الهلاك وفي الحال
خرج نصر المغربي فركب جوادهُ واعتد بعدتهِ وسار الى ناحية بهزاد حتى قرب منهُ فوجده يضرب
بعمده الخيام فيطيرها الى الجو الاعلى فتقع على رؤوس الفرسان فتهرسها وتذهب بارواح اصحابها
الى الهلاك و يصيب بضرباتهِ الرجال فيمددها على بساط الرمال فلما راه نصر على هذه الحالة صاح فيهِ
وقال لهُ ارجع عن عملك والقاني في ساحة الطراد لاذيقك من الموت امره فقد بعثني سيدي الوليد
اليك لاخطف روحك من جسمك فضحك منهُ بهزاد وقال لهُ من انت ومن تدعى من الفرسان
وابن الامير خطير ولما لم يبرز الى الميدان . قال انا الامير نصر المغربي من بلاد الغرب وقد جئت
نصرة للوليد لا قاتل بين يديهِ وانتقم لهُ من اعدائهِ وكان يفكر الامير خطير ان يبرز اليك و يلحقك
بابيك فمنعتهُ من ذلك واخذت العهدة على نفسي اني اجعلك عبرة لقومك واحرمك من لذات هذه
الدنيا و بينما كان الامير نصر يتكلم و يتهدد بهزاد كان بهزاد يتحرق و يتالم وقد ضاق صدره وعيل
صبره فصاح بهِ وقال لهُ ويلك خذ لنفسك الحذر واثبت في مواقفك فليس الان وقت مباهاة
و باسرع من لمح البصر التحم الاثنان وجالا في ساحة المجال واختلف بينهم الضراب والطعان
والمراوغة والجولان . مقدار ربع ساعة من الزمان . و بعد ذلك ضايق بهزاد خصمهُ ولاصقهُ وصاح
فيهِ فخبلهُ وطعنهُ بالعمد على صدره فالقاه الى الارض قتيلاً وانخطفت روحهُ من عظم الضربة
فتركهُ الى الارض ولم يعبأ بهِ وصاح فيمن حولهُ و يلكم ابناء اللئام اذهبوا الى الوليد وقولوا لهُ ان
يرسل خطيراً والا سرت اليه في صيوانهِ وقتلتهُ فيهِ وخرقت حرمة السيادة ولا اعود بعد ابقي على
احد منكم ثم لاح بعمده واقام الضرب في الخيام والرجال فجفلوا من بين يديهِ وتطايروا الى الوليد
ونعوا لهُ نصراً المغربي وقالوا لهُ انهُ لا يزال على حالهِ وهو يتهدد و يفضح فينا و يذم حاكمنا ولم يعد
لنا قدرة على ملاقاتهِ فاما ان نضرب طبول الحرب فتعود الرجال الى القتال واما ان تدع خطيراً يبرز

اليهِ ويخطف لنا روحهُ ويقصف عمره ويبرد كبدهُ في نحره فغضب الوليد عند سماعه كلامهم وقد حزن على الامير نصر حزنًا شديدًا والتفت الى الامير خطير فوجده مطرقًا الى الارض ينتظر جواب الوليد فقال لهُ قم الى هذا المكابر واعدمهُ نفسهُ لانك قتلت الحية وابقيت راسها واذا وفقك الله الى ذلك كان من حسن حظك ونجاحك فقام خطير في الحال وهو يعلم من نفسهِ انهُ ذاهب الى الموت وقد هونت عليهِ منيتهُ ملاقاة بهزاد وخرج الى خارج الصيوان وركب جواده وسار الى ان وصل امام بهزاد وهو على تلك الحالة يرغي ويزبد ويبرق ويرعد فصدمهُ وصاح فيهِ فالتقاه بهزاد وهو في فرح لا يوصف لانهُ امل بنوال مراده واخذ ثاره من قاتل ابيهِ واخذ معهُ في الكر والفر والقرب والبعد

قال وكان فيروزشاه قد خاف من ان يغدر احد ببهزاد فاستاذن من ابيهِ ان يركب مع بعض الفرسان ويقف بالمرصاد حرصًا على حياتهِ فقال لهُ ابوه اني كنت اخاف ان تكون انت المقصود بكلام طيطلوس فاصاب التنجيم سواك ومضى الخطر الذي كنا نخشاه فافعل الان ما بدا لك وليفعل الله ما كان مقدورًا وركب فرخوزاد ومصفرشاه وكرمان شاه وبيلتا وسيامك سياقبا وبهمنزار قلي وبهمنزار قبا وجميع الابطال وفي مقدمتهم فيروزشاه تحسبًا من نكبات العدو وغدره وتحذرت رجال مصر لنفسها وهي كارهة الرجوع الى القتال وعالمة ان القصد خطيرًا وانهُ ليس من النية ان يصاب غيره الا اذا قتل بهزاد . ولا زالت الحرب عاقدة بين الاثنين ونيرانها تتقد بحطب البين وهما في اشد طعان وضراب وحرب مجلب للهلاك والعذاب مقدار ساعة او اكثر واذ ذاك وقع التعب في الامير خطير وضعفت يداه وراى الموت نصب عينيهِ ولم يرَ لهُ طريقًا للخلاص والهرب ولا وجد لهُ بابًا يسلم بهِ نفسهُ الى خصمهِ لانهُ عرف انهُ ان سلم نفسهُ اسيرًا يقتلهُ لا محالة ليأخذ منهُ بثاره وعلم بهزاد بارتباكهِ واضطرابهِ وقد تذكر فعلهُ بابيهِ وغدره بهِ فهاج كما تهيج فحول الجمال وخرج الزبد على اشداقهِ وقام في عزم ركابهِ وقد رفع السيف بيده وصاح صيحة ادوت لها تلك البراري والقيعان ونزل بالسيف على خطير فوقع على ام راسهِ فتطاير الشرار والتهب من جرى تصادمهِ على الخوذة ثم سقط السيف جالسًا على مرفقهِ فنزل يهوي في جسمهِ واندفقت انابيب الدماء منهُ فابقى السيف في بدنهِ ولم يرفعه خوفًا من ان يقع الى الارض ولذلك اسرع فمسكهُ بيده ورفعهُ عن جواده وكر راجعًا حتى انتهى الى مكان العزاء حيث ملقى ابوه فرماه الى جانبهِ وقد اضطربت فرسان مصر لقتل خطير وبلغ الخبر الوليد فبكى وناح عليهِ ووقعت الخملة على طيفور والشاه سرور لانهما كانا يؤملان نجاحًا على يده وقد ظنا انهُ يوفق ما الى وعد ولذلك صارا يلومان الزمان ويشكيان من فعل الايام ونكباتها وسال الوليد عن جثة خطير فقالوا لهُ اخذها بهزاد فزاد حزنهُ لانهُ لم يقدر ان يحتفل بدفنهِ ولا يرَ سبيلاً يكافئهُ بهِ بعد مماتهِ الا ترقية اولاده وكان لخطير

ولد اسمهُ خطار فدعاه اليهِ وهو في بكاء ونواح على ما اصاب ابيهِ فالبسهُ خلعة فاخرة وشدهُ فارسًا على جيش من جيوشهِ وعزاه بابيهِ ورتب لهُ المرتبات وعين لهُ العلوفات وامره ان يحضر الى ديوانهِ في كل صباح اكرامًا لابيهِ ولعمله فقبل خطار يده وشكره على جميله ومعروفهِ معهُ وقيامهِ في منصب ابيهِ

واما بهزاد فانهُ بعد ان رمى بخطير الى الارض اخذ سيفهُ بيده وأمر اخوتهُ ان تقطعهُ بسيوفها ففعلوا حتى لم يعد يظهر لهُ رسم وانمحى اثره واشفى كل منهم فواده من قاتل ابيهم واذ ذاك قال بهزاد لاخوتهِ وللفرسان الان يصح البكاء فابكوا ونوحوا واندبوا مهما قدرتم فان من كان كابي لا يجب ان يبكى قبل اخذ ثاره ثم رفع صوتهُ بالبكاء ورمى بنفسهِ على ابيهِ يقبل يديهِ وينوح عليهِ وقد مزق ثيابهُ وكشف راسهُ وحث التراب عليهِ وفعلت اخوتهُ كفعلهِ ودارت عموم الفرسان من حواليهِ وكلهم في صياح وبكاء وقد اشهروا سيوفهم بايديهم واخذوا يدورون ويندبون ويبكون ثم وقف بهزاد وهو على تلك الحالة باكي العين حزين القلب كئيبهُ واشار يرثي اباه

تبكي الكماة عليهِ والدموع دما	ياعين لقيت يوم العزاء عمى
دعاه داعي المنايا فاستجاب وما	اعاقهُ عائق لما اليهِ ومى
تحرك الكون من هذا المصاب على	مجاور الحزن واهتزَّ العلا الما
افيلزور ابي اني ساذكركم	ما دامت الخيل تحتي تعلك اللجما
ما دامت الخيل يوم الروع مطلقة	نحو الاعادي وسيفي يلفظ النقما
افيلزور ابي هل عودة لكمُ	فتنظرون العدا قسمتهم قسما
وتنظرون خطيرًا والصوارم قد	محتهُ والجسم منهُ ذاب وانعدما
لا اغفل الدهر عن كيد العداة ولا	اسالم القوم حتى يصبحوا رمما
سامسك الشرق في يوم الوغى وعلى	زندي مخرق ابدًا تسيل دما
ويمسك الغرب فيروز وفي يده	مهند لو راه الطود لانهدما
نثيرها نار حرب كلما ازدحمت	خيولنا تحتها زدنا لها الضرما
نفرق الجيش حتى النصف يجمعنا	او ان يزيد وندري فيهم العدما
خيولنا اذ علت للنيرين غدت	عليهما وغدونا نعتلي الانجما
ابي تركت لنا الاحزان نخزنها	مدى الزمان وان علمتنا الهمما
من كان مثلك يبكي المجد مصرعهُ	ويلثم العزُّ من احزانهِ القدما

ولما انتهى بهزاد من انشاده عاد فرمى بنفسهِ على ابيهِ وزاد في بكائهِ وانتحابهِ حتى ابكى كل من كان حاضرًا من الكبير الى الصغير وتقدم اليهِ فيروزشاه فرفعهُ وعزاه على فقد ابيهِ ثم تقدم اخوه

بيلقا وعدده ورثاه وناح على فقده وصرف ذلك النهار وتلك الليلة ورجال فارس في بكاء وعويل وقد وضعت جثة فيلزور في صيوانهِ وسكبت عليها الروائح العطرية ورفعت فوقها الازهار الزكية واخذت عموم عساكر ايران تاتي اليهِ وتبكي عنده وتقبل يديهِ وتندبهُ كل فيئة بفيئتها وكل فرقة بفرقتها وكان ذاك المشهد المحزن من اصعب المشاهد وفي صباح اليوم الثاني دنا بهزاد وقبل يدي الملك ضاراب ودعا له بدوام العز والبقاء وقال له اني التمس منك ياسيدي ان تامر بان تحنط جثة ابي وترسل الى تعزاء اليمن ومنها الى ايران ليدفن في مقبرة ابيهِ واجداده وينضم الى من سبقهُ من عائلتنا لانهُ اذا دفن في هذه الارض اندثر ذكره وضاعت حسناتهُ وهذا مما لا ترضاه عدالتكم وحبكم لانهُ خدم دولتكم منذ اكثر من خمسين سنة وكان ابوكم يعزه ويعهد اليهِ بحماية البلاد كما اعهدت اليهِ عظمتكم ولا خفاكم ان عموم فرساننا تتذكر انها نشأت وانهُ علمها طرق الحرب والقتال وخرجها ابطالاً غطارفة فكيف ينكر فضلهُ . فلما سمع الملك ضاراب كلامهُ راه عين الصواب وقال لقد اجبتك الى طلبك واني ممن يحب ان يقام لابيك تمثال يزار ويكرم وقد تسالني ذمتي الى ذلك وتدعوني واجبات حبي اليهِ ثم التفت الى طيطلوس وامره ان يعتني بتحنيطهِ وان يكفنهُ بالحرير والصندل وان يرسلهُ مع مائة فارس الى ايران ليدفن في مقبرة اجداده وعند عودهم الى الديار يعتنون باقامة تمثال لهُ فاجاب طيطلوس واخذ جثة فيلزور وفعل ما امره الملك ضاراب وبعث بها الى ايران محفوظة في صندوق من الرصاص مصفحًا من دائره وامر ان يعتنى بهِ في الطريق ولا تهان الجثة

قال وبعد ذلك تقدم فيروزشاه الى ابيهِ وقبل يديهِ وقال لهُ اني اسالك يا ابي ان تاذن لي ان ادخل هذه الحرب فان صبري قد فرغ واخاف من ان تصطاد الفرسان واحدًا بعد واحد وان تطول الحرب بيننا وبين المصريين وانا واقف انظر واتحسر وقلبي يحترق ثم بكى بدمعة سخية واظهر لابيهِ انهُ اذا منعهُ عن القتال يعتل جسمهُ ويمرض من عظم ما يلحق بهِ فكدر هذا الامر اباه وشفق على حالتهِ وقال لطيطلوس اترى ايها الوزير العاقل الخبير ان من الحكمة والاصابة ان اسمح لابني بالمحاربة وهل من خطر عليهِ بعد . فقال الوزير ان ما كنا نخشاه قد مضى وانقضى فان الرجل العظيم الذي كان ظهر لي انهُ سيفقد من جيشنا قد فقد واحرمتنا الاقدار من مساعدتهِ والنفع بهِ ولم يعد من خطر على سيدي فيروزشاه ولا سيما ان هذه الحرب تحتاج اليهِ ولا نصر لنا الا بهِ لان نجم الاقبال معقود على جبينهِ وهو يقاتل بهمة تفوق كل همة لان قتالهُ للدفاع عن عين الحياة ومحو اثار الاعداء واستخلاصها منهم وليس لاحد صالح كصالحهِ . واذ ذاك قبل الملك ولده وقال لهُ اني اذنت لك ان تقاتل يا ولدي واسال العناية الالهية ان تحفظك وتساعدك وان لا توقع بك ضررًا وقد سلمتك ليد الحق سبحانهُ وتعالى فهو لا يقبل ان يفجعني فيك لعلمهِ بانك وحيد

الي ولبلاد فارس باجمعها . فما صدق ان سمع هذا الكلام حتى امتلأ قلبهُ من الفرح والسرور ورمى بنفسهِ على صدر ابيهِ يقبل يديهِ ويذرف دموع الحب والطاعة

وكانت عين الحياة كل هذه المدة عند طوران تخت وهي في حالة مائلة الى المسرة لانها علمت ان حبيبها على مقربة منها بين الجيش يقاتل لاجلها وكانت ضامنة النصر للاعجام موكدة انهم سيقهرون اعداءهم ولا يتركونها ولم يكن لها شيء تهتم بهِ الا انها كانت تخاف من ان يلحق ضرر بابيها او ان توخذ سبية وتلتزم ان تتزوج على هذه الحالة وذات يوم بينما كانت الحرب قائمة بين المصريين والايرانيين جلست طوران تخت وعين الحياة على صفرة المدام ينتظران وصول خبر اليهما عن ذلك النهار وقد دار بينهما الحديث بهذا الشان فقالت طوران تخت لا بد ان تصل الينا الاخبار في هذا اليوم فاما ان تكون مكدرة لك واما ان تكون مفرحة قالت اني اعرف حق المعرفة ان فيروز شاه سيحرز النصر على ابيك فهو يقاتل لاجلي وقتالهُ لا تحتمل ثقلهُ الجبال وصناديد الابطال انما لا شيء يكدرني الا اذا لم ينتهِ اتفاق بين ابي وابيهِ وهذا الفكر الوحيد الذي يشغلني وهو موضوع افكاري واهتمامي . قالت اذا كانت غايتك الزواج بفيروز شاه والقرب منهُ وهو كما تزعمين قادر على استخلاصك والحصول عليك فماذا يهمك اذا اتفق مع ابيك او لم يتفق . قالت نعم اني اعرف انهُ سيصل اليَّ وقلبي يحدثني ان ابي يهرب بي او يهرب وحده اذا وقع بمصر التاخير واعترى عساكركم التفريق فاذا هرب ابي بي تكون المصيبة عظيمة لان الملك ضاراب يلتزم ان يتبعهُ اينما سار برجالهِ وفرسانهِ وان ابقاني فتستولي عليَّ الفرس وياخذني فيروز شاه من وسط المدينة عند فتحها ويكون اخذه لي كسبية نعم انهُ لا يرضى لي بذلك وكما ان هذا الفكر الذي يشغلني هو يشغلهُ ايضًا انما للضرورة احكام فبعد حصولهِ عليَّ لا يهمهُ ان يتاثر ابي انما يكون الكدر واقع عليَّ بحيث يقال بين العالم قاطبة اني تزوجت بفيروز شاه على غير الطرق المتفق عليها بين ملوك هذا الوقت ولا ريب انهُ لو كان ابي من الذين ينظرون في صالح نفسهِ ويرى الحقائق من حيث هي لما سمح بزواجي بغير فيروز شاه وكان باجابتهِ على طلبهِ يكتسب طاعتهُ ويجري احتفال زفاف لا اظن يجري مثلهُ لاحدى بنات ملوك الارض قبل وبعد . فقالت طوران تخت ان الاحتفالات تزول وتنقضي بوقت قريب مهما كانت عظيمة وكلام العالم مهما كان لا يكون اعظم مما ان يقال بانك تخالفين اباك حبًا بابن ملك الفرس وان هذه الحروب العظيمة كلها بسببك وقد سحبتها من خلفك فاهلكت الوفًا ومئات الوف من الناس وجل الغاية ان يكون فيروز شاه ضجيعك وهذه غايتك ومتى حصلت عليها فلا يعود يهمك شيء غيرها . وكان كلام طوران تخت الاخير بضحك وتهكم صادرين عن مزح ولعب . فاجابتها انك تجهلين حتى الان حقيقة الحب والعشق الفاضح ولا زال قلبك خاليًا منهُ انما قلت لك ولا ازال اقول ان الدهر لا يسلم معك بهذه العزلة عن العشق

لاسيا وانك جميلة الوجه وزمان شبو بيتك اخذ في النمو والانساع وريعان صباك سيرميك بحالة اعظم من الحالة التي انا فيها الان وقولك اني جررت خلفي هذه الحرب واهلكت بسببي كثيراً من الناس فثقل هذه لحالة واقعة على طيفور وزيرابي اكثر مما هي واقعة عليّ وان كانت الغاية كلها نقوايين الحصول على من احب الا انه من الواجب ان لا تنقص هذه الغاية شيئًا من الشرف والناموس اللذين ارجوهما ولا ازال ارجوهما فاجابت طوران تخت انك تتوهمين اني ساقع بحب واعشق الشاب الذي تميل اليه النفس انما هذا الوهم لا ريب انه يخالط من كانت مثلك مملوءة من العشق القاتل وتحبين ان تدفعي لومي عنك وان لا تعترفين بخطائك وانك لا تحكمين على نفسك واخبرك الان ان لي ابن عم اسمه الامير زيان وقد طلبني من ابي ورغب في زواجي فرفضت طلبه وقلت لابي اني غير راغبة الان في الزواج وربما فيما بعد ايضاً واحب ان ابقى عنده في بيته وتحت حمايته وهذا خير لي من ان اكون مملوكة بيد غيره على انه لو كان لي رغبة بما تزعمين لكنت اجبت وقبلت بزواج ابن عمي وهو احق من جميع الناس بي وقد كرر طلبه هذا مراراً دون حصوله على جواب موافق قالت ان الحب لا يتاتى عن رغبة الفتاة في القران انما يقع بداعي وحدانية الصفات في المحبوب بالرغم عن الحاب فلو كان ابن عمك ممن يحب لوقع في قلبك موقع الاستحسان وعشقتيه بالرغم عنك واجبته الى طلبه مع اني رفضت طلب كثيرين من الذين طلبوا القران بي ولم يكن بينهم من هو كفيروزشاه اجمل اهل الارض وجهاً وابهاهم منظراً واشدهم باساً واحسنهم اخلاقاً واداباً وحكمة وقد خصص الله رجال الفرس بهذه الاخلاق الحسنة فكل ما فيهم جميل ومحبوب ولا سيما الامراء ورجال العائلة الملكية ومتى رايت احداً منهم عذرتني

ودامتا على مثل هذا الحديث الى ان انقضى ذلك النهار وجاء الليل دون ان يصل اليهما خبر عن نتيجة حرب ذلك النهار وكانتا لا تزالان تسمعان اصوات المتحاربين وغوغاء الحرب قائمة وصليل السيوف ورعيد الاعدة وصهيل الخيول والصياح من كل ناح . فقالت عين الحياة ووجهها يطفح بالمسرة والابتهاج الا رايت ياطوران تخت كيف ان الحرب لا تزال الى الان وقد اختلط الليل بالنهار واتصلت نار الوغى وما ذلك الا من عمل مسعرها ومثيرها وهو فيروزشاه ولا ريب في انه عند المساء لم يقبل في ان يرجع عن ساحة القتال بل دام في عمله لانه شديد الميل والقوى لا ياخذه تعب ولا ملال لاسيا وهو يرغب في تعجيل الوقت والسرعة للوصول الى هذا القصر ويجهد نفسه في ازالة الموانع المانعة من وصوله . قالت طوران تخت ان من كان عاشقاً كفيروزشاه لا يبعد ان يخاطر بنفسه ويرمي بها في نار مثل نار هذه الحرب انما هذه المخاطرة ربما كانت وخيمة العقبى وقد صدق من قال ان الشجاعة والعقل لا يجتمعان بانسان فلو كان فيروز شاه كما تزعمين عاقلاً لاختار نوال مراده بالصبر ولا خاطر بنفسه بين اسنة الرماح مضارب

السيوف فقالت عين الحياة ان الشجاعة والعقل لايجتمعان في غير فيروزشاه واما فيه فقد اجتمعا ولذلك حسب من افراد هذا العصر ولولم يكن يعلم من نفسه بانهُ قادر على الثبات ورفع الاخطار مهما كانت صعبة لما اقام على ازالتها انما عقلهُ وحكمتهُ جعلاهُ ان يسلك سبيلاً يقدر ان يسلكها ويتم غايتهُ وهو طيب النفس كريماً كامل الفكرة حكيماً

ونامتا تلك الليلة وكل منهما ترغب ان تعرف ماذا جرى على قومها ومن به اهتمامها وكانت اشدهما رغبة في الاطلاع على الحقيقة عين الحياة وقد ترجح في ذهنها ان فيروزشاه سيكون لهُ المقام الاول في هذه الحرب وسيلقي مزيد الرعبة والخوف في قلب الوليد فيحسب لهُ كبير حساب وصبرت الى ان اشرقت شمس نهار اليوم التالي ومضى منهُ قسم قليل فخرجت من غرفتها بعد ان غسلت وجهها ولبست ثيابها واتت غرفة طوران تخت وكانت قد وجهت باذانها الى جهة ساحة القتال فلم تعد تسمع ما كانت تسمعهُ في الليل فعلمت ان القتال قد انتهى وان الفريقين قد رجعا الى الخيام للراحة ودخلت على طوران تخت فوجدتها قد نهضت من نومها وجلست في غرفتها فحيتها وجلست الى قربها وقالت لها هل بلغك خبر عن واقعة الامس . قالت كلا ولذلك تريني مضطربة الافكار وقد خطر لي ان ابعث باحد خدمي الى ابي استخبر منهُ عما كان وعما جرى بينهُ وبين اخصامهِ ثم دعت بخادم من خدم قصرها وامرتهُ ان يسير الى ابيها ويقول لهُ ان بنتهُ في قلق واضطراب من جرى حربهِ بالامس مع الاعداء وانهُ لم يبعث لها بخبر صريح وانها تروم منهُ في كل يوم ان يرسل اليها بالاخبار ليطمئن بالها فسار الخادم الى ابيها وكان اذ ذاك بهزاد يحارب خطيراً فوقف الخادم امام الوليد وبلغهُ رسالة بنتهِ وقال لهُ انها في الامس لم تنم ولا اخذتها راحة ما وهي مضطربة الفكر من عظم القلق فترجوك ان تديم اتصال الاخبار اليها في كل صباح ومساء بحيث تكون مرتاحة الفكر لاجلك . قال اصابت في طلبها هذا فاني اعرف منها ميلها الى نجاحي ورغبتها في الوقوف على اخباري وكنت فكرت في ان ابعث اليها بتفصيل الاخبار الا ان الظروف لم تساعدني الان لان الحرب استقامت بيننا وبين الاعداء نحواً من اربع وعشرين ساعة اي النهار والليل بطولها حتى اذاقونا مرّ عذاب القتال ولم يكن في ظني ان يكون من الايرانيين ما كان ولا يقدرون على الثبات بهذا القدر فاننا مع كثرتنا كنا لا نقتل واحداً منهم الا بعد ان يقتل خمسة منا لا سيما وان فرسانهم كثيرون وكلهم ابطال ومغاوير واكثر من ربع المقتولين هلك بسيف بهزاد وفيروزشاه وما رجعنا عن الحرب وفينا بقية رمق من التعب والضجر الا اننا اثناء رجوعنا اتاني خطير واخبرني بقتلهِ لفيلزور حامي بلاد فارس ورئيس مقدميها واستاذ فرسانها فسرني هذا الخبر جداً وفرحت بهِ وفي نفس الساعة حمل على اطراف حرسي بهزاد وطلب اخراج خطير اليهِ لياخذ منهُ بثاره فبعثت اليهِ بنصر المغربي فقتلهُ ثم خرج اليهِ خطير والان هو في قتالهِ والامل انهُ يعدمهُ

الحياة ويتبعهُ بابيهِ وبينما كان الوليد يخبر الخادم باخبار الحرب ليوصلها الى بنتهِ واذا بالفرسان قد دخلت عليهِ واخبرتهُ بقتل خطير فغضب وكان منهُ ما كان وقد سمع الخادم كل ما وقع فرجع الى مولاتهِ واخبرها بما سمعهُ وراه وقال لها ان اباك بمزيد كدر واضطراب وقد خاف انهُ اذا دامت الحرب على هذا المنوال عدة ايام يفقد عسكره كلهُ ويتاخر حالهُ وتخرج عين الحياة من يده ويخسر بلاده وانهُ يرجو من الله ان يرجع النصر بطوالع السعد اليهم ويسالونهُ تغير الحال بغيرها فلما سمعت طوران تحت هذا الكلام خفق قلبها واطرقت الى الارض مفكرة نحوًا من ربع ساعة ثم نظرت الى عين الحياة فوجدتها تنظر اليها وعلائم المسرة ظاهرة على وجهها وامواج الفرح تتقلب على صفحاتهِ فتكدرت من ذلك الا انها عذرتها عليهِ وقالت في نفسها لا شك في انها تسرُّ لكدرنا وتتكدر لسرورنا وهي بانتظار نجاح الاعداء علينا وليس من الواجب ان اظهر لها كدري فانها وان كانت ميالة الى اخصامنا الا انها ضيفة عندنا وانها من جنس النساء اللاتي يتغيرن بتغير الاحوال فلو كان النجاح لنا لكانت تتكدر انما ربما لا يلبث كدرها ان يزول بزوال رجائها . ثم قالت طوران تحت للخادم هل قتل خطير وقاتلهُ بهزاد وهل هو من رجالهِ . قال نعم يا سيدتي وقد سالت عن ذلك بعض الفرسان فاخبرني ان بهزاد يعادل فيروزشاه في ساحة المجال وهو بهلوان تحت مصفرشاه حاكم طهران وملكها ابن عم الملك ضاراب وقد احكي لي عنهُ قصصًا واخبارًا تستحق ان تذكر لان لولاه ولولا فيروزشاه وفيلزور الذي قتل لما ثبت الايرانيون ساعة واحدة . وبعد ذلك صرفت الخادم ونظرت الى عين الحياة وقالت لها اعلمي يا عزيزتي ان الدهر يخدمك وها الاخبار التي انت بانتظارها قد ابتدأت في ان تفد عليك واني لا اكره لك المسرة والفرح انما لا ارغب في تاخير ابي وكسر جيوشهِ ومع كل ذلك فان الله يفعل بعبيده ما يشاء فالنصر والكسر بيده وليس هو بيدي ولا بيدك فعلينا نحن ان نبقى على حالنا الى ان تنتهي الحرب وليفعل الله ما يشاء . وكانت تحب ان لا تكسر بخاطر عين الحياة فقالت لها عين الحياة وقد سرت من كلامها ومن حسن مزاياها انهُ من حقك ان تتكدري اذا بلغتك مثل هذه الاخبار غير اني لا انكر جميلك معي ومعروفك بالتفاتك اليَّ وان ضميري ينبهني الى شيء واحد وهو انك لا تبقين في بلاد مصر وانك لا بد ان تقترني باحد رجال العائلة الملكية الفارسية لتكوني دائمًا بقربي ونكون مع بعضنا في كل دقيقة وثانية وقد طلبت من الله هذا الطلب مرارًا ولا ريب في انهُ يجيب طلبي ويتم لي رغائبي فضحكت منها وقالت لها تطلبين محالاً كيف تطيع نفسي ان تتزوج باعداء ابي ومن لا رغبة لي فيهم . قالت متى نظرت احدهم فبعد ذلك امتنعي واحكي ما انت حاكيتهِ فالعشق اولهُ نظرة وكانت طوران تحت مع ما هي عليهِ من صلابة الراي لا تكره ان ترى امراء الفرس لتعلم صدق كلام عين الحياة وقد بذرت لها في قلبها بذور الوساوس والافتكار وجل ما كان قد بدأ ان يخالط عقلها وميلها ما تحققتهُ من شجاعتهم

و بسالتهم و بالطبع ان عقول النساء ميالة للشجاعة ولا سيا في زمان مثل ذلك الزمان كانت ترى كل بنت ملك او امير ان من الضرورة ان تكون زوجة لرجل ذي بسالة واقدام تفتخر بهِ عند غيرها من البنات ويحميها من اعدائها ومن غارات الطامعين ولذلك كنَّ كثيرًا ما يتعلمنَ الحرب و يقاتلن رغبة في رغبة الشجعان فيهم ولم تكن طوران تخت قد تعلمت شيئًا من فنون الحرب بل كانت من الجبن على جانب عظيم خلافًا لعين الحياة فانها كانت تحسن القتال وقد تعلمتهُ من اخوتها وامتازت بهِ وهي متينة العزم قوية القلب واعظم منها كانت انوش بنت الشاه سليم صاحب المدينة السليمية خطيبة فرخوزاد لانها كانت تلبس ملابس الابطال وتقاتل بكل انواع الحرب وفنونهِ وتنازل اشد الابطال بسالة واقدامًا وكثيرًا ما تقود وراءها جيشًا وتحارب بهِ الاعداء وكان يركن لها ابوها كل الركون كما تقدم معنا وسوف يأتي ذكرها في هذه الحرب وما تجري فيها . هذا واقامت عين الحياة وصاحبتها في القصر وهما على صفر المدام والطعام وقد علقت كل املها بقرب وصول فيروز شاه منها ولذلك كانت كيف مالت تلفظ باسمهِ وكلما شربت كاس خمر تنشد شعرًا يبرهن عن عظم شوقها وحبها لهُ وثباتها على ما تواعدا عليهِ وتلك تسمع منها ذلك ولا تمنعها عنهُ ولا تلومها عليهِ

قال وفي صباح اليوم الثالث من الواقعة الاولى استاذن فيروزشاه اباه بان تضرب طبول الحرب تنبيهًا للقوم ولهم وانهُ في ذلك النهار سيكون قتال فاجابهُ وضربت الطبول فاستيقظ لها المصريون وعلموا ان الفارسيين يطلبون القتال فاجابوهم بالمثل وخرجت العساكر تتفقد خيلها وسلاحها وما تحتاج اليهِ اثناء القتال وسار كل قائد الى فرقتهِ يدبر امرها الى ان اشرقت الشمس فاعتلت الخيول وتقلدت النصول ورفعت الاعلام وتقدمت الفرسان طالبة القتال من كل جهة وصوب وتقدم فيروزشاه وهو راكب على جواده الكمين كانهُ البرج الحصين ومن عن يمينهِ ميمون ورجال الزنوج وهم يفتخرون بقائدهم وقد املوا ذلك اليوم نصرًا مجيدًا لهم لانهم يعلمون ان بهِ يرتفع راس الجيش وتباهي عموم عساكر فارس وفي الحال هزت عساكر المصريين بيارقها وحملت فقابلتها عساكر ايران بالمثل وحمل في المقدمة فيروز شاه وهو كانهُ الاسد الكاسر او النمر الجارح وحمل بهزاد ليث الطراد مع مصفرشاه وعساكر طهران العجم وحمل كرمان شاه ومعهُ بيلتنا ليث الفلاة وكذلك فرخوزاد حمل بعساكر ابيهِ وهو يهدر كفحول الجمال في شهر شباط وحمل بهمنزار قبا وسيامك سياقبا وبهمنزار قلى وشبر بن الشيبلي الطلقاني ومرادخت الطبرستاني وكل فارس و بطل و باقل من ساعة اختلطت ببعضها تلك الامم . واظهرت ما عندها من الهمم . وسلمت بانفسها الى سلطان العدم وهم الشجاع وتقدم . وتاخر الجبان وانهزم . وكانت الحرب حرب دموسية . مملوءة من الضغائن المنذرة بالبلية . وقد ارتفع غبارها . وثار شرارها . وزاد سعيرها واتقدت نارها وغنت

سيوف فرسانها وابطالها . ورقصت خيول ساداتها ورجالها . فساعد الله بهزاد وما فعل في ذلك
اليوم الكثير السواد . فانهُ اطفى احتراق الفواد . وتذكر اباه وما جرى عليهِ من الاعداء الاوغاد .
فصال صولة الاساد . وشك بقوائم عمده الاكباد . واستخرج الارواح من الاجساد . واجرى الدماء
كالانهار من الاوراد . واما فيروزشاه . فلا نقدر على الاتيان بوصف ما فعلهُ وما اجراه فانهُ
سطا سطوة جبار عنيد . واهلك كل فارس صنديد . وبطل مجيد . حتى ابطل ذكر عنترة الفرسان
بما اجراه من الحرب والطعان . وضيع صيت الملك سيف ابن زي يزن . بما انزل على اعدائه من
البلايا والمحن . ومحى افعال المهلهل بن ربيعة . بما اوقع على المصريين من الويلات الفظيعة . فلو
وجد في تلك الحرب حمزة العرب . لما راى الى التباهي بنفسهِ من سبب . ولو شاهد حرقتالهِ البراق
لارعد مخافة من الهلاك والمحاق . او لو كان في ذلك اليوم ضمر الجبار . لاختار ان يكون من رجالهِ
طمعًا بالمجد والافتخار . او لو نظر الملك الظاهر الى قتالهِ وجولانهِ . لقال انهُ وحيد ابطال الزمان
وفرسانهِ . ولو التقاه في ذلك اليوم هاني ابن مسعود . لذل بين يديهِ وهو مقهور ومكمود . اولو نازلهُ
عمر ابن ود . لما قدر ان يقف بين يديه ساعة الفرد . او ابصره ذو الخمار لخدم في ركابهِ . وتمنى
ان يكون طول عمره بين يدي جنابه . كيف لا وهو الذي البس اهالي مصر ثوب الاذلال . وفعل
فيهم ايشم الافعال . واوقع عليهم البلايا والاهوال . واذاقهم حربًا لم يسمع بمثلها منذ اجيال . فما
ضرب ضربة الا واهلكت ثلاثة او اربعة . ولا صاح صيحة الاوفعلت في اعداه افعال الصاعقة او
الزوبعة . وكان ينادي ويقول في نداه انا فيروزشاه حبيب عين الحياه . وهو ينتقل من مكان
الى مكان . باسرع من وقع العيان . حتى توهم القوم ان كل الايرانيين فوارس شاهات فكانوا يطلبون
سرعة انقراض النهار ليرجعوا عن الحرب والطعان . فصبروا على ذلك البلاء العظيم واقاموا
تحت ثقل ذلك الخطب الجسيم . الى ان انقضى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . فضربت طبول
الانفصال . ورجع القوم عن الحرب والقتال . وعاد فيروزشاه وعادت من خلفهِ الفرسان
والابطال . وكان الملك ضاراب قد انذرهم ان يرجعوا في المساء وان لا يقاتلوا في الظلام خوفًا من
ان يفقد احد منهم تحت الاعتكار . ورجع المصريون من ساحة الحرب وهم يشكون عظم هول ذلك
النهار وقد تكدر الوليد والشاه سرور وطيفور لما راوا كثرة النقص في عساكرهم وكثرة المجاريح ولم
يكن واحدًا منهم يقدر ان يتكلم بكلمة وذهب كل الى صيوانهِ بياس وكدر بخلاف الملك ضاراب
فانهُ التقى ابنهُ فيروزشاه وقبلهُ بين عينيه وشكره على فعلهِ ومدح سائر الفرسان لانهُ كان يراهم
وهم في وسط المعارك يطردون الاعداء بين ايديهم ويسطون عليهم فالتقاهم بمزيد الفرح وقد ترجح
لهُ وجه النصر وباتت لهُ علائم الفوز وكان اكبر فرحهِ من ولدهِ وفعلهِ وبهزاد وعملهِ
وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان وفي الصباح . جردوا البيض الصفاح . وركبوا خيولهم

واعتقلوا بنصولهم وتقدموا للقتال . ودار بينهم دائر المصائب والاهوال وتقاتلوا قتالاً شديداً وتناضلوا نضالاً مجيداً . لان المصريين كانوا يفضلون الموت على الهرب ولذلك كانوا يثبتون في القتال و يقدمون نفوسهم ضحايا لسيوف الفرس وما انقضى ذلك النهار حتى كان قتل منهم مقتلة عظيمة ورجعوا رجوع الخيبة و باتوا تلك الليلة في هم ونكد وفي اليوم التالي نهضوا من مراقدهم وعادوا الى الحرب واشعلوا نار الوغى واستلم كل فارس جهة من الجهات حتى قامت القيامة واضطربت الاعلام واهتزت الارض ومالت الجبال واظهرت الفرس مزيد اهتمامها وابدى المصريون كامل شجاعتهم ودامت الحرب الى الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت العساكر ورجع فيروز شاه وهو مغموس من دماء الابطال لانه فعل في ذلك اليوم اعظم مما كان قد فعل في الاول وذلك اذ اخذه من التطويل الضجر والملل وما رجع عن الحرب الا بعد ان حشك الاعداء في خيامهم وانزل عليهم قضاء الله ومصائب الايام فترحب الملك ضاراب بولده كعادته وقبله بين عينيه واجتمعت من حوله الابطال والفرسان فوقف فيروزشاه بينهم وقال بفصيح لسانه اعلموا ايها القوم الذين خصكم الله بالشجاعة والاقدام وفضلكم على سواكم من الانام اننا ما قدمنا على هذه الحرب الاَّ ونحن متكلون عليه تعالى ولذلك نراه ياخذ بيدنا و يساعدنا على اعدائنا و يقدم الينا كلما نحبهُ و يبعد عنا كلما نكرههُ ومن منته تعالى لم نرَ في قتالنا مع المصريين تاخيراً بل نجاحاً وتوفيقاً وانهُ بحوله تعالى لا يمضي علينا خمسة ايام الاَّ وندخل المدينة وننال غايتنا منها ولذلك اسالكم ان تداوموا على اهتمامكم وان تشكروا الله في كل آن فهو الرحيم الديان ينصر خائفيه و يقهر كافريه وما قصدي الان الاَّ ان اشكركم على بسالتكم وان اسالكم ان تعضدوني لندخل المدينة رغماً في هذين اليومين فاذا وافقتموني عليه وساعدتموني اليه ادمنا الحرب في الاعداء الى ان تتاخر فنطاردها مطاردة اسود الدحال الى ان نفوتها الخيام ونتاثرها الى ان تدخل المدينة ونحن في ظهورها ولا نمكنها من قفل الابواب والمحاصرة واني اوجه بكلامي الان اخيراً الى عياري بلادنا ان يكونوا على انتباه و يقظة لان الاعداء متى راوا الغلبة يلجئون الى السرقة فيسطو عياروهم علينا ويحرموننا من لذة هذا النصر العظيم وفي الغد لا نذهب الى الحرب بل يكون يوم راحة . فاجابوه عن فرد شفة ولسان انهم يفعلون كفعله وانهُ يكون والد لهم في القتال وقد سرَّ منهُ ابوه كل المسرة وعلم ان ولده لا يغلب ولا يهان

واما الوليد فانهُ عاد ذلك اليوم في مزيد كدر وجمع اليه فرسانهُ وابطالهُ ودعا الشاه سرور وطيفور وعقد مجلساً حافلاً وقال لهم قد نظرتم باعينكم ما حل بنا في هذين اليومين وهذا ما لم يكن لنا في بال ولا تصورناه قبل الوقوع فيه وهل يخطر في فكر انسان ان خمسمائة الف فارس تفعل بالفي الف فارس هذه الفعال ونحن كنا نظن اننا نهلكهم ونبيدهم اما بالمطاولة واما بالقتال فوجدناهم انهم لا يصبرون عن القتال وانهم اشداء فيه لا يغلبون ولا يقهرون ولذلك دعوتكم الان

لاستشيركم فيماذا نفعل ولا خفاكم ان العساكر ترد علينا في كل صباح والنجدات متواصلة الينا في كل آن انما عرفت بالاختبار ان لا فرق عند فرسان ايران ان كثرت الرجال او قلت ولاسيما عند فيروزشاه وقد شاهدت من قتاله انهُ لا نظير لهُ في هذا الزمان فماذا تقولون وبماذا تشيرون فقال طيفور لقد اصبت ياسيدي بما اشرت ولا خفاك انهُ ما دام في عساكر الاعداء فيروزشاه فلا نقدر عساكر الدنيا برمتها لو تجمعت الى بعضها ان نتغلب على جيشهِ مهما كان قليلاً فمن الاصابة ان تتخذوا طريقة تبعدهُ عن جيوش فارس وان امكن ان نبعد معهُ بهزاد ولذلك يهون الامر ونتغلب على الاعداء والا ما دام بهزاد وفيروزشاه فلا سبيل الى النجاح والظفر. وكان طارق العيار حاضراً في ذلك المكان فقال في نفسهِ لقد صدق طيفور وليس من وسيلة للوصول الى فيروزشاه الا بي وهذا الوقت وقت اظهار فضلي واكتساب المال والانعام ولذلك دنا من الوليد وقال لهُ ياسيدي ان كان جل غايتكم اسر فيروزشاه فاني اعدكم وعداً صادقاً واشهد عليَّ هذه الابطال والفرسان اني اجيب لكم فيروزشاه في هذه الليلة ولا ادع الصباح يبزغ الاَّ وهو اسير عندكم وبذلك يهون علينا امر قومهِ فقال لهُ الوليد اذا فعلت ذلك يا طارق سمحت لك بالمال الكثير وجعلتك من احب الناس لديَّ . فقال لهُ طيفور ان ذلك صعب عليك يا طارق لان فيروزشاه محفوظ عند منامهِ ببهروز العيار ابن الغول فهو لا ينام ولا يهدأ بل يقيم لحظة داخل الصيوان واخرى خارجه يطوف حول مضرب سيده من جهة الى ثانية فقال طارق اني لا احسب حساباً لبهروز ولا لغيره مهما كان مستيقظاً ولا بد لي من ان اسطو عليهِ واخذ سيده من بين يديهِ . فقال لهُ الشاه سرور اذا انفذت ما وعدت بهِ فلك عندي كلما تطلبهُ واغمرك بالاموال الى ان ترضى فوعدهم بكل جميل وخرج من الصيوان مسروراً بهذه المواعيد متكلاً على نفسهِ كل الاتكال وهو لا يعرف فيروزشاه حق المعرفة وقد شاهده في القتال فلم يحققهُ حق التحقيق وكان قد استوصفهُ من طيفور فوصفهُ لهُ كل الوصف فغير ثيابهُ وقصد جيش الاعداء وتخلل بينهم وسار من مكان الى ثان حتى انتهى الى صيوان الملك ضاراب فوجد الفرسان والامراء عنده فوقعت عينهُ وهو من الخارج على مصفرشاه وكان كما تقدم جميل الوجه مهاب كانهُ فيروزشاه بالتمام فتوهم انهُ هو نفسهُ فجعل ينظر اليهِ ويتامل فيهِ وقد طابقت اوصافهُ الاوصاف الثابتة في ضميره ولم يبق عنده من ريبة انهُ فيروزشاه وبقي لا ينظر الى غيره خوفاً من ان يضيع عنهُ الى سواه ولا زال صابراً الى ان مضت السهرة وقرب نصف الليل وجعلت تنصرف الفرسان من حضرة الملك ضاراب كل الى صيوانهِ وهو واقف في مكانهِ الى ان نهض مصفرشاه فاستاذن في الخروج والانصراف فاذن لهُ الملك ضاراب فخرج وخرج بين يديهِ عياره الاشوب فزاد ذلك تحقيقاً في ذهن طارق وقال هذا لاشك في انهُ فيروزشاه والذي بين يديهِ هو بهروز ابن الغول عياره الذي قيل لي انهُ لايفارقهُ ولا يقعد عنهُ فسار من خلفهما يترقبهما

وهو اسرع من الثعلب في الحيلة حتى انتهى مصفرشاه الى صيوانهِ فدخلهُ ودخل الاشوب من بعدهِ فصبر اكثر من ساعة ثم جاء الى قرب الباب فوجد عنده حركة فقال في نفسهِ لا ريب ان بهروز لايزال مستيقظاً كما قيل لي عنهُ فجاء من ظهر الصيوان واخترق فيهِ خرقاً ونظر بعين وصواص الى الداخل فلم يرَ احداً بل نظر الى مصفرشاه نائماً في فراشهِ فاسرع الى الوتد ففك منهُ الحبل ورفعهُ ثم اخذ قطعة من البنج فاحرقها شيئاً فشيئاً الى الداخل وصبر الى ان اكلتها النار وامتلأ الصيوان من دخانها وتأكد ان البنج قد فعل فيمن داخل الصيوان فرفع ذيلهُ ودخل بعد ان وضع في انفهِ شيئاً من ضد البنج ولما صار ضمن الصيوان نظر الى مصفرشاه فوجده غارق في منامهِ وقد فعل فيهِ البنج كل الفعل كما فعل بالاشوب عياره فدنا منهُ واخرج من وسطهِ قربطهُ وشد كتافهُ ثم رفعهُ على اكتافهِ وسار بهِ من المضرب وانسل من جهة الى جهة وكلما لاح لهُ عن بعد شخص مال عنهُ وتحذر منهُ ولا زال الى ان خرج عن المضارب والخيام وجاء معسكر المصريين فاحتلهُ وسار الى مضربهِ فوضع فيهِ مصفرشاه وقد اعطاه شيئاً من ضد البنج فاستيقظ كالسكران ونظر الى نفسهِ فوجد حالهُ موثقاً وفوق راسهِ طارق فعلم انهُ اسر بالحيلة وان طارق العيار سطى عليهِ . فقال لهُ من انت ولاي سبب فعلت معي هذا واين انا الان . قال انت الان في معسكر مصر في بيت طارق العيار الذي اخذك من نصف صيوانك من امام عيني عيارك بهروز وهو لا يقدر ولا قدر ان يحميك مني ويمنعك عني ولا بد اني ساصير غنياً اذا قدمتك في الصباح الى سيدي الوليد لانهُ وعدني ان اتيتهُ بك اغناني واثراني ومثل ذلك تعهد لي الشاه سرور والحمد لله قد توفقت الى نوال المراد واتيت بك بالرغم عن انتباه وتيقظ بهروز . فلما سمع مصفرشاه كلامهُ ثبت عنده انهُ غلطان وانهُ قصد فيروزشاه فجاء بهِ ولذلك لم يرد ان يرجعهُ عن غلطهِ بل قال لهُ ان كنت ترجعني يا طارق تركت ابي ان يغزر لك العطاء ويجعلك من اكبر عياري بلاده . قال محالاً ترجو وما كان طارق ليقول شيئاً ويرجع عنهُ واي شيء احب على رجال مصر باجمعها من ان يروا فيروزشاه بايديهم وبذلك يتخلصون من نار حرب دائرة بها الدوائر عليهم ولولاك لفاز رجالنا على رجالكم وانزلوا بهم الويلات والعبر فسكت مصفرشاه ولم يبدِ خطاباً ونام طارق الى حين الصباح فاستيقظ من نومهِ وهو بمزيد فرح لا يوصف وخرج من الصيوان وجاء الى صيوان الوليد وصبر ريثما اجتمع عنده الوزراء والاعيان والامراء والقواد وجاء الشاه سرور ووزيره طيفور واخذوا يفكرون كيف ان الاعداء لم يخرجوا الى الحرب ذلك النهار وكيف لم يضربوا طبولهم كجاري عادتهم للحرب والقتال . فاجاب طيفور وقال لا ريب ان ذلك بسبب حادث جديد او انهم طلبوا لانفسهم الراحة في هذا اليوم لانهم في حاجة اليها كما اننا ايضاً نحن في حاجة اليها يوماً بل يومين بل عدة ايام . واذ ذاك دخل طارق مسرور فرحان ودنا من الوليد فقبل يديهِ وقال لهُ قد توفق عبدك

يا سيدي الى نوال المطلوب فقد اسرت لك فيروز شاه وجئت بهِ وهو موثوق الايدي وها هو الان في صيواني واني انتظر امرك لاتيك بهِ فلما سمع الوليد هذا الخبر طفح قلبهُ بالمسرة وامل الفوز والنجاح وقال أصحيح ما تقول يا طارق قال اذا امر سيدي اتيت بهِ فيراه بعينهِ ومثل ذلك فعل الشاه سرور فانهُ كاد يطير من الفرح وقال ان صح قول طارق فقد زالت العوائق وحصلنا على النصر المرغوب وكدنا الاعجام وفعلنا بهم مرادنا اما طيفور فقال اني لا اصدق ذلك ولو نظرتهُ عيانًا فذلك بعيد عن طارق ان يقدر عليهِ ويتاتى لهُ ان يسطو على فيروزشاه وهو تحت حراسة بهروز العيار شيطان العيارين وعفريتهم . فقال طارق كيف لا تصدق وهو في يدي وداخل بيتي وهذه الساعة تراه بعينيك . فقال الوليد ائتنا بهِ على عجل واستهدف لوقوع عطايانا وانعاماتنا فخرج طارق وبقي طيفور والشاه سرور وجميع الحضور في ارتباك وقد تاكد الجميع اسر فيروز شاه الا طيفور فانهُ بقي في ريبة واحنى ظهره مادًّا براسهِ وموجهًا بانظاره الى جهة الباب وهو ينتظر ان يرى طارق العيار ومعهُ اسيره ليرى من هو وهل حقيق ما يزعمهُ وما استقام الا القليل حتى نظر الى طارق وقد جاء يقود مصفرشاه فعلم انهُ ليس بفيروز شاه فاستوى جالسًا وهز براسهِ ومال بانظاره وقال للوليد ان اسيرك ليس بفيروز شاه وقد يبعد على من كان مثل طارق العيار ان يصل اليهِ وكان طارق قد دخل وسمع ما قالهُ طيفور فارتبك في امره وعرف من نفسهِ انه اخطا وقال على ما اظن يا سيدي انهُ فيروز شاه وهو لم يقل لي انهُ ليس بفيروزشاه قال اني اعرف ذاك حق المعرفة نعم ان هذا اشبه الناس بهِ انما ليس هو هو فزاد كدر طارق واحترق قلبهُ واشتاق ان يعرف من يكون اسيره ثم ان الوليد سال مصفرشاه عن نفسهِ وقال لهُ من انت من امراء فارس فقد ظن انك ابن ملكهم حتى اتى بك اسيرًا لان غايتنا فيروزشاه . قال يا سيدي ان ذلك ليس في وسع اعظم عياري هذه الايام فلا يمكن ان يصل اليهِ احد ما دام عنده بهروز ابن الغول سيد العيارين وهو متيقظ عليهِ كل التيقظ وهل بلغ من قدر طارق عيارك ان يصل اليهِ او غيره من عياري هذه البلاد فلا تطمعن في المحال فزاد كلامهُ هذا في كدر طارق وتمنى انهُ لا كان خلق كيف انهُ طرق جيش الاعداء ورجع بغير ما وعد وقال في نفسهِ اذا سمحت لي الايام لا بد لي من ان اتي بفيروز شاه على رغم انف بهروز . ثم ان الوليد استعاد من مصفرشاه عن اسمهِ ومن يكون فقال لهُ انا سليل المجد والفخر انا ابن عم الملك ضاراب صاحب طهران العجم فلا تاسفون على فوات فيروزشاه فان اسيركم هو من رجال فارس العظام فيقتضي مراعاة جانب الملك وشرفهِ ولو كنت في حرب او طعان لما قدر احد منكم ان يصل اليَّ او لو كنت مستيقظًا لما وصلت اليكم وما اسرتموني الا سرقة وما ذلك الا فعل العاجزين الضعفاء فقال لهُ الوليد كيف كان الحال فانت اسيرنا الان واني لا ارغب في اهانتك وسارسلك الى سجن قصر الاحكام تقيم فيهِ الى

ان نحتاج اليك وننظر ماذا يكون لنا معك فيما بعد ومن ثم انعم الوليد على طارق وقال له لا اضيع لك تعباً ولا ريب في انك ان اخطات هذه المرة لا تخطئ في غيرها على ان الذي اتيت به ليس هو دون المطلوب وكذلك الشاه سرور انعم عليه ترغيباً له في ان يقصد الاعداء مرة ثانية ويأتي بمن يرغبون في اسره ثم ان الوليد دعا باحد اتباعه وقال له سر الى بنتي واخبرها باننا اسرنا احد فرسان العجم وملوكها وهو ابن عم الملك ضاراب وحاكم طهران وسابعثه الى قصري يقيم فيه عند السجان محفوظاً الى حين نهاية الحرب وقد اسره لنا طارق العيار لانه لما راينا الفناء قد اخذ يأكل من جيشنا وقد تاخرنا غاية التاخير وضعفت قوتنا ضعفاً عظيماً من فعل فيروزشاه ابن الملك ضاراب ضربت مجلساً وسالت الجميع عن ابداء رايهم فما منهم الا من قال ان لا نجاح لنا ما دام فيروزشاه بين جيوشه لانه عند القتال لا يظهر بصفة انسان بل بصفة عفريت او مارد يخيف الجيش في جولانه وهو يجندل الابطال ويطعن في صدور الرجال وكان اذ ذاك طارق العيار حاضراً فتعهد لنا بانه يسطو على الاعداء وهم في غفلة منه ويأتينا بفيروزشاه وسار على هذه النية الا انه كان لا يعرفه حق المعرفة فضاع عنه وجاءنا بمصفرشاه وهو يظنه نفس ابن الملك ضاراب وها هو مرسل الى السجن فتربنه ماراً من تحت قصرك فدعي عين الحياة تنظر اليه واخبريها انه في الغد وما بعده يكون فيروزشاه اسيراً في المدينة فترى بعينها الذل والاهانة التي تلحق به وبعد ان بعث لبنته بهذا الخبر ارسل مصفرشاه مع عشرة من الفرسان وامرهم ان يطوفوا به في المدينة ويمروا به من تحت قصر طوران تخت ثم يسلموه الى السجان ويوصوه بالمحافظة عليه والتيقظ منه فاخذه الرجال ودخلوا يطوفون به من مكان الى مكان والناس تتجمع افواجاً افواجاً كباراً وصغاراً من حوله . وهو يكاد ينشق من عظم الاهانة التي لحقت به ولا زالوا على هذا التطواف الى ان دنوا من قصر بنت ملكهم

وكانت في ذلك الوقت عين الحياة في غرفتها وطوران تخت في غرفتها وكل واحدة تميل الى ان تعرف شيئاً عن احوال القتال وبينما هما على مثل ذلك دخل مبعوث الوليد على طوران تخت وبلغها رسالة ابيها حرفاً بحرف دون زيادة ولا نقصان وقال لها في اخر كلامه ان مصفرشاه يطاف به الان في المدينة وعما قليل يمرون به من هنا فسرها ذلك وقالت في نفسها لا بد لي من ان ارى هذا الايراني لاعلم صدق ما تقوله عين الحياة ان كان صحيحاً على اني لا اظن ذلك الا مبالغة منها وما

قد انتهى الجزء الثامن من قصة فيروزشاه وسياتي
التاسع ان شاء الله

الجزء التاسع

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

رجال الفرس الأ كيفية الرجال انما عين المحبة غشاشة تريك بغير الحقيقة فترفع الحبيب على سواها مهما كان قبيحًا سيّ الخلق وفيما هي على مثل ذلك اتاها الخادم واخبرها بمرور الاسير من تحت قصرها فقامت تميل كانها غصن بان حركتهُ الريح واتت الى النافذة والقت بنظرها الى الاسفل وجعلت تتامل في مصفرشاه فرفع راسهُ الى فوق ونظر اليها وقد عجب من حسنها وبهاها النادري المثال كما شغلت هي تشاغل حبهِ الناتج عن جمال وجههِ الفاتك الفاضح ولا زالت تنظر اليهِ حتى غاب عنها وبعد بهِ القوم يقصدون السجن فنمت في قلبها نوامي الغرام وجعل فوادها يختنق فوضعت يدها عليهِ فشعرت منهُ بدقات عشقية قلبتها بالرغم عنها على صفحاتهِ اللذيذة واخذت تردد في عقلها كلام عين الحياة وان الحب اولهُ نظرة وانها من نظرة واحدة مالت الى مصفرشاه واخذ بمجامع قلبها وكلما تصورت في ذهنها جمالهُ يزيد غرامها ويتضاعف حتى ضاق صدرها وعيل صبرها وغاب وعيها ولم يعد في امكانها كتم سرها ولم تعرف كيف يجب ان تتصرف وخطر لها ان تطلع على مصابها الغرامي عين الحياة فخافت من ان تشمت فيها ولم ترَ بدًا من ان تطلع قهرمانتها على ما اصابها فدعتها اليها وكان اسمها هند وقالت لها حتى الساعة وانت في خدمتي وانا ازيد في اكرامك وارفع منزلتك دون ان احملك امرًا مهمًا او اسالك قضاء حاجة ارى لا بد من قضائها . قالت اني اود ذلك وارغب ان تساليني قضاء حاجة فاقوم بها رغبة في رضاك مني والتفاتك اليَّ فمريني بما تشائين عساي اكون قادرة على اتمامهِ . فتنهدت طوران تخت واظهرت عدم الصبر وقالت لها ان الامر الذي دعوتك اليهِ ورجوت ان استشيرك بهِ واسالك السعي فيهِ هو خطير جدًا في بدايته انما ربما لا يكون صعب عليك فتدرعي بالاقدام والبسالة عند قضائه عسى الله يتم لي رغائبي ولا خفاك اني كنت قبل اليوم خالية البال ناعمة من قبيل الحب ولم يكن يخطر لي اني احب فتىً مصريًا او غير مصري الى ان كان هذا اليوم وقد نظرت الى مصفرشاه وهو الاسير الذي بعثهُ ابي الى السجن فعلق قلبي بحبه رغمًا عني وحاولت كثيرًا ان ابعد عن ذهني هذا التصور المولم فلم اقدر حتى تمكنت جرثومة الغرام مني غاية التمكين ولم يعد في وسعي ان اصبر دقيقة عن مصفرشاه واريد ان يكون عندي في هذا القصر لاشاهد بدر جماله المسفر وانال من مسامرتهِ ومخامرتهِ ورشف طلاوة حديثه ما تبرد بهِ غلب قلبي وتنتهي بهِ سعادتي . ثم سقطت الدموع من عينيها بالرغم عن تجلدها وضبط نفسها وانشدت

وصالك انهى مطلبي ومرادي　　　وحسنك ابهى مرتعي ومرادي

ودونك لو وافيت ربعك زائرًا ... خطاب جدال في خطوب جلادي
حبيبي لقد رويت عيني بدمعها ... وغادرت قلبي للتصبر صادي
ونقصت في حظي كما زدت في الهوى ... صدودي يا كل المنى وبعادي
فوالله لم اطلق لغيرك مهجتي ... غرامًا ولم امنح سواك ودادي
بعيشك نبه ناظريك لعلها ... تردّ على طرفي لذيذ رقادي
الى الله اشكو في الغرام محجبًا ... بقلبي فلا ترضاه عيني بادي
احاذر طولاً من ذؤابة شعره ... فقد وصلت من قده لفؤادي

وانشدت ايضًا

ونارظبي النقا ان عنّ ملتفتًا ... يا نزهة العين لولا الدمع والسهرُ
اني ابثك من شرح الهوى طرفًا ... فبعض ايسره عندي له سيرُ
سهل وقوع الفتى لكن تخلصهُ ... صعب المرام بظبي سيره غيرُ
اني وان كنت انهى الناس عن كلف ... فان لي في الهوى شأنًا له خبرُ
وناظرًا بت في تسهيده قلقًا ... الومهُ ثم استحيي فاعتذرُ
يا حبذا معهد الحسن ما درست ... رسومهُ وسقاه الدل والخفرُ
فالقد فالجيد فالخد المورد فالا ... صداغ فالثغر فالاجفان فالحورُ
واهيف كل قلبٍ في محبتهِ ... عانٍ وكل دمٍ في حبهِ هدرُ
لولا الهوى وظنون الكاشحين بنا ... لكان ورد الهوى ما عنهُ لي صدرُ

وشاهدت قهرمانتها منها حالتها وما هي عليهِ من شدة الوجد والهيام فاخذتها الحيرة مع انها كانت تكره ذلك وتلوم كل فتات تسلم بقيادة نفسها لهذا السلطان العظيم وقالت لها اني لاعجب من هذا التغيير الذي كان منك على غير استعداد وطالما سالتك ان لا تجني على نفسك بكره القران والدخول في سلك هذا العالم المرتب بعناية الله القدير وما زاد في عجبي ايضًا تعلقك بامير فارسي عدو مملكتنا وخصم ابيك واسيره ومن الصعب ان تحصلي عليهِ واي شيء اصعب على الفتاة من ان تحصل على عدوها فتتزوج بهِ وهل تظنين ان الذي تهوينهُ يقبل ان يقاسمك هذا الحب ويشاركك فيهِ ما زال ابوك يصلي نار الحرب بينهُ وبين قومهِ ويتعمد اذاه واهانتهُ وما ذلك الاّ من غرائب الامور وعجائبها . فقالت لها وقد امتلأت غيظًا من كلامها ويلك يا هند هل يصعب عليّ ان احصل على امير هو بالقرب مني وفي حوذة يد ابي وهل تظنين انهُ يمتنع عن ان يكون موافقًا لي اذا علم اني سهلت لهُ طرق الراحة في اثناء سجنهُ وبدلت اهانتهُ بشرف المعيشة واطلاق الحرية وتملك النفس فدبري ما ترينهُ حسنًا لنفكهُ من اسره وناتي بهِ قصري . قالت وهل في نيتك

ايضًا ان تخلصيه من الاسر وتجلبي على نفسك كدر ابيك منك وغضبه عليك وتجعلين نفسك معيرة عند جميع المصريين ومظنة للفحشاء والقباحة . قالت ماذا يكدرني ذلك اذا كان محبوبي بيدي وهل يخطر في ذهنك اني ارضى ان احصل على مصفرشاه بطريقة علنية وافكه من سجنه على مرأى من الناس واقوده عيانًا بيانًا وما سألتك تدبير امري الا وانا متيقنة انك تاتيني به تحت جنح الليل لا يطلع احد على امره وهذا سرٌّ لا يمكن ان يظهر خبره على احد مطلقًا . قالت القهرمانة على ما اظن اني لا اتوفق الى مطلوبك كوني ارى من نفسي ضعف القلب والراي في قضاء هكذا مصلحة ولذلك اشور عليك ان تظهري امرك لعين الحياة وتساليها مساعدتك فهي اوسع مني رأيًا بتدبير هكذا امر واقدر تدبيرًا لوصولك الى من احبته نفسك فاطرقت طوران تحت عند سماعها كلامها وثبت لديها ان لا مندوحة لها من مساعدة عين الحياة وطلب اغاثتها وقد عظم عليها الامر وصعب عندها ان تشرح لها ما اصابها بعد ان كانت قد اظهرت لها كرهها في العشق ولامتها عليه كثيرًا فانطبق صدرها من اضطرابها وبعد الفكرة وجدت ان تعرض عليها امرها وتلقي باتكالها على مساعدتها وترجو منها السماح والمغفرة عن لومها لها في السابق وقد هون عليها الحب ركوب اعظم المخاطر واخطرها ولاح لها شخص مصفرشاه بالهيئة التي رأته فيها وهو يشرق بجمال وجهه في ظلام الاهانة وعذاب القيود فتكدرت واذرفت دموعًا سخية واتت عين الحياة فوجدتها قائمة في غرفتها على حالها وهي تتذكر فيروزشاه وتنشد علنًا وهي تعرض باسمه وتذكر بسالته

اعيدت بمسراك الشموس الغوارب ... وهشت لمرآك النجوم الثواقبُ
قدمت قدوم الليث والليث باسل ... وجئت مجيءَ السيل والسيل خاطب
فلا ترفع الايام ما انت خافضٌ ... ولا تجزم الاقوال ما انت ناصب
ولا تسلبُ الاهوالُ ما انت مانحٌ ... ولا تمنع الاقبال ما انت طالب
ومن ذا يلاقي الليث والليث كاسرٌ ... ومن ذا يناوي الحق والحق غالب
فانت كلاء الدهر لا القلب غافلٌ ... ولا الطرف مغموض ولا الراي خائب
واولى عباد الله بالملك منصبًا ... اذا انتصبت للملك تلك المناصب
واثبتهم جاشًا اذا صال صائلٌ ... واجودهم كفًا اذا جاد واهب
واطعنهم نحرًا اذا خاب طاعنٌ ... واضربهم للهام ان ذل ضارب
فما كل من لاقى الكماة مصادمٌ ... ولا كل من سلَّ السيوف مضارب

وكانت عين الحياة منفردة بنفسها اذ ذاك لتتمكن من كثرة ذكر حبيبها وتبتهج للوحدة بغرامها وتشكو لعدم السلوة من عظم شوقها وتطلب من الصدف ان تقربها منه لانها في نار وجدٍ ملتهبة من عظم رغبتها الى النظر اليه وكثيرًا ما كانت تبدي مثل ذلك بحضور طوران تحت وتنشد اشعار هواها

الا انها كانت تسمع منها لوما وتنديداً وتنكيتاً ولذلك سئمت نفسها فاقامت ذلك النهار على تلك الحالة في غرفتها ولم تشعر الاّ وطوران تحت عندها فنظرت الى وجهها فوجدت على صفحاته تموج امواج العلائم الحبية التي لا يمكن ان تخفى عن ذي بصيرة فانتبهت اليها اي انتباه ووقفت لها ودنت منها وهي لا تبدو كلمة ولا تنطق بحرف فشغل بالها وسالتها عن السبب فلم تجبها في الحال بل اندفقت ابحر الدموع من اعينها فاظهر مكنون ضميرها واشار لسانها يترجم عن اسرار قلبها بهذه الابيات

رشق الفؤاد باسهم لم تخطه ... ريمٌ يشوق الريم مهوى فرطهِ

من ذا مجيري في محبة شادن ... قد راح يمزج لي رضاه بسخطهِ

اعطيتهُ قلبي وقلت يصونهُ ... فاضاعهُ ياليتني لم اعطهِ

كيف الخلاص ركبت بحرًا من هوى ... شوقًا اليهِ فشط بهِ عن شطه

علقتهُ ريان من ماء الصبا ... كالروض اخضلهُ الغمام بنقطهِ

غض الشباب وهذه وجنانهُ ... قد كاد يقطر ماؤها من فرطهِ

يجلو عليك صحائفًا وردية ... رقم الجمال بها بدائع خطهِ

وتريك هاتيك المعاطف بانة ... تهتز لينًا في منمم مرطهِ

فزاد تعجب عين الحياة منها واخذتها الدهشة والحيرة والتبسمت في امرها وقالت لها ما هذه الحالة التي انت فيها فاني تركتك في الامس على غير ما تذكرين الان وانت خالية من كل عشق وغرام ولو لم تظهر لي حالتك صدق قولك لما تيقنت انك تتكلمين صدقًا . ففي عينيك ترح المغرم البالي وفي وجهك اثر العاشق الشاكي ولولا ذلك لظننتك تهزئين بي فاخبريني في اية ساعة غير الله حالك وبدل منكِ تلك الاطوار الصعبة على جمهور العشاق بهذه الحالة المحبوبة منهم فانها وان كانت حالة عذاب وكدر وقلق واضطراب وبكاء وانتحاب انما هي لذيذة في اعين كل حبيب ومحب صادقين وهي بدون شك افضل جدًا من غيرها فابدي لي رايك وفصلي لي حالة محبك واحكي لي جميع ما كان من الاسباب الموجبة لهذا التغيير الذي اظن ان العناية قد دبرته اجابة لسوالي لتعرفي من نفسك عظم المحب الصادق وما يلاقي من الصعوبة والبلايا الممزوجة بضربات الزمان وامتناع الحبيب بفعلها عن التقرب من حبيبهِ ولا ريب ان لومك الان قد انقضى ومضى ودخلت سلك عين الحياة التي كنت تتهكمين عليها وتلومينها وتهزئين بها . قالت ارجوك المعذرة فلا تزيدي في عذابي وقد كنت مخجولة من نفسي عند تذكري قولي لك واما الان فقد مضى كل شيء وصرت محتاجة الى مساعدتك وامدادي برايك وتدبيرك فان من احتنة نفسي ليس هو الان في يدي ولا تجلو الحصول عليهِ من صعوبة كلية ولذلك جئتك معتذرة مستغيثة فلا تعامليني بغير حبك

وانظري في امري بعين حكمتك وادراكك ولا تتركيني اموت هوًى ولوعة . قالت اجلسي واشرحي لي ما ترومين فسوف تريني موصلة اليك الطرق التي تزيل الموانع من طريق مرادك فتتوفقين الى الحصول على محبك مهما كان ممنوعًا وبعيدًا عنك

قال فسكن جاش طوران تحت قليلاً عند سماعها كلام عين الحياة . وقد علقت املها بمساعدتها واخذت في ان تشرح لها كل ما كان من امر ابيها وكيف بعث لها بالرسول واخبرها بعمل فيروز شاه في جيوش مصر حتى كاد يهلكهم عن اخرهم ولهذا السبب عقدوا مجلسًا وتعهد لهم طارق العيار بان ياتيهم به من نفس صيوانه طمعًا بان تتحول خسارتهم الى ربح ويحل بالاعداء من بعده الويل والدمار فسار طارق ولم يكن يعرف فيروز شاه حق المعرفة فوقع على مصفرشاه فاسره وجاء به تحت ظلام الليل دون ان يراه احد ولما عرضه على طيفور عرف انه مصفرشاه فبعثه ابي الى المدينة وهو يود ان يبقيه في السجن الى نهاية الحرب وقد بعث يقول لي انه سيمر من تحت قصرك فترين بعينيك هذا الامير ونسرين لاسره ولما راته عيني لم يعد في امكاني ان امسك قلبي فكان سهماً اوترته لحاظه شك في فوادي فجرحه جرح حب علم الله متى يكون شفاؤه فما الحب بالحقيقة الا عذاب اليم ولا سيما اذا كان المحبوب مثل من احببته فهو جميل الوجه معتدل القوام عريض الجبهة لامعها طويل العنق واسع الصدر والاكتاف بشوش الوجه وترينه وهو ماسور ومقيد وماخوذ الى السجن بشوشاً يبتسم ابتساماً طبيعيًا ولا ريب ان تلك المباسم مطبوعة على التبسم فلا تفارقها قط فهذا الذي كنت ترجينه لي وتقولين لابد من ان الله يذيقك عذاب حب برجال الفرس فبالحقيقة انهم جذابون للعقول آخذون للقلوب فتاكون فيها وهاانذا قد عرضت عليك حالي واخبرتك بما جرى لي وباني عشقت مصفرشاه احد امراء فارس وابن عم حبيبك وهو الان في سجن ابي قائم بين الحراس وليس من سبيل الى خلاصه الا بوجه الحيلة والخدعة وقد صرفت الجهد في التبصر دون الحصول على نتيجة كافلة المقصود موصلة الى الغاية . وكانت تتكلم وعين الحياة سامعة لها متعجبة من فعل الزمان وغرائب التصادف وقد سرت مزيد السرور بما اخبرتها به من ان فيروزشاه قد فتك في المصريين فتكًا ذريعًا والبسهم ثوب الخوف وقطع الرجاء من النجاح ومما زادها فرحًا علمها بان طارق قصد ان يسرق فيروزشاه فغلط وجاء بمصفرشاه وحمدت الله على نجاته من الوقوع في يد عدوه . ولما انتهت من حديثها ضحكت عين الحياة منها وقالت لها حتى الساعة لا تجدين سبيلاً لقضاء مصلحتك قالت كلا ولا اعرف ماذا اعمل مديني برايك واوصليني الى حبيبي اوصلك الله الى حبيبك قالت الم يكن عندك من المال ما يكفي لقضاء غرضك . قالت عندي من المال شيء كثير وكذلك من الجواهر انما لا ارى طريقة لاستخدامها في مثل هذا الطريق . قالت ابعثي فاستحضري رئيس السجن وقولي له ان مصفرشاه رجل ايراني واني اريد منك ان تسلمني اياه بضعة ساعات حيث مرادي عين

الحياة ان تسالهُ بعض مسائل عن جيش الفرس واني لا ارغب في خلافها ويكون ذلك في الليل ثم تعود قبل الصباح فتاخذه فاذا امتنع اقبضي لهُ قبضة من الدراهم وادفعيها لهُ واكون اذ ذاك انا حاضرة فنهون عليهِ الامر ومتى جاءنا بهِ اول مرة لا يصعب عليهِ ان ياتينا بهِ في الليلة الثانية طمعاً بالمال حيث يكون قد اعتاد على ذلك وهان عليهِ ما كان يستصعبهُ فيمكن ان يقيم الليل عندك والنهار في السجن فلا يعرف احد بهِ الى حين انقضاء الحرب التي لا اظن انها تمتد لاكثر من اربعة او خمسة ايام على الاكثر وها بشائر النجاح تبشر بنصر الايرانيين ولا ريب في انهم ينتصرون ويملكون المدينة ويكون لك اذ ذاك مزيد احتفال واحترام وينقضي غرضك وتتزوجين بمصفر شاه ومتى جاء الى هنا ونظرك لا ريب انهُ ينعطف اليك اذا راى منك هذه المؤانسة وعرف معروفك معهُ ولا سيما ان بين الفرس لا توجد من هي اجمل منك واكمل خصالاً من خصالك

فظهر لطوران تخت وجه النجاح واملت نوال مقاصدها ونزل كلام عين الحياة على قلبها الذ من الماء الزلال على قلب المعافى السليم وفي الحال دعت بقهرمانتها هند وسالتها ان تدعو لها السجان بكل لطف وكرامة فسارت هند حتى اجتمعت بالسجان وهو قائم للمحافظة على المسجونين من الامراء والاعيان الذين ارتكبوا الجرائم وحكم عليهم بالجزاء على افعالهم وكان مصفر شاه عنده في غرفة خصوصية مفتاحها بيده يقدم لهُ الاكل وكل احتياجاتهِ من يده وبعد ان سلمت عليهِ قالت لهُ ان سيدتي طوران تخت تدعوك الان لحاجة مهمة وهي بانتظارك وقد ارسلتني هذه الساعة واوصتني ان اطلب اليك ذلك . قال وماذا تريد مني ولم يسبق لها ان دعتني وقد شغل بالهُ ولعبت بهِ الوساوس فقالت لا شيء سوى انها ترغب ان تسالك سوالاً واحداً لا اعرفهُ وربما كان يتعلق بالاسير الايراني فاطمأن بالهُ وقفل باب السجن وسار من ساعتهِ حتى انتهى الى قصر طوران تخت وطلب الاذن بالدخول فاذنت لهُ . ولما وقف بين يديها سالها عن مرادها والسبب الذي دعتهُ اليهِ وكانت واشنر اعين الحياة بالقرب منها . فقالت لهُ اني دعوتك لامر قليل الاهمية اتكلت فيهِ على عنايتك وغيرتك قال اساليني مهما شئت فما انا الا خادم عندكم وتحت امركم قالت لا خفاك ان هذه الحاضرة عندنا هي عين الحياة وانها ترغب في ان تعرف ماذا جرى على جماعة الفرس وعلى فيروز شاه ولي زمان وانا ارغب في ان ابعدها عن ذلك فلم اقدر الى ان عرفت ان بعض امراء ايران اسير عندك فوقعت عليّ وطلبت مني مواجهتهُ فحاولت ان انزع هذا الفكر من راسها فلم اقدر ولا طاوعني قلبي الرقيق وكرامة اخلاقي ان امنعها من طلبها فوعدتها بذلك واقسمت لها بحياة ابي انما بشرط ان يكون ذلك في هذا القصر ولذلك دعوتك لاعرض عليك هذا الامر واسالك ان تاتينا بالاسير المذكور الى هنا . قال ان ذلك ليس في وسعي يا سيدتي فان اباك منعني منهُ وارسل فاوصاني ان لا ادعهُ ينظر الى احد او ادع احداً يصل اليهِ ولذلك صار من المستحيل اخراجهُ الا بامر ابيك .

فبكت عين الحياة عند سماعها كلامهُ وقالت لهُ بالله عليك يا سيدي لا تحرمني من ان اسالهُ بعض سوالات وانتم المصريون تعودتم الرحمة والشفقة وماذا يضر عليك اذا جئت بهِ في المساء وقبل الصباح اتيت فاخذتهُ وهو مقيد الارجل لا يقدر على الهرب لاسيما وهو داخل المدينة ولا يعلم بذلك احد ولا ريب ان سيدتي طوران تخت لا تخبر احدًا بهِ ولا تدع هذا السر يظهر بين احد وما هي الاساعات قليلة فتنقضي وتكسب اجري ودعاء ورضاء بنت سيدك طوران تخت ولو لم اكن انا اسيرة هنا خالية من المال لكنت كافيتك عن معروفك هذا بغزير المكافاة فبالله عليك كن رحومًا ولا تصعب امرًا سهلاً لا صعوبة فيهِ . فقالت طوران تخت ان كان لا مال لك هنا فكل اموالنا هي لك واني ساجزيهِ عنك سلفًا بكثير من المال ثم اخذت قبضة من الذهب كانت قد استحضرت عليها قبل مجيئهِ ودفعتها لهُ وقالت خذ هذه الان ولا بد اني اكون دائمًا موجهة بالتفاتي اليك ولا اقطع العطاء عنك فلما شاهد السجان الذهب مالت نفسهُ اليهِ وهان عليهِ كل صعب ونظر الى طلبها فوجده سهلاً جدًا وقال في نفسهِ ماذا يجرى اذا اتيت بهِ في هذا المساء وسلمتهُ الى طوران تخت وفي الصباح اخذتهُ وارجعتهُ الى مكانهِ واذا امتنعت خسرت هذا الذهب على اني لو صرفت كل حياتي في خطتي لا احصل على جزء منهُ ولذلك قال لطوران تخت قد اجبت يا سيدتي طلبك بشرط ان لا تدعي احدًا يعرف بهِ انهُ جاء هنا ولا تذكري عملي هذا عند احدٍ خوفًا من ان يصل فيما بعد الى ابيك فيامر بقتلي ويحرمني من هذه الحياة وتكونين انت السبب في هلاكي واني اتكل في هذا الامر عليك . قالت لا تخف سوءًا واني اعاهدك بالله العظيم وبحياة ابي اني لو ذبحت ما فهت الى احد بانك اتيت بمصفر شاه ولو قصد ابي لك شرًّا منعتهُ عنهُ وانت تعلم حبهُ لي واجابتهُ الى كل ما اسالهُ فيهِ فاطمأن بالهُ وخرج من عندها بعد ان وعدها انهُ في الساعة الثانية من الليل ياتي بهِ فيسلمهُ الى قهرمانتها وفي الصباح يعود فياخذه وبعد ذهابهِ قالت عين الحياة لطوران تخت يجب ان تستحضري مبردًا حادًّا تقطعين بهِ قيود مصفر شاه لانهُ لا يتم لك سرورك ما دام مقيدًا امامك ولا يطيب لهُ الهناء ما لم تطلق لهُ الحرية ويقدر على ان يعد نفسهُ حابًا ومحبوبًا لا اسيرًا ومملوكًا قالت اصبت في ذلك ثم سالت هند ان تنزل المدينة وتشتري لها المبارد الحادة لقطع قيد مصفر شاه واقامت بعد ذلك في غرفة عين الحياة تتعاطيان كوس الفرح والمسرة وقد قالت لها عين الحياة الان قد صرت تحسبين من العالم الحساس ذات الشعائر الجميلة وقد ابعدت عنك تلك الحالة الحيوانية القديمة وصار من الواجب عليك ان تحافظي على عهد مصفر شاه وتتذكريه كل دقيقة لتجري اللذة العظيمة التي يجدها العاشقون عند ذكر محبيهم وتعداد اوصافهم وشرح محاسنهم . قالت كيف تمكني ان اترك ذلك او انساه وقد تدعوني اليهِ فواعل قلبي الملتهب ثم تنهدت واذرفت دمعة مزجت بماء الهيام وانشدت

خفض عليك مفندي ... انا عبد ذاك السيد
ملك رعيته القلو ... ب غدت له طوع اليد
امسي واصبح في هوا ... هُ بحيرة وتسهد
رقدت عيون النيرا ... ن ولوعتي لم ترقد
افدي بياضًا ساطعًا ... من بردتيه باسود
وانا الشهيد لحظه الـ ... جاني عليَّ ولا يد
قسمًا بنرجس مقلتيـ ... ـهِ وخده المتورد
وبغصن قامته الرطيـ ... ـب وعطفه المتأود
وبما حواه ثغره ... من لؤلوء متنضد
وبسحر ناظره الذي ... هاروت عنه بمرصد
وبليل مرسل فرعه ... الفاحم المتجعد
ان المحاسن كلها ... جمعت بذاك المفرد

فاهاج كلامها من عين الحياة غرامها وتذكرت محبوبها فيروزشاه وما كان منه عند زيارته لقصرها فلم ترَ بدًّا من الشكوى ومناشدة الاشعار وانشدت

الا ليت شعري هل نعود لقبضتي ... ليال بها المعشوق غير مخالف
وهل يرجعن عيشي كما كان ارغدًا ... واخلو كما كنا بتلك اللطائف
بكيت دمًا ان لم ارق ماء مهجتي ... دموعًا على تلك الليالي السوالف
تذكرت ايامًا مضين وما ألفًا ... وعادة من يهوى اذكار المآلف
وقفت ودمعي قاذف سر مهجتي ... اليه وما دمعي باول قاذف

وتمكنت محبة طوران تخت من قلب عين الحياة كما تمكنت محبة عين الحياة من قلبها لانهما كانتا عاشقتان والعاشق للعاشق يميل وكانت كل منهما تشكو وتبكي فتجيبها على شكواها وبكاها بمثله وهكذا قد صرفتا ذلك النهار الى ان قرب المساء فامرت طوران تخت قهرمانتها ان تهئ في غرفتها المآكل الفاخرة والمشارب اللذيذة والنقولات المتعددة والزهور الزكية ففعلت واقامت مع عين الحياة في غرفتها تنتظر قدوم بدر تلك الليلة وهي لا تصدق ان تمضي تلك الساعات والدقائق القليلة التي كانت عليها اطول من شهر الصوم ولما كان العشاء نزلت القهرمانة ووقفت عند الباب تنتظر السجان وما لبثت ان رأته قد اتي ومعه مصفرشاه يحجل في قيوده فدفعه اليها وكرَّ راجعًا وهو ينظر يمينًا وشمالا خوفًا من ان يراه احد وقد اوصى القهرمانة ان تسال سيدتها بالانتباه اليه والمحافظة عليه الى حين الصباح فوعدته بكل خير ودخلت به وهي فرحة بقضاء غرض سيدتها مسرورة

السروها وانبساطها ولما وصلت من غرفة مولاتها وجدتها جالسة بانتظارها وقد تزينت بافخر ملابسها وزينت راسها بالزهور وافرغت عليها من الحلى والجواهر ما جعلها ان ترهج وتبرق كالكوكب الوضاح في الظلام المدلهم وقد زاد ذلك في حسنها وبهاها وهي جالسة الى جانب عين الحياة تسمع منها كلامها واعينها موجهة الى الخارج لا تصدق ان ترى مصفرشاه داخلاً عليها الى ان شعرت به وهو آت فاسرعت الى الباب ولاقته الى الخارج وترحبت به وكان السجان قد حكى له السبب فمال الى مواجهة عين الحياة والوقوف بين يديها ولما دخل الغرفة قامت له عين الحياة وسلمت عليه وجلس قرب طوران تخت وقد نظر الى ما هي عليه من المحاسن التي خصصتها به الطبيعة فانبهر وضاع عقله كما انبهر من جمال عين ايضاً واعتدال قوامها ورقة كلامها وقال في نفسه لا تصلح هذه لغير فيروزشاه وكانت حركات طوران تخت ونظرها اليه وكلامها معه ودلالها عليه ثبت عنده انها مغرمة به عاشقة له لاسيما وقد شاهد تلك الاستعدادات والتهيئات المسرة . وفي الحال امرت قهرمانتها هند وقهرمانة عين الحياة شريفة ان تقطعا قيوده فاخذتا المبارد وجعلتا تقطعان بها الحديد الى ان فرغتا من ذلك واصبح مصفرشاه مطلق الارجل والحرية فعظم فرحه وزال كدره تماماً وجعل يخبر عين الحياة باعمال فيروزشاه في جيوش مصر وقال يهنئك يا سيدتي بهذا البطل الذي لا يمكن ان ياتي الزمان بمثله فهو الذي البس الايرانيين حلل الفخر والشرف وهو الذي تشتد به ظهورهم وترتفع روؤسهم فقبح الله طيفور اللعين على عناده له فهو اصل كل هذه الحروب والويلات فقالت له اني عالمة كل العلم بغلط ابي ورداءة طيفور انما لا بد ان الله سبحانه وتعالى يزيل هذه الاسباب جميعها ويقرب ايام راحة فيروزشاه لانه متى انتهت هذه الحرب ينتهي شقاؤه وعذابه ويلتزم ابي بمجاراته ولا بد اذ وقع طيفور في يده يقتله انتقاماً له ورغبة في خلاصه من تدبيراته الوخيمة وعناده ثم ان عين الحياة قامت وودعت مصفرشاه واعتذرت بالذهاب الى غرفتها للمنام وقصدت بذلك اخلاء المكان لطوران تخت وله بحيث لا يكون بينهما ثالث وبعد ان ذهبت دنت طوران تخت منه واخذت تشرح له ما كان من حبها ووقوعها بغرامه من ساعة نظرته فيها وانها سببت خلاصه لتعرض عليه حبها ونقيمه عندها الى حين الفرج فاخذ كلامها بلبه واجابها اليه وقال لها اني اعدك بدوام الحب والوفاء فما انا ممن يقابل الحسنات بالسيئات واريد ان ابقى الدهر عندك وبالقرب منك انما لا بد لي من الذهاب الى جيشي قبل والرجوع الى الحرب لنهاية هذه المصائب فان عسكري اصبح بلا راس وعلمي فارغ وحزن الملك ضارب واطنه علي لا ينتهي الا بالاطمئنان علي واذا عرفوا اني اطلقت الحرية وانا بين الكاس والرياحين لا افكر في قومي ماذا يا ترى يقولون عني وهل من المروءة ان اكون انا في هناء وهم في حروب واهوال . قالت لا تحسب نفسك الان مطلق الارادة بل احسب انك لا تزال اسيراً في السجن ولو بقيت هناك ماذا يا ترى كان يجري على قومك فاكد

اني لا ادعك تذهب من عندي وتخلف لي الوحشة والمصائب وانا لا اصدق انك عندي الان فكيف اقبل بفراقك فقم بنا الى مائدة الاكل فقاما وهي الى جانبه ملصقة جنبها الى جنبه واخذت في ان تطعمه بيدها من كفها و يفعل هو ايضًا كذلك الى ان فرغا من الاكل ورفعت مائدة الطعام وجلسا على سفرة المدام واخذا يتعاطيان الكؤوس باكف من المسرة والفرح وكل منهما فرحان بما هو فيه من لذيذ الوقت وطيب الهناء وكانت تسكب الخمر وتسقيه والقدح في يدها وتشرب ايضًا من يده وهما ينشدان الاشعار و يتشاكيان الغرام و يبثان ما بقلبيهما ومن بعض ما انشدته طورار تخت هو

في فؤادي من الخدود لهيب	جنة طاب لي بها التعذيبُ
صحوتي من هوى الحسان خمارٌ	وشباب بلا تصابٍ مشيب
داوني باللحاظ فالحب فينا	داربلوى بها الدنو طبيبُ
هكذا حاكم الهوى فلديه	من ذنوب الهوى تعد القلوبُ
في لحاظ الهوى آية سحر	قد تلاها على العقول الحبيبُ
رشأ اخجل البدور اذا ما	شوشت خاطر العذار الجنوب
ما راينا من قبل وجهك ان قد	حمل البدر في الزمان قضيبُ
قاتلي في الهوى اللحاظ وهذا	شاهد الخد من دمي مخضوب
قد رماني باسهم الجور عمدًا	وسوى القلب سهمهٔ لا يصيبُ
ليت انا لم يخلق الحسن فينا	ليت او لم يكن فؤاد طروبُ
يا اخا الوجد هل رايت قتيلاً	وهو ظلمًا بنفسهِ مطلوبُ
يا لقلب اطعته وعصاني	فهو الاَّ الى الهوى لا يجيبُ
خبري يا صبا رياض التصابي	فبذكر الهوى فؤادي يطيبُ
عرف القلب فبكى رائحة الحب	ويدري بسمهِ المسلوبُ

وما انشده مصفرشاه وذكر به وجده وغرامهٔ هذا

بهوى جد بقلبي	طامعًا في لفتاتك
وفؤاد ضل في حصـ	ـر قليل من صفاتك
و بطرف لم يمنع	نظرة من نظراتك
غافلا عن ذنبهِ اذ	هو من بعض هباتك
يا غزالا خاطر القلـ	ـب بروبا خطراتك
اه ما اعجزني عن	حمل ماضي عزماتك

بالحمر ترنع والاسـ	ـد ثوت في عرصاتك
كيف برجوك فواد	والحبي بعض حماتك
بابي حبات مسكٍ	نقلت في وجناتك
بل سويداء قلوب	احرقت في جمراتك
اترى يادهر هل في	لحظة من لحظاتك
يغفل الواشون كي	احسبها من حسناتك

وكانت طوران تخت غرقى ببحر هواه تائهة في براري عشقهِ لا تعرف ماذا تتكلم او بماذا تجيبهُ وهي تود ان تقدم لهُ روحها مكافاةً لهُ على قبولهِ اياها محبوبة لهُ وهو وان كان عنده من هواها مثل ما عندها الا انهُ كان يحمل في نفسهِ ذلك على جميلها معهُ وتخليصها اياه من السجن ويود انهُ اذا سمح لهُ الزمان يكافيها على ذلك ولا يتركها ان تكون اكرم منهُ خلقًا واجود مروة واكثر وفاء انما كان جل ما برغبة انهُ يبقى عندها ذلك اليوم حبًا بها واجابة لتطلبات قلبها كي لا تعدم صبرها لاجلهِ ولا تنسب اليهِ الغدر والخيانة والظلم وفي مساء الغد يذهب الى جيشهِ لانه كان بمزيد قلق عليهِ وقد كان يعلم ان بهزاد قادر على حفظهِ وانضمام شملهِ ومعظم خوفهِ كان من ان يلحق الابطال والفرسان ولاسيما الملك ضاراب هم وكدر ولا يعرفون اين مقره فيبعثون بالعيارين ويخاطرون بانفسهم لاجلهِ اذ لا تطاوعهم مروآتهم وشروط النسابة ان ينسوه ويتهاملوا بامره ولا زالت الكاس دائرة بينهم والخمرة تلعب بعقولهم حتى غابوا عن الهدى واخذت تتلاعب بهم فواعل الشمول . وعلمت قهرمانة طوران تخت منها حالتها فدنت منها وسالتها ان تذهب الى مرتبتها فقد اعدتها لها وهيأتها لمنامها . فقالت يجب ان تلصقي بها مرتبة مصفر شاه فاني لا احب ان يبعد عني لا ليلاً ولا نهارًا فظن انها تكلمت ذلك لداعي شربها الخمر وضياع عقلها بهِ فقال لها ليس من اللائق الان ان انام الى قربك وحاشاي من ذلك واني ساصبر الى ان يسمح الزمان فاتزوج لك واذ ذاك تكونين لي حلالاً فاتيك على رغم كل حسود وعذول قالت ان الغاية الوحيدة ان تبقى بقربي وما انت الان الا خطيبي ووحيدي ولا اطيق فراقك مستيقظة كنت او نائمة وان الصقنا بعضنا عدة سنين وايام نبقى محافظين على الطهارة والعفة فليس قربك مني مما يضيع في مروتك ولا يقلل في شرفي وناموسي فلا بد من ذلك ثم امرت القهرمانة ان تسرع الى ما دعتها الى الاسراع بهِ فسارت هند ورتبت مرتبة ثانية لصقتها الى جنب مرتبة طوران تخت ودعتهما فقاما من الشراب ودخلا غرفة النوم ونزعا عنهما ثياب النهار وناما في ثياب الليل وما لحقت رؤوسهما الوسادات حتى استغرقا في بحور النوم العميق لانهما كانا في حالة نهائية من السكر واغلقت عليهما هند الباب وسارت الى فراشها وقد سكنت حركات القصر وهدأت منهُ اصوات سكانهِ

ولنترك الان هذين المحبين على فراش الراحة بضع ساعات ولنتقدم في حديثنا الى ابن عم طوران تخت وهو الامير زيان الذي تقدم معنا انها كانت قالت لعين الحياة انهُ خطبها من ابيها عدة مرات وانها كانت تمتنع ولا تقبل . فكان هذا الامير ليس من رجال الحرب ولا من فرسان الطعان بل كان غنيًا جدًا مسرفًا في كل اعمالهِ وقد اتخذ لهُ جماعة من الاصحاب يبلغ عددهم ١٢ نفسًا اختصهم للسكر والتنزه وصرف السهرات بالفواحش ولعب القمار وغير ذلك على انهُ كان جميل الخلقة معتدل القوام خلافًا للشاه صالح وكان عمهُ الوليد يعلم منهُ حالتهُ وما هو عليهِ غير انهُ كان يقول في نفسهِ ان هذه الحالة لا تدوم ولا يمكن ان يثبت عليها ومهما صرف ويذر من اموالهِ فهي كثيرة وافرة ولذلك كان يرغب في ان يزوجهُ بينتهِ على امل ان يحسن امره ويترك الطرق السالك فيها ويرجع عن معاشرة اصحابه فكلمهُ بذلك فوافقهُ عليهِ ورغب فيهِ غاية الرغبة لانهُ كان يعلم ان بنت عمهِ من اجمل نساء المدينة واشرفها ولا يمكنهُ ان يتزوج بفتاة اجمل منها يصرف وقتهُ معها بالمسرة والانشراح ويلتذ بثمرة جمالها الناضجة فسالها ابوها فيهِ وقال لها اني ارغب في ان ازفك على ابن عمك الامير زيان فهو احق بك من غيرك ولا سيما ان اخاك لا يحسن التصرف في مهام الملك فيكون مساعدًا لهُ ويكون لك نصيب في الملك من بعدي فرفضت طلبهُ وقالت لهُ اني اسالك يا ابي بحرمة ابائك واجدادك ان تعفيني الان من مثل هذا الطلب لاني لا ارغب بزواج ولا ارضى ان اكون زوجة لرجل قط واني ارجوك ان تترك لي ذلك الى وقت اخر فما انا ممن يعصى لك امرًا ولا انت ممن يحب ان يظلمني ويقودني الى زواج اكرههُ ولا ارغب فيهِ فتركها اذ ذاك ابوها واخبر ابن اخيهِ بجوابها وقال لهُ من الواجب ان ناخر ذلك الى حين فلا بد من انها تجيب ذات مرة وتقبل ان نقترن بك فاقام زيان على عملهِ الاول وهو غير مكترث ببنت عمهِ في بادىء الامر وقد ظن انهُ لا بد ان يتزوج بها حتى قبلت الزواج ولم يكن خطر لهُ انها امتنعت عن الزواج كرهًا بخصالهِ واعمالهِ التي كان من الواجب ان يتركها ويعرض عنها ويرجع عن معاشرة الاردياء وفي السنة الثانية جال في فكره ان يسال عمهُ في اتمام وعده وان يعجل بقرانهِ ببنت عمهِ فاعاد ابوها عليها القصة فامتنعت وقالت لهُ اتريد ان تزوجني برجل مملوء من المعاصي والمنكرات وتجعلني عرضة لويلات سوء اخلاقهِ وادابهِ ومعرضة للظنون والافكار الردية فما انا ممن يرغب الان في القران واذا رغبت فيهِ فيما بعد اي بعد ان يتسهل لاخي زواجهُ فلا تكون رغبتي في ابن عمي فان نفسي لا تميل الى من كان مثلهُ ولا تقبل انت ان تقود لي العذاب بيدك وترميني بهكذا حفرة جهنمية . قال اني اعرف منهُ خصالهُ واطواره انما هو شاب فاذا عاد عن معاصيهِ وقبائحهِ لا تعود فتعيبهُ ويصرف وقتهُ عندك وتكونين انت المالكة عليهِ فترجعينهُ بالرغم عن اميالهِ . قالت ان مثل هذه الامال لا تقوى في رامي ولا تسلم معي نفسي بانها تكون ولا ارى من ذاتي اني مكلفة

لارجاعهِ عن خطتهِ الخبيثة ولو كان ممن يرجعون عن شرورهم لرجع حالما رغب في أن يقترن مني وليست رغبتهُ فيَّ عن حب منهُ او ميل الى تكريس حياتهِ في سبيل القيام بشراكة كلا الزوجين المسئولين فيها دينًا فلاكان الزواج ليمنع شريرًا عن شروره بل يزيد في معاصيهِ ولو كان ممن يرجعون لشدة او يسالون لدفع ملمة لكان في راسهِ من النخوة والمروءة ما ربما يجعلني ان ارغب في الزواج بهِ كي لا اخالف لك قولاً ولا امتنع عن ان انقاد اليك صاغرة بالرغم عن انفي لداعي ما لك عليَّ من حق السلطة والسيادة المعطاها من لدنهِ تعالى واخيرًا اسالك بحبك ان لا تعود فتعلق املاً على رغبتي في ابن عمي بل اطلب اليك بحق ما لك عليَّ من السلطة ان تمنعهُ وتطلعهُ على كل ما كان بيننا فيرجع عن ميلهِ ولا يعود فيما بعد يفكر في هذا الامر فاطرق ابوها الى الارض وقد راى من كلامها ما بهِ الصواب وعرف انها لا ترضى بهِ مطلقًا وانهُ ليس من العدل ان يجبرها عليهِ ولم يكن ابن عمها اهلاً لان يكون بعلاً لها وهي على جانب من الحكمة والتعقل وعاد القصة على الامير زيان وقال لهُ كنت اود ان تقبل بك وترغب في الاقتران منك وقد صرفت الجهد الى اقناعها فلم تقبل وحتمت اخيرًا انها لا ميل لها لاحد وانها تكره الزواج وترغب في البقاء على الحالة التي هي عليها الان ولذلك لم يعد من سبيل الى اتمام هذا الامر فتكدر الامير زيان في نفسهِ ولعب بهِ الغضب وعزم على الانتقام منها وحدثتهُ ظنونهُ انها ربما تكون عاشقة لاحد الامراء على غير علم من ابيها وقد ترجح عندهُ ذلك وقال في نفسهِ لم ترفض طلبي الا وفي قلبها من حب احد شيء لان النساء لا يركن لهنَّ وكيف تمتنع عن ان تتزوج بي مع اني ابن عمها واجمل رجل في المدينة وابوها يرغب فيَّ فلا ريب انها متواعدة مع احد واراد الاستطلاع على الحقيقة وان يعرف من الذي تحبهُ وكانت رداءة افكاره تصور لهُ امورًا واحوالاً غير ممكن وقوعها وقد اقام عدة اشهر على تلك الحالة يبحث عن الطريقة الموصلة الى اتمام رغائبهِ والانتقام منها وبعد صرف الجهد توفق لهُ ان استمال احد خدم قصر عين الحياة وهو عبد اسود طماع خبيث رديء الافعال اسمهُ سنبل بواب للقصر فلما صار يركن اليهِ و يأتمنهُ سره قال لهُ اريد منك قضاء مصلحة لا ارغب في ان اسال غيرك فيها ولك مني الاكرام الزائد والمال الغزير اذا قضيتها لي قال مرني يا سيدي بما تروم فاني عبدك وعبد عبدك واطيعك في كل ما من شاني ان اقدر افعلهُ فلو كلفتني الى اي مصلحة وكان يكلفني لقضائها المخاطرة بنفسي فلا اتاخر عن القيام بها فسرَّ من كلامهِ واخذ عشرة دنانير فدفعها لهُ فانبهر منها وتاه عقلهُ لانهُ لم يكن وصل ليدهِ مثلها في كل زمانهِ . ثم قال زيان اعلم يا سنبل انى اخبرت ان بنت عمي طوران تحت تعشق لاحد الامراء واني اجهل من هو ولذلك قصدت الاستطلاع عنهُ والاستكشاف عن خبرهِ ولم ارَ وسيلة الى ذلك الا انت فهل تعرف شيئًا مما ذكرت . فقال انى لا اعرف شيئًا من هذا يا سيدي . قال اني اعرف انك لا تعرفهُ لانهُ لا يمكن ان تجري امرًا مثل هذا بمعرفتك فهي كثيرة

الخداع والحيل لا تظهر امرها لاحد الا ربما كان لقهرمانتها فقط غير اني اطلب منك السهر على هذه القضية المهمة وان تستيقظ الليل والنهار في البحث واني اعدك متى اتيتني بالعلم اليقين اكثرت لك العطاء واغنيتك وجعلتك من بعض اصحابي واوصلت اليك الخلع الفاخرة ولا تعود اذ ذاك تقيم عند طوران تخت بل تدخل في جوقي ويكون لك عظيم شان عندي . فسرّ العبد من كلامه وقال له اني ساصرف الجهد الى الوقوف على هذا الامر ومتى تبينت شيئًا مما ذكر اتيتك به حالا واعلمتك عنه

واخذ العبد سنبل من ذلك اليوم في البحث على غرض زيان دون الوقوف على نتيجة فكان يصبر في كل ليلة الى ان تصير الساعة اربعة من الليل فيكمن في زوايا القصر ويصعد الى السطوح ويدخل دهاليز القصر واحدًا واحدًا علّه يعثر على احد فلم يتسنى له اذ لم تكن طوران تخت تميل اذ ذاك الى احد وكلما اعاد الخبر الى زيان يقول له لا تضجر ولا تمل بل داوم التفتيش فلابد من النجاح فهي خبيثة وقد يمكن ان يكون عندها في القصر وقد اخفته في غرفتها فتصبر الى ان ينام كل من في القصر فتجلس معه في غرفتها تصرف وقتها وتنام معه وكانت مزاياه الخبيثة تبين له ان حالة ابنة عمه كحالته من الشر والرداءة وعلى هذا لم يفتر العبد عن عمله وهو يعد نفسه بالمال الجزيل والخير الكثير الى ان كانت تلك الليلة جاءت هند بمصفر شاه وادخلته القصر فصبر سنبل ثم صعد الى الدار واكمن في بعض زواياها فسمع صوت رجل وقهقهة ومناشدة اشعار ومعاطاة خمور فخفق قلبه وتاكد الحقيقة وعلم ان عند طوران تخت عشيقها الذي اخبره عنه الامير زيان وصار يعد نفسه بالخير والغناء وصبر ليعلم الحقيقة ومن هو ذاك الامير وخاف اذا ذهب ليعلم زيان لا يبقى الرجل هناك وقال في نفسه لا بد ان اصبر لاراه واتحققه واعرف اين مقامه ومن اين يدخل القصر لانه ان كان هذه المرة قد دخل من الباب فلا بد ان يكون قد دخل قبل هذه المرة مرات كثيرة دون ان اراه واقام في مكانه متلصصًا وكانت طوران تخت مع مصفرشاه حينئذ على صفرة المدام وهما بامان من رقيب او عدو وقد هان عندهما كل صعب كما تقدم معنا وفي ظنهما ان لا احد يعرف امرهما ولا مطلع على خبرهما الا القهرمانة هند وعين الحياة وقهرمانتها شريفة . ولما فرغا من الشراب ودخلا غرفة المنام ونظرها وقد هيأت لهما المراتب القهرمانة وناما الى جانب بعضهما واغلق الباب عليهما كاد يطير من الفرح وانسل كالافعى وهو لا يصدق ان يصل الى زيان حتى وقف بين يديه وهو مع اصحابه في مكان معروف بالفحش والقبائح ودنا منه وهو يصفق بالايدي ويظهر فرحه وسروره فايقن الامير بنجاح مسعاه وقال له ماوراءك يا سنبل قال ياسيدي قد كشفت الحقيقة وتبين لنا وجه الصحيح فالامر كما قلت ديها اتبعني الان خوفًا من ضياع الوقت فقام في الحال وخرج معه الى الخارج واستعاد منه القصة فحكي له كل ما راى وقال له وقد رايت ان الذي دخل معها الى

الغرفة هو ليس من بلادنا وهو مصفر شاه الذي جيء به هذا اليوم الى السجن ولا اعلم كيف وصل اليها
قال اخطات فلا ريب ان يكون غيره ثم سار الى بيتهِ بعد ان طلب الى اصحابهِ ان ينتظروهُ وانهُ
سيعود اليهم بعد قليل فلبس سلاحهُ واخذ بيده سيفًا وهو يود ان يصل الى القصر ويري طوران
تخت قباحتها وبعد ذلك يقتلها ويقتل الذي معها بحيث تكون خيانتها اذ ذاك ظاهرة للعيان وقد
هوّن عليهِ السكر هذا الامر فسار حتى تسلق الدرج واوصى سنيل العبد ان يبقى عند الباب ينتظره
الى حين رجوعهِ وان لا يدع احدًا يخرج من القصر ولما صار في الدار دنا من غرفة طوران تخت
فدفعها بيده شيئًا فشيئًا ودخل وهو مشهر السيف في يده ونظر الى طوران تخت وهي نائمة الى جنب
مصفر شاه وقد تكلل وجهها بالبهاء والجمال فعزم ان يضربها بسيفهِ فجعل قلبهُ يخفق ورجلاه ترجف
ويداه ترتعد وفي تلك الدقيقة تحركت طوران تخت واستيقظت من نومها فنظرت فوق راسها ابن
عمها والسيف في يده وهو كالصنم جامد لا يتحرك فارتعدت فرائصها وخافت كل الخوف وراءها
وقد نظرتهُ فقال لها ما هذه الحالة هل تقبلين ان يقال عنك عاشقة فاسقة ولا تقبلين ان تقترني بي
وانا ابن عمك واحق بك من غيري فالحمد لله الذي لم يتم اقتراني بك واني الان قاتلك وقاتل
هذا الغريب الذي جاء في هذا اليوم الى البلد فاصطدتيه من السجن وهذا عمل النساء الفاجرات
فلم تجبهُ بكلمة بل كانت في رجفة عصابية متحيرة من حضوره في مثل هذا الوقت ولم تقدر ان تبدي
حركة الا انها مدت يدها من تحت الغطاء ولكزت مصفر شاه فانتبه وشاهد تلك الحالة وذاك
واقف مشهر السيف في يده وهو يتهدد طوران تخت بالقتل ولا يقدر على اجراء تهديده فارتاع في
اول الامر وخاف ان قصد الوقوف بادره بضربة كانت القاضية عليهِ وبعد ذلك يقضي على
محبوبتهِ الا انهُ خطر لهُ استعمال الحيلة فقال لهُ من انت يا سيدي فارفق بي وانظر اليَّ فما انا الان
غريب ولا ذنب لي . قال الا تعرف من انا فانا زيان ابن عم هذه التي انت الى جانبها وقد طلبت
اليها ورغبت في زواجها فامتنعت ولم تقبل لانها تعرف من نفسها عظم شرورها المستترة فلا
تليق ان تكون زوجة لي وقد اوقعها الله تحت يدي الان لانتقم منها واظهر للناس اجمع شرورها قال
واي ذنب عليَّ في ذلك فاني لم اعرف بنت عمك الا في هذه الليلة وانا كنت في السجن اسيرًا بعثني
الوليد لاقيم فيهِ الى حين نهاية الحرب وقد رغب في ابقائي لغاية لهُ مع اخصامهِ فاتوا بي الى هذا المكان
واقمت كما تراني فبالله عليك دعني فان قتلي يغضب الوليد واني ساعود الى السجن . قال نعم اني لا
اريد ان اقتلك بل مرادي ان اقتل هذه الخائنة الخبيثة وانا اعلم ان لا ذنب عليك انما اريد منك
متى عرف عمي اني قتلت بنتهُ وسالني عن السبب احكي لهُ بخيانتها واحك اذن انت لهُ واقعة الحال
ليعلم اني ما ظلمتها بقتلها قال متى سالتني الى ذلك ودعوتني اليهِ لا اخفي شيئًا عنهُ . فقال لهُ قم انت
الان من امامها ودعني اغمد هذا السيف في صدرها وكان يتهدد ويتوعد وجبنهُ لا يطاوعهُ على

قضاء غايته . ولما سمعت طوران تحت كلام مصفر شاه زاد كدرها وتمنت الموت من يد ابن عمها وقالت في نفسها قد يقال ان الفرس اهل مروة ووفاء فكذب من نسب اليهم ذلك واسودت الدنيا في عينيها وعادت تنتظر بقبول الموت وان يضربها ابن عمها بالسيف ونظرت الى مصفر شاه وقد نهض من الفراش وهو مظهر الخوف من الموت والفرح بالخلاص منه ولما صار الى جنب زيان رفع يده بقوة عظيمة ولطمة بها على راسه ودفعه برجله في خاصرته فوقع الى الارض طائشًا فبرك فوقه ونزع السيف من يده وقال له هكذا تفعل الرجال ثم ضربه بالسيف فجاء على وسطه وقطعه الى نصفين واندفق الدم يجري الى الارض كالانابيب من الميازيب ثم قال لطوران تحت انهضي الان ولا تلوميني على قولي فاني لو لم استعمل الحيلة لما نجونا ولا بد ان تكوني قلت في نفسك اني خائن العهد قليل المروة فوالله لست انا كذلك وسوف تجمعني واياك الايام فتعلمين اذ ذاك صدق رجال فارس واقانهم ووفاءهم واستودعك الله الان . ثم اخذ الطارقة من الارض والسيف في يده ونزل من السلم فطار عقلها عند نظرها اصراره على الرحيل وقد نزل بالرغم عنها فاسرعت خلفه وفي نيتها ان تمنعه عن مبارحتها فلم تصل الى نصف السلم حتى رأته عند الباب وقرب منه العبد سنبل وهو لم يعرفه لكثرة الظلام وقد ظنه الامير زيان وقال له اهل قضيت الغرض ياسيدي وتاكدت ما قلته لك وان الذي عند بنت عمك هو الاسير . فتاكد مصفر شاه ان هذا الفعل فعله وانه هو الذي جاء بابن عم محبوبته فرفع يده بالسيف وضربه به فارماه قتيلاً وقال قد لقيت شر فعالك وانطلق من وراء الباب مندفعًا الى السوق وقد وقفت طوران تحت باكية العين نائحة بعده وهي مضطربة من الاهوال الحاضرة مرتبكة في داخلها لا تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تعمل وقد صار في قصرها قتيلان ابن عمها والعبد ولم يخطر في ذهنها كيف تقدر ان تخفي امرها وبعد الوقوف نحوًا من نصف ساعة خطر لها ان تدخل على عين الحياة وهي في فراشها فتستيقظها وتخبرها بكل ما جرى وتسالها المساعدة على هذه الحال وللوقت اسرعت حتى اتت الى فراش عين الحياة فاستنهضتها وقالت لها ادركيني يا سيدتي قبل اتيان النهار والاَّ انفضحنا وظهر امرنا فاستيقظت عين الحياة ووجدتها على تلك الحالة وهي في بكاء واضطراب فاستعادت منها الخبر فاخبرتها بكل ما كان وماجرى وكيف ان مصفر شاه قتل ابن عمها والعبد الذي اوصل اليه خبرها وانه سار من القصر لا تعرف الى اي جهة سار . وقالت لها في اخر الكلام اريد منك الان ان تشوري عليَّ ماذا افعل في هذين القتيلين لانه في الصباح لا بد ان يظهر امرهما فان احدهما عند الباب والاخر في غرفتي وقد امتلأت الارض من الدماء وتلطخت الحيطان

قال فلما سمعت عين الحياة كلامها ضحكت منه وقالت لها وهل تضطربين لاجل قتيلين وقعا عندك ولا تحسنين اخفاءهما وتدبير امرهما فهيا اتبعيني واتي بقهرمانتك هند ثم سارت بها الى غرفتها

فرفعت قطعة من جثة زيان وامرت قهرمانتها شريفة ان تحمل القطعة الثانية وصعدت على سطوح القصر ومشت الى اخره الى جهة ظهره ورمت بالقطعة التي معها الى بعيد ثم عادت فاخذت العبد وفعلت بهِ مثل ذالك وقد قذفته من على السطوح ورجعت الى هند فقالت لها اغسلي انت وسيدتك ارض غرفتها ولا تبقي اثرًا للدماء فيها وانا وشريفة نغسل الباب والارض فلا يظهر اثر هنالك للدماء ثم اخذتا المصباح وجعلتا تغسلان ارض الباب وكل مكان تلوث من دم سنبل حتى لم يعد اثر للدماء واقفلت الباب وعادتا الى غرفة طوران تحت فوجدتاها مع قهرمانتها قد انهت العمل واذ ذاك جلست عين الحياة كانها ما فعلت شيئًا وكان لم يدخل القصر احد فقالت لطوران تحت ها قد قضي الامر ولم يعد من سبيل للظن في ان المقتولين قتلا هنا بل لا بد ان يخطر لابيك ان ابن عمك قصد لك شرًا وعزم على الدخول عليك فقتله سنبل البواب اذ لم يمتنع عن الرجوع فقتلت جماعته سنبلاً وهكذا تكونين قد تخلصت من هذا الامر وانت سببه واذا سؤلت فانكري واجعلي نفسك كان لا علم لك قالت اني اشكر فضلك على اهتمامك بي وتدبيرك امري انما لا يزال الامر خطيرًا فان مصفر شاه قد بعد عني بعد ان عودني على القرب منه واذاقني لذة عيش اخضر ولا اعرف كيف اعمل لارجعه اليَّ وقد ذهب عني قالت يجب ان تصبري على امرك لانه يكون قد سار الى جيشهِ ولا سبيل الى رجوعهِ الان ولك اسوة بي فان فيروزشاه الان بعيد عني في الجيش غير اني مطمئنة الفكر راكنة الى انهُ متى انتهى الحرب ياتي اليَّ وما زلت موقنة انهُ لا يرتضي زوجة سواي فانا في امان من نتائج بعده لانهُ مهما طال بعده لا بد من ان ياتي اليَّ عند سنوح الفرص وعليك ان تثبتي على حبهِ وتراعي عهده فيكون لك من نفسك ارتياح عظيم ما زلت عالمة بانهُ مرتاح . قالت اخاف انهُ يعود فيقبض عليهِ وهو سائر في المدينة لا يعرف طرق الخروج منها وفي كل معابر المدينة حراس يحرسون فربما وقع فيهِ الحرس فيصل اليهِ اذاه قالت دعي عنك هذه الاوهام وفي الغد نعلم ماذا يكون من امره واذا شئت ان تكوني عاشقة يجب ان تتاخذي لك قلبًا من حديد تدفعي فيهِ بالصبر الجميل كل ما يقع عليك من الويلات والمصائب والا اذا لم تتدرعي بالصبر وتقاومي بكل جهدك الاخبار المكدرة وتحملي صعوبة الفراق تموتين حالاً وانت بعيدة عنهُ فلا تبقين لهُ ولا تحصلين عليهِ

واما مصفر شاه فانهُ بعد ان فارق القصر سار وهو فرح بنجاتهِ يومل الوصول الى خارج المدينة ومن هناك يسير الى المعسكر ولا زال سائرًا في شوارع المدينة وكان الوقت اذ ذاك عند اخر الليل حتى انتهى الى دهليز مر فيهِ وانتهى الى فسحة فسار فيها وهو يظن في نفسهِ انهُ ينتهي من بعدها الى ضواحي المدينة ولما قطعها وصل الى جماعة من الحرس مقيمين هناك فعول ان يعرج عنهم ويسير الى غير جهة فشعروا بهِ وصاحوا عليهِ وامروه ان يقف ليروا في امره فلم يجب فاسرعوا

اليهِ وقصدوا مسكهُ فلم يمكنهم بل اخذ الطارقة في يده اليسار واشهر سيفهُ وابتدرهم بالقتال وصاح فيهم باصوات التهديد والتوعيد فاشهروا سلاحهم واحتاطوا بهِ واخذ معهم في الضرب والمحاربة وهو يقتل فيهم ويبدد شملهم حتى تعجبوا منهُ وعلموا انهُ من الاعداء فاسرع بعضهم الى من جاورهم من العسكر المتخلف في المدينة للمحافظة وجاءوا بهم وقامت نار الحرب على قدم واحرقت اولئك القوم اي احراق لان مصفر شاه سطا عليهم سطوة جبار وانزل بهم الذل والشنار وكلما تجمعوا عليهِ فرقهم وكلما قصد الخلاص من بينهم والخروج الى الخارج ناثروهُ واسرعوا خلفهُ وصاحوا بهِ وهجموا عليهِ وهم خائفون من نجاتهِ وان يفوتهم فلا ينالون منهُ مراداً وربما عرف الوليد بذلك فيلومهم ويقاصهم ودام الحال على هذا المنوال نحو ساعة من الزمان والقوم في ازدياد وتجمع حتى كثروا على مصفر شاه فضايقوهُ وسدوا عليهِ الطرق وكان بلا مجن فلحق بجسمهِ بعض جراح وفي النهاية تجمعوا عليهِ ورموا بانفسهم في طريقهِ وقد وقع السيف من يده فمسكوهُ واوثقوهُ كتافًا وسالوهُ عن نفسهِ فلم يجبهم فاحتاروا منهُ وصبروا الى ان يشرق النهار فيذهبون بهِ الى حاكمهم

فهذا ما كان من مصفر شاه واما السجان فانهُ سمع عند الصباح بذكر ما وقع للحراس مع مصفر شاه فاسرع وهو مضطرب القلب منزعج الخاطر الى قصر طوران تخت وسال هناك القهرمانة عنهُ فقالت لهُ انهُ فرَّ في الليل بينما كنا نيام ولا نعلم اين ذهب ومن الواجب ان تكتم امره ولا تظهر ما كان من سيدتي بل ادعي انهُ فرَّ من السجن واذا اراد لك ابوها سوءًا سالتهُ فيك فرجع الى السجن وهو بمزيد خوف وكدر لا يامن على نفسهِ من غضب الوليد وفي الحال فتح ثقبًا في حائط السجن الخارجي دون ان يراه احد واسرع الى خارج المدينة وهو يلطم على خدوده ويبكي حتى وقف بين يدي الوليد وكان لم ياتهِ بعد خبر مصفر شاه وقال لهُ يا سيدي دخلت قبل الصباح لانتقد الاسير الايراني فلم ارَه في حجرة سجنهِ ورايت الحائط مثقبًا ولا اعلم من ثقبهُ واخرجهُ منهُ فلما سمع الوليد كلامهُ لعب بهِ الغضب وتكدر مزيد الكدر وكادت تقوم عليهِ القيامة وقال لهُ ويلك ايفقد من السجن وعندك من الحراس جماعة وينقب الحائط ولا احد يسمع صوت ثقبهِ ان في ذلك خيانة كبرى فلا بد لي من اعدامك وهلاكك عبرة لغيرك ثم امر في الحال ان يقتل وينشر امر قتلهِ فوقع على اقدامهِ يقبلها وهو يقسم باعظم الاقسام انهُ لم يخنهُ قط . فشفق الوزير بيداديش عليهِ وقال ما هذا بصواب يا سيدي ولا خفاك ان العيارين يسطون على اعمق من هذه السجون وينتشلون منها المسجونين وليس من العدل ان يقتل السجان على ان الملك ضاراب لم يقتل عيار مصفر شاه عندما نزل طارق عليهِ واتى بهِ من نصف المعسكر ولا قتل السجان الذي كان يحافظ على الامير قتيل والشاه شجاع واني أرى من الصواب ان تترك السجان وتحرمهُ من الرتبة وتجرده عن الوظيفة . فاجابهُ الوليد الى كلامهِ وطرد السجان فسار وهو لا يصدق بالنجاة واتى قصر طوران تخت واخبرها ما كان من

امر ابيها وانهُ طرده وقطع معينة فقالت لهُ لا باس فاني اعوضك عن ذلك بالذهب الوضاح ثم اعطتهُ قبضة كبيرة وقالت لهُ استعن بها على حياتك وعيالك فشكر فضلها وخرج من قصرها وهو بمزيد فرح غير ماسوف على تركهِ السجن وابعاده عن ماموريتهِ

وكان بعد ان خرج السجان من حضرة الوليد جاءه جماعة من الحرس الذين يطوفون الاسواق وهم يحملون زيان وسنبل مقتولين مقطعين الى اربع قطع وقال لهُ يا سيدنا بينما كنا نطوف في اجراء ماموريتنا وجدنا هذه الجثث مقطعة ملقاة الى الارض تبعد قليلاً عن قصر سيدتنا طوران تخت وقد سالنا كثيرًا لنعلم السبب فلم نقدر ان نعلمهُ وسالنا جماعة الامير زيان فلم يعرف احد بقتلهِ بل قالوا لنا انهم بينما كانوا مجتمعين معهُ اتاه العبد سنبل وهمس باذنهِ بعض كلام وسار معهُ وقد وعدنا انهُ يعود الينا قريبًا وحتى الساعة لم يعد فتعجبنا من امره وبعثنا من سال في قصر سيدتنا طوران تخت فلم يكن احد يعلم بهِ . فلما راى ذلك الوليد تكدر مزيد الكدر وكادت تنشق مرارتهُ على ابن اخيهِ وبكى عليهِ فقال لهُ بيداندجيش ليس الان وقت بكاء وما ابن اخيك بمظلوم ولا ريب انهُ قصد ايصال اذاه الى بعض الناس فقتلهُ او ان يكون في المسالة سرٌّ عظيم نترك البحث عليهِ الان الى ما بعد هذه الحرب فان امورًا مهمة اعظم من هذه يلزم النظر فيها . فامر الوليد في الحال ان يدفن ابن اخيهِ والعبد في التراب فاخذوهما ودفنوهما وما بعدوا الا قليلاً حتى دخل على الوليد جماعة الحرس الذين اسروا مصفر شاه وهم يقودونهُ موثوقًا مربوطًا بالحبال فلما وقفوا بين يديهِ قالوا لهُ اعلم يا سيدنا اننا كنا في الليل نحرس داخل ابواب البلد واذا بهذا الرجل ينسل من تحت اعتكار الظلام مستترًا بجناحهِ فلاح لنا رسمهُ وخفي علينا امره واردنا ان نقف على امره فقصدناه فما كان منهُ الا انهُ بادرنا بالقتال فقاتلناه حتى تغلب علينا فاستعنا عليهِ بالعسكر فقتل نحوًا من خمسين نفسًا وبالنهاية قد قبضنا عليهِ ونحن لا نعلم من هو الى ان سمعنا في المدينة ان الاسير الايراني قد فر من السجن فتاكدنا انهُ هو هو فاتينا بهِ اليك نعرضهُ عليك لتنظر في امره وكان الوليد لا يزال مكدر الخاطر من حادث ابن اخيهِ والسجان فزال بعض ما لحق بهِ من الغضب عند رؤياه اعادة مصفر شاه الى الاسر وقصد ان يعرف كيف كان فراره فقال لهُ اننا بعثناك الى السجن واوصيت ان لا تكون مهانًا فيهِ ففررت منهُ طمعًا بالخلاص والعود الى قومك فاعادك القضاء والقدر الى ايدينا اسيرًا ولهذا اطلب اليك ان تشرح لي بالتفصيل كيف كان خلاصك لاننا كنا ظننا ان العيارين قد ثقبوا السجن ودخلوا فاخرجوك والان قد تبين انك كنت وحدك عند معارضة الحرس لك فاحكِ لنا ما كان من امر خلاصك وكيف امكنك ان تنجو من السجن مع انك لم تعرف من قبل مخارجهُ ومعابره وكان اول دخولك اليهِ يوم فرارك منهُ قال لا اقدر ان اعرف كيف فررت ولا اريد ان اعرف الان الا اني واقف في صيوان الوليد ممنوك من حرسهِ ولا

نطمع في ان تعرف مني غير ذلك حتى ولو انك ارسلتني لاي سجن كان فلا بد من ان تخدمني الصدف وتساعدني الاقدار فاتخلص منهُ . فلما سمع الوليد هذا الكلام لعب بهِ الغيظ كل ملعب وامتلأ من الحنق وقال لمن جاءوا بهِ خذوه الى سجن العفاريت والقوه فيهِ يلاقي العذاب الاليم ويرى من نفسهِ ان كان يقدر على الخلاص منهُ او يقدر احد ان يخلصهُ منهُ وفي الحال اخذه الرجال وساروا بهِ بحسب امر سيدهم الى ان وصلوا الى سجن العفاريت فقرعوا الباب فخرج اليهم السجان وفتح الباب فسلموه مصفرشاه وبلغوه امر الوليد واوصوه بالتحفظ عليهِ .

قال وكان هذا سجن العفاريت من اعظم سجون تلك الايام يقال انهُ كان في القديم مسكنًا للعفاريت يتحصنون بهِ حتى ان طغمات منهم كانوا لا يقدرون عليهِ وقفل بابهِ لانهُ كان اشبه بسور عالٍ سميك للغاية مسقف بحجر واحد صلب لا تقدر ان تقطع فيهِ السواعق المتتابعة وليس نافذة قط سوى باب من الحديد يبلغ ارتفاعهُ ذراع ونصف ذراع وسمكهُ ٤ اقيراطًا ولهُ نحو عشرة اقفال حتى اذا قفل هذا الباب كان قطعة واحدة من السور الصخري فلا يقدر احد على فتحهِ وكان الذين داخلهُ لا يرون النور مطلقًا لانهُ لا يسمح لهم ان يخرجوا الى الخارج ولا يبعث النور الى الداخل ولذلك كانت المصابيح الضعيفة النور دائمًا موقدة فيهِ وقد خص بذلك السجن المحكوم عليهم بالقلعة مؤبدًا او المحكوم عليهم بالاعدام واقاموا موقتًا بينما يصير اعدامهم ومن سجنهُ في ذاك المكان يكون مستحقًا الموت لارتكابهِ جريمة من اقبح الجرائم ولما دخل مصفرشاه الى ذاك السجن وجده امر من مرارة الموت لانهُ لم كان معتادًا على العذاب والاهانة الى حد هذه الدرجة غير انهُ صبر على هذه الحال وقال في نفسهِ لا بد ان ياتي الفرج عن قريب لان الله سبحانهُ وتعالى لا يتركني اقاسي العذاب الاليم ولا بد من ان يكون النصر لقومي فيسعون في خلاصي و يخرجونني من هذا المكان الجهنمي واقام مسلمًا بامره لله تعالى

قال وشاع خبر بعث مصفرشاه الى سجن العفاريت وتناقلتهُ الالسن داخل المدينة وتاكدوا ان في نية الوليد اعدامهُ او ان يميتهُ داخلهُ كغيره من الذين يموتون يوميًا من عظم كراهة المناخ والنتن او بالتصادف كانت هند قهرمانة طوران تمشي في الاسواق فسمعت بهذا الخبر ودنت من احد الناس واستفسرت منهُ عن الحقيقة فقال لها ان الاسير الذي كان في السجن تخلص في الليل الماضي وفر طالبًا الخروج الى بين العسكر لانهُ من الاعداء فصادف الحرس وجرى بينهُ و بينهم قتال عظيم اهلك فيهِ اكثر من مائة نفس و بعد الجهد القوا القبض عليهِ واخذوه الى الوليد فسالهُ عن سبب هربه فلم يجب فامر ان يوضع في سجن العفاريت والان رايناهم آخذينهُ الى ذاك السجن ومن المقرر انهُ لم يعد يقدر ان يخرج منهُ حيًا وهكذا قد انتهت حياتهُ فيهِ ولنا رجاء منهُ تعالى ان يكون هذا نصيب جميع الايرانيين اعداء ملكنا قالت وكيف فرَّ هذا الاسير من السجن ومن يا ترى ساعده

على الفراز وكانت تحب ان كان توجه فكر احد الى مولاتها وماذا تقول الناس في امر الاصبهان لها الذي كان يخاطبها ان جميع البلد تلهج بهذه القضية ولا احد يعرف كيف كان تخلصه ومما زاد الناس تعجبًا ان زيان وجد في هذا الصباح مائتًا مقطعًا الى قطعتين ومثل ذلك سنبل بواب بنت الملك وحتى الساعة لا يعرف احد من امرها شيئًا . فعرفت هند ان لا احد يعرف شيئًا مما تقدم لمولاتها مع مصفرشاه الا انها تكدرت مزيد الكدر ولحق بها الهم والنكد من جرى ما وقع على مصفرشاه لانها كانت تعلم ان طوران تخت اذا عرفت بذلك تجن وتعدم عقلها لانها تعلم انه سيموت فيه وربما لا يقدر ان يقيم فيه عدة ايام دون ان يمرض ويسقم ولذلك نويت على اخفاء الالام عنها وجاءت القصر ودخلت على عين الحياة فوجدتها جالسة لوحدها في غرفتها فحكت لها كل ما سمعته في السوق عن مصفرشاه وانه القي في سجن العفاريت وشرحت لها حالة ذلك السجن وماذا يقال عنه ولاي شيء تخصص فحزنت لهذا الخبر وتاسفت على مصفرشاه وقالت في نفسها ان نصيب هذه الفتاة كنصيبي مملوءًا بالاكدار والمصائب غير ان طالب الشهد لا ينبغي ان يخاف من ابر النحل وارادت ان تسلي طوران تخت وتلازمها كل الملازمة هذه المدة الى حين تنقضي الحال ويفرغ القوم من القتال . فبعثت بهند اليها وامرتها ان تسارع بالحضور الى غرفتها فاجابت واتت طوران تخت الى غرفة عين الحياة فترحبت بها كل الترحيب وقالت لها لا حق لك الان في الحزن فانه قد قضى عليك بالحب كما قضي عليّ وفي جيش الفرس الان حبيبي وحبيبك وهما يقاتلان لاجل الوصول الينا . قالت ان حبيبك في قومه واما مصفرشاه فلا اعرف عنه خبرًا قالت لو لم يكن في الجيش لجاءنا منه الخبر او عرفنا من احد ماذا جرى عليه ولا يخفاك ان الله سبحانه وتعالى مع رجال الفرس فلا خوف عليهم ولو قيل لك انهم داخل سد من حديد فاعلمي ان الله يساعدهم الى ان يخرقوه ويخرجوا منه وما منهم الا من فيه الكفاءة لعمل اكبر من ذلك ثم امرت قهرمانتها ان تحضر لها بالشراب لتشربا معًا فسارت هند واتت بالشراب وصفته امامها وجلستا الى جانب بعضهما البعض وكان الوقت اذاك عند غياب الشمس فملأت عين الحياة كاسًا وناولتها الى طوران تخت وقالت لها اشربي هذه الكاس وانشدينا شيئًا بحبيبك فان الوقت يحتاج الى الذكرى واني سافعل كذلك فنشرب على ذكر المحبين فتناولت الكاس منها وتذكرت محاسن من احبته نفسها وبهاء طلعته وانشدت

لو يكون اللقاء باستحقاق ... ما قضى الدهر بيننا بفراق

جلّ عن وصف واصف غير دمعي ... ما اقاسي من الهوى والاقي

لا تلمني في الحب وانظر الى آ ... ثار فعل البعاد والافتراق

بدن صيغ من سقام وقلب ... صيغ من حرقة ومن اشواق

فسقى الله طيب عهد تلاقيـ ـنا وحيا الاله عهد التلاقي
رب ليل زارني وسواري الشهـ ـب جدي تهيم في الافاق
ويبين الصباح عن معطف الجو زاء كادت تحل عقد النطاق
بدر تم كماله يوقع البدر حياء وغيرة في المحاق
يحسد الطرف ثغره ومحياهُ بفرط الابراق والائتلاق
منطق يقتل الهموم ويحيي داعيات السرور للعشاق
وحديث يجري على كل قلب كالزلال المسلسل الرقراق
وعيون قد استباحت حمى الفتـ ـك فليست تبقي على الارماق
قلت والروح في التراقي من الوجـ ـد ودمعي خيوله في استباق
اشتكي منك ام اليك اشتياقي ما لمثلي من جور مثلك راقي
احجاب البعاد والهجر اشكو ام حجاب الصدود والاطراق
ورقيبي ام الوشاة ام الاد ام اشكو اليك ام اشتياقي
نظرة منك سيدي تنشر المو تي باذن المهيمن الخلاق
ثم بدا في ياقوت وجنته الشفـ ـاف ماء كاللؤلؤ البراق
ثم عاطيته من العتب كاسًا شب معسولها بدمع مراق
فنهاني عن اثمه غيرتي منـ ـي ولم يسمح التقى بعناق
هكذا الحب عندما يتناهى ما به غير لوعة واحتراق
عجلي يا يد الغرام حمامي فعذاب الاشواق حال السباق
واستعار بالحب عن جفوني بعدي عهد الفي بدمعك الدفاق
وابلغي قاتلي برفق سلامي ثم حيي عني وجوه الرفاق

وبعد ان شربت الكاس على ما تقدم من ذكر انشادها اخذت فسكبت قدحًا من الخمر وناولته الى عين الحياة وسالتها ان تنشد شيئًا من الشعر في وصف شوقها وحالها وكانت عين الحياة تنظر اليها متاملة فيها تفكر في ما اصابها وهي تقول في نفسها انها عاشقة مثلي مغرمة بحبيب لا تقدر ان تصل اليه كحبيبي انما الفرق انها هي لا تزال في اول العشق ولم يمر عليها من المصاعب المكدرة ما مر عليّ وهي لا تزال في بيتها ولم يفارقها حبيبها اكثر من نهار على اني انا اسيرة مسجونة لا اقدر على الخروج ولا اعرف الحالة التي انتهي اليها وقد تجمعت مئات من الالوف في سبيل منعي عن حبيبي ومنعه عني واهتمام اكبر ملوك الارض بي فبعضهم يرغب في ان يقربني ممن احب والبعض يرغب في ان يقربني من غيره وكانت هذه الافكار تتعاظم عليها وتتسع في وجهها بينما كانت تسمع انشاد

طوران تخت ولما اعطتها القدح اخذته منها وتذكرت حالتها فكادت تنصب ميازيب ادمعها لولا امساكها نفسها واظهار تجلدها وشدة احتمالها للمكاره التي اعتادت عليها منذ اكثر من ثلاث سنوات اي منذ اخذت صور فيروز شاه الى تلك الساعة ولدى تذكرها عشيقها هانت عليها المصائب فاخذت القدح وانشدت

انا والحمام مع الصباح ... فرسا رهان في النواح
حتى اذا حان الغرو ... ب صحى وقلبي غير صاحي
هيهات ما لسواي وجدٌ ... مثل وجدي والنياحي
قد حار في دنفي الطبيـ ... ـب وحار في كلفي اللواحي
ويئست من برئي كما ... يئس الضرير من الصباح
تشتاق نفسي للمنيـ ... ـة كلما سالت جراحي
ما لاح برق مشئم ... ليلاً فهيج لي ارتياحي
الا وكدت اطير من ... شوق الديار مع الرياح
لكنما الايام قد ... قصت حوادثها جناحي
اشتاق احبابي وما ... لي عن مكاني من براح
فاسيغ ماء مدامعي ... واغص بالماء القراح
قد ضاق بي سجن الهمو ... م فهل لاسري من سراح
يا رب ضقت بغربتي ... ذرعاً وبالكرب المتاح
فاكشف كروب النفس او ... فأذن لروحي بالرواح

وبعد انشادها شربت بذكر فيروز شاه وهي تسال الله ان يعجل اليها لتراه لانها ذابت شوقاً اليهِ ولوعة على بعدهِ وحرقة على فراقهِ واصاب فوادها من الشوق والوجد ما لم يصاب بهِ قيس ليلى ولا كثير عزة ولا جميل بثينة لانها كانت سلطان عشاق ذاك الزمان وكانت ترغب من اكثار شرب الخمر لتغيب بهِ عن الهوى فقد يكثر عليها الذكرى ويزيد من شوقها الى حبيبها. ودامت مع طوران تخت على تلك الحالة وقد اعتاضتا عن الطعام بالخمر والنقل ولذت لها تلك الحالة وتمنتا ان تكونا على ذلك الى الصباح وبينما كانت الساعة الثالثة اخذت عين الحياة كاساً من الخمر ووضعتها على شفتها وارادت ان تتجرعها وقد مالت براسها الى الوراء ووجهت بوجهها الى فوق فوقع نظرها على نافذة من الزجاج لاح لها من وراها شخص واقف ينظر اليها من سطح مقابل للنافذة وانتبهت الى حركة في الخارج وللحال ارجعت الكاس عن فمها وامتلأت من الغضب وقالت لطوران تخت الا علمت ان بعض الناس ينظر الينا فاني ارى رجلاً على السطح يلاحظ اعمالنا

ويتسرق علينا كلص فهل يكون كهذا قصر بنات الملوك وهل بلغ من قدر الرجال ان يطلعوا على احوال البنات بالحيل والخداع فنظرت طوران تحت الى النافذة فلاح لها الشخص المذكور وهو يرقبها فغضبت وقالت كيف العمل لمعرفة هذا الرجل . فقالت عين الحياة ان في نيتي ان اصعد على السطوح وانظر في امره واني لا بد من ان اعدمه الحياة فقالت شريفة لا تزعجي نفسك يا سيدتي فاني اصعد عنك واقضي هذه المهمة ولا بد من قتله ايًا كان ثم استلت خنجرًا وتسلقت السلم حتى انتهت الى السطوح فسارت عليها الى ان قربت من ذاك الشخص فنظرت بالقرب منه شخصًا اخر وهما واقفان ينظران الى الاسفل من النافذة و يتشاوران مع بعضهما فدنت منهما وصاحت فيهما و يلكما ايها الوقوحان اتظنان ان قصور بنات الملوك ملاعب للفرج فستلاقيان شر عملكما وكانت شريفة قوية القلب وعندها طرف من الشجاعة فارسلت خنجرها ضاربة به الرجل الاول وفي نفسها انها تقضي عليه فلم يمكنها بل ضيع ضربتها واسرع فقبض يدها وشد عليها ببعض قوته وقال لها مهلاً يا شريفة اما كفى ان سيدتك جرحتنا بسيف لحاظها وطعنتنا برمح قوامها وتركتنا صرعى جمالها حتى بعثتك تقضي علينا انت ايضًا بهذا الخنجر الم يكن لها من الشفقة والرحمة فينا ما يمنعها عن اذانا . فلما سمعت شريفة صوته عرفت انه فيروز شاه وللوقت دعته الى النزول فقال لها اني كنت امتنعت وترددت لما شاهدت عند مولاتك تنتان غريبتان . قالت لا مانع منهما فانهما مساعدتان لمولاتي وهما بنت الوليد وقهرمانتها وستعلم من امرها ما يرفع التحذر من ضميرك وذلك مني وصلت الى سيدتي وها انا سائرة امامك لاعلمها بقدومك وتدرجت السلم حتى اتت الغرفة فنادتها عين الحياة وقالت لها ماذا رايت ومن المتجاسر على الاكتشاف علينا قالت لها نعم اني عرفت الرجل فوجدته انه ذو حق بالاطلاع على اسرارك والاكتشاف على اخبارك لانه ما خاطر بنفسه الا لهذه الغاية اي لاجل الوقوف على حقيقة امرك فهذا هو صاحب السيف والقلم والبند والعلم فارس المشارق والمغارب ومبيد الكتائب والمواكب هذا هو حبيبك فيروزشاه وقد دعاه حبه وهواه الى الوصول الى هذه السطوح والمخاطرة بنفسه على غير علم بمكان اقامتك فلما سمعت عين الحياة كلامها نهضت واقفة واسرعت بالتقدم لملتقاه وهي من الفرح في برج جديد وتحركت فيها كل دواعي الحب وحسبت نفسها انها دخلت روض سعادة جديدة

قال وكان السبب في مجيء فيروزشاه هو انه في صباح اليوم الذي فقد فيه مصفرشاه نهض الملك ضاراب من رقاده وجلس في صيوانه وكان ذاك اليوم يوم راحة لم يقصدوا فيه حربًا واجتمع بحسب العادة من حواليه عموم الفرسان والابطال وجلس كل بحسب درجاته الا ان مصفرشاه وبهزاد لم يحضرا فسال الملك عنهما فتقدم منه شياغوس وقال له يا سيدي اني مررت من هنالك هذه الساعة فوجدت الاشوب في ارتباك وجماعة مصفرشاه في اضطراب فقيل لي انه فقد من

الصيوان هذه الليلة وانهم في الصباح وجدوا الصيوان خال ليس فيهِ سوى فراشهِ وقد تاكدوا انهُ سرق في الليل وان سارقهُ احد عياري مصر وقد استدلوا من ذلك باثار اقدام من ظهر الصيوان فلما سمع الملك هذا الكلام وقعت عليهِ حبال الاكدار وغضب مزيد الغضب وقال ايسرق ملك من بيننا وعيارونا غافلون لا يسهرون على امرائهم ولا ينتبهون الى لصوص الاعداء وعياريهم وفي تلك الساعة دخل بهزاد واعاد الامر على الملك وقال لهُ اني اظن ولا اخطئ بظني ان الذي سرق مصفرشاه هو طارق العيار وكأنهُ سطا علينا وانتشل من بيننا الامير قتيل والشاه شجاع قد نزل علينا هذه المرة فاصاب مصفرشاه فاخذه بطريقهِ ولا بد انهُ يعيد عملهُ ويرجع ثانيًا وثالثًا . ثم افتقد الملك ضاراب شبرنك العيار فلم يقف لهُ على خبر ودار الكلام بين القوم بشان فقد مصفرشاه وقد كدرهم جدًّا وقامت بينهم الغوغاء والملك ضاراب في هم ونكد وكاد يغيب عن الوجود مقدار ساعة من الزمان واذا بشبرنك قد دخل الصيوان ووقف بين يدي سيده . فقال لهُ اين كنت يا شبرنك قال كنت يا سيدي بين خدم الوليد وانا بصفة واحد منهم قال وماذا عرفت وانت هناك . قال اني كنت مختلطًا بينهم وانا دائمًا اختبئ من وجه هلال العيار لاني اعلم انهُ زنديق اذا رآني عرفني حالاً وقصدت الرجوع عند الصباح فلم اقدر لانهُ كان يطوف خارج الخيام فانزويت في احدى الزوايا واذا بطارق قد عرض على الوليد عملاً عملهُ في هذا الليل وهو انهُ قال لهُ اني سرت في هذه الليلة واتيت بفيروزشاه ابن الملك ضاراب فاظهر كل الحضور فرحهم ووعدوهُ بمزيد الغنى وقد صدقوهُ الا طيفور فقال لهُ ان ذلك بعيد عنك يا طارق لانهُ من المحال ان تصل الى فيروزشاه وعنده بهروز العيار فقال هو عندي الان في البيت فامره الوليد ان يحضره فاتى بهِ واذا هو مصفرشاه ابن عمك فاظهر خطاه وغلطهُ لانهُ كان جاء على نية اخذ سيدي فيروزشاه وفي الحال امر الوليد ان يوخذ الى السجن فاخذ واذ ذاك رايت طريقًا للرجوع فابتعدت عن الصيوان واوسعت في البر الى ان جئت اليكم وهذا الذي رايتهُ وعرفتهُ فزاد كدر الملك ضاراب من عمل طارق وقد شكر الله الذي لم يوخذ ولده وقال ان المصيبة الان اهون من مصيبة فقد ولدي لاننا في حاجة اليهِ والنصر قائم على الابواب فلا بد لنا من خلاص مصفرشاه وفي تلك الساعة اتاه كتاب من الوليد يقول لهُ فيهِ بما ان الحرب قد اتصلت بيننا الى حد عظيم بهذا المقدار وقد امتلأت الارض من جثث القتلى والاموات ومن واجبات الانسانية والعدل الالهي ان تدفن هذه الجثث وتنظف الارض منها ومن الادمية دفعًا للامراض التي تنشأ عنها اذا تركت فيصاب بها جيشنا وجيشك . فمن الواجب ان نتفق على هدنة تكون ثلاثين يومًا طمعًا براحة عباد الله ورغبة في كرامة الجثث الملقاة الى الارض . وكان السبب في بعث هذا التحرير ان الوليد اقام مجلسًا دعا اليهِ الشاه سرور وطيفور ووزراءه وعرض لهم الحالة التي وصلوا اليها وقال لهم قد خطر في بالي

ان ابعث الى بلاد النمسا فاستنجد قيصرها يبعث لي بالعساكر ويرسل لي فارسي بلاده وهما تمرتاس وتمرتاش وهذان الفارسان على ما اعرف انهما اشد رجال العالم في هذا الزمان ولا ريب في ان كل واحد منهما كاف للقيام بمحاربة كل جيش ايران وعندي انهما هما اللذان يقتلان فيروزشاه ويريحاننا من شره انما يقتضي لذلك اكثر من ثلاثين يوماً لان ملاطية قاعدة بلاد النمسا بعيدة من هنا فاذا بعثت بالرسل لا يمكن ان تصل قبل عشرة ايام ومسير العساكر اليَّ لا يكون باقل من عشرين يوماً وبهذه المدة يكون الايرانيون قد فازوا علينا تمام الفوز وانتصروا على جيشنا ودخلوا بلادنا فلا نعود ننتفع من هذه النجدة فقال له طيفور اني اعلمك ان الملك ضاراب رجل يرغب جدًّا في الانصاف ولا يرد طلب ملك مثلك فابعث اليهِ واسالهُ الهدنة والرجوع عن القتال ثلاثين يوماً واحتج بذلك انك تريد دفن موتاك وهو ايضاً لا بد ان يكون راغباً في دفن من قتل من جيشهِ فاستصوب الجميع هذا الراي وكتب الوليد الكتاب وارسلهُ كما تقدم الى الملك ضاراب فاخذه واعرضهُ على اعيانهِ فاختاروه وقالوا ان الهدنة ضرورية لراحة الجيش ولدفن موتانا ولمداواة الجرحى منا على ان هذا النصر لا يفوتنا اولاً واخرًا سيما وانت الان في اضطراب من جهة مضفر شاه فيمكن للعيارين ان ينزلوا المدينة ويتسببوا في خلاصهِ فوافق الملك ضاراب على ذلك وبعث الى الوليد بموافقتهِ على هذه الهدنة وقال له اعلم اني عارف حق المعرفة ان الهدنة الان تضر بي لاني على شفير الانتصار وانت على شفير الخراب والانكسار فاكون بذلك قد رددت اليك بعضاً من قوتك التي اخذت في ان تنحل انما كي لا يقال عني اني محب للقتال ولسفك الدماء اجبتك الى عقد الراحة الى ما شئت ولا بد لي بعد ذلك من الدخول الى البلد لا طمعاً فيها بل لاخذ عين الحياة لان رغبتي الوحيدة فيها فقط ومن ثم اعود عنك وعن بلادك فاي وقت اردت ان تتخلص من وبال هذه الحرب فابعث اليَّ بها لازفها على ولدي وابعث اليَّ بطيفور لانتقم منهُ لاني قاسم بذلك ابر الاقسام

وكانت هذه الهدنة من اكبر المصائب على فيروزشاه لانهُ راها طويلة جدًّا وعرف ان ذلك من تصعبات الايام لانهُ كلما ودَّ قرب الوصول الى محبوبتهِ ووعد نفسهُ بمشاهدتها تحول دون ذلك المصائب والمصاعب ويبعده الدهر عن اتمام رغائبهِ فاقام متكدر الخاطر مبلبل البال وراى من نفسهِ انهُ لا بد لهُ في هذه المدة ان ينزل المدينة في الظلام ويدخل على عين الحياة اين كانت ومهما كانت الموانع العائقة لذلك يزيلها بهمتهِ ولو حملهُ هذا الى ان يرمي بنفسهِ في اكبر الاخطار . واما الوليد فانهُ عندما وصل اليهِ كتاب الملك ضاراب باجابتهِ الى طلبهِ وموافقتهُ الى الامتناع عن الحرب فرح غاية الفرح وفي الحال امر وزيره بيداند يش ان يكتب كتاباً الى قيصر ملاطية يستنجده بان يبعث اليهِ بالعساكر والفرسان فكتب الوزير ما ياتي

بسم الله الحي الرحيم الرحمن

من الوليد حاكم مدينة مصر ونواحيها الى صديقهِ الملك قيصر ملك بلاد النمسا وحاكمها اعلم انهُ قد جاء الى بلادي ملك اليمن الشاه سرور واستجار بي من عدو قصد بلاده وتسلط عليها طمعاً في ان يغتصب بنتهُ وذلك العدو هو الملك ضاراب ابن الملك بهمن ملك الفرس والعجم ومراده ان يزوج عين الحياة بنت الشاه سرور لولده فيروز شاه بالرغم عن ابيها وذلك من اكبر طرق الظلم لا سيما وان اباها قد خطبها من ولدي الشاه صالح وهرب فيها من بلاده الى بلادي املاً ان يتخلص من ذلك العدو الا انهُ بعد ان استولى على جميع بلاد اليمن جاء بعسكره ورجالهِ الى بلادنا وطمع في ان ياخذها من نصف قصري فجمعت العساكر والابطال بما يضاعف اربع مرات عسكره وكنت اظن اني افتك بهِ وارجعهُ بالخيبة فكان بعكس ما ظننت لان عنده فرسان وابطال لم ينتج مثلهم الزمان ولم يكن بين كل هذه الجيوش التي جمعتها فارس يقدر ان يقاوم فرسانهم ولا سيما فيروز شاه ولد الملك ضاراب فانهُ فتك في جيوشنا كل الفتك واهلك ابطالنا وهو يقاتل قتال الاسود طمعاً بالحصول على عين الحياة ولما شاهدت نفسي مغلوباً معهم واني اذا داومت القتال ثلاثة ايام اخر افقد كل قوتي عقدت هدنة مع الايرانيين الى مدة ثلاثين يوماً على امل ان ابعث اليك اسالك معونتي كوني متاكد انك لا ترغب في ان تسطو الاعداء على بلادي ويذلوني ولا تدعوك الصداقة المتينة التي هي بيننا من زمان قديم ان تتاخر عن اجابة سوالي فارجوك ان توجه اليَّ بفارسي بلادك تمرتاس وتمرتاش لاني موكد كل التاكيد انهما قادران على قتل فيروز شاه وملاقاة فرسان فارس واذا تهاملت عني تصبح مصر بيد العدو وتخترق حرمة الملك وربما قتلني ايضاً واكرر رجائي بالسرعة والسلام ختام

ثم ختم الكتاب ودفعهُ الى احد العيارين واوصاه ان ياخذ معهُ جماعة من الفرسان ويسير الى الاسكندرية ومنها ينزل البحر ويسير الى ملاطية واقام الوليد على حالهِ وهو فرحان بتمكنهِ من الوقت اللازم لانفاذ قصده واقام بانتظار هذه النجدة وبعث برجالهِ تفتش على جثث المقتولين من المصريين فتحفر لها القبور وتاويها فيها على عيني الملك ضاراب وكذلك الملك ضاراب عين اناساً لنفس هذه الغاية واما فيروز شاه فصبر كل ذلك اليوم وهو في صيوانهِ لم يخرج منهُ والمساء ايضاً وكل اليوم الثاني فعرف ابوه انهُ متكدر لاجل هذه المدنة وانهُ يرغب العزلة والانفراد فتركهُ على حالهِ وفي مساء اليوم الثاني دعا فيروز شاه بهروز العيار وقال لهُ كن على اهبة السير معي فاني حتمت على نفسي اني في هذه الليلة لا بد لي من الدخول الى المدينة والاجتماع بعين الحياة فقال لهُ لا تخاطر بنفسك يا سيدي فان ذلك من اشد الصعوبات لاني سمعت ان عين الحياة هي مقيمة عند طوران تحت بنت الوليد وليست هي في قصر لوحدها فاذا علمت تلك بقدومنا تظهر امرنا ولا

تخفيهِ فنقع في مصائب جديدة نحن في غني عنها الان ولا بد من ان تنفرج علينا الحال ونكشف عن عين الحياة ما هي بهِ في غير هذا الوقت واما الان فلا يمكننا ان نكشف عنها هماً ولا غماً وليس في وسعنا اخراجها من مكان وجودها . قال ليس في نيتي ان اخرجها ولا تطاوعني على ذلك افكاري حفظًا لشرفها وشرفي انما جل ما اطلبهُ الاجتماع بها ولو نصف ساعة واني مشتاق كل الشوق الى ان اراها واعلم هل هي بصحة جيدة او لا واذا اجتمعت بها لا بد من ان اطمنها واريح افكارها من جهة نتيجة هذه الحرب لاني اخاف ان تكون حزينة كئيبة وربما لا يبلغها ما نحن فيهِ من الظفر والنجاح فاذا عرفت ذلك تسر وتعد نفسها بزوال الكروب وتحمل ثقل الموانع بصبر جميل وشكر للمستقبل فلا تطمع نفسك في ان تقنعني ان اعدل عن عزمي او ارجع عن امر نويتهُ فهيا سر معي الان ولا يمضي الا القليل ان شاء الله الا ونكون داخل المدينة ومن هناك لا يصعب علينا امر الوقوف على قصر طوران تخت . فلما سمع بهروز كلام سيده عرف انهُ اصر كل الاصرار على مواجهة عين الحياة وان لا شيء يمنعهُ عن اصراره هذا فهيأ نفسهُ ولبس اخف لبس واخذ خنجره وكمنده وما يحتاج اليهِ لتسلق السطوح وكذلك الاخر تقلد بسلاحهِ وخرجا من المعسكر وكان معسكرهم في اطراف الجيش واتيا جهة النيل فنزل بهروز وقطع فيهِ بعد ان نزع ثيابهُ ووضعها في الجهة الثانية وعاد فاخذ ثياب سيده وقطع فيروزشاه بعده ودخلا المدينة من جهة بعيدة كان النيل محاطًا بها وليس عليها من حارس هناك وكان بهروز قد عرف تلك الجهة قبل ذلك اليوم لانهُ كان عند مفارقتهِ سيده يقصد الوقوف على مثل هكذا امر وغيره احتراسًا من ان يحتاج اليهِ وعرف ان المدينة خالية من جهة النيل ولما صارا داخل البلد انسحبا من جهة الى ثانية حتى سمعا رجلين يتكلمان بامر زيان وسنبل وانهما وجدا قتيلان بالقرب من قصر بنت الملك فدنا منهما بهروز واظهر على نفسهِ انهُ من اهل الارياف وتكلم بلغة اهل مصر وقال لهما ماذا تعنيان هل قتل الامير زيان قالا نعم وجد في هذا الصباح عند قصر طوران تخت قال وهل ذلك بعيد من هنا قالا كلا فان القصر قريب وهل لم يبلغك الخبر قال سمعت طرفًا من مثل هذا الحديث في هذا اليوم غير اني لما كنت تعبان حيث وصلت مع رفيقي من الارياف في هذا اليوم لم ارد ان اقف على الحقيقة سيما وان امرًا مثل هذا لا يهمني مع اني كنت اعرف الامير زيان وكان ينعم عليَّ كثيرًا والان سمعتكما تتكلمان فقصدت السؤال عن ذلك وان كان على سبيل الفضول مني الا اني اريد ان اعرف السبب وفي اي مكان قتل وما ذلك الا على نوع التسلي قال رجل من الاثنين انا سائران من جهة قصر بنت الملك فاذا شئت سر معنا فندلك على المكان الذي قتل فيهِ واما السبب فحتى الساعة جميع من في المدينة يجهلونهُ وعلى ما يظن انهُ تنازع وجماعتهُ مع سنبل او مع خدم القصر فقتل سنبل الامير وقتلت جماعة الامير سنبلاً وقد ظن قوم غير ذلك اي ان الاسير الايراني

الذي فر بالامس قتلها حيث ربما كانا قد اعترضاه . فسار بهروز معهما وقد اعرض عن ذكر الفارس الايراني وخاف ان اكثر السؤال عنه يحظان عليه فعاد الى ذكر الامير زيان وقال هل من سبب موجب للظن في ان سنبلاً قتل الامير قال ان الذي حمل الناس على هذا الظن هو انهم يعلمون ان الامير كان قد طلب من عمه ان يزفه على بنته فامتنعت ولم تقبله وبما انه مشهور عن الرداءة والخبث استغنم هذه الفرصة اي فرصة غياب عمه عن المدينة واشتغاله بالحرب وقصد الدخول الى ابنته لخبث كان في فكره فعارضه سنبل ووقع القتال بينهم وهذا لا بد ان يظهر بعد فراغ عمه من الحرب والبحث عن سبب قتله . ولا زال بهروز سائراً معهما ومن خلفهم فيروز شاه حتى وصلوا الى القصر فقال الرجلان لبهروز هذا قصر بنت الملك وهنا وجد القتيلان مائتان فقال ربما يكونان قد قتلا في غير هذا المكان وأتي بهما الى هنا قالا لا يظن ذلك لان البواب يقيم دائماً عند الباب ولا يفارقه الا نادراً ولهذا ترجح هذا الظن

ثم ودع بهروز الرجلين واظهر على نفسه انه يريد الرجوع من حيث اتى وسار الرجلان في طريقهما ولما بعدا اجتمع بسيده وقال قد اوصلنا الله من اقرب طريق الى قصر بنت الملك اي القصر الذي فيه عين الحياة ولم يبقَ علينا الا ان ننظر من اين يسهل علينا نصلته وقد سمعت ان الاسير الايراني تخلص وليس من اسير ايراني هنا الا مصفر شاه ويمكن ان يكون قد نجا من السجن واختفى في بعض بيوت المدينة لانه لم يصل الى الجيش ولو وصل لكنا نظرناه قبل مجيئنا انما اختفى ليذهب في هذه الليلة او ربما يكون قد وقع في ايديهم ثانية فاعادوه الى سجنه . ثم ان بهروز طاف حول القصر الى ان تبين له وجه النجاح فرمى بكمنده على سطح طابق سفلي موصل الى الطابق العلوي فمسكت كلاليبه فتسلق الحائط ومسك بالحبل بما تعلم من الخفة في مهنته وباسرع من لمح البصر صار فوق السطح وطلب الى فيروز شاه ان يفعل كفعله ففعل وساعده هو بان مدّه من فوق الى ان صار عنده ثم فعلا ذلك الى ان صارا على اعلى السطوح فاخذا يفتشان ليريان منفذاً يوصلهما الى داخل القصر وبينما هما يطوفان فوق السطوح وقعت اعينهما على نافذة الزجاج المتقدم ذكرها فتدلى فيروز شاه قليلاً الى ان صار بالقرب منها ونظر الى الاسفل فوجد عين الحياة وطوران تحت يشربان الخمر ويتناشدان الاشعار فزاد وجده الى ان يكون قريباً منهما الا انه خشي ان تراه طوران تحت فلا تكتم امره وتفضحه وتمنعه من لذة الاجتماع بحبيبته واستشار بهروز في ذلك فقال له ليس من الصواب ان ننبههما الان بقدومنا بل يجب ان نصبر الى ان تنقضي السهرة وتفترقان عن بعضهما واذ ذاك يمكن ان نرى ان كان في وسعنا النزول من هذه النافذة او من غيرها ودنيا هما على مثل ذلك انت شريفة وجرى لها ما جرى معه وعرفته واخذته السولة

قال ولما راته عين الحياة كادت تطير عقلها من شدة الفرح ... ميلت عليه واذرفت

دموع الفرح والمسرة وفعل هو كفعلها و بعد ان جلس تقدمت منهُ طوران تخت وسلمت عليهِ واظهرت لهُ مزيد الترحيب والاكرام فاطمأن بالهُ واثنى على معروفها واهتمامها بهِ و بعين الحياة و بعد ان استقرّ بهِ المقام نهضت طوران تخت وطلبت الذهاب الى غرفتها وكان قصدها ان تبعد عنهما وتتركهما لوحدهما يتشاكيان لوعة الفراق على خلاء بحيث لا يكون بينهما رقيب فودعتهما وسارت وهي متحيرة من جمال فيروز شاه وفصاحتهِ وقد قالت في نفسها معذورة عين الحياة لحبها مثل هذا الامير الذي ندر وجود مثالهِ وكيف يمكن ان تعتاض عنهُ باخي وبين ذا وذاك فرق لا تدركهُ العقول ودخلت غرفتها ورمت بنفسها على فراش الاشواق وقد حسدت عين الحياة على اجتماعها بحبيبها مع انها بعيدة عن محبها واخذت تتقلب كل تلك الليلة دون ان ياخذها نوم وهي تفكر كيف ان محبوب عين الحياة مطلق الحرية والتصرف وذاك لا تعرف لهُ مكان . ثم ان عين الحياة جلست بجانب حبيبها على مائدة المدام واخذا يتعاطيانهِ ويتشاكيان الغرام وما لاقيا من الوجد والهيام في كل تلك المدة التي مضت ويشكران فضل العناية التي سهلت لهما الاجتماع ببعضهما وتذكرا ان تلك الليلة هي اشبه بليالي القصر الماضية في تعزاء اليمن وداما على ذلك نحواً من ساعتين اي الى ان قرب وقت نصف الليل وكان بهروز قبل ذلك بعيد عنهما في غير غرفة فخاف من ان يبقى سيد كل تلك الليلة فلا يعود يتيسر لهُ ان يصل الى جيشهِ الا في الليل الماضي اذا لم يظهر امره فاتى اليهِ وطلب منهُ ان يرجعا الى مكانهما فامتنع وقال لهُ ان الهدنة الان واقعة بيننا وبين القوم فيمكننا ان نبقى هنا الى الغد او ما بعد الغد فلا حاجة لنا في الجيش قال ان ذلك لا يمكن الان لان اباك اذا افتقدك وما وجدك يقع في هم عظيم وربما اذا اصبحت طوران تخت اظهرت امرنا او اعلمت بهِ احداً فقالت عين الحياة ان ذلك لا يمكن قط لانها واقعة مثلي بحب رجل ايراني وهو مصفرشاه صاحب طهران وابن عم الملك ضاراب فتعجب فيروزشاه من هذا الكلام واستعاد منها الخبر فاعادتهُ عليهِ من الاول وكيف انها اتت بهِ الى القصر وفي الليل خرج وجرى ما جرى من حادثة زيان وسنبل وكيف قتلهما عندما اطلعا على امره . فقال بهروز والان مصفرشاه مطلق وليس باسير قالت بل هو اسير في سجن العفاريت لانهُ قبض عليهِ في نفس الليلة وجرى له وقعة عظيمة وعليهِ فقد سمعت انه اغضب الوليد فالقاه في ذاك المكان وفي نيتهِ انه يميته فيهِ وحتى الساعة لا تعلم محبوبته بهِ و بانه اعيد الى ذاك السجن والا كانت اماتت نفسها لانه لم يكن لها من الصبر ما كان لي اثناء تغيبك عني ووقوعك في المصائب

فلما سمع فيروزشاه بما وقع على مصفرشاه كاد يطير الشرار من عينيهِ ورمى الكاس من يده وانقلب صفاؤهُ الى كدر واضطراب وكاد يبقى على ما اصابهُ والتفت الى بهروز وقال لهُ سر امامي الى سجن العفاريت لنسعى في خلاص ابن عمي فاني في شوق اليهِ ولا يليق بي ان اصرف الوقت

في راحة وهو في عذاب ولا بد لي من الاتيان بهِ الى هنا فيقيم هو مع محبوبته وانا مع محبوبتي واذ ذاك يطيب لي الوقت فلما سمعت عين الحياة كلامهُ خنق قلبها وخافت عليهِ من ان يقع في حادث جديد وقالت لهُ ليس الان وقت خلاصهِ ولا يمكنك ذلك فقد عرفت ان هذا السجن لا يمكن ان تخترقهُ العفاريت ولا كبراء الجان وملوكها فلا تخاطر بنفسك وترمي بها في هاوية العذاب وانت في غنى عن ذلك لانهُ متى انقضى الحرب تسترجعونهُ من الوليد رغماً عنهُ ولا سيما اذا تسلمتم المدينة وطردتموه عنها واما الان فانك ترجو محالاً وهذا العمل عمل العيارين وليس عمل الملوك . قال لا اقدر ان اصبر بعد على ما يقاسيهِ من العذاب الى نهاية القتال فالليلة هذه يكون معنا في هذا القصر مجتمعاً بمحبوبتهِ يشرب معها الخمر ويفعل نفس ما افعل انا فنكون كلانا متقاسمين الراحة والهناء والا فنتقاسم العذاب والشقاء فقال لهُ بهروز يا سيدي انك لا تقدر ان تحدد الصعوبة التي تحول دون مطلوبك فانت وان تكن اقدر مني في فنون الحرب والجولان على الابطال والفرسان انما لا تحسن فن العيارة ولا تعرف طرقها وابوابها فابقَ انت في هناك وراحتك وانا انظر في ذلك . قال لا بد لي من ان اسير هذه الساعة الى سجن العفاريت وتكون انت معي ونخلص مصفرشاه وغير ذلك لا اريد . ثم نهض واخذ سيفهُ فعلم بهروز ان لا بد لهُ من انفاذ قولهِ فنهض معهُ وودع عين الحياة ووعدها بالعود اليها في نهاية عملهِ فبكت لفرقتهِ وقد حدثتها نفسها بانهُ سيلاقي في طريقهِ مصائب واهوالاً ربما تمنعهُ من العود اليها وقد عرفت حق المعرفة انهُ لا يرعوي عن عزمهِ لانهُ ثابت فيهِ ومهما كان يحبها ويرغب في القرب منها والقيام معها والاصغاء اليها انما ذلك لا يقف في طريق صوالحهِ الشخصية ومراعاة جانب اقربائهِ وانسبائهِ لا سيما وهو يعرف ان مصفرشاه اسر بسببهِ حتى انهُ ما جاء من بلاده وخاطر بحياتهِ الا لاجلها ولاجلهِ . وبعد ان خرج من القصر دخل في الاسواق وهو لا يعرف الى اي جهة ينتهي بهما السير وهل يتوفق لهما الوصول الى سجن العفاريت ام لا وسارا نحوًا من ربع ساعة حتى انتهيا الى دهليز واسع فسارا فيهِ حتى انتهيا منهُ الى فسحة واسعة ووصلا الى المكان الذي صادف فيهِ مصفرشاه الحرس فصادفاه فاعترضهما ودنا منهما مستعلماً عن حالهما فلم يجيبا فقصد القاء القبض عليهما الى حين الصباح وفي الحال جرّد فيروزشاه سيفهُ دون ان يلفظ كلمة والتقى اولئك القوم واعمل الضرب فيهم ودار بينهُ وبينهم دولاب القتال فاشغلوا النفير واستجاروا بمن حواليهم وقد ظنوا انهُ نفس مصفرشاه فبعثوا من ياتي بفرق من العساكر والضابطة من دار الحكومة واقاموا يطاولون فيروزشاه ويحاولونهُ وهو يلتقيهم بقلب اقوى من الصوان ويضرب فيهم من حرقة قلب وقوة جنان وكلما قتل فيئة وكاد يشتتها تجتمع عليهِ فيئتان حتى امتلأَت تلك الارض بالعساكر وهو يهجم عليهم هجمات الاسود ويدحرج الرؤوس من عن الهامات كتدحرج الاكر في ايدي الصغار وبهروز يساعده في ذلك وهو يطعن الصدور بالخنجر

ويهمز قمزات الغزال لا يهدا في مكان ولا يقر له قرار وكان فيروزشاه يتاخر الى الوراء لكثرة الجموع وهو لا يعرف الى اي جهة يميل مع مقاتليه وقد احدقوا به من كل جهة وهو يضرب ويتستر منهم ولا يرى وقوع ضرباتهم بالتمام فكانت تقع عليه ضربات كثيرة من سيوف الاعداء فتفعل بجسمه وقد تالم مزيد الالم وهو يظاهر الصبر والجلد وفي نيته ان يختفي في الدهليز الذي خرجا منه ولا زال يهاجمهم ويطاردونه حتى فوتوه الدهليز ودخل بين الاسواق وقد خرجت الناس من بيوتها لاستماع الاصوات وكثرة الصياح ونظر بهروز الى نفسه فوجد ذاته قد اثخن بالجراح ايضًا وافترق عن فيروزشاه وعلم انه ان اقام بعض دقائق اخر وقع بيد الاعداء فقال في نفسه الاوفق ان افترق عن القوم فاذا وقع سيدي بيديهم سعبت في خلاصه والا اذا وقعت انا وهو فمن يا ترى يقدر ان يخلصنا ولذلك انسحب من بينهم بكل خفة ورمى بكمنده الى السطح وكان واطئًا فصار عليه في الحال وتبين على نور الكواكب فعل فيروزشاه بالقوم وفعلهم به وكان قد تضايق غاية الضيق ويئس من الحياة وفضل الموت على التسليم فتاخر الى ان جمعهم امامه وصاح بصوت ارتجت له مدينة مصر وارتعبت منه قلوب مقاتليه واسرع يده يضرب فيهم ضرب من استقتل وغاب عن الهدى فجفلوا من امامه وكروا الى الوراء وما فيهم الا كل مجروح ومقتول وبالقضاء والقدر وقعت رجله على بلاطة بفم دهليز تحت الطريق تسري فيه الماء وكانت ضعيفة البناء فهبطت من تحت رجله الى اسفل الدهليز واختفى به عن العيان ونظر الرجال الى ورائهم فلم يروه انه متاثرهم فعادوا الى مطاردته وصادف مرورهم قرب باب رجل كان واقف عنده لينظر الى القتال فسالوه عنه فقال لهم نظرته يركض من هنا طالبًا لنفسه الخلاص فاسرعوا يركضون خلفه وهم لا يعلمون اي جهة قصد وبعد ان فرغ السوق منهم سقط بهروز وكان قد شاهد سيده وقع الى الدهليز فناداه فرد عليه وطلب منه ان يخرجه فاخرجه وقال له هيابنا يا سيدي نرى لنا مكانًا يحمينا هذه الليلة او عد بنا من جهة النهر الى معسكرنا فاني اكاد لا اقدر على حمل نفسي من عظم الجراح فقال له واني انا كذلك ولا يمكنني ان اسير فان الدماء تتدفق من جسمي وقد اصبت بضربات كثيرة وحينئذٍ تقدم منهما الرجل وقال لهما اسرعا الى بيتي وادخلاه فهو يحميكما من كل عدو ولا تخشيا ضرًا ولكما مني عهد الله اني لا اخونكما ولا اظهر امركما بل اخدمكما بكل قوتي ولا اقصر في كل ما تسالاني عنه . فقال له فيروزشاه من انت وكيف يمكننا ان نامن لكما . قال ادخلا يا سيدي فاني اقسم لكما بالله العظيم اني احافظ عليكما ومتى دخلتما الباب وقفلته اخبرتكما من انا والا ربما عادت العساكر من هنا فيرونكما وتعودان معهم الى القتال وانتما على هذه الحالة فوثق فيروزشاه بايمانه ودخل مع بهروز الى الداخل واقفل الرجل الباب وراءهما وجاء بهما الى زوجته وامرها ان تسخن لهما الماء حالاً ففعلت فغسل لهما جراحهما واتى بالخرق فضمدها وقال لفيروزشاه اعلم يا سيدي اني انا رجل فارسي الاصل اتى ابي الى هذه

المدينة وانا صغير فسكن فيها وكانت مهنتهُ جزار فاقام الى ان مات فاقمت انا من بعدهِ على مهنتهِ وقد صار لنا معرفة بجميع اهل البلاد واحبونا جدًا ففي هذهِ الليلة وانا نائم سمعت الصياح فخرجت واذا بك وانت تطارد العسكر فوقفت انظر وانا اعلم انك فارسي لان هجماتك هجمات الفرس وثبت عندي ذلك لعلمي ان لا احد يقاتل شرطة مصر الاَّ اعداؤهم فتفطرت مرارتي عليك ولم يكن في وسعي ان امنعهم ولا اقدر ان احامي عنك لاني لست من رجال القتال الى ان ساعدتني العناية ورايتك وقد ملت بالاعداء تلك الميلة ففروا من امامك ووقعت في حفرة الماء وهم لا يرونك وسالوني عنك عندما تاكدوا رجوعك عنهم فقلت لهم اني رايتك منهزمًا راكضًا فاسرعوا خلفك وقصدت بذلك ابعادهم عنك لاخرجك الى بيتي واخفيك فيهِ وانا حتى الساعة لا اعلم من انت . فقال لهُ حسنًا فعلت وقد سمعتك تقول لهم اني هربت فسرني ذلك واريد ان تعلمني عن اسمك فسوف اكافيك ان شاء الله . قال اني لا افعل الجميل يا سيدي لاجل المكافاة ولا سيا مع رجل هو من جنسي ووطني واما اسمي فهو ابو الخير . قالوا صدقت فانت ابو الخير بالحقيقة وما معروفك هذا الا مع اشرف رجال وطنك وابن ملك جنسك فلما تاكد ابو الخير انهُ فيروزشاه رمى بنفسهِ على اقدامهِ يقبلها وقال لهُ لا كان عبدك يا سيدي فانت فخر الفرس وشرفهم ولم ترد العناية ان تلقي بك في ايدي الاعداء ولذلك سخرت لك واحدًا من بعض عبيدك ليقوم كل القيام بخدمتك واني ادخلكما يا سيدي الى داخل بيتي فتقيما مع حريمي واتيكما بطبيب صديق لي من زمن طويل واني متزوج بنتهِ فهو يكتم امري وامركما ولا يمكني ان ابقيكما هنا في الخارج لان طارق العيار هو صديقي ايضًا وفي اكثر الاحيان ياتي اليَّ واخاف ان يزورني في هذهِ الاثناء فيراكما فقال لهُ فيروزشاه افعل ما بدا لك وللوقت سار بهما الى داخل داره واوصى زوجتهُ ان تعتني بهما وفرش لهما الافرشة الناعمة واخذ فيروزشاه وبهروز يشعرا بالم الجراح عند ارتياح جسميهما فطلبا اليه ان ياتي بالطبيب لمداواتهما وان يدفع لهُ الدراهم فان معهما دراهم كثيرة فقال لهُ لا يحتاج الامر يا سيدي الى دراهم الاَّ بعد ان تنالا الشفاء وسار في الحال الى ابي زوجتهِ وضرب عليهِ الباب وكان اسمهُ فتوح فتحير من اتيانهِ في مثل ذلك الوقت وقال لهُ ما الداعي اهل مرض عندك احد قال كلا بل اتيت عليك لاخبرك بامري واسالك كتم سري واطلب منك المساعدة فاذا وعدتني بالاجابة عرضت عليك حالي قال كيف لا اقدم لك المساعدة وانت صهري وحافظ بنتي وعدا ذلك فانك صديقي منذ زمان واحبك كولدي قال اعلم ان الله قد ساق اليَّ السعادة وانا قائم في بيتي وذلك اني ادعوك الى تطبيب فيروزشاه ابن الملك ضاراب وعياره بهروز وهما في بيتي لا يعلم احد بهما الا الله وانت ثم عرض عليهِ كل ما توقع لهُ وقال اخيرًا واعلم ان فيروزشاه هو وحيد فرسان هذا الزمان وسيد قوم من اكرم رجال هذا العالم وافضلهم ولا بد بعد نجاتهِ ان يكافيني باعظم المكافاة ويرفع منزلتي

ويقربني منهُ لا سيما وهو يعلم يقيناً اني سبب حياتهِ ومثل ذلك يكون لك ايضاً ومن المقرر والمؤكد ان الملك ضاراب لا بد من ان يفوز على الوليد ويدخل المدينة ويستولي على مصر ويحكم فيها فتكون العناية قد اوصلت الينا السعادة من حيث لا ندري ولو لم يطلب الوليد الى الملك ضاراب ان يعطيهُ هدنة وراحة عن القتال لكان دخل المدينة واسر الوليد ونجاحهُ ظاهر ثابت . فقال لهُ فتوح اصبت يا صهري فهذه فرصة لا يجب ان نضيعها ويقتضي مزيد العناية في اخفاء امره والاَّ اذا عرف الوليد اخذها وجازانا على فعلنا قال لا احد يعرف بامره الا انا وبنتك زوجتي وليس من الممكن ان يبيح احدنا بهذا الامر او يظهره لاحد

وفي الحال نهض فتوح فاخذ معهُ المراهم اللازمة وما يحتاج اليهِ لتطبيب جراح المجروحين وسار مع صهره حتى دخل بيتهُ قبل الصباح واتى الى المكان الذي فيهِ فيروز شاه فوجده في مزيد الم وتعجب لما شاهد عظم تلك الجراح فدنا منهُ وقبل يديهِ وقال لهُ لا كان يصل اليك سوء ياسيدي قال اصرف الجهد الان الى مداواتي واني لا انسى لك هذا الجميل لعلمي انك وابو الخير مصدر حياتي . قال سترى مني ما يسرك والازمك حتى تشفى من جراحك هذه واتكل بذلك على الله فهو يساعدني على شفائها ثم اعاد عليها الضماد وانزل بها الفتائل ووضع عليها المراهم وفعل ذلك مع بهروز واوصى صهره بمداراتهما وان يطعما لحم الفراخ ومرقها وكان هو ياتي في كل يوم ثلاث مرات او اربع في النهار وفي الليل ينام هناك حرصاً على حياتهما وخوفاً من ان يلحق بهما النهاب داخلي من جرى الجروح اذا اهمل امرها وداما على مثل ذلك عدة ايام ولم يعلم احد بخبر فيروز شاه اين هو لا ابوه ولا غيره . هذا وان العساكر الذين كانوا يقاتلون فيروز شاه طافوا المدينة دون ان يقفوا لهُ على خبر وفي اليوم الثاني شاع هذا الخبر في المدينة وكانت الناس ترى القتلى مطروحين في الاسواق فيسالون عن الخبر فيخبرون ان كل ذلك فعل رجل من اهالي ايران كان ليلة امس في المدينة فاعترضهُ الحرس ففعل كل هذه الافعال فخافت اهل المدينة وقالوا ان كان ذلك فعل فارس واحد فماذا يا ترى يكون من الجميع وعرف الوليد بهذا الخبر فدعا اليهِ الحرس فحضروا بين يديهِ فسالهم عن هذا الامر فقالوا لهُ اننا وقفنا بالامس على اثنين من الاعداء فقصدنا مسكهما فلم يسلما بنفسيهما بل قاتلونا قتالاً عظيماً وقد اجتمع عليهما اكثر من ثلاثة الاف نفس من العساكر ورجال الشرط دون ان نبلغ غاية منهما ولا سيما احدهما صاحب السيف فانهُ كان يفعل في العساكر ابشع الافعال حتى اهلك نحو خمساية واحد منها وفي النهاية اختفى ولم يقع لهُ احد على خبر وفتشنا المدينة كلها فلم نعرف اين مقره اهل خرج من المدينة مع رفيقهِ او لا يزال مختفياً في بعض البيوت فلما سمع الوليد هذا الخبر وقع عليهِ اشد من وقع السيوف وقال اظن هذا مصفر شاه وقد هرب من السجن . فقال طيفور كلا ياسيدي فان صدق ظني يكون فيروزشاه ومعهُ عياره وقد قصد النزول

الى المدينة ليجتمع بعين الحياة فجرى لهُ ما جرى وعلى ما اظن حتى الساعة لا يزال في المدينة ولم يخرج منها فمن الواجب اجراء التفتيش عليهِ . فلما سمع الوليد ذلك قال صدقت فلا يقدر احد غير فيروزشاه يفعل هذا الافعال واني موكد كل التاكيد ان مصفرشاه لا وسيلة لخروجه من ذلك السجن ولا يقدر احد ان ينتشلهُ منهُ واني كما اشرت سابعث افتش في بيوت مصر واحدًا واحدًا رجالا ونساء علي اقدر ان اكشف خبره وهذه فرصة لا يجب ان اضيعها ومن المقرر اني احب ان اخسر خزائني وقسم من بلادي في سبيل مسك فيروزشاه وانفاذ غاياتي فيهِ فاما ان اجعلهُ يترك عين الحياة ويرجع الى بلاده واما اني اعدمهُ واميتهُ ولم يعد بعد ذلك من خوف علينا من رجال الفرس اذا فقد منهم مثل هذا الاسد الفاتك . فسمع بيدانديش الوزير هذا الكلام فلم يهن عليهِ ولا سيما عندما راى الوليد قد وافق راي طيفور دون السوال منهُ ومشورتهِ وعليهِ فقال ليس هذا بالحسن يا سيدي فانك اذا فعلت ما قلتهُ وفتشت بيوت الناس جعلت المدينة باجمعها في اضطراب وقلق فتتفهم الاهالي وتظن انك قد تغيرت بسبب هذه الحرب وتبدلت الرحمة منك بالظلم ومدينة كمدينة مصر كثيرة السكان والاهالي لا يجري فيها مثل هذا العمل الا بعد قطع الياس واستعطاف خاطر الرعية لا سيما ونحن الان في احتياج الى منعهم من ان يميلوا الى عدونا او يميل بعضهم وقبل ان نزعج كهول البلد وشيوخها ونقلق نساءها وبناتها ونبكي اطفالها واولادها نبعث من يكشف لنا الخبر بين عساكر الاعداء فاذا كان فيروزشاه هناك يكون قد تخلص من المدينة وجاء جيشهُ او يكون ذاك غيره وبهذه الطريقة يتوفر علينا ثقل هذه الاعمال ونرفع ملامة الاهالي وندفع ضجرهم فقال اصبت وصوابًا اتيت فعلينا قبل كل شيء ان ننظر اذا كان في جيشهِ فان كان غائبًا ومفقودًا يكون داخل المدينة لا ريب واذ ذاك اعود الى مسكهِ باي طريقة كانت

ثم ان الوليد دعا اليهِ طارقًا وقال لهُ اريدك هذه الليلة ان تجس لي معسكر الاعداء وتكشف لي خبر ابن ملكهم فان كان فيهِ عدت اليَّ بالخبر الصريح وكذلك اذا كان غائبًا قال سمعًا وطاعة ففي هذه الليلة اتيك بعلم اليقين واذا تيسر لي وساعدتني الصدف اسرتهُ واتيت بهِ فقالوا لهُ جميعهم وفقك الله الى نوال مرادك فخرج مسرورًا فرحًا وصبر الى ان اسود الليل فلبس ثياب درويش شامي وعوَّل على الخروج من صيوانهِ واذا بالامير خطار قد دخل عليهِ وبعد ان حياه قال لهُ انك الان سائر الى جيش العجم وربما لا يتيسر لك ان تذهب اليهِ مرة ثانية ولذلك اتيت اسالك امرًا واحدًا فاذا قضيتهُ شاطرتك نصف مالي واصبح مديونًا لك الى انقضاء العمر قال اسال غرضك فاني في عجلة للذهاب قال اريد منك ان تاتيني براس بهزاد الايراني ابن فيلزور قاتل ابي وتاخذ لي بالثار . قال على الله توفيقي فاني ساحاول كل المحاولة قتلهُ فاذا تسهل لي ذلك قضيتهُ قبل غرض الوليد . ثم ودعهُ وخرج وجاء جيش الاعداء وهو يعد نفسهُ بانهُ اذا قتل بهزاد

يحصل على اكبر قسم من المال وقد هان عليهِ الامر اذ انهُ نوى على قتلهِ واحضار راسهِ فقط معهُ وليس احضاره كلهُ وكان الوقت اذ ذاك يساعده على اخفاء امره لان الملك ضاراب وجميع جيوش فارس في اضطراب من اجل فيروزشاه

قال وذلك انهُ في صباح الليل الذي سار فيهِ بعث ابوه من يتفقده فلم يرَ لهُ اثرًا فخفق فواده وسال عنهُ فقيل لهُ انهُ سار مع بهروز من اول الليل الى داخل مصر وانهُ يعود منها بعد مواجهتهِ لعين الحياة وذلك ان فيروزشاه خاف من ان يشغل بال ابيهِ عليهِ فيظن ان عياري مصر قد سطت عليهِ وسرقتهُ اخبر من الخدم من يوصل لهُ الخبر في الصباح اذا لم يرجع فيهِ . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام لم يخلُ بالهُ من القلق والاضطراب بل وترجح عنده ان امر ابنهِ لا بد ان يظهر في المدينة واقام على حالتهِ وهو بين الرجاء والياس لا يعلم عن ولده امرًا الى ان انقضى النهار وجاء الليل ولم يسمع عنهُ شيء جديد واجتمع القوم حسب العادة عند الملك ضاراب لصرف السهرة وبعدها تفرق كل واحد الى جهة جيشهِ وكان طارق قد علم حق العلم ان فيروزشاه غائب وانهُ في المدينة ففرح غاية الفرح بقضاء مهمتهِ وقال في نفسهِ لا بد لي قبل الرجوع الى سيدي واعلامهِ بهذا الخبر ان اقضي مهمة ثانية وهي ان اقتل بهزاد الايراني وبقتلهِ انال الاموال الغزيرة من خطار وارضي الوليد بهِ وانال انعاماتهِ ايضًا لانهُ اذا قتل هذا وقبض على فيروزشاه من ياترى يعود فيحمي جيوش الفرس من سيوف المصريين وهجمات جيوشهم الغير محصاة وصبر الى ان راى بهزاد قد خرج من بين يدي الملك ضاراب وقصد الذهاب الى صيوانهِ فتاثره من خلفهِ دون ان يراهُ الى ان دخل وهو مضطرب البال على غياب فيروزشاه ومصفرشاه وبعد ان دخل الصيوان نزع ثيابهُ ونزل في فراشهِ وقصد ان ينام فلم ياخذه نوم ولا قدر على السبات بل تراكمت عليهِ الافكار وقال في نفسهِ كيف الان انا مقيم هنا في راحة ومصفرشاه في عذاب بين الاعداء يقاسي آلام السجن وتهكمات اعدائهِ فكان من الواجب ان اسعر الحرب واخرق المدنة والا كيف نجيبهم الى المدنة وعندهم اعظم رجل منا اسير فلا يطلقونهُ ولو فرض اني تسببت باعادة الحرب فلا بد ان يغضب الملك ضاراب ويتكدر لاخراق هيبتهِ لاسيا وهو يكره القتال الان لانشغال بالهِ على ولده ولا يريد ان يقع قتال وابنهُ داخل المدينة وكانت هذه الافكار تنمو بهِ وتتزايد حتى طار النوم من عينيهِ ولم يعد في وسعهِ ان يغمض جفنيهِ وبينما هو على مثل ذلك واذا بهِ سمع صو وقع اقدام خلف صيوانهِ فصغى بكل سمعهِ حتى تاكد ان رجلاً يقلع وتد الخيمة فعلم ان مكيدة تنصب لهُ فحمد الله الذي لم يكن نائمًا اذ ذاك وصبر ليرى النهاية وهو على غاية ما يكون من الاستعداد والتيقظ ثم شعر بان رجلاً دخل الصيوان وتقدم منهُ حتى وقف فوق راسهِ وقد اخذ بيده خنجرًا واتى الى جهتهِ وللحال صاح بهِ فارعبهُ ونهض من فراشهِ باسرع من لحظة عين وقبض عليهِ ورماه الى الارض

فصاح الرجل مستغيثًا وقال له لا تظلمني يا سيدي ولا تفعل بي شرًّا فلست اقصد لك اذًى . قال من انت . قال انا درويش يا سيدي اقصد الاجاويد واتعيش من انعامهم وقد سمعت انك تحب رجال الله وتطعمهم وتنيلهم احساناتك . فقال له بهزاد ويلك ما هذا العذر القبيح اياتي الدراويش في نصف الليل والناس نيام ويدخلون من ظهور الصواوين وبايديهم الخناجر فما ذلك ما يصدق فاصدقني امرك والا اهلكتك في هذه الساعة لاني اريد النوم ولا ارغب في التطويل وما انت الا من عياري مصر قصدت قتلي فلم تساعدك الاقدار فلا بد اذا امتنعت عن اظهار الحقيقة ان تلاقي شر عملك ثم نزع منه الخنجر وجرّده من ثوب الدراويش فتبين من تحته انه عيار لا شبهة فيه فقال له هل من ريبة الان فاستعد للموت ثم قصد ان يضربه بالخنجر الذي اغتصبه منه فصاح مستغيثًا به وقال له اصبر عليّ يا سيدي فاني اطلعك على الحقيقة لا اخفي عنك حرفًا واحدًا وافعل بي بعد ذلك ما شئت فاني اسلم بامري اليك . قال قل من انت ولما اتيت قال انا طارق العيار قد بعثني الوليد لاكتشف له خبر فيروزشاه ان كان في الجيش ام لا حيث في ليل امس بينما كان الحرس في تطوافه صادف رجلاً ومعه عيار في نفس المدينة فوقع بينهم قتال عظيم واجتمع عليهم خلق كثير من المدينة ففعل الرجل والعيار افعال الجان وقتلا قتلاً ذريعًا في رجال المدينة حتى خلصا ولم يعد يعلم احدهما خبرًا ولما بلغ الخبر الوليد قصد ان يفتش البلد بيتًا بيتًا لانه تاكد من اقوال طيفور انه هو فيروزشاه لان هذه الاعمال اعماله وغيره لا يقدر على النزول الى البلد والايقاع بعساكر المدينة ويقدم على مثل هذا الامر الخطير وقد زاد برهانه انه لا ريب يقصد الوصول الى عين الحياة ولما راى الوزير بيداديش عظم تلك الثقلة التي طلب الوليد اجراءها منعه عنها وقال من الاوفق ان نبعث من يكشف لنا الخبر عن فيروزشاه فان كان داخل جيشه فلا تتعب انفسنا حيث يكون قد خلص ورجع الى معسكره وان كان غائبًا يكون في المدينة فنعود الى تدبير ما يمكننا تدبيره حينئذ من القاء القبض عليه ومسكه فبعثوني لاكشف الخبر وبينما انا مزمع على الاتيان جاءني خطار بن خطير الذي قتلته وقال لي اني اشاطرك نصف مالي ان قتلت لي بهزاد قاتل ابي ولهذا بعد ان تاكدت غياب فيروزشاه قصدتك لاقضي امرك فلم يساعدني الله على اذاك وقد حبطت اعمالي ووقعت في يديك الان فافعل بي ما انت فاعله فاني سلمتك امري ولا بد ان الله يلهمك الى بقائي . فلما سمع بهزاد كلامه استعاذ من اعماله وشكر الله الذي كان اذ ذاك مستيقظًا في فراشه والا لو كان نائمًا لقضي عليه في الحال وقال لطارق اترجو البقاء بعد اعترافك بانك اتيت لاعدامي وهلاكي ولتاخذ راسي الى عدوي فتبيعه بالمال على اني لو كنت نائمًا لسهل عليك جدًّا قضاء مهمتك ورجعت فائزًا . قال ان العناية لم تساعدني يا سيدي ولا انكر اني جئت لاجل هذه الغاية وكان في نيتي ان ارمي بالبنج قبل دخولي الى الصيوان غير ان سعادتك وطول عمرك

منعاني عنهُ وقلت في نفسي لا لزوم لذلك لانك نائمٌ وغايتي قتلك فلا يحتاج الامر اكثر من ضربة واحدة ولو كان في نيتي اسرك لفعلت . ولهذا كانت حياتك من الله واما انا فاني اسال الله ان يلهمك الى ان يحفظ لي حياتي كما حفظ لك حياتك . قال لا بد من اخذك الى بين يدي الملك ضاراب ينظر في امرك ويفعل بك ما يختاره

ثم عاد بهزاد الى لبس ملابسهِ ودعا بالاشوب فامره ان يحافظ على طارق وان يسير بهِ امامهُ الى صيوان الملك ففعل وسار من ساعتهِ الى الملك ضاراب حتى وصل الى صيوانهِ فوجده لا يزال قائمًا وعندهُ طيطلوس الوزير وهما يتخابران في امر فيروزشاه وكيف تكون الوسيلة الى الوقوف على امره وكان الملك ايضًا لم ياخذه نوم في تلك الليلة فاطال الجلوس ولما دخل بهزاد تعجب من دخولهِ عليهِ بعد ذهابهِ في مثل ذلك الوقت ونظر الى طارق معهُ وهو مقاد فمال الى معرفة الحقيقة كل الميل وقال ما لديك من الاخبار ومن هذا الاسير الذي تقوده . قال هذا طارق الذي طرق جيشنا عدة مرات واوصل اليهِ البلايا والطوارق هذا عيار الوليد وقد جاء وفي نيتهِ ان ياخذ براسي معهُ فاوقعهُ الله في يدي وقد فرح الملك ضاراب كل الفرح بخلاص بهزاد من شر هذا العيار الذي يحسب في الدرجة الاولى بين عياري ذاك الزمان وبوقوعهِ في اسره وقال لهُ اتحسب يا طارق ان كل مرة تسلم الجرة فلا بد من الانتقام منك جزاء على فعلك وما كفاك كل ما فعلتهُ في المدة الماضية حتى عدت الليلة الى قتل بهزاد . قال عفوًا يا سيدي فاني لا انكر اني جئت للايقاع بكم واكل ما قدرت عليهِ فان في ذلك شروط وفاء الخدمة ومن كان مثلي عليهِ المعول من كل هذه الجيوش المتجمعة في مصر لا يتقاعد عن نصرتها بالعمل . ثم حكى ما كان من سيده الوليد ومن امر الفارس وقد تاكد عندهم انهُ فيروزشاه لان لا احد غيره يجسر على القدوم على هكذا امر . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام عرف ان ولده دون ريب وخاف ان يلحق بهِ اذى ووضح عنده انهُ لم يقع في ايديهم وقد ثبت في فكره انهُ عند عين الحياة على حسب قولهِ وقال في نفسهِ لا بد من رجوعهِ في هذين اليومين واشكر الله الذي لم يقع في يد الوليد واني مطمئن على حياتهِ لان الله معهُ ثم قال اطارق وهل تعلم شيئًا عن مصفرشاه . قال انهُ الان في سجن العفاريت وحكى لهُ كل ما كان من امره ووصف لهُ ذاك السجن وصعوبتهُ فتكدر الملك عند سماعه هذا الخبر وقال لا بد ان الله يساعده في مدة اقامتهِ في حبسهِ وندم على موافقة الوليد على تلك المدنة لانها اضرت بهِ غاية الضرر ودعا بشبرنك عيارهِ وقال لهُ ابقِ طارق عندك الى حين الصباح لننظر في امره وماذا نفعل بهِ لاني لا بد من ان انتقم منهُ

فاخذ شبرنك طارقًا وعاد بهزاد وسار طيطلوس ومضى ذلك الليل وجاء الصباح زائرًا وعليهِ حلة بيضاء من الديباج اللامع ونهض من كان راقدًا من اولئك القوم وجلس الملك في صيوانهِ

مستوفداً وزراءه وامراءه ورجال دولتهِ واحداً بعد واحد حتى اكتمل الديوان وغص بالاعيان واذ ذاك امر شبربنك ان يأتي بطارق العيار فجاء بهِ مقيداً وهو ذليل مهان فاستعاد منهُ القصة على مسمع من الجميع فاعادها وقد تعجب الجميع من اعترافهِ بانهُ جاء لقتل بهزاد فقال لهم الملك ضاراب فهل لا يستحق القتل فقال جميعهم كيف لا وقد غدر بنا عدة مرات وسطا علينا في وقت سلام ونحن تحت راية الهدنة امنين من مثل هذه الافعال . فقال طارق لا انكر يا سيدي اني مستحق هذا الجزاء بالنظر اليكم لا بالنظر الى مولاي واني لا ارغب في ان يقال عني خائناً في خدمتي والان اطرح لديكم امراً واحداً وهو اني صرفت عمري في خدمة الوليد الى حين الساعة وانا احافظ عليها حق المحافظة حتى حكمتم عليَّ بالاعدام فاكون قد اعدمت ومتى نفذ حكمكم فيَّ بالطبع افصل عن خدمتي ولا يعود ينتفع مني بشيء قط فاحسب يا سيدي انكم قتلتموني كما حسبت انا وقد انتهيت من خدمة الوليد ورجعت فولدت ثانية ودخلت في خدمتكم مجدداً وبهذا لا اكون خائناً لسيدي الذي ربيت عنده فارجو منك ان تقبلني خادماً صادقاً اميناً . قال كيف اصدق منك ذلك وما انت الا عيار محتال تستعمل هذه الواسطة لخلاصك من ايدينا ثم تعود الى خدمة سيدك وقد فعل ذلك قبلك هلال عيار الشاه سرور ولم يكفهِ انهُ نجا من الموت وغشنا ثم رجع الى جيشهِ بل نصب لنا شركاً بمكره ودهاه وعزم على اسر والدي فلم يتيسر لهُ فكان من نتيجة عملهِ انهُ اوقع فرخوزاد وخورشيد شاه في قبضة عدونا الشاه سرور ولو لم تساعدها العناية لكانا هلكا . قال ما كل الناس هلال يا سيدي ولا كلهم طارق وانا ما تكلمت هذا الكلام وفي نيتي الغدر والمكر واني افضل الموت عليهما وليس رجال اليمن كرجال مصر مزية ومروَّة واني اقسم لك بالله العظيم خالق السماء والارض اني افي لك كل الوفاء واكون اميناً على خدمتك حريصاً على السعي في نجاح مصالحك ولا اكون بذلك خائناً لسيدي لاني كما قدمت اكون قد وجدت بعمر جديد وخدمة خدمة جديدة وزال القديم بفرض زوال عمري الذي هو الان بايديكم فان احييتني تكون قد احييتني لك وان امتني تكون امتني لك وعنك فاختر لي اي الحالين . وكان يظهر من كلام طارق الصدق والامانة حتى ثبت عند الوليد وعند الحضور اجمعهم انهُ صادق في كلامهِ ولذلك قال طيطاوس للملك ضاراب اني ارجوك يا سيدي ان تعفو عن طارق فان كلامهُ هذا صدق لا ارتياب فيهِ ولا خداع واني اضمن لك صدق قولهِ . فقال اني اجبتهُ الى سؤالهِ وما كنت لامنع مستجيراً بي وازيده الانعام والاكرام ثم امر ان يؤتى ببدلة مطرزة بالذهب فالبسهُ اياها وعين لهُ العلوفات وخصهُ بخدمة صيوانهِ بين عياريهِ واقام منذ ذلك الحين في خدمة الملك ضاراب على الصدق والامانة بكل همة ونشاط .

قال وبعد ذلك دنا طارق من الملك ضاراب وقال لهُ ارجوك يا سيدي ان تسمح لي

بالرجوع الى الوليد لانهُ بانتظار الخبر عن ابنك ولا بد اذا استبطاني يرسل غيري فيعلم انهُ بعيد عنكم فيفتش عليهِ في المدينة ولذلك عزمت على ان اذهب اليهِ واعلمهُ انهُ قائم بينكم فيضرب عن السؤال عنهُ . قال اصبت فافعل ما بدا لك . وفي الحال سار طارق حتى دخل جيوش مصر ودنا من صيوان الوليد فوجده غاصًّا بالرجال والمقدمين وكلٌّ بانتظاره وقد استبطأوه واقاموا في قلق لاجلهِ واذا بهِ قد دخل ففرح الوليد والجميع وقالوا لهُ ما وراءك من الاخبار ابن . قال لا شيء فان فيروزشاه قائم في معسكر الفرس وقد رايتهُ ليل امس جالسًا في ديوان ابيهِ وهم يتشاورون في مسالة هذه الحرب وسمعتهُ يقول لابيهِ مر ياسيدي الجيش بالحملة فان الوقت طويل ولا صبر لنا على حمل ثقل هذه المدينة فانها توافق الاعداء وتمكنهم من لمّ جمعهم وارجاع قوتهم ونحن غرباء لا نقدر على القيام في هذه البلاد فقال لهُ ابوهُ ان ذلك لا يمكن لان الوليد سالني امرًا فاجبتهُ اليهِ ولا احنث بقولي ولا ارد سؤال ملك خطير كالوليد وان النصر لا بد ان يكون لنا وهذا داب المنصف الحليم . واقمت بعد ذلك يا سيدي وفي نيتي ان اتوصل الى بهزاد فاتي بهِ اسيرًا او قتيلاً فلم اقدر وذلك لاخذ منهُ بثار الامير خطير ولما قرب الصباح لم يبقَ لي اقامة فخرجت من ظهر جيوشهم واوسعت في الفلا كي لا يراني احد وجئت لاطلعكم على الحقيقة . فقال بيدانديش الوزير هكذا كان يجول في فكري وهذا خبر مسرٌّ من جهة الملك ضاراب ولا بد في هذه المدة من ان تصل الينا نجدة قيصر وغيرها من النجدات التي نحن بانتظارها فيزيد عدد جيشنا وياتينا تمرتاس وتمرتاش فيقتلا لنا فيروزشاه وغيره من فرسان الفرس الاشداء وباتوا في فرح واطمئنان الا طيفور فانهُ كان في قلق واضطراب كل ذلك النهار وفي المساء اجتمع بالشاه سرور وقال لهُ اذا صدق ظني يكون فيروزشاه الان في المدينة وانهُ لم يخرج منها حتى الساعة والذي راه طارق ليس هذا بفيروزشاه لان رجال الفرس اكثرهم بصفة واحدة . قال ماذا يمكننا ان نفعل والوليد لا يرغب في ان يفتش عليهِ اجابة لطلب وزيره واني اعلم من تنبيهات ضميري ان هذه الحرب لا بد ان تكون رديئة العواقب على المصريين فياخذ فيروزشاه بنتي بالرغم عني ولو كنت اظن اني ساصل الى هذه الصعوبات لاجبتهُ من البداية وزوجتهُ بها وبقيت في ملكي . قال واي صعوبات هنا وسيختلط بهذه الحرب ملكان الان من اكبر ملوك العالم وعما قليل تكون عساكر الملك قيصر الاكبر وهذا لا بد من انهُ يبيد رجال الفرس باجمعهم كبيرًا وصغيرًا فكن براحة ومهما جرى يجرى ونحن لا بد لنا من ان نسير الى بلادنا اذا انتصر المصريون واذا كسروا سرنا الى بلاد قيصر واقمنا هناك فان الفرس لا طاقة لهم على لحقنا وهل لا يتعبهم الزمان وتهلكهم الايام فكن مطمئنًا ولا نرجع عن الفرس بعد ان فعلوا بنا ما فعلوا ولو وقعنا الان بايديهم لقتلونا لا محالة وقد تاكد عندي ان الملك ضاراب اقسم بالله العظيم انهُ لا بد من ان يقتلنا اذا وقعنا بايديهِ فكيف يقصد قتلنا وتميل اليهِ

وهو عدو الد لا سيا وهو مزمع على اخذ بنتك كسبية ولم يراع حرمة ناموس الملوك فكن ثابت العزم على عداوتهِ واتكل عليّ فاننا لا بد لنا في النهاية على هلاكهِ ولو الزمنا الامر ان نسحبهُ الى اطراف الدنيا فانهُ مصر انهُ لا يرجع الا بعين الحياة ونحن مصرون اننا لا نسلمهُ اياها ولذلك اينا نزلنا وغلبنا رحلنا فنجره خلفنا وفي النهاية لا بد ان يهلك مع جيوشهِ ويأكلهم التعب والاسفار وتفنيهم الاوصاب والمشاق والحروب ومن ثم نعود الى بلادنا ونرجع براية النصر والظفر . فسلم الشاه سرور بما كان من كلام وزيره ورأى فيهِ وجهاً كبيراً للصواب وظهر لهُ من كلامهِ الحالة التي يصل اليها عدوه اذا فعلوا ذلك واخفى عنهُ جهلهُ العذاب والويل الذي يلحق بهِ اذا داموا على المسير وبعدوا عن بلادهم كل هذا البعد

ولما اسود الليل وحلك ظلامهُ نهض طارق الى المدينة فاخذ ما لهُ فيها وجاء بكل احتياجاتهِ وخرج دون معارض لانهم يعلمون منزلتهُ ويعرفونهُ وبعد نصف الليل جاء الى جيش ايران واقام فيهِ الى الصباح وفي الصباح دخل على الملك ضاراب واخبره بما كان من امره وان الوليد اطمئن بالهُ من جهة فيروزشاه . واقام طارق بين الاعجام عدة ايام حتى بلغ خبره الوليد بانهُ خدم عند الملك ضاراب ووعده على الموافاة وصدق الخدمة فغضب الوليد مزيد الغضب وتكدر من عملهِ وقال كيف يكون قد خدم عندي كل هذه السنين وخانني طمعاً بخدمة ملك مثل الملك ضاراب فلا بد اذا وقع بيدي ان اهلكهُ واعدمهُ واني اعد عموم فرساني وابطالي وعياري بلادي ان كل من جاءني بهِ حياً او ميتاً اغنيتهُ واعطيتهُ كل ما يطلب مني حتى ولو بنتي ليعلم كل واحد اني لا اصبر على خيانة خائن مثل هذا اكل علوفاتي عدة سنين وجحد جميلي وخان نعمتي حباً بعدوي . فوقف هلال عيار الشاه سرور وقال لهُ اني اعدك يا سيدي باتيانهِ اسيراً لبين يديك تفعل بهِ ما شئت قال اني اعدك بالثروة العظيمة وبالوفاء عن كل ما تطلبهُ واني من هذ الساعة اقيمك عياراً على محافظة الجيش عوضاً منهُ وتكون لك علوفاتهُ ومعيناتهُ ولا بد من انك ترى مني فوق ذلك كل ما يسرك فسر هلال بهذا التعيين وكان اعظم منهُ سروراً طيفور والشاه سرور وقد ظنا انهما ينالان اكبر غاية بواسطة هلال واقام هلال من تلك الساعة في خطة طارق وقد اجتمع بطيفور فقال لهُ اريد منك يا هلال ان لا تتهامل في امر فيروزشاه واحب ان تدخل المدينة في كل يوم وتطوف في الاسواق وتخالل الاحياء عند كل فرصة وترسل عيونك الى المدينة كلها علك تعرف خبراً عن فيروزشاه فاني موقن كل اليقين انهُ ضمن المدينة وانهُ وان كان خارجها فلا بد ان يأتيها املاً منهُ بان يرى عين الحياة لان عياره بهروز شيطان يقدر ان يخترق بهِ اسمك سد ويمر بهِ من اضيق ثقب دون ان يلحق بهِ ضرر او يراه احد فوعده بالاستقصاء والتفتيش من تلك الساعة وصار منذ ذلك اليوم ينزل في النهار فيصحب معهُ جماعة من العيارين والفرسان الى اسواق المدينة فيطوف

فيها كل مكان ويرجع في الليل الى حراسة الجيش وخدمة الوليد وقد صرف الجهد الى الاستقصاء والسوال من كل جهة وناحية

فهذا ما كان من امر الوليد وهلال والشاه سرور وطيفور واما ما كان من امر الملك ضاراب فانهُ في كل صباح يظن انهُ ياتي ولده فلا ياتى وقد صرف اكثر من نصف شهر وهو في ويل وكدر وهم وفي كل يوم يزيد قلقهُ واضطرابهُ وارتباكهُ وقد ثبت لديهِ ان ولده اما ان يكون هلك واما ان يكون بضيقة لا يقدر على الخروج من مكانهِ ومثلهُ عياره بهروز والا لو كان مطلق الحرية فلا بد من رجوعه في مثل هذه المدة لعلمهِ ان عموم الجيش يضطرب لغيابهِ و بعده عنهُ كل هذه الايام او ارسل عياره فاعلم اباه وطمنهُ عن حالهِ ولذلك جمع الملك ضاراب العيارين وقال لهم الا يقدر احد منكم ان يكتشف لي على خبر ولدي فاني في ارتياب وقلق ولا اعرف في اي حال هو افي هناء او في كدر افي راحة او في عذاب ولم يكن منكم من يستقصي لي خبره وياتيني بهِ فما هذا التقاعد والاهمال فاني مشغل البال جدًا مكدر الخاطر ولا اظن يرتاح بالي ما لم اقف لهُ على خبر صريح فمن منكم يتعهد لي بالاطلاع على امره فقال لهُ طارق اني اعدك يا سيدي وعدًا ثابتًا ان لا احد ياتيك بخبره غيري ومن هذه الساعة اسير الى المدينة وادخل على بيوت اصحابي الامناء واجعلهم يفتشون معي على خبره ولا اعود اليك الاَّ بما يريح لك فكرك ويطمن بالك قال ان فعلت ذلك عددناها لك من اكبر الحسنات ووفيتك حق تعبك قال سوف ترى ما يسرك . فقال شبرنك لا تخاطر بنفسك يا طارق فانك ان وقعت بيد الوليد انتقم منك قال اني لا ادعهُ يعرف بي واني ادخل المدينة وهو في الجيش قال ان هلالاً يدخل في كل يوم المدينة وانهُ اذا راك يقبض عليك ولا تظن انك تخفي بنفسك عليهِ فلو تزييت بالف زي ولبست الف لبس لا بد من ان يعرفك ولا تخفى عنهُ حالتك فهو خبيث لا يخفي عليهِ امر ولا ينوئهُ عدو ولا يعلو عليهِ عيار في هذا الزمان الا ان كان بهروز ابن الغول . فقال ليس هو الا حمار وليس كما تزعم وسوف ترى ما يكون من امري وتعلم من منا اقدر واحيل ثم قبل ايادي الملك ضاراب وخرج الى صيوانهِ فغير ملابسهُ كليًا ولم يبقَ عليهِ من ملابس العيارة شيئًا وركب على وجههِ لحية اشبه بلحية رجل يسقي الماء في المدينة يدعى قنوش بن عبيد السقا وكان هذا الرجل من نحو اكثر من عشرين سنة يطوف في المدينة يسقي الماء فياتي الى النيل يملأ قربتهُ ويطوف في الاسواق الى ان تفرغ وكان هذا عملهُ دائمًا فاتقن طارق هيئتهُ وكان يقدر على تقليد صوتهِ غاية التقليد وبعد ان فرغ من عملهِ جاء الى اطراف النيل الى المكان الذي ياتي اليهِ قنوش يملأ منهُ قربتهُ واقام فيهِ الى ان راه وقد جاء ليملأ القربة وقرب من النهر فدفعهُ بيديهِ الى النهر فرماه بهِ حتى اختنق ومات فنزل اليهِ ونزع عنهُ ثيابهُ واخذ القربة فملأها وسار الى غير جهة فلبس ملابس قنوش بعد ان جفت وحمل القربة واخذ بيدهِ طاسات

الماء وانحدر الى البلد ينادي بصوتهِ والعالم تاتي مثل عادتها تشرب منهُ وتذهب الى حال سبيلها ولا احد عرفهُ او ميزه عن قنوش السقاء ودام على هذه الحالة الى ان توسط الاسواق وكادت تفرغ القربة واذا بهِ قد صادف هلالاً مع جماعتهِ يطوفون الاسواق فارتاع من ذلك وخاف من انهُ يعرفهُ فاسرع في الجري على امل انهُ يفوتهُ الا ان هلالاً لم تخفَ عليهِ حالتهُ بل عرفهُ حق المعرفة فدنا منهُ وطلب اليهِ ان يسقيهُ شربة ماء فصب لهُ في الطاسة وناولهُ وهو يحاول ان يميل بوجههِ عنهُ حتى تاكده هلال غاية التاكيد وكاد يطير من الفرح وحدثتهُ نفسهُ بالنجاح والثروة وفي الحال امر الذين معهُ ان يقبضوا عليهِ فقبضوا ومسكوه فجعل يصيح ويقول لهم ماذا تريدون مني وما غايتكم فيَّ فاني رجل فقير سقاء لا دخل لي مع احد وكل اهل المدينة تعرفني فقال لهُ هلال واني انا اعرفك ايضًا وهل يخفى عليَّ حالك فانت طارق العيار الخائن الناكث فصاح واكثر من البكاء وقال ما هذه التهمة يا جماعة اين انا وابن طارق تعالوا اسمعوا يا ناس هذا الظالم ماذا يقول عني فاجتمعوا وتراكموا من حواليهِ افواجًا وقد نظروا قنوش مقيدًا والرجال تسحبهُ فدنوا من هلال وسالوه فيهِ وقالوا لهُ لما هذا الظلم فان هذا الرجل لا يضر باحد وليس ممن يتعدى على احد ولهُ في هذه المهنة اكثر من عشرين سنة حتى اصبحت كل اهل البلد تعرفهُ فدعهُ لحالهِ ولا تظلمهُ . فقال لهم ليس هذا بالرجل الذي تعنونهُ فهذا طارق العيار الذي خان سيده الوليد واقام عند عدوه وقد امرت من جانبهِ بالقبض عليهِ اين وجدتهُ . فتعجب الناس منهُ وقالوا لهُ ما هذا الذي تقولهُ فكيف يكون هذا طارق وجميع اهل المدينة تعرف انهُ قنوش ابن عبيد السقاء وهذه المهنة ورثها من ابيهِ وانك غلطان كل الغلط فقال لهم لا يمكن ان اكون غلطانًا فهذا هو طارق بعينهِ ولا يمكن اطلاقهُ قط ولا بد من اخذه الى حضرة الوليد يفعل بهِ غايتهُ ويجازيهِ على خيانتهِ

ولا زالت الشحناء واقعة بين هلال ورجال المدينة وكلما جاء قوم يقفون ويتحزبون ويطلبون اطلاق سبيل قنوش وهو يمتنع الى ان قال لهم اخيرًا اني لا اطلقهُ ولا بد من اخذه الى الوليد فان كان الرجل الذى تزعمونهُ اطلقهُ والا قبض عليهِ فانهُ متحرق على القبض عليهِ فقالوا هلمَّ بنا الى الوليد ولا نظن انهُ يظلم هذا الرجل الفقير ويحرمهُ عيالهُ ولا يمكنا ان نتخلى عنهُ وسار هلال وبين يديهِ طارق محفوظًا من رجالهِ واهل المدينة يسيرون من ورائهِ جماهير جماهير وكلهم يتقمقمون ويتذمرون ويصيحون ما هذا الظلم تاتي رجال اليمن فتتحكم فينا وتظلم الاهالي كما كانوا يظلمون في بلادهم ويخربون بيوت الفقراء اما كفى ان بسببهم كادت تخرب بلادنا وتهلك عساكرنا . ولا زالت هذه الحالة حالتهم حتى انتهوا الى الوليد فسمع الصياح وغوغاء القوم فاستفسر عن الامر فحكي لهُ عن ما هو واقع بين رجال المدينة وبين هلال العيار فامر الوليد بان يدخل الجميع فدخل هلال ومعهُ طارق ودخل بعض اعيان المدينة الذين جاءوا للمحاماة عن طارق

ولما وقف هلال بين يدي الوليد قال له يا سيدي بينما كنت اطوف هذا اليوم في المدينة رايت هذا الرجل فدنوت منهُ فلم تخفَ عليَّ حالتهُ لاني بعد ان تاكدت انهُ طارق عيارك الذي خان بك القيت القبض عليهِ فتجمع رجال المدينة وقصدوا خلاصهُ مني زاعمين انهُ قنوش بن عبيد السقاء فحاولت اقناعهم فلم يقنعوا فالتزمت ان ارفع هذا الامر اليك لتبعدهم عن مرادهم لان هذا الرجل هو طارق لا محالة وهو لابس هذه الملابس خوفًا من ان يراه احد فيعلم بهِ ولا بد لدخولهِ المدينة من سبب . فقال الرجال كذب هذا اليمني فما هذا بطارق بل هو قنوش ونحن نعرفهُ من نحو اكثر من عشرين سنة وهذه القربة قربتهُ ولهُ زمان طويل يحملها ونحن نراها ومثلها طاساته وماذا يوصل طارق الى ان يتهيأ بهيئتهِ و يصل الى امتعتهِ مع اننا في الامس واول امس شاهدناه وفي كل يوم وكل ساعة تراه رجال المدينة ونساءها واطفالها يستقون منهُ الماء ويكالموه و يعاملونهُ وما غاية هذا اليمني الا القاء المفاسد في المدينة والشغب بين اهلها واننا لا نقبل قط بظلم هذا الرجل الفقير الضعيف الذي لا ناصر لهُ الا مرحمتكم وغيرة ابناء وطنهِ فنظر الوليد الى طارق فاخفي عليهِ امره ولم يقدر ان يميز بينهُ و بين ذاك فقصد ان يعرف ذلك من صوتهِ فكلمهُ فاجابهُ وقد غير بصوتهِ وقال لهُ يا سيدي من اين يكون لي ان اكون طارق العيار وانا فقير انعيش على ابواب الاجاويد واهل الاحسان . فزاد ارتباك الوليد وكان يسمع اصوات الناس من الخارج واضطرابهم وقلاقلهم فقصد حسم المسالة . فقال لوزيره بيدانديش اني ارى اشكالاً عظيماً في هذا الامر لان هلالاً يصرّ كل الاصرار على انهُ طارق واني مع عموم الاهالي ارجح انهُ قنوش فليس لحل هذا المشكل الاك . فقال الوزير لا ريب في انهُ قنوش السقا فقال هلال كلاً يا سيدى فما هو الا طارق عيار سيدنا الوليد فلا تضيعون هذه الفرصة ولا تتركوه يذهب فيرجع الى اعدائكم وتندمون فيما بعد على افلاتهِ من ايديكم وانهُ متقن عملهُ كما انقن تقليد صوتهِ وتغيره تغييرًا خفي على سيده الذى استخدمهُ عدة سنين . فصاحت الناس ان هلالاً كاذب في زعمهِ فما هذا الا قنوش بن عبيد السقا وهل نكذب نحن كل اهل البلد مع معرفتنا بهِ حق المعرفة ومشاهدتنا لهُ اكثر من عشرين سنة يوميًا ويصدق هو ولم يشاهد طارقًا الا اياماً قليلة فنسترحم اطلاقهُ

ورای الوزير كثرة الصعوبة والالتباس الواقع بين كلا الفريقين فقال ان عندي من يعرف ان كان هذا طارق او غيره وهو بدرفتات العيار وكان هذا بدرفتات من تلامذة طارق قد تعلم منهُ العيارة فخرج ماهرًا في صناعتهِ وقد استخدمهُ الوزير لنفسهِ واركن لهُ كل الركون حتى كان يسلمهُ كل اموالهِ واشغالهِ ولا يمنع عنهُ شيئًا ولا يفعل شيئًا بغير علمهِ فكان عياره واميننهُ وكاتم اسراره ووكيل اشغالهِ وذلك لما يعهده فيهِ من الامانة والاستقامة والحب لصالحهِ الا انهُ كان يميل جدًا لطارق ويحبهُ لانهُ استاذه وقد صرف عليهِ كل قوتهِ واعظم وقتهِ . ولما قال ذلك الوزير

اجابهُ الوليد اليهِ وقال لهُ ادعُ لنا بدرفتات عساه يحل هذا المشكل وفي الحال بعثوا من اتى بهِ فلما حضر قال لهُ الوليد اريد منك ان تعرف لنا هذا الرجل واشار الى طارق هل هو طارق ام قنوش السقاء فاحدق بهِ وعرفهُ حق المعرفة وقال في نفسهِ ان انا اظهرت امره لا بد ان ينتقم منهُ الوليد فاكون قد سعيت في هلاكهِ وجلبت لهُ الشر بيدي وكافيتهُ عن جميلهِ بالقبيح ولا سيما ينفذ قول هذا اليمني وينال انعام الوليد فلا بد من احباط مساعيهِ واما طارق فانهُ رجف قلبهُ عندما شاهد بدرفتات وخاف من ان يظهر امرهُ ويوضح حالتهُ فيصدقهُ الجميع فاقام ينتظر ماذا يقول وهو يعلم ان مونهُ وحياتهُ بين شفتيهِ الى ان قال اني لا ارى في هذا الرجل صفة من صفات طارق فالفرق عظيم بينهما . قال هلال لا بل هو طارق . قال بدرفتات اذا شاء سيدي الوليد ابقاهُ هذه الليلة تحت الحفظ والترسيم الى ان اذهب الى معسكر الاعداء وانظر في صيوان ملكهم فاذا كان طارق هناك اعود اليكم بعلم اليقين عنهُ واذا كان غائبًا نرجع الى الفحص عن هذا السقى ونحضر زوجتهُ واولادهُ ويكون ما يكون . فقال الوليد لقد اصبت في ذلك فسر انت في هذا المساء الى البحث وفي الغد نعود الى النظر فيهِ

ثم امر الوليد ان يوضع طارق في الحفظ عند بعض قوادهِ وصرف الناس الى الغد وقد اعجبهم كلام بدرفتات وما اشار بهِ عليهم واصبحوا ينتظرون نهاية هذا المشكل فكان بعضهم يرغب في ان يعرف صدق هلال دون ان كانت تحركهُ دواعي المحاماة وبعضهم يرغب في كبح هلال وبعضهم يتشفق عليهِ من ان يموت ظلمًا . وفي المساء لبس بدرفتات ملابس الدراويش وغير زيهُ وودع سيده بيدانديش وخرج يقصد معسكر الفرس من جهة الحرس ولا زال حتى دخل بينهم وكان العيارون قد راوهُ فاشتبهوا في امره ولم تخفَ عليهم حالتهُ فمسكوهُ وسالوهُ فقال لهم اني رجل فقير اتيت اقصد الملك ضارب لاجل الاحسان فهل لكم ان توصلوني اليهِ او تدعوني اصل من نفسي فقالوا لا ريب في انك عيار اتيت لحيلة او مكيدة . ثم ساروا بهِ الى الوليد فاوقفوهُ امامهُ وقالوا لهُ انهُ كان آتٍ من جهة المصريين فالقوا القبض عليهِ فادعى الفاقة مع انهُ عيار لا ريب فيهِ . فسالهُ الوليد عن نفسهِ وهل اذا كان كما يزعمون . قال نعم فانهم لم يخطئوا في ذلك فاني من عياري مصر وقد اتيت لقضاء مهمة بها لكمُ الصالح الاكبر . قال وما هي هذه المهمة قال اعلم ياسيدي ان طارق العيار الذي خدم عندكم وترك خدمة سيده قد دخل المدينة وهو لابس كلبس رجل من اهاليها يسقي الماء يقال لهُ قنوش بن عبيد السقاء فاتقن صنعهُ حتى خفي حالهُ على كل اهل المدينة ولا اعلم ماذا فعل بقنوش لان الثياب ثيابهُ والقربة قربتهُ واذ كان يطوف في الاسواق نظره هلال فقبض عليهِ وعرفهُ حق المعرفة فنادى مستجيرًا فاجتمعت الناس ومالوا الى خلاصهِ فافضى الامر الى حكم الوليد فجاءوا اليهِ الناس مئات والوف وكلهم ينادون هذا ابن عبيد

السقاء ونحن نعرفهُ اكثر من عشرين سنة وهلال يقول كلاَّ بل هذا طارق العيار فلم يقدر الوليد ان يفصل هذا المشكل لانهُ لم يقدر ان يعرفهُ وقد اخفي عليهِ امرهُ فطلب الى بيداندیش والاخر اشتبه فيهِ بين طارق والسقاء حتى آل الامر ان يسالوني ولما كنت من تلامذتهِ وقد وضعني عند الوزير منذ الصغر لاتعلم منهُ فن العيارة والحيل وكنت اعرف كل اصواتهِ وحركاتهِ ظهر لي امرهُ وتأكدتهُ انهُ طارق الاَّ اني اثبت قول الناس وقلت ان هذا ليس بطارق . فلم يقنع هلال بكلامي بل اصر على انهُ نفس طارق فخفت من ان يصير التفتيش في المدينة على قنوش او ياتي هلال نفسهُ الى هنا او ياتي غيري فتظهر الحقيقة فقلت للوليد على الفور ان كان لايزال الامر مشكلاً فابقوا هذا الرجل الى الغد تحت الحفظ واني في هذه الليلة اسير الى معسكر ايران فانظر بينهم فان كان طارق هناك يكون هذا قنوش والاَّ فيكون مشتبهٌ في امره فنفعل اذ ذاك ما يمكن فعلهُ فاجابني الجميع الى ذلك وابقوا طارقًا محفوظًا ولما كان اول هذه الليلة خرجت وجئت من وجه الجيش على امل ان اعود واقول للوليد اني رايتهُ في خدمة الملك ضاراب وذلك حبًا بان اكون دائمًا مع استاذي في خدمتكم ورغبة في ان اخلصهُ من هلال الخبيث الذي صرف الجهد في اظهار امره وقد دعتني الضرورة الى هذا العمل لعلمي ان سعد المصريين قد فرغ وانهم على شفير الخراب والدمار وسوف تنقضي مدة عظمتهم نسيا وان الذي رباني وعلمني وهذبني لهُ عليَّ فروض وواجبات لايمكنني ان اجحدها او اوصل اليهِ بدلاً من احساناتهِ اساءة . فتعجب الوليد من عمل طارق وكيف قدر ان يشكل امرهُ على سيده ووزراء مملكتهِ مع انهُ اقام بين ايديهم عدة سنين وقد تعجب ايضًا من هذا العمل جميع الحضور ولاسيا شبرنك وشياغوس وبقية العيارين وقال طيطلوس انهُ لاريب صادق في الخدمة انما لانعرف ان كان كلام بدرفتات صدقًا او يقصد خداعنا لينجو من ايدينا . قال حاشاي ياسيدي من ذلك فاني ما اتيت من صدر الجيش الا وفي نيتي ان اعرض عليك خدمتي واطلعك على امر طارق وازيدك فوق ذلك الاقسام العظيمة اني لا انكر عنك خبرًا ولا اخون لك خدمة وسوف تبدي لك الايام صدق ما تسمعهُ الان . فما نحن ممن يقسم ويحنث في اقسامهِ على اني ارى في نفسي اذا سمحت لي ان ابقى بين المصريين في خدمتي عند الوزير فاسترق لكم الاخبار واتيكم بها سرًا فلا يراني احد وبهذه الواسطة اقدر ان انفعكم اكثر من ان اكون بينكم فقال الملك ضاراب ان كنت صادقًا في قولك تصادف مني مزيد الالتفات والاهتمام واني ممن يثق بالايمان ويأتمن بالاقوال فافعل ما انت فاعل ومن هذه الساعة قد عينت لك العلوفات والمعينات فتقبضها في كل شهر كواحد من عياري بلادي الكبار

فلما سمع بدرفتات كلام الوليد قبل يدهُ وشكره واستاذن منهُ بالرجوع فاذن لهُ بعد ان اوصاه مزيد الوصية بان ياتيهُ دائمًا باخبار اعدائهِ فوعده واقسم لهُ وسار من حضرتهِ الى جيش سيده وهو

بفكر بخلاص طارق . واقام الى الصباح وفي الصباح نهض وسار الى ديوان الوليد فوجده محتبكاً كالسبحة فدخلهُ وقد اخترق جماهير الناس الذين اصبحوا الى الصيوان ينظرون ما يكون من امر قنوش بن عبيد السقاء . ولما صار في نصف الديوان وجد هلالاً ايضاً بالانتظار وقد احضروا طارق وهو مقيد وعندما نظره الوليد قال لهُ بما اتيت يا بدرفتات فهل جئت بعلم يرتاح اليهِ الفكر قال نعم ياسيدي فاني عندما صرت بالقرب من صيوان الملك ضاراب وقفت انظر الى داخلهِ فوجدت طارق الخبيث المحتال قائماً في خدمتهِ بين العيارين وهو لابس بصفة عيار من عياريهم فصرفت نحواً من ساعتين وانا محدق بهِ واحترق الى هلاكهِ غير انهُ لم يسعني ذلك ولا ريب ان من كان مثلهُ باع سيده بثياب الترصيع وقبضات الذهب يجب ان يجازى بالاعدام عبرة لغيره من الذين مثلهُ وقد تاكد عندي الان ان هذا هو قنوش بن عبيد السقاء وقد صدق هولاء الناس وربما كان هذا قريب من طارق بالصفة والهيئة انما لا اظن انهُ قريب منهُ بالصوت وكلنا نعرف صوت ذاك فاذا كنا نحن وكل رجال المدينة يعرفون هذا ويعرفون طارق منذ زمن ليس بقليل ويوكدون ان هذا هو قنوش فكيف يمكن لهلال الذي لم يرَ طارقاً الا اياماً قليلة ان يغالط الجميع ليصح زعمهُ وهل من العدل ان نظلم فقيراً مسكيناً بجريمة رجل خائن وقد رايتهُ عياناً وتاكدتهُ انهُ في صيوان الملك ضاراب . قال هلال كلاً يا سيدي فهذا طارق ولا يمكن ان اكون غلطاناً واذا شئت فحصنا امره من غير وجه . فحنق بيداند يش وقال لا يمكن ان يكون هذا طارق فدع عنك هذا الهذيان والشقشقة فان الناس في اضطراب وقلق فهل يمكن ان يغلط الوف من الناس لتصدق انت فهذا لا يمكن ابداً . فاحترق قلب هلال من كلام الوزير وعلم ان صيدتهُ ستفقد منهُ وانهُ لا يصدق في مثل هذه الظروف فارتبك في امره واراد ان يحاول ويرجع الى قولهِ بان هذا طارق فمنعهُ الوليد ايضاً وقال لهُ لقد ثبت عندي انك مخطئٌ كل الخطاء وقد اشغلتنا اكثر من يومين بسوء فعلك وعدم خبرتك فدع عنك هذا الرجل ولا بد من مراضاتهِ بدلاً من الاهانة التي لحقت بهِ لاسيا وقد تيسر لهُ ان يبن يقف يدي واما طارق فانهُ تبدل خوفهُ بامان وسكن خفقان قلبهِ لانهُ في البداية كان يخاف من ان يعرفهُ الوليد او احد من الحضور فخفت حالتهُ على الجميع الاَّ انهُ كان لا يزال خوفهُ في نمو من ان تظهر حالتهُ بالفحص والتدقيق لا سيا اذا احضروا عيال قنوش السقاء وسالوه عن امورهم الداخلية فلا ريب انهُ يرتبك ويقع في حيص بيص وزاد خوفهُ عندما اعهد بالمسالة الى بدرفتات لانهُ كان يعلم ان هذا اخبر بهِ من الجميع ولا يخفى عليهِ امر فلما نظر اليهِ عرف من دلائل وجههِ انهُ عرفهُ وتاكده وصار ينتظر ما يقولهُ عنهُ الى ان انكر حالتهُ واخيراً دبر طريقة خلاصهِ بوجه حسن اسي بانهُ قال انهُ يفتش عليهِ بين الايرانيين ثم رجع فقال لهُ انهُ راه فعلم انهُ يقصد انتشالهُ من تلك الصعوبة الواقع فيها وكبح هلال العيار وارجاعه بالخيبة ولذلك تاكد عنده

الخلاء السبيل وما صدق ان سمع كلام الوليد حتى رمى بنفسهِ على اقدامهِ يقبلها فقال لهُ لا تخف يا قنوش من سوء وقد صار لك عليَّ حق الاكرام والانعام ثم امر ان يدفع اليهِ مبلغ من المال مقابلة لما وقع عليهِ. فقال هلال اما كفاه انهُ يخونك و يغشك واخيرًا ياخذ دراهمك . فانتهره الوليد وشتمهُ واهانهُ وقال لهُ اتريد ان تدخل بنفسي اني مغشوش وتنسب اليَّ البساطة وغموض الذهن الى هذا الحد حتى لم اعد اعرف عياري وخادمي فما ذلك الا من العجائب . ثم امر السقاء ان يخرج الى المدينة فقبل يده وخرج والناس من حواليهِ افواجًا افواجًا . وقد قال لهُ هلال عند خروجه اذهب يا طارق انما اكد اني عرفتك وما خفي عليَّ حالك كي لا تقول انك لعبت عليَّ منصبًا واذا لم تساعدني الظروف في هذه المرة فلا بد ان تساعدني في غيرها فسوف تجتمع . وطارق يقول في قلبهِ عليَّ ان اتخلص الان ومرة ثانية ان عدت رايتني فافعل ما انت فاعل . ولما بعد طارق عن الخيام اقبل الناس يهنئونهُ فشكرهم وقال لهم يا اسيادي انا ليس لي غير الله وانتم فلولاكم لكان اهلكني هذا الابن الزناء والحرام اللعين المكار وفي زعمهِ ان يعملني عيارًا و يسميني طارقًا ومراده ان يرفعني بوقت واحد من درجة السقاية الى خدمة الملوك ويقلدني منصب العيارة فضحكوا منهُ وجعلوا يتفرقون عنهُ

ثم اظهر على نفسهِ انهُ يقصد النيل ليملئ قربتهُ وسار حتى بعد عنهم ولم يعد يرَ احدًا منهم فجعل يقول في نفسهِ لا يجب الان ان ارجع عن المدينة ما لم اعرف شيئًا عن فيروزشاه لا سيما وقد بان لي وجه النجاح وهذه الحالة اخفتني عن اعين من هم اعرف الناس بي . وبعد التفكر خطر لهُ ان يقصد ابو الخير الجزار وكان صديقهُ من زمان قديم وقال في نفسهِ ان هذا الرجل من ايران في الاصل ولا ريب انهُ يخفي امري لانهُ صديق لي و بيني و بينهُ مودة مكينة لا يمكن فصلها وهو من الاستقامة وعمل الخير على جانب عظيم حتى دعتهُ الناس بابي الخير ولما ثبت عنده هذا الظن ارتاح ضميره فطاف يسقي في المدينة من سوق الى سوق وكان قرب المساء فدخل الى بيت ابي الخير دون ان يراه احد ولما دخل الباب اقفلهُ من خلفهِ فاشكل امره في الاول على ابي الخير وقد ظن انهُ ابن عبيد السقاء فقال لهُ ماذا تريد اهل لك من حاجة قال كلاَّ وكان هذا لا يعلم ماذا جرى عليهِ لانهُ كان مشغل بخدمة فيروزشاه وبهروز لا يفارقها وهو مهتم في امر مداواتها . فلما عرف طارق انهُ لم يعرفهُ اراد ان يطلعهُ على امره . فقال لهُ انك غلطان يا ابا الخير فهل حتى الساعة لم تعرفني وقد تكلم بصوتهِ

قد انتهى الجزء التاسع من قصة فيروزشاه وسياتي
العاشر ان شاء الله

الجزء العاشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

المعتاد فعرفهُ وقال لهُ ما هذه الحالة يا طارق فقال ادخل بي الغرفة لاطلعك على امري وارجوك كتم سري. فدخل بهِ ولما استقر اخذ في ان يشرح لهُ كل ما كان من امره وقال لهُ في اخر الحديث واني ما طرقت المدينة الا لافتش على فيروزشاه واني واقع في حيرة عظيمة لا اعرف اين هو ولا اين اجده. فلما سمع ابو الخير كلامهُ خفق قلبهُ وظن انهُ استعمل الحيلة للاكتشاف على فيروزشاه عنده وانهُ ربما بلغهُ خبر ذلك وظهر اضطرابهُ فلم تخفَ حالتهُ على طارق وقال لهُ لا ريب في انك تتكدر اذا عرفت اني ابحث عن فيروزشاه واني لم اجده لانهُ ابن ملككم ويحق لكم ذلك لاني مصري الاصل واخلصت لهم الود وعاهدتهم على صدق الخدمة وخاطرت بنفسي. قال يمكنك ان تذهب الى ابيهِ وتقول لهُ اني ما وجدتهُ ولا ريب في انهُ يعود الى الجيش اذا كان قادرًا على العود. قال اني وعدتهُ اني لا اعود الا بهِ واريد منك ان تخفي امري اليوم وفي الغد فقط وتقبلني عندك هذين اليومين بينما اكون قد كشفت امره ولا بد ان اخبره بجميلك ومعروفك واعرف جيدًا انهُ سار الى جهة القصر الذي فيهِ عين الحياة فربما يكون قد تيسر لهُ الدخول اليهِ واختفى عندها واني ساقصد في ليل الغد ذلك القصر وانظر عل ان الله يوصلني اليهِ ولا اريد منك سوى كتم امري وان لا تطلع احدًا على وجودي

وكان يتكلم ويظهر من كلامهِ الصدق والجد حتى تاكد ابو الخير ان ما يقولهُ هو صحيح وان لا علم لهُ بان فيروزشاه عنده ولذلك عزم ان يخبر فيروزشاه بهِ. فقال لهُ اصبر لي هنا قليلاً فان مرادي ادخل لقضاء حاجة بين حريمي واعود اليك قال لا تبطئ عليَّ فاني اريد منك اما تعدني بالمعاضدة والاخفاء واما تتركني دون ان تظهر امري. ثم ان ابا الخير دخل الى فيروزشاه وحكى لهُ كل ما سمعهُ من طارق العيار وانهُ بانتظاره في الخارج وسالهُ اذا كان يرى من الموافق اطلاعهُ على امرها قال بهروز دعهُ يدخل الى هنا فاذا رايا منهُ عين الغدر قتلناه والا يكون صادقًا في قولهِ وانا في حاجة اليهِ. وفي تلك الساعة طرق الباب ففتحوه واذا بالطبيب فتوح قد دخل فاعادوا عليهِ القصة وما كان من امر طارق العيار واستشاروه في اخباره فقال لهم لا ريب في انهُ صادق القول وما حكاه الان سمعتهُ في المدينة من الناس وكلهم يلهجون بقصتهِ ويتعجبون من خيانتهِ لسيده واقامتهِ عند عدوه وعليهِ فامر فيروزشاه ابا الخير ان يدخل عليهِ طارقًا فعاد اليهِ فوجده بانتظاره على مقالي الجمر وحالما راه قال لهُ كيف لاح لك يا ابا الخير فاحفظ عهد المودة والصداقة ولا

تضيع رجائي فيك لاني ما قصدتك الا وفي نيتي انك تساعدني على ما ربي وغاياتي وتخفي امري ولولا علمي بخلوصك لما اتيت اليك قال اني لا اضيع لك رجاء ولا اخون صداقة كانت بيننا منذ قديم الزمان ولهذا قد جئت لاطلعك على خبر فيروزشاه واعلمك انهُ قائم عندي وفي بيتي وان الصدف اوصلتك اليهِ كما اوصلتهُ اليَّ لاخدمهُ مدة مرضهِ فهو في الداخل بين حريمي ومجروح عدة جراح وقد داويتها حتى شفيت او كادت تشفى فقم الان وادخل عليهِ وقد سالتهُ ان ياذن لك فاذن ولو لم اعلم انك على صدق من كلما ذكرت لما اخبرتك حرصاً على حياتهِ لانهُ مختفٍ منذ ليلة القتال في بيتي لا يعلم بهِ احد غيري وغير فتوح الطبيب. قال كيف لا اكون صادقاً وقد رهنت نفسي لخدمة الملك ضاراب واقسمت لهُ ابر الاقسام اني لا اخونهُ قط واني اصرف ما بقي من عمري في قضاء مصالحهِ. وفرح طارق غاية الفرح وهو لا يصدق انهُ يرى فيروزشاه وامل نجاح مسعاه ونهض مع ابي الخير ودخلا عليهِ. ولما صار طارق بين يديهِ قبلها وقال الحمد لله يا سيدي على السلامة فاني ما جئت الا للبحث عنك من نحو ثلاثة ايام الا انهُ اخبرني هلال العيار وقد جرى لي معهُ ما هو كذا وكذا. ثم حكى لهُ كل ما كان من امره وكيف ان بهزاد مسكهُ فاضطر الى مصافاة ابيهِ وانهُ اقام في خدمتهِ عدة ايام الى ان وعد اباه بانهُ يكشف لهُ الخبر وجاء المدينة فصادف هلالاً. فتاكد كلامهُ فيروزشاه وكان بهروز قد هيا خنجره للايقاع بهِ اذا تبين لهُ من كلامهِ وجه الغدر فلما راى منهُ الصدق عاد عن عزمهِ وقال لطارق ابقى هنا الى حين نقدر على الذهاب فنعود الى المعسكر معاً اما في الغد او ما بعده. فقال فيروزشاه لا ريب اننا في الغد نقدر على الذهاب انما اريد قبل كل شيء ان اسعى في خلاص مصفرشاه لاني نويت هذه النية ولم يعد في خاطري الرجوع عنها واني لا اعود الى ابي دون ان اكون قد خلصتهُ فنصحبهُ معنا وقد يفعل الله ما يشاء. فقال بهروز ان هذا شغل العيارين يا سيدي فلنذهب بك اولاً الى ابيك لان لك اكثر من ثلاثين يوماً وانت غائب عنهُ وهو في اضطراب من اجلك. قال لا بد لي من ذلك فقال طارق لا باس يا سيدي فاننا في الغد نسعى في خلاصهِ وقد خطر لي في هذا المعنى خاطر يلوح لي فيهِ وجه النجاح ولا ريب اننا في الغد او بعد الغد نذهب سوية انا وبهروز وابو الخير قبل بزوغ الشمس فنصل الى القلعة بعد ذلك اي في اول النهار ومن بعد خلاص مصفرشاه ناتي الى هنا ونذهب من هنا الى الجيش فاستحسن الجميع رايهُ وباتوا ينتظرون اليوم الاتي لقضاء مصلحتهم والمسير الى سجن العفاريت غير انهُ في اليوم الثاني وجد فيروزشاه نفسهُ لا يزال مولماً من جراحهِ فاشار عليهِ فتوح الطبيب ان يبقى الى ثلاثة ايام اخر بيما يكون قد تمكن من العافية غاية التمكين فلا يعود عليهِ من خوف

هذا وليس من العدل ان ننسى هنا عين الحياة وطوران تخت وما هما عليهِ من المصائب

والاكدار وان عين الحياة بعد ان ذهب عنها فيروزشاه وقعت باليأس والقنوط واشتعلت بفؤادها نيران الهموم واصبحت تعلق الرجاء بعودتهِ اذا تيسر لهُ النجاح حالاً بخلاص مصفرشاه ولا زالت طول تلك الليلة وهي بهم وكدر لا ياخذها نوم ولا يقر لها قرار تنتظر ما يجلو عنها هذه الحالة واشرق الصباح وهي جالسة على ما كانت عليهِ في الليل وعند بزوغ الشمس قطعت الرجاء من عودتهِ وزاد اضطرابها ولم يعد في وسعها الصبر لتعلم ماذا جرى عليهِ وفي الحال دعت طوران تخت اليها وكانت هذه قد استيقظت من رقادها وهي تحسد عين الحياة على قربها من فيروزشاه كل تلك الليلة دون ان يحصل لها مكدر او يحول دون هنائها حائل وهي لا تزال تظن انهُ باقٍ عندها على حالتهِ في ليلتهِ الماضية ما بين الزجاجة والطاس . ولما دعتها عين الحياة مع خادمتها شريفة كانت بانتظار الذهاب اليها وهي تود ان تصرف وقتًا بحضور فيروزشاه لتعلم منهُ مقدار حبهِ لعين الحياة . وفي الحال سارت اليها فوجدتها جالسة لوحدها وهي على غير الاستواء فشعرت بذهاب حبيبها . فقالت لها لاي امر دعيتني واين فيروزك . فتنهدت من فؤاد محترق بنار الاكدار من افعال الزمان وقالت لها لم يعد من وسيلة لاخفاء الامر عنك ومن الواجب ان تقاسميني باحزاني واكداري وان تعودي على احتمال المكاره واني اطلعك الان على امر مصفرشاه فقد قبض عليهِ بعد خروجهِ من عندك ووضعهُ ابوك في سجن العفاريت ولما استقر فيروزشاه عندي وعرف بخبره نهض مع عياره وسار لخلاصهِ من ذاك السجن وحتى الساعة لم اعد اعرف عنهُ امرًا فاما ان يكون خلص مصفرشاه وسارا معًا الى جيوشهما واما قبض عليهِ ووضع معهُ وعلى كل حال اريد منك ان تبعثي بقهرمانتك هند تكشف لنا الخبر علها تسمع من احد شيئًا نقف بهِ على الحقيقة وذلك في اسواق المدينة لانهُ لا بد من ان يشيع الخبر في البلد ان كان قد تخلص مصفرشاه او كان وقع على الاخر امرًا مضرًا

ولما سمعت طوران تخت بسجن مصفرشاه كاد يغمى عليها وبكت وناحت فقالت لها عين الحياة لا تفعلي فما هو الا باقٍ بقيد الحياة وربما يكون قد فاز بالخلاص وعاد الى قومهِ فاصبري على هواك ولا تكوني لجوجة عديمة الصبر فلا يحلو الوصل الا بعد القطع ولا تطيب الراحة الا بعد العناء ودعينا نسال عما كان من امرها ثم انها امرت هندًا ان تسير الى الاسواق تكتشف الاخبار وتفحص عن خبر جديد فيها فاجابت وخرجت من القصر وسارت في الطرقات واذا بها تسمع الناس تتكلم عما كان بالامس من القتال وكيف ان فيروزشاه قتل في القوم مقتلة عظيمة ثم اختفى ولم يعد يظهر لهُ امر فاخذت تستعلم حتى وقفت على الحقيقة وتاكدت انهُ لم يظهر امره بل نجا ولا احد يعلم كيف ذهب . فعادت حالاً الى عين الحياة واخبرتها بما سمعتهُ في الاسواق وانها نظرت الى جثث المقتولين وقد ملأت المدينة ترفع لتدفن . فسرت عين الحياة بعملهِ وخلاصهِ من اعدائهِ وشكرت الله الذي

ليله من اوله ودعا فرسانه وسائر الاعيان والوزراء يبشرهم بقدوم ولده ومصفرشاه فاتوا جميعًا وما فيهم الا من فرح وسر غاية السرور وامل الخير والنجاح ولا سيا بهزاد فانه فرح كل الفرح بخلاص سيده فسلم عليهِ سلامًا وافيًا وقال لطارق ما ضاعت فيك الصنيعة فانت صادق في قوالك وانتشر خبر وصول فيروزشاه في كل العساكر فهبوا من مراقدهم وهم فرحون مسرورون يعدون انفسهم بالنصر والظفر على اعدائهم لانهُ ما دام بينهم يتوفقون ويقهرون العدو واذا غاب عنهم يتاخرون ويتوقف توفيقهم فكان سعدهم قائم بهِ متوقف على وجوده وعاد ذلك الليل صباحًا وبدل اسوداده بانوار بيضاء لامعة وكان ذلك اليوم من ابهج الاعياد وصارت ترد القواد كبارًا وصغارًا كلٌ بدوره فيقبلون يديهِ ويسلمون عليهِ وعلى مصفرشاه فيترحب بهم ويثني عليهم واقام كل على تلك الحالة وهو مسرور الفواد برجوعهِ الى ابيهِ وخلاصهِ من جراحهِ وقد اعاد على ابيهِ حديثهُ وكان متكدرًا بعض الكدر من عمل الوليد واتيان تمرتاس بهلوان بلاد قيصر الذي استنصره الوليد وقد تبين لهُ من خلال المستقبل ان الحرب تطول معهم الى ان يلحق شرارها اقاصي الارض وكما لحقت بمصر لحقت ببلاد الرومان وربما اتصلت ايضًا الى ما وراء تلك البلاد ولهذا كان قلبهُ يشعر بصعوبات وشدائد تكاد ترميهُ باليأس لولا شدة املهِ الغريب ورجائهِ بمساعدة العناية واتكالهِ على قوتهِ وشدة باسهِ وعاد ينتظر وقوع الحرب ليعود الى ما اعتاد عليهِ من البطش والفتك بالاعداء والانتقام منهم

قال فهذا ما كان من فيروزشاه واما ما كان من امر الحارس غفير سجن العفاريت فانهُ بقي ملقى على الارض مائتا نحوًا من خمس ساعات دون ان يراه احد او يمر عليهِ احد ولما تنصف النهار جاء ولده يفتقده وينظر ما بقي عنده من الطعام الذي كان يجمعهُ من فضلات المسجونين فلما قرب من السجن وجده قتيلاً فصاح وناح وبكى عليهِ وعاد في الحال الى والدتهِ فنعاه لها فهرولت تنوح وتصيح وقد تبعها الناس وعرفوا بقتل زوجها وبلغ الخبر ضابطة البلد فاسرعوا يكتشفون الخبر ولما قربوا منهُ وشاهدوه قتيلاً تحققوا الخبر ونظروا يمينًا وشمالاً فلم يروا احدًا وقد ارتبكوا في امرهم وتاقوا الى معرفة القاتل فلم يقدروا وعالجوا الباب فلم يمكن فتحهُ وقد فتشوا المقتول فلم يروا في جيبهِ سوى الدنانير التي اخذها من طارق وبهروز فحملوها وعادوا مسرعين الى الوليد وكان الوقت اذ ذاك عند الغروب وعرضوا عليهِ ما راوه وقالوا لهُ اخيرًا لا ريب ان الاعداء قد احتالوا على السجان فقتلوه والبرهان ان هذا الذهب الذى في جيبهِ هو منهم وقد قبضهُ لقضاء حيلتهم وبعد ذلك قتلوه انما لا نعلم هل توصلوا الى نوال مرادهم او حبطت مساعيهم فغضب الوليد غاية الغضب وقلبت الدنيا في عينيهِ ظلامًا وايقن ان مصفرشاه قد فاز بالخلاص فقال لهم وهل لم يمكنكم ان تدخلوا الى الداخل قالوا كلا يا سيدي وقد عالجنا الباب كثيرًا فلم نقدر على فتحهِ ولا

يمكنا قلعه لانه متين جداً ولهذا لم يتيسر لنا ان نعرف شيئاً عن الداخل فقال لهم سيروا بالحدادين واصحاب الحرف واثقبوا الباب او اكسروه وانظروا ان كان مصفرشاه فاز بالخلاص او لا يزال اسيراً ومما يلقي بالحيرة اننا في نصف مدينتنا لا نقدر ان نحافظ على اسير واحد من الاعداء فنمنعهم من الوصول اليه . فاسرع الشرطة لانفاذ امر الوليد واخذوا جماعة كثيرة من الحدادين وصرفوا الليل بطوله الى ان فتحوا بالباب نافذة وعند الصباح دخلوا الى الداخل فشاهدوا فضلات الطعام والاوعية فاستفسروا من السجناء فحكوا لهم ان ثلاثة رجال جاءوهم بالطعام وفي الحال خرج اليهم مصفرشاه وقفلوا الباب ولم يروه فيما بعد فعلموا سرّ الحيلة وعادوا الى الوليد فعرضوا عليه كل ما سمعوه فنما غيظه وقال لقد لقي هذا الخائن جزاءه فارموه الى الكلاب وتحقق قوة الايرانيين على نوال مرادهم وقال لا بد لي من ارجاع مصفرشاه وغيره من فرسان الفرس الى الذل والاسر بعناية تمرتاس الروماني وكان هذا حاضراً فوعده بكل جميل وقال له لا تاسف على فوات اسير من يديك ولا بد من ان يصبحوا باجمعهم اسرى وقتلى وفي الغد ان شاء الله ترى ما يسرك حيث لم يكن في هذا النهار حرب

وكان قد تقدم معنا ان الوليد كتب الى الملك قيصر ملك الرومان وسلطان النصارى وهو ملك عظيم السلطان نافذ الكلمة كثير الاعوان ينقاد اليه كثير من الممالك الصغيرة البعيدة والقريبة كعابد بن مسروق صاحب الشام وسيف الدولة صاحب ملاطية وغيرها وكان اكثر اصحاب هذه الممالك قد استنصرهم الوليد فحضروا اليه اكراماً له الى ان استنصر اخيراً الملك الاكبر ولما وصلت اليه كتابته وعرف ما فعل الايرانيون في بلاده تكدر مزيد الكدر وكانت الصداقة متينة العرى بينهما فقال لا بد لي من مساعدته وكبح اعدائه وفي الحال امر بان تستعد العساكر للمسير ودعا اليه تمرتاس بهلوان تخته وكان عنده اثنان من الفرسان الصناديد والابطال الاماجيد يقال لاحدهما تمرتاش وللاخر تمرتاس كل واحد منهما يلقى جيشاً وحده وقد اشتهرا في بلاد الرومان حتى لم يكن احد يقدر على الوقوف امامهما وكان تمرتاس هذا طويل القامة اذا ركب الجواد تلحق رجلاه الارض واذا ضم رجليه على وسطه يقطعه و يلقيه الى الارض فلا يطيق الحراك وكان وزن عمده نحو قنطار واكثر ولما وقف بين يدي قيصر قال له اريد منك ان تذهب من هنا الى مصر بمائتي الف فارس من فرسان الرومان لمحاربة الايرانيين فيها فان الوليد بعث يطلبك للمحاماة عنه ونقهر عدواً له اسمه فيروزشاه يقولون انه من افرس فرسان هذا الزمان فقال له سمعاً وطاعة وسوف يبلغك عني ما افعل لك بفرسان الفرس وبهذا الذي تقول عنه فيروزشاه وساتيك براسه معي تفتخر به فمن يكون هذا ومن تكون فرسان الفرس لتقف امام خادمك تمرتاس . فمدحه قيصر على قوله واخذ قلماً فكتب الى الوليد جواب كتابه يقول فيه

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

من قيصر الروماني ملك الرومان وسلطان بلاد النمسا واوربا والافرنج الى الوليد ملك مصر صديقي الامين وصاحبي الوفي

كنت اترقب على جوانح الاستعجال وصول خبر الحرب الواقعة بينكم وبين ملك الفرس طلبًا للاطمئنان عنكم وكان لا يخطر قط في فكري ولا يلوح لي ان من هو مثل الملك ضاراب يقدر ان يتغلب عليكم وعلى بلادكم حتى اتنى وفودكم تستثير جنودي الى مساعدتكم فالمني ذلك وكاد يغمى عليَّ لهذا الخبر ودهشت من عظم وصفكم لفرسانه وتمنيت ان اكون حاضرًا هذه الحرب لافرج عنكم وازيح الضيم الواصل اليكم ولما كنت عارف حق المعرفة ان تمرتاس من اعظم فرسان هذا الزمان واشدهم بسالة وهو وحده قادر على كبح عموم ابطال الفرس لذلك لم ارَ من اللازم ان ابعث باخيه تمرتاش اذ لا يحتاج الامر الى الاثنين وقد عقدت لهُ على مائتي الف فارس مغوار وصار من الموكد من الان وصاعدًا فوزك على يد هذا الجبار العظيم فاشكر الله سلفًا على ما سينعم بهِ عليك من النصر والظفر اللذين انت بانتظارهما وابدي لك اخيرًا اني سررت جدًّا باستنصارك بي وذلك يبرهن لي على ثقتكم وحبكم وها ان بلادي باجمعها بين يديكم وابوابها مفتوحة لدخولكم اي وقت شئتم كما ان جيوشي رهينة لامرکم والسلام ختام

و بعد ان طوى الكتاب ختمهُ بختمهِ ودفعهُ الى تمرتاس وفي الحال ركب هذا ورفع فوق راسهِ راية رومانية وضربت بين يديهِ الموسيقات وخرج من المدينة بعد ان ودع الملك قيصر وهو يعدهُ بالخير والظفر ونزل البحر الى الاسكندرية ومنها سار والجيوش بين يديهِ معتز بها الى ان وصل الى بلاد مصر وكاد يقرب من العاصمة فارسل رسولًا الى الوليد يعلمهُ بقدومهِ فسرَّ سرورًا لامزيد عليهِ وقال قد جاء النصر وقرب الفرج فهذا الوقت الذي انا بانتظاره وامر ان يذهب وزيره بيدانديش الى ملاقاتهِ و يترحب بهِ غاية الترحيب والاكرام وكذلك الشاه سرور امر وزيره طيفور ان يرافق بيدانديش لملاقاة تمرتاس بالنيابة عنهُ فخرج الاثنان وسارا عدة اميال ومعهما الموسيقات تعزف باصوات الهناء والجيوش رافعة اعلام المسرة ولما قرب القومان من بعضهما ترجلا وسلما على بعضهما البعض والتقى تمرتاس بالوزير فصافحهُ احب مصافحة ولاقاه ارحب ملاقاة و بلغهُ اشواق الوليد لوصولهِ وانهُ بالانتظار وكذلك طيفور قدم بلاغ سيدهِ ورجع الجمع نحو جيوش مصر وطيفور ينظر الى تمرتاس و يتعجب من عظم خلقتهِ وهول منظره وطول قامته ولا زالوا حتى وصلوا الى المعسكر وهناك التقوا بالوليد والشاه سرور و بقية الاعيان والفرسان فسلموا على بعضهم البعض ودخلو صيوان الوليد وقد امر ان تضرب العساكر الرومانية سرادقها بالقرب من معسكره وان تقدم لهُ العلوفات كغيرها من الجيوش المجتمعة وزاد في اكرام تمرتاس وترحب بهِ جدًّا وقدم لهُ الشراب

وسالهُ عن سيده فبلغهُ سلامهُ ودفع اليهِ كتابهُ فتناولهُ منهُ ودفعهُ لوزيره فقراه علنًا وقد سرَّ بهِ وبعودة قيصر الملك الاكبر وشكره على معروفهِ واهتمامهِ بالحب الذي بينهما ودارت البشائر في الجيش وعلت منهُ اصوات الافراح ونادوا بالبشر والاقبال . وكانت المدنة اوشكت ان تنقضي ومضت الايام المضروبة وكان فرح المصريين عظيما بقدر حزن الايرانيين لان الملك ضاراب كان كما تقدم حزينًا جدًّا على غياب ولده وبعده عنهُ كل هذه المدة دون ان يعرف عنهُ خبرًا وقد ذهب طارق ولم يرجع اليهِ وكان جميع جيشهِ مثلهُ في الحزن والكدر الى ان نظروا جيوش مصر في فرح واستبشار وشاهدوا عساكر الرومان وقد اقبلت عن بعد وانضمت اليهم فعلم انها نجدة عظيمة وقدمت عليهم سرّوا بها وفرحوا لها كل هذا الفرح وامر شبرنك ان يكشف لهُ الخبر فسار واختلط بين الرومان وكان لا احد منهم يعرفهُ واخذ يسال منهم عن سبب مجيئهم ومن عليهم من الفرسان فحكوا لهُ عن طلب الوليد من ملكهم النجدة والاستغاثة فاجابهُ في الحال وبعث لهُ بتمرتاس اخي تمرتاش ووصفوه لهُ اعظم وصف وحكوا لهُ عن عظم خلقتهِ فصبر الى الليل الى ان يراه واذا بهِ قد عاد الى جيشهِ فتعجب منهُ وتاكد انهُ من الابطال الاشداء وبعد ان وقف على حقيقة الخبر عاد الى سيده فشرحهُ لهُ وحكى كل ما سمعهُ من ووصف لهُ تمرتاس وما شاهد فيهِ من الهيبة ودلائل الشجاعة فتكدر الملك ضاراب من هذا الخبر غاية الكدر وزاد همهُ وقال اني وان كنت اعرف واسمع ان هذا الفارس هو من الطبقة الاولى بين فرسان هذا الزمان وانهُ ستتعب منهُ فرساننا وابطالنا الا اني ارجو خذلانهِ وكيده فاما ان يرجع لسيده مهزومًا واما يقتل ويحرم ملك الروم منهُ وبسببهِ تتصل العداوة بيننا وبين قيصر فلا ننتهي من حرب المصريين الا ونبتدئ معهُ في قتال اعظم . قال طيطلوس ان ما قدره الله علينا سيجرى وان حياتنا لا تكون رديئة العقبى وان كانت كثيرة الصعوبات انما ينبغي ان نلاقي المصائب بصبر جميل وقبول حسن فما عين الحياة الا سبيل مرسل قبل من الله لنشر هيبتنا على ممالك كثيرة كبيرة من ممالك هذا العالم ويكون لنا باعمالنا حديث عظيم يذكر جيلاً بعد جيل . ولما فرغ طيطلوس من كلامهِ قال الملك لا شيء اهم لديَّ الان الأ الوقوف على حالة ولدي واين هو وهل هو في قيد الحياه او احرمتني اياه الحوادث واطلب من الله ان ياتيني عنهُ خبر يطمئن لاجلهِ فكري فاني في قلق واضطراب لاجلهِ ولولا غيابهِ لما كان يقلقني مجيء تمرتاج ولا هذا الجيش الى مساعدة المصريين ولا سيما اذا كان هو بين عساكري يقاتل ويناضل لاني موكد ان قوة كل جندي من جنود فارس تعادل قوة عشرة من الاعداء اذا لم اقل اكثر وذلك لعلمي ان عموم الجيش يحبهُ ويرغب ان يبيع حياتهُ لاجلهِ وفي خدمتهِ . وفي تلك الساعة نهض بهزاد وقال للملك ضاراب ارجوك يا سيدي ان تكرم عليَّ بمنة واحدة اريدها منك واسالك فيها . قال اطلب فاني اعدك بالايجاب الى كل ما تطلب . قال اريد ان تسمح لي وحدي بمقاتلة تمرتاس وتعدني انك

لا نترك احدًا غيري يبارزه لاني اريد ان اعرفهُ بنفسي قيمة الفرسان . وهذا الطلب كان مختص فيما مضى بابي واريد الان بعد فقدانهِ ان يكون لي بالارث . قال الملك اني اجبتك الى طلبك ولا ريب انك انت الان مقدم على جميع فرساني وابطالي وفيك الكفاءة لان تقوم مقام ابيك اثناء قيام هذه الحرب . فشكره بهزاد على قولهِ وبات ينتظر انتشاب الحرب ليقع بينهما القتال وهو انهُ اذا بارز تمرتاس يهلكهُ ويميتهُ

واقام القوم الى ثاني الايام فلم يكن حرب ولا قتال وفي اليوم الثالث من وصول عساكر الروم وهو اليوم الاول بعد انقضاء المدة بكر الوليد الى صيوانهِ وجلس في مكانهِ واجتمع من حولهِ الوزراء والاعيان واذ ذاك امر وزيره ان يبعث بكتاب الى الملك ضاراب يعلن لهُ فيهِ اشهار الحرب وان المدة قد انقضت ولم يبقَ من هدنة ويتهدده بقدوم ماورد عليهِ من النجدات . فاخذ الوزير قرطاسًا وكتب ما ياتي .

من الوليد حاكم مصر وضواحيها الى الملك ضاراب الفارسي ابن الملك بهمن

بعد ذكر الله والاتكال عليهِ اقول انهُ مضى الشهر المضروب بيننا اجلاً للهدنة ورفع القتال وقد اخذ كل من عساكري وعساكرك الراحة لنفسهِ ودفن اجسام المقتولين ولم يبقَ مانع يمنع رجوعنا الى القتال ولذلك كي لا تنسب اليَّ الظلم والغدر بعثت انذرك انهُ في نهار اليوم القادم يكون يوم حرب وقتال انما اذا شئت ان ترحل عن بلادي وتسهل بيننا اسباب السلم والامان اترك عنك القتال واعفوك من ثقلهِ ولا يخطر لك في وهمك انك عدت من الان وصاعدًا تفوز في حربنا لان عساكرنا كثيرة المقدار . والمدد لا يزال يتوارد علينا جيشًا بعد جيش وعسكرًا بعد عسكر ولا سيما ان الملك الروماني ملك بلاد النمسا وسيد الرومان وحاكم النصارى قد بعث اليَّ بفارس بلاده وحاميها وبهلوان تختهِ وهو الامير تمرتاس ولا ريب انهُ يكون قد بلغك طرفًا من شجاعتهِ واقدامهِ وان كان لم يبلغك فاني اصفهُ لك الان لتعلم انك اذا طمعت فيما بعد في حرب تغلب لا محالة فهو بطل لم ترَ عيني اعظم منهُ هيبة ووقار ولا اطول قامة واوسع صدرًا واعرض اكتافًا فلو فتشت في جميع عساكرك لما وجد من يقدر ان يلقاه في ساحة النزال وسوف ترى بعينيك ما تسمعهُ مني الان باذنيك اذا حركك الجهل الى القتال واني ناصح لك ولولدك فيروزشاه ان يحقن دمهُ ويمتنع عن عين الحياه ويرجع عن غيهِ وقد تعهد لي انهُ اذا راه في القتال لا بد من ان يعدمهُ الحياة واعلم يقينًا انهُ قادر على كل ما يقول لان ابنك لا يقاس جسمهُ بضخامة يده ولا رقبتهُ باصبعهِ ولا هو من رجالهِ وها انا قد انذرتك فاحذر لنفسك واختر لها طرق السلام

ثم دفع الكتاب الى بدرفتات فاخذه وسار الى ان وقف بين يدي الملك ضاراب فدفعهُ اليهِ فقراه الى اخره وتعجب من كلام الوليد وكان اكثر عجبهِ من قولهِ ناصح لك ولولدك فيروزشاه

وترجح عنده ان ولده ليس في قبضة الوليد انما لم يخرج من المدينة وربما هو باق عند عين الحياة الا ان هذا الامل كان ضعيفًا عنده لانه كان يخطر في فكره انه غير ممكن ان يقيم كل هذه المدة عندها وهو يعلم انشغال بال ابيه عليه لاسيما وان عين الحياة ليست في قصرها الخاص وليست هي وحدها بل اشبه باسيرة عند طوران تخت ولا يمكن ان يقيم عندها كل هذه المدة الا بارادتها واطلاعها . وبعد ان قرأ الملك ضاراب التحرير اجابه انه ان كان يفتخر بالرومان فانهم سيلاقون الهلاك والوبال واما تمرتاس فما هو ممن يقف في وجه رجال ايران ودفع التحرير الى بدرفتات فاخذه منه وقبل يده بعد ان اخبره بكل ما تلزمه معرفته واكد له ان طارقًا مطلق الحرية وانه مختف في المدينة يفتش على ولده انما لا يعرف في اي جهة هو لان المدينة كبيرة واسعة ولم تساعده خدمته للوزير ان يعرف شيئًا عنه . ولما دخل على الوليد اعرض عليه كتاب الملك ضاراب . فعرف انه مصرّ على الحرب وانه لا يهاب كثرة الفرسان ولا يخاف من شجاعة الابطال اذ لا يحسب للدهر حسابًا وبات القومان على نية القتال ينتظران اقبال الصباح

واما الشاه سرور ووزيره طيفور فانهما اجتمعا الى بعضهما تلك الليلة وهنا الاخر الاول وقال بشراك فهذا الامر قد سهل وتدبر وقرب انفضاض المصائب ولم يعد من مكدر فعما قليل يتفرق هذا الجيش ويقتل فيروزشاه ويمكننا ان نعود الى بلادنا . فتنهد الشاه سرور من عظم الالم وقال له لا تزال تعلق نفسك بالمحال وتعدها بالامال الباطلة اتظن ان تمرتاس يقدر على قهر فيروزشاه والايقاع به وهل يخطر ببالك ان الدهر يعاندهم ويصفو لنا ونحن نرى من عناده في كل يوم ما يحملنا على قطع الرجاء والامل . فاظهر الوزير تعجبه وقال له وانت لا تزال الاوهام تلقيك باليأس فما انت ممن يقف بعزم ثابت في صدر الحوادث ولا ريب ان اقل شيء يضعف عزمك ويرميك في اليأس . فكيف لا ترجح الفوز وتامل الظفر وقد نظرت بعينيك ما هو عليه تمرتاس من الاقدام والاهابة ولو لم يكن اشد شجاعة من فيروزشاه لما كان متقدمًا في بلاد قيصر على ملايين من الفرسان مع ان في عظم جثته برهان كاف لاقناعك وتطمين افكارك . قال ان ما طرأ عليّ من الحوادث وما لحق بي من الانحطاط اضعف لي عزمي انما اوضح لي بجلاء كنه تلك الحوادث وما لا يجد منها حتى صرت لا أُوخذ باعظم الاشياء واني قلت ولا ازال اقول ان لا فارس بين فرسان هذا الزمان يقف بين يدي فيروزشاه ولولا اصراري على عزمي وبغضي له الذي اوجده فيّ باعماله ومغايراته لكنت الان من اقرب الناس اليه واحبهم منه ومهما كان تمرتاس من الابطال الاشداء لا يحسب بشيء عند طومار سلطان الزنوج الذي كنا نكفل النصر بوجوده وهل غابت عن ذهنك مفاعيل تلك الضربة التي وقعت عليه من فيروزشاه وان كنت انت نسيتها فاني لا انساها قط واني مشخص في اذهاني على الدوام عظمها وكيفيتها . فاجابه طيفور واين طومار من تمرتاس وهل يبرهن

عندك ان فيروزشاه يدوم على حالتهِ وتدوم له السعادة والاقبال مع انك شاهدت بعينيك ما لحق بهِ من المصائب وكيف ان المصائب تقلبت عليهِ اشكالاً فاسر مراراً واهين واقيد للقتل وحيث لاياتٍ وقتهُ بعد نجا في تلك الايام من غوائل ما وقع عليهِ انما ليس في كل مرة تسلم الجرة فلا بد من ان تنتهي ايامهُ وذلك لتهوره الى حدا المخاطرة الجنونية التي لا يمكن ان تخدمهُ عليها السعادة في كل الاوقات واخيراً اقول لك ان الحقيقة ستجلى لك في الغد او ما بعده فتعرف من يكون الرابح ومن الخاسر

وفي صباح اليوم الثاني نهض القومان على نية القتال فاسرعوا الى خيلهم فاسرجوها ثم الجموها وتسلحوا باسلحتهم واعتلوا ظهورها وتقدموا صفوفاً صفوفاً رافعين الرايات والاعلام وهم باحسن ترتيب وارتب نظام وكل فارس تسلم قيادة فرقتهِ وخطب عليها موعزاً اليها وجوب الثبات واظهار الشجاعة وكان بهزاد على عساكر طهران وهو يعد نفسهُ انهُ اذا طلب تمرتاس البراز لا ينزل اليهِ احد غيره ولا ريب انهُ يقتلهُ او يأخذه اسيراً فينال المنزلة الرفيعة في قلوب الفرسان ويبعد صيتهُ ويكون له ما كان لابيهِ من الشهرة عند ملوك الزمان وبين المشهورين من الفرسان فيقال انهُ قتل تمرتاس . وما التقت العين على العين . وانتهى نظام الفريقين . الا حملا على بعضهما وقد اطلقا الاعنة وقوما الاسنة . وارتفع الصياح . من كل ناح . وبطل القال والقيل . وكثر البكاء والعويل . واختلط القبيح بالجميل . واصبح القلب بالعليل . وراج سوق المحاق . ونفقت النفوس اي نفاق . ولعب السيف القرضاب . في محكم الرقاب . وكان ذلك اليوم يوماً عظيماً . وذلك القتال قتالاً جسيماً . وقامت القيامة ودخلت الساعة . وسادت الكبرياء وانقرضت الوداعة وفاخر كل فارس بقوتهِ . واعتز كل بطل بسطوتهِ . واخترق تمرتاس صفوف الايرانيين ففعل فيها فعل ابطال الرجال ورماها باسوء حال . لانهُ كان سريع الجري اثناء القتال . خفيف الضرب والطعان . لا يأخذه تعب ولا توان . وبالاختصار فانهُ كان من اشداء فرسان ذلك الزمان . وكان يعلم ان المصريين متكلين عليهِ . وان الرومان مسلمين امرهم اليهِ . وانهم يؤكدون ان الفرس تفر بين يديهِ . ولذلك رغب في ان يري كلاً منهم ما اعطاه الله من القوة والاقتدار والرفعة في الحرب والافتخار . فقاتل وناضل بكل جهده . واظهر في فنون الحرب ما عنده . حتى ابهر النواظر وحير الخواطر . وفعل اعظم من هذه الفعال . بهزاد الاسد الرئبال . فانهُ قصد الرومان بعزم لم يكن لهُ من ثان . وفتك فيهم فتك الاسود باضعف الخرفان . وانزل عليهِ القضاء باشكال والوان . وصبغ وجههُ بالمذلة الى اخر الزمان . والبسهُ اثواب العار والهوان . لانهُ فرقهُ اي تفريق . وضيع كل فارس منهُ بطريق حتى امسى المساء وقد اشتفى فؤاده ونال بعض ما يبتغيهِ وفي الحال ضربت طبول الانفصال . ورجع القومان عن الحرب والقتال . وهما يسكبان لشدة الام التعب صيب

الدموع . ولا يصدقان بالعود والرجوع . ورجع تمرتاس مسرورا بعمله . فارحًا بدخوله بين الاعداء حتى انتهى الى عند قومه فوجدهم على غير انتظام وهم يلفون من عشرة وعشرين عدا عن الذين اصيبوا مجروحين ومقتولين وقد فرشت منهم الارض وتدفقت من ادميتهم فوقها الدماء فلعب الغضب به وسال كيف لحقت بهم هذه الحال ومن فعل بهم تلك الفعال . فقالوا فارسًا من ايران حمل بقومه علينا وهم دوننا في العدد الا انه كان كالنار السريعة الالتهاب . اذا فعلت بادق الاخشاب . وقصدنا ان نقف في وجهه فما قدرنا لان ضرباته كانت كالصواعق المنحدرة . ولا تذهب ضربته باقل من تسعة او عشرة . ولو عمدنا على الثبات . ولم نلتجئ الى الهرب والشتات . لانزل بنا الممات وحملنا اثقل الشدات . قال اني لم ار هذا الفارس واظن انه فير وزشاه او بهزاد اللذين وصفوهما لنا ولاجلهما دخلت بين عساكر ايران املا ان التقي بالاثنين معًا فانزل بهما الهلاك لاني اوكد لو طلبتهما للبراز لا يجسران عليه ولا ينزلان اليّ وهكذا صار لاني لم اصدف احدا منهما بل هربا كل منهما في ناح وقد جاء واحد اليكم مغتنما فرصة بعادي عنكم . واما الان فاني عزمت ان لا أبعد فيما بعد عن معسكري خوفًا من ان يقع بكم المحاق ولا بد ان يقصدكم في الغد هذا الفارس فالتقي به واجازيه على افعاله

واما جيش مصر فقد لحق به بعض الفناء وهلك منه كثيرون حتى لم يعرفوا ماذا يفعلون واي طريق يسلكون وفي المساء عقد الوليد مجلسًا وقال ان هذه الحرب ستكون علينا وبالاً فمن الموافق ان ننضم كلنا ضمة واحدة ويكون فارسها تمرتاس وينحصر القتال به لاني قد شاهدته في هذا النهار وهو بين الاعداء يفعل افعال الابطال وقد التهى عن حمايتنا ثم دعاه اليه وعرض عليه هذه الحال . فقال له لا باس فما من حاجة الى شيء فاني ساريك ما افعل في الغد او ما بعده في الاعداء ولو اني اعرف ان فرسانهم تبرز اليّ في الميدان او تلقاني في قتال لطلبتهم في نفس هذا النهار انما لا بد لي من ان الحق بهم المذلة والعار واهلكهم عن اخرهم وكان قصدي فيروزشاه ففر من وجهي ولم اره قط انما اينما سار واي جهة قصد لا بد ان التقي به فاقتله واعدمه الحياة وان كان في هذا النهار قد وقع بنا التاخير وقتل من جيوشنا جانب فمثل ذلك وقع على الايرانيين ولا ريب انه اذا اصابهم يومان او ثلاثة ايام مثل هذا اليوم يفقدون قوة الثبات اذ ان الجيش الذي يهلك منهم لا سبيل الى الاتيان بعوضه انما الخلل الذي يقع فينا فطرق سده واسعة عندنا . فاطمأنوا بكلامه وارتاحوا الى مواعيده على امل انهم يكونون تحت حمايته

واما الملك ضاراب فانه بعد عودته الى صيوانه اجتمع اليه جميع وزرائه واعيانه وحكوا عن واقعة النهار وقدم كل قائد عدد ما وقع في جيشه من النقص والخلل فكان عظيمًا ولذلك تكدر وقال اني كنت لا اظن انه يفقد فارس فارسي الا بعد ان يفقد خمسون من اعدائه لان دمنا غال لا يباع

باً بخس الاثمان ولذلك اريد منكم ان تكونوا على انتباه لاني وان كنت عالماً بما وقع في جيش المصريين والرومان في هذا النهار من التاخير وكثر القتل انما هذا لا يحسب نصراً الا اذا حافظنا على دماء ابطالنا وحميناها من اعدائنا واوقعنا بهم ولا اريد ان ارجع الى بلادي الا برجالي اجمعهم ان امكنني فوعده الجميع بالانتباه وقال له طيطلوس ان ما كان في هذا النهار كان من تمرتاس ولذلك من الواجب اذا دار القتال ان يترقبه احدنا فيحاوله كل النهار فاما ان يقتله واما ان يمنع شره عن العساكر وبذلك تسود فرساننا ويكفل النصر لنا فاستصوب الجميع رايه وقال له بهزاد اني قصدت ان التقي به في هذا النهار فلم يمكني وقد قصدت جيش الرومان وما رجعت عنه الا بعد ان فرط انتظامه وتشتت شمله وكان غاب عنه وهو في امان من ان احداً من فرساننا يقدر ان يخذله انما في الغد لا بد لي من ان اترقبه كل الترقيب وابن التقيت به لا بد من ان اذيقه الهلاك والوبال ان شاء الله

وبات القومان على نية العود الى القتال في صباح اليوم المتعقب وناموا يتحارثون تحت مشيئة الرحمان . ولما كان الصباح هبوا من مراقدهم واعتلوا على ظهور خيولهم وخرجوا من بين الخيام وتقدموا الى الامام وباقل من ساعة حمل القوم . وكثر العتب واللوم . ودارت رحا الحرب . واختلف الطعن والضرب . والشتم والسب . وحمية تلك النار . وانبعث منها الشرار . ودار دولاب المنايا . وقدمت الارواح ضحايا . وكثرت الزعقات . من كل الجهات . والتقى تمرتاس ببهزاد . واخذا في الجولان والطراد . فتضاربا بالعمدان حتى كلت منهما اليدان . وخدر الساعدان فالقياها الى الشناكل وعمدا الى السيوف . لعلمهما انها اقرب الى انزال الحتوف . فتقاتلا بها قتال الاسود الكواسر . وتناضلا بابواب اعظم فنون البواتر . فكانا ككفتي ميزان او بيضتي قبان . لا ينال احدهما من الاخر مراداً ولا اشفى له فواداً ودواما على هذا المنوال الى قرب الزوال فرجع القومان عند استماع نفير الانفصال . يعلن اقبال الظلام . ويامر بالرجوع الى الخيام . وبعد ان افترقوا راح كل الى ناحية مضربه وقد كان ذلك اليوم اشد من الاول قتل به كثيراً من الفريقين واما تمرتاس وبهزاد . فانهما افترقا دون نوال مراد . وكل منهما مقهور في نفسه على فوات خصمه وكيف انه مضى ذلك النهار دون ان يقضي عليه او ينهي الحال

ورجع الملك ضارب الى خيامه وهو زائد القلق والارتباك لانه نظر الى تلك الحرب وهي دائرة بين الفريقين ونظر الى الفرسان وهي تصول وتجول فتذكر ولده وكيف انه في مثل هذه القتال كان يخطف كالسهم الطيار من جهة الى ثانية وكيف انه اينما حل تنهزم الفرسان من بين يديه وقال في نفسه لو كان ابني هذا اليوم في هذا القتال لكنت انظره مقدماً على الجميع وكنت اكفل النصر لعموم عساكري وربما كان قضي الحال وانتهى على اتم منوال وقتل تمرتاس واخذ هذا الفكر يقوى فيه حتى

زاد عن حد القياس وغى اضطرابة كلما تقدم النهار في الزوال . وعند رجوعه الى الخيام لم يهدأ له بال بل تبلبل بلباله وعظم ارتباكه ولاحظ الوزراء منه ذلك فاجتمعوا اليه وجعلوا يطيبون بخاطره وكذلك اجتمع الفرسان عموماً ونظروا حالة الملك على ولده فما منهم الا من تاثر وحزن على عذاب الملك بنيران بعاد ابنه ودار بينهم الحديث بشانه فكان البعض يفرض انه قتل في قتاله في الاسواق وانه اختلط بين الاموات ودفن دون ان يراه احد والبعض يزعم انه عند عين الحياة وقد اصابه بعد دخوله اليها مرض او امر اخر منعه عن الرجوع والبعض يقول انه في هنا وراحة انما اسباب فوق العادة تحول دون عوده والكل يتعجبون ايضاً من غياب طارق العيار وفيما هم على مثل ذلك الحال واذا بطارق وفيروزشاه وبهروز العيار ومصفرشاه قد وصلوا ودخلوا وجرى ما جرى كما تقدم معنا الكلام . وفرح الجميع به واملوا قرب النصر وكسر الاعداء

قال وكان الوليد تلك الليلة قد لام تمرتاس على عدم مبارزة الايرانيين وقال له ان اهل ايران كلهم فرسان فاذا شغلت انت بواحد فعل الباقون بنا افعال الجان انما ليس فينا من يفعل لان ليس عندنا سواك وفي هذا اليوم قد نقص جانب عظيم من العسكر حتى صرنا نخشى الانهزام . قال اني في الغد ابرز واطلب نزال القوم فمن نزل اليَّ قتلته فاصطادهم واحد بعد واحد وهذا ينفعنا الان المطاولة تمكننا من الاتيان بالفرق وجمع الجند وتمكن الجيش عن الراحة وان لم يبرز اليَّ احد اختشاء من الموت احمل وحدي فاي جهة قصدتها اوقع بها فاذا لم تحملوا لا اظن ان جموعهم تحمل ولذلك نكون نحن الرابحون . وصبروا الى ان كان القتال في قادم الايام فخرجت الجيوش الى الميدان وتقدمت من اليمين والشمال وتهيئت للهجوم كالعادة وكان فيروزشاه قد ركب جواده الكمين وتقدم في جيش الزنوج والى جانبه ميمون . وفي الحال سقط تمرتاس وهو كالبرج المشيد فوق جواد عال من خيول الافرنج ثخين القوائم متينها قصير الرقبة كبير الراس ذيله يكاد يبلغ الارض الا انه كان شديد الحيل قوياً جداً وفي يده سيف عريض من عمل الرومان القدماء متوارثة ابا عن جد وهو مغموس بالجواهر وفي سرج جواده عمده الحديدي معلق من وسطه وملقى عليه بحمل من ثقله ودرعة سميك الا انه قصير من عند رقبته اعتزازاً بنفسه وافتخاراً بمعرفته بفنون القتال . ولما صار في الوسط صال وجال ولعب بالعمد الواناً باشكال . ثم وقف في وسط المجال وطلب البراز ونادى في طوائف الفرس ان تخرج عليه فرسانها وتسرع اليه كماتها وابطالها وما انتهى من كلامه الا صار بهزاد امامه وفاجئه مفاجئة جبار وصدمه صدمة تحير الافكار واخذ معه في الجولان . والحرب والطعان بعد ان عرفه بنفسه انه بهزاد بن فيلزور الفارس المشهور وارتفع فوقهما الغبار حتى كاد يحجبهما عن الابصار وقدحت حوافر الخيل شرار النار . فاوسعا في المجال . وانتقلا من اليمين الى الشمال . وكانت الفرسان تنظر اليهما بالعيان . وهي شاخصة ترى ما يفعل الاثنان . وعلى

اي شيء ينتهي حالهما . وبما يفصل قتالهما . واما فيروزشاه فانهُ تقدم الى الامام خوفًا على بهزاد من الغدر والخيانة لانهُ اختبر بمعرفتهِ خصمهُ تمرتاس وقاس بحكمتهِ معرفتهُ بفنون الحرب فوجده على جانب عظيم وتاكده من الابطال المغاوير الذين ابعد صيتهم الزمان . وخصهم بالشجاعة وعلو الشان وميزهم على سواهم من الفرسان . هذا والقتال منعقد بين الاثنين . وهما كاسدين زائرين . وبطلين مغوارين . تارة يتقاتلان بالعمدان . حتى تخدر منهما اليدان . ثم يعمدان الى السيف اليمان فيتضاربان بهِ اشد مضاربة . ويتحاربان بهِ اشد محاربة . حتى زاد بهما القلق . وسح من تحتهما العرق ونظر تمرتاس الى بهزاد . فوجده من الفرسان الشداد . وتعجب منهُ مع صغر سنهِ كيف اعطاه الله من القوة والمعرفة ما لم يعطهِ الا لقليل من الانام وكان يضربهُ الضربة ويظن في فكره انها تكون القاضية فتسحقهُ ولا يلبث ان يرى ضربتهُ قد ضاعت بالهواء وارسل اليهِ بمثلها في عاجل الحال . حتى كاد يقع بهِ التعب والملال . وخاف من ان يقع معهُ في التقصير او يمضي ذلك النهار ولا ينال منهُ مرادًا فيفتضح من الوليد وقومهِ كيف انهُ لم يقدر على ولد امرد لا نبات بعارضيهِ . ولهذا صاح بهِ وقال لهُ مهلاً يا بهزاد فان الحرب انصاف والقتال واجب فليضرب كل واحدٍ منا خصمهُ ثلاث ضربات على عمده وهكذا نفعل بالدور مرة منك ومرة مني فمن ضعفت قوائمهُ ولم يعد في وسعه ان يلقي ضربات الاخر ولا ساعده زنده على رفع الطارقة لدفع ما يقع عليها كان مغلوبًا فيفعل بهِ الغالب ما اراد وبهذا نظهر قوة كل منا ويعرف القوي من الضعيف . قال اني منصف في القتال محب للعدل بهِ فافعل ما انت فاعل واضرب انت في الاول فاني لا اريد ان يقال اني كنت البادي وانك السامح لي بذلك فاجابهُ تمرتاس وفي ظنهِ انهُ ينهيهُ ويضربهُ بكل عزمهِ ضربة واحدة فيسحقهُ مع طارقتهِ ويرتاح منهُ فحذره ثم جال طويلاً ورفع بيده العمد ولاح بهِ بالهواء حتى حمي وضربهُ بهِ ضربة مستوية مستقيمة بحسب الاصول فوقعت على الطارقة واندفعت الى الوراء دون ان تؤثر فيهِ او ترججهُ ونظر تمرتاس فوجد بهزاد لا يزال قائمًا في بحر سرجه غير مهتم بضربتهِ ولا تتعتع منها بل صاح بهِ وقال لهُ هات الثانية في الحال . فرفع عمده وضربهُ ضربة ثانية اشد من الاولى فكان اوقوعها ما كان للاولى وعاد وصاح بهِ وقال لهُ عجل بالثالثة واستعد لضربي فانك لا محالة هالك في هذه الساعة فلما سمع تمرتاس كلامهُ زاد بهِ الغضب والتهب فؤاده من الغيظ واستصغر نفسهُ كل الاستصغار وعمد الى الخيانة ولاح في ذهنهِ ان لا يضرب الضربة على الطارقة بل يميل بها عنها فتقع على فخذه فينالم فيكمل عليهِ وينهي امره ولذلك رفع العمد في المرة الثالثة ونزل بهِ بكل عزمهِ ولما قرب من الطارقة مال بهِ بمعرفة الى طرفها فاصابت طرفها وهوت الى فخذ بهزاد وكان مصلبًا لعلمهِ انهُ لا يقدر ان يضرب اصولاً الا على وسطها فلم يشعر الا والعمد وقع على فخذه فغيبهُ عن صوابهِ ووقع الى الارض على غير هدى وقد جرح جرحًا بالغًا فعلق تمرتاس العمد واسرع الى السيف وفي نيتهِ ان

يكمل عليهِ وما اقبل لا تمام عملهِ حتى سمع صوتًا قويًا ارتجت منهُ تلك الجبال وقائل يقول لهُ وهُو على مقربة منهُ ويلك يا غادر يا خائن كف عن عزمك واستهدف للاقاة المنية فقد وافاك ليث الحروب وضيغمها وسيدها وواحدها لقد وافاك الاسد المهاب . وفرخ العقاب . الذي لا يخاف من كثرة الفرسان ولا يهاب . فيرونرشاه ابن الملك ضاراب . ولما سمع صياح فيرونرشاه وقد قرب منهُ انكفأ عن عزمهِ خوفًا من ان يسرع الى ضربهِ ومفاجئته ولذلك لم نفسهُ وتهيأ للقتال ونظر ايضًا الى عساكر الفرس فوجدها باجمعها قد حملت بامر الملك ضاراب وهي تصيح مفروحة الفؤاد خوفًا على مقتل بهزاد ليث الطراد وحملت ايضًا عساكر مصر برمتها للمحاماة عن تمرتاس وهي فرحة بهِ مؤملة النصر عن يدهِ وكان اعجل الوصول الى بهزاد بهروز العيار فرفعهُ قبل ان يدنو احد منهُ وعاد بهِ مخترقًا الجيوش حتى اوصلهُ الى الخيام وامر الملك ضاراب طيطلوس ان يعتني بهِ بنفسهِ ويداويهُ باهتمام تام قال واما الجيوش فانها التقت بعضها ببعض . كانهُ قد آن وقت العرض واهتزت من ركض خيولها تلك الارض . وعملت السيوف في الاعناق . عمل المراود في الاحداق وسحقت الرؤوس . وزهقت النفوس . وقامت القيامة . وسادت الندامة . وكان ذلك اليوم عظيم الشان . قليل المثال بين ايام ذلك الزمان . لم يكن مثلهُ ولا كان . فيهِ قصفت الاعمار . وعمت الاكدار . وقل من القوم الاصطبار . وسلموا بانفسهم الى مواقف الاخطار . واستهدفوا للويل والدمار . وشرب كاس البوار . وعلم الفارس المغوار ان النجاة بالثبات والاقتدار . فابدى غاية الجهد للاستظهار . وتاكد الجبان المهذار . ان الخلاص بالهرب والفرار . فعمد الى الاختفاء والاستتار . عن العيون والانظار . فاحتجب القومان تحت الغبار . وكان كثيفًا جدًا كحالك الليل الكثير الاعتكار . ولم يكن يرى منهُ الا لهبات نار . يتطاير منها الشرار . فتأتي بالاضواء والانوار واما فيرونرشاه الفارس الجبار . فانهُ فاجأ تمرتاس الخبيث الغدار وانزل عليهِ المصائب والاهوال وانصب عليهِ كالعارض الطال . وجعل يدور من حواليهِ تارة من اليمين وطورًا من الشمال . ويصيح بهِ حتى وقع بالخبال ولم يرَ سبيلاً للنجاة الا التاخر الى الوراء . والاختلاط بقومهِ والاختفاء فعمد الى ذلك . خوفًا من المهالك . غير ان فيرونرشاه . ما فاتهُ ولا اخطاه بل تعتعهُ بضرباتهِ . وخبلهُ بصيحاتهِ . وكيفما مال مال في اثرهِ . طامعًا بهلاكهِ وضرهِ ولو لم يعجل ذلك النهار بالاتيان بالاعتكار لما نجا قط تمرتاس بل كان ذاق مرارة الموت منهُ وفي تلك الساعة ضربت طبول الانفصال فتكدرت منها عساكر ايران لانها كانت اشفت غليلها وروّت ظماء فؤادها من الاعداء وضربت فيهم ضربًا موجعًا وقتلت قتلاً ذريعًا حتى حشكتهم الى الخيام وانزلت عليهم اشد الويل والانتقام وملأت الارض من موتاهم والباقون كان اكثرهم جرحى لا يطيقون حراكًا والذين كانوا سليمين من الموت والجراح ابتلوا باوجاع التعب حتى امسوا لا يقدرون على حمل السلاح ورجع رجال

الفرس وفرسانهم وهم فرحون بما حل على اعدائهم مكدرون من جرح بهزاد ومالوا باجمعهم نحو مضربه وكان طيطلوس عنده وقد ضمد جرحهُ ووضع عليهِ المراهم وغسلهُ بالماء البارد ودخل الملك ضاراب وهو من الغضب في حال صعب جدًّا وسال عنهُ فطمنهُ طيطلوس وقال لهُ ان الجرح مؤلم انما لا خطر عليه من الموت واني بعنايتهِ تعالى اصرف الجهد في مداواته كي لا يقيم اكثر من بضعة ايام وكان الملك ضاراب قد راى ايضًا ما اصاب المصريين من التاخير فثبت عنده انهم لا يقدرون ان يقاتلوا اكثر من يوم او يومين وبعد يدخلون الى المدينة و يحاصرون فيها فيلتزم ان يدخلها بوقت واحد ولا يريد ان يحاصر المدينة وبهزاد مجروح ولذلك قال لا بطالهِ وفرسانهِ اني موكد ان الاعداء لم تعد نقوم لهم قائمة ولا يقدرون على الثبات طويلاً ولذلك اطلب اليكم ان لا تباشروا قتالاً قبل شفاء بهزاد لاننا نحتاج اليهِ جدًّا عند الحصار ومؤكد عندي انهم اذا لم نطلب قتالهم لا يخرجون من خيامهم فليكن كل منكم على اهبة الهجوم لندخل المدينة عند اول يوم يصير فيه القتال فارحوا خيولكم واستعدوا فاجابوه وجميعهم عرفوا واكدوا ان القتال لا يحتاج الى اكثر من يوم وتفرقوا الى خيامهم واقام طيطلوس على مداواة بهزاد وقد لازمهُ الليل والنهار

قال فهذا ما كان من الملك ضاراب واما ما كان من الوليد ورجالهِ فانهم دخلوا الخيام وهم في حالة ياس وقطع رجاء منتهكون من التعب والضنك وما فيهم من رغب ان يجتمع باخر بل سار كل الى صيوانهِ لا يعلمون الى ما تنتهي حالهم وسار تمرتاس حزينًا على فوات بهزاد وكيف لم يتمكن من قتلهِ واكثر حزنهِ على اظهار عجزه وضعفهِ امام فيروزشاه وعرف من نفسهِ ان لا قدرة لهُ على مقاومتهِ لانهُ شاهد من حربهِ في ذلك اليوم المصائب والاهوال ولولا كثرة الازدحام في القتال وتغلغله بين الابطال والفرسان ومداراته لنفسهِ كل المداراة لما قدر ان يقف امامهُ وربما كان قتلهُ لا محالة وقد ثبت عنده ان فيروزشاه افرس فارس حمل القنا وضرب بالسيف . واما الشاه سرور وطيفور فانهما اجتمعا ببعضهما على انفراد في صيوان احدهما وقال الشاه سرور لوزيره ها قد جلي لك الامر وتبينت الحال فلو كان في تمرتاس من القوة ما نزعم لوقف هذا النهار في وجه الايرانيين ومنعهم من ان يحشكوا عساكرنا الى الخيام وقد قلت لك مرارًا ان فيروزشاه اقدر منهُ وان السعادة والتوفيق يخدمانه ومن اين لتمرتاس او لغيره ان يثبت امامهُ والان نرى ان جيوش المصريين وجيوشنا في حالة رديئة و بعد قليل من الايام يكونون المالكين على البلاد واذا وقعنا في ايديهم ينتقمون منا فكيف الطريق للخلاص . قال لا ريب اننا اذا وقعنا بايديهم قتلونا واهلكونا لانهم همج الطباع لا يراعون زمام الملوك ولا يحترمون الانسانية ولذلك تراني مشغل الفكر في الليل والنهار طلبًا للتوصل الى طريق يصوننا من اعدائنا وقد قصدت ان ان نجتمع بالوليد ونطارحهُ في هذا الامر لان المذكور ايضًا يهمهُ ان ينظر في خلاص نفسهِ والا قتل كغيره ولا نرى في الغد ما يكون من

امره لانني علمت الان انهُ لا سبيل الى الاجتماع بهِ لكونهِ طلب الانفراد والعزلة مع وزيره بيداندبش على امل ان يدبرا امراً يقيهم وجيوشهم من غوائل هذه الحروب . قال لا ريب ان في الغد نظهر نتائج افكاره

وكان الوليد قد دخل صيوانهُ ودعا اليهِ وزيره بيداندبش فحضر بين يديهِ ثم امر ان لا يدعوا احداً يدخل عليهِ ولما اجتمعا قال الوليد قد تبين لنا الان ان تمرتاس عاجز عن القيام بصد هذه الجيوش وليس لهُ القوة الكافية للدفاع عنا من حملات فرسان الاعداء ولاسيما حملات فيروزشاه لانهُ كاد ان يهلكهُ في هذا النهار ولو لم يغدر ببهزاد لما تمكن من جرحهِ او ربما كان قتل منهُ وقد وضح لدينا جلياً الان الحالة التي نحن فيها وثبت اننا لا نقدر ان نقاتل وان العدو انتصر علينا ولا بد من دخولهِ المدينة باي وجه كان ولذلك انفردت بك لاستشيرك في هذا الامر وانظر في رايك علك تجد وسيلة تقينا من الاعداء فاطرق الوزير الى الارض برهة وقال بعد ان رفع راسهُ قد لاح في فكري خاطر واحد يكفل لنا النجاح والظفر والسعادة وبغيره لا يمكن مطلقًا . قال الوليد ابده عاجلاً عساه يكون به الخير قال لا شك في ذلك وهو انهُ قد خطر في فكري المقنطر الساحر وان نقصده ونلتجئ اليهِ ونعرض عليه حالنا ونشرح لهُ كل ما وقع لنا ولا ريب انهُ يسارع الى انقاذنا ورفع هذه الشدات عنا وبغير هذه الطريقة لا ارى فرجًا قط . ففرح الوليد بهذا الراي وقال لهُ لقد اصبت فيهِ فانهُ كان قد غاب عن ذهني والان لا ارى بداً من المسارعة الى هذا الساحر الذي يرغب في ان يحرس بلاد مصر حراسة الاب المولد وهو وحده قادر على كبح اخصامنا والايقاع بهم ولذلك افوض اليك امر المسير اليه واننا لا نسالهُ الا امرًا بسيطًا وهو اسر فرسان ايران الكبار كفيروزشاه وفرخزاد وسيامك سياقبا وطهمور وغيرهم من القواد ومتى كفانا شرّ هولاء اوقعنا نحن بالباقين دفعة واحدة فنهجم عليهم فرد هجمة ونبيدهم عن اخرهم ولا اظن ان الامر بعد ذلك يطول اكثر من يومين او ثلاثة واني ارغب انهُ كما اكتفينا شرّ قتال بهزاد المجروح الان احب ان يكون الباقين بعيدين عن الجيش اذلا حيارى اما عندنا واما عند المقنطر . فقال الوزير كن مطمئن الخاطر قرير الناظر فاني لا بد من ان اسير الى روض المقنطر واتوقع عليهِ واسالهُ المساعدة والمعاهدة وستنظر بعينيك ما يحل بجماعة الملك ضاراب ولا سيما فيروزشاه ومن هذه الليلة اسير واقصد الارياف وادخل على هذا العضد العظيم والسند القوي ففرح الوليد بذلك وافترقا على هذه النية واعتمدا ان يكتما الخبر خوفًا من الاشاعة وان يطاول الوليد في القتال او انهُ اذا احتيج الامر يدخل البلد ويحاصر الى حين عودتهِ

قال الراوي وكان هذا المقنطر من كهناء الزمان العظام وسحرائهِ الكبار اذا تفل في البحر جفّ وصار يابسة واذا اومى الى الجبال مالت من مراكزها وسارت حيث يامرها لا يوجد من هو اشد

منه سحرًا ولا اعظم كهانة في ذاك الزمان وقد اتخذ له مقامًا بين الاربافـ ومصر فاخذ ارضًا كبيرة
وضرب عليها سدًا من كهانته وسحره حتى لم يعد يقدر احد ان يتعداه وابتنى قصرًا في تلك الارض
عظيمًا لا نظير له وبعد ان فرغ من بناية القصر اخذ فزرع في تلك الارض من الحشائش المرة جدًا
كالصبر والحنظل والقنطاريون وغيرها مما تكرهه النفس واتخذ عصير ذلك شرابًا له فكان يمزجه
كل المزج مع سائر انواعه حتى تشتد مرارته وتزيد كراهته وكان ياكل من لحم الحشرات والحيوانات
الفاسدة كالجراذين والحراذين والهررة وقد استقل في ذلك المكان ونشر حمايته على كل اهل مصر
وطلب في اول قيامه هناك الى ملك مصر ابي الوليد ان ياتي اليه صاغرًا فاجاب خوفًا منه واظهر
له طاعته فسرّ منه وفعل مثل ذلك مع ابنه الوليد عند توليته وقال له ان اباك كان صديقًا محبًا
طائعًا وانت اريدك ان تكون كذلك فاجابه وجدد الطاعة له وخرج عنه الا انه كان في كل مدة
يبعث له بالهدايا مع رسله . وكان المقنطر ايضًا قد ابتنى عند اسفل السد بابًا من الحجر الاسود
المنيع واقام عليه بقوة سحره افعى كبيرا ثخينًا تنبعث من فيه النار دائمًا فلا يقدر احد على الدخول
الا بامر المقنطر لان الافعى ينفث ويصيح حتى ينتبه المقنطر وينظر من الزائر فاذا سمح له ابطل
قوة الافعى وادخل ضيفه والاَّ منعه من الدخول وكان متخذًا له اثنى عشر تلميذًا يتعلمون منه
السحر والكهانة ويخدمونه ولا يسوغ لهم بان يخرجوا من تلك الحضيرة المسورة بذاك السد العظيم

فلما كان بعد نصف الليل من تلك الليلة التي اعتمد بها بيداندبش على السير اليه دعا عياره
بدرفتات وقال له اريد منك ان تسير معي من هذه الساعة الى جهة الساحر المقنطر فاننا عزمنا ان
نسير اليه ونعرض حالنا عليه ونطلب مساعدته ومعونته . قال سر من هذه الساعة فاني تحت امرك
منقاد اليك . وفي الحال ركب الوزير وسار ومعه بدرفتات ولا زالا الى ان اصبح الصباح واقبل
اليوم الثاني وعند نصف اليوم الثالث وصلوا الى حظيرة الساحر المقنطر وتبين لهم السد عن بعد
مسورًا حولها وعند بابه ذلك الافعى ينفث دائمًا النار من فيه فتنبعث الى الامام فوقف ينتظر
الدخول واذا برسول الساحر قد وصل اليه وقال له من انتم ولاي شيء اتيتم فان المقنطر قد سمع
صوت الافعى فعرف ان اناسًا يقصدون الدخول عليه فبعثني انظر في امركم واسالكم حاجتكم .
فقال له اني انا بيداندبش وزير الوليد ملك مصر وقد اتيت من قبله لغرض مهم عند سيدك
المقنطر فارجوك ان تستأذن لنا بالدخول عليه لاننا مضطرون الى الرجوع حالاً لرفع الاخطار
عن مصر فانها في ضيق عظيم فاسرع الرسول وكان من تلاميذ المقنطر اليه وعرض عليه كلام
الوزير واستاذن له في الدخول فاذن له وقال له خذ هذه الورقة فالقها على الافعى فتبطل حركته
ودعه يمر ثم الق عليه هذه الورقة الثانية فيعود الى حركته ثم دفع اليه ورقتين كتبهما بالاسماء والطلاسم
فسار التلميذ الى ان قرب من الافعى فابطل حركته واذن لبيداندبش بالدخول فدخل ومعه

بدرفتات و بعد دخولها عاد الافعى الى حركتهِ وسار الوزير وهو بين الرياض وهي مدبجة بالزهور اشكالاً والواناً الا انهُ كان يرى الادغال كثيرة والشوك يتخللها كلها ولما انتهى الى قصر المقنطر نزع حذاءهُ من رجلهِ وفعل كذلك بدرفتات وكانا يريان القصر مفروشاً باثمن المفروشات مما يبهر النواظر ولا يوجد مثلهُ عند اعظم الملوك . ولما وقف بين يديهِ سجد لهُ مظهراً طاعتهُ فامر لهُ بالجلوس فجلس وامر ان يؤتى لهُ بالشراب الذي يشرب هو منهُ وكان مركبًا من اربعين مادة حنظلية مرة فلما وضع الوزير الشراب على فيه وذاقهُ لم يقدر ان يشرب منهُ شيئًا فارجعهُ واستاذن بان يعفيه منهُ فاعفاه . و بعد ذلك عرض عليهِ الوزير حاجتهُ وقال لهُ في آخر كلامهِ اذا تهاونت انت عنا ولم تسرع الى انقاذنا خربت البلاد وخرجت من يد الوليد ودخلت في يد اهالي ايران وتدخل الاجانب مواضعنا وهم غير حاسبين لك حسابًا وقد راى سيدي الوليد هذا الامر وعرف انهُ لم يعد يقدر ان يدفع العدو عن البلاد قال لي اذهب وقبل عني ايدي الاستاذ المقنطر واخبره بكل ما جرى لانهُ مسئول بحماية ارض مصر باجمعها لانها وطنهُ وتحت رعايتهِ فاذا عرف ما حلَّ باهلها لا يصبر عن عدوهم بل يهلكهُ ومن الفرض اللازم اعلامهُ خوفًا من ملامهِ ولذلك اتيت اليك اطلعك على الواقع واسالك المساعدة على عدوهِ وطرده من بلاده بحيث لا يقال بين الملوك اني عاجز عن دفعهِ مع ان عنده جيوش لا تعد ولا تحصى و بلاده تحت حماية المقنطر الساحر رئيس سحراء هذا الزمان وسيد كهنائهِ . فلما سمع المقنطر هذا الكلام ضحك منهُ ضحكة الغضب وقال لهُ كن مطمأ ن البال فان عدوكم هو الان في يدكم فمهما شئتم ان تفعلوا بهِ فعلت فلا شيء اهون عندي من هلاك الملك ضاراب وولده وفرسانهِ وتشتيت شمل جيوشهِ فاطلب هلاكهم على اي طريق شئت قال انا لا نريد هلاكهم الا بسيوف فرساننا وابطالنا ولذلك نريد منك ان تشتت لنا الفرسان الذين عليهم الاعتماد كفير ونرشاه وبهزاد وفرخوزاد وبيلتا وسيامك سياقبا وبهمزارقبا وبهمزا رقلي وطهمور وميمون ومصفرشاه وكرمانشاه وخورشيد شاه وجمشيد شاه وبقية القواد ومتى بعد هولاء عن جيش فارس سهل علينا اخذهم فنطاردهم الى ان نفنيهم عن اخرهم ولذلك تكون انت قلعت علة قواهم واضعفتهم ونحن انهينا العمل واحرزنا بسيفك النصر والظفر . فقال المقنطر اكتب لي اسماء الذين ترومون ابعادهم عن الجيش فاستاسرهم واتي بهم الى هنا ومن ثم بعد عذابهم وقهرهم اميتهم اشر ميتة واحرقهم بالنار وافعل بهم العجائب فسر الوزير من كلامهِ وجعل يعد لهُ الفرسان واحدًا بعد واحد حتى عدَّ لهُ نحو تسعين اميرًا من امراء العجم الذين عليهم الاعتماد و بيدهم قيادة الجيوش الاولية والثنوية و بعد ان فرغ من عددهم كتب المقنطر اسماء الجميع كل اسم على رقعة صغيرة وقرأ على الجميع من بحر علمهِ ودفعها الى بيداند يش وقال لهُ خذ هذه الاوراق بيدك فمتى وصلت الى الوليد اعطهِ اياها وقل لهُ يباشر الحرب ولا ريب ان الفرس يركبون جميعًا لقتالكم

فحين نزولهم الى الميدان اذروا عليهم هذه الاوراق فتروهم يتطايرون واحدًا بعد واحدٍ اليّ وهنا افعل بهم ما اريد فاشبحهم بالقيود واعذبهم امر العذاب الى ان تنتهوا من هلاك الباقين فتاتي مع الوليد والامراء وتشاهدان موتهم واذا جد في اثناء ذلك عليكم من الحوادث شيء جديد فعد اليّ واطلعني عليهِ فاني منقذكم منهُ وبما انكم من اعزاء وطني فلا امنعكم من الدخول اي وقت شئتم في الصباح او في المساء وها اني ادفع اليكم الان خاتم لابطال السحر ففي اي وقت طلبتم الاتيان اليّ يمكنكم ان تاتوا فتضعوا الخاتم في وجه الافعى فتبطل حركتهُ الى حين تدخلون وهذا دليل كبير على حبي ورغبتي في صوالحكم فشكره الوزير على عملهِ واطنب في مدحهِ كثير الاطناب . وبعد ذلك امر المقنطر ان يؤتى لهما بالطعام فوضع امامهما وهو من الحيوانات الكريهة والحشرات فاعتذر الوزير عن الاكل وقال لهُ يا سيدي انا لم نعتد على مثل هذه المآكل لاننا من ضعفاء الناس وما هذا الا من وحدانية اقتدارك على كيد المكاره وقهرها فانها لا توثر فيك كونها تطيعك بخلافنا نحن فقال لهُ لا بأس فلا ياكل من اكلي و يشرب شرابي الا كل صلب النفس صبور القلب

وبقي الوزير عند المقنطر مع عياره بدرفتات كل ذلك النهار دون ان يذوق طعامًا او شرابًا وما صدق ان سمح لهُ بالذهاب حتى قبل اياديهِ وخرج من عنده وقد اخذ منهُ الخاتم وسار الى ان وصل الى الافعى فاراه اياه فوقف عن الحركة فمر بيداندیش مع عياره ولما صارا في الخارج نظراه وقد عاد الى عملهِ الاول . فقال لبدرفتات ان المقنطر الساحر هو لا ريب من اعظم سحراء هذا الزمان لا يقدر عليهِ احد قط ولو جئناه من الاول لتوفر عنا اثقال كثيرة تكبدناها في حرب الاعجام ولكن الحمد لله على نوال المراد فهو مخلص لنا كل الخلوص ولولا ذلك لما اعطانا هذا الخاتم فهو لا يثمن بثمن وسوف اريهِ للوليد ليفرح بهِ وبعد ذلك ادفعهُ اليك ليبقى محفوظًا عندك الى حين الحاجة اليهِ لاني اخاف اذا بقي عندي ان اسهى عنهُ لكثرة اشغالي واشغال افكاري فيفقد ولا ادري بهِ . قال لهُ لا بد ان اذكرك لتدفعهُ اليّ فاني اضعهُ في احفظ مكان واني اعلم جيدًا اننا في حاجة اليهِ لانهُ لا بد من عودتنا مرة ثانية وثالثة الى المقنطر لقضاء ما يجد من الحوائج ثم ركبا وسارا كل ذلك اليوم واليوم الثاني والثالث حتى دخلا الجيش واتيا الوليد عند المساء فدخلا عليهِ وكان اذ ذاك في صيوانهِ فسلم عليهِ الوزير واخبره بنجاح مسعاه وعرض عليهِ كل ما كان من امرهما مع المقنطر وكيف انهُ اعطاه الاوراق مكتوبة باسماء الفرسان والابطال وامره ان يذريها بالهواء عند البداية في القتال فيطيرون اليهِ في الحال على مرأى من جميع الجيوش واراه الخاتم وحكى لهُ عن فعلهِ وكان الشاه سرور حاضرًا وطيفور ففرحا غاية الفرح وسر قلبهما غاية المسرة واملا بالنجاح وصبرا الى حين انفضاض الناس فسارا الى محلهما فقال طيفور الم اقل لك مرارًا ان النصر لا يبعد عنا وانهُ مهما جرى علينا من المصائب لا بد لنا من ان نصل اخيرًا الى انفاذ غايتنا فماذا يا ترى يقدر

فيروزشاه والملك ضاراب ان يفعلا في مقاومة هذا الساحر ولا ريب اننا في الغد او ما بعده نرى جيوش فارس متطايرة في الفضاء واحدًا بعد واحد و بعد ذهاب هولاء الفرسان يضعف رجاء الملك ضاراب فاما ان يرجع حالاً برجالهِ خوفًا من ان يلحق بهِ ما لحق بقومهِ واما ان يطمع في القتال فنحاربهُ ونبيده مع قومهِ من اول مرة قال لا نعلم بما تاتي الحوادث وماذا يقدر ان يفعل هذا الساحر اذا كانت العناية الالهية تساعد الايرانيين وتوفق اعمالهم وتقدمهم في هذه الحياة . قال وهل ان العناية مخصوصة لهم اليس اولئك يعبدون الله و يعترفون بانبيائهِ ونحن ايضًا نعبده والمصريون مثلنا فاذا وفقهم يومًا وفقنا مثلهُ واذا نظر اليهم مرة نظر الينا ثانية . سيما وانهم هم الظالمون لانهم قصدوا اذانا وطلبوا اغتصاب بناتنا وطردونا من ملكنا وتاثرونا الى هذه البلاد ومن اكبر اسباب التوفيق الذي سهلهُ لنا الله وجود هذا الساحر الذي وعد بالايقاع بالاعداء ولا يمضي الا القليل من الايام حتى ترى ما يسرُّ بهِ خاطرك وتتاكد نجاح المساعي :

و بعد ان مضى على ذلك يومان نهض الوليد وامر عساكره ان تستعد للقتال فامر ان تضرب طبول الحرب منذرة الاعداء بوجوب الحرب في ذلك النهار وسمع الملك ضاراب طبول المصريين فامر ان تضرب طبولهُ اجابة للمثل وتهيأ العسكران وترتب الفريقان وركب بهزاد ايضًا وكان قد ضمد جرحهُ وخف وجعهُ فمنعهُ فيروزشاه وقال لهُ ان الامر لا يحتاج اليك في هذا النهار وارى من الموافق ان تبقى في صيوانك الى الغد او ما بعده الى حين تتقوى وتشتد اكثر فاكثر . قال لا بد من القتال فاني لا ارى مانعًا يمنعني واني ما صدقت ان صرت قادرًا على ركوب الجواد لاخذ لنفسي بالثار واري تمرتاس كيف يكون الغدر والخيانة وتقدمت العساكر صفوفًا صفوفًا بعد ان اعتلت على خيولها ورفعت اعلامها وراياتها وتهيأت قوادها وابطالها وكان يلوح للاعجام ان ذلك اليوم يكون يوم الانفصال وانهم سيوقعون بالاعداء ويشفون منهم الغليل و يشتتونهم بالرغم عنهم . ولما صار الفريقان قريبان من مباشرة الضرب والطعان اخذ الوزير بيداندیش الاوراق التي اتى بها من الساحر المقنطر واذراها بالهوى فتناثرت من يده وتطايرت بقوة ما هو عليها من السحر وانتشرت كالنجوم وسارت كل ورقة الى صاحبها المكتوب اسمهُ عليها فوقعت على راسهِ و باسرع من لمح البصر صارت الفرسان ترتفع عن ظهور الخيول وتتطاير الى الجو الاعلى وكان فيروزشاه راكبًا جواده الكمين فحالما وقعت الورقة على راسهِ انحلت اعصابهُ وارتخت مفاصلهُ وارتفع بالرغم عنهُ عن جواده وقصد الجو الاعلى لجهة المقنطر الساحر وتبعهُ بهزاد ومن خلفهِ سيامك سياقبا وخورشيد شاه ومصفرشاه والبهلوانية الستة تلامذة فيلزور وجميع القواد الذين يبلغ عددهم نحو تسعين اميرًا من الروساء حتى انبهر الملك ضاراب ووقعت عليهِ الرعبة والخمول وشاهد بعينيهِ تلك الافعال السحرية التي لم يكن يعلم لها سببًا فتحير وارتبك وصاح من ملء راسهِ على غير وعي وقال ما هذه الحالة

لقد هلكنا ووقعنا في الخطر المبين وجعلت فرسان ايران تصيح وتنادي وتدعو الله مستغيثة من جور تلك الاعمال . واما المصريون فقد كثر بينهم الفرح والسرور وجعلوا يهنون بعضهم بعضًا وتبينوا النصر عيانًا بيانًا وشاهد الوليد وهو تحت اعلامهِ ما كان من حالة اعداه فاوعب قلبهُ فرحًا وسرورًا وراى ما كان حكاه لهُ الوزير قد وقع واشتفى قلبهُ ومثلهُ طيفور والشاه سرور وما منهما الا من طفح قلبهُ بالفرح وخاف الوليد من ضياع الوقت فامر عساكره بالحملة فحملت حملة واحدة وصاحت صياح التهديد وارمت بانفسها على جموع الايرانيين فالتقتها بقلوب صابرة على الاهوال وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وعظمت الاحوال والامور . وكثر الويل والثبور وساد السيف بسلطانه . وافتخر بعلو منزلته وشانه . وقد اغمد في الصدور والاكباد . واستعمل لتفريق الارواح عن الاجساد . واخضاع كل جبار عنيد . وفارس صنديد . ولم يكن الا ساعة من الزمان حتى ارتفع الغبار الى العنان . وتسردق فوق تلك الجموع . كالرواق المجموع . وانبسط على الرؤوس بعد ان تلاعبت بهِ الاهواء . ورفعتهُ الى اعلى العلاء . فانغمست تلك الابطال بالدماء واكتحلت المصائب باميال العماء . وكان ذلك اليوم على اهالي ايران . يوم مصائب واحزان . وقد فتكت بها الاعداء فتكًا ذريعًا . وفعلت بها فعلاً شنيعًا . لان تمرتاس ساد وماد . وفعل افعال الابطال الشداد . حتى روى من دمائهم ظماء الفواد . ولم يكن من يقدر ان يلقاه . ويمنع شرهُ واذاه . ففضح الجيوش بقوة عزمهِ وقدرته . وفرقها بعظمة شجاعتهِ وبسالته . وقد اشتدت بهِ قلوب المصريين . وتقوت افئدة اليمنيين ففعلوا فعال الفرسان . وقاتلوا قتال الشجعان . وماجاء آخر النهار الا كانت الاعجام في حالة ذل وانكسار . وقد لحق بها التاخير والدمار . وقتل منها عدد كثير المقدار . وعند المساء ضربت طبول الانفصال . ورجع القومان عن الحرب والقتال . وما صدق الاعجام ان وصلوا الى المضارب والخيام تخلصًا من شرب كاس الحمام فانهم لاقوا في ذلك اليوم من الاهوال ما لم يلاقوا قبل ذلك الان ونزل الملك ضاراب في صيوانهِ وهو بحالة هم ونكد لا يعرف يمينهُ من شمالهِ ولا يفرق بين النور والظلام ولم يطب لهُ قط طعام ولا مسامرة ولا كلام ولم يمض الا ساعة من الزمان حتى جاء طيطلوس ودوش الراي واقاما عنده وهو لا يقبل ان يكلم احدًا لما حل بفرسانهِ وابطالهِ ولاسيما ولده فيروزشاه وهو لا يعرف الى اي جهة اخذوا وبقوة اي ساحر رفعوا وهل انهم يذبحون او يبقون احياء الى ان يسهل الله لهم الخلاص وكان كلما امعن في الارض تنمو في راسهِ الافكار وتزيد انفعالاً حتى كاد يطير عقلهُ ويخرج عن الصواب ولما راى طيطلوس حالتهُ خاف عليهِ من أن يجن ويخسر عقلهُ . فقال لهُ ثق بالله يا سيدي ولا تقطع رجاءك من رحمتهِ فليس هو ممن يظلم خائفيهِ او يرضى لهم بالعذاب وان كان ولدك اليوم مع بقية الفرسان اخذوا ظلمًا فليس لاخذهم القوة التي لاهلنا سبحانهُ وتعالى فاذا كان المصريون يتكلون على السحراء

فاننا نتكل على الله السماء وقد وقع ولدك بمصائب جمة اعظم من هذه فخلصه الله منها ولا بد ان نعلم علم اليقين الى ابن رفعوا وليس لنا الا بهروز العيار وشبرنك وشياغوس وطارق ان يكشفوا لنا الاخبار ويفحصوا عن السبب الذي اوجب فقدان فرساننا ومن هو الذي اوصل شره الينا قال بهروز لا بد لي من الاكتشاف والسعي وراء هذا الامر والاطلاع على فاعل هذا الفعل المنكر وايصال الاذى اليه

قال الراوي وما اكمل بهروز كلامه حتى وقف بدرفتات العيار في باب الصيوان وحياهم بالتحيات والاكرام فانعطف خاطر الملك اليه وتوجهت افكار الحضار الى قدومه وادنوه منهم وقال له الملك ضاراب ما وراءك يا بدرفتات من الاخبار وهل عندك علم بامر فرساننا وابطالنا والى ابن جذبوا . قال اني ما اتيت اليكم الا لهذه الغاية فان عندي من الاخبار صحيحها وقد استغنمت هذه الفرصة لاعرض عليكم ما كان من امر فيروزشاه وبقية الفرسان . فقال طيطلوس اوجز بالمقال فاننا على مقالي النار . قال اعلموا ان فرسانكم باجمعهم عند المقنطر الساحر في قصره يقاسون العذاب الاليم . ثم حكى لهم كل ما كان من امرهم الى ان انتهى الى قوله ان المقنطر المذكور دفع الى بيدندايش الوزير الورق وقال له اذرها في وجوه الفرسان فيتطايرون في الفضاء ويأتون اليّ واخيرًا دفع اليه ايضًا الخاتم ليسهل في وجهه الدخول وتزول الموانع وتبطل حركات الافعى السحرية . ولما وصل الى هذا الكلام تكدر الملك ضاراب وقال اني لم اكن احسب حسابًا لهذا الساحر وكنت على نية الدخول الى المدينة وترجح لديّ نهاية هذه الحرب . فمن يا ترى يقدر ان يصل الى المقنطر الساحر ويخلص لنا فرساننا وكيف نقدر ان نجد ساحرًا مثله يقمعه ويعيد كيده الى نحره ويرد علينا فرساننا انما الله وحده قادر على مساعدتنا . ولما فرغ الملك ضاراب من كلامه قال بهروز لبدرفتات اريد منك ان تاتيني بالخاتم الذي قلت انه يبطل حركة الافعى لاني عزمت على ان اطرق قصر المقنطر الساحر وتكون انت برفقتي فنخلص الفرسان باجمعهم قال كيف يمكنك ان تتوصل اليه واذا وصلت اليه كيف تقدر على قتله وهو ساحر ماكر يقدر ان يعرف غايتك ومن انت واذا عرف بك اصطادك بكيد سحره والقى عليك شرك مكره فياسرك ويقرنك الى قومك ويفعل بنا العجائب فنكون قد رمينا بانفسنا الى وهدة الخطر عن جهل وطيش . قال لا تخف من كل ما ذكرت فانه لا يقدر ان يعرف من نحن واذا عرف لا يقدر ان يوصل الينا اذى لان عندي ثلاث البسة من عمل صفراء الساحرة نلبسها فتقينا من كل ساحر ماكر وقد علمتني صفراء المذكورة ما اقدر ان اوقع بالسحرة اذا امتنع عليّ قتلهم ولذلك تراني قادرًا على كبح هذا الساحر ومنع سحره بالحيلة وبالقوة انما اللازم ان تاتيني بهذا الخاتم لنرمي به الافعى ونبطل حركتها واني بحوله تعالى قادر على ان اكفل نجاح خطتي . قال اني اسير في هذه الليلة الى الوزير واصرف الجهد الى الاستحواذ على الخاتم وفي

الليلة الاتية اتيكم به ومن ثم ننظر الطرق الموصلة الى الغاية فاطمأن بال الملك ضاراب وقال طيطلوس لا خفى ان حالتنا صعبة جداً وان مركزنا صعب جداً واننا اذا حاربنا الاعداء الى حين عودة فرساننا نصبح مضغة في فم البلاء والعناء لان فرسان الاعداء كثيرون وقد طمعوا فينا غاية الطمع واستغنموا فرصة غياب رجالنا ولهذا رايت من الموافق ان نرجع بالعساكر الى الوراء وندخل بين الادغال والاحراش ونحاصر فيها الى حين رجوع فرساننا وعندي انهم سيتخلصون بعناية الله تعالى وحسن مساعدته . قال الملك ضاراب ان في ذلك النجاح وحفظ دم العساكر من الهدر لاننا اذا حاربنا يوماً او يومين نصبح فريسة المنون ونفنى عن اخرنا فهل تعرف من مكان نقدر ان نتحصن به حتى اذا قصدنا الاعداء قتالنا دافعنا عن انفسنا الى ان ياتينا الفرج منه تعالى . قال اني ارى الى الوراء آكاماً مملوءة من الاحراش تصلح جداً لقيامنا فيها فمتى جاءنا المصريون حاربناهم بكل طاقتنا فاذا ظهرت الغلبة علينا رجعنا الى مراكزنا وانهم لا يقدرون ان يتبعونا اليها فاستحسن الجميع هذا الراي وامر الملك ضاراب ان تستعد العساكر لتقلع بعد نصف الليل الى تلك الاكام وعاد بدرفتات بعد ان ودعهم ووعدهم ان يوافيهم الى محل اقامتهم في الليل القادم واما الملك ضاراب فانه بعد مسير بدرفتات قلع صيوانه ورفعه على ظهور البغال وجعلت العساكر تقتلع مضاربها وترفعها على خيولها وباقل من ساعة من الزمان كرت جيوش ايران راجعة الى الوراء بحالة الذل والانكسار فسبحان مذل الجبابرة ومغير الاحوال فهو الحي الباقي ولا زالت تلك العساكر سائرة دون ان يبدي احد منهم حركة او يفوه بكلمة من الحزن على ما اصابهم الى ان وصلوا الى تلك الاكام فتسلقوها وانزلوا احمالهم ونصبوا مضاربهم وباتوا ينتظرون الصباح الكاشف لكل مستور والمظهر خفايا الليالي السود

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الوليد وجماعته فانهم عادوا عند مساء النهار الذي حازوا به النصر والظفر وهم بغاية الفرح والمسرة تكاد الدنيا لا تسعهم من عظم ما نالهم ولما دخلوا الخيام نزلوها واستراحوا فيها وعند بداية السهرة اجتمع على الوليد رجاله ومقدموه وهنأوه بالنصر وبقهر اعدائه وقال له طيفور هاانذا قد زال الخطر ولم يبق من امر مكدر فان اعداءك قد لاقوا شر اعمالهم وها ان فيروزشاه تدفقد ومعه كل فارس وبطل من بين جيوش فارس وهذه الشرذمة القليلة الباقية امامنا لا تلبث ان تنقرض بعد يوم او يومين وتخلو هذه الارض منهم وبعد ذلك نزف ولدك الشاه صالح على عين الحياة بنت سيدي الشاه سرور ونرجع الى بلادنا فياليت كان ذلك من اول الامر اي ياليته خطر لكم من البداية ان تذهبوا الى المقنطر وتستعينوا به لكان توفر عليكم مصائب شتى . قال ما مضى فات وليس لنا ان نندم على امر انقضى بل يجب ان نفرح لما احرزنا من النصر في هذا النهار واننا بهمة تمرتاس لا يمسي اليوم الاتي الا وقد فرقنا جمع الاعداء

تفريقاً كاملاً بحيث لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل . ودار الحديث بينهم عما يفعلون في الغد ومن يكون في الميمنة ومن يكون في الميسرة وقد وعدهم تمرتاس انهُ يكون في القلب وانهُ لا يرجع عن القتال ما لم يأت بالملك ضاراب قتيلاً او اسيراً . وعند انقضاء السهرة انصرف الجميع من صيوان الوليد وسار كل واحد الى جهة وكان بدرفتات قد عاد من عند الملك ضاراب فسار برفقة بيداندیش وهو يظهر لهُ التعجب من عمل المقنطر وقال لهُ في اخر كلامهِ اني اخاف يا سيدي ان يضيع منك هذا الخاتم الذي لا يثمن بثمن لاسيما واننا نحتاج اليهِ اذا قصدنا الساحر المقنطر او اذا وقف في وجهنا رصد اخر او اذا اردنا ابطـال سحر اضطررنا الى ابطالهِ وقد رايت في نومي امس انهُ فقد منك فقمت مرتعباً وكنت اود في هذا النهار ان اسالك عنهُ ان تسلمهُ اليَّ فسهى عن بالي والان اطلب اليك ان تدفعهُ اليَّ بحق مالي عندك من سابق الخدمة لاني اعددت لهُ مكاناً عظيماً وهو اني قصدت ان اربطهُ بار بطة من الحرير الرفيع واعلقهُ في عنقي حتى لا يقدر احد ان يصل اليهِ ولا يغيب عن نظري يوماً واحداً قال صدقت فما من حاجة لبقائهِ عندي وقد سالتك من البداية ان تبقيهُ عندك على امل مني ان يبقى محفوظاً

ثم ان الوزير دفع الخاتم الى بدرفتات العيار واوصاه بالحفظ عليهِ لانهُ كان كما تقدم يركن اليهِ كل الركون ويسلمهُ كل اشغالهِ واعمالهِ واموالهِ . فاقام بدرفتات صابراً الى الغد ليذهب بالخاتم الى بهرونر . وفي صباح اليوم الثاني نهض الوليد من نومهِ وفي نيتهِ ان يحارب اعداءه الاعجام حرباً شديدة يفنيهم بها عن اخرهم فنظر الى جهتهم فلم يرَ احداً ونظر الارض خالية خاوية وروح الطبيعة يرفرف على وجهها وما من بشر عليها غير الاثار الباقية فوقف باهتاً الى ان اجتمع اليهِ جميع اعيانهِ ووزرائهِ وكانوا قد شاهدوا غياب الايرانيين فظنوهم انهم قد رجعوا عنهم وتركوا الحرب ولذلك دعاهم للمشورة فدخلوا الصيوان وانتظموا حلقة ثم قال الوليد على ما اظن ان الملك ضاراب وجد نفسهُ مغلوباً فاختار البقاء على العدم فكر راجعاً اما الى بلاده واما الى بلاد اليمن فما هي الطريقة وبما ترون من الراي انسير في اثره او نلبث في مكاننا الى ان يظهر لنا امره . فقال بيداندیش انهُ لا بد لنا من لحاقهِ حباً بصالح الشاه سرور لانهُ لا ريب يسير الى بلاده وينتظر عودتهُ اليها فينتقم منهُ ويأخذ بثار فرسانهِ وابطالهِ من رجالهِ وقومهِ انما في الحاضر لا يمكننا ان نتاثره بل من الواجب اولاً ان نذهب الى المقنطر ونعرض عليهِ الواقع ونطلب اليهِ قتل الفرسان الذين عنده ومن ثم نعود الى هنا فننزف عين الحياة على الشاه صالح ونرى اذا كان يقبل المقنطر الساحر في ان نسير خلفهم فيدفع الينا وسائط النصر او يرى لنا طرقاً اخرى لخلاص بلاد اليمن وهلاك العدو . والان ارى من نفسي الخطاء والغلط لاني لو طلبت من المقنطر ان يضيف الى الفرسان الذين استاسرهم الملك ضاراب وطيطلوس لكان هان علينا الامر ولا قدروا ان ينجوا من ايدينا . فقال تمرتاس لا حاجة الى المقنطر

الساحر فان العجم امسوا في حالة ذل وقهر فمن اللازم ان تتاثرهم ونوقع فيهم ونهلكهم عن اخرهم وهذا الراي من احسن الاراء واصوبها والا اي فضل لنا اذا التجئنا الى الاعمال السحرية في حال انتصارنا ومجدنا وفوزنا . واذ ذاك تكلم طيفور وقال ان من الخطإ ان نعتقد انهم قد رحلوا الى بلادهم وتركوا فرسانهم بيد المقنطر وان صح ظني يكونون قد اتخذوا مكاناً لم يحميهم منا الى حين يكونون قد سعوا بخلاص قومهم فاسند الشاه سرور قوله وقال من الواجب ان ترسل عياريك ان يفتشوا في نواحي مصر واكامها ولا ريب في انهم مختفون فيها فاذا سرنا في طريق اليمن يغتنمون الفرصة بعدنا ويتملكون المدينة ونقع معهم بالغلبة بعد النصر والظفر. فقال الوليد ان هذا عين الصواب فقبل كل شيء يجب ان نفتش في صواحي مصر ونواحيها حتى اذا قطعنا الرجاء من وجودهم فيها نظرنا في امر تاثرهم والا اذا كانوا لا يزالوا مقيمين في احدى الادغال او الاكام سرنا اليهم واوقعنا بهم ولا نترك لهم فرصة للم شعثهم . وفي الحال امر العيارين ان يتفرقوا و يعودوا اليه با لعجل دون ابطاء فساروا وما غابوا الا ساعات قليلة حتى عاد اليه هلال العيار وقال له اعلم يا سيدي ان الاعداء لا يزالون مقيمين في بلادك وقد رجعوا الى الوراء بضعة اميال فقط وهم متحصنون في الاكام والشعب ووضعوا العيون والارصاد تراقب لهم حركاتكم وقد نظرتهم عن بعد في الطريق المودية الى جهة الشرق وذلك لما سرت من هنا للاكتشاف عليهم تتبعت الاثار واتخذت اثر حوافر خيلهم دليلاً كبيراً على التوصل اليهم ولا زلت حتى وصلت الى المكان الذي اقاموا فيه فوقفت عن بعد اتاكد وجودهم وخفت ان اقرب منهم فيلقون القبض عليّ اذا راوني فكررت راجعاً اذ تحققتهم عين التحقيق . قال طيفور اذن لا بد لنا من مطاردتهم في تلك الناحية بحيث نهلكهم عن اخرهم ونسد عليهم الطرق ونمنع عنهم الشارد والوارد فقد رماهم الله في ايدينا فلنتمم عملنا قال الوليد لا بد من فناهم عن اخرهم وقد خطر لي خاطر واحد نقدر به ان نهلكهم ونبيدهم بوقت قريب وذلك اعتمدت ان اقسم جيشي قسمين قسم يحاربهم في النهار وقسم في الليل وبهذه الطريقة يبادون و ياكلهم التعب لان الجيش الذي يحاربهم في الليل يعود في اول النهار فياخذ لنفسه الراحة بالنوم و ينوب عنه جيش النهار وهذا يعود ايضاً في اول الليل للراحة فيقوم مقامه جيش الليل وهكذا يكون عملنا الى ان نفنيهم عن اخرهم وبهذه الطريقة لا نترك لهم وقتاً للراحة ولا للاكل فاستصوب الجميع رايه واختاروه على غيره . وقالوا لا بد من اتمام هذا العمل بالسرعة وفي الحال دعا الوليد قائد جيوشه العام وكان اسمه الامير مسعد فقال له خذ لك اربعمائة الف من الفرسان وسربهم في هذا الليل الى الاكام التي في شرقي المدينة وحارب الايرانيين حيث اقاموا هناك وفي الصباح عد الينا فيكون قد سار عوضاً عنك تمرتاس بالفرسان في اول النهار فكن على حذر حتى اذا صارت الساعة ٢ من الليل وصلت اليهم وانزلت بهم العبر واياك من التماهل او التقاعد لاني لا ارغب في المطاولة واحب هلاك

الاعجام بوقت قريب جدًّا فوعده القائد مسعد ببذل الجهد في نوال المراد وانهُ يضيق على الاعداء غاية المضايقة ولا يرجع عنهم ما لم ينزل بهم الويلات والمصائب وكذلك تعهد تمرتاس بانهُ اذا بقي منهم بقية انهى امرها في النهار القادم واقاموا ينتظرون المساء واما بدرفتات فانهُ عندما علم بما دبره الوليد تكدر مزيد الكدر وخاف من ان يلحق بالايرانيين ضرر او يتم عليهم امر فلم يشأ ان يصبر الى المساء بل سار من بعد الظهر الى جهات البر ولما بعد عن قومهِ مال الى النواحي المقيم فيها الملك ضاراب ولا زال متسلقًا الآكام الى ان وقف بين يديهِ فقبل الارض وعرض عليهِ ما كان من امر الوليد وتدبيره وانهُ امر بدوام الحرب ليلاً ونهارًا فلم يبدِ الملك حركة ولا فاه بكلمة بل اطرق الى الارض الى ان قال بدرفتات وها اني قد جئت يا سيدي بالخاتم الذي وعدتكم باحضاره فاخذه منهُ بهروز وقال اني كنت اود ان اسير في هذه الساعة لو كنت اعرف انهُ يوجد في الجيش من يقوم مقامي سيما وان الامر الان خطير والخوف من المصريين كثير ويحتاج الامر الى التدبير فلننظر في طريقة توصلنا الى منع الاعداء من الوصول الينا هذه الليلة . فقال طارق العيار لا تخف انت على الجيش فعجل الى خلاص الفرسان بما قدرت من السرعة واني اعدك واقسم براس سيدي الملك ضاراب ملك بلاد فارس وابي فيروزشاه سيد فرسان هذا الزمان اني لا اترك الامير مسعد وجيشهُ يصلون الى هذه الآكام وليس ذلك فقط بل انهُ لا بد لي من نصب مكيدة يذهب بها من جيوش الاعداء اكثر من مائتي الف فارس دون ان يبدي احدهم حركة او يتحرك من مكانهِ وسوف تتذكرون فعلي بعد هذا اليوم ثم استاذن الملك بالذهاب وان يسمح لهُ بشياغوس وشبرنك فاجابهُ الى طلبهِ وفي الحال خرج من صيوان الملك واخذ معهُ الاثنين المذكورين وكذلك بهروز قبل يدي الملك واستاذن منهُ بالذهاب وان يسمح لهُ بان يرافقهُ الاشوب وبدرفتات لقضاء مهمتهِ فاذن لهُ واوصاه مزيد الوصية وحرصهُ من الوقوع فوعده بالنجاح وخرج من حضرتهِ الى صيوانهِ ففتح الصندوق الذي جاءوا بهِ من قصر صفراء الساحرة واخرجوا منهُ الثياب فلبس هو واحدة والبس بدرفتات الثانية وسلم الثالثة للاشوب عيار مصفرشاه فافرغها عليهِ وكانت الثياب كما تقدم معنا معمولة من عمل السحرة ومنقوشة بالاسماء والطلاسم مما يهيج بها النظر وبعد ان اخذ كافة ما يحتاجون اليهِ بارح الجيش وسار قاصدًا الجهة المقنطر الساحر وبدرفتات يقودهم الى الطريق المستقيم المودي الى ناحيتهِ

ولنرجع الان الى طوران تخت وعين الحياة وقد تركناهما في قصر واحد وكلتاهما مغرمتين بحب حبيب قد علقت كل قلبها بهِ وتتمنى ان تراه او بالحري تسمع اخباره وتقف على احوالهِ الا انهما اقامتا مدة ايام دون ان يصل اليهما خبر البتة لا عن فيروزشاه ولا عن مصفرشاه وهما في كل يوم يرسلان القهرمانة هندًا للبحث والتقصي دون الوقوف على نتيجة مطمنة لخواطرهما الى ان كان

ذات يوم خرجت هند كعادتها وسلكت في الاسواق من واحد الى اخر وهي ترى الناس في فرح زائد وسرور وهم يهنئون ويبشرون بعضهم بقرب زوال الحرب وقهر الفرس فخفق قلبها وعادت الى القصر فاخبرت عين الحياة وسيدتها بما سمعت وقالت لا اعلم من اين جاء هذا النصر وهل وقع على الفرس شيء ام لا فتكدرتا عند سماعهما خبرها واشتغلت خواطرها ولم يريا وجهًا للحقيقة تلتفتان اليهِ وقالت طوران تخت من اين نقدر ان نعرف ماذا جرى على الفرس وهل ان مصفر شاه وبقيت قومهُ بخير ام لا

فقالت عين الحياة اني ارى من الموافق ان ترسلي رسولي الى ابيك بقصد الاطمئنان عن احوالهِ وتكتبي لهُ كتابًا تستفسرين بهِ عن حالة جيشهِ وعن اعدائهِ وتلوميهِ على منعهِ عنك الاخبار كل هذه المدة حتى شغل بالك واضطربت . فاستحسنت كلامها ورأتهُ صوابًا وفي الحال استدعت باحد خدمها ودفعت اليهِ كتابًا كتبتهُ الى ابيها تقول لهُ فيهِ اني في حالة صعبة لان انقطاع الاخبار جعلني في ارتباك وانت تعلم محبتي لكم وميلي اليكم فاسالك بحق التربية ان ترسل اليَّ خبرًا منصلاً عن حالتكم الحاضرة وماذا جرى على فرسانك وكيف حالة اعداك وهل ان فرسانهم باجمعهم باقون او اهلكتم منهم احدًا . فاخذ الخادم الكتاب وسار الى ان وصل الى الوليد فقبل يديهِ ودفعهُ اليهِ فقراه وبعد ان فرغ منهُ قال في نفسهِ لقد اصابت بنتي فيما قالت فاني قطعت عنها الاخبار وكان من الواجب ان ارسل من يبشرها بنصرنا وقهر اعدائنا وهربهم واسر المقنطر لفرسانهم وفي الحال كتب لها مفصلا يعلمها بكل ما كان من امر الايرانيين وامرهم من حين اتيان تمرتاس الى ذلك اليوم واعاد الكتابة اليها مع الخادم فتكدرت مزيد الكدر عند اطلاعها عليها وعلمها ان مصفر شاه في قبضة يد المقنطر الساحر وبكت ولطمت على وجهها واغمي عليها فرشت هند الماء على وجهها ورفعتها الى فراشها وكذلك عين الحياة انفطرت مرارتها وشعرت بان اكبر المصائب قد وقعت عليها واحتارت في امرها واختارت الموت على الحياة وتمنت ان يفقد الظالمون الذين ظلموها ورموها بكل هذه الاحزان وطلبت من الله هلاكهم ونجاة فيروز شاه وكان لطوران تخت وعين الحياة ساعة من اشأم الساعات واقبحها مزقتا بها ثيابهما واسبلتا شعورهما واذرفتا دموعهما ولم تعدا تعرفان ما تقولان كل ذلك النهار وفي المساء اجتمعتا الى بعضهما واخذت كل واحدة تنشد غرامها وتلوم زمانها وتعدد مصائب حبيبها وهي غرقى بدموع الحزن والاسف وقطع الرجاء وانشدت بنت الوليد

يدنيهِ قلبي ويبعده   طيف الاماني ثم افقدهُ
ظن الهوى بالقلب منزلة   اقوى فعاوده يجدده
لاحظتهُ فتولدت محني   والحب من نظر تولده

ريم ابى الا الحشا سكنًا ... فالقلب مربعهُ ومورده
ساروا فسار القلب بينهمُ ... حيران يجهل اين معهده
وبقيت بعدهم وليس سوى ... نفس ولا اقوى اردده
ردوا فوادي فهو يجحدني ... من بعد ساكنهِ وانجده
فالحب ان شط المزار بهِ ... يومًا تؤسينا معاهده
كم وقفة للبين مزعجة ... خان الفواد بها تجلده
تنهل ادمعنا ونهلها ... حذرًا الواشٍ ضلَّ مقصده
ونكاد نشرق اذ نسيغ دمًا ... والبين لا تصفو موارده
آهًا لليل طال بعدكمُ ... ودجى النوى لا يرتجى غده
ابكي اذا صدح الحمام على ... فنن فينشدني وانشده
ان تحت قام الحيّ يسعدني ... او ناح قمت اليهِ اسعده
بتنا معًا في ليل داجية ... لكن سهرت وبات يرقده

واما عين الحياة فكانت النار تستعر في فوادها بما لحق حبيبها من المصائب وقد انشدت وهي تتمنى انها لو كانت مطلقة لربما توصلت الى خلاصهِ

انظر الى المجد كيف ينهدمُ ... وعروة الملك كيف تنفصمُ
واعجب لشهب البزاة كيف غدت ... تسطو عليها الحداة والرخمُ
قد كنت اختار ان اغيب في ... الترب وتبلي عظاميَ الرممَ
ولا ارى اليوم من اكابرنا ... اسدًا وفيها الذئاب قد حكموا
باي عين نرى الانام وقد ... تحكمت في ليوثنا الغنمُ
اما ممات وذكرنا حسنٌ ... اما حياة وربعنا حرمُ

وكانت المصائب والاهوال قد الفت عين الحياة حتى انها عندما تشتد عليها كانت لا توثر فيها عظيم تاثير انما كان الحب وحده الذي يفعل فيها ويحرك منها دواخلها ويجعلها ان تخاف على من احبتهُ حبًا يكاد يحسب ضربًا من العبادة الحارة المتولدة في القلب الكثير الميل والشعور ومنذ ذلك اليوم وقع على عين الحياة وطوران تحت واقع الكدر والحزن فكانتا تصبحان وتمسيان على البكاء والتعداد وفي كل يوم تنزل هند الاسواق مستنشقة الاخبار باحثة عن حالة جيشها فكانت لا تسمع الا فرحًا وسرورًا من الاهالي وهم يظهرون لعلائم النصر البهج علائم

قال فلنتركها على هذه الحالة ولنرجع الى طارق العيار فانهُ وعد الملك ضاراب وبهروش بانهُ يوقع في المصريين والذين تنصروا لهم الوقائع الهائلة وينصب لهم شركًا يهلك بهِ اكثر من مائتي الف

نفس وبهذه الغاية اخذ شبرنك وشياغوس وسار بهما كما تقدم الكلام وكان طارق في النهار قد اوسع في القفار وجال في الطرقات حتى توصل الى وادٍ بالقرب من تلك الجهات لا يبعد عن مصر الا عدة اميال ونظر في الوادي المذكورة جيشًا جرارًا كثير المقدار يبلغ اكثر من مائتي الف فارس فتعجب لنزولهم في تلك الوادي فاختلط بينهم وجعل يستفسر منهم عن حالتهم الى ان عرف ان اولئك القوم هم من ملاطية وقد جاءوا لنصرة الوليد وهم تحت امرة ثلاثة فرسان من الفرسان الشداد يقال لهم فهر ومهر وقهر وكان سيف الدولة صاحب ملاطية قد بعث لهم برسول يستدعيهم لنصرة الوليد لما راى تاخيره وامرهم ان يجمعوا الفرسان و ياتوا اليه وفي الحال ركبوا وساروا الى ان قربوا من تلك الوادي وكانوا من التعب على جانب عظيم ولذلك اختاروا النزول والراحة وقالوا نبات هذه الليلة في هذا المكان وفي الصباح نسير الى مصر وربما ندرك الوليد وهو في الشدة اثناء القتال فيكون لوصولنا تاثير عظيم ونفع اعظم ولما اعتمدوا على هذا الراي نزلوا وسرحوا خيولهم ونصبوا خيامهم للمبيت في تلك الارض ولما علم طارق سرّ المسالة ابقاها في ذهنه وهو يفكر في عمل حيلة الى ان تعهد للملك ضاراب بما تعهد فقصد ان يخدمه خدمة يشكره عليه فلبس لبس تجار الشام والبس شبرنك وشياغوس مثله وهما لا يعلمان ماذا يريد ثم مزق الثياب وعفر نفسه بالتراب وسار الى جهة مصر وصبر في منتصف الطريق الى ان قرب الزوال واذا به يرى عساكر مصر وقد خرجت مع الامير مسعد قاصدة الاكام وهي التي عبها الوليد لقتال الليل فلما راهم طارق جعل يبكي وينتحب وسار الى جهتهم على تلك الحالة وفعل رفيقاه فعلهُ من النوح والبكاء الى ان وصلوا الى العساكر وهي سائرة فسالوهم عن حالهم فقال لهم طارق خذوني الى الحاكم فان لي كلامًا اقوله له قالوا ان الحاكم ليس هو مع الجيش انما معهُ قائده الاكبر فاخذوه اليهِ فلما وقف بين يديهِ بكا وحث التراب على راسهِ وقال له ارجوك يا سيدي ان تغيثنا وتنظر الينا وترجع اموالنا فقد سلبتها الاعداء ورمونا بالفقر والفاقة ولم يبقوا علينا سترًا . قال من انتم ومن الذي فعل معكم هذه الفعال . قال طارق اعلم يا سيدي اننا تجار من بلاد الشام وجئنا بها الى القدس على امل ان نبيعها هناك فنربح فيها غير اننا صادفنا كسادًا في تلك المدينة ولم ترج بضاعتنا فخطر لنا ان ناتي بها الى مصر رجاء ان نبيعها ونربح في ثمنها فسرنا كل الطريق دون مدافع ولا ممانع ولا خرج علينا احد الا اننا لما وصلنا الى هذه البلاد وهي محل الامان ومحط السلام مررنا في واد بالقرب من هذه النواحي ونحن لا نعلم ان فيها احدًا و بينا نحن سائرون خرج الينا جماعة ظهر لنا انهم من جماعة الفرس فسلبونا اموالنا وقادوا القافلة بما عليها واخذوا رجالها اذلا حيارى وهم يقولون لنا سلموا انفسكم الى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وكنا نحن مع جماعتنا قد وقعنا في ايديهم الا ان العناية الالهية سمحت لنا بالخلاص فافلتنا من ايديهم وجرينا الى جهة المدينة الى ان صافنادكم وقد اندهشنا

الكثرتهم وكثرة جيوشهم

فلما سمع الامير مسعد هذا الكلام وقف مطرقًا ثم قال وهل تاكدتم حق التاكيد ان اولئك القوم من الفرس . قال طارق كيف لا وقد تبين لنا من ملابسهم وقبعاتهم انهم اعجام وقد ضربوا الخيام في جوانب الوادي وملئوه طولاً وعرضًا . فقال لا ريب ان الملك ضاراب هو نازل في تلك الوادي وان صح ظني يكون غير مكانة خوفًا من ان نفاجئهُ فاختبأ في ذلك المكان . ثم قال لطارق سيروا بنا الى الجهة التي تزعمون الاعداء قد اخذوا لكم بضائعكم فيها فانا نردها عليكم ونزيدكم فوقها اضعافًا فقالوا سمعًا وطاعة وساروا امام العساكر والامير مسعد في اثرهم ومال الجيش برمته الى تلك الجهة وهم فرحون بنزول الاعجام في الوادي لانهُ اسهل مجالاً للقتال والنزال ولما قربوا من الوادي تقدم طارق الى الامير مسعد وقال لهُ اخاف يا سيدي ان يقع بينكم وبين الاعجام قتال تخسرون بهِ ولذلك ارجوك ان تستكن هنا لان لا علم لهم بكم فانني اذهب واترقب لكم اياهم حتى اذا دخلوا خيامهم للنوم وتفرقوا عن بعضهم تكبسوهم وتوقعون بهم ولا يفقد منكم واحد قط وبهذه الواسطة تقدرون ان ترجعوا لنا بضاعتنا ولا تقولوا انها كلفتكم دم كثير من الرجال قال لقد اصبت فسر الى ان يتبين لك انهم نيام وات الينا لانني اقيم هنا نحوًا من ساعة لراحة الجيش وكان الامير مسعد قد شاهد عن بعد الجيوش النازلة في الوادي وقد اشعلت نيرانها ونورت مصابيحها فتاكد قول طارق وعلم انهُ صادق وفي الحال اطلق طارق ساقيهِ الى الريح وسار الى ان دخل الوادي وتخلل القوم حتى وصل الى صيوان الامراء الثلاثة وقال لهم وهو يظهر على نفسهِ التعب ويلهث بتتابع اعلموا ان بعض عياري الوليد كان بين جيوش ايران يتجسس اخبارهم ويستطلع احوالهم فعرف موكدًا انهم اطلعوا على امركم وقد قرروا فيما بينهم ان يكبسوكم في هذه الوادي فعاد العيار واخبر سيدي فتعجب لما انهُ لم يكن لهُ علم بوصولكم وفي الحال بعثني لانبهكم لتكونوا على حذر اذا صح ما اخبر بهِ العيار وبينما انا آت شاهدت جموع الاعداء يتقدمون شيئًا فشيئًا ولذلك اهلكت نفسي بسرعة المسير الى ان سبقتهم وقد خطر لي انكم ترجعون الى الوراء وتفرغون الخيام حتى اذا صار الاعداء بينها تنحدرون اليهم وتبادرونهم بالقتال واني اعود الى الوليد فاخبره ليداركم بالنجدات فيفنون عن اخرهم وما ذلك الا من سعادة الوليد وحسن حظهِ . فلما سمع فهر ومهر وقهر هذا الكلام قالوا اننا نعجب كيف ان الاعداء عرفوا بنا لا ريب ان احد عياريهم كان مارًا من هذه الجهات فتجسس اخبارنا ولا بد لنا من الايقاع بهم ونصب مكيدة تكون عليهم شرًا ووبالاً . ثم امر رجالهُ في الحال ان ترجع الى الوراء وان تطفي الانوار وتمتنع عن الضوضاء والغوغاء حتى لا ينتبه العدو اليهم بل يظنهم داخل الخيام وباقل من نصف ساعة خرجت رجال ملاطية من بين الخيام وتوغلت في رؤوس الوادي . ولما راى طارق رجوعهم ثبت عنده نجاح مسعاه فكر

راجعًا حتى انتهى الى الامير مسعد فقال لهُ ان القوم نيام وهم امنون من طوارق الحدثان ولم يخطر لهم قط ان عساكركم تناجنهم في مثل هذا الليل واسال الله ان لا يقيهم منكم وان يهلكوا عن آخرهم . وفي الحال امر الامير العساكر ان تتدرج الى الوادي وتهجم على الخيام هجمة واحدة وان يوقعوا بالاعداء ومن وقعوا بهِ منهم لا يبقوا عليهِ حتى اذا اشرقت الشمس يكون قد بددهم واهلك قسمًا كبيرًا منهم فلا يعود من لزوم لمجيء تمرتاس لقتال النهار فنعلت العساكر ما امرهم بهِ قائدهم ودخلوا الوادي وهجموا على الخيام دون ان يبدوا حركة ما وتفرقوا بين المضارب ودخلوها وهم لا يرون احدًا وفي تلك الساعة صاحت عساكر ملاطية وحملت وقومت اسنتها وستر عنها الليل وجه الحقيقة فظنت ان الاتين من الايرانيين كما كان يظن ذلك المصريون . وباقل من ساعة ارتفعت الصيحات . وعلت الاصوات . واشتدت الشدات . وكثرت الويلات . وعملت السيوف الصقال . في صدور الرجال . فمددتها على الرمال . واختلط القومان . وسلما بانفسهما الى الذل والهوان . وعرضا بانفسهما الى الهلاك والفلعان . وما من واحد عرف خصمهُ . او تبين شكلهُ ورسمهُ . بل كانت القتلى تتمدد بين الخيام . وتعثر بالرجال الخيول فترميها على بساط الاكام . وتدوسها بنعالها . فتذوق شروبالها ونكالها . ولم يكن يرى في سواد ذلك الليل الا بريق ولمعان وشرار يتطاير من وقوع السيف اليمان . على درق الفرسان

ولما راى طارق ان القومين قد وقعا ببعضهما وان الحرب قامت على ساق وقدم وما من سبيل الى فصلها ورجوعها قبل اتيان النهار اخذ رفيقيهِ وكر راجعًا الى جهة الاكام المقيم فيها الملك ضاراب وهو يصفق من الفرح والمسرة وقد انبهر من عملهِ شبرنك وشياغوس حتى دخل صيوان الملك ضاراب وكان اذ ذاك في اخر السهرة وقد اوشكت الناس ان تنفض عن ديوانهِ وقال لهُ بشراك يا سيدي فقد خدمتك في هذه الليلة السعادة حتى وفرت عليك من التعب ما كنت تخاف منهُ قال بما تبشرني يا طارق هل تخلص ولدي والفرسان . قال كلا يا سيدي ان ذلك شغل بهروز الذي تعهد بهِ واما انا فاني تعهدت لك اني انصب للاعداء شركًا يهلكون بهِ انفسهم فقد توفقت والحمد لله الى المطلوب . ثم شرح للملك ما كان من امر فهر ومهر وقهر وكيف رماهم مع الامير مسعد وقال لهُ ان الحرب لا تزال الان قائمة بين القومين ولا يمكن فصلها قبل الصباح لانهما لا يعرفان بعضهما وسواد الليل قد سترها . قال فسرّ الملك ضاراب غاية السرور وتعجب غاية العجب من حيل طارق وخداعهِ وقال لهُ فلتكن عيارو الملوك مثلك والا فلا ولا ريب ان العمل الذي عملتهُ اقمت بهِ مقام جيشي باجمعهِ واهلكت من الاعداء ما يصعب على عساكري هلاكهُ دون ان يفقد منهم فارس واحد . ثم امر الملك ان يخلع عليهِ الخلع الحسان وتدفع اليهِ الدراهم والدنانير وقام مع وزيريهِ وتقدموا الى الامام وعلوا اكمة عالية ونظروا عن بعد الى جهة الوادي فسمعوا اصوات

القتال وشاهدوا على نور الكواكب بريق السيوف وكثرة الازدحام فزاد سروره وقال لوزيره لا ريب ان الفريقين يهلكان بعضهما في هذه الليلة فلا يصبح الصباح وفيهما بقية رمق فلله درك يا طارق واني اسالهُ تعالى كما توفق الى اتمام تعهده يتوفق بهروش الى خلاص رجالنا والان تبين لي طرق النجاح ولا بد من الحرب في الصباح والمطاولة لنلهي القوم عن ان يذهبوا الى المقنطر لبينما يعود الينا بهروش واسال من الله توفيقهُ. ثم عاد الملك ووزيره وهم في فرح ومسرة وناموا تلك الليلة ينتظرون الصباح

واما المتقاتلان فانهما بذلا الجهد في الطعان والضراب . وقد سدت في وجوه الرجال جميع الابواب . حتى لم يعودوا يرون خلاصًا من الهلاك والعذاب . ولا سبيلاً الى الهرب . والنجاة من التعب . وملاقاة العطب . ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم . الى ان انقضى الليل وانهزم واقبل النهار وتقدم . وقد تخدرت من الفرسان السواعد والاكتاف . وباتوا على شفير الهلاك والتلاف . وكادوا يفنون عن اخرهم لانهُ ما بقي منهم الا كل مجروح او قاطع الرجاء وخائر العزم والقوى ولما اشرق النهار تبين القومان بعضهما فلم يرَ الخصم في خصمهِ دلائل ايرانية بل راى اهل ملاطية انهم تقاتلوا مع المصريون وراى المصريون انهم قاتلوا نصرائهم اهل ملاطية وفي الحال امر الامير مسعد بضرب طبول الانفصال ومثل ذلك فعل فهر واخواه فرجعت الرجال عن بعضها غير مصدقة بالخلاص . واجتمع الامراء ببعضهم واستفسروا عن السبب فحكى كل منهم ما كان من قصتهِ وما سمعهُ من طارق فتعجبوا من عملهِ وقالوا لا ريب انها حيلة ايرانية فتكدروا غاية الكدر وتاسفوا على ما فرط منهم وحزنوا على الفرسان الذين قتلوا ظلمًا وعدوانًا وبعد ان ارتاحوا قليلاً نهضوا فركبوا خيولهم وساروا راجعين الى الوليد وقد قتل منهم اكثر من مائتي الف رجل من الفريقين . وكان الوليد في الصباح امر تمرتاس ان يذهب بعساكر الرومان اجمعها ويضم اليها مثلها من عساكر مصر واليمن وان يسير الى جهة الاكام بحيث يكون الامير مسعد قد انتهى من قتال الليل فيفاجأ الاعداء وينزل بهم الويلات ولا يدعهم يرتاحون البتة وان لا يرجع الا والملك ضاراب اسير معهُ فوعده بكل خير وسار على طريق الاكام المقيم فيها الملك ضاراب وهو يومل ان يرى عساكر الامير مسعد عائدين منتصرين ظافرين فلم يرهم ولا زال الى ان قرب من المكان الذي كان فيهِ طارق العيار والتقى بالامير مسعد وحكى لهُ ما كان منهُ . قال وهناك نظر الى الامير مسعد آت من جهة الوادي فوقف لهُ الى ان قرب منهُ فسالهُ عن تغيره الطريق وعن الاسباب الموجبة لقلقهِ وتعفر رجالهِ فحكى لهُ كل ما توقع من حيلة طارق وكيف قاتلوا بالحرب كل تلك الليلة مع بعضهم البعض فتكدر تمرتاس وقال لا ريب ان هولاء القوم شياطين مردة ولكن اذا فعلوا بكم ذلك فلا يقدرون ان يفعلوا معنا فهيا سيروا الى الوليد واعرضوا عليهِ امركم واني ساخذ لكم بالثار

من هولاء الاوغاد واريهم كيف تكون الحيل ثم صار الى جهة الاكام وسار الامير فهر ومهر وقهر الى جهة الجيش حتى وصلوا الى الوليد فنعوا له القتلى منهم وحكوا له كل ما كان من امرهم وكيف ان عياري العجم غشوا بهم فطار عقلهُ لهذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وقلق لما وقع على عساكره ولاسيما سيف الدولة حاكم ملاطية فانهُ حزن لفقد رجالهِ ولام بهلوانة بلاده كيف انهم نزلوا تلك الليلة في الوادي مع انهم قريبون من مصر . فقالوا هكذا حكم القضاء واعظم كدر كان على الوزير طيغور لانهُ كان يعد الشاه سرور انهم في ذلك اليوم يقبضون على الملك ضاراب و يبددون كل رجالهِ فلحق بهِ الفشل والخيبة الا انهم علقوا الامل بتمرتاس وقالوا لا بد انهُ ينهي لنا امر الاعداء و ياخذ لنا بالثار منهم وباتوا يعلقون الامل بعود عساكر النهار

واما ما كان من تمرتاس فانهُ تقدم شيئًا فشيئًا الى جهة المحل المقيم بهِ معسكر ايران ولا زال الى ان تبينهُ عن بعد واذا بالفرسان قائمة صبة واحدة الى بعضها وهم يتهيئون للنزول من مراكزهم لانهم شاهدوا عن بعد العساكر الاتية فاستشاروا الملك ضاراب في ماذا يفعلون فقال لهم انزلوا اليهم الى اسفل ولاقوهم بهمة وحمية فاذا ثبتم ابقوا في مراكزكم والا فعودوا الى الاكام وتسلقوا الجبال واياكم من الانفراط فاجابوهُ ولما قرب تمرتاس بجماعتهِ منهم خرجوا اليهِ ولاقوهُ عن بعد وهم على يقين انهم لا يثبتون لانهم كانوا بلا قواد يفعل وكان الخوف فيهم بكل قوتهِ ولاسيما خوفهم من المقنطر الساحر ان يعود فيفرقهم او ينصب لهم طريقًا اخر للهلاك والموت ولما التقى القومان حملوا على بعضهم البعض ومالوا في الطول والعرض وقد هزوا العمدان واطلقوا العنان واختاروا الموت على البقاء والهلاك في الثبات على التاخر والرجوع الى الوراء وكان تمرتاس يصول صولات الاساد ويهدر كما تهدر فحول الجمال وهو يميل تارة الى اليمين وطورًا الى الشمال وقد جود الطعن في الاعجام وفتك فتكًا عجيبًا فثبتوا له ثبات الابطال والتقوا المنايا بقلوب صابرة وصدور وسيعة ودارت بهم المصائب من كل ناح ولم يعودوا يعلمون ما بين ايديهم ولا ورائهم و باقل من ساعة اخذوا في ان يرجعون القهقرى و يتاخرون ولما راى الملك ضاراب حالة جيشهِ غاب عن الصواب وخرج من تحت الاعلام وهو في حالة جنونية وعول على الهجوم على تمرتاس فتمسك بهِ طيطلوس وقال له لا حاجة لخروجك للحرب الان فلا تخاطر بنفسك في القتال ولا ترمي بجيشك في بحور المهالك بل من اللازم ان تضرب طبول الرجوع ونتاخر الى ظهور الاكام ونطارد الاعداء بالسهام الى حين يصل الينا علم من بهروزعساه ان يقضي العمل و ياتينا بابنك والذين معهُ فاصغى الملك اليهِ وضرب نفير العود فتاخرت عساكره الى الوراء طالبة الصعود الى مراكزها وطاردها تمرتاس بجيشهِ وعول على ان يبقى متأثرها الى مراكزها ولا يرجع عنها ولو الزمهُ الامر فقدان نصف عساكره الا انهُ توقف لما شهد عن بعد غبارًا قد ارتفع الى العنان ومن تحتهِ جيوش وفرسان وهي كالجراد الزاحف تميل

سيوفها في الهواء ونشرع بعمدانها فتلتطم فيخرج من جرى وقعها على بعضها اصوات اشبه بالرعود القواصف وكذلك الملك ضاراب فانهُ وقف بجيشهِ في منتصف الاكام لما تبين ذلك الغبار وهو عن طريق اليمن وصبر ليعرف سبب مجيئهِ وقال لطيطلوس وكان بقربهِ ان هذه العساكر اتية علينا واني اخاف ان تكون هذه الواقعة سبباً لانقراض دولة فارس لاننا اصبحنا الان في مركز صعب جدًّا فعساكرنا كادت تنفد قواها وربما تشتتت بعد قليل من الايام وفرساننا الان في قبضة ساحر يصعب على اعظم عياري هذا العالم ان ينتشلهم منهُ اذا لم تساعده يد العناية الالهية الغالبة والاعداء يتجمعون علينا من كل جهة ومكان وما من نجدة يشتد بها ظهر جيشنا ويسد بهِ الخلل الذي ينقص فينا قال ان قلبي يخبرني ان هذه العساكر اتية لنجدتنا وان بها يكون لنا فرج عظيم وطالما اصبت في ظني وما اخطأت مرة وسوف يجلى لك سر الامر . فتنهد الملك وقال من اين تاتينا النجدات فان بلادنا بعيدة عنا وما من خبر عندهم منا ولا اظن انهم يسعون وراءنا ويتركون البلاد ويتحملون مشقات هكذا طرق طويلة وصعبة دون ان ندعوهم اليها

قال وبينما كان الملك وطيطلوس يتكلمان واعينهما تضرب الى جهة الجيوش القادمة وكذلك تمرتاس واقف في مركزه وعيونهُ مائلة اليها وقلبهُ متلهف الى معرفة احوالهِ وظهور حقائقهِ وكانت تلك العساكر تتقدم وكلما تقدمت زادت وضوحًا حتى ظهرت راياتها واكدت بالعيان انها يمنية من رايات بلاد الشاه سرور فقال تمرتاس في نفسهِ لا ريب انها اتية نجدة للشاه سرور فهي موافقة لنا معينة لحربنا لا خوف منها واطمأن باله نوعًا وانتظر قدومها ووصولها . واما طيطلوس فانهُ قال للملك ضاراب لا ريب ان هذه العساكر يمنية وهي مرسلة من قبل الشاه سليم لنجدتنا وبعد ساعة او نصف ساعة تتبين لك الحال وتتاكد كلامي وما جاءتنا الا بوقتها لاننا في ضيق الخناق . ففرح الملك ضاراب بذلك وقال لطيطلوس اني اعجب من الايام فانها لا تريد ان تبقينا على حالة خوفًا علينا من ان ننتفخ ونخمر بخمرة النصر والقوة ولذلك تلطمنا لطمة وتداويها وتلطم اعداءنا لطمات ولذلك ان صح قولك وكانت هذه العساكر نجدة لنا ثبتنا في مراكزنا وطاولنا الاعداء الى حين ظهور خبر بهروز واني اسأله تعالى ان يكون بينهم فارس يقتل تمرتاس ويريحنا من امره . ودام القومان ينظران الى جهة القادمين الى ان قربوا كل القرب وتبينوهم فردًا فردًا فاذا هم من اليمن وبين ايديهم فارس مربوع القامة ملثم بلثامهِ الى حد عينيهِ لم يظهر لوجههِ ولا لراسهِ قط من اثر وهو فوق جواد ادهم كالليل الحالك وعلى جنبهِ سيف عريض وفي كتفهِ قوس معلق فيهِ عدة سهام وتحت ابطهِ كنانة معلقة في عنقهِ ولا زال هذا الفارس يتقدم وهو مجهول من القومين الى ان وقف على مقربة من الايرانيين والمصريين ونظر الى جهة جيوش ايران فراها باهتة فتحقق حالتهم وعلم ما هم عليهِ ثم نظر الى جهة تمرتاس فوجده واقفًا وقفة المعتز المنتصر وهو ينتظره للهجوم وشاهد ايضًا ان

كلا القومين ينظران اليهِ و ينتظران معرفة حقيقتهِ وعليهِ فقد تناول من كنانتهِ سهما واخرج قوسهُ ورفع السهم فغمسهُ بالقير واخرج نفطًا فاطلقهُ واشعل السهم بهِ فالتهب وفي الحال اوتر بهِ القوس واطلقهُ الى جهة تمرتاس بخفة تسبق وقوع الرياح فخرج من كفهِ يلمع كالشهاب وهو يتلهب ويزيد اشتعالاً ولما نظر تمرتاس الى انطلاق السهم وانهُ وجه اليهِ اضطرب في بعضهِ وعزم على الهرب وان يتجنبهُ فلم يتمكن من ذلك لانهُ قبل ان يلوي عنان جوادهِ او يميل براسهِ من اليمين الى الشمال وقع السهم عليهِ عند عنقهِ وفي الحال التهبت ثيابهُ لان النار الشاعلة بالقير اصابت ثيابهُ فاحرقتها واخذت تلتهب واما السهم فانهُ اخترق رقبتهُ وللحال مال عن جوادهِ الى الارض وهو كشعلة نار يتطاير منها اللهيب والدخان والشرار فتعجب الجميع من هذا العمل وانبهروا من حسن معرفة هذا الفارس المختفي تحت القناع برمي السهام النارية وكان اكثر الكل فرحًا الملك ضاراب فانهُ صفق بيديهِ ونادى لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس هذا الزمان وامر جماعة من فرسانهِ ان تسير اليهِ وتدعوهُ لمقابلتهِ فعولوا ان يتقدموا واذا بهِ راوهُ قد صاح في رجالهِ وامرهم ان يهجموا على جموع مصر والرومان و ينشلوهم على اسنة الصفاح ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى التقت الفرسان بالفرسان . وطاف سلطان الموت وحان . وانتصب للاعمار من القصف ارجح ميزان . وامر الوليد عساكره بالهجوم وان تاخذ لنفسها بالثار . وترفع عنها العار . فقد عاد اليها النصر والفخار وغاب عنها النحس والانكسار . وقسم عساكره الى فرق واقسام . ورتبها على احسن ترتيب واوفق نظام فاحتاطت باعاديها احتياط الاسوار بالزنود . وارو ت ظماء اسنتها من دماء الكبود . وكان ذلك اليوم من الايام المعدودة بين اقوام ذلك الزمان . فيهِ ضيع سلطنتهُ سلطان الامان . وخاب رجاء كل مومل من العودة الى الاهل والخلان . وقال ملك الموت . الا هبوا الى الفوت . فقد بعثت لقبض الارواح . وتجريدها عن الاشباح . وامرت بتقليل العدد . وتفريق المدد . فقد طغيتم بالعناد . والبستم مناخ الارض ثياب الفساد . وجرتم على بعضكم مع انكم خليقة واحدة لخالق واحد . لا ولد لهُ ولا والد . وما اوجدكم الا لنفع الارض وعمرانها . والانتفاع بنتاجها وتشييد بنيانها . وان يكون بعضكم للبعض مساعد . عند الضيقات ومعاضد . فحركتم بعملكم هذا غضب ربكم . فحكم عليكم في قصاصًا لذنبكم . واختلط اولئك القوم ببعضهم . اختلاط الخمر بالماء . وشربوا من كف البلايا كؤوس العماء . وكانت تلك الوقعة هائلة عظيمة . ومريعة جسيمة . قتل فيها من الفريقين قوم كثير . وجم غفير . وفعل ذاك الفارس في اعداء الايرانيين ايشم الافعال . وانزل بهم المصائب والنكال . وقد سطا عليهم سطوة جبار . واراهم من هيب سيفهِ البتار . جمرات الاكدار والاخطار . وما جاء اخر النهار . الا وتفرقوا في تلك البراري والقفار . وتشتت بعضهم الى اليمين و بعضهم الى اليسار . فامر الملك ضاراب ان تتاثرهم العساكر وتلحق بهم ولا ترجع عنهم وفيهم رمق ولا زالت

عساكر ايران وعساكر اليمن تضرب باقفيتهم حتى كادوا يهلكون عن اخرهم وما خلص منهم الا القليل من كل طويل العمر وعاد رجال الملك ضاراب واحزابه وهم منتصرون ظافرون وفي مقدمتهم ذلك الفارس المقنع الذي سبق الكلام عنه وقتل تمرتاس .

قال صاحب الحديث وكانت تلك الفوارس يمنية كما قدمنا وقد بعثها الشاه سليم لاغاثة الملك ضاراب وذلك ان الشاه سليم بقي على كرسي تعزاء اليمن حاكمًا نافذ الكلمة في كل النواحي وقد احبه البعيد والقريب من اهاليها لعدله وجودة اخلاقه وكرم طباعه وقد جاء بعائلته وحريمه من المدينة السليمية ليقيموا معه في تعزاء اليمن واقام حاكمًا على المدينة السليمية عوضًا عنه واوصاه بالمحافظة عليها ونشر العدل والامان فيها لانها مدينته الاصلية وقد ورثها ابًا عن جد وجدًا عن اب ودام له الحال وراق البال مدة طويلة الا ان بنته انوش كانت قلقة تائهة الفكر مبلبلة البال مضطربة الخاطر يخطر على قلبها دائمًا فرخوزاد وتتذكر جماله ووداده وتتمنى قربه منها وقربها منه وصرفت اكثر اوقاتها في ترداد حديثه وذكر اوصافه فكانت تسلي نفسها بهكذا اقوال ولا ترغب في ان تبيح بسرها لاحد كونها ثابتة الجاش جلودة صبورة على مصائب الزمان وكانت في اكثر الايام تلبس اثواب الفرسان وتذهب الى البراري والقفار وتسطو على الوحوش الضواري فتصطاد بعضها بالسلاح وبعضها تقبض عليه باليد وقد سبق لنا ان قلنا عنها انها كانت بارعة بالقتال تعلمت فنون الحرب بجميع انواعه الاصلية والفرعية حتى في كل بلاد ابيها لا يوجد من يقدر ان يثبت امامها او يلقاها في حرب او طعان وفي المساء عندما تنفرد في نفسها تدخل الى غرفتها في قصرها وتصف بواطيّ المدام وتشرب على ذكر من احبته وكلما شربت كاسًا تتذكره فتنشد شيئًا من الشعر تطفي به نار شوقها وتشخص به جماله وبهاه واوصافه التي كانت قد احلتها من قلبها بارفع مكان وانزلتها منزلة النوم من عيون الوسنان وبقيت على ذلك مدة طويلة وهي في كل يوم تود ان تعرف شيئًا من اخباره فتاتي الى ابيها وتسالهُ عن احوال الملك ضاراب وعن حربه في مصر اذا كان وصل اليه خبر عنه فيقول لها ان لا علم لنا عنه مطلقًا وكان ابوها ايضًا مرتبك الافكار خوفًا من ان يلحق به اذى او يتبدد جيشه ويعود الفوز للشاه سرور فيعود الى ملكه ويفوته فرخوزاد الذي كان يحبه محبة الاباء للاولاد ولما طال المطال ولم يصل اليه علم وخبر عزم على اكتشاف الحقيقة وان يرسل بنته مع جيش من جيوش اليمن فدعاها اليه وكان يحبها لما هي عليه من الشجاعة والاقدام وقال لها اريد منك ان تلبسي لبس الفرسان وتذهبي بمائة الف فارس الى مصر للاكتشاف على حالة الملك ضاراب فاذا وجدته لا يزال في الحرب فانضمي اليه وكوني معه وبرفقته وقاتلي بين يديه مكافاة له على معروفه معنا وربما كان في حاجة الى النجدة واذا رايت الوليد قد انتصر ولحق بالايرانيين لاحق الكسر ولم يكن احد منهم هناك وعلم بك الشاه سرور فقولي له ان ابي لما استبطاك

بعث اليك بهذه العساكر نصرة لك وقد جمعها من سائر الانحاء اليمنية انما هذا يكون بعد قطع الرجاء من الملك ضاراب وغيابه عن تلك الاوطان . فما صدقت أن سمعت هذا الكلام حتى امتلأ قلبها فرحًا وسرورًا وتمنت ان تطير لتصل الى جيش ايران وتشاهد حبيبها فرخوزاد وتبل شوقها من مشاهدتها وقالت لابيها لقد فكرت حسنًا ولا ريب ان الملك ضاراب في حاجة الان الى النجدة على الاكثر لانهُ يتعب مع المصريين لكثرتهم وكثرة توارد النجدات عليهم فهو بعيد عن بلاده وما من امل ان يزيد عسكره اذا نقص . قال هكذا افتكري فكوني على استعداد لتسيري في الغد فسارت من امام ابيها وهي في مسرة وابتهاج فرحة بما كان من امره وسماحه لها ان تسير مع جيشهِ الى بلاد مصر ودخلت قصرها واحضرت المائدة فاكلت واكتفت ثم جاءت بالشراب فوضعته امامها واحاطته بالنقولات وهي لوجدها لا تبوح بسرها لاحد ولما لعبت بها الخمرة ودار في راسها مفعولها جعلت تنشد وتقول قول القائل

اذاب التبر في كاس اللجين	رشًا بالراح مخضوب اليدينِ
وطاف على السحاب بكاس راح	فطافت مقلتاه باخرين
الى عينيهِ تنتسب المنايا	كما انتسب الرماح الى ردين
تلاحظ سوسن الخدين منهُ	فيبدلها الحياء بوردتين
ومجلسنا الانيق تضيءُ فيهِ	اواني الراح من ورق وعين
فاطلقنا فم الابريق فيهِ	وبات الزق مغلول اليدين
وشمعتنا شبيه سنان تبر	تركب في قناة من لجين
وقد صاغت يد الازهار تاجًا	على الاغصان فوق الجانبين
بورد كالمداهن في عقيق	واقداح كازرار اللجين
وقد جمعت لي اللذات لما	دنت منها قطوف الجنتين
الا يا نسمة السعدي كوني	رسولاً بين من اهوى وبيني
تملك حبة قلبي وصدري	فاصبح ملء تلك الخافقين
ويا نشر الصبا بلغ سلامي	الى الاحباب بين القلعتين
وقل لمعذبي هل من نجازٍ	لوعدي سالفيك السالفين
وهبتك في الهوى روحي بوعدٍ	وبعتك واعدًا نقدًا بدين
وجئت وفي يدي كفني وسيفي	فكيف جعلتها خفي حنين
ولم صيرت بعدك قيد قلبي	وكان جمال وجهك قيد عيني
فصرنا نشبه النسرين بعدًا	وكنا الفة كالفرقدين

عرفتك دون كل الناس لما نقدتك في الملاحة نقد عين
وكم قد شاهدتك الناس قبلي فما نظروك كلهم بعيني
وطاوعت الفتوة فيك حتى جعلتك في العلاء برتبتين
أأجعل لي سواك عليك عيناً وكنت على جميع الناس عيني
بعادك اطمع الاعداء حتى راوك اليوم خزر الناظرين
وهلا طالعوك بعين سوء وأسري نافذ في الدولتين
وما خفقت جناح الجيش الا راوني ملء قلب العسكرين

وكانت تنشد وهي واضعة شخصة نصب عينيها متذكرة ايام كانا يجتمعان مع بعضهما البعض في قصر ابيها عندما كان في المدينة السليمية ولا زالت هذه الحالة حالتها وهي تعد نفسها بانها في صباح اليوم الاتي تركب تحت الراية اليمنية وتسير الى حيث الحبيب ويشاهدها وهي بذاك الموكب ويرى من هيبتها وفعلها اذا قاتلت امامه ما يزيدها منزلة في عينيه الى ان قرب السحر فنامت بضع ساعات لتاخذ لنفسها الراحة من تعب الليل الناتج عن كثرة الهواجس وفعل الخمرة وطول السهرة ولما اشرقت الشمس ركبت جوادها وتقلدت بسلاحها بعد ان لبست ملابس الرجال وضربت قناعاً على وجهها كي لا يعرفها من يراها وكانت تحسن رمي السهام النارية احسن من اعظم فارس في ذاك الزمان وقد امتازت به على غيرها فاخذت كنانتها وقوسها وسهامها وما تحتاج اليه اثناء القتال وجاءت الى قصر الاحكام فوجدت اباها بانتظارها وهو يعدد العساكر ويفرق عليهم الاسلحة ويهيء لهم المؤن اللازمة . فلما راها ابوها وقد اتت فرح بها وامرها ان تضم الى الجيش وان ترفع فوق راسها الاعلام وتضرب بين يديها الموسيقات واوصاها بالمحافظة على نفسها والتيقظ اثناء القتال وكتب لها كتاباً الى الملك ضاراب وطلب اليها ان تدفعه اليه وتهديه سلامه وبعد ان ودعها وقبلها القبلات الكثيرة وهو يذرف الدموع لبعدها لانه كان يحبها محبة خارقة العادة كونها وحيدة له ووحيدة في اعمالها سارت بالجيش وخرجت من المدينة لجهة بلاد مصر ومسكت الطريق الموصلة سلكتها ولا زالت سائرة اياماً وليال وهي مسرعة السير ترغب في السرعة الممكنة والوصول الى عساكر ايران حتى وصلت الى لدن الطائف فضربت خيامها عندها وامرت عساكرها ان تنزل لتاخذ لنفسها الراحة التامة بعد اتعاب المسير ومشاقه وعلم الامير ناصر بقدوم جيوش اليمن فاسرع لملتقاهم وسلم على الاميرة انوش وسالها ان تدخل فامتنعت واظهرت على نفسها انها تحب البقاء في الخارج وانها في الصباح تركب الى جهة مصر فارسل اليها الاطعمة والعلوفات وباتت تلك الليلة بالقرب من الطائف بين شجر النخل والسنوبر الى ان لاح وجه الصباح فنهضت مبكرة وامرت عساكرها بالنهوض ايضاً فعمدوا الى خيولهم واعتلوا فوق ظهورها وركبت هي ايضاً وسارت مودعة

ارض اليمن وداومت السير عدة ايام الى ان قربت من مصر ودخلت اراضيها فشعرت بارتياح في قلبها ووعدت نفسها بقرب مشاهدة فرخوزاد وانها بعد يومين او ثلاثة ايام تجتمع به وتسلم عليه وتكون دائمًا بقربه ومعهُ وتشاهد افعالهُ و يشاهد افعالها وهي تكاد لا تصدق ان تصل الى العرضي الموجود فيه ولو لم يكن يخطر ببالها انهُ ربما كانت لا ترى الحرب باقية لكانت افرح العباد الا انهُ وقع على قلبها الحزن بغتة عندما فكرت انهُ ربما يكون قد وقع على فرخوزاد امر مكروه احرمها وجوده ونظره وهذا الفكر اوقعها في الياس وجعل قلبها يخفق وكادت تفقد كل قواها وحواسها وقالت في نفسها انني طالما كنت اظن الخير فلو لم يكن فرخوزاد تحت ثقل المصائب لما كان يخطر لي هذا الخاطر وان الاوهام كانت تؤمنني الى وصولي من نوال امالي فخانتني و بعث اليَّ الدهر بالافكار الرديئة تنبهًا للمصاب قبل ملاقاته وكانت واقعة بين امرين تارة حزن وطورًا فرح ولذلك جدت في مسيرها املاً ان تتخلص من تلك الاوهام وتمنت ان تطير لتكشف الحقيقة ودامت بسرعة الى ان تبين لها عن بعد غبار كثيف فثبت لديها انهُ غبار المتقاتلين فطار قلبها شعاعًا وقالت لا بد من ان ادركها وهما تحت نيران الوغى فاظهر شجاعتي وابدي عملاً عجيبًا ومالت الى جهة الغبار ولا زالت تتقدم شيئًا فشيئًا وكلما تقدمت تجلى لها الحقيقة الى ان قربت من القوم عند تلك الاكام كما تقدم معنا ونظرت الى الرايات وتحققت ان الملك ضاراب في ضيقته عند مشاهدتها اياه ملتجأ الى الجبال فتوسطت المجال ونظرت الى عساكر المصريين ونظرت الى تمرتاس وهو مفتخر بنفسه معتز بانتصاره فغاظها ذلك وتكدرت كثيرًا من عمله وارادت ان تظهر لجيوش ايران شدة باسها ترغيبًا لهم فيها وحبًا بصوالحهم فاخرجت ذاك السهم وفعلت ما فعلت ولما ساعدتها الصدف وخدمها التوفيق واصاب سهمها تمرتاس ووقع قتيلاً كادت تطير من الفرح واشتدت بها الحمية والحماسة وعلمت انهُ رئيس القوم وقائدهم فتاكدت انهم لقتله يضعفون وتقع بهم البلية فحملت حالاً وحمل لحملها الملك ضاراب وهو مسرور من عملها كما تقدم معنا الكلام دون ان يعلم انها ابنة الشاه سليم واكتسبوا النصر وتشتيت الاعداء وتفريقهم

ولما عادت من خلف الاعداء قصدت جهة الملك ضاراب وقبل ان تصل اليه وجدته واقفًا بجواده ينتظر قدومها فترجلت ودنت منهُ وقبلت يديه وعرفته بنفسها وقالت لهُ يا سيدي ان ابي لما طال عليه امر غيابكم خاف من ان يكون قد لحق بكم ضرر او اصابكم امر وكان هذا الامر يشغلهُ دائمًا حتى اقلقهُ واحرمهُ لذيذ النوم واطار منهُ الراحة ولم يرَ بدًّا من ان يبعثني اكتشف لهُ امركم وابعث لهُ بالخبر اليقين و بعث معي نحو مائة الف فارس فالحمد لله الذي وجدتكم على اتم الصحة واشكره ايضًا لعدم تاخير وصولي لاني على ما اظن انهُ كان نافعًا لكم ومما يكدرني جدًّا اني لم ار احدًا من فرسانكم فاين هم الان والى اين ذهبوا واسال الله ان لا يكون لحق بهم مكروه ففرح

الملك لكلامها وتعجب من فصاحة لسانها كما تعجب من قوة جنانها وشجاعتها التي ندرت في مثلها من بنات الزمان وقال لها اني اشكر اهتمام ابيك وحبه فلو لم تاتني في مثل هذه الساعة لكنا في و يل وعذاب لان الاعداء لما فرط انتظامهم وشاهدوا الدمار بعينهم استنصروا علينا بالملك قيصر فبعث لهم بالعساكر والابطال مع بهلوان بلاده تمرتاس فلم نعتد بذلك ولا حسبنا له حساباً بل اوقعنا به وبهم الخسارة والويل وكدنا ندخل المدينة ونفوز بالنصر بعد تصعبات كثيرة غير ان الوليد لما شاهد نفسه مغلوباً معنا لجأ الى ساحر في بلاده اسمه المقنطر وطلب منه اذانا وذلك منذ ايام قليلة و بينما كنا نرتع في بحبوحة الظفر فرحين به واذا بابطالنا تطايرت بعمل هذا الساحر جميعها واحداً بعد واحد فوقعنا من بعدهم بالياس والعذاب ولنا رجاء انهم يتخلصون في هذين اليومين ولهذا الرجاء لجئنا الى هذه الاكام ننتظر الفرج فلم تصبر علينا الاعداء بل قسموا جيوشهم الى قسمين قسم يقاتلنا بالنهار وقسم يقاتلنا بالليل والحمد لله قد اوقعنا بالجيشين واهلكنا قسماً كبيراً منهما مع ضعفنا وقوتهم وقلة فرساننا وكثرتهم . ثم ان الاميرة انوش سارت مع الملك ضاراب الى صيوانه وهي حزينة كئيبة عند استماعها ان فرخوزاد في قبضة الساحر وانه في خطر الموت منه وكادت تغيب عن الصواب الا انها اظهرت الجلد واخفت الكمد اختشاء من ان يلحظ منها شيئاً الملك ضاراب و يعلم ما في فوادها من الحب فتنزل منزلتها عنده وكانت تعرف من نفسها قلة اصطبارها على معاناة الحب و بعاد الحبيب الا انها كانت ايضاً تعرف ان بالصبر ينال الانسان مراده وان الشكوى لا تفيد اذا كانت لغير المحبوب ولذلك بقيت مصرة على اخفاء امرها الى ان دخلت المضرب الملكي فجلس الملك وامر الاميرة بالجلوس وجلس طيطلوس ودوش الراي وعند ذلك اخرجت من جيبها كتاب ابيها ودفعته الى الملك ضاراب وقالت له لما كان شوق ابي غير متناه بعث معي علاوة على ما بلغني اياه هذا التحرير وامرني ان ادفعه لعظمتكم فاخذ المكتوب منها ودفعه لوزيره يقراه فقراه واذا به ما ياتي

من الشاه سليم ملك بلاد اليمن ونواحيها عامل الملك ضاراب الملك الاكبر

بعد بسم الله والاتكال عليه اقول انه لما كنت قد ارتبطت مع معاليكم بالخدمة ورهنت نفسي لكم على وثيرة الخلوص وعدم النكث كان لا يزال يتردد في ذهني ما اوليتموني اياه من النعم فكنت اريد ان اظهر صدق مودتي ووفائي لخدمتكم . وكنت انتظر ان اقف على خبر من جهة حربكم مع المصريين لاسر به و يطمئن بالي ولبثت من حين سفركم الى هذا اليوم في شاغل ليس من بعده شاغل وكلما تقلبت الايام وطالت يطيل هذا الامر وتطول علي موجبات القلق والاضطراب الى ان ضقت صدراً من جرى هذا الانقطاع واخيراً خفت من ان تكون اموركم غير ناجحة فتزيد اكداري فجمعت في الحال مائة الف فارس من فرسان اليمن رعاياكم وقلدت امرهم الى بنتي انوش

لما اعهد فيها من الشجاعة والبسالة وامرتها بسرعة المسير ولهذا كنت على ارتياح نوعًا ما فاسالكم يا سيدي ان تكرموا عليّ برسول يطمني عنكم واذا كنتم في احتياج الى زيادة الجيش فامروا با لافادة فلوم عموم اهل اليمن صغارًا وكبارًا على استعداد للمسير الى خدمتكم فانهم قد راوا تحت ظلكم من الراحة والامان والعدالة ما لم يروه من قبل ولذلك تراهم يدعون دائمًا لدولتكم بالعز والبقاء ونشر الامن والامان وها ان بنتي والجيش يبقون في خدمتكم الى حين رجوعكم واسالهُ تعالى ان يعيدكم الى اوطانكم وانتم تحت الوية النصر والظفر والسلام ختام

فلما سمع الملك ضاراب كلام الشاه سليم قال بالحقيقة انهُ من عقلاء هذا الزمان وحكمائها فهو ودود مخلص فمثلهُ يليق ان يكون حاكماً مالكًا مستلمًا حياة عبيد الله محافظًا عليهم ولا بد لي بعد قليل من الايام ان ابعث لهُ برسول اعرض عليه كل ما جرى علينا لعلمي انهُ يسرُّ لسرورنا ويتكدر لكدرنا انما يكون ذلك بعد مجيء فرساننا والخبر عنهم والامل منهُ تعالى انهم يكونون هنا بعد يوم او يومين وهذا ما ينبهني اليهِ ضميري لان للسعادة علائم وللنحوس علائم وما النحوس الا اعداء الدّاء لنا لانها ان فاجئتنا لا تلبث عندنا طويلاً بل ترحل عنا مدفوعة بيد الاقدار مرفوسة برجل السعود . وقبل ان امكن الوليد اخيرًا من تدبير امر جديد فقد فكرت ان ننهض في الصباح ونسير الى جهة معسكره لانهُ لا بد ان يكون في بلاء وويل من جرى قتلة تمرناس وتفريق جيشهِ وجيش الامير مسعد فقد ندبرلنا ونحن في اصعب الضيقات اسهل الطرق لكبح هذا الجيش الذي لولا توفيقات العناية لكان اهلكنا لا محالة . فاستصوب الجميع رايهُ وباتوا على نية الرجوع الى تجاه معسكر الوليد في اليوم القادم وكانت رجال الاميرة انوش قد ضربوا مضاربهم وضربوا لها مضربًا بينهم فذهبت اليهِ وباتت على فراشها كل تلك الليلة قلقة مضطربة على غياب فرخوزاد وهي تقول في نفسها قد خاب ما كنت مؤَملتهُ فاني تحملت كل هذه المشاق وسافرت من بلاد اليمن الى مصر على امل ان اجتمع بمحبوبي فواخيبة المسعى ويا لضياع التعب اذا لم يعد فرخوزاد فماذا يا ترى يحل بي والى اي جهة اذهب وهل ابقى حية او اقتل نفسي والحق بهِ وهذا من العدل ان لا ابقى بعده دقيقة كي يقال عني اني حفظت عهده حتى الموت واذا مت فلا اعود فارى احدا من سكان هذه الدنيا وعليهِ فاني لا اخشى لومًا على قتل نفسي وكانت تقوى في راسها هذه التاملات وتنقلب اشكالاً وانواعًا وما من حاجة لشرح وبيان حالة من كان مثلها عاشقًا ثابت العزم كثير الوفاء

ولما كان الصباح نهض الملك ضاراب من فراشهِ وامر ان تنهض العساكر فتركب خيولها ففعلت وركب هو ايضًا وركبت انوش الى جانبهِ وطيطلوس ودوش الراي وساروا في مقدمة الجيوش الى ان استلموا السهل فتبطنوه وقطعوا الحرش حتى وصلوا الى المركز الذي كانوا بهِ قبلاً

وهناك شاهدوا عساكر مصر تعج وتضج وهي قائمة في مركزها فامر الملك ضاراب ان تدق طبول الحرب وقال لا يجب ان اضيع هذه الفرصة فانها غنيمة لنا فاعدائنا في اضراب ونقصان وليس في كل ساعة يجب الرحمة والعدل لان لو كان فرساني عندي وقومي باقية كما هي لانصفت القوم وما جاوزت هذا النهار بل اخرته لانبهم للقتال من قبل شروق الشمس اي من قبل ساعات والا فاجئهم بغتة. قال وكان الوليد حقيقة في اضطراب وارتباك لما وصل اليه الامير مسعد وحكى له ما كان من امر الحيلة التي نصبت عليهم وكيف قتل منهم هذا العدد العظيم تكدر غاية الكدر وكذلك سيف الدولة فانه عند اجتماعه بفهر ومهر وقهر لامهم على غشهم وسلوك هكذا حيلة عليهم غير ان الوليد كان معلقاً كل امله بتمرتاس وقال لوزيره وان كان قد فقد منا هذا المقدار ظلماً وعدواناً انما لي امل وثيق بان النصر باقٍ لنا وان تمرتاس سياتينا بالملك ضاراب في هذا النهار ولا اظن ان الايرانيين يثبتون امامه الا ساعات قليلة وبقي منتظر كل ذلك النهار بفروغ صبر وما صدق ان راى الشمس وقد مالت الى جهة الغروب فركب مع وزيره والشاه سرور وطيفور وسيف الدولة ورجاله الامراء والملوك وساروا على مقربة من الجيش وكان في نية الوليد ان يلتقي بتمرتاس على بعد لانه قد فرغ صبره ولم يمكنه القيام والبقاء لحين وصوله اليه بل ركب وتقدم رجاء ان يصل اليه خبر الظفر قبل وقته بدقائق الا انه ما تقدم الا قليل حتى شاهد طلائع جيشه عائدين على تلك الحالة المشومة وهم متفرقون كل التفريق يركضون وينظرون الى الوراء خوفاً من ان تكون الاعداء لاحقة بهم. فلما راى الوليد ذلك عن بعد كاد يطير صوابه وخفق قلبه وطار الشرار من عينيه ودلت حالة القادمين على عودهم مكسورين بكسرة هائلة مريعة وبقي خافق القلب مضرب البال الى ان وصلت لبين يديه جماعته وهم يلهثون من التعب والخوف فاستعاد منهم الخبر وكانوا يتقاطرون وراء بعضهم البعض من اليمين والشمال فتقدم احدهم وحث التراب على راسه ونعى اليه تمرتاس وبكى على ما اصابهم بعده فاخذ الوليد رعشة ورجفة وصاح على غير وعي من الذي قتله وباي حيلة قتل مع انه ليس فيهم من الفرسان من يقدر ان يلقاه او يثبت امامه وجيشه اكثر من جيش اعدائه. فقال اعلم يا سيدي اننا كنا قد انتصرنا عليهم في بادي الامر حتى احوجناهم الى تسلق الاكام ونحن في آثارهم الا ان هذا الفوز الذي ما لبث لنا الا كلمحة بصر زال حالاً بقدوم نجدة عينية على الملك ضاراب وقد تاكدناها من العلم وهي عظيمة المقدار وعليها فارس ملثم بلثام مغطى وجهه الى حد عينيه ولما وصل هذا الفارس لم ينضم في بادي الامر لا الينا ولا اليهم بل توسط القومين فبقينا محتارين في امره لا نعلم من هو وترجح في اذهاننا انه اتٍ من بلاد الشاه سرور نجدة له غير ان ذلك كان بالعكس لانه في الحال اخرج من عاتقه كنانة وسهماً اشعله واطلقه على تمرتاس فاصابه واحترق به وبعد ذلك حمل علينا واشتد به الملك ضاراب فعاد بعد تقهقره وحملوا علينا فالتقينا هم صابرون

الى ان اضطررنا الى الهرب اذ لم يبقَ منا الا القليل وقد قتل اكثرنا . فلما سمع الوليد هذا الكلام نزل عليه اشد من ضرب الحسام وما عاد يعرف من نفسهِ ماذا يفعل او بماذا يجيب وفي الحال عاد الى مضربهِ دون ان يبدي كلمة وقد اسود في وجههِ نور الشمس المصفر عند غروبها . وكان اتعس حالة منه الشاه سرور وطيفور وقد كدرهما هذا الخبر ولا سيما ان النجدة التي جاءت الى الملك ضاراب هي نجدة يمنية وقال طيفور للشاه سرور ان صدقني حذري يكون الشاه سليم قد حالف الاعداء وانقاد اليهم ووافقهم على غيهم وهو الذي بعث لهم بهذه النجدة القوية والا لولاها لكان انقضى الامر في هذا اليوم ورجعنا الى بلادنا بعد ايام قليلة قال الشاه سرور ان العساكر كما يزعمون من اهل اليمن فيكونون لا ريب من قبل الشاه سليم وهو من بادي الامر يميل الى الايرانيين محبة بفرخوزاد لانهُ طالما حامى عنهُ وعن جماعتهِ عندما ارغب في قتلهِ ولا ريب اذا جاء الملك ضاراب وعاد الى الحرب والقتال طلبنا من الوليد ان يبعث بوزيرهِ بيداندبش الى المقنطر الساحر الذي فعل بالفرسان ما فعل عساه يفعل بالباقين ويبددهم . قال الشاه سرور ان هذا لا بد منهُ ولا ريب في انهُ يكون قد خطر لهُ هذا الخاطر وسوف نرى ما يكون وعلى كل حال واخيرًا لا بد ان يكون النصر لجهتنا لان تفريق هذه الجيوش لا تكلف هذا الساحر مشقة ولو كان بيداندبش الوزير حكيماً لكان طلب هذا منهُ في المرة الاولى وكنا ارتحنا من كل هذه الضيقات والويلات العظيمة وخففنا عنا احمالاً واثقالاً كثيرة

قال وداموا في مسيرهم الى ان دخلوا الخيام وتفرق كل منهم الى ناحية ولا واحد يقدر ان يتلفظ بكلمة البتة ودخل الوليد خيمتهُ وارتمى على فراشهِ حزينًا كئيبًا فدخل عليهِ وزيره وجعل يطيب بخاطره وقال لهُ لا تخف يا سيدي فهذه عادة الحرب فيوم لنا ويوم علينا ولا تيأس لما حل بنا اليوم فاني ان شاء الله في الغد اسير الى المقنطر واعرض عليهِ حالنا واشرح لهُ كل ما توقع لنا واطلب منهُ ان يتداركنا بتدبيراتهِ ولولا غياب عياري بدرفتات لسرت من هذه الليلة لاني منذ اكثر من ثلاثة ايام وانا لم أرَه وقد شغل بالي لغيابهِ كثيرًا ولا اعلم اهو في قبضة الاعداء وقد قبض عليهِ احد عياريهم او عرض لهُ عارض اخر منعهُ من الاتيان اليَّ واني سانتظره واسال عنهُ في الغد فاذا لم يحضر صحبت معي غيره وسرت الى المقنطر وما من خوف علينا الان لان الملك ضاراب بعيد عنا قائم في تلك الاكام فلا يشعر الا والمصاب قد فاجاءه بغتة والقاه في اعماق الاخطار هو وقومهُ ففرج هذا الكلام عن الوليد على نوع ما وقال لا ريب ان المقنطر يخلصنا من هذه الورطة الويلة ويبدد لنا شمل الايرانيين واتفقا على انهُ في الليل القادم يسير الوزير اليهِ وباتوا تلك الليلة على تلك الحالة وفي الصباح نهض وجلس الوليد في صيوانهِ وهو ملقٍ كل اتكالهِ على الساحر واجتمع اليهِ جميع القواد والاعيان والملوك وكان بيداندبش قد بعث بالرسل تفتش على عياره بدرفتات داخل المدينة

وبعث من يسال عنهُ في كل انحاء جيوشهِ عسى ان يكون احد لهُ علم بهِ او عرف ماذا وقع عليهِ .
وبعد ان اجتمع المجلس قال الوليد لا باس من نجاح الاعداء في هذين اليومين فاني دبرت تدبيرًا
حسنًا جيدًا فلا تمض الا بضعة ايام حتى ننتهي من هذه الحرب وتنقرض الجيوش المحاربة لنا ويفنون
عن اخرهم انما كل حزني واسفي على تمرتاس لانهُ من الابطال المغاوير وقد فقدناه وكنا السبب في هلاكهِ
ولا بد ان يلحق الكدر عظيمًا بالملك قيصر عند بلاغهِ مقتل بهلوانه انما الحرب مجال للموت لا يعلم
من يموت فيها ومن يبقى . وبينما هم على مثل ذلك واذا ببعض القواد قد دخل عليهِ وقال لهُ اني رايت
الاعداء قد وصلوا الى هذه الجهة وقد انزلوا من آكامهم وقد لعب بهم طمع الانتصار حتى جاءوا الينا
كالذئاب . قال لا باس فليفعلوا مهما يشاءون وما لبث ان سمع اصوات طبولهم تضرب منذرة
الى الحرب والقتال فخرج في الحال من صيوانهِ مرتبكًا مضطربًا واسرع الى جواده فركبهُ وفعل الجميع
كفعلهِ وعمد كل الى جهة معسكره وما لحقوا ان اعتلوا ظهور خيولهم حتى كانت عساكر ايران حملت
حملة الاساد . واشعلت نيران الحرب والطراد وانقسمت الى فرق واقسام ونادت عن فرد لسان
يا لايران . اليوم يوم بهِ تفرق الارواح عن الابدان . ويعرف بهِ الشجاع من الجبان . ولم يكن الا
القليل حتى دارت رحى القتال . واعملت البيضُ النصال . في المرافق والاوصال . ولعبت العمدان
في الرؤوس والابدان . وهمهمت الخيل وصهلت . ولعبت الفرسان وحملت . ونشر الغبار كالغمام
وضرب فوقهم رواقًا كثيفًا من الظلام . وفعلت الفرسان افعال الصناديد . وقاتلت قتال
الابطال الاماجيد . ونادت مناداة المنتصرين . وقامت من على الشمال واليمين . تسد على
المصريين طرق الهرب وقد عولت على ان تبيدهم عن اخرهم الا ان المصريين كثير والعدد فلم
يخل انتظامهم ولا لحق بهم ضرر بل كانوا منضمين الى بعضهم البعض اي انضمام . فلاقوا اخصامهم
بقلوب لا تخشى الاعدام . ولا تخاف شرب كاس الحمام . ولذلك كان القومان متعادلان . والقومان
ككفتي ميزان . فان شجاعة الايرانيين اقامت مقام كثرة المصريين ودام السيف حاكمًا بين الفريقين
والموت سائدًا عند الطائفتين الى ان قرب الزوال ومالت الشمس طالبة الاختباء وعجلت
بالاختفاء وفي الحال ضربت طبول الانفصال فرجع الجميع عن الحرب والقتال . وهم في تعب
وملال وعاد كل الى ناحية فنزل الملك ضاراب في المكان الذي كان نازل بهِ قبلاً وعاد الوليد
الى مضاربهِ وخيامهِ وبعد ان اكل الطعام واخذ لنفسهِ الراحة اجتمع حوله اعيانهُ وقواده ومن الجملة
بيداندبش الوزير . فقال لا خفاكم ان الاعداء اخذهم الطمع فينا وفي نيتهم انهم يتغلبون علينا فاذا
لم نداركهم بالتدابير الحسنة والاَّ نالوا منا مرادهم في يومين او ثلاثة ايام . فقال طيفور ليس من الراي
ان نتهامل في امرهم بل من الواجب ان نبعث بوزيرك الى المقنطر الساحر ويعرض عليهِ عظم المصائب
التي جدّت بعد غياب فرسان ايران ويطلب منهُ دفعة واحدة هلاك الملك ضاراب وقومهِ لان

الحرب قد طالت كثيراً ولم يعد من وسيلة لحسمها الا به ولو سالة من الاول ذلك لفعلة وجرى على الجميع ما جرى على فيرونرشاه ورفقائهِ . قال الوليد انهُ خطر لي ان ابعث الوزير من امس انما تاخر بسبب غياب عياره . قال بيداندیش اني لما كنت عند المقنطر دفع اليَّ خاتماً ابطل بهِ عمل الافعى القائم عند باب سده ومنذ اربعة ايام اخذ عياري الخاتم ولم اعد اراه فيما بعد ولا اعلم اين هو وهل وقع في يد الاعداء او لحق بهِ ضرٌّ اخر ولذلك انا في ارتباك عظيم من اجلهِ والا لكنت سرت منذ الامس . فقال طيفور لا يجب ان تنتظر عيارك وكما دخلت في الاول على المقنطر الساحر يجب ان تدخل هذه المرة فلربما لم يرجع عيارك واخاف ان يكون قد اتفق مع الملك ضاراب واخذ لهم الخاتم للسعي في امر خلاص فرسانهم . قال لا يمكن ان يكون ذلك الا اذا كان اسيراً ونزعوه منهُ وعلى كل حال فاني اسير من هذه الساعة على امل ان اكون هنا بعد ثلاثة او اربعة ايام انما اريد منكم ان تامروا هلال العيار ان يسير معي لاني احتاج اليهِ في الطريق فاجابهُ الوليد الى طلبهِ ودعا بهلال العيار وقال لهُ كن على حذر فانك بعد ساعة ستسير برفقة الوزير الى قصر المقنطر الساحر فيكون لك بذلك الخير الكثير قال سمعاً وطاعة فاني احب ان احضر بين يدي هذا لاطلب منهُ ان يسهل على الاخص طرق زفاف سيدتي عين الحياة بسيدي الشاه صالح وان يكتب لهما الحجابات التي تقربهما من بعضهما البعض في الحب والرغبة وان يمنع عنهما كل اعين المفسدين الحاسدين

قال الراوي وما انتهى هلال العيار من هذا الكلام حتى سمع من نحو الاعجام غوغاء وضوضاء وصياح وتصفيق ومناداة ثم اعقب ذلك اصوات طبول افراح وتباشير هناء وموسيقات ملكية تعزف باصوات التهاليل والمسرات حتى كان القوم في اعظم فرح وحبور فاشغلت هذه الحالة افكار الوليد وجماعتهِ وارعبتهم كل الرعب وحسبوا لها الف حساب وفي الحال قال لهلال العيار سر بالعجل وادخل بين القوم وانظر فيهم واتينا عنهم بعلم اليقين ولا تخفِ عنا شيئاً البتة قبل ان نسير مع الوزير . فاجاب امره وسار فغير ثيابهُ ولبس ثياب فقراء الاعجام وخرج من جيشهِ وتوغل في القفار ثم جاء من جانب الجيش وهو مظهر على نفسهِ الفاقة والضنك فلم ينتبه اليهِ احد ولا راى حارساً عند الحدود فاشغلهُ هذا الامر وزاد انشغالهُ عندما راى كل واحد يصفق من جهة وهذا يهنا ذاك وذاك يبشر هذا فدنا من احد الناس وسالهُ عن الخبر بلسان ايراني وقال لهُ يا سيدي

انتهى الجزء العاشر ويليهِ الحادي عشر
عما قليل ان شاء الله

الجزء الحادي عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

لما هذا الفرح في قومنا اهل جد حادث جديد موجب لهذه الاعمال . فقال له ويلك اما انت في الجيش وهل انت اطروش الا تسمع قال اني اسمع انما لا افهم وانظر الناس في فرح زائد فاسال فلا يخبرني احد وربما الضعف حالي وكوني شحاذ لا يلتفتون اليَّ . قال صدقت فانك معذور واني اخبرك ان فرساننا وابطالنا قد عادت الينا في هذا اليوم من اسر الساحر المقنطر فاظهر هلال الفرح ورمى قبعته بالارض وجعل يرقص بعصاه حتى ضحك منه كل من راه ومن ثم وقف وقال وهل سيدنا فيروزشاه عاد من الاسر ايضاً وتخلص معهم قال الرجل تخلص الجميع وجاءوا بالمقنطر اسيراً وقد ركب على ظهره بهروز من قصره الى هذه الناحية فزاد فرحه الظاهري وجعل يصفق ويمشي حتى فات القوم ثم نظر الى الوراء فلم يرَ احداً يلتفت اليه فعاد من حيث اتى وهو مضطرب كل الاضطراب وكادت مرارته تنفطر وعلم ان زمان انقراض الوليد ورجاله قد آن وان الشابور سيلحق به ما يلحق بغيره من الذل والخسران ولا زال على هذه الحالة حتى دخل على الوليد وقال له ان الخبر مشوم يا سيدي فقد قلبت علينا النحوس وخاب ما كنا نظنه ونومل به واليوم اخر الرجاء فخفق قلب الجميع عند استماع كلامه وقال له الوليد عجل بالاخبار قال يا سيدي ان فيروزشاه قد تخلص ومن معه من اسر الساحر وقد جيء بالساحر ذليلاً حقيراً وهو مقاد كالبعير وفوق ظهره بهروز العيار عيار فيروزشاه وابن الغول . فنزلت الخملة على الجميع واخذهم سكوت طويل ولم يقدر احد منهم ان يلفظ كلمة الا ان طيفور لم يقدر طويلاً على السكوت لانه لم يصدق هذا الخبر ولذلك قال لهلال هل نظرت بعينيك ما تكلمت به فاني احسب ذلك ضرباً من المستحيل وكيف يمكن لبهروز ان يسطو على مثل المقنطر الساحر ويقوده ويركب على ظهره وهو يملك لسانه وعقله فيقدر بكلمة واحدة ان يقيده ويكتشف على امره ويعرف سره واحواله . قال هكذا سمعت ولا اظن ان فرح الايرانيين ينتج عظيماً هكذا على غير هذه الطريقة . قال طيفور ان الايرانيين اصحاب مكر وخداع فعملوا هذا العمل واشاعوه بين قومهم لاسباب اولاً لتشتد به ظهور الفرسان ويصبحون قادرين على الضرب والطعان لعلمهم ان فيروزشاه ورفقاه في نصف المعسكر ثانياً ليبلغنا هذا الخبر ونحسب له حساباً ونهابه ويكون علة لقطع ظهورنا واضطرابنا ولا سيما اذا عرفنا ان الساحر اسير عندهم فلا نعود نطمع بالمسير اليه للتخلص منهم وبذلك يصبحون قادرين علينا اذا قطعنا الرجاء منه . فدخل هذا الكلام في خاطر الوليد صواباً وقال لهلال سر

ثانيًا الى الجيش واحتال لتنظر بعينيك وهل حقيق ذلك ام لا وهل ان الفرسان تخلصوا فاذا رايت ذلك حقيقة فعد الينا حالاً واخبرنا بالواقع فاننا لا ننام الليلة الا لتعود من بينهم . قال سمعًا وطاعة وفي الحال عاد على الطريق التي جاء منها ودخل بين الايرانيين ولا زال يطوف بين المضارب والخيام وهو ينظر الى فرح القوم ولا يرى فيهم شيئًا من التصنيع والرياء الى ان وصل الى قرب صيوان الملك ضاراب فوجد الازدحام كثيرًا والعالم تاتي افواجًا افواجًا للفرجة على المقنطر وهو واقف بباب الصيوان وعلى ظهره بهروز العيار وفي انفه ابرة ثخينة من الفولاذ وفي رقبته حبل طو بل اشبه بقود مسلمة بد رفنات العيار . واخذ هلال في ان يزاحم القوم الى ان قرب من الصيوان وشاهد تلك الحال فتحقق الخبر الا انه نظر الى الداخل فراى فيروزشاه جالسًا بالقرب من ابيه وبقية فرسان فارس من حواليه وكلهم كالكواكب اللامعة والملك ضاراب لابسًا ابهى زينة وعلى راسه التاج المرصع الذي كان يلبسه اثناء المواسم والاعياد وكان لا يفارقه لا ليلاً ولا نهارًا بل اينما سار يصحبه معه وكذلك طيطلوس والجميع عليهم من الملابس الذهبية ما لا يثمن بثمن فحقق هلال ما سمعه وفي الحال كر راجعًا حتى انتهى الى حضرة الوليد فقال له ليس يا سيدي في المسالة رياء ولا خداع من القوم فانهم على الواقع يفرحون و يسرون ثم حكى له ما شاهده وكيف راى المقنطر ذليلا حقيرًا وعلى ظهره بهروز وهو عرضة للفرجة والهزء

فلما سمع الوليد هذا الخبر وتحققه ايقن بالهلاك وخراب الديار وتشتيت الاحوال ولعب به لاعب الياس فقطع حيلته والقاه في ارتباك وذهب الى فراشه دون ان يبدي رايًا وتفرق من بعده الجميع كل ذهب الى صيوانه وهم في حالة من ايشم الحالات واصعبها واجتمع طيفور بالشاه سرور في انفراد وقال له ان هذا الحساب لم يكن لنا على بال وما كان ظني ان الملك ضاراب يعود الى التجمع وتعود اليه قوته وهل يدخل بعقل بشران مثل بهروز العيار يتوصل الى القبض على مثل المقنطر فبالحقيقة ان العناية مصاحبة الايرانيين ولم تنته السعادة عنهم بعد . قال الشاه سرور ان هذا الذي كنت اخافه واخشاه وقلبي ينبهني الى ان الملك ضاراب لا بد ان يقهرني و ياخذ مني بنتي رغماً عني كما اخذ بلادي وانفذ امره فيها . قال طيفور اما اخذه لبنتك فلا بد منه وهو الاوفق انما نخاف من ان ينتقم منا و يقتلنا لانه من المقرر الموكد انه مملوء بالغضب من امتناعنا عليه ولا بد اذا وقعنا في يده ان يميتنا اشر ميتة ولذلك ارى من اللازم اذا دخل المدينة نفرٌ من غير جهة ونترك عين الحياة اما بارادتنا او بالرغم عنا فمتى استحوز عليها وتملكها زفها على والده ورجع عنا و بعد ذلك نرسل اليها الرسل فتتوسط امرنا ونعود كما كنا هذا اذا كان لم يظهر لنا من عالم الغيب امر جديد يعود علينا بالنصر والظفر فربما كان يخطر للوليد ان يذهب الى قيصر و يتمسك باذياله و يطلب اغاثته ومعونته فتكون اذ ذاك لنا طرق الرجاء مفتوحة فنذهب معه ويكون اتمام السعي

عليهِ تعالى . ثم ان الشاه سرور وطيفور باتا في قلق حيث لا يعلمان ما يكون من مستقبلهما وما تخبأ لهما في زوايا الزمان

قال الراوي وكان السبب في خلاص فيروز شاه وبقية الفرسان الذين كانوا في قبضة المقنطر بهروز العيار كما تقدم معنا الكلام فانهُ سار ومعهُ الاشوب عيار مصفر شاه وبدر فتات وداوموا المسير الى ان تبينوا السد عن بعد فدنوا منهُ شيئاً فشيئاً الى ان قربوا من الباب وراوا الحية عليهِ قائمة على عملها والنار تنقذف من فيها كبركان نار ملتهب فاخرج بهروز الخاتم وتقدم امام رفيقيهِ الى الافعى فبطلت حركتها عندما صوب الخاتم اليها وباقل من لحظة مر الاشوب وبدر فتات من الباب وتبعهما بهروز وبعد اذ صاروا داخل الباب عادت حركات الافعى الى ما كانت قبلاً ثم تقدم بهروز امام الاثنين واوصاهما كل الوصية وعلمهما ما يحتاجان اليهِ وما هو لازم لهما ولهُ وبقي سائراً الى ان توسط الروض وكان الوقت اذ ذاك صباحاً فصادفوا المقنطر خارجاً من قصرهِ وفي نيتهِ ان ياتي روضة فشاهدهم اتين اليهِ وقبل ان تاخذهُ الدهشة من حالتهم ويفكر فيهم نظرهم قد سجدوا امامهُ الى الارض ونادى كبيرهم هوذا السيد العظيم والساحر الكريم الذي اتينا من اقاصي الارض لخدمتهِ ونقف بين يديهِ هذا استاذ السحراء وكاهن الكهناء الذي لا يوجد لهُ في هذا الزمان ثانٍ فاشكر الشياطين والارواح القوية على هدايتها لنا الى ان صار لنا ان نتشرف بلثم تراب اقدامهِ فالحمد لهم والف الحمد على هذه المنة العظيمة ولنشكر النار وما تبعث الشمس من الانوار وما ياتيهِ ابليس من الاسرار وجعل يسجد ويقوم عدة مرات ويفعل الاثنان كفعلهِ حتى تاكد المقنطر انهم سحراء او تلامذة سحراء وثبت عندهُ ذلك من ثيابهم المشغلة بالنقوش التي لا يمكن ان تكون الا من عمل اعظم السحراء وصبر الى ان وقف بهروز بين يديهِ وارتمى عليهما يقبلهما ووقع على رجليهِ يقبلهما ايضاً ويمرغ بوجهه عليهما وقال لبدر فتات وللاشوب تقدما وامسحا وجهيكما باقدام هذا السيد العظيم تبركاً منهُ فهو سلطان سلاطين سحراء هذا الزمان وواحد كهانهِ ولا يوجد بين الفرسان من هو مثلهُ في حكمتهِ وعظمتهِ وكرامة اخلاقهِ وسيادتهِ وعلو منزلتهِ واذا قدرناه حق قدرهِ حق لكل من خدم واستخدم ان يتخذه الهاً ومعبوداً فخراب الدنيا وعمارها متوقف على لفظة من فيهِ

فلما سمع المقنطر هذا الكلام اعزتهُ نفخة الكبر والعظمة ومال قلبهُ الى بهروز وفي الحال تقدم الاثنان وجعلا يقبلان اقدامهُ ويتمرغان عندها . ثم قال المقنطر لبهروز من انتم ومن اين اتوت فيظهر لي انكم قد كملتم آداباً ومعرفة وتربيتم على يد رجل عظيم الكهانة واللياقة فقال لهُ بهروز اعلم يا سيد سادات من خط وكتب ونطق بالحكمة المنطوية على الاسرار الروحية اننا عبيدك من بلاد الغرب الاقصى وذلك ان ابانا كان من هذه البلاد وسار بتجارة الى تلك الارض واقام فيها

وتيسرت اموره وتحسنت احواله فاخذنا مع والدتنا ونحن صغار لا نبني على احد ولا نعرف شيئا من هذه الدنيا الى ان كبرنا وكان والدنا قد تعرف باحد المغاربة الذين لهم معرفة بفن السحر فطلبنا منه وقال له ان اولادك يصلحون لان يكونوا سحراء واني اكراماً لك ابذل الجهد في تعليمهم فاقمنا عنده اياماً وفي نيته ان يعلمنا هذا الفن الشريف فدرجنا في بادىء الامر ان علمنا شرب المر واكل الحشرات وما تمتاز به السحراء ليكون لنا نفس قوية على قبول مثل هذه المكاره . فكنت انا اصنع له الشراب فاستخرجه بما يسرّ به جداً ويقول لي دائماً انه لا يمكن ان يوجد من هو قادر على استخراج مثلك وكنت اشربه بقبول ورغبة فاتقنا الحد اما اخويّ كانا يكرهان ذلك ولم يعتادا عليه ولسوء الحظ فاجأت المنية استاذنا قبل ان بدأ بتعليمنا الا انه قبل موته اعطانا هذه الثياب وقال لنا هي تقيكم من كل ساحر وتدخلكم في جوق السحراء وسالنا ان نقصد غيره فلا نضيع هذا الفن الشريف فحزنا عليه جداً وصرفنا نحواً من سنة بالبكاء والعويل . ثم جعل بهروز يبكي ويلطم على خدوده وبدرفتات والاشوب يفعلان كفعله وقال للمقنطر انه لا يليق بالانسان ان ينسى من عمل معه معروفاً فياليتنا كنا الفداء لنفسه من نكبات الايام وغدرها . ثم اننا يا سيدي بعد السنة رجعنا الى ابينا واخبرناه بموته فحزن جداً وفعل عليه افعال الام على ولدها لما كان بينهما من الحب والمودة . وبعد ان صرفنا زماناً ليس بقليل ونحن نسال اذا كنا نرى غير استاذنا يدرسنا هذا الفن . واخيراً قال لنا ابي اذا كان ولا بد لكم من تعليم هذا الفن على حقيقته فان في بلاد مصر ملك هذا العلم وسيد وفارس ميدان سباقه المقنطر الساحر فاذهبوا اليه وترامو على اقدامه فهو كريم لطيف حليم يقبلكم ولا سيما اذا عرف انكم من بلاده ومن ابناء وطنه . فكاد قلبنا يطير فرحاً وحبوراً وبعد ايام قليلة ودعنا ابانا واخذنا رضاه وسرنا على هذه النية والامل ان كرامتكم تقبلنا عبيداً لنصرف العمر في ظلكم وتحت طاعتكم وفي خدمتكم

فاجابه المقنطر على الرحب والسعة فانت عندي في ارفع منزلة لان قلبي قد مال اليك ولكن يجب ان تقيم عندي اياماً وتصنع لي شراب هذا المساء من يدك لارى هل كما وصفت وقلت من ان استاذك الاول كان يشهد لك به قال سمعاً وطاعة فسوف ترى مني صدق ما قلته لك . ثم انهما رجعا الى الداخل ومن خلفهما بدرفتات والاشوب وجعل المقنطر يريهم غرف قصره واحدة بعد واحدة الى ان دخل بهم اخيراً غرف تلامذته وكان عنده اثنا عشر تلميذاً يدرسهم فن السحر وقد انتخبهم لنفسه فلما راهم بهروز حياهم وبش فيهم واظهر سروره منهم فعاملوه بالمثل وقد تعجبوا من رقته وانبهروا من ثيابه وثياب الذين معه وعلموا انهم من وجاق السحراء وهناك جلس المقنطر بين تلامذته وامر بهروز وبدرفتات والاشوب ان يجلسوا على المائدة فاقام كل منهم الى جانب على كرسي فامر ان يوتى لهم بالشراب فذهب احد التلامذة واتى به وهو على صوان من ذهب وكان

المقنطر يرغب في ان يرى كلام بهروز هل هو صحيح ام لا وهل يقدر ان يشرب هذا الشراب بقبول مع انهُ هو نفسهُ يتضجر منهُ ولولا عادتهُ وكثرة استعمالهِ لكان لا يطيق شربهُ اصلاً . ولما قدم الشراب الى بهروز اخذه بقبول ووضع الكاس على فمهِ وتجرعهُ دون ان يظهر على نفسهِ ادنى ملل او كراهة او شيء من ذلك بل بين للمقنطر سروره من ذلك الشراب وانهُ سهل عنده شربهُ وبشتاقهُ بتشوق زائد بخلاف بدرفتات والاشوب فانهما ما شرباه الا بكل ملل وكره فسر المقنطر من بهروز وقال لتلامذتهِ انظروا الى هذا الولد الماهر واقتدوا بهِ ولا ريب انهُ يخرج ساحر قادر لا ثان لهُ في زمانهِ فقال لهُ هذا اجل غايتي يا سيدي فاني اعرف ان من تكون انت استاذه يسود ويباهي ويفاخر بين العالم اجمع

وبعد ذلك بقليل امر بوضع الطعام فاتي بهِ من جراذين مقلية بدهنها ومن هر رمشوية على النار مسلوخة وراسها ويداها باقية ومن جراذين مكبوسة بالملح الى غير ذلك مما تكرههُ النفس فلما راى ذلك بهروز قال هذا الاكل مما تطلبهُ نفسي ثم جلس وجعل ياكل بالتهام ويظهر سروره من الاكل دون مانع او تكره حتى سرَّ منهُ المقنطر فوق ما هو مسرور وقال في نفسهِ لا بد لي من الاعتناء بهِ عن غيرهِ وان افضلهُ على جميع تلاميذي وقد اعمى الله عنهُ وجه الحقيقة وستر غايتهُ فلم يفكر بحيلتهِ ولا خطر لهُ قط انهُ محتال او مصنع وبعد ان فرغوا من الطعام قام المقنطر وخرج الى روضهِ وقال لتلاميذه ابقوا انتم في دروسكم وسال بهروز ان يسوي لهُ الشراب وان يستخرجهُ بحسب ما تعلمهُ من استاذه الاول ليرى هل هو كالشراب الذي يستخرجهُ هو فقال سمعًا وطاعة ونزل بهروز ايضًا الى البستان واخذ من الحشائش والاثمار المرة فدقها وعصرها ثم غلاها على النار نحوًا من ربع ساعة وبعد ذلك انزلها وبردها الى ان نضجت جيدًا وبعد ذلك جاء بالروائح الزكية ورشها فوقها ولما فرغ من عملهِ قال الان وقت نوال المرام ثم سكب الشراب في كاساتهِ فاملأ اولاً الكاس الاكبر للمقنطر ووضع فيهِ البنج كثيرًا ثم ملأ ايضًا الاثنى عشر كاسًا واشغلها بالبنج ايضًا واما كاسهُ وكاسا رفيقيهِ فبقيا على خالها وصف الجميع على المائدة وعاد الى المقنطر وقال لهُ ياسيدي ان الشراب قد انتهى فهل لك ان تذوقهُ وتامر بشربهِ قال اني بانتظار ذلك وفي الحال صعد من الجنينة ودخل غرفة الطعام فوجد الكاسات مملوءة واستنشق الروائح العطرية فانتعش بها قلبهُ وقال نعم ان الشراب يحتاج الى مثل هذه الروائح فهل هكذا كان يشرب استاذك قال نعم يا سيدي وجلس المقنطر وجلس التلامذة كل على كرسيهِ المخصوص بهِ وبقي بهروز واقفًا فقال لهُ المقنطر لما لا تجلس قال ان خدمة المائدة في هذا العشاء عليَّ ياسيدي ولذلك بعد شربكم للشراب اهيء لك طعامًا لم تذقهُ زمانك لتعلم صدق خدمتي لسيدي . قال احسنت فتلك تلامذ السحراء والا فلا ثم اخذ الكاس وامر التلاميذ ان ياخذ كل كاسهُ ففعلوا وشربوا وقد ذاق المقنطر ان مرارتها اشد مما كان يصطنعها

هو انما كانت ازكى رائحة واشهى لنفسهِ فسرَّ منها وقال لبهروز عاقاك فهذا الشراب لم اذق مثلهُ عمري والامل ان يكون الطعام مثلهُ فقال مرحبًا بك يا سيدي فسوف تعلم علم اليقين اني ما جئتك الا رغبة في هذا الشراب لاسقينك اياه من يدي فتذوق ما لم تذقهُ وما انتهى بهروز من كلامهِ حتى وقع تلاميذ المقنطر باجمعهم واما هو فانهُ راى من نفسهِ تغيير احوالهِ وانهُ اخذ في ان يدوخ شيئًا فشيئًا فتاكد ان الشراب مشغل لاسيما عندما تبين من تلامذته انهم سقطوا جميعهم فاحدق في بهروز وعول ان يوقع بهِ فلم يقدر ان يتلفظ بكلمة واحدة ولم يمكنهُ بهروز ايضًا بل انهُ خاف من ان يصل غايتهُ فيهِ قبل سقوطهِ فرفع يده ولطمهُ بها لطمة قوية القاهُ بها على الارض كالمائت وقد غاب عن الوجود من عظم الضربة القوية التي وقعت عليهِ ومن فعل البنج وفي الحال اسرع الى حبل فشده واخرج من جيبه ابرة كان قد استحضرها من عند صفراء الساحرة وادخلها في ارنبة انفهِ وكان قد تعلم من صفراء ان هذه الابرة اذا ادخلت في انف السحرة يفقدون معرفتهم ولا يقدرون على الاتيان بعمل من اعمالهم السحرية

وبعد ان انتهى بهروز من عملهِ طاف بالقصر كلهِ ومعهُ رفيقاه وهم يفتشون على الاسارى فلم يروا احدًا ولا وقفوا على خبر احد منهم حتى اعياهم الامر وتكدروا مزيد الكدر ورجع بهروز ووضع ضد البنج في انف المقنطر فاسيقظ ووجد نفسهُ اسيرًا مربوطًا واراد ان يوقع ببهروز فلم يقدر فقال لهُ بهروز اين فرسان فارس واين سيدي فيروزشاه فاهدني اليهِ في الحال والا نحرتك بهذا الخنجر. قال ويلك اني قادر ان افعل فيك ما فعلتهُ بهم ولكن قلبي احبك فلا اعاملك بما تستحق وسوف اهديك اليهم انما اخرج لي هذه الابرة من انفي فانها المتني جدًا وسر امامي لاوصلك اليهم ولا تظن اني ما عرفتك من الاول انما غضضت الطرف عنك رغبة فيك . قال انك ترجو محالاً فهذه الابرة لاتخرج من انفك ما دمت حيًا فعجل لي بالافادة عن مكان وجودهم فقد طفت القصر وفتشت في جميع نواحيهِ . قال لا يمكن ان اخبرك البتة ولو قتلت ومت الف مينة . ثم نظر المقنطر الى جهة سرير منامهِ ليرى اذا كانت تغيرت حالتهُ عندما سمع من بهروز اني فتشت القصر باجمعهِ فلحظ منهُ بهروز ذلك واسرع الى السرير فقلبهُ فوجد تحتهُ حلقة فشدها واذا ببلاطة قد رفعت فيها وبان من تحتها دهليز عميق يبتدي بسلم ضيق فتدرجه الى ان وصل الى الاسفل ومشى بذاك الدهليز الى ان انتهى الى دار صغيرة في صدرها قبو كبير واطئ فدفع بابهُ بقوتهِ فانكسر ودخل واذا بهِ يرى الفرسان باجمعهم مشدودين الى بعضهم البعض وهم في حالة عذاب لانهم كانوا باجمعهم مقيدين بايديهم وارجلهم ومضروب لهم سكك من الحديد بخلاف فيروزشاه فانهُ كان مضاعف العذاب في ارجلهِ اربعة قيود ومثلها في ايديهِ وعند عنقهِ طوق من الحديد الكثير المناخس يحيط بهِ بحيث لا يقدر ان يتحرك . فلما راهم بهروز فرح غاية الفرح وانسع صدره وايقن انهُ نجح نجاحًا ما بعده نجاح . وفي

الحال قصد فك القيود فاخذ المبرد وقصد ان يفك قيودهم به ويقطع السكك فلم يوثر المبرد فيها فاغاظه ذلك جدًّا . واما فيروزشاه فانه فرح غاية الفرح وقال له الا زلت يا بهروز تأتينا بوقت الضيق فانت علة وجودنا فاسرع في خلاصنا والا متنا عن اخرنا . فامعن بهروز النظر مدة وهو يفكر ماذا يعمل بقطع القيود وقد ترجح عنده انها قيود سحرية لا يفعل بها المبرد ولا خلافه ولذلك عاد راجعًا الى المقنطر واخذ الخنجر واستله عليه ونخسه في ظهره وقال له اني اخرك اذا كنت لا تفك قيود الاسارى قال لا افك قيودهم ما لم تطلقني فاني اعاهدك على ان لا اخون قولي بل حالاً افككهم واطلق سبيلهم ولا اعود الى اسرهم مرة ثانية قال انك ترجو محالاً فما لخلاصك من سبيل انما اذا فككتهم خففت عنك العذاب ورفعت عنك اثقالاً كثيرة بفكري ان احملك اياها قال لا تطمع بخلاصهم الا برفع الابرة من انفي فاحتدم بهروز من كلامه ولعب به الغضب وبينما هو على مثل ذلك خطر بباله الخاتم الذي جاء به بدرفتات العيار بانه يبطل عمل السحر وفي الحال اسرع الى النزول في السلم فصار في اسفل الدهليز ودخل القبو الموجودين به وقبل كل احد دنا من سيده فيروزشاه ووضع الخاتم على قيوده فتساقطت ووقعت الى الارض فكاد يطير شعاعًا ومثل ذلك فعل بالاطواق الحديدية التي كانت تحيط بعنقه فانفتحت وزالت فرمى بهروز نفسه عليه وجعل يقبل يديه ويهنئه بالسلامة فقبله فيروزشاه وقد بكا من شدة الفرح لانه كان لا يصدق بالخلاص وايقن قبل مجيئه بالهلاك والممات غير انه قال له دعني يا بهروز الان واسرع الى فك قيود الباقين فانهم في عذاب مبين فاسرع اليهم وجعل يضع الخاتم على القيود فتتساقط وتحل وتطلق اصحابها وترجع اليهم الحرية التامة وهم في فرح لا يوصف وما منهم الا من شكر بهروز واثنى عليه وتعجب من فعله وقد سأله فيروزشاه كيف قدر ان يتوصل اليهم ومن اين عرف انهم عنده وانهم تحت الارض . فحكى له كل ما توقع له معه وكيف انه اسره بالابرة الفولاذية وانه الساعة قائم في القيود وقال لسيده ارجوك ان تحكي لي عن انواع العذاب التي عذبكم بها واخذلكم بالثار منه . قال لا نخفاك اننا عندما كنا في الجيش نحارب ولا علم لنا بامور مثل هذه واذا بنا قد تطايرنا في الهواء ولا نعرف عظم القوة الفعالة التي نهضتنا بل لم نرَ في انفسنا الا سقوطنا باسرع من لمح البصر امام هذا الخبيث واذا به جالس على كرسيه كانه الملك في عظمته ولما صرنا بين يديه لم يكن فينا من قوة نتحرك بها فقال لنا اهل كان من قدركم ان تطرقوا ديار مصر وتعملوا ما عملتم دون ان تحسبوا لي حسابًا انما لاحق عليكم اجمعكم بل الحق على هذا فيروزشاه . ثم تقدم مني ولطمني لطمة لا انساها الى الابد الا انه لم يكن عندي من القوة قدر ذرة لادافع عن نفسي او انتقم لها منه ولما لعب بي الغيظ قصدت ان ارفع بيدي لاضربه فلم استطع فكدت انشق احتدامًا غير انه لم يكن في وسعي الا الصبر فصبرت على مضض . ثم ان المقنطر قال لنا اني عازم على قتلكم جميعًا وليس الان بل عندما ينتهي الوليد

من عمله وينتقم من جيوشكم ويبددها ويزف ولده على عين الحياة وبعد ذلك يجيء الي مع وزرائه وفرسانه فاقتلكم بوجودهم شر قتلة . فلما سمعت ان في الاجل تاخير فرحت على نوع ما وقلت في نفسي ان هذه من توفيقات العناية لان بهذه المدة لا بد من ان يسعى بهروز او طارق بخلاصنا بالحيلة وبعد ذلك جاء بالقيود فكان يامرها ان نقيدنا فتفعل وتضايق علينا ثم ساقنا الى هذا القبو وضرب لنا السكك وزاد لي انا العيار ووضع لي المناخس وقد قال لي انك رئيس القوم فمن الواجب ان تحمل اضعاف ثقلهم لا سيا وان بنية جسمك وقوتك تقدر على العذاب اكثر منهم . وبقينا في هذا المكان وكل يوم يرسل لنا مع واحد من تلاميذه قطعة من الخبز فقط لا غير مع قليل من الماء ولذلك ترانا في خوار عظيم وضعف . قال لا باس فالحمد لله الان على سلامتكم فاذهبوا بنا الى الاعلى لناخذ الساحر معنا وتلاميذه ونسير في الحال لان الملك ضارب في شدة عظيمة وقد تاخر الى الاكام وتحصن بها وهو في مزيد ارتباك فاذا لم نداركه تشتت الجيش جميعه وامسى هو اما اسيرًا واما قتيلاً فلما سمع فيروزشاه صاح من شدة الاسف وقال لا سمح الله ان يقع على ابي مكروه فلا بد لي من ان انتقم من الوليد ومن رجاله واجعل بلاده خرابًا ينعق فيها البوم والغربان ومثل ذلك فعل بهزاد وبقية الفرسان وقالوا سيروا بنا الى مواقع القتال لناخذ لانفسنا بالثار

قال ثم انهم اسرعوا الى فوق وامامهم بهروز كفرخ من فروخ الجان وباسرع من لمح البصر صاروا في ساحة القصر وراوا المقنطر على تلك الحالة فشمتوا فيه وما منهم الا من طلب ان ياكله باسنانه الا ان بهروز منعهم وقال لهم لا بد لنا من عذابه فتهيئوا للمسير فاننا في حاجة الى السرعة انما قبل ان اذهب لا بد لي من ان افتش في هذا القصر فلا بد ان يكون فيه من الجواهر ما نستعين به في غربتنا . وفي الحال اسرع الى الغرف وجعل يدخلها واحدة بعد واحدة وكلما راى شيئًا من التحف والجواهر والذهب اخرجه حتى حزم عشر حزم فعاد الى تلاميذ المقنطر فايقظهم من رقادهم بضد البنج فاستيقظوا وانبهروا عندما شاهدوا كثرة الفرسان فصاح فيهم بهروز وقال لهم ويلكم من فاه منكم بكلمة قتلته الا تعلمون اني كبير سحراء هذا الزمان وما استاذكم الا من اقل تلاميذي وقد قصدت ان اخبره لاعلم عظم معرفته فاذا هو حمار بليد لا يعرف من السحر الا الاضرار بالناس والا لو كان كما يدعي لكان عرف اني من اكبر اعدائه والان قد صار اسيرًا وسترون ما افعل به انما لا اريد ان افعل بكم سوءًا اذ لا ذنب عليكم انما اريد ان اصحبكم معي الى جيوش فارس فليحمل كل منكم حزمة من هذه الحزم ويسير امامنا ثم فتش بهروز على مكان الخبز فوجد بعض ارغفة فاعطى كل واحد من الفرسان كسرة وقال لهم اننا في الطريق ناخذ من القرى والضياع وكان جاءهم باسلحتهم التي كانت عليهم لانها كانت في احدى الغرف ودفع لكل امتعته وخرجوا . واما هو فانه تقدم من المقنطر وركب على عنقه ولف برجليه على ظهره وقال له سر بي مع رفاقي فقال له لا اسير فرفع

السكين ونخسة بها نخسة قوية من فواد مقروح فجرحه وسال الدم وركض يجري حالاً امام الجميع وقد قال له بهروز الان ان عصيتني قتلتك لاني لست في حاجة اليك وقد انهيت كل العمل وخلصت الفرسان فموتك خير من حياتك فالتزم ان يطيعه وسار بركض الى ان وصلوا من الافعى فاخرج بهروز الخاتم وصوبه اليه فبطلت حركته ثم دنا من الافعى فرفسه برجله الى الارض فسقط . وقال المقنطر لا تظن ان رصدك يفعل فيَّ فان ثيابي هذه لا يؤثر فيها السحر ولا تفعل نار الافعى بها شيئاً انما جئت بالخاتم لاقوى عليه واسهل للفرسان المرور وبعد ان بعدوا عن القصر جعلوا يمرون على القرى والضياع فيذهب بدرفتات والاشوب و ياتون منها بالطعام وداموا في مسيرهم نحو يومين وليلة الى ان ادركوا مصر فعول بهروز ان يميل بهم الى جهة الاكام الا انه نظر عن بعد ان جيوشاً كثيرة عند المدينة فقال ان صح ظني فالملك ضاراب قد عاد الى مركزه الاصلي وهو في نصر وتوفيق ومن اللازم ان نرسل بدرفتات يكشف لنا اخبارهم فاذا كانوا هنا يبشرهم بقدومنا فاستصوبوا رايه وامر فيروزشاه بدرفتات العيار ان يسير الى ساحات القتال فاذا وجد اباه هناك يبشره بقدومهم و يعلمه بخلاصه فسار وكان الوقت حينئذ عند الغروب والملك ضاراب قد عاد من ساحة القتال ونزل في صيوانه وما لبث ان صار داخله الا و بدرفتات يصيح من الخارج بشراك ياسيدي بشراك فقد عاد اليك ولدك وتخلص من شرك الهلاك فوقع صوت بدرفتات في اذان الملك فعرفه وفي الحال خرَّ الى الارض ساجداً وشكر الله على ما سمعه وقبل التراب تواضعاً ثم ركض الى الباب واذا بو برَّ بدرفتات فقال له اصحيح ما تنادي به قال نعم ياسيدي و بعد ساعة يكون هنا فاعاد الشكر لله وامر في الحال ان يفرغ الذهب على بدرفتات وان يعطى العطايا العظيمة وارسل فدعا انوش بنت الشاه سليم واطلعها على الخبر وامر كل الفسان والرجال ان تخرج الى ملاقاة ولده وابطاله فركبوا الا انهم ما بعدوا الا قليلاً حتى راوا بهروز في المقدمة راكباً على ظهر المقنطر وهو يسوقه سوق البعير وبقية الفرسان خلفه متواردين فصاحوا عن فرد صوت صياح الفرح والمسرة ورموا بانفسهم على بعضهم البعض وما منهم الا من شكر الله تعالى وتقدم فيروزشاه وقبل يدي ابيه فقبله بدموع تتساقط من اعينه كالعارض الهطال . ثم تقدمت انوش وسلمت على فيروزشاه وعلى فرخوزاد وحكى الملك ضاراب عن عملها وكيف قتلت تمرتاس فشكرها الجميع وفرحوا فيها ولا سيما فرخوزاد فانه فرح غاية الفرح وحسب ذلك من السعادة والتوفيق ان تكون دائماً الى جانبه و بقربه فيتمتع من النظر اليها و يلتذ بحديثها وعذوبته وصرفوا نحواً من نصف ساعة وهم في سلام وتهنئة وقد نظر الملك وبقية الفرسان الى المقنطر الساحر وفوقه بهروز كالنمر الجارح فتعجبوا منه وما منهم الا من لعنه وامر الملك ان يبقى بهروز راكباً عليه الى حين وصوله الى الخيام وان يقف عند باب صيوانه لتاتي عموم رجال فارس تتفرج عليه و بعد ذلك عادوا الى الخيام وهم من الفرح في اعلى سماء واصواتهم

مرتفعة الى العلاء حتى وصل ضجيجهم الى المصريين فتعجبوا وبعثوا بهلال العيار فكشف الخبر وجاءهم بعلم اليقين كما تقدم معنا الكلام

وفي ثاني الايام اجتمع الوليد برجاله وقد فار غضبة حتى اصبح صدره يغلي كالمرجل ولام طيفور على عدم تصديق هلال وقال له لا زلت متصلباً في اعمالك مخطئاً في ارائك والان لم يعد امامنا الا الدخول الى المدينة وقفل ابوابها والمحاصرة داخلها الى ان نرى لنا طريقاً للتخلص من هولاء القوم الذين جلبوا الينا من غضب الله علينا فلا كانت عين الحياة ولا كان اليوم الذي فكر فيها ابني ووصل خبرها اليه وهل لاجل زواج بنت تخرب ممالك وامم وما ذلك الا فعل الطيش والحدة فانها تفعل في الانسان الى ان تغيبه عن الصواب وتذهب به عن طرق الرشاد. فقال بيداندیش ما مضى فات ياسيدي وان كنت قد دافعت في وطنك دافعت عن شرفك وناموسك وبلادك انما اللوم كل اللوم على الملك ضاراب الذي ترك بلاده وسار برجاله من جهة الى جهة ومن مملكة الى مملكة حتى انه اهلك كثيراً من رجاله ومن اخصامه كل ذلك لاجل عين الحياة على انه لو سار بها ابوها الى ما فوق السبع الطباق او نزل الى ما تحت اليابسة لسار خلفه وما ذلك الا لاجل عناده وتصلبه والان ارى من الراي الحسن ان ترسل الخبر الى المدينة فتفتح ابوابها ويوقف عندها جماعة من الرجال فنقاتل في الغد ما استطعنا فان ثبتنا كان خيراً والا فنرجع القهقرى وندخل المدينة من جميع الابواب وبعد دخولنا نقفل الرجال الابواب في وجه الاعداء لانهم دون شك يكونون في اثرنا فمتى اقفلت الابواب لا اظن ان احداً يقدران يصل الينا فيقاتلوننا من الخارج وندير النهر فيحيط بالمدينة حول الخادق ومن ثم نرى هناك ما يجب علينا فعله. فقال الوليد ان هذا رائي وقد عزمت في الغد على ما اشرت وفي الحال بعث بالخبر الى المدينة وامر ان تفتح الابواب وتوسع الطرقات ولا يقف احد في وجه الجيش اذا قدر عليه ان يدخل مهزوماً واخبر في المدينة برجوع فرسان ايران من عند المقنطر وبعث بمثل هذا الخبر الى بنته طوران تخت واطلعها على ما كان من امر الفرسان وقال لها اني كنت اخبرتك سابقاً عن ان المقنطر قد بعث بالاوراق فاستاسر فيها فرسان الفرس والان اخبرك ان بهروز العيار سار بالحيلة الى المقنطر بعد ان توافق مع بدرفتات العيار عيار الوزير بيداندیش ودخل على الساحر ولا اعلم باي قوة قدر ان يربطه لانه خلص فرسانهم وعاد بهم فرحين وفي مقدمتهم فيروزشاه وبهزاد ومصفرشاه وامام الجميع بهروز راكباً على ظهره وبدرفتات يقوده كانه بعير وهذه الاعمال قد اخذت بعقلي واشغلت لي افكاري ورمتني في وهدة الياس وفي الغد تريني داخلاً الى المدينة مهزوماً لاحاصر داخل المدينة انما لا بد من ان تنتصر الاعداء اخيراً عليّ لان ما من امل عندت اومله لتعاد اليّ قواي الاصلية كما كانت قبلاً وكل هذا الذي جرى علينا كان بسبب اخيك وزواجه بهذه عين الحياة الموجودة عندك ولا ريب ان طالعها

منحوس على كل من يرغبها و يطلب زواجها . وبعد ان بعث بالاخبار الى المدينة والى بنتو اوصى كل رجاله ان تكون في الغد على اهبة القتال ومتى تضايقوا يدخلون الابواب و يقفلونها خلفهم وبات على هذه النية ينتظر مضي هذه الساعات القليلة الباقية من الليل وقد امر ان يدخل في الليل الخيام والمؤن والذخائر وكل ما هو في الخارج كي بعد دخولهم لا يكون باقٍ لهم شيء في الخارج تكسبهُ الاعداء

قال كنا قد تركنا عين الحياة مع طوران تخت في حالة تعيسة تندبان حظيهما وتلومان زمانهما وتذمان الايام التي ما سمحت لها الا بقليلها . وفي تلك الليلة كانتا قائمتان على مثل هذا الحديث كل منهما تشكي ما هو ملم بها لرفيقتها وتبيح لها ما في قلبها فقالت اتظني ان الايام تعود فتجمعني بمصفر شاه ذاك البدر الذي ما رات عيني قط ابهى جمالاً منهُ ولا اشرق نورًا وهل ارى نظير تلك الليلة التي زارني بها واشاهد من سناء طلعتهِ وحلاوة حديثهِ اللطيف ما شاهدتهُ وسمعتهُ . واني محروقة الفؤاد لاجل ذلك وعلى الاكثر لو كان بقي يومًا او يومين لكنت ارتويت من عذوبة الفاظهِ وشبعت من النظر الى محاسنهِ

لوكان هذا الدهر يرضى قربنا ... يومًا لما نظرت بنا عيناهُ

ياليتهُ قد كان اعمى لا يرى ... ليلاً اتاني فيهِ مصفرشاهُ

فقالت لها ان تشكي من الدهر فطالما شكى قبلك اناس وان تذميهِ فذمهُ كثيرون قبلك فهو عن الشكوى اصم اعمى لا يؤثر فيهِ الطعن والذم ولو سمح لك ان تبقي مع حبيبك يومين او ثلاثة او اكثر لا بد من ان يعود الى عنادك فتكونين كما انت الان ومثل هذا الحب لا ينقضي بمدة من المدات فكلما طال طال الرجاء بهِ وكلما تمدد زاد تعلق القلب بهِ فالدهر الا ذو غايات ومقاصد من مال اليهِ كان مسرورًا سعيدًا وطالما دعوت ان يبقى حبيبي عندي فيخالفني مخالفة الخصم و يعاندني معاندة العدو الا انهُ لا بد ان يضجر ذات يوم فيسمع النداء كونهُ كما يقال عنهُ متقلب الاعمال لا يقبل ان يبقى على حالة واحدة مطلقًا انهُ بعملهِ هذا يمتحن منا حبنا و يعلمنا ان نحافظ عليهِ فالحب الثابت الشديد لا ينقضي بانقضاء الايام وتقلباتها العديدة ولا يتغير بعناد الدهر والايام فهو يبقى حتى الموت

لا كان قلبًا لا يدوم على الوفا ... حتى تضم يد البلا احشاهُ

فالنفس لا ترضى البقا الا على ... املٍ بان تهنا بمن تهواهُ

فاجابت طوران تخت فاين الهناء منا واين الراحة فلو كنا من رعاع الناس لكان سهل علينا جدًا ان نجتمع بمن نهوى دون حسود ولا رقيب وكان الدهر يغفل عنا ولا ينظر الينا بعين الاهمية والاهتمام وهل نرتجي الهناء الا بالاجتماع بحبيبينا وهل من اجتماع بعد وقوعهما بايدي الساحر الماكر

المقنطر فوا حسرتاه ها الان يعذبان عنده في اسره بانواع العذاب التي لا تعرفها البشر فالسحراء فاقدون الدين واليقين والرحمة والشفقة ومن يا ترى يقدر ان يتسبب في خلاصهما او يجسر ان ينظر الى بيت هذا الساحر بسوء هذا اذا كانت لم تحدثه نفسه الخبيثة الدنية الفاسدة بهلاكهما واطفاء خبرهما وقطع رجاء اصحابهما منهما فياليت ذلك الخبيث اللعين يموت قبل ان ينوي شرًّا لهما او يلقي عليهما ضرًّا

لا عاش من يبغي الردى لاحبتي ... يارب بل عجل عليه فناه

فجميع اعضائي وكل جوارحي ... تدعوك ياربي فانت الجاه

وكانت طوران تخت تتكلم وتتحسر وتلطم على خدودها على غير وعي ومثلها كانت تفعل عين الحياة وقد قالت نعم اني اتصور عظم المصائب والاهوال المحيطة بنا لاجل عذاب من نحب وكل ما جرى على فيروزشاه قبل هذه المرة علمني ان اقول ان ليس على الله من امر عسير فقد نجاه الله مرات كثيرة من ايدي السحرة وانتشله من ايدي القتلة وابعد عنه تدابير الاعداء ورد عنه سهامهم . ولذلك كان من الصواب ان ننتظر احكام العناية وتدابيرها . ومجمل ما يعذبني الان ويكاد يذهب بقوآي تاكدي ان هذا الساحر لا يعذب على الاكثر الا حبيبي لانه هو المطلوب والمقصود وهو الذي قاد هذه الجيوش كلها من اجلي وهو الذي اوقع بجيش ابيك وكاد يهلكه وعليه فقد تاكد الجميع ولاسيما ابوك انه اذا قتله يخلص من كل ما هو واقع فيه فياليت من ياتينا بالاخبار عن الاحباب اهل هم باقون في قيد الحياة ام اغتالتهم ايدي الحوادث واوصلت اليهم الاشرار اذاها ولا ريب في اني ساموت لموته كما اني ساعيش لراحته وهناه

هل من يبلغني عن المحبوب ما ... يلقى وما فعلت به اعداهُ

او من يقول له باني بعده ... ارجو الممات اذا حرمت بهاه

فقالت طوران تخت ان اليأس القى علينا بكل قوته حتى تمكن منا والان ارى انه لا بد من ان ننعي انفسنا فاننا سنموت لا محالة اذ لم يعد من مطمع لنا برجوع من تحب نفوسنا ولا نقدر ان نعيش بدونه فعزني لاعزك واندبي حظي لارثي لك حظك فان لم نكن الان مائتتين فعلاً فاننا سنموت بعد قليل واذا كنت زعمت بانك ستميتين نفسك اذا عرفت بموت فيروزشاه وانا ايضًا ساجعل الموت نصيبي فان اجتماعنا في اليوم الاخير اسهل علينا جدًّا من اجتماعنا في هذه الدنيا الزائلة واقرب

لا خير في الدنيا ولذاتها ... ان كان من اهوى يعزُّ لقاهُ

فجميل صبري قد اضعت لبعده ... والدهر اشعل في الفؤاد لظاه

وما كانت عين الحياة ممن يقطع الرجاء الى الحد الاخير وكانت وان استعظمت المصاب وشخصته

جسيماً ترى من نفسها ارتياحاً الى المستقبل لاسيا عندما فكرت ان في رجال ايران من العيارين الذين لا يصعب عليهم خلاص فرسانهم ولو كانوا في جوف الابحار تحت الماء وعذرت رفيقتها على ضياع كل صبرها لعلمها ان ركونها الى محبوبها كان بقدر اجتماعها القصير به انما محبتها له كانت باشد مما يمكن ان تجب اوفى بنت لاجمل شاب ولامتها في نفسها على التهور الى هذا الحد قبل ان تمتحن محبة حبيبها وقالت لها لقد ارى ان المحبة الواقعة في قلبك الى مصفرشاه اشبه بالمحبة التي هي عندي لفيروزشاه انما محبوبك لم يكن عندك بمنزلة الخاطب كونه وجد اسيراً فاتيت به ولهذا رضي من نفسه ان يكون لك محبوباً مكافاة على فعلك معه الجميل ولم نقلبه على حبه الحوادث لتعلمي ان كان ثابتاً فيها ام لا خلافاً لفيروزشاه الذي جدّ في الاول الى الحصول عليّ وعاد اليّ تكراراً وحفظ الى الان مودتي وتذكرها وهو تحت اثقال الحديد وفي اشد الضيقات ولو كان ينزع من قلبه حبي لانصرفت كل هذه المشاكل والحروب لكنه رضي بهلاك نفسه وجيوشه لاجلي ولا اقول لك هذا لافضل نفسي ومحبوبي واظهر لك ان فيروزشاه هو اصدق وداً من مصفرشاه واكثر حباً لان رجال الفرس مطبوعون على الوفاء والامانة انما اجل قولي بان لا تمكني الياس من نفسك وتعدمي الصبر الى الدرجة الاخيرة مع انك لم تذقي من حلاوة العيش شيئاً وسلمت بنفسك الى ايدي الضجر والملل ويجب عليك ان لا تموتي بعده بل تختارين غيره زوجاً لك كعادة بنات الملوك اللاتي لم يكن لهنّ وفي قلوبهن من الحب الا بقدر وجود المحبوب اذ يكون قد مر الحب عليهن كالظل فينقضي بانقضائه ويزول بزواله فاقلعي من نفسك هذه الجرثومة ولا تلقي بنفسك في سبيل المهالك وعيشي مع ابيك مرتاحة تفعلين طاعته وتحفظين اوامره ولا تتخذيني بذلك عذولة لك على حبك او لائمة على عملك هذا بل اريد ان اجعل لك من نفسك سلوة حتى اذا قضي لا سمح الله على مصفرشاه تجدين سلوة بغيره اذ لم يوجد عندك الا ساعات قليلة بالصدفة . واما انا فاذا مت لموت محبوبي كان فرض عليّ اولاً لكوني عاهدته على ذلك مراراً وثانياً كوني غريبة مايوسة ساجبر الى قبول غيره بالرغم عني وقد شاع خبر حبنا في كل قطر وناد وتحدثت به الركبان في كل مكان وقد عرف الشرق والمغرب ان الحروب قائمة بسببي فكيف يمكن ان تطيق نفسي سواه ولو كنت من اجبن البنات واقلهن مودة لكانت علمتني كل هذه الامور ان اكون صادقة الحب ودودة احفظ عليه حتى الموت

ما اضعفت قط الحوادث قوتي ... بل زاد حبي بالذي اهواهُ

هي علمتني ان اكون ودودة ... حتى الممات لاجله ارضاهُ

فتاثرت طوران تخت من كلام عين الحياة الا انها حملته على محمل صفاء الطوية ولذلك قالت لها اتظنين اني ارضى غير مصفرشاه حبيباً ولو فقدت هذه الحياة واضطررت الى سف التراب والتسول

من ايدي الناس لاني رهنت نفسي له ووعدتها به ووعدته ايضًا بان اكون له وكفاني ان اكون انا وافية له بوعدي واذا كان الحب مبتدئًا فلا فرق الان بين قلبي وقلبك وحبي وحبك ان اوله وان اخره فانا الان في سقم على زعم من قال ان اول الحب سقم واخره قتل وسوف اصل الى اخره فالاقي فيه القتل المعد لكل حبيب خانهُ الدهر فابعد حبيبهُ ورماه في ياس ما فوقهُ من ياس فآهًا والف آه

ولو انني أُلقيت في راس شعرة　　من الجفن لم تشعر بي العين من سقم
كذلك لو مازجت بالجسم نقطة　　من الخط ما امتازت عن الخط في الحجم
ولو رام فرض الجسم مني توهمًا　　اخو فكرة اعياه ذلك بالوهم

وما فرغت من كلامها الا وقد دخل عليها البواب وقال لها يا سيدتي ان رسولاً من ابيك دفع اليَّ هذا الكتاب وعاد على عجل وقد فهمت منهُ ان اباك عاد الى التاخير والاذلال فعول في الغد ان يدخل المدينة ويحاصر فيها فانتعشت روح عين الحياة لهذا الكلام ومالت بكل سمعها اليه تنتظر وضوحًا من التحرير واما طوران تخت فاخذت التحرير من الخادم و بعد ان صرفتهُ فضتهُ وقرانهُ ولما وعيت ما فيه جعلت تصفق من الفرح وتصيح . الحبيب . نجا . نجا . الهناء . الهناء . . مصفرشاه اتى . . . مصفرشاه . . . فارادت عين الحياة ان تستعيد منها الحديث بكل سرعة فلم تجبها بغير ما كانت تسمع منها فاسرعت الى التحرير وتلتهُ في داخلها ثم بعد ان عرفت كل ما فيه وتاكدت منهُ ان فيروزشاه قد نجا من قبضة الساحر وقد عاد الى ابيه القت بنفسها الى سرير هناك واسندت راسها الى حائط ووضعت يدها على قلبها وهو يخفق لعظم الفرح الذي وقع بغتة وقد اخذت بعمل رفيقتها وبقيت مدة تحدق بها فتشاهد اعمالها وافكارها تضرب الى معسكر ايران تسلم على حبيبها وتهنئهُ بسلامته وبقيت على ذلك نحوًا من نصف ساعة الى ان قدرت على جمع حواسها فسجدت الى الارض وشكرت الله ودنت من رفيقتها وقد خافت عليها كل الخوف من ان يلحق بها ضررٌ او تصاب بجنون من جرى هذه البشارة فاحاطت يدها بوسطها واخذتها الى السرير فاجلستها وقالت لها اجلسي وتاني باعمالك واحذري على نفسك من الطيش والخفة فنجاة حبيبنا وان كان مفرحًا الى ما فوق يظن الا انهُ يلزم ان لا ندع انفسنا عرضة للوم وعندنا من اسباب الفرح ما يجعلنا ان نهنأ به ونسلي ذواتنا فهيا بنا الى مائدة المدام نسكر ونطرب بذكر الاحباب ونفرح لخلاصهم ونهنئ انفسنا بقرب المعاد فوعت الى كلامها وانقادت اليها وقالت لها هلمّ فاسقيني على ذكر مصفرشاه وزيديني من حديثه ففي مثل هذه الساعة يطيب شرب الخمور . وفي الحال امرت عين الحياة قهرمانتها شريفة وقهرمانة رفيقتها هند ان تروقا بواطئ المدام وتاتيان بالنقولات والزهور فاسرعتا الى طلبها ولم يكن الا القليل حتى جلست عين الحياة الى جانب طوران تخت ثم سكبت

كاسًا وناولتها وقالت لها اشربي على صحة محبوبك وانشدي شيئًا من الشعر فاليوم يوم الهناء فاخذت الكاس وشربتهُ بعد ان انشدت تصف جمال مصفر شاه

عطفت على ود الهوى وولائهِ … واخلصت اسراري لحفظ اخائهِ
وما ذاك الا ان حباني بشادنٍ … يقطع اكباد الجفا بوفائهِ
رخيم معاني الدل ادمث من رؤ … نعيم خدود الغانيات ومائهِ
سقيم حواشي الطرف والخصر غزّان … يلوح لرائي العين بند قبائهِ
اغنُّ كانَّ الله البس خدهُ … لثام ورود مذهبًا بحيائهِ
واودع جفنيهِ من السحر صارمًا … تلوح المنايا منهُ عند انتضائهِ
وللحسن بل لله بانة قدهِ … اذا عبثت فيها طلا خيلائهِ
يصوبها نحوي فيوهمني المنى … اداء سلام خصني بادائهِ
وما هو الا ان تحقق ان لي … بقية روع سهمها بانثنائهِ
الى الله اشكو ارقمًا فوق خدهِ … يحوي خلال الفكر دون انتفائهِ
ومهما بدا من وكره وهو يلتوي … لوى كل غصن مستهامًا بدائهِ

ولما سمعت عين الحياة انشادها وما وصفت به حبيبها من المحاسن الثابتة في عقلها تذكرت هي فيروز شاه وجمالهُ وبهاءه وما هو عليهِ من المودة والوفاء وحسن الطوية وكيف انهُ لما كان يزورها ويجتمع بها ينشدها من فصاحتهِ وعذوبة الفاظهِ ما يجعلها تسكر فتغيب عن الهدى وتذكرت ايضًا يوم قبلها وقبلتهُ ووقعت شفافها على ناعم خده وتذكرت ليونة قده فهاج عليها الغرام وتاقت الى وصف جمالهِ فاخذت كاسًا من الخمر فشربتها وانشدت

دبَّ الحياءُ بخده فتضرجا … رشأٌ ابان على الشقيق بنفسجا
رخص البنان اغن احوى اوطف … كالبدر ابهى من رايت وابهجا
لم يكفهِ دعج العيون ملاحة … حتى تشربش بالبها وتتوجا
وتفضضت وجناتهُ وتذهبت … والحسن دملج سالفيهِ ودبجا
يختال كالغصن الرطيب بعطف … لدن ارانا السمهري معوجا
ويظل يكسر مقلتيهِ تدللاً … اين النجاة لعاشق اين النجا
ومعربدا اللحظات اطلق حسنهُ … فتقيدت بشهوده مثل الرجا
صلت الجبين بدا كبدر زاهر … يا صاحبيَّ قفا هنا وتفرجا
قد ذاب قلبي في هواه صبابة … وبحسنهِ لكمن قلبي هيجا
وفنى اصطباري في الهوى وتجلدي … والدمع امطر في الجفون وأثلجا

يا ايها القمر الذي القمر الذي من صدغهِ من صدغهِ ليل سجا

جد بالوصال فان لي بك مدخل لم يبقِ عنهُ حسن وجهك مخرجا

من لي بمن فضح البدور ملاحة وبطرفه فتن الغزال الادعجا

فاضت مياه الحسن في اعطافهِ والجسم ازبد فوق ردف موجا

ولم تكن احداها اقل عشقاً من الثانية لترى فيها عيباً من تطرفها في العشق والشكوى الى حد خارق العادة ولذلك اقامتا وقتاً ليس بقليل على شرب عقار ومناشدة اشعار وهما تعللان النفس بقرب الوصال . وقد قالت بنت الوليد لعين الحياة لا بد لنا بعد ايام قليلة من ان ننال مرادنا وتصبح كلٌّ منا بيد محبوبها ويروق لنا العيش بعد هذا التكدير فتنهدت عين الحياة تنهد الحزين الضعيف الامل وقالت لها من اين تعرفين ذلك والحرب لا تزال واقعة ولا رجاء بالصلح والتقرب من بعضهما وفي نية ابيك ان يحاصر المدينة فاذا قدر على الدفاع عنها اقمنا زماناً دون حصولنا على نتيجة من قرب الحبائب وان لم يقدر على المدافعة اشار عليهِ طيفور بالسفر فيسافر الجميع ويهربون من المدينة وياخذوننا معهم فماذا عسى ان نقولين اذ ذاك . قالت وقد ازعج ذلك خاطرها واقلقها وابان لها وجهاً مخوفاً جديداً وهل تظنين ان والدانا يتركان المدينة ويهربان بنا قالت هكذا على ما اظن هذا اذا فكرا بالخلاص قبل تمكن الايرانيين من المدينة وفتحها عنوة والا اذا فتحوها بالحصار ودخلوها والسيوف تقع على السيوف والفرسان تصافح المنون فازوا بانفسهم وتركونا دون ان يتمكنوا من اخذنا معهم . قالت وهذا اجل ما نرجوه فحينئذ تاتي اهل فارس فتدوس البلد ويجلس الملك ضاراب على عرشها ونزف على حبيبنا ولا يكون وقتئذ من خوف علينا البتة . فاحرق هذا الكلام داخل عين الحياة وتمرمرت منهُ لانها وان كانت مقروحة الفؤاد على فراق فيروزشاه وملوعة ببعاده ومشتاقة كل الشوق الى قربهِ والدنو منهُ والتملص من كل هذه الصعوبات الا ان عزة نفسها كانت تمنعها ان تتزوج بهِ على غير الطرق المرعية في شرف من كان مثلها من بنات الملوك . ولهذا قالت لرفيقتها اتظنين اني وان مت كمداً وولوعاً بحب من انا مضطرمة بنار حبهِ اقبل بان اسلمهُ نفسي كسبية استحوز عليَّ بالسيف وارغم ابي على اخذي . وماذا يا ترى يقال بين بنات الملوك الحالين واهل هذا العصر والاعصر الاتية . الا يقال عني اني بعت ابي بشهوتي وقبلت ان اسلم بنفسي سبية اثناء الحرب والطراد وان فيروزشاه الذي يهواني ويرغب فيَّ ويحارب لاجلي قهر ابي وطرده بالسيف واخذني من بعده . فهذا ما لا يمكن ان اقبل بهِ ولا افضل الحياة ولذة الزواج على فقدان الشرف والناموس . قالت انك تتاملين محالاً لان اباك لا يقبل قط ان يسمح بك لاعدائهِ ولا يمكن وقوع صلح بينهُ وبين الملك ضاراب لتزفين بطريقة الشرف والناموس . قالت اني اعرف ذلك الا اني ما زلت اقدر ان امنع وقوع مثل هذا الامر فلا اتاخر ولا سيما اذا كان ابي

لا يزال حيًا يتلك نفسة فهو الوليّ المقام عليّ من قبل العناية الالهية واني اسلم بتدبير امري الى الله فهو يدبر بحكمته كلما يراه مقربًا للصواب والانسانية . ودامتا على مثل هذا الحديث حتى سكرتا وغابتا عن الوجود فاتت قهرمانة عين الحياة فاخذتها ومثل ذلك فعلت هند ووضعتا كل واحدة منهما في فراشها ثاملة من خمرتي الحب والكرم وسنرجع الى ذكر حديثهما فيما ياتي معنا من الكلام ان شاء الله تعالى

ولما كان صباح اليوم التابع لذلك اليوم نهضت عساكر ايران من مراقدها وقد عمدت الى خيولها لانها سمعت من قبل الصباح بضرب طبول الحرب والكفاح بامر الملك ضاراب وكذلك انذرت عساكر مصر ان الاعجام سيهجمون عليهم في ذلك اليوم فاستعدوا للحرب والكفاح وافترقت جموعهم الى فرق وذلك ان الاسكندر ملك الاسكندرية فرض رجالة على حدة واوصاهم اثناء القتال ان يقاتلوا نحو ساعة من الزمان ثم ينهزموا على طريق الاسكندرية ويسلكوا تلك الطريق عائدين الى بلادهم الى ان يصلوها ومن وقع بايديهم من رجال ايران اخذوه معهم او قتلوه واوصاهم كل الوصية ان يحاولوا اسر فارس من فرسان ايران يسيرون به الى بلادهم وكذلك مسرور بن عتبة ملك الشام والمنصور ملك حلب وسيف الدولة صاحب ملاطية وبقية الملوك المتجمعين هناك كل واحد منهم عزم على الهجوم على الاعداء حتى اذا اشتد القتال تفرقوا وسار كل فريق منهم في طريق الى بلاده ومثل ذلك الوليد والشاه سرور فانهما اوصيا رجالهما وقوادها عند المضايقة ان يتقهقروا الى المدينة ليحاصروا بها . وباقل من نصف ساعة اصطفت الصفوف ورتبت الميئات والالوف وركب فارس ميدان السباق والجامع لشتات قوتها بعد المحاق . فيروزشاه ابن الملك ضاراب . الذي لم يخلق له ثانٍ بين الاعجام والاعراب . ومن خلفه بقية الفرسان والاحزاب . وكلهم يعدون انفسهم بالنصر والظفر وان يجعلوا ذلك النهار اخر الايام بينهم وبين المصريين واما بهزاد فانه اجتمع بسيامك سياقبا وقال في هذا النهار تظهر الاهوال ويبان الشجاع من الجبان واريد ان افتك بالقوم فتكًا لم يروا مثله في كل هذه الحرب ولا اتى بمثله فارس من فوارس الزمان غير اني اطلب اليك ان ترافقني وارافقك اثناء القتال فلا يبعد احد ناعن الاخر بل نكون ملاصقين لبعضنا جنبًا لجنب فتحمي ظهري واحمي ظهرك وعندي ان كنت انا وانت على هذه الحالة تكفي وحدنا لهلاك المصريين . قال له حبًا وكرامة فاني اريد ذلك لان فيه شفاء الغليل من الاعداء اللئام ولما اعتمدا على هذه الحالة تقدما الى الامام يطلبان الحرب والصدام . واذا بالعساكر قد حملت على بعضها البعض . وقد ارتفع صياحها وضجيجها وهي منتشرة في تلك الارض . وباسرع من لمح البصر حمل الرجال . على الرجال وجرى الدم وسال . وانقطعت المرافق والاوصال . وغابت منهم نجوم الامال وافلت اهلة الاعمار فلم ينير منها هلال . وطلب السيف الفصال . ان يكون حاكمًا في صدور

الابطال . ليفعل في حكمهِ اعجب فعال . وينفذ غاياتهِ خارقة درجات الاعتدال فيطرد الارواح من الاشباح ويجعل الاجسام . عرضة للطيور والهوام . وهكذا كان فان السيف اليمان انزل على القوم انابيب العذاب كالعارض الهتان . وصب عليهم صبيب الاكدار تندفق باعظم فيضان . فذل من بعد عزه كل شجاع . وارتضى بالموت في سبيل الممانعة والدفاع كرهًا بالهزيمة وتخلصًا من السمعة والذميمة . وذاق المصريون من حرب اهالي ايران امر العذاب . ودارت عليهم دوائر الشدات والاكتئاب . وتفرقوا في تلك البراري والهضاب وفي اثرهم صاحب هذه السيرة الذي كان عليهم كقضاء الله . ابن الملك ضاراب فيروزشاه . الذي ساد على سائر الملوك بالشجاعة والمجد وعلو الجاه . فضرب في اقفيتهم ضربًا احر من لهيب النار . وفعل فيهم فعلاً يحق ان يكتب بماء الابصار . فيقرى على اهل الادهار والاعصار . فيعرفون عظم مقدرة ذلك الفارس الجبار والاسد المغوار . والصارم البتار الذي اخترق صيتهُ السبع البحار . وفعلت جميع الفرسان كفعالهِ . واقتدت بحربهِ وقتالهِ . فاتخذتهُ لها مقياسًا . وجعلت لاعينها حملاتهُ مقباسًا . ولما رات اهل مصران فرسان ايران انزلت عليهم ويلاتها . ورمتهم بشديد طعناتها وضرباتها . حتى اهلكت منهم الجمع الغزير . واوصلت اليهم البلاء الكثير اتخذت طرق الهرب والفرار فالووا بعنان خيولهم وطلبوا الهزيمة وسار كل فريق بطريق واما اهل مصر واليمن فانهم قصدوا جهة المدينة وتتبع كل فارس من فرسان ايران ملكًا من الملوك وقبيلة من القبائل وانتشروا انتشار الغيوم في تلك السهول وازدحمت اقدام الداخلين الى المدينة ورجال الملك ضاراب تتاثرهم وتضرب في اقفيتهم وقد اشفت غليلها واروت ظماء افئدتها واما بهزاد وسيامك سياقبا فانهما اخترقا رجال المصريين وقد فعلا بهم افعال عفاريت الجان وفتحا في وسطهم مجالاً وكانا يضربان بالعمدان فيسحقان الروس والابدان وقد اسكرتهما خمرة الانتصار ولم يقدر احد ان يثبت امامهما ولا يبقى وراها وقد غاصا بالدماء واورثا بالعدا الانتقام وكلما تقدم المصريون الى جهة المدينة تقدما معهم حتى دخلا باب مصر مع من دخل من الفرسان وهما لا يعرفان ذلك ولا شعرا بدخولهما بل داوما على القتال والحرب والنزال والفتك في الابطال وكان هذا مجمل ما يفكران بهِ وينضمان الى بعضهما لا يفترقان ولا ياخذهما هدوٌ ولا توان ولا زالت الفرسان تدخل المدينة والرجل الشجاع الذي يسلم عند دخولهِ وينجو بنفسهِ ويخلص من سيوف الفرس وطعناتهم حتى دخلوا باجمعهم وفي الحال قفلت الابواب في وجه الايرانيين وهم يهجمون كالجبال ويزأرون كالاساد ولما استقر الوليد في داخل المدينة امر ان تطاف المدينة بالماء وان يدار النيل على الخندق المحيط بالاسوار ففعلوا ورجع الايرانيون الى الوراء وما منهم الا من هو على غاية الفرح والسرور الا سيامك وبهزاد فانهما اصبحا داخل المدينة وهما على ما هما عليهِ من الحرب والقتال يزيدان كما تزيد النار بالاشتعال

قال وبلغ الوليد ان فارسين من فرسان ايران يقاتلان ويناضلان داخل المدينة وقد اهلكا قسمًا من العساكر وهما يصيحان ويناديان فيدعي احدهما انهُ بهزاد ويتكنى بنفسهِ والاخر يباهي بانهُ سيامك سياقبا ولم يقدر احد من الفرسان ان يثبت امام وجهيهما فلما سمع الوليد بهذا الخبر كاد يطير من الفرح وقال ويلكم ان كان بهزاد داخل المدينة فزيدوا عليهِ العساكر كي لا يفلت وينجو واذا نجا جازيت كل العساكر باجمعها ثم انحدر الى الاسواق وشاهد تلك الافعال فاخذتهُ الحيرة والاندهال وجعل ينادي بالعساكر والابطال ان تزدحم عليهما وان ترميهما بالاحجار والنبال وان يسدوا عليهما كل الطرقات وقامت القيامة في تلك الساعة وكثر الصياح والصراخ وجعلت الناس تتراكض نحوهما البعض للقتال والبعض للفرجة على ما يكون منهما . وكانت عين الحياة وطوران تخت في تلك الساعة جالستان في القصر على شرب وهناء وهما تعللان نفسيهما بقرب ايام الراحة او بالحري بنجاح الاحباب الى ان بلغهما دخول الوليد الى المدينة مهزومًا فقالت عين الحياة هوذا ابوك في البلد وقد كسرا يشم كسرة ومن الاصابة ان يرعوى عن طلبي ويصالح الملك ضاراب ويزوج ابنة بغيري واذا انتهى الاتفاق بينهما طلبك مصفرشاه من ابيك فيزوجهُ بك دون شك ولا ارتياب وبهذه الطريقة يحفظ بلاده من الخراب ويدفع عن رجالهِ ويلات القتل والعذاب ويصون حريم المدينة واموالها من الهتك والانسلاب . ويكون لنا نحن الراحة التي نرجوها من رب الارباب . هذا اذا كان صاحب عقل وتدبير لا يصغى الى اراء وزيره ووزير ابي طيفور والا لابد لاهل ايران من الاستيلاء علينا على كل حال وعلى بلاده ايضًا باجمعها لو استعان عليهم بملوك الارض باجمعها واستنجد بسحرائها وكهنائها فانهُ سبحانهُ وتعالى قد وفقهم ويوفقهم . قالت يا حبذا لو كان ذلك انما طمع الانسان في هذه الدنيا يصور لهُ دائمًا المستقبل بصورة حسنة فياخذ باميالهِ الى ارفع الدرجات ويهوره منها الى الدرك الاسفل وليس ابي ممن تروق في اعينهِ السلامة دفعًا لويلاته لانهُ شامخ العز والنفس يفضل الموت على الذل ولذلك لا اعلم ما يكون منهُ وماذا يفكر في مستقبل امره مع الايرانيين حتى انهُ لو مال الى دفع هجمات الايرانيين التي تدك الجبال بمصالحتهم والتنازل لهم عن زواجك بابنهِ لمنعهُ ابوك ووزيره طيفور الخبيث وساعده على ذلك انقياده الاعمى الى وزيره بيدانديش

وبينما كانت عين الحياة وطوران تخت تتكلمان بشان ما كان من امر ابويهما واذا سمعا الصياح وتراكض الناس فاستدعتا بالبواب وقالتا لهُ اذهب وانظر لنا سبب هذا الصياح واستفسر لنا عن حالة المطاردين وحالة رجال المدينة وهل دخل الاعداء المدينة او لا يزالون خارجها . فتدرج الى اجابة طلبهما ونزل الاسواق وسال عن الخبر فاخبروه ان المدينة في ضيقة عظيمة وانهُ بعد قفل الابواب وجدوا فارسين من فرسان ايران يقاتلان في وسط المدينة وقد ازدحمت فوقهما كل

عساكر المدينة ورجالها وهما لا يكلان ولا يملان بل مصران على الطعان والضراب وسلب النفوس .
فعاد البواب واخبر طوران تخت بكل ما سمعهُ من الناس في الاسواق فزاد ارتياكهما ولا سيما عين الحياة فانها ترجحت ان فيروزشاه هو داخل الاسواق وانهُ خاطر بنفسهِ لاجل حبها وكذلك طوران تخت خافت من ان يكون احد هذين الفارسين مصفرشاه حبيبها ولذلك تاقتا الى معرفة الخبر وسالت عين الحياة البواب وقالت لهُ هل سالت عن اسمي ذينك الفارسين قال كلا يا سيدتي فقالت لهُ اسرع واستفسر لنا عن اسميهما ممن يعرفهما لنعلم من يا ترى يكونان من رجال ايران . فكر الى الاسواق وسال ممن امكنهُ ان يفيده فقيل لهُ ان احدهما يدعى بهزاد والاخر سيامك سياقبا فعاد واخبرهما بذلك ففرحتا غاية الفرح واتسع صدراهما وانشرحا غاية الانشراح وقالت عين الحياة الحمد لله الذي لم يكن هذان الفارسان حبيبي وحبيبك ولا واحد منهما لاني مؤكدة انهما لا يخرجان من المدينة وانهما سيمسيان اما قتيلان واما اسيران مهما جالدا على القتال واهلكا من الرجال ثم انهما صبرا على حكم القضاء وانتظرا الفرج من العزيز الرحمان

قال ولا زال بهزاد وسيامك سياقبا في قتال شديد يفلك الزرد النضيد ويعمي الابصار ويحير الافكار وقد تكومت حولها القتول كالتلول وسالت بين ايديهما الدماء كانبيب الماء وقد تخدشت اجسادهما من الجراح الا انهما ثبتا على الحرب والكفاح وايقنا بشرب كاس الحمام وهما يصيحان ويخترقان الصفوف ولا يريان بين ايديهما الاجدرانًا واسوارا وكيفما مالت حولها الرجال ما لا وكلما قتلا عشرة او عشرين جاءهما عوضهم ميئات والوف وهما ثابتين على هذه الحال الى ان ضاق خلق الوليد وضجر من ثباتهما فجعل يصيح بالرجال ويقول لهم ويلكم ضايقوهما واقتلوا جواديهما وانزلوا بهما العبر فاسرعت الفرسان لصياح الوليد وصوبوا السهام الى الجوادين فقتلوهما ودفعوا الى الارض فارمت الفرسان بنفوسها فوقهما وهي تخاف من انهما يقفان فيعودان الى القتال وداروا بهما من كل جهة وصوب حتى منعوهما من الوقوف ونزعوا السيوف من ايديهما وجاءوا بالحبال فربطوهما واوثقوهما حتى اصبحا اسيرين ذليلين وتاكدا وقوعهما في يد الوليد فصبرا على حكم الباري سبحانهُ وتعالى واما الوليد فانهُ فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وسرَّ غاية السرور ورجع كانهُ انتصر على الملك ضاراب وعساكره وجلس في قصره وكان قصره عند حافة النيل محاط بسور ارتفاعهُ نحو عشرين ذراعًا وامامهُ رياض وفسحات وجنائن . وبعد ان استقر بهِ المقام دعا اليهِ بكامل رجال ديوانهِ فحضروا وقال لهم ان هذين الاسيرين هما من رجال الفرس العظام وهما اللذان فعلا بعساكري الافعال الشنيعة واني اروم ان اشفي قلبي بقتلهما . قال طفوران في قتلهما الغاية ولا سيما بهزاد لانا نفتك في الرجال فتكًا عظيماً وهو ركن من اركان فارس يبلغ درجة فيروزشاه وابيهِ فيلزور واذ ابقيت عليهِ سعت عيار وفارس بنجاتهِ لانهم عفاريت لا يصعب عليهم امر في هذه الدنيا وشدائد

عندهم رخاء . قال لا بد لي من ذلك في الغد اذا احيانا الله ثم امر بالانتباه والمحافظة عليهما ووضعهما في سجن القصر بالقرب منهُ وصرفوا ذاك النهار على اتم ما يكون من التيقظ عليهما واستشار الوليد ايضًا جماعتهُ فيماذا يفعلون في امر الحصار فاصروا عليهِ واعتمدوا على ان يداوموا الحصار الى ان ينفتح لهم باب للفرج

فهذا ما كان منهم واما ما كان من الملك ضاراب فانهُ بعد ان عاد من الحرب الى صيوانهِ امر بان تجمع عندهُ الفرسان ليرى من بقي منها ومن فقد وكان منسرورًا جدًّا بانتصار ذاك النهار وبسطوتهِ على الاعداء وادخالهم الى المدينة رغمًا عنهم واعظم فرحهِ كان بولدهِ الذي كان النصر معقودًا بناصيتهِ وبفعلهِ اعتزت رجال فارس وبنت في سماء المجد بيتًا لا يتهدم مع توالي الايام . وفي الحال اخذت في ان ترد اليهِ الفوارس واحدًا بعد واحد حتى احتبك ديوانهُ وجلست الفرسان في مراكزها كل في مركزهِ وعلى كرسيهِ ثم التفت الى المجلس برمتهِ فوجد كرسي بهزاد وكرسي سيامك وكرسي خورشيد شاه وكرسي بهزارقبا فارغة وليس عليها اصحابها فاضطرب داخلهُ وخشع لذلك وارتبك وسال عنهم فقيل لهُ ان سيامك وبهزاد كانا يقاتلان مع الجيش ولم نرَ لهما خبرًا ولا سمعنا عنهما امرًا واما خورشيد شاه وبهمتزارقبا فانهما اسيران الان لان احدهما اسر في جيش الاسكندر ملك الاسكندر والاخر قبض عليهِ عند محاربتهِ مع جيش الشام والان هو عند الملك مسرور وبن عتبة واننا عرفنا ذلك من فرسانهما لان كل واحد منهما تبع جيشًا وتاثره ولا زالوا يركضون امامهم حتى تقطعت الفرسان من خلفهم الا انهما لم يرجعا حتى وقعا في ايديهم فاغاظ ذلك الملك وارتبك وقال لم يكن في ظني ان هذه النصرة تكلفنا فقدان من هم احب علينا من بلاد مصر ومن فيها ولا بد من مداركة الامر والسعي خلف من يمكنا خلاصهُ وهو خورشيد شاه لانهُ قريب منا ويمكن تخليصهُ باقرب وقت واما بهمتزارقبا فلا بد من السعي خلفهُ عند نهايتنا من هذه الحرب ولو كان يمكننا ان نفادي بالعساكر لارسلت اكثر من نصف عساكري الان الى الشام اذ لا يهون عليَّ ولا يطيب لي العيش اذا فكرت بان الفرسان الذين خدموا بلادي وقاتلوا امام جنودي يقاسون الذل والعذاب من اجلي ثم انهُ امر كرمان شاه ان يسير بمائة الف من العساكر الى الاسكندرية لخلاص خورشيد شاه ويعود بهِ واذا راى ان الامر صعب يبعث اليهِ بالاخبار فامتثل في الحال وودع الملك ضاراب وبقية الفرسان واخذ معهُ بدر فتنات العيار يخطط لهُ الطرقات ويهديهِ على منافذ المدينة لانهُ مصري الاصل وخبير باحوال تلك البلاد ومعابرها ومسالكها . وبعد ذلك قال الملك ضاراب وقد بهني امر اخر وهو ان اعرف كيف غاب بهزاد وسيامك وهل لحق بهما ضرٌّ او اخذا اسيران الى جهة من جهات مصر وذلك من العجب لانهما من اقوى فرسان فارس فلا اظن انهما يسلمان بنفسيهما الى الاعداء الا بعد فقد قواهما وقطع رجائهما من الحياة . فقال فيروز

شاه لا ريب انهما دخلا المدينة على ما اظن لانهما كانا يقاتلان في عساكر مصر وقد غاصا فيها وغابا عن نظري وهما الى جنب بعضهما لا يفارق احدهما الاخر وفي ظني ان الطمع ونشوة الفخر بالشجاعة لعبت برؤوسهما فدخلا المدينة وقفلت خلفهما الابواب وهذا على الاكثر. فقال طيطلوس هذا مما يرجح ولا بد من ان نقف لها على خبر وسوف نرسل بعيارينا الى المدينة اذا امكنهم الدخول فيرون لنا صحة الخبر. وبعد ذلك انصرف الجميع بعد ان تقرر عندهم وجوب محاصرتهم المدينة والقيام حواليها وقد غاظهم جدًّا جريان الماء حواليها بجداول محفورة لها منذ القديم حتى طافت على وجه الارض بعد ان ملئت الخنادق ودارت فيها

وفي صباح اليوم الثاني على الوليد جلس في قصره المعهود واخرج اليه بهزاد وسيامك سياقبا بعد ان حضر لديه كل رجاله فلما وقفا بين يديه قال لهما انظنان ان الزمان يصفو لكم يا رجال فارس ويتم لكم النصر والعز دون ان تروا مكروهًا او يفقد منكم فارس خطير فقد طغيتم وتمردتم حتى اصبح كل واحد منكم يظن من نفسه انه وحده كاف لجيوش مصر فكيف ترون بانفسكما الان وهل من وسيلة لخلاصكما فقد عزمت على قتلكما والانتقام منكما وذلك على اسوار المدينة ليشاهدكما الملك ضاراب ورجاله فتحترق قلوبهم عليكما . فقال له بهزاد ويلك ايها الملك الجاهل الجائر اهل تظن ان الموت يخيفنا فلو كنا مثلكم نهاب المنون لما كنا نقحمها بقلوب اشد من الحديد صلابة الا نظرتونا والسيوف حوالينا كالاشطان نضحك لها ونرمي باجسادنا عليها كانها اكياس قطن وان كنت تتباهى انك اسرتنا ووضعت علينا الحجر والترسيم فهذا عار وعيب عليك لانك ما اسرتنا الا بفرسانك اجمعها وساعدك ضيق المجال وقتل خيولنا فلو كنا في الفلا واجتمع علينا اضعاف جيوشك وقوادك لما راوا منا غير ضربًا يفلق الجلاميد وطعنًا يكسر الرؤوس فاقصر كلامك واجرِ احكامك فما نحن ممن يكره الموت بعد ان فعلنا ما فعلنا وامتنا من جيوشك اكثر من عشرة الاف نفس وقد اخذنا لانفسنا بالثار والبسناكم اثواب العار. انما احذرك من امر واحد وهو ان قتلنا يكون عليكم شرًّا ووبالاً لان الملك ضاراب اذا عرف بقتلنا لا يبقي على احد منكم ولا سيما ولده فيروزشاه قاهر الاعداء ومبيد الاضداد فلا تظن بنفسك ان فرسانك تقف امامه ولا تمنعه هذه الاسوار عن ان يدوسها بارجل جواده ويدخل المدينة فياخذ منكم حقنا ولا يرضى باعظمكم لعلمه اننا نساوي بلادكم باجمعها . فاغاظ الوليد كلامه وقال له مه ايها العنيد الا تهاب غضبي وانت في قبضة يدي وسوف ترى الى اين يصل بك هذا الكبر والعصيان ولا بد من موتك اشنع ميتة فاستهدف بعد ساعات قليلة للقتل وكان الوليد يتكلم عن غيظه من كلامه وقد تأكد عنده ان رجال الفرس لا يهمهم الموت فلا يهابون النوازل والمصائب ويصبرون عليها صبر الرجل الكريم الجليل

قال الراوي وبينما كان الوليد على مثل ذلك واذا بضجة وصيحة قامت خارج الديوان والناس تتزاحم افواجاً افواجاً فسال ما الخبر فقيل له اعلم يا سيدي ان الملك قيصر بعث اليك منذ ايام جواداً عظيم الهيكل لا يوجد مثله لتقاتل عليه وهو من نسل خيول البحر فصادف مجيئه مع عشرين نفساً من رجال الروم يوم هربكم من الاعداء في اليوم الاخير اي البارح ودخولكم الى المدينة وقد دخلوا قبلكم بساعة تقريباً ولما لم يتهدَّ الجواد عند مشاهدته القتال اخذوه الى اصطبل خصوصي فابقوه فيه امس واليوم جاءوا به ليقدموه لخدمتكم لتقاتل عليه رجال فارس ولا ريب انه وحيد خيل هذه الدنيا فالذي يركبه يلحق ولا يلتحق ولا يصيب راكبه اذى ولا يصل اليه خصمه . فشاق الوليد النظر الى هذا الجواد واذا بالرجال قد دخلوا به الى باب الديوان فلم يدخل لعظم جثته بل صهل بصوت اشبه بالرعد القاصف حتى ارعب قلب كل من حضر وخافه الجميع ولا سيما الوليد وطيفور وقال الوليد في نفسه قد بعث قيصر لي بهذا الجواد لاقاتل عليه فكيف اقدر ان اركبه ولا اظن ان احداً من فرساني يقدر ان يركب عليه . وبينما كان الوليد وبقية الفرسان يشغلون بهذا الجواد التفت بهزاد الى سيامك وقال له لولاك ولو خوفي من ان تبقى وحدك هنا عرضة للموت لخدعت الوليد وتسببت الى الخلاص . قال ان كنت تقدر عليه فلا تتاخر فان خلاصك ينفعني اولاً لعلي ان قصد الوليد انت فاذا نجوت لا يعود يفكر فيَّ وثانياً يمكنك ان تتسبب بعد خلاصك في خلاصي وتطلع الملك ضاراب على امري فاعجل في خلاصك وانج بنفسك والا قتلت انت وقتلت انا معك بجريرتك قال سوف ترى ثم التفت الى جهة الوليد وقال اعلم ياوليد ان هذا الجواد من احسن الخيول وقد يسمع انه يكون كالغول عند القتال انما توجد دائماً به خصائل رديئة لا يامن راكبه من الغدر والقتل فان شئت ركبت لك هذا الجواد فاذا كان به بعض الخصائل الرديئة لينته وطبعته حتى ياتي على طرق الصواب ولا اخفاك ان لا قوم في كل اقوام العالم يعرفون بالخيل وبركوبها كاهل فارس . ولما انتهى بهزاد من كلامه قال طيفور لا تصغَ الى كلامه ياسيدي فانه يسعى بنصب مكيدة يخلص نفسه بها فلا تصدقه . فقال بهزاد من اين يمكنني الخلاص والمدينة مقفلة الابواب والاسوار منيعة عالية سيما وانا بلا سلاح ولا عصاً فكيف يكون الخلاص ومن اين اطمع به وفوق ذلك فاني اطلب ان تقام العساكر حول الميدان صفوفاً صفوفاً حتى يسدوا عليَّ كل طريق ومسلك فيصعب عليَّ الجريان في غير الميدان الذي اجرب به هذا الحصان . فقال الوليد اني احب ان ارى انساناً يركب هذا الجواد وفي ظني ان بهزاد لا يقدر على ذلك بل يرميه ويدوسه بارجله وتكون هذه الغاية ومع ذلك فاني اضع العساكر طبقات طبقات تقوم كلها السلاح وهو بلا سلاح فلو شاء الهرب لما امكنه ومن اين يهرب انما غايتي الوحيدة ان اعرف هل يقدر على رد جماح هذا الجواد واذا كان يقدر هل له يعرف العيب الذي فيه وهل خصلة رديئة كما يزعم . قال ثم ان الوليد

دعا بقواد العساكر وامرها ان تحيط بالفسحة من كل جهة وان تستعد على اسلحتها ولا تدع مجالاً لهرب بهزاد وانهُ اذا قصد الفرار يرمونهُ بالسهام فيقتلونهُ لانهُ مجرد من السلاح وما من درع عليهِ يمنع عن جسمهِ ففعلوا وفي الحال اصطفت العساكر من كل ناحية وازدحمت اقدام المتفرجين وكان اكثر الناس شوقًا الى ذلك الوليد حيث كان يحب ان يلين الجواد ويعرف ان كان يقدر على ركبهِ ام لا ولما انتهى العمل امر الوليد بهزاد ان يعلو الجواد وان يطلق قياده وتنك رجلاه فلما راى من نفسهِ انهُ مطلق ايقن بالفرج وفرح غاية الفرح وفي الحال اعتلى ظهر الجواد واخذ بيده قياده وقد شاهد منهُ جوادًا كالبرج المشيد ذات قوائم ضخمه بالنسبة الى جسمهِ فتاكد انهُ قادر على ان يبلغهُ ما في فكره وان ينجو عليهِ من فوق الاسوار وبعد ان نظر الى اليمين والشمال وراى انهُ يسهل لهُ الفرار منهُ اطلق للجواد العنان فخرج من تحتهِ كالسهم في الانطلاق حتى لسرعة جريهِ كاد يختفي عن العيان ثم عاد بهِ ثانيًا حتى حمي واشتدت اعصابهُ ولا سيما عندما راى من نفسهِ ان فارسهُ بطل من الابطال لا يقاس بهِ ثان . وفي المشوار الثالث قرب بهزاد من الجهة التي فيها الوليد وصاح اي وليد ان لي امانة عندك وهو رفيقي سيامك سياقبا واني اقسم بالله العظيم اله الخليل ابراهيم ان مددت يدك اليهِ بسوءٍ لا ارضى الا براسك بدلاً منهُ ولا ارجع عن مصر الى ان اهدمها الى اسسها وسوف ترى بعينيك ما تسمع بهِ باذنيك . وجرى ذلك باسرع من لمح البصر ومن ثم صاح بالجواد صيحة قوية من فواد مقروح ارتجت لصياحهِ تلك الاسوار وارتجت قلوب الحاضرين وزاد الجواد في غليانهِ وجريهِ حتى كاد يقرب من حائط السور وهناك لكزه برجلهِ عند خواصره ورفع لهُ راسهُ فادرك الجواد الغاية فتجمع بقوائمهِ وضرب بها الارض فانفتح فيها حفر وخلجان وارتفع الجواد الى الجوّ وقد شاهدتهُ كل عين وانبهر منهُ الوليد وجماعتهُ ولا سيما عندما شاهدوه وقد حلق السور الى الخارج وارتفعت منهم الاصوات وعلى الصياح وامر الوليد ان تسرع الفرسان الى الاسوار وترميهِ بالنبال والسهام اذا كان لا يزال حيًّا فتسلقوا الجدران ونظروا الى الخارج واذا بالحصان غائص في الماء وهو يخطف كالسنونو لا ياخذه تعب ولا ملل وقد تقدم انهُ كان من خيول البحر فلا يتعب في الماء بل كان يجري فيها اكثر مما يجري على اليابسة فصوبوا نحوه السهام وهم يعلمون انهم ولا يقدرون لا يمكن ان يدركوه وسمع صياحهم كل من كان في المدينة حتى بلغ طوران تخت وعين الحياة وهما في مزيد كدر لما بلغهما من ان الوليد سيقتل بهزاد وسيامك ومعظم كدرها كان خوفًا من ان يقتل الاثنان وبسببهما تزيد العداوة فلا يرضى الملك ضاراب وفيروزشاه الا بالوليد والشاه سرور وكل سيد مشهور واخذا في ان يذما الزمان كيف يصعب الامور وياتي بها على غير المراد وفي الحال سمعوا الصياح والصراخ فارسلتا البواب واوصتاه ان ياتيهما بالخبر فغاب وعاد اليهما بما راى وقال لهما ان احد الفارسين فاز بنفسهِ ونجا من يد ابيك وقد قفز السور بجواد ركبهُ وحكى لهما كل ما كان قد سمعهُ عن بهزاد ففرحت

عين الحياة ومثلها طوران تحت وقالت الاولى للثانية اني لا اسمع خبرًا عجيبًا عن رجال قاموس [illegible]
و يتبعهُ العجب منهُ فهم عن حقيق من اشد رجال العالم ولو لم تكن بهم صفات الانس لقلت انهم طائفة
من طوائف الجان خرجت على الانس لتوقع بها وتلقيها في وهد التشتيت والعذاب فهل سمعت او
سمع احد قبل الان ان رجلاً حلق على جواد سورًا كالسور القائم في هذه المدينة واني اشكر الله الذي
ما احببت رجلاً من غير هولاء الاقوام ولا مالت نفسي الا لمن سيكون لهُ في الدنيا حديث تتحدث
بهِ الانام اجيالاً بعد اجيال

قال واسرع بهزاد على ظهر الحصان في الجري وهو يمخر النهر على غير هدى لانهُ غاب عن
الوعي الا ان عزمهُ بقي ثابتًا لان شدة برودة الماء وعظم نزول الحصان فيها وتبلل ثيابهُ اثر فيهِ
كثيرًا الا انهُ وان كان يقدر ان يتغلب على الناس والابطال ويقفز الابراج والاسوار الا انهُ لا يقدر
ان يغلب فواعل الطبيعة المؤثرة التي لا يحتمل المرء عظم صعوباتها ولما راى من نفسهِ انهُ يكاد يقع
عن الجواد وان البرد اثر في جسمهِ مال براس الحصان الى الشاطئ فخرج بهِ الى الضفة وما لحق البر
حتى وقع الى الارض كالمائت وقد تشنجت اعضاؤهُ ويبس كالخشبة وغاب وعيهُ قال وكان
قد وصل الى قرب المكان النازل بهِ الملك ضاراب فشاهده بعض الرجال عن بعد وهم لا يعلمون
من هو فاسرعوا واخبروا الملك ضاراب فامرهم ان يسرعوا ويأتوا بهِ حالاً وبالحصان ليرى من هو
فلما ساروا ووصلوا تحققوا انهُ بهزاد ففرحوا للقائهِ وتكدروا من حالتهِ واسرعوا بهِ الى الملك ضاراب
فلما راه على تلك الحال طار الشرار من عينيهِ وصاح وناح وخاف من ان يكون قد فقد حركتهُ
وفارقتهُ الروح وامر طيطلوس ان ينظر فيهِ ولما راه طيطلوس علم ان الحياة باقية فيهِ فامر ان يؤتى
بخرق من الصوف ويفرك جسمهُ واخذ في ان يسكب في فيهِ المنبهات ويدهنهُ بالارواح المهيجة الى
ان دبت فيهِ الحرارة وسرت في جسمهِ ورجعت الاعضاء تتدرج الى وظائفها ولم يمضِ الا ساعات
قليلة حتى عاد اليهِ وعيهُ وجلس مستويًا ونظر الى ما حواليهِ فعلم انهُ في حضرة الملك ضاراب.
فصاح ابن الحصان فقال لهُ الملك عندنا لا تخف عليهِ واستعاد منهُ حديثهُ فاعاده عليهِ موضحًا
بالاختصار. ثم اخذوه الى صيوانهِ وجعل الوزير طيطلوس يداويهِ ويسقيهِ من المقويات وهو على
ازدياد قوى ونجاح

قال الراوي فهذا ما كان من هولاء وسوف نرجع الى حديثهم بعد الان واما ما كان من خورشيد
شاه فانهُ لما تتبع اثار رجال الاسكندر وقد انفرد عن رجالهِ وطلبت نفسهُ الفتك في الفارين لعلمهِ ان
هذه فرصة لا يمكن ان يضيعها ولا يتسهل لهُ مرة ثانية ان يشفي غليل فؤاده منهم ولذلك دام على
طعنهِ وضربهِ وقد بعدوا عن مصر وهو في اثارهم لا يفتر ولا اخذه هدو الى ان غاب عن اعين
اصحابهِ واذ ذاك قيل للاسكندر ان فارسًا من فرسان ايران متتبعًا اثارنا لوحده وليس في فرساننا من

يقدر أن يقف في وجههِ فاغتاظ من ذلك وكان قد امن الحاقة من الاعداء ونظر الى نفسهِ وقد بعد عن مصر فامر ان تعود اليهِ الفرسان فعادت وصاحت وحملت فالتقاها بقلب قوي وعزم جري الا انهُ كان قد تعب وكل فما استقام اكثر من ساعة حتى وقع من التعب الى الارض فهجمت عليهِ الفرسان واوثقوه بالكتاف وقدموه الى الملك اسكندر فسالهُ عن نفسهِ وقال لهُ من تكون من الفرسان قال انا خورشيد شاه ابن عم الملك ضاراب ملك بلاد فارس وابن عم فيروزشاه الذي انزل بكم الويل والعمي ورماكم بالذل والقهر وشتتكم تشتيتاً لا تجتمعون بعده مدى الدهر . قال وكان الاسكندر قد اغيظ من كلام خورشيد شاه ولكنهُ كظم غيظهُ وامر ان يحمل الى المدينة ليرى ماذا يفعل بهِ اما ان يبقيهُ واما ان يقتلهُ وقطع المسافة بايام قليلة الى ان دخل الاسكندرية وهو منهزم بحالة يرثى لها ودخل العسكر الى المدينة وما فيهم من يصدق انهُ يجو من الموت ويصل الى مقره سالماً اميناً من الخطر الذي كان يتهدده واجتمع اليهِ اعيان البلد وهنأوه بالسلامة وشكروا الله على رجوعهِ وبعد ذلك استشارهم فيما يفعل في خورشيد شاه فقال لهُ وزيره الخاص ان كنت ترغب في ابعاد الاذى عن بلادنا ورفع الضرر عن الاهالي فاطلقهُ ودعهُ يذهب الى اهلهِ والى ملكهِ والا اذا ابقيتهُ هنا او فعلت بهِ امراً منكراً قدت اليك عساكر ايران فياتون هذه البلاد ويوقعون بنا وليس لنا طاقة على حربهم ولسنا بملزومين لاجل الانتقام من فارس واحد نجلب الينا الويل والخراب وما من عداوة بيننا وبين الايرانيين . قال اما اطلاق سبيلهِ فلا مطمع فيهِ لاني مزمع على ارسالهِ الى الوليد عند اغتنام الفرصة عساه ينتفع بهِ ويرى لزوماً لا بقائهِ عنده او يبعد بهِ الايرانيين عنهُ وانما لا اضيق عليهِ بل اوصي بالمحافظة عليهِ داخل قصري لارى كيف ينتهي الامر واذا وجدت اخيراً ان الدوائر دارت على الوليد قتلتهُ واخفيت امره ثم دعا بالحارس وقال لهُ اريد منك ان تبقي هذا عندك ولا تغفل عنهُ مطلقاً انما لا تضايق عليهِ ولا تضع في ارجلهِ القيود بل جرده منها وابقِ منها واحداً صغيراً في رجل واحدة بحيث لا يتمكن من الفرار واياك ان تدع احداً يكلمهُ او تدعه يخالط احداً او تدع سلاحاً يصل الى يده واحضر خورشيد شا وسلمهُ اياه وقال لهُ كن دائماً متيقظاً عليهِ فاجاب وذهب بهِ الى غرفة من غرف القصر السفلى ووضعهُ بها وعمل ما اوصاه الاسكندر

قال وبينما كان الحارس ذاهباً بهِ نظرت بنت الملك اسكندر اليهِ من النافذة فوقعت في هواه وكان اسمها كومندان وكانت من الحسن والجمال على جانب عظيم ذات قد قويم ممشوق تشبه القنا بعنق طويل ابيض يحمل راساً صغيراً مستديراً في اعلاه عينان سوداوان تحت حواجب مقرونة كالقسي في وسطهِ جبهة واسعة لامعة تضيءُ كالمقباس ولم يكن فمها باكبر من الخاتم الذي يلبس في خنصر الضعفاء من النساء ويزين هذه كلها وجه كثير الجاذبية بخدود ناعمة وفي عنقها عقد من الماس الثمين الذي فقد رونقهُ ببياض عنقها الصافي وتحت ذاك العنق صدر فسيح ممتلئ بارز منهُ

نهدان لا كبيران ولا صغيران لا يمكن ان يتمكن القابض عليهما من الثبات في مركز المداعبة والملاعبة دون ان يشعر من نفسهِ بالسعادة العظمى المقرونة بشتات العقل وشدة الهيام وتحت ذينك النهدين بطن كثير العكنات فوق ساقين على قدمين صغيرتين فجل من قال لها كوني الهة للحسن فكانت . ومجمل القول انها كاملة في كل تركيبها اي لم تكن ادنى وصفًا ولا اقل رتبة في درجات الجمال من بنات هذه الرواية وخطيبات ابطالها . فلما شاهدت كومندان خورشيد شا وكان قلبها لا يزال خاليًا لم يتمكن بهِ بعد حب احد شغفت بهِ وكادت تقع الى الارض لولا ثباتها وجلدها وقوة قلبها . وقد رات منهُ شابًا ظريفًا معتدل القامة كامل الهيكل صبوح الطلعة لم ترَ مثلهُ قط بين فرسان بلادها وقد تاكد لديها انهُ ملك عظيم الشان رفيع المقدار لاهتمام ابيها بهِ ولما غاب عنها واخذ الى القصر بكت من عظم ما نابها حرقة عليهِ وتاسفًا على وضعهِ في الحبس وبعد ان حل ما حل بها وصرفت نحوًا من ساعة تشكو غرامها لنفسها وتنظر اذا كان يمكنها الوصول اليهِ فلم ترَ سبيلاً وللحال نهضت الى قهرمانتها ودخلت عليها سرًّا وقالت لها اريد منك ان تنظري في امر يوصلني الى الاسير الفارسي الذي وضعهُ ابي في هذا القصر . قالت وماذا تريدين منهُ قالت قد علقت بهِ واحبهُ قلبي وتمنيت ان يكون لي زوجًا ويكون دائمًا عندي . قالت ان ذهابك اليهِ ووصولك الى سجنهِ ليس من الموافق وربما فضحت وظهر الامر وليس ايضًا من المناسب ان تجتمعي بهِ في السجن اذ لا يليق بكما ان تقيما هناك عرضة للمخاطر والعذاب والاكتشاف بل من الواجب ان تسعي في احضاره اليك فيقيم الليل عندك والنهار في سجنهِ لا يعلم بهِ احد قط . قالت اذا صح ذلك اغنيتك وجعلت نفسي مديونة لك بالجميل قالت هذا سهل عليك جدًّا لان الحارس تحت امرك لا سيما وانهُ كان قبل استخدامهِ في الحبس بوابًا عندك وخادمًا لك ومطيعًا لامرك وعلاوة على ذلك تعلمين اكيدًا انهُ رجل طماع يحب المال فعديهِ بهِ ومهما طلبت اليهِ فعل قالت اني لا ارغب في ان اكلمهُ بمثل هذا الكلام بل افوض اليك هذه المصلحة فخذي لهُ مهما شئت من الذهب وعديهِ بالكثير ولا تبخلي قط عليهِ حتى يجيب فاني اهب كل شيءٍ حتى روحي في سبيل الاجتماع بحبيبي الجديد الفارسي ولو ساعة واحدة . قالت سوف ترين ما يسرك ويرضيك . ثم اخذت في جيبها الذهب وخرجت الى الحبس فوجدت الرجل قائمًا عنده فسلمت عليهِ فاجابها بالسلام وكان لهُ بها صحبة قديمة ومحبة ثابتة فقالت لهُ اني عرفت ان عندك رجل فارسي اتى بهِ ملكنا في هذا اليوم من حرب الايرانيين قال نعم هو خورشيد شاه ابن عم الملك ضاراب ملك الفرس . قالت ان سيدتي كومندان قالت لي اذهبي الى الحبس واسالي لي الحارس ان يرسلهُ اليَّ لاراه ويبقى عندي هذه الليلة اتفرج عليهِ لانهُ قيل لها انهُ جميل الطلعة . قال اما من جهة جمالهِ فهو مفرد فيهِ لا نظير لهُ في كل ما رات عيني واما من بعثهِ اليها فلا يمكني لانهُ نظرًا لحسنهِ يسبي كل من راه وبدون شك اذا شاهدتهُ تهواه فلا تعود تتخلى عنهُ ويقع اللوم عليَّ وربما قتلني ابوها

اذا عرف بفعلها قالت ومن اين يعرف ابوها بذلك فهي تريد ان تراه واذا علقت بحبه كما زعمت كان لي ولك الخير الكثير لانها كريمة العطاء وهي سيدتنا ونعرف طباعها وتسلمنا امر تدبيرها ولاسيما انا فانها تأتمني على سرها وتستشيرني في قضاء كل مصالحها فاشور عليها ان تحضره عندها في اخر السهرة من كل ليلة وفي الصباح تسترجعه من عندها وتنزله الى مكانه فلا يعلم احد بذلك واني اسال الله تعالى ان تعلق به وتحبه فاننا ناخذ اموالاً غزيرة نستغني بها في مدة قصيرة عن خدمتها ونقيم مع بعضنا في مكان منفرد ونصرف الوقت بالهناء فكان هذا الكلام على قلبه اشهى من الماء الزلال لانه كان مغرماً بها ويتمنى ان يقيم معها دائماً فقال لها ان كنت تكفلين لي ذلك اجبت سؤالك . قالت كن انت مطمئناً فسوف ترى ما يسرك ويكون لك عندها كل اكرام ومقام . ثم اخرجت له قبضة من الذهب دفعتها اليه وقالت له خذ هذه منها الان على سبيل ان تريها اياها ويقيم عندها تحادثه هذه الليلة وتسأله عن بلاده واحواله فصل الى الله تعالى ان يقع في قلبها موقعاً حسناً وتحبه كما اني احبك . قال اني اطلب من الله ذلك واني من الان قائم على الصلاة . وقد فرح بما راى من الذهب وسر غاية السرور وقال في نفسه اصابت القهرمانة فيما زعمت فان الثروة قريبة منا والراحة تنتظرنا ولهذا وعدها انه في نصف الليل ياخذه اليها وودعها وودعته ورجعت الى سيدتها وقالت لها ابشري يا سيدتي فان الامر قد انتهى على احب ما تشتهي وفي الحال امرتها ان تعدد مائدة المدام وتهيئ اللوازم المقتضية لصرف الليل مع خورشيد شاه الذي احبته من كلما يليق به فاسرعت الى طلبها وكان ذاك الليل عندها من احب الليالي واهناه انما كانت تعد ساعاته بفروغ صبر فتراها طويلة تكاد لا تنتهي الساعة الا لينتهي معها الصبر وتلقيها في الضجر وما صدقت ان جاءت الساعة المطلوبة حتى جاءتها قهرمانتها واخبرتها باتيان خورشيد شاه فنهضت من غرفتها مدهوشة فرحة واسرعت الى الباب واذا به واقف عنده مع السجان فاخذته منه ودفعت له قبضة من الدنانير جائزة على فعله وتلقت خورشيد شاه بالترحيب والاكرام وارمت بنفسها عليه تقبله وتشرح له حال حبها وهو مندهش من عملها مبهوت منها كيف انها احبته وسعت في جلبه اليها دون ان يكون بينهما سابق معرفة وكيف رمت بنفسها عليه وباحت بهواها وغرامها دون تروٍ ولا تانٍ وتاكد ان ذلك جرى منها لشدة ما وقع عليها من عظيم الغرام حتى اغابها عن وعيها وكان قد انبهر عقله وضاع وعيه لما راه من جمالها وحسنها الباهرين الساحرين للالباب الاخذين بالعقول . وقد اجاب الى عملها بانه قابلها بالمثل وجعل يقبلها وقال بنفسه لا يليق بي ان اصدها واضيع لها رجاءها بي وارميها بالفشل والياس وان كان قد سبق مني وعد الى تاج الملوك بنت الملك النعمان واعهدت اليها بقلبي وعاهدتها على الوفاء لكن قطع رجاء هذه يوقعها بالياس وربما بالجنون لانه راي منها تهوراً بالحب مفرطاً وعملاً صادراً عن قلب محترق ملوع بنيران غرام شديد ولهذا سلم نفسه اليها واعتمد

ان يبقى حافظًا في قلبهِ محبة حبيبتهِ الاولى فتابطتهُ وتابطها ودخلا غرفة المدام وجلسا عليها واذا كل آنيتها من الفضة والذهب وهي محفوفة بالازهار والرياحين مع اختلاف اجناسها والوانها وكلها زكية عطرة تشرح الصدور وتسر النواظر

ابدى لنا الياسمين الغض حين بدا · درًّا يفوح بنشر منهُ مغتبق
كزوبجات صغار سال في لمع · من افقها ذائب الياقوت في الشفق
ونرجس الروض قد حيى بمضعفهِ · في اصفر ناقع مع ابيض يقق
كانهُ وهو في قضب منعمة · يلقي النسيم عليها نفس معتنق
اقشاط درمن الابريز في جمم · جعد فما بين مجموع ومفترق
وفتح النور احداقًا بلا هدب · صيبت بمهل اجفان بلا حدق
كانهن فقاقيع مكبسة · تمزقت بارتجاس الريح في الورق
واقبل الورد من برغوثه خجلاً · يبدي لنا فوق ربا نشره العبق
دراهمًا من يواقيت على قضب · تراكمت تحت دينار على طبق
وقد احاطت لرقص الدستبند بها · من الزبرجد حيتان من الورق

وبعد ان جلست وجلس الى جانبها جعلت تطارحهُ الغرام وتشكوله ما لحق بها من جرى نظرة واحدة اعقبتها الف حسرة حتى غيبتها عن الهدى وانها تكدرت من جرى قيامهِ بالسجن . فشكرها على فعلها معهُ وقال لها اني مديون لك الان بالجميل كما اني مغرم بك مشغوف بحبك واريد منك ان تراعي حرمة هذا الود واني اعدك انك لا تلبثين ان تصيري زوجة امير ايراني لان ليس في نساء ايران ولا في غيرها من هي مثلك في حسن الوجه وجمال المعاني فسرت من كلامهِ وملأت قدحًا من الخمر وناولتهُ فشرب وفعل هو كفعلها وانشدها من شعره ما اسكرها وغيبها عن الهدى ودام هذا العمل بينهما وهما على شرب ومشموم وعناق وتقبيل يصرفان الوقت بحجر الغرام مع المحافظة على العفة وقفل ابواب الطهارة في اوجه الاميال الفعالة الى ان كادا يفقدان صبرهما لولا تسليهما بالاشعار والشكوى وقد فعلت براسيهما الخمرة اعظم فعل ولما اشتد غرام كومندان ولعب بها العشق بتحريكات الخمار اخذت فشربت وانشدت تصف جمال محبوبها وتباهي بحسنهِ وهي على غير علم انهُ مغرم بغيرها

بروحي من افضت لسلبي خلائقه · وذو الحسن مثل الصبح ينبيك صادقه
اذا طال ليلي مثل الشوق وجههُ · بدا فاخال الصبح ابداه فالقه
تجسم من نور جنيٍّ يكاد من · لطافتهِ يؤذيهِ باللحظ رامقه
يجرد من لحظيهِ ان كان رامقًا · لهاروت سيفًا تستبينا بوارقه

يغنج بالتكحيل اجفانَ طرفهِ ... وقد ذرفت بالعارضين شقائقه
وما قصده التحسين بالكحل انما ... لتحديد عضب لم يجد عنهُ عاشقه
فحاذر سهامًا فوقت عن حواجب ... من اللحظ ريشت بالجفون رواشقه
وما فرعهُ المسود فوق جبينهِ ... سوى لاحق والصبح لاشك سابقه
ومسكي خال منهُ في ناصع الطلا ... كما فتق الكافور بالمسك فاتقه
حكى خالهُ من فوق مخضر شارب ... لشحرور روض شوقتهُ حدائقه
وما البدر الا ما اظلت ذوائبه ... وما الشمس الا ما حوتهُ بنائقه
وما السكر الا من رضاب لثغره ... اذا مزج الصهباء من فيهِ ذائقه
اذا اهتز رمحًا او تمايل بانة ... وان ماس تيهًا قلت قد جلّ خالقه

وكانت لا تنشد بيتًا الا وترى من نفسها لذة تاخذ بها الى الميلان والعجب وترتاح الى كثرة النظر في وجه حبيبها واي شيء الذ على العاشق من ان يسمح لهُ الزمان بالاجتماع بمحبوبهِ على خلوة يسمع منهُ شكواه ويجيبهُ عليها بمثلها ولذلك كانت ترى من نفسها انها بنعمة من الله وان الدهر راقد عنها ملتهٍ بغيرها وتمنت ان لا ينقضي ذاك الليل بل تقف الكرة مظهرة بظهرها الى الشمس فلا تصافح ذاك القطر غير ان الليل ابى الا السرعة الرحيل ومرَّ كما يمر الظل وانقضى بحيث لا يشعران الا ونور الصبح اخذ في ان يتقدم رويدًا بطليعة النهار فاسود لذلك قلبها وكاد يغمى عليها فصبرها خورشيد شاه وقال لها لا تياسي من الاجتماع مرة ثانية ففي الحكمة الاصابة . قالت اني اعرف ذلك ولا اريد ان تبقى عندي الا الليل املاً ان لا يطلع احد على خبرك فيبعدونك عني ولا يتيسر لي الاجتماع بك مرة ثانية ولذلك ساصبر كل هذا النهار والقسم الاول من الليل وان كنت الاقي بهما مرَّ عذابٍ ناشيء عن بعادك هذه المدة التي احسبها اطول من سني حياتي الماضية انما لي امل بغسل هذا العذاب بماء اجتماع المساء القادم فتزود مني لا تزود منك بقبلات الوداع . ثم عانقا بعضهما عناق الوداع وقد ذرفت اعينهما دموعًا غزيرة بللتهما الى بال . واذ ذاك دخلت القهرمانة وقالت يا سيدتي ان الحارس اتى وفي نيتهِ ان ينزل خورشيد شاه الى الاسفل وقد وعدني انهُ في المساء يعيدهُ اليك . فقالت لها ادفعي لهُ مهما شاء من الدراهم وعديهِ اني سازيده عندما ياتي بهِ في المساء . ثم سارت القهرمانة ومن خلفها خورشيد شاه وخدمة القصر اذ ذاك نيام حتى وصلت الى الباب فنزل خورشيد شاه وهو نشوان من خمرة الحب واللذة التي لاقاها في تلك الليلة وقد علق املاً كبيرًا باجتماعه مرة ثانية وثالثة بتلك المحبوبة الجديدة وكان يريد في ان يعاهدها على الحب ويرتبط بها رباطًا مكينًا ويوجه افكاره الى التعلق بها تعلقًا صحيحًا الا انهُ كان يرجع عندما يرى من نفسه ضرورة الوفاء والقيام بصدق القول مع تاج الملوك محبوبتهِ الاولى ولا تطاوعهُ مروءتهُ ان يقال عنهُ بانهُ قليل المودة

ناكث العهد وهذا الامر جعلة كالواقع في لجج الابحار تتلاعب به الامواج وهو بين دفتي خطر ونجاة
وبعد ان استقر في محبسهِ وضع السجان القيد في رجلهِ كالعادة فاطاعهُ وبعد ذلك القى براسهِ على
وسادتهِ ونام طويلاً الى ما بعد الظهر فاستيقظ واكل وصبر الى ان كان الليل وحان الوقت المعين
فاخذ الى كومندان وصرف تلك الليلة عندها اشهى واحب من الليلة الاولى وفي الصباح اعيد الى
مكانهِ واقام على هذه الحالة ولم يطلع على خبره قط احد

قال وقد تقدم معنا ان كرمان شاه ركب وسار في اليوم الثاني من غياب الفرسان وجد في
مسيره يتقدمهُ بدرفتات العيار حتى قرب من الاسكندرية وكان ذلك عند غروب الشمس فنزل
للراحة تلك الليلة وفي الصباح نهض الى صيوانهِ وكتب كتاباً الى الملك اسكندر صاحب الاسكندرية
يقول لهُ فيهِ اعلم ايها الملك الرفيع الشان ان الملك ضاراب ملك ملوك الاعجام وصاحب ايران
وابا فيروز شاه صاحب البند والعلم ومذل الجبابرة العظام والملوك الفخام الذي رايت بعينيك
فعلهُ وشاهدت حملاتهِ وبطشهُ لما افتقد ابن عمهِ خورشيد شاه صعب عليه الحال وغضب مزيد
الغضب وتكدر لفقدهِ وبعد ان علم من اتباعه انهُ اسر عندكم بعثني بمائة الف فارس من فرسان
فارس الاشداء وامرني ان اطلب اليكم تسليم ابن عمهِ المأسور عندكم فان سلمتموني اياه كان خيراً
فاخذه مع تقديم الشكر واعود راضياً من اعمالكم والا فاني مأذون بمحاربتكم ومقاتلتكم ولا ارجع ما لم
اهدم اسوار المدينة واخلصهُ من ايديكم واقيم حاكماً كما اطلبهُ واختاره . واخذ بدرفتات التحرير وانطلق
الى ان وصل الى باب المدينة فطرق وقال للبواب اني رسول من قبل سيدي كرمان شاه الى حاكم
المدينة فدخل وسار الى دار الحكومة الى مقر الاسكندر فدفع اليهِ الكتاب وطلب منهُ الجواب فلما
قراه اشتعل بنيران الغضب وقال ايظن كرمان شاه ان كل رجال فارس وغيرهم من فرسان هذا
الزمان اذا تجمعوا عصبة واحدة يقدرون على الدخول الى المدينة واسوارها منيعة شاهقة لا تخرقها
الخوارق وابواب البحر مفتوحة لنا لا يمكن حصرها فليفعل مهما شاء ثم نظر ايضاً الى بدرفتات فعرفهُ
وقال لهُ لقد وقعت بيدي يا بدرفتات فانت خائن وما جزاء الخائن الا الموت وكما خنت سيدك
ستلاقي مني الهلاك فلا بد من قتلك الان قال كيف تقتلني يا سيدي وانا رسول وفي شرع الملوك
ونظامها ان قتل الرسول حرام . قال اذا كان الرسول اميناً اما اذا كان خائناً فقصاصهُ ضروري
وفي الحال امر ان يقبض عليهِ ويساق الى اسوار المدينة مع اربعة من انفاره فينزع من ثيابهِ وينادى
امام رجال ايران لينظروا اليهِ ويعلموا انهُ قتل رسولهم ويروا موتهُ باعينهم . فلما سمع وزير الاسكندر
كلامهُ نهاه وقال لهُ دعه يا سيدي يرجع الى مولاه واطلق خورشيد شاه ايضاً واعتذر اليهِ وارح نفسك
من معاندة الاقدار فان اهالي فارس قادرون على كل ما يقولون فلا تقف في وجوههم اسوار
مدينتك ولا غيرها . قال ان ذلك لا يكون ابداً ولا بد لي من ان اعمل عملاً في اهل فارس يذكر

جيلاً بعد جيل ثم انهُ امر النفر ان تسوق بدرفتات الى اعالي الاسوار فيقتلونهُ ويجرون بدمهِ على جدرانها ويكون ذلك على مرأى من الايرانيين فاخذوا بدرفتات العيار وصعدوا بهِ السور القائم الى جهة عساكر كرمان شاه فاوقفوه عليهِ ونادوا باهل ايران ان تتفرج عليهِ وعلى ما يحل بهِ من ايديهم ثم اخذوا يجردونهُ عن ثيابهِ و يقتسمونها بينهم وكانت ثمينة جدًّا مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة ولاسيما خنجره الثمين وانهم لما راوه انعطفوا اليهِ مندهشين وكل وجه فكره الى ان يستولي عليهِ فرأى بدرفتات منهم الغفلة والانشغال فضرب برجليهِ في جدار السور وقمز كالغزال من اعلاه فهبط يهوي الى النهر المحيط بالمدينة من تلك الجهة ولا زال في هبوطهِ الى ان وصل الى الماء فاخترقهُ لعظم ثقلهِ حتى اختفى عن الاعين ثم طفى على وجه الماء فسبح الى ان وصل الى الضفة فصعد عليها وكان لا يزال عليهِ قميص فقط فسار بتلك الحالة الى ان ارى نفسهُ لكرمان شاه وحكى لهُ ما كان من امر حاكم الاسكندرية وكر راجعًا الى صيوانهِ فلبس ثيابهُ ونشف جسده ورجع الى صيوان سيده فوجده في اضطراب فاستعاد منهُ الحديث فاعاده وشرح لهُ منفصلاً كل ما كان لهُ في حضرة الاسكندر وكيف ان وزيره نصحهُ فلم يقبل فاغاظهُ ذلك وعزم على الفتك بالمدينة والهجوم عليها . فقال لهُ بدرفتات مهلاً يا مولاي لا تفعل الان امرًا وابقِ ذلك الى الغد فاني عزمت في هذه الليلة ان انزل المدينة وانظر مقر خورشيد شاه علي اقدر ان اتوصل الى خلاصهِ فاتي بهِ لاني اخاف ان نحن ضايقنا الاسكندر انتقم منهُ ولاسيما انهُ يخطر في ذهني ان ارى لي طريقًا تمكنا من الدخول الى المدينة بغتة خوفًا من التطويل والفشل لان هذه الاسوار القائمة حولها سميكة جدًّا بحيث لا نقدر على هدمها الا بعد صعوبات جمة وقتل كثير من رجالنا . قال اخاف عليك من ضرر جديد وما من منفذ تقدر على الدخول منهُ قال اني اعرف بالقرب من النيل منفذًا صغيرًا يساع رجلاً فقط وذلك بدهليز طويل ينتهي الى دار الحكومة يصعد منهُ على سور عالي وينحدر من هناك على قصر بنت الملك المحاذي لقصر الملك وقد عرفت ان خورشيد شاه هو في قصر الملك اي في غرفة في اسفلهِ ملاصقة لقصر بنت الملك فاذا تمكنت من خلاصهِ عدت بهِ على هذا الطريق باسرع آن . قال افعل ما بدا لك واياك من ان تظهر امرك فانك ان وقعت بايديهم هذه المرة يقتلونك لا محالة . قال كن مطمئنًا فاني كافل بنفسي النجاح وسوف ترى مني صدق كلامي . ثم صبر الى الليل حتى اسود حالكهُ فلبس لباسًا صيفيًا وتقلد بخنجر خلاف خنجره الذي سلب منهُ وانسل الى جهة النيل فوجد رواقًا ضيق المجال فمشى عليهِ بدقة عند حافة النهر حتى انتهى الى المنفذ فدخل منهُ زحفًا على بطنهِ ولازال حتى صار الى الداخل فوصل الى دار الملك وتسلق السور وعزم على ان يقفز على سطح قصر كومندان فوجد فيهِ نورًا منبعثًا من نافذة صغيرة في اعلى القصر فشغل بالهُ وخاف من ان يكون خدمة القصر وسكانهِ مستيقظين فوقف برهة متفكرًا الى ان خطر له ان يدنو من النافذة و ينظر اذا كان داخلها قوم قيام او نائمون

فرمى بالحبل على السطح فسكت كلاليبهُ وشدها فوجدها متينة محملة فاتى الى طرف السور ونصب نفسهُ على الحبل واخذ يتسلق الحائط شيئًا فشيئًا الى ان قرب من النافذة ونظر الى الداخل فوجد كولندان جالسة والى قربها خورشيد شاه وامامهما صفرة المدام وهما يتعاطيانها على احب انتظام وهي مقرونة بالمسامرة والمغازلة وقد سمع كولندان تقول لهُ لا تطمع بالخروج من هذه المدينة الا بي ولا احمل ابي ان يتخلى عنك ولا اظن ان مروتك تطاوعك على تركي انقلى على جمر الغضا وانسعر بنار الحب فاصبح عرضة للامراض والاوجاع والاسقام . قال اني قلت لك اني لا اذهب عنك ما زلت اسيرًا او ما زالت بلادكم في يدنا فتكونين معنا انما اوكد لك انهُ لا بد من اتيان عياري بلادنا لخلاصي ووصولهم اليَّ ولذلك لابد لي من الذهاب معهم والنجاة . قالت هذا يبعد تقديره فعياروكم لا يصلون الى هذه المدينة ولا يقدرون ان يعرفوا مكانك ولهذا تراني امينة من هذا الوجه ولما سمع بدرفتات هذا الكلام وتاكد خورشيد شاه اخذ حصاة صغيرة ورماها بها فانبغتا لها وارتبكا واضطربا وتاكدا ان احدًا يطلع عليهما واراد خورشيد شاه ان يخرج ليرى من الرامي واذا بو قد حاكاه وقال لا تخف يا سيدي فانا بدرفتات عيار ابن عمك وقد جئت لخلاصك فخفق لذلك قلب كولندان وزادت اضطرابًا وشعرت بفراق قواها وارادت ان تعمل الحكمة والدراية في بقاء محبوبها واما هو ففرح مزيد الفرح وامره بالنزول فرفع نفسهُ على الحبل الى اعلى السطح ثم نزل من سلم القصر الى وسطهِ فوجد القهرمانة بانتظاره لان كولندان دعتها وامرتها بان توصلهُ اليهما فلما دخل سلم عليهما وقال لكولندان اتظنين ان عياري الملك ضاراب يصعب عليهم شيء من مصاعب الدنيا فما من عقدة لا يقدرون على حلها . قالت لله دركم فاني اعرف كل ذلك واسمعهُ عنكم . انما لا اريد ان اعرف واصدق انكم تقدرون على تكدير راحتي وهنائي وتقصدون ابعاد خورشيد شاه عني . قال كيف يمكنهُ بعد ان نكون قد جئنا وخاطرنا بانفسنا لاجلهِ يمتنع ولا يذهب معنا ومع ذلك فاننا اتينا بالعسكر لنستولي على المدينة ونتسلط عليها وذلك تحت قيادة كرمان شاه ويلتا . ثم حكى لهم كل ما كان من امر ابيها وكيف انهُ لم يقبل بان يسلم خورشيد شاه وفوق كل ذلك فانهُ قصد قتلهُ وهلاكهُ فنجا حاذقًا بنفسهِ من على السور فتعجبا منهُ ثم قال واننا الان حول المدينة قائمون وفي نيتنا المهاجمة ولم يكن يعيقنا الا وجودك داخلها فاتيت لاذهب بك الى المعسكر . قالت اني لا اطيع الى تسليمهِ واني افادي ببلاد ابي وبنفسه ايضًا لاجلهِ فما من مطمع لذهابك بهِ وحدهُ انما عندي من الراي ان اسهل لكم تسليم المدينة فتدخلونها وتستولون عليها ويبقى حبيبي في يدي . قال اذا فعلت ذلك اجبت سوالك وابقيتهُ عندك . قالت اني فكرت في الغد ان اخذ شرذمة من الرجال ويكون ذلك في الليل واسال البواب فتح الباب لاخرج وفي نيتي ان اتجسس اخباركم عن بعد واقول للبواب ان ابي امرني وفي نيتهِ ان يكبس جيوش الفرس وعند فتح باب المدينة تكونون انتم

قائمون عنده مهيئين انفسكم للدخول فحال فتحي للباب تهجمون فتقتلون البواب والحراس وتدخلون المدينة فتفتكون بمن يمانعكم ويدافعكم ولا اريد منكم الا بقاء من احببت عندي وافعلوا انتم ما شئتم ففرح بدرفتات لذلك وقد تعجب منها ومن عظم تعلقها بخورشيد شاه حتى انها سعت بفتح المدينة وتسليمها لأجلهِ وباعت اباها وكل ما هو عظيم عندها لاجل شهوتها النسائية . ولذلك قال لها اني ارى هذا صوابًا ويمكنك ان تبقي مرتاحة حاصلة على من احببتهِ ونستولي نحن على المدينة دون كثير عذاب وعظيم صعوبة . وبعد ان اتفقوا على هذا الراي وعينت الزمان والساعة التي تفتح بها باب المدينة ودعها وخرج مسرورًا بنجاحه فصعد السطح ونزل السور الى دار الحكومة ومنها الى الدهليز فاستلمهُ ودخل منهُ كما خرج الى ان انتهى الى الرواق ولما صار في الخارج اجتاز النهر وسار الى معسكرهِ حتى انتهى الى صيوانهِ فبات تلك الليلة وفي الصباح نهض الى سيده كرمان شاه فوجده جالسًا بانتظاره . فقال لهُ ماذا فعلت قال كل ما نحن محتاجون الى فعلهِ ثم اطلعهُ على ما راه وما كان من امر كومندان ففرح غاية الفرح وسرَّ من قرب نجاح مسعاه وقال ان العناية توفقنا والظروف دائمًا تخدمنا وما برحنا نفتح البلاد الصعبة الاسوار بسهولة غير منتظرة . واقام ينتظر المساء بفروغ صبر وقد اعد العساكر واوصاها بان تسهر كل الليل ولا تنام الى حين يدعوها وان لا تنزع عددها وسلاحها

وقبل نصف الليل بساعة نهض كرمان شاه بعساكره ورجالهِ وتقدم الى جهة باب البلد ورتب العساكر ان تدخل حال فتح الباب وبقي بالانتظار وكانت كولندان بعد ان وصل اليها خورشيد شاه ابقتهُ في قصرها واوصت القهرمانة بالمحافظة عليهِ وجاءت الى المعسكر وقالت للقائد اني اريد منك مائة نفر لغاية يريدها ابي ان يجريها بواسطتي وابقَ انت في مكانك منتظرًا اوامره فانهُ سيصدر لك امرًا فيماذا يجب ان تفعل في هذا الليل فاجاب طلبها فاخذت الرجال وسارت بهم الى جهة الباب فوجدت البواب نائمًا والحارس قائمًا على حراستهِ وهو ينقره فدنت منهُ وايقظتهُ فاستيقظ مرعوبًا لما علم انها كومندان وقال لها ماذا تريدين ياسيدتي . قالت افتح الباب فان ابي عول على مفاجأَة الاعداء في هذه الليلة واني سائرة في مقدمتهِ لارى ان كانوا استقروا في خيامهم آمنين او لم يزالوا ساهرين وهوذا ابي آتٍ في اثري ففتح البواب الباب وفي تلك الدقيقة هجمت رجال فارس وكانت كما قدمنا منتظرة فتح الباب فقتلت الحراس وتدفقت على المدينة فاقاموا الصياح في كل جوانبها وارتجت المدينة في تلك الساعة اي ارتجاج وهبت الناس من مراقدهم مرعبون خائفون لا يعلمون السبب ولا ماذا جرى وكذلك الاسكندر صاحب المدينة فانهُ استيقظ مرعوبًا وسمع الصراخ والصياح في سائر الانحاء فتاكد ان الاعداء دخلوا البلد فارتاع وغضب وقصد الذهاب الى مقر العساكر ليدافع علهُ يمنع عنها مهاجماتهم الا انهُ ما بعد الا القليل حتى صادفهُ

كرمان شاه لانهُ كان اتيًا اليهِ ينتقم منهُ ويقلع اثره وفي الحال ضربهُ بسيفهِ فقتلهُ وقصد جهة العساكر فاشغل فيها القتل حتى صاحت من شدة الالم واستامنت لانفسها وقد علمت ان ملكها هلك والمدثر وما بزغت الشمس الا والمدينة بيد الفرس وقد دخلوا اسوارها ورفعوا عليها الاعلام الفارسيـــة ونادت في كل الاسواق باسم الملك ضاراب ودخل كرمان شاه قصر الملك وجلس على كرسيهِ ومعهُ بهلوان بلاده بيلتا وبين يديهِ بدرفتات العيار وكلهم فرحون بالنصر والظفر من اقرب طريق واسهلها وعند ذلك دخل خورشيد شاه عليهِ وهنأ ه بالانتصار ومدحهُ على السعي في خلاصه فصافحهُ وحياه وقال لهُ ان ابن عمك الملك ضاراب في ارتباك عظيم لاجلك ولولا انشغالهِ بمحاصرة المدينة لسار بنفسه او بعث بابنهِ لاجل خلاصك والحمد لله فاننا لم نلاقِ صعوبة ولا فقد منا فارس واحد وما هذا الا من مساعدتهِ تعالى ومن حظوظ الايرانيين لانهم محبوبون ما دخلوا مدينة الا وعلق بهم نساؤها وباعوا بلادهن لاجلهم . قال اني اعلم ذلك ولولا كولندان للقينا صعوبة وعناء ولقيت انا ايضًا عذابًا ومشقة انما اخذتني اليها واكرمتني فهي بالحقيقة من البنات اللاتي اخلصن الود في خدمة الملك ضاراب وان تكن قد باعت اباها من اجلي انما لا انكر انها عاقلة حكيمة وفعلها هذا كان بالرغم عنها دعتها اليهِ ضرورة العشق التي تعمي بصرها وتذهب بصوابها وليست هي باول من فعل مثل هذا الفعل وكنت عزمت في الاول ان اقطع رجاءها مني واطلعها على امري واخبرها باني وعدت قبلها غيرها واعطيتها قلبي لكني فكرت ان ذلك يعود عليها بالياس وعليَّ بترك الراحة . قال حسنًا فعلت فانها وان كانت علمت بحبك لغيرها لا ترجع عن هواك ومع ذلك فمن اللازم ان تبقى عندها ولا تكافئها الا بالجميل والاحسان ومتى آن اوان اظهار الامر وعرفت الحقيقة نعذرك ونطلب من الملك ضاراب ان يزفها على احد ابناء عمهِ . وبعد ذلك جاء وزير الاسكندر واعيان المدينة ينادون بالطاعة وعرضوا على كرمان شاه دخولهم في طاعة الايرانيين . فقال لهم اننا نقبلكم مع رضانا عنكم ولا ننكر لكم جميلاً فقد عرفنا انكم نصحتم ملككم وسالتموه اطلاق سبيل اسيره فلم يقبل حتى لقي شر عملهِ والان فاني باذن سيدي ومولاي وابن عمي الملك ضاراب اقيم باسمهِ حاكمًا عليكم هذا الوزير العاقل الخبير فنادوا باسمه ملكًا عليكم تحت حماية الفرس وان تبقى الراية الفارسية مرفوعة على اسواركم ففرح الجميع بهذه البشارة وقالوا اننا نشكر الله غاية الشكر ونحمد مراحمهُ على هذا الالتفات العظيم فاننا نحب هذا الوزير اكثر مما كنا نحب ملكنا وشاع الخبر في كل المدينة ان الحاكم عليهم هو وزيرهم

وبعد ان رتب كرمان شاه كل ما يحتاج الى ترتيبهِ نهض مع خورشيد شاه الى قصر كولندان فوجداها قائمة لها بالانتظار وقد اعدت الطعام وهيئات موجبات الاكرام مما يليق بشان ضيفها الجديد وحبيبها ولما رأتهما ترحبت بهما وسلمت على كرمان شاه وتلقتهُ بكل ترحيب فشكرها على

فعلها ونجاحها في عملها . وقد تعجب ما هي عليهِ من الحسن والجمال والبهاء والكمال وحسد عليها ابن عمو وهي ايضًا تعجبت من هيبتهِ ووقاره وجماله وقالت في نفسها بالحقيقة ان رجال فارس باجمعهم اصحاب حسن فقد خصهم الله بهذه المزية فتنة لنساء العالم ولما جلست على مائدة المدام تاملت بينهما فلم ترَ فرقًا ففطنت لنفسها وقالت اني الان في اعظم سعادة لاني قائمة بين اثنين من اجمل رجال الدنيا واي بنت من بنات ملوك هذا الزمان وساداتها لا تحسدني على نعمتي ولذة معيشتي معهما ولا غروَ ان مات ابي بعملي فاني عوضت عنهُ بمعين الذّ لعينيّ وقلبي منهُ وعوض ان يموت على غير سبب فيلحقني الحزن والكآبة والسعي مدفوعة الى البكاء والصياح بالتاثر الشديد الذي يقع على اقرب الناس للمفقود واحبهم عنده فلهذا السبب وهذا الحب دفعت عني تلك الاكدار بل بدلتها بافراح وراحة وهناء شتان بينها و بين تلك الحالة التعيسة التي انقضت وما وعيتها . وجعلت كولندان تسكب الخمر وتعاطي ضيفيها وتترحب بهما وهما يتناشدان الاشعار و يتذاكران الاخبار و يترنمان بالاغاني المتنوعة المطربة وقد راق لهم الزمان وطاب الوقت وحسب كل واحد منهم نفسهُ سعيدًا وتمنى ان تدوم تلك الحالة وتطول فقد خلت من كل رقيب وحسود وغفلت اعين الزمان فلم تحدث لهم ما يكدرهم في ذلك النهار الا انها حسدتهم على ما رأتهم فيهِ وما هم عليهِ وغاظها عدم انتباههم اليها فارادت ان توقع عليهم بعضًا من همومها وانشغالاتها فصبرت عليهم وهي تتوعدهم قائلة لهم في اخر الليل تسمعون الصراخ . وبقيوا على تلك المنادمة بين الكاس والطاس الى ان اشتد الليل فحينئذ قال خورشيد شاه ان لي عدة ايام آتي الى هذا القصر فلا ارى فيهِ غير هذه الغرفة ولا اخرج منها الا الى محبسي وكنت لا احسن ان اظهر لاعين ساكنيهِ وخدمهِ واما الان فقد صرنا نحن الحكام وما من مانع يمنعنا عن ان ندور فيهِ وننظر في غرفهِ وقسحاتهِ . قالت فلندع ذلك الى اليوم القادم فاننا الان نشاوى من فعل العقار . قال اني احب ان يكون ذلك في هذا الوقت وما من مانع فطوفي بنا هذا الطابق العلوي قبلاً فلا بد ان تكون غرفة مزينة بالنقوش الجميلة ويكون اثاثة متقنًا لان صناع الاسكندرية من اعظم صناع الدنيا ولهم معرفة والمام بالزخارف وكل ما هو مبهج مرغوب . قال فلم يسعها الا ان تجب سوالهُ وتفعل غايتهُ فقامت بهِ وجعلت تدور الغرف واحدة واحدة حتى اتت غرفة الاستقبال وكانت من اتقن الغرف واجملها منقوش على جدرانها النقش البديع وفي سقفها سلاسل من الذهب معلق بها ثريات من الذهب ايضًا مرصعة بالجواهر اللامعة من صناعة المصريين القدماء وكانت نوافذ تلك الغرفة تشرف لجهة البحر وقد تسمع اصوات الامواج تضرب على جدرانها بما يستدعي التفات السامع . فاعجبت هذه الغرفة كرمان شاه وخورشيد شاه وتقدم الاخير الى جهة النوافذ المطلة على البحر وجلس بقربها ودعا كولندان ان تجلس هناك وقال ان قيامنا بهذه الغرفة مسرٌ لقلو بنا موافق لحالتنا اكثر من غيرها . فقالت لهُ كل القصر لا

بل كل المدينة تحت امرك الان وما من مانع دون مرامك وطلبك فاينما شئت اجلس ومن ثم
جعل ينظر الى جهة البحر وقد اخذ نظره الى جهة نور بعيد ظاهر عن بعد وهو في وسط ضباب
كثيف اشبه بغيمة سوداء قائمة على سطح البحر وكان القمر مشرقًا ونوره صافيًا يتكسر على المياه
فيتموج مع موجها فاعجبهٔ ذاك المنظر وطلبت نفسهٔ النزول في البحر والسير عليه ولذلك قال
لكولندان اني ارى هذا النور من خلال هذا الضباب وهو في نصف البحر مع اني لا ارى يابسة
وليس هناك من جزيرة . قالت وقد ظهر عليها الاضطراب وارتبكت وجعلت تزدرد في ريقها لا اعرف
هذا فدعنا منهُ فما عرفهُ احد قبلي لاعرفهُ ولايمكن لاحد منّ بلادنا ان يعرفهُ . قال لا يمكن
ذلك مع انهُ قريب من المدينة ولابد من انك تخفين عني امرًا وتحاولين اغاضة فقولي لي الصحيح ولا
تدخلي باب الكذب فما انت ممن يكذب بل بيني ما يمكنك ان تبينيهِ لي بحيث لا تحوجيني ان اقصد
تلك الجهة لاطلع على تلك الناحية وقد شوقني كلامك وتغير حالك الى الوقوف على خبرها فلا
بد لي منهُ . فلما سمعت كلامهُ خفق قلبها وشعرت بانسلاخ روحها وكادت تسقط الى الارض لو لم
تستنهض همتها وتتجلد وتيقنت انها اذا اخبرتهُ عن الخطر المحدق بمن يروم الدخول في ذلك
الضباب يرجع ولا يرضى بان يخاطر بنفسهِ فيقدمها ضحية للمهالك فقالت لهُ اني لم اكذب عليك قط
واني صادقة فاني لا اعرف شيئًا عن تلك الناحية وما اسمعهُ لا يفيدك شيئًا وهو ان تلك الناحية
التي تراها هي جزيرة قائمة في وسط البحر يظللها ضباب كثيف جدًا محدق بها من كل جهة فلا يرى
قط ما هو داخلهُ ويقال ان ضمن الجزيرة كنز من عمل السحرة القدماء وقد قصدوا حفظهُ فاقاموا
عليهِ هذا الضباب كالحارس يحرسهُ من قاصده والطامع فيهِ . وقد قصد كثير من الطامعين واصحاب
البطالة ان يعرفوا مقر ذاك الكنز فركبوا القوارب وحالما يجتازون ذاك الضباب يختفون فيهِ فلا
يعود يسمع عنهم خبر ولا ينظر لهم اثر وقد كان ابي رغب كثيرًا في ان يعرف ما ضمن تلك الجزيرة
فبعث بكثير من الناس لا سيما من المحكوم عليهم بالقتل ووعدهم انهم اذا جاءوا لهُ بالاخبار الاكيدة
عن هذه الجزيرة اطلق سبيلهم وانعم عليهم وجعلهم من خدمه فيذهبون على القوارب ويدخلون
الضباب ومن ثم لا يعود يسمع لهم خبر كغيرهم من الذين هلكوا قبلهم ولهذا السبب خاف الجميع
الدخول وابوا المخاطرة بالارواح لان كل نفس عزيزة على صاحبها ولهذا قلت لك اني لا اعرف
ما سبب هذا الضباب ومن اين ذاك النور فيهِ وليس انا فقط بل كل من في المدينة لا يعرفون هذا
السبب وكل واحد يسمع من ابيهِ وابوه من ابيه ايضًا ان هناك كنزًا انما الموت دونهُ ومما يظن انهُ
هلك داخل هذا الضباب اكثر من مئات ومئات من الالوف

قال فلما سمع خورشيد شاه هذا الكلام قال لقد صدقتك انك لا تعرفين شيئًا عما هنالك انما
ما عرفتهِ كفاني وما بقي فاني اسعى لمعرفتهِ بنفسي . فقال لهُ كرمان شاه وكيف تقدر ان تعرفهُ .

قال اني اذهب بنفسي الى تلك الجزيرة واجتاز ذاك الضباب ولا اعود الا بمعرفتها الحقيقية فصاحت كولندان على غير وعي عند استماعها كلامهُ وقالت لهُ اني لا اقبل قط ان تخاطر بنفسك فارجع عما قلتهُ وليس داخل تلك الجزيرة الا كنز من الاموال والجواهر وهذا انت في غنى عنهُ وأكد ان ذهابك يلقيني في وهدة العذاب بحيث التزم ان اميت نفسي اشنع ميتة تخلصًا من الحياة بدونك . قال لها لا بد لي من ان اسير الى اختراق هذا الحجاب وما كانت رجال الفرس لتقول امرًا ولا تفعلهُ ولا سيما واننا نعتقد ان الله معنا وان المرء لا يموت بغير يومهِ . فلطمت على خدودها وبكت من فؤاد قريح وقالت انك تخاطر بنفسك وترمي بها الى الموت عن طيش وحدة وكيف يمكنني ان اطيعك على مثل هذا العمل وافقدك بوقت قليل كهذا . وقال لهُ كرمان شاه لا تذهب ولا اقبل معك بالذهاب ولا ادعك تنفذ غايتك وما اربك وتلقي بنفسك الى الخطر على حين انت في غنى عنهُ لا سيما واني مسئول الان لدى الملك ضاراب اذا تركتك وشانك لانهُ بعثني وانت في الاسر لخلاصك وارجاعك اليهِ وقد قبل بالمفاداة بمائة الف من العساكر طمعًا بحياتك وخلاصك فكيف بعد الوصول الى الغاية والاعتماد على الرجوع الى حضرة ملكنا نتاخر وتفقد انت من بيننا فهذا لا يمكن ان اوافق عليهِ وادعهُ يتم قط . فاغاظهُ هذا الكلام ونشامخت بهِ مفاعيل الخمرة وقال لهُ انك لا تقدر ان تمنعني عن انفاذ غايتي فانت ملك وانا مثلك واني احتم كل الحتم واقسم بالله العظيم رب موسى وابرهيم الخليل واثبت قسمي بحياة الملك ضاراب وحياة ولده فيروز شاه كنز الفخر والجاه اني لا ارعوي عن غايتي ولا ارجع عن طلبي ولا بد من ركوبي البحر في الغد والوصول الى هذه الجزيرة كيف كان الحال ان كنت اعيش او اموت . فافحم هذا الكلام كرمان شاه وكولندان واسكتهما ولم يشاءا ان يجيباه لما رايا منهُ هذه الحدة والاقسام وصبرا عليهِ الى الغد على امل انهُ يكون قد انتبه الى نفسهِ وشعر بالخطر الذي يتهدده من جرى دخولهِ في ذلك الضباب ويرجع عن قولهِ

وبعد ان انتهت تلك الليلة وجاء الصباح قاموا من رقادهم وخرجوا الى بعضهم وفي ظن كولندان ان حبيبها يكون قد صحا من سكره ووعى الى نفسهِ فحيتهُ وجلست بقربهِ وهي هاشة باشة فاجابها بمثل عملها وقال اريد ان ارسل الان مناديًا ينادي في المدينة اني اريد الذهاب الى الجزيرة المسحورة واني اريد قاربًا مع اربعة انفار من الملاحين فمن قبل بذلك اعطيتهُ الف دينار سلفًا . قالت لهُ هل لا تزال مصرًّا على قولك تطلب الهلاك لنفسك . قال اني قلت ولا ارجع ونفسي تحدثني ان الموت بعيد عني واني ساخترق هذا الحجاب الكثيف واطلع على كل ما هناك واعود دون ان يلحق بي ضرٌّ او اذًى . فاقصري عن الممانعة واجيبي الى كل ما اقولهُ . قالت اني لا اظن ان احدًا من النوتية يقبل ان يخاطر بروحهِ لاجل المال . قال لا بد من الوصول الى رفاق يرافقونني في سفري

هذا . وفي الحال دعا بالمنادي وامره ان ينادي في كل اسواق المدينة وشوارعها ان كل من يرغب في ان يذهب مع ابن عم الملك ضارابا الى الجزيرة المطلسمة ويوصلهُ على قاربهِ اليها اعطاه الف دينار فذهب المنادي ونادى كل ذلك النهار ورجع في المساء دون ان يحصل على نتيجة واخبر خورشيد شاه ان لا احد يرضى بهذه المخاطرة ولم يجبهُ احد على مناداتهِ . قال يلزم ان تراجع العمل في الغد وتزيد المبلغ الى خمسة الاف دينار ولا ترجع اليَّ قط دون ان تاتيني بالمطلوب ولو صرفت سنة على هذه الحالة فاطاع المنادي وفي اليوم الثاني اعاد عملهُ وجعل ينادي وزاد المبلغ الى خمسة الاف دينار وفيما هو ينادي سمعهُ اربعة رجال وكانوا فقراء للغاية وليس بيدهم ولا بارة الفرد وهم اصحاب عيال واولاد صغار وما من سبيل الى القيام باودهم . فاجتمع هولاء الى بعضهم وقالوا نحن نذهب مع هذا الملك ولسنا باحسن منهُ فاذا عاش عشنا معهُ واذا مات متنا معهُ ونكون قد احيينا عيالنا واعددنا لهم المال الكثير ليعيشوا بهِ بعدنا . ولما اتفقوا على هذه الغاية جاءوا الى المنادي وعرضوا بانفسهم عليهِ وقالوا اننا نذهب لقضاء هذه المهمة ونسير مع هذا الملك على قاربنا الى تلك الهوة المفتوحة للهلاك ونرمي بانفسنا اليها معهُ فاما ان نتخلص معهُ ونرجع معهُ ايضًا واما ان يصيبنا ما يصيبهُ فلسنا نحن باعز حياة منهُ . فاتى بهم المنادي حتى اوصلهم الى خورشيد شاه وعرضهم عليهِ ففرح بهم غاية الفرح واستعاد منهم الوعد فاجابوه بما تقدم وقالوا لهُ نحن رفاقك في سفرك الى اين تريد الذهاب فامر ان يدفع لهم المال الذي وعدهم بهِ وزادهم فوقهُ وامرهم ان يتهيأوا وينقلوا المونة الى قاربهم ليذهبوا في صباح اليوم الآتي ففرحوا بما وصل اليهم واخذوا الذهب وساروا بهِ الى بيوتهم وعرضوه على نسائهم واولادهم فما منهم الا من بكا من فراقهم وناح على هلاكهم اذ كان موكدًا عندهم ذلك واجهدوا انفسهم في ارجاعهم فلم يصغوا وقالوا ليس ذلك في وسعنا فاننا لا نقدر على اخلاف الوعد بعد ان قبضنا المال وبعنا انفسنا الى هذا الفارسي الذي في نيتهِ ان يكون رفيقًا لنا فما نلاقيهِ يلاقيهِ وليست انفسنا باعز من نفسهِ

وفي صباح اليوم التالي جاء النوتيون الى قصر كولندان فوجدوا ان خورشيد شاه قد اعد كثيرًا من الخبز والماكل ما يكفي لهم اشهرًا فامرهم ان ينقلوه الى القارب ففعلوا حتى كاد يمتلئ ولما فرغوا اخبروه بذلك وطلبوا اليهِ ان ياتي معهم القارب فنهض بقصد الذهاب وجاء الى كولندان وودعها وهي تبكي بكاء الثكلى وتعلقت باذيالهِ على قصد ان ترجعهُ عن عملهِ وطلبت اليهِ ان لا يخاطر بنفسهِ وزادت في البكاء ورمت بنفسها عليهِ وقد خلعت الصبر لما تاكدت مصيره الى الهلاك . فلم يصغَ اليها ولا رجع عن عزمهِ بل قال لها اريد منك فقط الدعاء وان تصبري على حكم القضاء والقدر . ثم دنا من كرمان شاه فودعه وبكى كل منهما على فراق الآخر واعاد كرمان شاه عليهِ قولهُ ينصحهُ بعدم الذهاب واجهد نفسهُ ليمنعهُ فلم يقدر وقال اني اقسمت فلا بد لي من اتمام قسمي وان

فقدت حياتي . وبعد ان ودع الجميع ذهب الى الشاطىء وركب القارب وسار بهِ على اجنحة السرعة يشق الماء موجهًا الى تلك الجزيرة . وكانت كولندان بعد ان سار من امامها دعت باربعة من النوتية آخرين وقالت لهم اريد منكم ان تذهبوا في اثر القارب الموجود فيهِ خورشيد شاه وتروا ان كان يدخل الضباب ام لا وعودوا اليَّ بالخبر الصريح وان جئتموني بخبر رجوعهِ اعطيتكم الذهب الكثير . فاجابوا طلبها واسرعوا الى قاربهم وساروا من خلف القارب الاول يترقبون مسيره وجلست كولندان في نافذة القصر تنظر الى القارب وهو سائر على وجه المياه وكلما بعد عنها تشعر بانحطاط في قواها وضعف في اعصابها واسوداد في قلبها وتقطع في احشائها وانسكاب في دموعها واحتراق في فؤادها وافتقاد في صبرها واختلال في عقلها وعماء في عيونها حتى كانت حالتها عبرة لمن اعتبر ولما رات القارب وقد بعد عنها وغاب عن بصرها لطمت على صدرها وخدودها وايقنت بممات حبيبها واذرفت دموعها وانشدت

لك الله هل برق الربوع يلوحُ	وهل بان من ليل العناد نزوحُ
وكم تره يسطو عليَّ بادهم	واشهب طرف الصبح عنهُ جموح
اراقب نجمًا ضل مسلك غربهِ	وطرفيَ هام والفؤاد جريح
يبيت يناجيني الحمام بسجعهِ	ويروي حديث السقم وهو صحيح
ينوح ولا يدري البعاد وفرخهُ	لديهِ قريب والزمان سموح
على غصنهِ المياد اصبح شاديًا	ونشر الصبا يغدو لهُ ويروح
اقول لهُ والوجد يطر مقلتي	وقلبيَ من نار الغرام طريح
الا يا حمام الايك فرخك حاضر	وغصنك مياد ففيمَ تنوح
فاين من النائي عن البعد حاضر	واين من الباكي النحوب صدوح
فهل يا ترى من منقذ ومساعد	يخلص من ايدي النوى ويريح
وهيهات ان القى على الدهر منجدًا	سوى من لهُ فوق السماك طموح

وكانت تبكي وتنوح وتستغيث بالله سبحانهُ وتعالى وتدعوهُ الى انقاذه وخلاصهِ من الموت وكانت لا تزال معلقة بعض الامل برجوعهِ عند وصولهِ الى ذلك الضباب ومشاهدتهِ الخطر عيانًا ووصولهِ الى شفيره وكان كرمان شاه ايضًا قائمًا عند نافذة ثانية ينتظر عودتهُ اوعودة الملاحين الذين تاثروه وقد حس بالحزن والكآبة لبعده وتاكد عنده ان الملك ضاراب سيلومهُ على تركهِ وشانهِ وركوبهِ متن الاخطار واخذ في ان يدعو الى الله سبحانهُ وتعالى لينقذه من المكان الذاهب اليهِ او يغير في عزمهِ فيرجعهُ عن السلوك في سبيل المخاطرة والهلاك واما خورشيد شاه فانهُ بقي يتقدم على ذلك القارب الذي يحملهُ حتى قرب من الضباب فوجده كثيفًا جدًّا وهو يشبه غمامة سوداء تظلل رقعة

كبيرة من البحر لا يعلم قط ما داخلها وكان البحر يظهر من حول تلك الغمامة صافياً رائقاً بحيث يظهر ما في قعره . فلما قربوا من تلك الغمامة توقف الملاحون عن الدخول وقالوا اعلم ياسيدنا اننا الان قادرون على الرجوع ولا نزال نملك انفسنا وقيادنا فاذا اردت الخلاص فارجع بنا والا بعد دخولنا في هذه الغمامة السوداء لا نعود نقدر على الرجوع مطلقاً ولا نعود نملك انفسنا فنبقى داخلها الى ان نموت ولا نعلم ما يكون فيها وما يجرى علينا وما نعلمة ونأكده ان كثيرين قصدوا اكتشاف هذا الكنز فدخلوا ولم يعودوا قط ولا ريب انهم هلكوا وانقرضوا واصبحت هذه الجزيرة مدفناً لهم فعد بنا من حيث اتينا واشتر نفسك فان النفس عزيزة . وكان خورشيد شاه قد شعر من نفسهِ بقرب الخطر الذي سيلاقيهِ وراى بعينيهِ شدة كثافة تلك الغمامة وجعل يردد في ذهنهِ عدم تقدمهِ الى الامام وخطر لهُ مراراً ان يتاخر عن الخوض في عباب ذاك البحر الا ان عزة نفسهِ كانت تمنعهُ ولا سيما عندما فكر انهُ اقسم بالله وبالملك ضاراب وبابنهِ فير وزشاه وقد يهون عليهِ ان تهلك نفسهُ ولا يضيع قسمهُ واكثر شيء هون عليهِ ركوب هذه المخاطر هو فكره باعمال فير وزشاه واصراره على انفاذ ما ربهِ لانهُ ما فكر بامر الا واجراه ولا سلك سبيلاً الا ووصل الى منتهاه فيلقي بنفسهِ الى المخاطر طوعاً وينجو منها بامره تعالى ولما قوي هذا الفكر في راسهِ هان عليهِ الموت فسلم امره لله تعالى وتقدم الى الامام اي انهُ امر الملاحين بمداومة التجذيف وقال لهم اني قلت شيئاً ولا اريد ان ارجع عنهُ فاسالوا التوفيق منهُ تعالى . ولم يكن الا دقائق قليلة حتى اقتحموا ذاك الضباب ودخلوا تحتهُ فظللهم ولم يعودوا يروا بعضهم بعضاً وحجبوا عن اعين غيرهم وصاروا يكلمون انفسهم وهم يعرفون مواقع بعضهم بالصوت وقد ثبت عند خورشيد شاه انهُ في هوة الموت وانهُ سلك سبيلاً صعباً وضاق صدره واصبح كالاعمى لا يرى قط ما امامهُ ووراءه وثبت عندهُ ما كان يسمعهُ من كولندان عن ذاك الضباب واراد التخلص والرجوع الى الوراء فامر النوتية ان تدير مقدمة القارب وترجع الى الوراء عساهم ان يتخلصوا من تلك الحالة الصعبة فجربوا ولم يقدروا وقالوا لهُ لا تطمع محالاً فان القارب لا يمكن ان يرجع الى الوراء مقدار شعرة واحدة كان ما خلفهُ يابسة فزاد هذا الكلام قلقهُ وجعل يصلي الى الله ويطلب منهُ المعونة والاغاثة والقارب يتقدم الى الامام وكلما سار قليلاً تشتد كثافة الضباب ويزيد البحر اضطراباً وهياجاً ولم يكن الا القليل حتى لطم القارب اليابسة فاصاب صخراً هناك وهدأ عليها فعرف خورشيد شاه انهم وصلوا الى البر فنزل عن القارب اليهِ وفعل مثلهُ الملاحون وهم يهتدون الى بعضهم بالصوت واللمس وبعد ان اقاموا قليلاً شعروا بشدة الجوع والتضور فتناولوا شيئاً من القارب فاكلوا وبعد ان شبعوا اراد خورشيد شاه التقدم الى اواسط الجزيرة فامتنعوا عليهِ رفقاه وقالوا لهُ اننا لا نقدر ان نتقدم اخشاء من ان لا نعود نهتدي الى مكان القارب فيضيع عنا الزاد فنموت جوعاً واننا مازلنا هنا نقدر ان نقيم اكثر من شهرين لان عندنا من الزاد ما يزيد في

الاجل ويطيلة الى ان يبعث الله لنا بالفرج من عالم غيبهِ والا ما زلنا نقدر على تاخير الاجل لا نتركهُ مطلقًا . فوافقهم على ذلك وعرف ان الحق معهم وانهم اذا بعدوا عن القارب اضاعوه فيموتون بوقت قريب . واقاموا على تلك الحالة في الصباح والمساء ياكلون و يشربون و يصلون الى الله ان ياتيهم بالفرج ويتسلون مع بعضهم بالاحاديث والقصص والنوادر

ورجع القارب الثاني الذي كان يتاثرهم بامر كولندان واخبرها ان القارب الاول دخل الضباب ولم يعد يظهر لهُ اثر فغشي عليها نحوًا من ساعة فرشوا على وجهها الماء حتى اخذت لنفسها الروع وجعلت تعدده وترثيهِ وقد ثبت عندها ان حبيبها قد فقد ولم يعد يرجع ولم يكن دابها الا النوح والبكاء واما كرمان شاه فانهُ كاد يختنق من الاسف وانفطرت مرارتهُ وقال في نفسهِ من اللازم ان اسعى في كشف هذا الضيم عن خورشيد شاه فاذا توصلت الى ما بهِ الصواب كان خيرًا والا بعثت فاخبرت الملك ضاراب ليرى الطريقة الواجبة لنجاتهِ ولهذا جمع اليهِ شيوخ المدينة ورجالها والحاكم عليها وقال لهم لا اخفاكم ما كان من خورشيد شاه ونزولهُ البحر قصد الاكتشاف على هذه الجزيرة وقد دخلها ولا اظن انهُ عاد يمكنهُ الرجوع عنها والتخلص منها وقد دعوتكم املاً بالاكتشاف على حقيقة هذا الخطر وماذا تعرفون من امر ذلك المكان عسانا نقدر ان نخلص ابن عم الملك ضاراب الذي لا ريب في انهُ يغضبهُ هذا الامر ويكدره تهاملنا عنهُ فاجابهُ الجمع ان لا علم لنا بشيء مما نقصد ولا نعرف الا ان داخلها كنز من الذهب والجواهر وقد طمع بهِ كثيرون فلاقوا الموت ودفنوا فيها لان الداخل اليها لا يخرج وهذا نسمعهُ من ابائنا وآباؤنا عرفوه من آبائهم . قال وهل لا يوجد دليل او حديث او حكاية تحكى عن هذه الجزيرة قال الوزير اننا لا نستدل من شيء قط عنها وقد يوجد دليل عظيم لو كان في وسع احد ان يقرأ اللغة الكلدانية لان في خزينة ملكتنا هذه كتاب بهذه اللغة يتعلق بامر الضباب والجزيرة انما لا احد قدر او يقدر ان يعرف ما داخلهُ ولذلك تراه مهملاً متروكًا داخل الخزينة لا يلتفت اليهِ . فلما سمع كرمان شاه ذلك ترجح عنده وجه الامل فقال اريد ان تسرعوا اليّ بهذا الكتاب فان الفرج فيهِ واما من جهة قراتهِ ومعرفة ما فيهِ فهو سهل جدًّا لان عند ملكنا رجل حكيم عاقل خبير باحوال الدنيا ومطلع على كل لغاتها وتفرعاتها وقد يعرف نحو سبعين لغة اصلية مع فروعها فلا ريب انهُ عند اطلاعهِ على هذا الكتاب يعرف حال هذه الجزيرة فيبادر الينا لخلاص خورشيد شاه ونجاتهِ قبل ان تدركهُ المنية ويفوتنا الوقت . وفي الحال ذهب الوزير الى الخزينة فاخرج الكتاب وجاء بهِ الى كرمان شاه فدفعهُ اليهِ فاخذه منهُ وفي نفس الدقيقة كتب الى الملك ضاراب كتابًا قال لهُ فيهِ . اعلم يا سيدي اني انتصرت على المدينة بهيبتك بعد وصولي بيومين وذلك ان بدرفتات دخل المدينة على امل ان يجس احوالها و يعرف مقر ابن عمك فيخلصهُ و ياتي بهِ قبل مهاجمتنا المدينة فصادف انهُ راه عند بنت الاسكندر حاكم المدينة وقد علقت

بحبهِ وهويتهُ ولهذا اتفق بدرفتات معها على ان تفتح ابواب المدينة قبل نصف الليل بقليل فتدخل عساكرنا وتملكها وهكذا صار فاننا عند فتح الابواب اندفعنا على البلد فتملكناها و بسيفكم قتلنا حاكمها ونشرنا راية فارس على اسوارها تلوح بالنصر وتخفق بالظفر والسعد الا انهُ جد علينا حادث لم يكن في الحسبان قط وهو ان ابن عمك خورشيد شاه قصد الدخول الى جزيرة مطلسمة بوسط البحر مظللة بغمام كثيف مظلم فعملنا كثيرًا على منعهِ فلم يصغَ واصر على الدخول في ذلك الغمام ومن خواصهِ ان الداخل تحتهُ لا ينجو قط منهُ ولا يعود قادرًا على الرجوع و بعد ان سلك هذا السبيل الخطر وثبت عندنا وقوعهُ في حفر الهلاك وقد بحثت على الطرق المودية الى خلاصهِ فلم ارَ الا طريقة واحدة فهمتها من الوزير الذي اقمتهُ باسمكم حاكمًا على المدينة وهو انهُ موجود عندهم في الخزينة كتاب من عهد الملوك اليمنيين اي من عهد الملك سيف ابن ذي يزن وفي هذا الكتاب كلام عن هذه الجزيرة الا انهُ لا يوجد بينهم من يقدر على تفسير حرف من حروفهِ او يقرا كلمة من كلماتهِ ولهذا اسرعت بارسال هذا الكتاب اليكم مع بدرفتات العيار لتعرضوه على سيدي الحكيم الخبير وزيركم طيطلوس حتى اذا تبين منهُ امر للخلاص يبادر الى انجازه خوفًا من ان يضيع الوقت وتفوت الفرصة فيلحق بابن عمكم الموت ولا يعود في وسعنا بعد ذلك الا التاسف والتندم على ضياع امير خطير مثلهُ والسلام عليكم فاسرعوا لان الوقت قصير . وبعد ان ختم التحرير سلمهُ الى بدرفتات العيار وامره ان ياخذه وياخذ الكتاب معهُ و يسير الى الملك ضاراب بما امكن من السرعة والاستعجال فتناولهُ من يدهِ وضرب رجليهِ بالارض وانطلق يجري كالغزال المذعور ينهب الارض نهبًا و يخطف كالبرق في السرعة

فهذا ما كان من امر هولاء واما ما كان من امر الوليد فانهُ بعد ان دخل المدينة وقفل ابوابها كما تقدم مع بهزاد وسيامك وفرَّ بهزاد عن الاسوار غمي على الوليد وكاد يفقد حواسهُ و بقي نحواً من ساعة وهو يزبد ويرغي كالجمال ولا احد يجسر على الدنو منهُ او التكلم معهُ ولا سيما عندما اخبروهُ انهُ قد فاتهم ولم تصبهُ سهامهم وكان اسفهُ عظيماً على بهزاد بقدر ما كان على الجواد و بعد ان وعي لنفسهِ قليلاً قال له طيفور الم اقل لك يا سيدي انهُ يفر و ينجو لان رجال الفرس شياطين مردة فما اعمالهم الا عجيبة واني اعرف بهم من كل الناس فلم تعِ لقولي ولا التفت اليَّ وقد صدقتهُ حتى فاز بنفسهِ و بالجواد ايضًا فلعب الغضب بالوليد من تعنفهِ وشتمهُ على قولهِ وقال له لا تزال تنذر بالشر فما انت الا مطبوع على الفال والرداءة . ثم امر ان يبقى سيامك تحت الحفظ والترسيم اذ لم يعد لهُ من قتلهِ فائدة . و بقي على الدفاع وفي كل يوم تهجم رجال الفرس على الاسوار فينتشب القتال كل النهار و يعودون دون جدوى في المساء وهكذا كانت حالتهم

ومثلهم كانت حالة الملك ضاراب وعساكر ايران وفيروز شاه ورجالهُ فانهم اقاموا على حصار

المدينة لا يقربون من اسوارها لداعي احاطتها بالخنادق والمياه بل يقاتلون من على الاسوار عن بعد بحيث تصل السهام ومتى زادوا في القتال اختفى رجال مصر داخل الاسوار وكانوا ينتظرون الدخول الى المدينة بواسطة اكتشافهم على منفذ او بفروغ الزاد من المدينة او بوقوع حادث جديد فوق العادة . وكان بهروز مشغل الفكر من جهة المقنطر الساحر وهو قائم على حراسته يعذبه ليلاً ونهارًا واخيرًا سال الملك ضاراب في قتلهِ وقال له ما من حاجة الى بقائهِ فمونه خير من حياتهِ لانهُ نقمة للعالمين ولا مطمع لنا فيهِ . قال اقتلهُ وارح عباد الله منهُ ونخاف ان يتخلص فيهلكنا وينتقم منا ونعود الى العذاب وتكون حالتنا الاخيرة اشر من الاولى . فاخذه بهروز الى قرب الاسوار في صباح يوم حينما كان رجال مصر عليها وهم ينظرونهُ عن بعد وقد تقدم منهُ بهروز واخذ خنجرًا في يده وقال لهُ كيف ترى نفسك الان فانك بعد دقائق قليلة تفارق هذه الدنيا فمت على دين الله سبحانهُ وتعالى وتب اليهِ فيصفح عنك في اليوم الاخير . قال اني لا اترك معتقدي ولا اخاف الموت فانهُ احب اليَّ من قيامي عندك على العذاب والقهر انما احذركم يا رجال فارس شرَّ بنت اختي شمس الساحرة ساحرة بلاد الصين فانها تاخذ لي منكم بالثار لانها داهية دهياء لا يوجد من يقمعها في هذه الصناعة فقد تعلمتهُ وهي شابة ولا تزال تتعاطاه فتخضع لها بهِ عموم بلاد الصين وتخافها كل سحراء الدنيا . قال لهُ اننا لا نهاب السحرة وكما قدرنا عليك وجعلناك عرضة لانتقامنا نفعل بها اذا تعرضت لنا وقصدت ان تلقي علينا ضرًا لان الهنا قدير يعيننا على كل من يرغب لنا شرًا او اذى . ثم ضربهُ بالخنجر فنزع روحهُ عن جسده وشرحهُ وقطعهُ قطعًا قطعًا واخرج ابرة النولاذ من انفهِ وحفظها عنده وعاد الى الملك ضاراب فاطلعهُ على ما حل بالمقنطر فشكره وشكر الله على هلاكهِ وخلاصهِ من ويلهِ

قال وبعد مضي ايام قليلة من ذلك اليوم كان الملك ضاراب جالسًا في صيوانهِ بعد العشاء وعنده كالعادة عموم فرسان الفرس ومقدميهم وهم منتظمون كالحلقة وقد قال الملك ضاراب انهُ حتى الساعة لم يأتنا خبر من جهة كرمان شاه ولا اعرف اهو ناجح في قتالهِ او متاخر او لا يزال على حالة الحصار . فقال له طيطلوس ان مدينة الاسكندرية من امنع مدن العالم حصانة لمتانة اسوارها ووقوعها على البحر فيمكن ان نحاصر اعوامًا عديدة دون ان يتمكن مهاجموها من فتحها عنوة بالقوة لكن الرجاء ان يتوصلوا الى فتحها بالحيلة او بطريقة اخرى وبينما هم على مثل ذلك واذا بيدر فتات دخل الصيوان حاملاً على عاتقهِ الكتاب وبيده تحرير كرمان شاه . فلما راه الملك ضاراب انعطف بخاطره اليهِ وقال لهُ ما وراءك من الاخبار والامل ان يكون الى خير . قال ما اتيت الا بالخير ثم دفع اليهِ التحرير فدفعهُ الى طيطلوس فقراه وبشره بفتح المدينة والاستيلاء عليها واقامة الاعلام الفارسية فوق اسوارها وقرأ لهُ ما كان من امر خورشيد شاه فتكدر الملك لهذا العمل الاخير وقال

اني فرحت لفتح المدينة في الاول لخلاصهِ غير ان الكدر اوقعني باليأس لاني ما بعثت بالعساكر الا طمعًا بخلاصهِ وليس في نيتي فتح المدينة والانتقام من ملكها فاني في غنى عن ذلك . ثم امر طيطلوس ان ينظر في هذا الكتاب ويرى ما داخلهُ علهُ يجد الطرق الموضحة اسباب ذاك الضباب المميت عساه يتوصل الى طريقة ينقذون بها ابن عمهِ . فاجابهُ وفي الحال تناول الكتاب واخذ يقلب في صفحاتهِ و يتبحر فيهِ وكان يعرف ان يقراه جيدًا فصرف اكثر من ساعة على تلك الطريقة الى ان جلى لهُ الامر ووضح جيدًا فرفع راسهُ وقال للملك ضاراب اشكر الله يا سيدي على التفات الله اليكم من قديم الزمان واعداد السعادة والاقبال لكم من لدنهِ تعالى فقد تبينت ان السحر الموضوع على ذاك الكنز يزول بهمة واهتمام رجل سعيد يوجد في بلاد فارس يدعى فيروزشاه ابن الملك ضاراب ابن الملك بهمن من ملوك الفرس وعلى وجههِ السعيد يفتح الكنز وتخرج الجواهر منهُ ويموت القائم على حراستهِ من سيفهِ . وهذه الجزيرة عمل السحرة منذ ايام ملوك اليمن اي من حين عمران الاسكندرية لان تلك المدينة بنيت في زمان الملك سيف بن ذي يزن من التبابعة الذين خرجوا من اليمن وجاءوا هذه الديار وكان هذا الملك موفقًا كل التوفيق حتى ملك الدنيا باسرها وجمع اموال العالم وجواهرها العجيبة الى خزينتهِ فبعد موتهِ اجتمع سحرتهُ الذين بقيوا احياء بعد موتهِ وقد خافوا ان يفقد هذا المال و ينتشر بين ايدي الناس فيضيع فضربوا الرمل فعرفوا اي رجل مدلول عليهِ من الله سعيدًا موفقًا فعرفوا ايضًا ان الله سيخلق رجلاً يدعى فيروزشاه وهو الذي يستولي على بلاد مصر ويفتح خزائنها لانهُ كريم شجاع يكون اوحد اهل زمانهِ واسعد رجل فطلسموا هذه الجزيرة ونقلوا المال اليها واقاموا على خدمتها ماردًا من اكبر مردة الجان وملوكها وقد اعهدوا اليهِ بحراسة الجواهر الى حين يامر الله بموتهِ . وهكذا كان وقد قصد كثيرون من طامعي الولاة والملوك والحكام والفرسان من اهل هذه البلاد وغيرها الدخول فلم يقدروا فهذا كل ما تبينتهُ في هذا الكتاب الذي كتبهُ اولئك السحرة بلغة غريبة وقد اشاروا ضمنهُ انهُ لا يمكن لاحد ان يطلع عليهِ او يعلم ما فيهِ الا طيطلوس الحكيم وزير ذاك الملك المدعو بفيروزشاه . ولهذا لم يعد عندي من ريب ان هذا الرجل المقصود هو ابنك وسيدنا ومولانا وفخر جيوشنا و بلادنا . وقد اوضح ضمن هذا الكتاب كيفية الدخول الى الجزيرة والطرق الموصلة الى ازالة المطامع والاخطار المحدقة بها . فاذا امرت سرت في هذه الليلة مع فيروزشاه لخلاص ابن عمك واخراج المال وفتح الكنز . فسرّ هذا الكلام الملك ضاراب وانشرح صدره لهُ وقام فسجد لله شكرًا وفعل ابنهُ مثلهُ ثم قال ان الله اعد لنا منذ الازل زمانًا سعيدًا وهيأ لنا اسباب التوفيق وقد اراه سبحانهُ وتعالى يميل الينا فاننا وان كنا نلاقي احيانًا صعوبات ومصائب انما تلك المصائب تنتهي علينا بالافراح والمسرات وتكون على اعدائنا شرًّا و وبالاً . واني الان اطلب اليك ان تسرع متكلاً على الله مع ولدي الى الافراج عن ابن عمي

وخلاصهِ والعود الينا بهِ و باخبار ما يكون من امر هذا الكنز . قال اننا بعنايتهِ تعالى سنتوفق الى كل ما نرجوه

ونهض في الساعة فاخذما بجناجونهٔ وركب وركب الى جانبهِ فيروزشاه وهو فرح بما سمعهُ من طيطلوس عن هذا الكنز واعظم فرحهِ قولهُ عن انهُ سيقتل بسيفهِ المارد القائم على حراسة الجزيرة وقال في نفسهِ اني كثيرًا ما كنت اسمع عن قتال الجان واريد ان انظر المردة فاحاربهم لارى هل فيهم من يقدر ان يقف امامي وهل لا يرهبون مني وطالبت اليهِ نفسهُ ان يطير الى ذلك المكان لينهي العمل باقرب وقت ويعود الى محاصرة المدينة ويحصل على محبوبتهِ القائمة داخلها . وبعد ان ودعا الملك ضاراب وبقية الفرسان خرجا من الجيش وبين ايديهما بدرفتات وبهروز العيار وهو كفرخ الجان وكان كسيره يطلب ان يلاقي ماردًا ويعرف كيف هو وكيف تركيبهُ وداموا على السير عدة ايام الى ان قربوا من الاسكندرية فعرف كرمان شاه بقدومهم فخرج بموكب عظيم وخرجت اهل المدينة كبارًا وصغارًا رجالاً ونساء يتسابقون الى ملاقاتهم وكلهم يتشوقون الى ان يروا فيروزشاه وينظروا الى صفاتهِ لان اسمهُ كان عظيمًا في عقولهم وقد ملأ قلوبهم وشغلت عقولهم باحاديثهِ واحاديث شجاعتهِ وبعد ان سلموا على بعضهم البعض دخلوا المدينة بفرح وسرور ولاسيما عندما عرف الجميع انهم جاءوا لفتح الكنز وان طيطلوس عرف من الكتاب الطرق الموصلة الى افتتاح الكنز وازالة الاخطار عن تلك الجزيرة القائمة في وسط البحر . ولما وصلوا الى قصر كولندان تقدمت من طيطلوس فقبلت يديهِ وشكت اليهِ حالها وطلبت منهُ الاسراع الى نجاة خورشيد شاه وفعلت مثل ذلك مع فيروزشاه فوعداها بكل جميل ومدحاها على خدمتها للملك ضاراب وخلوصها للايرانيين . واقاما عندها كل تلك الليلة على احسن اكرام وترحيب واعيان المدينة ياتون لزيارتهم والسلام عليهم . وقد اخذت كولندان بجمال فيروزشاه وقالت في نفسها لا ارى واحدًا من الفرس الا وهو ابهى جمالاً وسناء من اخيهِ فهنيئًا لعين الحياة التي ستضم الى هذا البدر المشرق والفارس الوحيد

وباتوا تلك الليلة في القصر وعند الصباح نهضوا من مراقدهم وجاءوا دار الاحكام حيث اجتمع من حولهم الوزير السابق الذي اقيم حاكمًا على المدينة وكامل الاعيان ورجال المدينة فخطب فيهم طيطلوس وابان لهم سبب مجيئهِ وقال لهم ان هذا الكنز سيفتح وهذا السحر المظلل الجزيرة يزول بعناية الله ومساعدة الملك وابن الملك قاهر السلاطين وملوك الارض ومرعب مردة الجان الذي داس باقدام سعده راس كل فارس وبطل وازاح بارياح توفيقهِ غيوم المكاره والكرب فيروزشاه الذي جاء اليكم لاجل هذه الغاية فادعوا لهُ ولوالده بالعز والبقاء وسوف ترون باعينكم ماذا يكون والان اريد منكم ان تجتمعوا معنا وتسيروا الى حيث نسير لتشاهدوا عجائب

افعالهِ وغرائب اعمالهِ وما من خوف عليكم ولا من كدر يلحق بكم . فرفعوا كلهم اصوات الدعاء لهُ
وقالوا اننا اينما سار نسير في ركابهِ وبرفقتهِ فما نحن بافضل منهُ والذي تسهل لهُ ان يقتل المقنطر
الساحر بعد ان ياتي بهِ اسيرًا ذليلاً حقيرًا لا يصعب عليهِ قضاء امر اخرمهما كان صعبًا . ثم قال
لهم طيطلوس هلموا بنا فان الوقت حرج واحب ان اكون في هذا النهار على الجزيرة بعد ان اجلوها
لكم وتقشع عنها غيومها الكثيفة التي تظللها . فنهضوا وساروا امامهُ الى حيث يطلب فقال لهم اريد
منكم ان تهدوني الى قلعة خربة في هذه المدينة يقال لها قلعة نصر فقالوا لهُ ان هذه القلعة مهجورة
متينة لا يدخلها احد ولا يجسر افرس فارس ان يدنو منها لانهُ يقال انها منذ زمن قديم مسكونة
بالجان والمردة الذين كانوا في خدمة الملك نصر . قال اني اعرف ذلك واريد منكم ان تسيروا امامي
فاجابوهُ الى طلبهِ وساروا الى ان قربوا من القلعة المذكورة فاذا بها شاهقة الى حد السحاب وهي
مبنية بالطوب دون نوافذ البتة فهي عبارة عن حجر واحد مربع الجدران فتقدم في الاول فيروز
شاه والى جانبهِ طيطلوس والناس من خلفهم افواجًا افواجًا يريدون ان يتفرجوا على ماذا يقدر ان
يفعل وقد امنوا على انفسهم على نوع ما لما تاكدوا ان طيطلوس اطلع على سر الامر المخطر في هذه
الجزيرة وذلك بواسطة الكتاب الماخوذ من الخزينة وعندما داروا الاسوار وراوها منيعة جدًّا
امر طيطلوس ان يوتى بالبنائين والفعلة فحضروا حالاً فامرهم ان يفتحوا في الحائط نافذة كبيرة
فاخذوا يشتغلون بالانهم وقوتهم حتى فتحوا نافذة كبيرة مربعة دخل منها كثير من الحاضرين ولما
دخل طيطلوس نظر الى الداخل فوجد اثار ابنية قديمة عدمها الزمان او كاد يعدمها وقد تجمع
عليها من نسج العنكبوت ما غطاها عن اعين الرائين وكثير من التراب متراكم في امكنة كثيرة عند
فسحاتها فامر طيطلوس ايضًا ان ترفع تلك الاتربة وان تكشف الابنية من الاقذار المتولدة من
تقلب الازمان والسنين فرفعت في الحال وبان من تحتها ارض مبلطة بالبلاط الابيض المنقوش
من زمن قديم وكاد يزول ذاك النقش فلم يبقَ لهُ الا قليل اثر وفي وسط تلك الفسحة المبلطة
بالبلاط الابيض بلاطة حمراء كبيرة ضخمة محكمة الوضع وفي صدر تلك البناية قبة قائمة ومن حولها
طائر كبير اشبه بنسر هائل الهيئة يرف على سطح القبة باجنحتهِ وهو يسري على محور واحد لا يتخطاه
ويسمع لذاك الطائر صوت اشبه بصوت الغراب عند نعبهِ ولهذا الصوت كان اهل الاسكندرية على
الدوام يظنون ان داخل تلك القلعة المهجورة طوائف من المردة والجان فلا يجسرون على ان
يقربوا منها وتجسم ذلك الوهم حتى دخل عقل كل نفس في المدينة . فلما راى طيطلوس الطائر
وقف عند ذلك الحد واخرج الكتاب ففتحهُ وعرف ما داخلهُ ثم اغلقهُ وامر فيروز شاه ان يتلو
حسبهُ ونسبهُ على تلك البلاطة ثلاث مرات وينادي انا هو الموعود باختراق هذا المكان واخراج
مفاتيح الكنز منهُ فهيا ايها الخدام واخرجوا منهُ فقد عزمت على رفع هذه البلاطة لاخراج القوس

والسهم منها . فاخذ فيروزشاه يقول ما علمهُ اياه طيطلوس الى ثلاث مرات فسمع من تحت تلك البلاطة دويٌّ عظيم واصوات قوية وصرير اسلحة حتى اضطربت كل تلك القلعة ومالت ببعضها وخاف كل الحضور الموت وارتعبوا رعبًا عظيمًا وكادوا يرمون بانفسهم الى الارض من خوار قواهم وانقطاع ظهورهم وعلت وجوههم صفرة فاقعة كادت تخفي رسوم وجوههم الاصلية . وكان فيروزشاه يسمع تلك الاصوات ويضحك منها غير خائف من نتائجها الا انهُ وضع يدهُ على قبضة سيفهِ وعول انهُ ان خرج عليهم احد من طوائف الجان ابتدره بضرب من قوي عزمهِ . ولم يكن الا القليل حتى زالت تلك الاصوات وتبعها هدو وسكوت عظيم ونظر فيروزشاه الى جميع من حواليهِ فاذا هم كالموتى مضطربون وجوههم صفراء وليس فيهم من قدر ان يضبط نفسهُ من الخوف الا بهروز فانهُ بقي واقفًا في مكانهِ ثابت الجنان غير مرتعب ولا خائف وقد استل بيدهِ خنجره كمن يتهيأ للقتال . فعجب منهُ فيروزشاه وعلم انهُ قوي القلب لا يوجد بين عياري الدنيا من هو مثلهُ في الباس والقوة وكامل الخصال من الاقدام والبسالة . وبعد ان هدأت الاصوات وسكنت الضوضاء وسكن خفقان قلب طيطلوس امر ان ترفع البلاطة الحمراء فرفعت واذا بهِ يرى من تحتها صندوقًا من حديد مقفلاً ومفتاحهُ في قفلهِ فعالجوه حتى فتح واذا من داخلهِ قوس وسهم موضوعين فيهِ فتناولهما طيطلوس ودفعهما الى فيروزشاه وقال لهُ امشِ ثلاث خطوات الى الامام وقف مستويًا ووجهك الى جهة القبة ثم اتلُ حسبك ونسبك واذكر اسمك واسم ابيك واوتر القوس واطلق السهم منهُ فاذا كنت المقصود وقع الطائر حالاً الى الارض فتاتي اليهِ وتنزع منهُ المفتاح الذي يفتح بهِ الكنز فقال اني متكل على الله ثم تناول القوس وعد ثلاث خطوات واستوى واقفًا ونظر الى جهة الطائر فراه لا يزال على حالهِ من طيرانهِ حول القبة فذكر اسمهُ واسم ابيهِ واجداده واوتر القوس وقد وجه بهِ نحو الطائر بخفة يد معدودة فيهِ فانطلق ذاك السهم وباسرع من لمح البصر وقع في قلب الطائر فانبعث منهُ صوت قوي اشبه بالرعود القاصفة ارتجت منهُ جدران تلك القلعة وما حواليها وخاف الجميع اعظم من خوفهم الاول الا انهُ باسرع من لمح البصر انقطع الصوت ووقع الطائر الى الارض لا يبدي حركة فتقدم فيروزشاه منهُ ومعهُ طيطلوس وبهروز وقلبهُ فوجده من النحاس الاصفر المصقول وليس فيهِ شيء من الريش الذي كان يظهر للاعين في حال قيامهِ حول القبة ثم تقدم طيطلوس من الطائر وشقهُ واذا بهِ يرى علبة صغيرة من الذهب في جوفهِ ففتحها فرأى مفتاحًا صغيرًا فتناولهُ

انتهى الجزء الحادي عشر ويليهِ الثاني عشر

عما قليل ان شاء الله

الجزء الثاني عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

ودفعهُ لفيروزشاه وقال لهُ قد قضي الغرض من هذه الناحية ولم يبقَ علينا الا المارد الاكبر المحدث الضباب حول الجزيرة فهذا ينبغي قتلهُ وصاحب هذا الكنز يقول في الكتاب ان داخل القبة حفرة الى جنب قبره فيها سيف مرصود لقتل ذاك المارد و بغيره لا يقتل . قال اخرج لي ذاك السيف فاقتلهُ وارفع الغضب عن هذه الجزيرة واخلص خورشيد شاه المحبوس فيها بصفة اسير وان كان قتل او هلك فاني لا ارضى بدلاً منهُ كل ملوك الجان ومردتها . قال فامر الوزير بحفر حفرة الى جانب قبر كان موجوداً داخل القبة وداوموا الحفر الى ان توصلوا الى ذاك السيف وهو مصنوع من الحديد بقبضة من النحاس وليس فيهِ شيء ثمين انما كان عليهِ من الكتابة السحرية ما يغطي به صفحتاه فيكاد لا يظهر ولا يعرف يقرا تلك الكتابة الا من كان ماهراً بهذا الفن وتناول فيروزشاه السيف وحملهُ الى جنبهِ بعد ان ارجعهُ الى غمده وهو فرح بهذه الحالة و بما وصل اليهِ من توفيق الباري وثبت عنده انهُ سيقاتل بعد قليل اكبر مارد من مردة الجان . ولما فرغوا من كل العمل ولم يعد عليهم عمل هناك خرجوا من القلعة وعادوا الى القصر والناس من خلفهم افواجاً افواجاً وهم يتعجبون من عمل فيروزشاه وثبات جنانهِ وقد دار حديث شجاعتهِ بين الكبير والصغير وهم يكادون لا يصدقون كل ما راوه وقد زال كانهُ لم يكن

وبعد ان اقاموا نحواً من ساعة في القصر واكلوا الطعام وارتاحوا قليلاً جاءت كولندان الى الوزير طيطلوس وسالتهُ ان يسارع لخلاص خورشيد شاه وقالت لهُ ان كل دقيقة تضيع قد يمكن ان يكون بها هلاكهُ لانهُ مقيم داخل ذلك الضباب دون ريب و يبقى مقيماً الى حين فراغ الزاد منهُ ومتى فرغ الزاد يموت جوعاً ولا اعلم ان كان يكفيهِ الزاد لاكثر من هذه الايام التي انقضت لا سيما وان برفقتهِ اربعة رجال ياكلون معهُ ولا اظن الا ان المؤنة فرغت منهم او كادت تفرغ . قال كيف كان الحال ان كان عنده مونة كافية او لم يكن فاني معول على الذهاب الى الجزيرة في هذه الساعة . ثم امر الحاكم ان يعد لهم قارباً كبيراً يسعهم ليسير الى الجزيرة و يكون فيهِ من النوتيين الاشداء ستة يجذفون وفي الحال تهيئ القارب واعد كل ما طلبهُ طيطلوس . ثم نزل هو وفيروزشاه وبهزاد وكرمان شاه والحاكم والنوتيون فركبوا القارب وسار بهم قاصداً ذاك الضباب الكثيف . وركب اهل المدينة باجمعهم على قوارب مخصوصة وانتشروا في جوانب البحر لان الناس تاكدت ان الكنز سيفتح وان الضباب سيزول بطالع فيروزشاه ولذلك آمنوا على انفسهم من الخطر وقصدوا

الفرجة على ما يكون من امره وكيف يمكنهُ ان يفتح الجزيرة ويستخرج الاموال والجواهر المدفونة هناك منذ زمن قديم وساروا على قواربهم خلف القارب الاول السائر لقضاء هذه المهمة . وكان فيروز شاه قائمًا عند مقدمة القارب موجهًا بوجههِ الى ذاك الضباب منتظرًا ان يلاقي العجائب داخلهُ وقلبهُ جامد كالصوان غير خائف ولا حاسب حساب ما يكون لهُ بل يتشوق برغبة واشتفاف ولا زال القارب يتقدم الى ان صافح ذاك الضباب واخذ في ان يبتدئ للدخول فيهِ وقد هيئ ذاتهُ فيروز شاه ونظر الى ذاك الضباب واذا بهِ يرى ماردًا طويلاً قد خرج من البحر من مقدمة المركب وانتصب انتصاب العامود وهو بقامة تكاد تلحق السحاب عجيب التركيب راسهُ اشبه بقصر كبير ضخامة وجسمهُ يضاعف ذالك باياد كصواري المركب طولاً الا انها تزيدها اضعافًا ثخنًا وعرضًا وحال انتصابهِ وخروجه من البحر اضطرب وهاج بما اجفل الملاحين والذين في القارب ماعدا فيروز شاه فانهُ تهلل وجهه فرحًا كما كان يتهلل عند اقتحامهِ معارك الطعان وقد سمع المارد صاح بصوتهِ قائلاً ويلك يا فيروز شاه ابن الملك ضاراب قد جئت لموتي فاستهدف للهلاك والقلعان . ثم مد المارد يده وقصد ان يتناول القارب ويلقي بهِ الى الهواء فاسرع فيروز شاه واجابهُ بصوت يكاد يقابل صوتهُ واشهر ذاك السيف وارسلهُ الى يده الممدودة بقوة عزم يقطع صلابة الحديد فمال السيف من جهة الى ثانية وانقطعت تلك اليد ووقعت الى البحر فهاج وتلاعب القارب وفي الحال دخل المارد في الماء وانقشع من بعده ذاك الضباب قليلاً بحيث صار يقدر الانسان ان يرى ما امامهُ وفي الحال صاح فيروز شاه في النوتيين وامرهم ان يسرعوا في التجذيف وكان الخوف ارعب قلوبهم واضعف من عزائمهم وقد رجفت اعضاؤهم من شجاعة ما راوا من فارس ذاك الزمان وتاكدوا ان الخبر ليس كالعيان فجذفوا وخاضوا ذاك الضباب وساروا الى ان توسطوه وهم يرون بعضهم بعضًا ولا يرون الى بعد وهناك عاد البحر فاضطرب وانتصب ذاك المارد كالاول ونادى بنداء السابق ومد يده الثانية بسرعة كلية فجازاه فيروز شاه بنفس المجازاة الاولى وقطع لهُ يده الثانية فانفجرت منها انابيب الدماء حتى تلطخ منها الجميع وعاد المارد فنزل في البحر يصيح متالمًا متوجعًا وشعر فيروز شاه ان القارب كاد يقف فعرف ان النوتية قد ضعفت اعصابهم فصاح بهم وهو ينظر الى الامام لا يقدر ان يلتفت الى الوراء خوفًا من غدر المارد فعاد الرجال الى التجذيف الا انهم لم يقدروا عليهِ كالواجب لان ايديهم تقطعت من خوار قواهم وضعف قلوبهم وما تقدموا الا قليلاً حتى اضطرب البحر وهاج فعلم فيروز شاه بخروج المارد فتمطى بثبات عزم وما خرج ذاك المارد وقابل وسطهُ فيروز شاه حتى ابتدره بضربة في احشائهِ من تلك اليد وصار ذلك باسرع ما يمكن من السرعة فجعر المارد بصوتهِ وارسل اصوات التالم بما يشبه الرعود وانتفض في الجو وانحذف الى الماء فكثر اضطراب البحر وهياجه حتى اصبح القارب على شفير الغرق وكان الضباب قد انقشع تمامًا

وزالت تلك الكثافة وظهرت السماء صافية وبينت الجزيرة قريبة منهم وقد قربوا من النزول ونظر فيروزشاه الى ورائه لما شعر بوقوف القارب وقد تاكد ان المارد قتل واختفى امره فوجد كل من في القارب ملقى الى الارض الا بهروز فانهُ مشهر الخنجر وواقف فوق راسه كانهُ يتهيأ للدفاع عنهُ فانبهر منهُ وقال لهُ والله ما انت الا اشد قلبًا من كل من هب ودب على وجه الارض وقد غلط من علمك العيارة فكان احرى بك ان نتعلم فنون الحرب والقتال فتفوق كل من نقل القنا قال اني لا اريد شيئًا من كل ما ذكرت وجل ما ارغبهُ ان ابقى حافظًا بامانة خدمتي لك واحرسك من كل عدو يريد ان يوصل اذاه اليك نائمًا كنت او مستيقظًا ولا تعجب من ثباتي امام هذا المارد لاني كنت لو لم يسبق سيفك اليهِ اوصلت خنجري الى قلبهِ ولا ريب انهُ يقضي عليهِ بهِ لانهُ من الاسلحة التي جئت بها من عند المقنطر الساحر فهي من عمل السحرة المعدودة لمثل هذه الاعمال . ثم تقدم فيروزشاه من طيطلوس ورش على وجههِ الماء حتى استيقظ وهو اشبه بالاموات وفعل مثل ذلك بكرمان شاه والباقين ونبه النوتية ولامهم على تركهم المجاذيف وخوفهم وقال لهم الا تعلمون ان مدتنا وحياتنا كانت تتوقف على ثباتكم فلو لم يقتل المارد في هذه المرة لوقف القارب عن السير ولم يكن في وسعي ان التفت اليكم لانبهكم خوفًا من غدره لاني اعلم انهُ لا ياتي الا من المقدمة كونهُ مسحور من جهة الجزيرة فلا يتخطى الضباب . ثم طمنهم ووعدهم بازالت الاخطار وكذلك طيطلوس فانهُ اوعب قلبهُ من الفرح والمسرة وتاكد زوال الاخطار ونظر الى البحر فوجده مصبوغًا بدم المارد وهو كثير الاحمرار وكانت القوارب التي تاثرت قاربهم تاخرت قليلاً عندما رات ذاك المارد وسمعت صوتهُ الا انها تقدمت اخيرًا لما تاكدت ان المارد قد قتل ونظرت ان الضباب الذي كان قبلاً يظلل الجزيرة وما حواليها قد انقشع وصفا الجو وبان كل شيء وكل من عليها يصيح بالدعاء وطول العمر للملك ضاراب ولولده فيروزشاه

قال وكان خورشيد شاه قبل ذلك قائمًا في مكانهِ على الجزيرة وبالقرب منهُ رفاقهُ الملاحون الذين جاءوا بهِ وكانوا قد صرفوا تلك الايام في عذاب والام واكدار وقد قطعوا الرجاء وياسوا من الحياة وتاكد كل واحد منهم انهُ هالك لا محالة وفي كل مدة ياكل الواحد منهم كسرة خبز ويشرب قليلاً من الماء خوفًا من ان يفرغ منهم الخبز والماء فيموتون اذ ذاك وهم يطمعون في تاخير الاجل عسى ان الله يرسل لهم من عالم غيبهِ من يخلصهم . وفي نفس ذلك اليوم نظر خورشيد شاه الى الزاد فوجده قد نقص كثيرًا فلا يكفي الا لوقت قليل فقال لرفاقهِ اني موكد كل التاكيد ان الموت اصبح قريبًا منا اذ ان الزاد صار قليل جدًا فلا يكفينا لاكثر من مرة او مرتين فقط ولا اعلم كم لنا من الايام في هذه الجزيرة لاننا لا نرى النور قط فلا نفرق بين النهار واعيننا تكاد تعمى فلا نبصر بعضنا ولا نبصر ما امامنا وورائنا فنحن قائمون على العذاب والاوجاع فاري تخلصًا من

هذه العيشة المرة ان نرمي بانفسنا الى البحر فنموت غرقًا ونعجل في الموت حيث لا بد لنا منهُ عاجلاً كان او آجلاً فقالوا لهُ ليس في وسعنا ان نقتل انفسنا بايدينا بل يجب ان نبقى الى آخر نسمة من حياتنا ولا نقطع رجاءنا من رحمة الله تعالى فان رحمتهُ واسعة فلا بد من ان يظهر لنا شيء جديد بوقت قريب والا فنموت موتًا طبيعيًا ونخلص من قصاصهِ تعالى . فرأى انهم قالوا الصواب وان رحمة الله قريبة من طالبها فجعل يصلي الى الله تعالى ويرجو منهُ الرحمة والمساعدة وان يغيثهُ ويخلصهُ من تلك الهوة المهلكة وما فرغ من صلاتهِ حتى انسكبت عليهِ رحمتهُ تعالى واغاثهُ ونظر اليهِ ولم يقبل ان يخيب سؤالهُ وحاشاه من ذلك فهو السميع المجيب . واخذتهُ البغتة ورفقاؤُه لما راوا ان الافق ظهر لهم وان الشمس قد انبسطت عليهم وبعثت باشعتها على تلك الجزيرة مشرقة بزهاء وبهاء وبقيوا نحوًا من نصف ساعة لا ينظرون باعينهم لوقوع النور بغتة على اعينهم وانتقالهم من الظلمة الى النور بوقت واحد ومن عظم الدهشة والتحير لم ينتبهوا الى شيء مما في البحر بل قصدوا ان يصعدوا الى اواسط الجزيرة ويروا القصر الذي راوه قائمًا في وسطها واذا بفيروزشاه ينادي عليهم ويبشرهم بالخلاص فوقع صوتهُ باذان خورشيد شاه فدلف عليهِ بلهفة وكان قد خرج الى البر بمن معهُ وجعلا يقبلان بعضهما ويبكيان من عظم الفرح ثم تقدم طيطلوس ايضًا وهناه بالسلامة والخلاص ومثلهُ فعل كرمان شاه وبيلتا والحاكم وكل من صعد على تلك الرقعة اليابسة وكان فرحه لا يقدر وقد نظر الى البحر فوجده مملوًا من القوارب وعليها الناس مثل النجوم عددها ونظر ايضًا الى مدينة الاسكندرية فوجد اسوارها وجدرانها وسطوحها مغطاة بالناس وكلهم يتفرجون على الجزيرة وصياحهم قد ملأ الارض لانهم راوا جلاء الغمامة وانقشاعها فعادوا من الفرح يصيحون ولا يعلمون ماذا يقولون وقد ملأ الجهات اصوات تصفقهم بالايادي والصفير

وبعد ان حكى خورشيد شاه كل ما قاساه من العذاب في جوف تلك الظلمة وكيف انهُ قطع الرجاء والخلاص ونوى على اماتة نفسهِ في ذاك النهار استعاد الحديث منهم وما سبب انقشاع تلك الظلمة عنهم فحكى لهُ طيطلوس الاسباب وكيف ان كرمان شاه اسرع الى الفحص في سبيل خلاصهِ ووجد كتاب الكنز فبعثهُ اليهم ليطلعوا عليهِ وقد وجدوا فيهِ ان هذا الكنز لا يكشف الا على وجه فيروزشاه ابن الملك ضاراب لانهُ سعيد موفق موعود من الله بالاقبال والمساعدة وعلى هذا جاءوا المدينة واخرجوا من القلعة السيف والمفتاح وجاءوا الضباب فمانع المارد المقام عنده وعلى محافظتهِ والذي هو اصلهُ فقتلهُ فيروزشاه وبعد ذلك راوه عن بعد فعرفوه واسرعوا اليهِ وهم يصفقون من الفرح لان جل المقصد من مجيئهم هو ولولاه لما جاءوا وليس من قصدهم ان ياخذوا مالا وجواهر او نحوها فشكرهم واثنا عليهم وبعد ان استراحوا قليلا . قال خورشيد شاه ان مرادنا ان نتوجه الى هذا القصر فان لا ريب ان داخلهُ قوم من الجان لاني دائمًا اسمع اصواتًا رخيمة وارى النور في اعاليهِ من

وسط هذا الضباب ثم يختفي ولو لم يكن النور عظيمًا وان في القصر اناس لما كان يخترق مثل هذه الكثافة ولا كان ايضًا يضي ثم ينطفئ ثم يتغير ولا كانت الاصوات ايضًا احيانًا ترتفع واحيانًا لا تسمع ويبقى في الجزيرة هدوء وسكينة لا يسمع الا اصوات الامواج التي تضرب على صخورها فقال طيطلوس ان هذا الا بد لنا منهُ وحيث اتينا هذه الجزيرة وصرنا عليها فلا بد من فتح الكنز واستخراج ما فيهِ. و بعد ذلك اعتمدوا على التقدم لاتمام العمل وماجاءوا لاجلهِ

وكانت كولندان عند نزول طيطلوس وفيروزشاه في القوارب مع تلك الجماهير احضرت قاربًا مخصوصًا وارسلت عليهِ رسولًا من قبلها وامرتهُ ان يعود اليها في الحال عند وجود خورشيد شاه حيًا ووعدتهُ ان تغمره بالاموال اذا جاءها ببشارة حياتهِ فسار ذاك الرسول وشاهد كل ما كان من امر المارد وغيره حتى تبين خورشيد شاه وتاكد انهُ حيٌّ فامر رجال القارب ان نسرع بالعود الى المدينة فساروا بهِ يخرقون البحر حتى جاءوا الشاطي فنزل الرسول ودخل على كولندان فوجدها قائمة في نافذة القصر المطلة على البحر فحكى لها كل ما راى وما شاهد وما كان من امر الضباب وازالتهِ و بشرها اخيرًا بحياة حبيبها وانهُ راه مع رفقائهِ حيًّا في ارض الجزيرة فصفقت من الفرح وصاحت على غير وعي وامسرتاه ثم افرغت على مبشرها الانعام واعطتهُ الاموال الكثيرة ورجعت فجلست الى قرب النافذة وجعلت تنظر بملء الفرح الى الناحية التي فيها حبيبها وكانت قبل ان جاءها رسولها و بشرها بتلك البشارة نظرت الى انقشاع الغمامة وجلاء الجزيرة فتمنت ان تطير الى تلك الجهة لتتاكد هل ان محبوبها ومالك قلبها هو حيٌّ او ميت واصبحت تنتظر الخبر من وفدها الى ان بلغها ومن ثم اقامت تنتظر عودتهُ وتشاهد بدر جمالهِ وقد شكرت عناية الله تعالى التي حفظتهُ سالمًا الى ذاك اليوم

وكان في وسط تلك الجزيرة قصر قائم حسن البنيان متقن النقوش والزخارف وهو مبنيٌّ على تسعين عمود من الرخام وفوقهُ قبة من المرمر المنقوش وحول القصر سلم من النحاس الاصفر بدرابزون من النحاس الاحمر وكان كل ما في القصر وعليهِ يدل انهُ قديم العهد ليس من يسكنهُ الا القبة القائمة على اعلاه فانها كانت تظهر نظيفة لامعة .قال وكان السبب في نظافة تلك القبة ان بنتين من بنات الجان كانتا تسكنان تلك القبة فتاتيان في اكثر الاحيان اليها وتقيان فيها على الغناء والحظ والانشراح والسرور والافراح تتعاطيان كوس الراح وتنهبان الوقت باللعب والمزاح يقال لاحداهما وهي الكبرى المرهفة وللاخرى وهي الصغيرة جهان افروز وكانت هذه الصغيرة من اجمل بنات الجان والطفهن تسبي العقول برقة خصرها و بهاء طلعتها و بياض جسمها .وقد حضرتا تلك الليلة التي سبقت اليوم الذي جاء فيهِ فيروزشاه فاشعلتا قناديل القبة واقامتا بين الكاس والطاس والغناء تهرجان وتمرجان الى ان مضى كل الليل وجاء النهار فنامتا لاخذ الراحة من الصباح الى ما بعد الظهر واذ

ذاك استيقظتا من النوم فلبستا ثيابهما وعولتا على الذهاب الى بلادهما واذا بهما قد سمعا صوت المارد الذي سبق ذكر قتالهِ مع فيروزشاه فتوقفتا وقالت الصغيرة لاختها ما هذا يا اختي فاني ارى صياح مارد عظيم وارى البحر مملوءا بالقوارب والناس من الانس الذين يسكنون هذه المدينة . قالت هذا المارد هو المكفل بحماية هذه الجزيرة والمظلل عليها الغمامة السوداء فان صدق ظني وصح ما كنت اسمعهُ من ابي يكون المارد المذكور يتقاتل مع فارس من الانس يقال لهُ فيروزشاه ابن الملك ضاراب . قالت ومن اين يعرف اباك ان هذا الفارس يقاتل المارد قالت لانهُ كان يعرف انهُ من اشد روساء المردة لا يمكن ان يقف امامهُ احد لا من المردة ولا من العفاريت حتى ان كامل ملوك الجان تهتز من سطوتهِ وكلهم يرجفون من عظم صولتهِ وهيبتهِ ويتمنون لهُ موتًا احمرا لظلمهِ وعتوهِ الا انهم كانوا يسمعون ان الحكماء الذين كانوا على زمن الملك سيف ابن ذي يزن قد وكلوه بهذا الكنز لانهُ كان من خدمهِ وعرفوا ان لا يقتل هذا المارد الا هذا الفارس لانهُ رجل سعيد دلت عليهِ الدلائل بانهُ سيفوق على اهل زمانهِ من المشرق الى المغرب . قالت ومن اين جاء هذا الانسي وما الذي اوصلهُ الى هنا . قالت اني سمعت من بعض خدمة المقنطر الساحر في هذه الايام وهم العفاريت الذين كان يستخدمهم لقضاء مهماتهِ انهُ علق بحب بنت من بنات الانس يقال لها عين الحياة بنت الشاه سرور وقد لاقى لاجلها المصائب والاهوال ووقع في الضيقات والاخطار ومع كل ذلك فانهُ نجا منصورًا ظافرًا وقد حارب اباها وكسره وقهره ففر من امامهِ الى هذه البلاد واحتمى عند الوليد وقد اصحب بنتهُ معهُ فتاثره الى هذه البلاد وقد جرت لهُ عدة وقائع فانتصر وفاز وحاصر المدينة بعساكره الان اظن انهُ جاء ليقتل هذا المارد وسوف تظهر الحقيقة . وفي تلك الساعة انجلت تلك الغمامة فشاهدتا رجال الانس من تحتها . فقالت جهان افروز اريد منك يا اختي ان تدليني على هذا الرجل الذي حكيت عنهُ واشرت اليهِ . قالت انظري الى ذاك الذي في اول الرجال يشرق بانوار جبينهِ اللامع الم تره اكثر جمالا من كل من حواليهِ لا بل من كل ما في رجال الانس فكما انهُ جمع لاعظم درجات الشجاعة فقد جمع ايضًا لابهى المحاسن واجملها وقد قتل المارد وصبغ البحر من دمهِ وجاء لاخراج الاموال والجواهر المدفونة في اسفل هذا القصر وليس من مانع بعد فانهُ في هذه الساعة ياخذها ويرجع من حيث اتى . قالت بالحقيقة انهُ بديع في جمالهِ فقد اخذ لي عقلي لان عيني لم ترَ من هو مثلهُ فهل يا ترى ان التي احبها هي مثلهُ في الجمال وهل ان حبها لهُ كحبهِ لها قالت نعم ان محبتها لهُ ومحبتهُ لها واحدة كما ان حسنهما واحد فهي في اعلى درجة من الجمال حتى ضربت بها الامثال وتناقلت اخبارها الركبان فهويها على السماع كثير من اولاد الملوك والامراء الا انها لم تعلق بحب احد الا بحب فيروزشاه وقد اخلصتهُ الحب وبادلتهُ المودة وحفظ العهود . قالت بالله عليك يا اختي ان تشفقي عليَّ وتجمعيني بهِ فلم يعد لي من صبر عن وصالهِ واريد منهُ ولو قبلة واحدة

فاني اشعر بخفقان داخل قلبي لا يهدأ الا بالاجتماع بهِ وارى نيرانًا بقلبي جديدة تضطرم فلا تنطفي الا ببرد عذوبة الفاظهِ . قالت كوني مطمئنة الان واصبري على هواك فاني ساجمعك به بوقت قريب واعدك وعدًا صادقًا اني ازوجك بهِ قبل ان يتزوج بعين الحياة بنت الشاه سرور وانك تعلمين اني لا اقول شيئًا دون ان افعلهُ

وكانت هذه المرهفة من قهرمانات الجان وطاماتها الكبرى وقد خبرت احوال الانس والجان وعرفت امور العفاريت والمردة واحاديث كل منهم ولم يكن يصعب عليها شيء وقد تاكد عندها ان اختها احبت فيروزشاه وهامت بهِ واشغلها هواه فصبرتها وعذرتها عليهِ وقالت في نفسها انهُ ذات وجه جذاب فلو كانت الملائكة من اجواق النساء وفي صفاتهن ومزاياهن لاحببنهُ مع عفتهن وطلبن وصالهُ مع نزاهتهن . ثم قالت لاختها هلمي بنا الان لنذهب قبل ان يدخلوا القصر ويطلعوا على احوالنا وليس من اللائق ان نبقى هنا ونجتمع بفيروزشاه بحضور الوف من الانس ثم اخذتا كل ما هو في القبة فاخفينهُ حتى لا يرونهُ وطلبتا طبقات الافق وغابتا عن ذاك المكان وجهان افروز محروقة القلب ملذوعة الفؤاد تتحسر على الاجتماع بمن حبتهُ ومن رأتهُ اعينها ينير كالبدر عند تمامهِ

واما فيروزشاه وطيطلوس وخورشيد شاه والذين معهم فتقدموا الى جهة القصر حتى دخلوا تحتهُ وقد دهشوا من حسن صناعتهِ واتقان بنائهِ وطافوا في كل مكان حتى لم يبعد من مكان الا وطافوه . وفي النهاية دخلوا القبة فراوا داخلها من الاثار ما يدل على ان يسكنها ساكن فقال طيطلوس لا ريب ان النور يظهر من هذه القبة في كل ليلة وان صدق حذري فانهُ يسكن هذه الغرفة جماعة من الجان فما لنا ولهم الان ولنذهب من حيث جئنا فقال خورشيد شاه كيف ناتي الى هنا ولا نعلم السبب الموجب لقيام قوم من الجان هنا وما هو السبب في اجتماعهم بهذا المكان واني اريد ان ابقى هنا لانظر الحقيقة فاعترضهُ فيروزشاه وقال لهُ دعنا الان من هذا وسوف نعود اليهِ في وقت اخر واني اخاف من ان يقع لنا حادث جديد يعيقنا اياما واشهرًا عن الرجوع الى مصر واحب شيء لديَّ سرعة الرجوع الى هناك واخاف من ان يجد على ابي امر غير منتظر يمنعهُ من الدخول الى المدينة وفتحها ويفرون بعين الحياة حبيبتي بعد ان تكون قد وصلت الى بدي وهذا الذي يشغلني دائمًا . فسكت خورشيد شاه عند سماعهِ هذا الكلام ونزل الجميع الى اسفل القصر بقصد استخراج الذهب وما في الكنز من المال ولما وصلوا الى ارض القصر وجدوا قبرًا من الحجر الرملي مكلسًا بالكلس الابيض فامر طيطلوس ان يهدم القبر فبوشر بهدمهِ وظهر من داخلهِ باب سلم من الحجر الابيض فامر طيطلوس فيروزشاه ان ينزل امامهُ فنزل ونزل من خلفهِ ومعهما بهروز العيار وبدر فتان ولما انتهوا من السلم وجدوا دهليزًا واسعًا فساروا فيهِ الى ان وصلوا الى

مغارة تحت الارض واسعة فدخلوا فيها والشموع بايديهم فراوا في صدرها بابًا من النحاس بواقفال من الحديد فقال طيطلوس لفيروزشاه هذا هو باب الكنز فاخرج المفتاح الذي اتيت به من جوف الطائر وافتح به هذا الباب بعد ان تقرأ سلسلة حسبك ونسبك ففعل واخرج من جيبه المفتاح ووضعهُ في القفل فانفتح في الحال وبان من داخله غرفة تضيءُ بهامقابيس من الجواهر اللامعة والذهب الوضاح فانبهر الجميع من عظم ما شاهدوا واخذتهم الدهشة وقال طيطلوس ان كل ما لاقيناه من المصاعب هو لاجل هذه الموجودات فاحملوها الى فوق لنسير بها الى الملك ضاراب فيفتخر فيها على كل ملوك الارض لانها لا توجد قط عند احد في هذه الايام فاصغر جوهرة منها بقدر البيضة الكبيرة . وامر بهزاد و بدرفتات ان يحملا من تلك الجواهر و ينقلا الذهب الى فوق ليحمل الى القوارب ففعلا واخذا في ان يصعدا بالاحمال على آكتافهما فيسلمانها الى كرمان شاه وذاك ينقلها الى القوارب على ظهور الرجال حتى فرغوا جميعًا من العمل وحينئذ صعد فيروزشاه وطيطلوس الى وجه الارض وهنئوا بعضهم بعضًا بالسلامة . و بعد ذلك كروا راجعين الى القوارب فركبوها ومثلهم المتفرجون فانهم ساروا بقواربهم وهم يتعجبون من عظم ما راوا بتلك الجزيرة وما فيها من الاموال والجواهر التي لا تثمن بثمن فاصغر ما فيها يساوي ملك ملك . قال ولا زالوا حتى جاءوا الشاطىء فنزلوا ودخلوا المدينة بالفرح والدعاء واصوات المسرة والتهاليل . ونقلوا الاموال والجواهر الى قصر كولندان وجاءوا اليها يخبرونها بكل ما جرى فهنأتهم بالسلامة والخلاص وهي من افرح عباد الله بنجاة محبوبها ولا تصدق ان تراه وقد اعدت اكرامًا لهُ وليمة فاخرة دعت اليها كل اعيان المدينة وحاكمها وعملت لهم الاطعمة الفاخرة والاشربة اللذيذة وزينت القصر بالانوار من كل جهة وكست جدرانهُ بالزهور والرياحين وترحبت بفيروزشاه كل الترحيب فعاملها بكل بشاشة ولطف وقال لها كوني مطمئنة البال فسوف نرسل اليك بعد ايام قليلة لناخذك الى مصر بعد فتحها كوني عزمت هناك ان ازف على خطيبتي عين الحياة وعند زفافي لا بد من زفاف كامل الفرسان الخاطبين لانفسهم ليكون فرحي شاملاً وفرح ابي وكافة رجالي كاملاً

واقاموا كل تلك الليلة على الفرح والمسرة الى ان قرب الصباح فامر فيروزشاه ان تحمل الاحمال وترفع على ظهور الجمال بعد ان تضع في صناديق صغيرة مصفحة فحملت ورفعت وسارت امامهم وعند تضاحي النهار دعا بالحاكم اليه واعيان المدينة فخطب فيهم خطابًا حرصهم فيه على الصدق والامانة في محبة الملك ونفع الوطن وان يحافظوا على الراية الفارسية وان يكاتبوا دائمًا اباه كملك اكبر فوقهم وضرب عليهم الخراج والجزية ثم ودعهم وركب جواده الكمين وركب معهُ كرمان شاه والفرسان برمتهم وطيطلوس وقد ودعوا ايضًا كولندان وشكروها على اهتمامها وودعها محبوبها

ايضًا فبكى وبكت وكل منهما يعد الآخر وكذلك كرمان شاه ودعها وفي قلبهِ منها نار حب لا تطفى لانهُ كان قد مال اليها واحبها محبة صادقة وقال في نفسهِ ان ابن عمي لا يمكن ان يتزوجها لنفسهِ كونهُ قد وعد غيرها قبلها ولذلك لا بد لي عند اغتنام الفرصة من طلبها لنفسي ولا أكون قد غدرت بذلك ابن عمي بل يتنازل عنها لعلمهِ ان لا مطمع لهُ بها وبقي يكمن ذلك في ضميره وينتظر الوقت المعين . قال ودامت العساكر سائرة في تلك الفلاة وفي مقدمتهم فيروزشاه الاسد الريبال والفارس العجيب الاهوال . وهو فرحان من نفسهِ ومما وصل اليهِ من المجد والرفعة واكثر فرحهِ كان بعودتهِ الى مصر الى جهة عين الحياة وقال لا بد من انها تنظر الى نفسها نظر المفتخر اذا علمت اني قتلت ماردًا من مردة الجان وفتحت كنز التبابعة وجئت منها بالمال الغزير والذهب الكثير والجواهر التي تملأُ المخازن والخزائن وقد خطر على بالهِ كل ما كان من امره ومن امر محبوبتهِ وكيف ان اخصامهُ يحولون بينهما فيمنعونها ويمنعونهُ عن ان يراها مع ان ملوك الجان وعفاريتها وسحرتها لا تقدر ان تقف في وجههِ ولا تمنعهُ عن اجراء غاياتهِ وجاش عليهِ الشعر فانشد

عين الحياة ملوك الانس تخضع لي	وترهب الجان من قولي ومن عملي
عين الحياة ابتنيت اليوم لي سكنًا	فوق السماك سما مجدًا على زحل
لذا تريني وجيش الجن ان ذكروا	اسمي لهُ فر مني وهو في وجل
وماردًا جئتهُ لا العزم قل ولا	راى سبيلاً لضعفي عامل الكلل
لكنما كنت مثل البحر قد ضربت	بهِ العواصف او كالعارض الهطل
ضربتهُ بحسام فاختفى وغدا	يانُّ أنَّة مسقوم من العلل
قطعت ايديهِ والجمع الغزير يرى	فعلي ويعجب مني كل ذي بطل
وعاد نحوي وعدت الضرب ثانية	فقطع السيف منهُ كل متصل
بشراكِ بشراكِ يا عين الحياة لقد	اصبحت دون البرايا منتهى املي
فتحت في القلب كنزًا قد حللت بهِ	كستهُ ايدي المعالي ابهج الحلل
هونت وجدكِ لي كل الصعاب فكم	ازحت في همتي العلياء من جبل
ان قلت للجبل العالي انتقل عجلاً	لطاعني وغدا يهوي على عجل
وقد رجعت اخوض النقع مفتخرًا	لم يثنِ كيد النوى كيدي ولا حيلي

وكان ينشد وطيطلوس يعجب من انشاده ومن فصاحتهِ وعلو همتهِ وعظم محبتهِ ولا زال القوم يسيرون والعساكر جارية من خلفهم وامامهم الجمال تحمل الاموال وهي بعدد الرمال حتى قربوا من مصر وبانت لهم عن بعد نصف يوم اسوارها وبيوتها وهناك اخذ طيطلوس قرطاسًا وكتب الى الملك ضاراب يبشره بما كان وقد كتب فيهِ

بسم الله المسهل المسبب

من طيطلوس عبد الملك ضاراب ووزيره الامين الى سيده صاحب المجد والرفعة . اما بعد فاني اخبركم يا سيدي اني توجهت من حضرتكم مع ولدكم علة السعادة والفخر وسرنا حتى دخلنا الاسكندرية فاخرجنا منها مفاتيح الكنز وقد طردت باسم ابنك طوائف الجان التي كانت قائمة فيه ومن ثم ركبنا البحر وسرنا على القوارب لخلاص خورشيد شاه واخراج الاموال الغزيرة والجواهر النفيسة وعند مصافحتنا للضباب انتصب لنا مارد عظيم لا يوجد اكبر منه بين كل المردة ارعب كل من راى ذلك المشهد الا ابنك الاسد الكرار فقد قطع يديه بضربتين وقتله بالثالثة ومن ثم انقشع الضباب عن الجزيرة وتبين لنا ابن عمك عليها وهو حي ففرحنا به غاية الفرح واخذناه معنا ودخلنا الكنز فاخرجنا منه الخزائن التي كانت خبئت لكم منذ ازمان واجيال فاذا هي مما يبهج النظر ويحير العقول فهي وحدها تكفي لان تشتري بها الدنيا برمتها واخذنا كل ذلك الى الاسكندرية فرتبنا بها الحكام من قبلكم وضربنا عليهم الجزية وعدنا فرحين منتصرين نرتجي التشرف بمقابلتكم ولعلمي بان مسرتكم تزيد باعمال ولدكم اسرعت فاخبرتكم ونحن بعد ساعات قليلة نكون في المعسكر والسلام

ثم طوى الكتاب وبعثه مع بدرفتات وامره ان يسرع الى الملك ضاراب ويعلمه بقدومهم فاخذه وسار بكل سرعة حتى وصل الى بين اياديه فدفعه اليه بعد ان قبل يديه فاخذه وقراه ففرح فرحًا لا يوصف واعلن ذلك على كل جيشه وامر الفرسان والابطال ان تركب لملاقاة ولده ووزيره طيطلوس وان يكون لهما ملتقى عظيماً فخرج الجميع وهم يعزفون بالموسيقات ويلوحون بالاعلام ويلعبون على ظهور الخيول وما ساروا الا القليل حتى التقوا ببعضهم البعض فصاحوا صياح الفرح حتى ارتجت تلك الارض وسلم المقيمون على القادمين وهنئوهم بالسلامة وعادوا راجعين ناشرين الوية الافراح والسرور حتى دخلوا المعسكر وجاءوا صيوان الملك ضاراب فخرج حبًا بولده واعتبارًا لطيطلوس الذي كان ينزله منزلة الاب النصوح العاقل وسلم عليهما ودخلوا جميعهم الصيوان وجعلوا يحكون للملك مفصلا ما كان من امرهم وما لاقوا في الجزيرة ففرح بسلامتهم ولام خورشيد شاه على مخاطرته بنفسه ودخوله باب الهلاك عن جهل . فقال له لم يكن ذلك مني يا سيدي بل هو من محركات العناية التي دفعتني الى تلك الحفرة الخطرة والا لولا دخولي فيها لما تيسر لكم السعي خلفي ورفع تلك الاخطار واستخراج الاموال منها والانتفاع بها . قال اصبت بذلك واني اشكر الله تعالى على عنايته وتسهيلاته فانه لا يدفع بنا الا الى الامكنة الصالحة لنفعنا ورفع اسمنا وتشييد دولتنا ولا يعد لنا الا كل ما هو موافق لمصلحتنا . ثم ان الملك ضاراب احضر المال والجواهر بين يديه وفتح الصناديق امام الفرسان والابطال فاخذوا يتفرجون عليها وقد انبهروا مما شاهدوا وتعجبوا من

كثرة تلك الجواهر وكبر كل واحدة منها و بعد ان فرغوا من الفرجة عليها ارجعها الملك الى الصناديق واقفل عليها وامر ان توضع في خزينته لحين الحاجة فقد عزم ان يفرقها مع الجواهر والاموال التي جيء بها من قصر صفراء الساحرة ومن قصر المقنطر في عرس ولد فيروز شاه ليغتني بها كل بعيد وقريب و بعد ان اقاموا برهة على تلك الحال تفرق كل من الفرسان الى صيوانه بقصد الراحة والمنام

فهذا ما كان منهم واما ما كان من الوليد فانه لما خرجت رجال فارس لملاقاة فيروزشاه وعلت الضوضاء فيما بينهم امر هلال العيار ان يسير في اول الليل عند نشر الظلام الى بين المعسكر ويكتشف على سبب هذا الفرح والاستبشار فوعده بالطاعة وانه لا بد له ان يأتيه بصحة الخبر وقد قلنا ان الوليد لما سمعه من اصوات السرور قال لا بد ان يكون جاء اليهم امر مفرح اوجبهم الى اظهار ما اظهروه وما كفانا ما هم عليه من التقدم والانتصار حتى تزيد امورهم نجاحًا وفلاحًا . وفي المساء خرج هلال العيار ونصب الجسر ودخل بين الايرانيين واستنشق منهم روائح الاخبار واستعلم منهم على اسباب ما كان من امرهم في النهار و بعد ان وقف على الحقيقة كر راجعًا مندهشًا من توفيق فيروزشاه وحسن حظه ولما قرب من الخندق قطعه على جسر من الخشب كما فعل بالاول ثم رفعه وجاء الباب ففتح له ودخل الى ان وصل الى صيوان الوليد فوقف بين يديه والصيوان محتبك بالحضور وشرح له كل ما سمعه وقال له ان سبب ذلك رجوع فيروزشاه من الاسكندرية وقد فتحوها وقتلوا الاسكندر حاكمها وضربوا الجزية على اهلها وكان ذلك بمساعدة بنته كولندان لانها احبت خورشيد شاه فباعت بلادها واباها لاجله ثم ذهب الى الجزيرة المطلسمة وعلق فيها فنزل فيروزشاه وفتحها وازال عنها الطلسم وقتل مردة وعفاريت وجاء باموال الكنز وجواهره فهذا الذي جعل كل اهالي فارس ان يفرحوا و يتهللوا و يصفقوا ويرقصوا لانهم كيفما مالوا يرون النصر والتوفيق فلاقوا فيروزشاه ملاقاة تليق بمثله وقد هناه بسلامته الكبير والصغير فقال الوليد ان صح هذا فقد خربت بلادنا الى الابد وخرجت من يدنا لانه كان لي كبير رجاء بالاسكندرية لعظم حصونها ومتانتها ووقوعها على البحر فان كان قد فتحوها فليس لنا بعدُ من امل بمكان حصين نلتجيء اليه اذا احوجتنا الضرورة الى الخروج من مصر هربًا . وفوق كل ذلك فانهم فتحوا الكنز واخذوا اموال بلادنا المدفونة فيها منذ اجيال وازمان فما هذا فيروزشاه الا رجل سعيد الطالع مدلول عليه من الله مقصود توفيقه منه لان التقادير لا توفق احدًا وتخدمه الوسائط الا ولله فيه غايات ومآرب . وكان في عزم طيفور ان يضرب صفحًا عن الكلام الا ان سكوته وما سمعه عن نجاح فيروزشاه ومدحه كاد يفطر مرارته فتكلم بالرغم عن ارادته وقال ايصدق مثل هذا الخبر يا سيدي وهل يمكن لفيروزشاه ان يفتح مثل هذا الكنز الذي حكى عنه هلال العيار

ويقتل المارد ويهزم طوائف الجان . وعلى ما اظن ان فيروزشاه قصد خلاص ابن عمهِ واخراجه فاصابهُ مثلهُ وهلك ومات فلم يقبل الايرانيون ان يظهروا ذلك خوفاً من ان نعلم بهِ فنطمع فيهم فعملوا هذا العمل واقاموا رجلاً مثلهُ في مكانهِ لغايتين اولاً لاجل لا نطمع نحن كما تقدم وثانياً ليشتد ظهر جيشهم ولا يضعف لان جيوش الفرس اذا ثبت عندها قتل فيروزشاه لا تقاتل القتال الذي تقاتلهُ بوجوده ولك برهان على ذلك انهُ عندما يغيب عنهم لا يتوفقون قط بل تضعف هممهم وتتاخر احوالهم ففيروزشاه هلك لا محالة . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام اغاظهُ وكدره ولم يسعهُ ان يسكت عن طيفور فقال لهُ لا ترلت تاتينا بالاراء الوخيمة وتظن انك تفكر صواباً فاذا فكرت بكل ما نحن فيهِ ترى انك انت اصلهُ وسببهُ فقد اشرت عليَّ المشورات الذميمة حتى خربت لي بلادي واخرجتها من يدي فتملكها الايرانيون واخذوا عمالي فنصبوهم عليها والزمتني الى ان اقود الويلات ورائي الى مصر ولا ترلت حتى الساعة تنكر توفيق هذا الرجل العجيب فكيف لا يصدق عنهُ مثل هذه الاخبار وقد راينا اعظم منهُ اهل الذي بعث اسيراً وحيداً الى جزائر السودان وعاد منها مالكاً عليها منصوراً على ملوكها بعد قتل ملكها واهلك صفراء الساحرة التي هي اشد باساً من الوف من المردة لان كلمة واحدة منها تكفي لهلاكهِ يصعب عليهِ ان يقتل مارداً ويفتح كنزاً عرف منذ قديم الزمان انهُ يفتح على وجههِ وليس عملهُ هذا باصعب من قتلهم للمقنطر الساحر وبعد وقوعه بايديهم وعجزهِ عن استعمال قوتهِ السحرية الفعالة وقد رايت بعينيك عجيب فعلهِ وكيف طير الفرسان في الجو الى ان اصبحوا يقادون اليهِ كالاسارى . فسكت طيفور عن الكلام وقلبهُ يلتهب من الغضب والغيظ من عمل فيروزشاه وكلام سيده . ثم قال الشاه السرور للوليد اني ارى ان في المدينة من المون ما يكفي الى سنين واعوام واسوارها منيعة لا يقدر الايرانيون على هدمها ولا سيما حولها الحاجز العظيم وهو خندق الماء المحيط بها فلنثبت على الدفاع ومهما شاء الله فليفعل . وكان الشاه سرور في تلك المدة قد قدم منهُ وزيره الثاني وهو الخواجه لبان واظهر لهُ عذرهُ وابان لهُ انهُ لو سمع كلامهُ منذ البداية لما وصل الى هذه الحالة . وبعد فروغ السهرة ذهب كل الى مكانهِ وهم في كدر وياس

قال وانتشر خبر انتصار فيروزشاه في جزيرة الاسكندرية وقتلهُ للمارد فيها واخراجهُ الجواهر منها حتى بلغ عين الحياة وطوران تخت . وذلك انهُ كان بالقرب من القصر القائمين فيهِ قصراً للوليد قد انزل فيهِ سيف الدولة ملك ملاطية عند دخولهم المدينة للحصار وبسبب هذا الجوار وقعت الالفة بين زوجة سيف الدولة وبين عين الحياة وطوران تخت فصارت تاتي اليهما في كل يوم وتجتمع معهما على الطعام والمدام وقد اكتشفت على اسرارهما وساعدتهما عليها وقالت لهما انكما مصيبتان بحبكما لمثل رجال فارس ولا سيما عين الحياة فانها ان قبلت بغير من احبتهُ وهو فيروزشاه

او بدالته بغيره قادت نفسها الى الذل والعار فمثل هذا الرجل يحب ويعشق ويفدى بالارواح وهل لو كان حبيبها الشاه صالح نقدر ان تفتخر به او تباهي او لا تسمع لومًا وتنديدًا من العالم اجمع بانه بعد ان صار لها ان تكون زوجة لملك كفير وز شاه ابن الملك ضاراب صاحب الافعال الحميدة والحسن الفريد والخصال المحمودة والصيت البعيد تتركه وتقبل بالشاه صالح الكاسل البليد . وعلى هذا كانتا قد احبتاها وشاركتاها في الاجتماعات الى ان كان ذلك اليوم جاء اليها زوجها سيف الدولة واخبرها بكل ما كان من امر الفرس وقال لها ان قلبي يميل لهولاء الاقوام لانهم فرسان صناديد وابطال اماجيد تخدمهم الايام وترعاهم العناية . وفي صباح اليوم الثاني بعد ذهاب زوجها جاءت الى عين الحياة وحكت لها ما سمعته عن حبيبها وقتله للمارد واخراج الكنز على وجهه ففرحت مزيد الفرح وجعلت تصفق وتقول هكذا هكذا والا فلالا وطلبت من طوران دخت ان تجعل لها ذاك النهار نهار حظ فتشرب ان خصوصيًا على ذكر الاحباب وتنشدان الاشعار الغرامية لاجلها ويكون ذلك بحضور زوجة سيف الدولة فاجابتها الى عملها وامرت قهرمانتها باتمام طلبها وفي الحال انتصبت مائدة المدام فجلسن عليها وهنّ من الفرح والمسرة على جانب عظيم واخذن في تعاطي كؤوس المدام ونشد الاشعار ووصف محاسن الاحباب وقد اشتد فعل الحب بقلب عين الحياة عند تلاعب الخمرة براسها فانشدت

رضيع الصبا للبين قد طر شاربه ... وكهل الدجا مذ شب شبت ذوائبه

وما الليل الا الدهر اعيت صروفه ... وما هو الا صرفه وعجائبه

وما الويل من ليل تطاول اذ غدا ... يجاذبني ذكر الهوى واجاذبه

طلبت به وصلاً تقادم عهده ... وما كل مطلوب بنوّل طالبه

على حين احيي ميت النوم ناظري ... لزورة طيف اشبه الصدق كاذبه

وبي محسن قد ساء صدًّا وانما ... بدا الصد من امر تسرّ عواقبه

ولا وصل الا ان يلمّ خياله ... ولا هجر الا ان تزم ركائبه

ولي كبد حرّى على ابجر الهوى ... تسير بها سفن الهدى ومراكبه

خذا الحذر من اعطافه وجفونه ... فما هي الا سمره وقواضبه

واياكما القوس المراش سهامه ... الم تركم الحاظه وحواجبه

وماذا على من صار خالاً بخده ... اغار ابوه او اغيظت اقاربه

له عارض في الخد قد زان شكله ... كما زان خط اللام في الطرس كاتبه

بكيت وقد قدّ الحشا وهو ضاحك ... وهل يستوي مسلوب قلب وسالبه

فمن لوعة في الصدر شب ضرامها ... ومن مدمع يرفض في الخد ساكبه

خليليّ ما لي يوم نهب جوانحي اخيب من مالي ويغنم ناهبه
اريحا فان الحب ضاقت مذاهبه ولم يلف خيرًا في الغرام يجاوبه
اذا ما دنا يخفى وان يجتنب دنا فايٌّ يدانيه وايٌّ يجانبه
ومهما دعاه الوصل عارضة الجفا فايٌّ يحاسبهُ وايٌّ يشاغبه
ومهما شفاه السقم اودى به النوى فايٌّ يعانيه وايٌّ يحاربه
وقد هدمت رايات جيش اصطباره على حين جيش الوجد صالت كتائبه
واصبح لا طيب الوصال ميسر لديه ولا دار لحبيب نقاربه
فما كل عين بالجمال قريرة ولا كل سمع قد نحاه مجاوبه
ولا كل من قد سار ردت جياده ولا كل من وافى انيخت ركائبه

ولما فرغت عين الحياة من انشادها اهتزت طربًا امراة سيف الدلة وقالت لها لقد اصبت في ذكر اشواقك واجدت في وصف حبيبك واطربتنا بنغمات صوتك الرطب فجمع الله شملك به وجمعهُ بك وجعل ايام سعادتكما مقرونة بالبركات والخيرات . ثم التفتت الى طوران تخت وسالتها ان تنشد شيئًا من الشعر في وصف حبيبها وذكر اشواقها كما فعلت عين الحياة . فقالت حبًا وكرامة فاني انشد الوفًا من الاشعار فهي عندي من الموجبات والفروض فما حبيبي ممن ينسى ثم تناولت كاسًا فشربتها وانشدت

ترى سكرت عطفاه من خمر ريقهِ فماست به ام من كووس رحيقهِ
مليح يغير الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقهِ
فما فيه شيء ناقص غير خصره ولا فيه شيء بارد غير ريقه
ولا ما يسوء النفس غير نفاره ولا ما يروع القلب غير عقوقهِ
عجبت له يبدي القساوة عندما يقابلني من خده برقيقهِ
ويلطف بي من بعد اعمال لحظهِ وكيف يرد السهم بعد مروقهِ
يقولون لي والبدر في الافق مشرق لذا انت تهوي قلت بل لشقيقهِ
فلا تنكروا قتلي بدقة خصره فان جليل الخطب دون دقيقهِ
وليلة عاطاني المدام ووجههُ يرينا صبوح الشرب حال غبوقهِ
بكاس حكاها ثغره عند ابتسامهِ بما ضمهُ من دره وعقيقهِ
لقد نلت اذ نادمتهُ من حديثهِ من السكر ما لا نلتهُ من عقيقهِ
فلم ادري من اي الثلاثة سكرتي امن لحظهِ ام لفظهِ ام رحيقهِ
لقد بعتهُ قلبي بخلوة ساعةٍ فاصبح حقًا ثابتًا من حقوقهِ

وكانت طوران تحت رخيمة الصوت وقد انشدت شعرها هذا بفؤاد ملسوع ملوع من الحب فكان له تاثير عظيم في قلب عين الحياة وامراة سيف الدولة وقد قالت لها الاخيرة لا تعتبي على دهرك الان ولا تحسري على بعاد محبوبك فلا بد من ان يصفو الدهر وبروق عيشة وتجتمعي بصفرشاه وتنالي منه مرادك فرجال الفرس يحفظون العهود ويثبتون على الوفاء وهم الان قائمون على المحاربة وملاقاة الاخطار والاهوال والبعد عن الديار لاجل هذه الغاية وعندي انهم لا يرجعون عن عزمهم دون ان ينالوا مرادهم . ثم قالت عين الحياة لسيف الدولة اني اسالك الان وان كنت خالية من الحب وليس لك ما يشغل ضميرك ويفطر فؤادك ان تنشدي لنا شيئًا من الشعر طمعًا ان تسكني بعذوبة لفظك ورخيم صوتك هيجان فؤادينا فقالت اني لا احرمكما من ذلك وامرك عليّ واجب لانك عما قليل تصبحين سيدة البلاد باسرها ومالكة على الجميع . ثم انها شربت كاسًا من الخمر وانشدت

معاذ الهوى ان الصريع به يصحو	ليفعل ما يلى على سمعه النصح
وكيف يرجى منهُ يومًا افاقة	وزند الهوى في عقلهِ دابة القدح
دع القلب يشقى في طريق ضلالة	ففي رايهِ ان الوصول بها نجح
يؤمل امالاً مدى العمر دونها	كأنّ مطايا النائبات بهِ جمح
ويكتم اسرار الغرام فؤاده	ويفضحهُ من حزن مقلتهِ السح
لقد الفت عيناه ان تنضح الدما	وتلك دما عقل بها احكم الجرح
يعاف الكرى منهُ المحاجر كارهًا	تزول جراحٌ جرحها شانهُ الرشح
له في انتظار الطيف جفنٌ مورقٌ	تنغثهُ من شدة الارق القرح
ولم يدر ان الطيف يحذر ان يرى	نزيل بيوت داب ابوابها الفتح
غدا دهرهُ بالهجر ليلاً جميعهُ	وحسبك دهرٌ بالنوى كلهُ جنح
كان نجوم الافق فيهِ تنصّرت	فليست لغير الشرق وجهتها تنحو
كان الثريا والنسور تخاصما	وظلا على جدٍّ يجانبهُ المزح
كان بهِ الشهب الثواقب تنبري	مراسيل ذات البين يرجى بها الصلح

وكان ذاك اليوم من اعظم ايام المسرة على عين الحياة بما وصل اليها من خبر حبيبها فلا تركت شعرًا الا وقالتهُ ولا شربت كاسًا الا وغنت لها وطربت من مفاعيلها وكانت تتمنى قرب زمن الاجتماع والوصول الى من اصطفتهُ لنفسها واصطفاها لنفسهُ

فهذا ما كان من امرهنَّ وسوف نعود بعد قليل الى ما يجرى بشانهنَّ واما ما كان من الملك ضاراب ورجالهُ فانهُ في الليلة التابعة لليلة مجيء ولده عقد مجلسًا مولفًا من كل فرسانهِ وابطالهِ واستشارهم

في ماذا يفعلون فان امر الحصار طويل والقتال على هذه الحال يعد بلا نهاية وبلا جدوى فقال له فير ونرشاه اننا لا نرى شيئًا امامنا يساعدنا على نوال غاياتنا الا القتال وتشديد الحصار على المدينة ومبادرة القتال فاننا لا ندع لهم راحة الى ان يسلمونا وينقادوا الينا او ان يظهر لنا سبب اخر للفتح من طريق غامضة الان لا نعلمها . قال طيطلوس ان هذا اجلّ ما نراه ومع ذلك نسال عيارينا ان يبادروا دائمًا الى الفحص عن منافذ الى المدينة لان لا بد من ان يكون لها منافذ خفية يدخلون منها في بعض الاحيان ومتى اطلعنا على هذه المنافذ يسهل علينا الدخول منها او بالحري يدخل بعض فرساننا فيسهلون لنا طريق فتح الابواب . قال الملك ضاراب اذًا فلنبادر الى الحرب في صباح اليوم القادم ولتضرب طبولها من قبل اتيان النهار ولنتكل عليهِ تعالى فانهُ لا يهمل امرنا ولا يقبل بطويل كدرنا وضجرنا ولا يقبل ان نبقى هنا عرضة للحر والعذاب . وفي اليوم القادم خرجت الابطال طالبة ميدان القتال وقد تقلدت بقسيها وحملت سهامها وتقدمت الى ناحية الاسوار وطبولها تضرب تنبيهًا لمن داخل المدينة . وفي الساعة الاولى من النهار وصلت الى جهة الاسوار فوجدت ان المصريين قد اقاموا على جدرانها وبايديهم السهام وما وقعت العين على العين حتى اختلف القتال بين الطائفتين واشتعلت نارت الوغى وتطاير السهام في الفضا واستقرت في مهج الفرسان . فانزلت عليها الويل والهوان . والهلاك والخسران وعلى منها الضجيج والصياح وقام سلطان الموت لقبض الارواح . واستخلاصها من الاشباح وقد ارتفع الغبار الى الجو فضرب على القوم سرادق الظلمات . وخفي في وسطهِ اختلاف مسير السهام فلم تعرف الى اي الجهات . وتلبست الابطال بثياب الويلات . طمعًا بالتقدم والثبات . وكان ذلك اليوم عظيم النكبات . كثير الشدات . هلك بهِ كثيرون من الفريقين . وذاقوا اشد عذاب مالم تسمع بهِ اذن ولا رانهُ عين . وماجاء المساء حتى سبغت الارض بالدماء وتلطخت الجدران من كل مكان بادمية الفرسان وعند اشتداد الظلام ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن القتال ورجع كل الى طريقهِ فنزل المصريون عن الاسوار ودخل الايرانيون الى الخيام وهم من التعب في اصعب مقام وقد لحق بهم من القتل والجراح ما القاهم في بحر الهموم والاكدار ومثلهم حل باعدائهم وباتوا تلك الليلة وهم على غاية ما يمكن من الغضب على نية العودة الى القتال في الصباح . ولما كان الصباح نهض الفريقان واستئنفا القتال وعادا الى ما كانا عليهِ في اليوم الاول وكان اكثر الناس هجومًا رجال السودان الذين مع فيرونرشاه لانهم كانوا يهجمون لهجومهِ ويفعلون افعال الاسود حتى هلك منهم كثيرون وقتل ميمون قائدهم وكان فيروز شاه حزينًا عليهِ الا انهُ كان كالاسد الريبال يصول ويجول ويهجم على الاسوار هجمات الصواعق اذا تحدرت ونزلت وفي مساء ذاك اليوم رجعوا ووقع عليهم اكثر مما وقع في اليوم الاول وقد عادوا حيارى من عظم ما نالهم وكدرهم جدًا فعل المصريين وكيف انهم ثبتوا على الاسوار وكيف

انهم لوجود خندق الماء لا يقدرون ان يصلوا الى الاسوار ليدكوها الى الاساسات ويخربوها عن بكرة ابيها ولذلك جمع الملك ضاراب رجالة ووزراءه وقال لهم اني مكدر جداً من عواقب هذه الحرب فاننا نقاتل رجال مصر وهم داخل الاسوار فلا تصيبهم سهامنا وسهامهم لا تخطينا لان ليس من مانع يمنع عنا ولا من حاجز نختبئ به فاذا دام الامر على ذلك عدة ايام هلكنا . ووقعنا في مزيد الارتباك وقلت رجالنا كثيراً فمن الواجب ان ننظر اولاً في رفع هذا الخندق الذي هو حول المدينة يمنعنا من التقرب منها والدنو من اسوارها . قال طيطاوس ان في ذلك صعوبة كلية لان نهر النيل لا قرار له ولا يمكن لازالة الماء من هذه الخنادق وقت قليل ومع كل ذلك فاني ارى ان من المناسب ان تشتغل كل الفرسان بحفر ترعة وتحول الماء الى جهتها وان كان في ذلك صعوبة كلية ووقت غير قصير . قال وبينما القوم على مثل ذلك واذا بفارس من فرسان ايران قد دخل عليهم وبيده اكرة من النحاس الاصفر مدورة بقدر البيضة مصقولة لا يعرف لها اول من اخر وقال له اعلم ياسيدي اني بينما كنت هذا اليوم في القتال مع رفاقي واذا بهذه الاكرة وقعت الى جانبي موجهة الينا من جهة الاعداء اي من على الاسوار القائم الاعداء عليها ولا اعلم السبب وانها نزلت نزولاً بطيئاً يظهر منها ان موترها لم يقصد بها ضرر احد والا لو ضرب بها احداً لاماته دون شك ولو وقعت على اربعة اشخاص لاهلكتهم لا محالة ولهذا ارى ان لها حديثاً لا بد من ظهور نتائجه وقد اتيت بها الى حضرتك تنظر في امرها فاخذها الملك من يده متعجباً وقد نظر فيها وتحير من امرها لانه راها ملساء مسقولة لا باب لها ولا ثقب فيها ودفعها الى طيطلوس لينظر ايضاً فيها فاخذها منه ونظر فيها وقلبها بين يديه فلم يرَ سبباً للظن فيها وقال لا اعلم ما القصد منها وما هو السر فيها واخذها من بعده دوش الراي وفيروزشاه وبقية الفرسان والعيارين فما قدر احد منهم ان يعرف سبباً او سراً لهذه الاكرة وكان بهروز ينظر اليهم منتظراً ان احداً منهم يكشف امرها فلم يتوفق الى اتمام انتظاره ولذلك اخذها بيده وتاملها صاغياً . ثم قال ان صدق ظني يكون داخل هذه الاكرة تحرير مرسل الينا من داخل المدينة وسوف تظهر لكم القضية بجلاء . ثم قبض الكرة بيديه الاثنين وشد باحداها الى صدره وعاكس بالاخرى فانفتل وسط الاكرة وبان انها مركبة ببرغي وداخلة بعضها ببعض بحيث لا تظهر للعيون فتعجب كل من حذاقة بهروز وانتباهه . وبعد ان فتح الاكرة تماماً تبين ان داخلها ورقة مكتوبة ومختومة ومعنونة باسم الملك ضاراب فناوله اياها فاخذها ودفعها الى طيطلوس ليقراها يراها من الخواجه ليان وما ياتي صورتها

من عبدكم ليان وزير الشاه سرور الى سيدي ومولاي الملك ضاراب ابي سيدي فيروزشاه

اما بعد ذكري لاسمه تعالى واتكالي عليه اقول . اني في ليلة امس دعاني الشاه سرور اليه للمخابرة في شانه وشان تخلصه من المدينة اذا تسهل لكم الدخول الى المدينة وقد اشار عليه طيفور بانه اذا

بانت لكم علائم الانتصار واخذتم في ان تدخلوا المدينة نجا بنفسهِ مع وزيره وانا دون ان يعلم احد ويكون مسيره الى بلاد الرومان الى قيصر الملك الاكبر يحتمي عنده ويستعين بهِ عليكم وكان طيفور هو الذي هوّن عليهِ طرق الفرار وادخل في عقلهِ سهولة المسير الى هناك واقنعهُ بان الملك قيصر يقدر ان يردكم عنهُ ويمنعكم عن ان تجبروه الى زفاف بنتهِ . ولما انتهى الامر واتفقنا عليهِ قال الشاه سرور ان مرادي اذهب الى الوليد الى قصره الان واستخبر منهُ عما جد في هذه الليلة في معسكر ايران لانهُ اخبرني ان عنده عيار اسمهُ روضة يذهب كل ليلة من دهليز في قصره الى النيل فيخرج منهُ ويختلط بين الاعداء فيقيم ساعة او ساعتين ويعود اليهِ باخبارهم وبماذا يفكرون وعلى ماذا يعولون ولا ريب في انهُ ذهب هذه الليلة حسب عادتهِ واني اعلم ان الوليد ينتظره . فاجبناه في الحال وسرنا الى ان دخلنا الى قصر الوليد وكان الوقت اذ ذاك نحو الساعة الرابعة من الليل فوجدناه قائمًا في بيتهِ لوحده منتظرًا اخبار عياره فتلقانا وبعد ان سلمنا عليهِ قال لهُ الشاه سرور اني فرح غاية الفرح لاننا في هذين اليومين ثبتنا وهلك من الايرانيين جانب غير قليل . قال واني مثلك في هذا الامر وقد ندمت على خروجي الى خارج البلد بل كان من الواجب مقاتلتهم ونحن في بيوتنا وعلى اسوارنا وفي هذه الطريقة كنا قهرناهم واهلكناهم فيئة بعد فيئة والان اني موقن اننا اذا قاتلناهم شهرًا على هذه الحالة افنيناهم عن اخرهم ففي كل يوم يموت قوم بسهامنا وليس لهم سبيل لان يصلوا الينا وتظهر فرسانهم عظيم شجاعتهم فينا واقل واحد منا يقوم مقام اعظم فارس منهم لا سيما وان عندي عيار امين صادق يذهب كل ليلة ويأتيني بالاخبار عنهم وعما يزمعون ان يجروا وبماذا يتكلمون وقد اخبرني في اليومين القادمين انهم مضطربون لاجل النقص الذي وقع فيهم وبينهم وقد ذهب الليلة ولم يعد وميعاد ذهابهِ الساعة الثالثة من كل ليلة فيعود في الساعة الخامسة الى السادسة والا انا بانتظاره فلا يمضي ساعة الا ويأتينا الخبر عما يراه بين الفرس . واقمنا عند الوليد نحوًا من ساعة ونصف ونحن نذكر هذه الحرب وما كان منها وان الامل ان يفيد الحصار اكثر من القتال والهجوم خارج البلد وفيما نحن على مثل هذه الاحاديث واذ سمعنا من داخل خزانة موضوعة في زاوية غرفة الوليد التي نحن فيها ثلاث دقات خفيفة تنبيهًا لهُ فتقدم من الخزانة وفتح بابها واذا بروضة العيار خارج منها فثبت ان هذه الخزانة هي باب الدهليز الموصل الى الخارج وان روضة يذهب اليكم من هناك . فلما وقف روضة بين يدي سيده اخبره بكل ما سمعهُ عن جيوشك وما تكلتم بهِ من اضطرابكم من الحصار وكمية العدد الذي نقص منكم في اليوم نفسهِ . فلما سمعت منهُ ذلك اغاظني الا اني سكت وصغيت لما كان يدور من الكلام بين الوليد والشاه سرور ولما كان اخر الليل ودعنا الوليد وخرجنا وانا افكر بامر روضة العيار وما كان منهُ وما لبثت افكر في هذا الامر الى ان خطر لي ان اعلمكم بهِ واذ لم يكن عندي من ابعثهُ اليكم بمثل هكذا رسالة خطر لي ان ابعثها ضمن اكرة من النحاس ومتى وقعت بينكم

لا بد ان نتعجبوا منها فتفتحوها وتعلموا ما اقصد منها ولذا السبب ذهبت الى النحاس وطلبت اليهِ ان يصنع لي اكرة على النسق الذي اشرت اليهِ فعمل لي حسب مطلوبي فاعجبتني ولذلك كتبت هذه الرسالة ووضعتها داخلها وقفلتها فلا يظهر منها الا انها قطعة واحدة على امل ان اذهب في الصباح الى الاسوار عند اشتباك القتال واضعها في قوس واوتره فتقع عندكم وفي ظني ان من وقعت بيده يطلعكم عليها ويدفعها اليكم وجلّ الغاية منها انكم في هذا المساء وفي المساء الذي بعده تنتظرون الساعة المعينة وتترصدون هذا العيار الذي ذكرتهُ لكم فاذا قبضتم عليهِ وتهددتموهُ دلكم على الطريق الذي يدخل و يخرج دائمًا منهُ و بواسطة هذه الطريق تتوصلون الى فتح المدينة بكل سهولة فتدخلونها وتملكونها وتنتهي هذه الحرب المهلكة و بغير ذلك لا سبيل للنجاح مطلقًا لان الاسوار متينة جدًّا وخنادق الماء تحميها من هجماتكم عليها يوميًا والسلام مني مشفوعًا بتقبيل اياديكم وايادي ولدكم سيدي فيروزشاه

فلما سمع الحاضرون والملك ضاراب هذا الكلام فرحوا غاية الفرح وتعجبوا من ذكاء الخواجا ليان كيف انهُ اتخذ هذه الطريقة لايصال الخبر اليهم باسرع ما يمكن قبل وصول روضة العيار اليهم . ثم انعم الملك ضاراب على الذي جاء بالاكرة واصرفهُ ودعا اليهِ العيارين باجمعهم وقال لهم اسرعوا الى حدود معسكرنا واكمنوا متفرقين في تلك الجهات عساكم ان تقبضوا لنا في هذه الليلة على روضة العيار فتاتونا به ويكون الفرج بواسطته فاجابوهُ بالحال واسرعوا فاكمنوا كلٌّ الى ناحية وهم شبرنك والاشوب وطارق وبدرفتات وبهروز وشياغوش وجعلوا ينتظرون مجيء هذا العيار ولم يكن الا القليل حتى نظر بهروز في الجهة التي هو كامن فيها رجلاً ينساب كالافعى تحت ذلك الظلام الحالك وهو آت من جهة المدينة الى نحو معسكرهم فقال لا ريب ان هذا هو المطلوب فصبر الى ان قرب منهُ فتاكده عندما راه لابسًا ملابس الدراويش انما لم ياكد وجههُ لاشتداد الظلام فتاثره ليرى اي جهة يقصد فراه قد جاء الى جهة صيوان الملك ضاراب فزاد عنده التاكيد ولذلك انقضّ عليهِ انقضاض الباز وقبض على عنقهِ وصاح فيهِ وقال لهُ ويلك يا روضة انظن ان عياري ايران غافلون عنك ساكتون عن عملك وانت في كل ليلة تطرق جيشنا غير حاسب لاحد منا حسابًا فسوف ترى ما يحل بك فخفق قلب روضة عند سماعهِ كلام بهروز وعرف ان امره قد ظهر الا انهُ قصد المحاولة والتملص . فقال اي روضة تعني واي عيار هنا فانا درويش من عباد الله وقد جئت النهر فاستقيت وعدت اقصد البراري وكان مروري عليكم من نوع الصدفة تقريبًا لطريقي واني اقصد الخلاء واسافر من بلد الى اخر فاتركني والا اذا عرف ملككم بحالي وانك تعرضت لي واهنت رجال الله غضب منك وجازاك شرّ المجازاة . قال صه يا روضة ولا تطمع انك تخلص بالحيلة فما انا ممن يحتال عليهم فان كنت لا تعرفني فلا بد ان تكون قد سمعت بذكري فانا

بهروز عيار فيروزشاه فاذهب امامي الى حضرة الملك ضاراب فهو حليم كريم علة يقربك الى استاذك طارق وتكون من خدمهِ وتنال انعامهُ

فخفق قلب روضة عند سماعهِ كلامهُ وقد خاف ان يمتنع او يكابر فيقتلهُ انما سار معهُ وهو يقول لهُ الان تجلى الحقيقة وتعرف اني لست بروضة العيار ولا زالا سائرين الى ان اتيا صيوان الملك ضاراب فوجداه قائمًا فيهِ كالعادة وحولهُ جميع فرسانهِ وابطالهِ وهم بانتظار عودة العيارين اليهم فدخل بهروز قابضًا على روضة الى ان وقف بين يدي سيده فقبل يده وقال لهُ قد اتيتك بهذا الخبيث الذي نحن بانتظاره كي تنتقم منهُ فهذا هو العيار روضة عيار الوليد وقد جاء بصفة درويش ففرح بهِ وقال لهُ ما هذه الاعمال يا روضة اما عرفت بعمل استاذك طارق ورفيقك بدر فتات وهما الان عندي باعزاز واكرام يخدمانني بامانة فكان من الواجب ان تسرع من زمان اليَّ وتشد وسطك في خدمتي فيكون لك الخير الغزير وتنال الالتفات الذي نالهُ سواك. قال واين روضة يا سيدي فانا درويش اعبد الله ولا اعرف روضة ولا احدًا اسمهُ روضة واني ادعو الله ان يخلصني منكم فلا توصلوا اذاكم اليَّ وانا بريء لا ذنب لي. قال لا تطمع في المحاولة فما من سبيل لخلاصك من ايدينا لا سيما وان عندنا من يعرفك حق المعرفة. ثم امر الملك ان تجمع العيارين اليهِ فسارت الرسل اليهم وجاءت بهم ولما راى طارق روضة عرفهُ حق المعرفة فقال للملك ضاراب هذا هو روضة بعينهِ يا سيدي فلم يعد حينئذ في وسعهِ الانكار وقد علم ان حالهُ ظهرت حق الظهور ومالت نفسهُ الى ان يقيم عند الملك ضاراب بين يدي استاذه الذي علمهُ هذا الفن وقدمهُ فيهِ. وفي الحال تقدم من الملك فقبل يده وقبل يد طارق وقال لهُ لا انكر جميلاً حملتني بهِ ومعروفًا عرفتهُ منك منذ القديم وها انا بين يديك فاصلح امري عند سيدي الملك ضاراب وتوسط لي بالرضا عني فاقيم عندكم ومعكم واست انا بافضل منكم. قال لهُ ان سيدي الملك حليم عادل لا يحب ان يرجعك قاصدًا بالخيبة فادخل في خدمتهِ ترى منهُ كل ما يسرك ويرضيك والا فانهُ يميتك لا محالة واي شيء عدت ترتجي من مصر وهي في حالة الخراب والوليد سينقضي عمره بعد قليل من الايام وتملك الفرس بلاده وملكهُ ويزول سلطانهُ فاجاب روضة وعرض خدمتهُ على الملك فقبلهُ وقال لهُ قد صرت منذ الان من روساء عياري بلادي وسوف البسك الثوب المخصوص المرصع واعطيك الخنجر الفارسي الغزير الثمن وارتب لك المرتبات الغزيرة فتعيش كامير من الامراء الكبار مثل طارق وبدر فتات انما اريد منك الان ان تهدينا الى الدهليز الذي خرجت منهُ وهل يمكن ان يسير فيهِ اكثر من واحد. قال هو دهليز واسع يا سيدي يمكن ان يسير فيهِ الرجل واقفًا دون ان يلاقي صعوبة البتة فهو يبتدي من خزانة في غرفة الوليد قد عملها لاخفاء خبره عن اعين الناظرين وينتهي الى اسفل سور عند حافة النيل وبابهُ من هذه الجهة ضيق جدًّا بحيث لا يمكن للرجل ان يدخل منهُ الا

زاحفًا على بطنه وهو مسدود بحجر فاذا قصدت الدخول منه رفعت الحجر فدخلت ثم عدته كما كان فلا يظهر للناظر قط ان هناك منفذ وهكذا كنت افعل دائمًا عند ذهابي وايابي . قال وكيف كنت تجتاز النهر قال كنت اصحب معي قطعة من الخشب السميك كون النهر من تلك الجهة ضيقًا فالقيها على ضفتي النهر واجتازه ومتى عدت رفعتها وادخلتها الى الدهليز فتبقى الى اليوم الثاني وهي الان في مكانها فعند عودتي ارفعها . قال الملك ان كنت قد رغبت في ان تكون من عياري بلادي يجب عليك ان تقسم لي الاقسام العظيمة وتعدني صادق الوعد انك تكون امينًا صادقًا لا تخون باحد من رجالي واتباعي ولا تبح بسر من اسراري . قال اني اقسم لك بالله العظيم والرب الكريم ان لا اخون لك عهدًا ولا انكر جميلاً ولا اذكر سرًّا بل اكون امينًا على خدمتك صادقًا فيها وسوف تظهر لك الايام ما انا قائله الان

و بعد ان اخذ عليه الملك ضاراب العهود والمواثيق قال له اريد منك ان تذهب امام فرساني وابطالي في هذا الدهليز الى ان تدخلهم قصر الوليد ومن ثم تدلهم على طرق الابواب ليفتحوها فندخل ونملك المدينة في هذه الليلة ونخلص من هذه الحرب ويكون لك بذلك الخير العظيم . قال حبًا وكرامة فاني مستعد لقضاء ما تامرني به ولا تمضي هذه الليلة ما لم تدخلوا المدينة وتقبضوا على الوليد وينتهي الامر على احب ما ترغبون . وحينئذ دعا الملك بهزاد وفرخوزاد وكرمان شاه وخورشيد شاه و بيلتا وبهمنزا رقلى وطهمور ومرادخت الطبرستاني وشبر بن الشيلي الطلقاني وتمام الثمانين فارس من اقوى فرسان ايران وقال لهم سيروا انتم خلف هذا العيار فادخلوا معه الدهليز ومتى قبضتم على الوليد فاسرعوا الى الابواب من اقرب طريق دون ان تباشروا عملاً فنكون نحن على الابواب . وفي مقدمة العساكر ولدي فندخل المدينة ونملكها ولا نبقي على عاص فيها ونكون اذا اراد الله في الغد حكام مصر فنجازي المعتدين على افعالهم واعمالهم . فاجابوا طلبه واسرع كل الى عدته فلبسها ونقل سلاحه وتعدد للقتال وودعوا الملك ضاراب وساروا خلف روضة وامامهم بهروز العيار حاملاً الشموع ليعلقها في الدهليز ولما وصلوا النهر قطع روضة اولاً على الخشبة التي كانت موضعة اشبه بجسر فوقه وخلفه بهروز ومن ثم صارت الفرسان تاتي واحدًا بعد واحد الى ان صار الكل في الضفة الثانية قرب السور فتقدم روضة الى حائط السور واخرج منه حجرًا كان مسدودًا به باب الدهليز فبان من خلفه خلاء طويل متسع فدخل روضة وفي اثره بهروز كفرخ الجان لا يفارقه دقيقة واحدة وقد وجد ان جوف الدهليز واسعًا فجعل يلصق الشموع منيرة في جدرانه لترى الفرسان طريقها فتدخل بسهولة فدخل في الاول بهزاد ومن بعده اخواه ودخلت الفرسان واحدًا بعد واحد فيدخلون في الاول زحفًا الى ان يصلوا الى الداخل ومن ثم يقفون ويسيرون الى ان صار الجميع داخل الدهليز فمشوا فيه على انوار الشموع التي كان بهزاد ينيرها ويعلقها في

الحيطان حتى وصلوا الى اخر الدهليز فوقفوا هناك ومن ثم ضرب روضة على باب الخزانة ثلاث ضربات كعادته وفتح الباب فصار داخل الغرفة فوجد الوليد بانتظاره وقد ساءه ابطاؤه فقال له لما هذا الابطاء وما وراءك من الاخبار . قال اعلم يا سيدي ان عياري ايران عرفوا بامري فقبضوا عليّ وقادوني الى الملك ضاراب وانا احاول الخلاص منهم مدعيًا باني درويش فلم يصدقوني ولا سيما طارق فانه عرفني حق المعرفة فعولوا على قتلي او اني انضم الى عياريهم واخدمهم كغيري فلما رايت ان لا خلاص لي الا بخدمتهم فاجبتهم اليها ووعدت الملك ضاراب بصدق الخدمة . فهل اخطات يا سيد بهذا الوعد . قال كلا لانك لو لم تعده بمثل هذا الوعد لما ابقى عليك فنعم ما عملت قال و بعد ذلك عدت من الدهليز الذي ذهبت فيه وقد اصحبني بهزاد الايراني وطلبت اليه ان يرجع فلم يقبل بل قال لي ان مراده يواجهك و يسالك عن رفيقه سيامك سياقبا لانه ابقاه امانة عندك الى حين رجوعه وها قد رجع فارتجف الوليد عند سماعه بذكر بهزاد وخفق قلبه وصاح اين هو الان واذا ببهزاد قد قفز من داخل الخزانة الى ارض الغرفة مشهرًا بيده السيف وهو يقول هانذا هو ثم تبعه فرخوزادو بيلتا و بقية الفرسان فغشي على الوليد وتيقن الموت والهلاك . وفي الحال ربطه بهزاد ووكل فيه اثنين من الفرسان وقال لروضة انطلق بنا الى الابواب فان فيروزشاه بانتظارنا عندها مع عساكر ايران . ومن ثم ساروا الى جهة الابواب وكان الناس اذ ذاك نيام فلم يشعر بهم احد وان صادفوا احدًا قتلوه حتى انتهوا الى الابواب فقتلوا الحراس القائمة لحراستها واذا بفيروز شاه واقف عند الباب الكبير مهيء للهجوم فعند فتح الباب التقى ببهزاد فسالهُ عن الوليد فاخبره بانهم قبضوا عليه فهجم على المدينة عند ذلك وامر الفرسان ان تتفرق في نواحيها وتملك الاسوار ومن مانع قتلوه وان لا يشرق النهار الا والاعلام الفارسية تخفق فوق اسوار مصر

قال واندفقت عساكر الفرس كالبحور الزواخر وهي تصيح وتنادي بالاستبشار والانتصار وانتشرت في اسواق المدينة وفاجئت عساكر الاسوار فضربت فيها بالصارم البتار واجرت ادميتها كالابحار ودخلت التكن فتملكتها واهلكت من فيها واقام في المدينة الصياح من كل جهة وناح وتاكد اهلها ان الاعداء دخلوها وفتحوا ابوابها فارتعبوا وخافوا وقفلوا ابوابهم واقاموا داخلها وكان الملك ضاراب قد اوصى فرسانه ان لا يضر احد بالاهالي ولا ينهب من المدينة شيئًا ومن خالف وصيته جازاه بالقتل انما كان معظم الذبح والقتل واقع في عساكر اليمن وعساكر مصر ومن بقي في المدينة من المنتصرين لها وقد قبض على كثيرين من الامراء والفرسان ومن مانع قتل وذاق الممات . ودخل الملك ضاراب بحاشيته ووزرائه الى قصر الوليد فجلس في عرشه وهو محفوف بحرسه الخاص ينتظر عودة فرسانه اليه عند فراغهم من العمل والاستملاك وهو في فرح لا يوصف بهذا النصر العظيم وقد ظن من نفسه ان الحروب قد انتهت وانه وصل الى الحد الاخير منها وكان لا يعرف

ماذا عملت فرسانهُ وماذا جرى على الوليد وغيره من الامراء والسادات وكان يسمع صياح فرسانهِ وابطالهِ تنادي بالنصر والظفر وعساكر مصر تستغيث مستجيرة من هول تلك الليلة ولا زال القتل في الثكن والاسوار عاملاً الى حين بزوغ شمس النهار وقد اشفى فيروزشاه غليلهُ واروى ظماء فوادهِ وفعل مثلهُ بهزاد ليث الطراد وبقية الفرسان الاجواد حتى اصبحت اسواق المدينة عبارة عن اقنية وخلجان تسيل بها ابحر من الدماء . وفي الصباح رفعت السناجق الفارسية على كامل الاسوار ولم يبقَ من مكان الا وتملكتهُ رجال الفرس ووضعت سلطتها عليهِ وقد قبضوا على كثير من الامراء والاعيان فاودعوهم السجن ومنهم الوليد وسيف الدولة حاكم ملاطية وغيرهما من المشاهير وعند الصباح اتى الفرسان الى قصر الاحكام حيث كان الملك ضاراب قائمًا وكلهم يهنئونهُ بالنصر والظفر ووردت عقلاء البلد يقدمون لهُ طاعتهم ويستامنونهُ على اموالهم وارواحهم فوعدهم بكل جميل وامنهم وقال لهم لا باس عليكم فاني لا اريد لكم اذًى وما دخلت المدينة الا بعد ان حذرت رجالي من الاستبداد والتطوح الى الاضرار باحد وما اقصدهُ هو شيء واحد لا اريد سواه وقد مانعني فيهِ حاكمكم وعسكرهُ ولذلك كان هو المقصود من حربي فمن كان طائعًا حرم قتلهُ فاذهبوا وانشروا في المدينة واسع حلم رجال فارس واخبروا قومكم ان يخرجوا الى اشغالهم واعمالهم لان لا حرب عليهم ولا مانع من وجودنا بينهم يمنعهم عن البيع والشراء فمن من عساكري ابتاع شيئًا دفع ثمنهُ باكثر مما يساوي ومن من رجالي تعدى على احد او اختلس احدًا ابارة او طمع باحد او نظر الى امراة فارفعوا اليَّ امره فاني اجازيهِ بالقتل عبرة لغيره . فمدحوا من عدله وشكروه على حلمهِ وعادوا من امامهِ وهم يامرون الناس بان تخرج من بيوتها وتعود الى مصالحها وبلغوا الكل امر الملك ضاراب وحكوا كلامهُ فاخذت الناس تاتي حاناتها ودكاكينها آمنة من الظلم والاستبداد فرحة بالخلاص من ويلات الحرب

وفي اول كل شيء طلب الملك ضاراب ان يوتى بالشاه سرور ووزيره طيفور فذهب الشرط الى قصرها فلم يروها فعادوا واخبروه بغيابها فتكدر وسال ان كان احد راها فلم يرَها احد وامر ان يفتش في المدينة عليها ونظر ايضًا فلم يرَ ولده فيروزشاه قد عاد مع بقية الفرسان فسال عنهُ فقيل لهُ دخل قصر بنت الوليد الموجودة فيهِ عين الحياة فامر طيطلوس ان يذهب الى هناك وينظر اذا كان الشاه سرور وطيفور هناك وقد ظن انهُ اختبأ عند بنتهِ وامره ان يقبض عليهما ويأتي بهما فسار واصحب معهُ بعضًا من الفرسان الى ان دخل القصر فوجده على غير انتظام ووجد فيروزشاه داخل غرفة من غرفهِ يبكي وينوح ويندب ويتحسر ويتوعد حتى كاد يفقد عقلهُ فدنا منهُ وقد علم ان عين الحياة غائبة عن القصر فرفعهُ ونصحهُ السكوت والصبر وقال لهُ ان كانت عين الحياة قد سارت من هذا القصر فلا بد ان تكون في المدينة وعلينا ان نامر بتفتيش البلد ونعد من تكون

عنده و ياتينا بها بالاموال الغزيرة فنهض فيروزشاه عند سماعهِ هذا الكلام ومسح دمعتهُ وهو يتحسر ويتحرق

قال وكان فيروزشاه بعد ان فرغ من القتال ووضع الراية الاولى فوق الاسوار وبان نور النهار قصد قصر ابنة الوليد لانهُ كان يعرفهُ حق المعرفة من ليلة جاء اليهِ مع بهروز فدخلهُ وامر الفرسان ان تسير الى ابيهِ ولما صار ضمنهُ فتش على عين الحياة فلم يرَها فخفق قلبهُ وسال عنها بنت الوليد . فقالت لهُ اني في اول الليل كنت واياها فصرفنا قسماً من السهرة مع بعضنا نردد ذكركم وحديثكم اذ لم يكن لنا حديث غيرهما ثم افترقنا وكل واحدة دخلت الى غرفتها للمنام ولما ارتفع الصياح وعلت اصوات رجالكم عند دخولكم المدينة انتبهت خائفة واسرعت الى غرفتها فلم اجدها فسالت عنها فلم يعلمني احد خبراً يتعلق بها ولا راها احد . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام شعر بانسلاخ روحهِ من جسده وتاكد وقوع فراق اخر جديد لم يكن في الحسبان وجعل يندب حظهُ وقد فقد صبره وعدم قواه عندما فكر انهُ بعد كل هذه المصائب لا يرى عين الحياة ولا يقدر ان يكلمها بكلمة او ينظر اليها نظرة وبقي على ذلك الى ان جاء طيطلوس فاخذه وجاء بهِ الى ابيهِ واعلمهُ بغياب عين الحياة فنما غيظ الملك ضاراب وقال لا ريب ان الشاه سرور فرَّ بينتهِ وقصد جهة الملك قيصر يحتمي بهِ كما كتب لنا وزيره الخواجه ليان هذا اذا لم يكن مختبئاً في المدينة واني اقسم بالله العظيم رب موسى وابرهيم الخليل انهُ ان سار الى ما وراء جبال قاف تاثرتهُ وانزلت بهِ العبر لاني اقسمت واثبت الان قسمي اني لا بد من ان اميتهُ شرّ ميتة واجعل الغربان تاكل لحمهُ . ثم امر المنادين ان تنادي باسواق المدينة ان كل من عرف خبراً عن الشاه سرور ووزيره طيفور واعرضهُ على الملك اجزل عطاءه وغمره بانعاماتهِ ومن جاءه بعين الحياة او يعلم عنها خبراً استوزره وخيره بان يعطيهُ كل ما يطلب منهُ فاخذ المنادون ينادون في البلد ودار التفتيش في كل مكان وبعث الملك ضاراب بالفرسان الى البراري والطرقات تسال وتفحص علهُ يقدر ان يعرف خبراً عن خطيبة ابنهِ او ابيها

قال وكان السبب في غياب الشاه سرور انهُ كان نائماً تلك الليلة في قصره وليس عنده علم بما كان من تدبيرات العناية وهو يؤمل النجاح والخلاص من اعدائهِ بمداومة هذا الحصار فلم يشعر الا وهلال العيار ينبهه بعجلة كلية وقد قال لهُ هيا يا سيدي قم بنا لننجو من المدينة فقد دخلتها الاعداء واذا بقيت في مكانك قبض عليك وهلكت لا محالة فنهض مرتعباً خائفاً لا يدري ماذا يصنع وقال لهلال من اين ذلك وكيف السبيل الى الخلاص قال اني قلقت ولم ياخذني نوم فخطر لي ان انزل الاسواق علي اقف على خبر جديد او ان ارى عياراً من عياري ايران فنزلت السوق وطفت قليلاً فصادف مروري من قرب باب المدينة الكبير واذا بجماعة من الفرسان يتقدمون نحوه فصبرت

انظر الخبر وقد اخفاني الظلام ولم يرني احد واذا ببعض من فرسان ايران قد تقدموا من الباب فقتلوا الحراس وفتحوه وبعد ما فتح الباب سمعت صوت فيروزشاه ينادي فثبت عندي ان الاعداء فازوا بالنصر وانهم يقبضون على كل من في المدينة انما لا اعلم كيف دخل اولئك الفرسان الذين فتحوا الباب واذ كنت موكداً انك ان وقعت بايديهم قتلوك اسرعت بالعجل لاخذك وانسل بك من بين الاسواق الى الخارج بينما تكون فرسان الفرس مشغلة باستلام القلاع والاسوار فاعجل بالمسير قبل فوات الفرصة والا هلكنا وراحت ارواحنا . ثم ان هلالا ايقظ الشاه سرورا واولاده واخذوا كل ما يحتاجون اليه ونزلوا من القصر يتلصصون بين الاسواق وقد قال طيفور انه كان من الواجب ان نحضر معنا عين الحياة فلا نتركها هنا عرضة لهم فيزفونها على فيروزشاه . فقال هلال لا يمكننا ذلك قط فان عين الحياة في قصر طوران تخت والفرصة لا تمكنا من الوصول اليه حتى ولو وصلنا اليه فلا تاتي معنا ولا نقدر ان نجبرها فتروح ارواحنا بسببها ففوزوا بنا الان قبل اظهار امرنا . ثم تقدم الى جهة باب من ابواب المدينة صغير ففتحه وخرجوا منه واستلموا البر وقد جاءهم هلال بالخيل فركبوها وفروا يركضون وقد فرحوا بالخلاص والنجاة وداروا بوجههم الى جهة بلاد الرومان الى بلاد الملك قيصر يلتجئون عنده ويعرضون عليه حالهم وما اشرقت شمس نهار اليوم التالي الا وكانوا قد بعدوا عن مدينة مصر بعداً عظيماً لا يمكن لحاقهم بوقت قريب وكان كل همهم كيف ان عين الحياة بقيت داخل المدينة وهي قد اصبحت في قبضة فيروزشاه ولا بد له ان يقترن بها في الحال فقال هلال اني اظن ان عين الحياة لا تقبل مع فيروزشاه ان يزف عليها من دون ان يكون اباها حاضراً زفافها لانها عاقلة حكيمة وتخاف من لوم اللائمين ولا ترضى العار والذل . قال الشاه سرور هكذا كان عهدي بها واني اعلم اكيداً انها وان كانت تحب فيروزشاه الا انها تراعيني وتحبني ولا تقبل في اهانتي ولذلك كانت في كل هذه المدة طائعة لامري لا تخالف علي ولا ترغب في غير ما اقوله لها ولا تريد ان تظهر لي محبتها له اعتباراً لي فاذا امتنعت عن فيروزشاه ولم تقبل ان تقترن به الا بحضوري بعث الي يترضاني فامضي اليه ولا ريب انه يعيد الي بلادي وتصلح احوالي قال طيفور كيف نقبل بعد ان كان منه ما كان ووصلت العداوة بينكما الى هذا الحد ان تحضر زفافه او ترضى عنه وهل تظن ان عين الحياة اذا امتنعت عليه يقدر ان يجبرها لاسيما وهو مغرم بها اشد غرام فيلتزم ان يتبعنا الى بلاد قيصر ويحاربنا هناك واذا لم يتبعنا جعلنا الملك قيصر ان يسير اليه بفرسانه وابطاله لان الرومان اشداء اصحاب باس ونجدة فهم اقدر من الفرس على كل حال وذلك ان للملك قيصر ولد جميل الصفات بطل من الابطال فنعرض عليه امر زفافه بعين الحياة وانها تدخل دين النصرانية وتعتمد بجرن المعمودية على زعم انها عرفت الحق فاتبعته وندخل نحن موقتاً بدين النصارى فمتى انتصر قيصر على الفرس رجعنا نحن الى بلادنا وعدنا

الى ما كنا عليه قبل من العبادة وتكون فقط قد خسرنا عين الحياة الا انها تكون قد قرنت بمن هو اعلى شرفًا ونسبًا من فيروزشاه واحب الينا منهُ وليس هو بعدونا وملكهُ اوسع وانفذ كلمة في العالم منهُ . ولا ريب ان الملك قيصر اذا راى تذللنا وخضوعنا بين يديهِ حن لنا فاذا لم تأت الفرس الى بلاده سار هو اليهم وانتزع منهم عين الحياة وارجعنا الى سلطتنا الاولى فدخل هذا الكلام في راس الشاه سرور واعتمد عليهِ كل الاعتماد . وساروا يقطعون الارض وينهبون الطرقات قاصدين بلاد الرومان

فهذا سبب هربهم وغيابهم واما عين الحياة فانها كانت نائمة في فراشها وقد قلقت بعد دخولها الفراش بساعة فاخذت ان تلعب بها الهواجس وتذهب بها من جهة الى اخرى وقد فكرت فيما يكون من امرها اذا دخل الايرانيون البلد واستولوا عليها عنوة وكانت تحب من كل قلبها ان تعرف ماذا يكون من امر ابيها معهم وبماذا يعاملونهُ هل يقتلونهُ ام يذلونهُ ويبقون عليهِ ويصالحونهُ وترجح لديها انهم لا يتركونهُ بدون قصاص ولا يمكن ان يرجعوا اليهِ بلاده كونهم اقاموا عليها غيره ولذلك تكون وان كانت زوجة ملك من اشرف ملوك العالم بنت ملك مطرود ومهان استحوز عليها زوجها بقوة السيف فاذل اباها واخذها بالرغم عنهُ او ربما تيسر لابيها ان يفر من المدينة ويهج على وجههِ في القفار ولا يعرف ابن مكانهُ فتكون المصيبة عليها اشد واعظم حيث ان اباها يكون بعيدًا عنها وتكون في اعين الناس كمغصبة على الزواج فيقال عنها كما يقال عن غيرها بانها قبلت بابعاد ابيها واهانتهِ وباعت بلادها لاجل شهوتها . فهذه الافكار اخذت في ان تكبر وتنمو في راسها حتى زاد بها البلبال فنهضت من الارق وجلست بقرب شباك غرفتها تطلب الى الله ان يلهمها الى ما بهِ الصواب وان لا يبعد عنها حبيبها وان يجعلها بوقت واحد حائزة على الشرف الكامل بحيث لا يهان ابوها ولا يقال عنها انها اخذت سبية وعلى ما ترجو من قرانها بفيروزشاه اذ بذلك يطمان قلبها ويرتاح ضميرها وتكون قد عاشت عيشة ممزوجة بالراحة والاطمئنان والهناء والسلامة . وبينما هي على مثل ذلك بين تيار من الافكار المقلقة واذا بها قد سمعت الاصوات وقد ملأت المدينة وارتفعت الضوضاء بما يشبه الرعود القاصفة فخفق قلبها واضطربت وقالت في نفسها لا بد للايرانيين من ان يكونوا قد دخلوا المدينة وحال دخولهم يقبضون على ابي فيعدمونهُ الحياة ولا بد من ان يدخل عليَّ فيروزشاه ليريني سيفهُ وهو يقطر من دم المصريين وربما من دم رجال ابي نعم اني اريد ان اراه على مثل هذه الحالة انما هل تطيعني الانسانية عليهِ وهل يقبل معي ناموسي بان اوافقهُ على ابي وباي وجه يحق لي ان افتخر على سواي من ربات الخدور اذا كنت لا اقدر ان الجم نفسي عن غايتها وارجع بها الى ميدان الفخر والناموس اني قادرة ان انغلب على اميالي واتحمل ثقل بعاد من احبهُ قلبي ولا اقدر ان انكر جميل والدٍ قد رباني وفرضت عليَّ العزة الالهية طاعتهُ فماذا يا ترى

ينبغي لي ان افعل وفيما هي تلبس ثيابها وتفكر خطر لها ان تخرج من القصر وتدخل الى قصر سيف الدولة وتختبئ عند امرائه الى ان ترى ما يكون من امر ابيها فان رات ان الملك صار اب قد صالحة وعفا عنه اظهرت نفسها وسلمتها الى حبيبها والا فتبقى مخفية وتلحق بابيها اذا تيسر لها ذلك ولا تكون سعت من نفسها برغبة الى انفاذ غايات حبيبها وقهر ابيها واهانته

ثم انها انسلت من القصر التي هي فيه دون ان يراها احد او يعلم بها احد فرات باب قصر سيف الدولة مفتوحًا فدخلت فيه واتت غرفة زوجته وكانت مستيقظة وقد خرج زوجها من غرفتها لداعي الصراخ والصياح وهم باضطراب وارتباك لانفتاح المدينة وامتلاكها من الاعداء فلما وصلت اليها رمت بنفسها بين ايديها وقالت اريد منك ان تكتمي امري وتخفيه عن كل احد حتى وعن بعلك والله يجازيك عني خيرًا فانبهرت تلك من عملها وقالت لما ذلك ولما تخافين لان هذا الفتح لاجلك ولاجل هناك وسرورك فستكونين سائدة على كل هذه البلاد ومالكة رجالها ونساءها وتتزوجين باكمل رجل في العالم وكيف تابين ذلك وقد سمعتك مرارًا تتحسرين عليه وتبكين من اجله وطالما تمنيت حسم هذه الحرب وقربك من فيروزشاه فاختفائك هذا مما يزيد في اكدار الجميع ولاسيما خطيبك فيراه عليه اكدارًا واحزانًا . قالت اني طالما طلبته واريده ولا زلت اطلبه برغبة واهتمام ومحبتي باقية على ما هي بل انها اخذت في النمو يومًا فيومًا الى ان بلغت حد الجنون انما قصدت ان اختفي لاعلم ماذا يكون من امر ابي معهم فاذا قبضوا عليه اظهرت نفسي وطلبت له من فيروزشاه العفو والتامين واذا هرب ونجا بنفسه ابقى مختفية والحق به ولا اترك زواجي يتم على هذه الحالة ما زلت قادرة على المنع وعلى ان لا اكون سبية وانما اذا وقعت بيدهم فبالرغم عني التزم ان اسكت عن هذه الحالة ولست كغيري ممن لاجل غايتها يهون عليها هلاك ابيها وبلاده . قالت لو كان ابوك وافق حبيبك لما كان سعى وراءه وجسم اسباب العداوة بينه وبينه ولذلك لا يكون فيروزشاه المتعدي . قالت اني اعرف ذلك جيدًا واعرف ان ابي يستحق القصاص منه بالنسبة اليه لا اليّ انما لا اوافقه على قصاصه مهما سعى في عذابي وعذابه كون العناية الالهية ترضى بمراعاة الوالدين وواجبات الانسانية تدفعنا اليها وقد اقبل الموت والعذاب على ان اسعى الى زواجي رغمًا عن ابي فماذا يا ترى يقول اذا عرف به وهو بعيد اليس يغضب عليَّ ويلعني ويشيع كلامه بين العالم فيقال اني قبلت بان اكون مغتصبة سبية وخالفت رضا ابي ولم اكن قادرة على ضبط نفسي الى حين يرضى الله فيجمع بين ابي ومحبوبي او يسمح بما هو فوق الحسبان . واني اخيرًا اطلب اليك ان تخفيني عندك وتكتمي امري عن كل انسان حتى وعن بعلك ايضًا وان تاتيني باخبار الفرس وما يكون من امر ابي فوعدتها باصدق المواعيد ان تبقى محافظة عليها فلا تبح بامرها ولا تعلم بها احدًا الى ان تحتاج اليه . ثم وضعتها في غرفة ملابسها الخصوصية واوصتها ان تبقى فيها اذ لا يدخل اليها

احد غيرها فاقامت تنتظر من الله الفرج وما يكون من امرها

قال وقد نودي في كل المدينة واطرافها وسئل عن عين الحياة وعن ابيها فلم يقف احد على خبرها حتى ثبت عند الجميع ان الشاه سرور ذهب بوزرائهِ و بنتهِ الى جهة قيصر كما كان قد اشار في تحريره الخواجا ليان فاغاظ ذلك الملك ضاراب وفيروزشاه وعظمت عليهِ حالتهُ وفراق حبيبتهِ وكادت الدنيا لا تسعهُ ولعن اباها كيف انهُ يبعده عنها كلما قرب منها واقام على حالتهِ ينتظر اللحاق بها بعد الفراغ من مصر وقد اخذ لنفسهِ قصرًا مخصوصًا يقيم فيهِ بقصد الانفراد والشكوى فعلم ابوه منهُ ذلك وسال طيطلوس ان يلازمهُ و يسليهِ و يعده بتتبع اثارها اينما سارت والى اين رحلت فجعل طيطلوس ينام عندهُ كما كان يفعل في تعزاء اليمن . وفي خلال تلك المدة عقد الملك ضاراب مجلسًا لمحاكمة المعتدين والمحاربين الذين في الاسر واحضر في بادي الامر سيف الدولة وكان كما تقدم قد القي القبض عليهِ فلما وقف في المجلس ادعى عليهِ الملك ضاراب بانهُ يستحق القتل لقيامهِ ضده ومحاربتهِ لعساكره مع خلوهِ من الغرض والمصلحة . فقال سيف الدولة اني لا انكر اني حاربت عساكر ايران انما كان ذلك فوق ارادتي لاني من عمال الملك قيصر ملك الرومان وقد امرني ان اسير الى مساعدة الوليد فسرت بامر آمري وهكذا شأن كل من كان مثلي ولم يكن لي ادنى علاقة مع دولتكم وانما الان وانا راغب في الدخول بخدمتكم فاسالكم العفو عني وان تقبلوني و بلادي تحت لوائكم فارفع لكم الراية الفارسية واعدد لكم جيشي لخدمتكم والقتال معكم فقال الملك ضاراب اني اقبل ذلك لاننا في حاجة اليها كوني عولت على الذهاب الى قيصر في اثر الخبيث طيفور والشاه سرور فبلادك قريبة من هناك فاجعلها مقري ومحط عساكري تخفيفًا لعذابنا في البراري والسهول ثم تقدم الملك ضاراب وحلَّ قيود سيف الدولة وصافحهُ واكرمهُ وتعاهد واياه على الوفاء وعدم الخيانة والمصافاة . ثم اجلسهُ الى جانب وزرائهِ بين ابطالهِ وفرسانهِ وجعلهُ من تلك الساعة عونًا من اعوانهِ . و بعد ذلك جيء بالوليد للمحاكمة مقيدًا فادعى عليهِ الملك بانهُ استعمل كل اسباب العداوة ضده وانهُ قاومهُ وقصد استخلاص خطيبة ابنهِ منهُ ليزفها على ولده مع علمهِ بانها مخطوبة من فيروزشاه وانهُ ساعٍ في مراضاة ابيها على زواجها وقد اجاره ضدنا وحماه منا ووعده بالقيام علينا . فقال الوليد اني لا انكر ذلك وقد سعيت لاخذ عين الحياة زوجة لولدي عندما تاكدت من ابيها انهُ لا يرضى بان يزفها الا على ولدي وقد ساعدتهُ كوني ملك من الملوك الكبار ولي الحق ان انصرف بارادتي كيف شئت حتى وقعت بايديكم وحتى الساعة لا اقبل ان اكون صديقًا لكم بل تروني مصرًّا على عداوتكم كي لا يقال ان خوفي من القتل والقصاص الجاني الى التذلل والخضوع . و بعد ذلك حكم عليهِ المجلس بالاعدام فامر الملك ضاراب ان يسلم الى سيف الدولة وقال لهُ ابقهِ اسيرًا عندك الى ان اطلبهُ منك لاعدمهُ . ثم جيء بفهر ومهر وقهر امراء سيف الدولة وطلب محاكمتهم فوافقوه على

خدمته وان يكونوا كسيدهم من رجاله وابطاله فعفى عنهم واطلق سبيلهم ولم تكن طاعتهم له صحيحة بل ان الاثنين الكبيرين كانا يقصدان خيانته والرجوع عن طاعته والاصغر كان قد اخلص قوله في خدمته ولم يكن يقصد خلاف ما وعد وسوف ناتي على ذكر خبرهم وما يكون من امرهم في غير هذا المكان . وبعد ان انتهى من امرهم امر ان يؤتى بالشاه صالح فحضر بين يديه فطلب ان يجرى قصاصه على تعديه في طلبه بالزواج بعين الحياة مع انها لا تحبه فجعل يرجف من الخوف وقال له بالله يا سيدي ان تعفو عني فاني اذنبت واني اعدك ان لا اعود فاذكر عين الحياة بعد الان وقد كنت احدث نفسي بالمحال ولم اكن اعلم ان وراءها من هو كابنك يحميها عن طمع من هو مثلي واني اعترف امام هذا المجلس اني لا اصلح لها واحرى بي ان اكون عبداً عندها من ان اكون زوجها ثم رمى بنفسه على اقدام الملك ضاراب وبكى فحن له وحركه حلمه وحنوه على الالتفات اليه وقال له اني كنت ازمعت على ان اوقع بك واعدمك على ما وقع منك انما حيث اعترفت بذنبك وعرفت مقامك عفوت عنك وسامحتك بكل ما سبق منك وازيدك فوق ذلك اني اكافئك واحسن اليك واذ كان لا خلف لابيك سواك فاني اعهد اليك بالملك من بعد ابيك بشرط ان تستوزر عندك ابا الخير اللحام وحماه ويكونان مدبرين لامرك فتفعل كل ما يامرانك به لانهما حكيمان عاقلان وان تبقي على اسوار مدينتك اعلام دولتي وتدفع لي الجزية والاخرجة في كل عام . قال اني عبدك وافعل ما تامرني به وتدعوني اليه ثم دعا بابي الخير وابي زوجته وانعم عليهما كثير الانعام واعطاهما مزيد العطاء وشكرهما على فعلهما مع ولده وقال لهما لا تظنا اني اترك جميلاً عملتماه معنا ومن هذه الساعة انتما وزيران في هذه المدينة تدبران امرها وتسوسانها تحت حكومة ابن الوليد ففرحا لانعامه وشكراه عليها وهما لا يصدقان بما وصل اليهما وبانهما صارا من امراء المملكة في الدرجة الاولى وان البلاد اصبحت في ايديهما بعد ان كان احدهما جزاراً والاخر طبيباً واخذا منذ ذلك الحين في معاطاة وظيفتهما يهتمان بامور العباد

وبعد ان جازى الملك ضاراب كلاً على ما استحقه وسجن وعفا وسمح دعا سيف الدولة اليه وقال له اريد منك في الغد ان تذهب الى بلادك وتصحب معك الوليد وتنتظرني فيها الى ان اوافيك لاني ساذهب من طريق الشام الى خلاص احد فرسان بلادي وهو بهمنزار قبا لاني ارغب في خلاصه من هناك وان كان قد الحق به ملك الشام ضرراً قتلته وجازيته على فعله وسرت من هناك في طريقي الى ان اصل الى ملاطية فاستخبر لي انت عن الشاه سرور ووزيره طيغور واسال عن عين الحياة بحيث اذا وصلت اليك تكون قد اطلعت على كل شيء وكفيتني مونة الفحص والتفتيش كوني اريد ان اعرف كل ذلك قبل مباشرة الحرب مع الملك قيصر . قال سمعاً وطاعة واني قبل بزوغ شمس اليوم الاتي اسير بعساكري الى ملاطية فاعدد لكم الذخائر والمؤن وبحال وصولي

انزل الاعلام الرومانية وارفع الاعلام الفارسية واذا عرف قيصر بذلك وقصد حربي بدئت معلة الى حين مجيئكم ومهما اراد الله فليفعل . ثم انهم باتوا تلك الليلة على هذه النية وعين الحياة عند امراة سيف الدولة كما تقدم معنا الكلام وقد عرفت ان اباها فاز بنفسهِ ونجا وقصد بلاد الرومان ليحتمي بالملك الاكبر . فتكدرت في داخلها واحتارت في امرها ماذا تفعل فاذا اظهرت نفسها لا يذهب سيف ان فيروزشاه يطلب ان تزف عليهِ وذلك لا يرضيها وهي على مثل تلك الحالة وان بقيت مختفية طال عذاب حبيبها فيروزشاه ولاقى من اجل فراقها الاكدار والمصائب وذاق الالام والاوجاع ولذلك كانت تصرف ليلها ونهارها مشغلة البال تطلب الى الله تعالى ان يلهمها الى ما بهِ الصواب وما فيهِ صالحها وصالح ابيها وحبيبها ودامت على ما تقدم الى ان جاءتها امراة سيف الدولة واخبرتها بان الملك ضاراب امر زوجها سيف الدولة ان يسير امامهُ في صباح اليوم القادم وانهُ سيتبعهُ من غير طريق فيجتمع الاثنان في ملاطية لمحاربة الملك قيصر وسألتها في ماذا تريد اهل تبقى مصرة على الاختفاء وتسافر معهم الى بلادهم او انها تظهر امرها وتعرض نفسها على الملك ضاراب فارتاعت عين الحياة لهذا الخبر وبقيت نحوًا من نصف ساعة مطرقة الى الارض لا تعي على احد ولا تسمع من احد ولا تعرف بماذا تجيب . وبعد اقداح الفكرة ترجح عندها ان تبقى مختفية وقالت لامراة سيف الدولة اني ارى انهُ من الموافق الان ان لا اعلن نفسي بعد ان تاكد الجميع اني سرت مع ابي فارجوك ان تصحبيني معك دون ان تظهري امري واجعليني كخادمة لك وابقى بين خدمك ووجهي مغطى فلا اظهره ولا اظهر نفسي الى احد الى ان نكون قد وصلنا الى بلادكم ولا بد للملك ضاراب ورجالهِ وفرسانهِ وابنهِ فيروزشاه من ان ياتوا الى ملاطية فاذا جاءوا فحينئذٍ ارى اذا كان يوافق ان اطلعهم على امري فيستدعون ابي ويصالحونهُ واكون قد سهلت بعملي هذا طريق المصالحة وجررت الملك ضاراب وقومهُ الى استجلاب ابي ولا يعرف الا الله ماذا يكون هناك . قالت افعلي كل ما يخطر لك فاني مطيعة لامرك صاغية اليهِ افديك بنفسي وحالي . فشكرتها على كلامها وبقيت عندها الى الغد وفي صباح الغد احضرت الهوادج لركوب امراة سيف الدولة وجواريها وخدمها فركبت وركبت عين الحياة بهودج دون ان يراها احد وسار سيف الدولة بعد ان ودع الملك ضاراب وابنهُ اسد الغاب وبقية الاحباب والاصحاب واخذ الوليد ذليلاً ماسورًا فرفعهُ على جواد وخرج من المدينة وبين يديهِ فرسانهُ وابطالهُ وبهلوانية بلاده فهر وهر وقهر وانطلقوا يقصدون ناحية ملاطية وتلك الجهات فتبطنوا البراري واستلموا الطرقات وسيف الدولة فرح جدًّا باتفاقهِ مع الملك وخضوعه لهُ واتحاده بهِ . وقد عول على خدمتهِ بصفاء باطن وصدق نية وان يجعل بلاده ورجالهُ في خدمتهِ فدية عنهُ وعن رجالهِ وهو لا يعلم بعين الحياة بل كان يفكر في اتخاذ الوسائط والاسباب التي يجب استعمالها للفحص والوقوف على امرها وهل هي عند الملك قيصر

مع ابيها ام لا

قال وبما ان الطريق بعيد على سيف الدولة فلنتركهُ سائرًا في طريقهِ ولنرجع الى الشاه سرور واولاده ووزيره طيفور والخواجا ليان وهلال العيار وداموا على مسيرهم عدة ايام يجدون في السير يعدون انفسهم بملاقاة الملك قيصر ويهتمون في امر مواجهتهِ ويفكرون في ماذا يكون منهُ ولا زالوا مجدين حتى قربوا من العاصمة فدخلوها وهم فرحون بالسلامة والخلاص من مشاق الطرقات وما قاسوهُ منفردين فيها فصادف دخولهم المدينة عند الصباح فدخلوا على الملك قيصر وبكوا بين يديهِ وعرضوا انفسهم عليهِ وعرفوه باحوالهم وشرحوا لهُ امورهم وتقدم طيفور وقال لهُ وبعد ان حلت بنا كل هذه الويلات والمصائب فكرنا ان لا احد بالدنيا يقدر ان يحمينا من سطوة الملك ضاراب الا عظمتكم لعلمنا انكم اوسع منهُ سلطانًا واكثر اجنادًا وافضل عقلًا وحكمة وقد قلت لسيدي الشاه سرور اننا نقصد الملك الاكبر ونتمسك باذيالهِ ونستغيث بهِ ونطلب مساعدتهُ فهو كريم حليم لا يرد خائبًا ولا يرجع قاصدًا فكانهُ منبع النخوة والمروَّة ولا سيما اننا اذا شكينا لهُ حالنا واطلعناه على قصتنا مع فيروزشاه حن لنا وشفق علينا اذا تأكد ظلمنا وربما رغب في ان يزف بنتك عين الحياة على ولده الامير انبوش لانهُ احسن من فيروزشاه واليق منهُ لها ومن الشاه صالح والشاه روز ومن كل الملوك الذين سعوا في زواجها وباعوا ارواحهم بخسة في سبيل الحصول عليها فلم يتيسر لهم ولما وافق على كلامي قصدنا المجيء الى اعتابكم وحاولنا ان ناتي بعين الحياة فلم نقدر لان الملك ضاراب دخل المدينة في وسط الليل وجل اهتمامهِ كان القبض علينا والانتقام منا ومن الوليد فنجونا بانفسنا ولا ريب ان الوليد صديقك وقع بايديهم فاهانوه وقتلوه واتينا نحن اليك نرجو منك اغاثتنا لاننا نتأكد ان الفرس لا بد من ان يتبعونا الى هذه البلاد ويقصدون لنا الشر والاذى ويرمون بنا في وهدة العذاب والموت . وكان طيفور يتكلم وادمعهُ تذرف على خدوده مظهرًا شكواه ووجعهُ فاغاظ كلامهُ الملك قيصر من فعل الفرس بهم وبرجالهِ وبالوليد وقال لطيفور فلتطمئن قلوبكم ولترتح ضمائركم فقد كنت قبل ان تاتوا اليَّ عزمت ان اجمع جيوشي واسير الى الملك ضاراب فانتقم منهُ واجازيهِ على افعالهِ وعتوه واخذ منهُ بثار فرساني الذين قتلهم وبثار تمرتاس الذي غدر بهِ واماتهُ بعد ان انزل بهِ العبر وحشره الى الجبال . والان اعدكم وعدًا صادقًا انهُ اذا لم يات الى هذه البلاد في طلبكم سرت اليهِ بجيوشي وفرساني واهلكتهُ واهلكت ولده ورجالهُ واخذت عين الحياة منهُ الى ولدي انبوش لانهُ كثيرًا ما حدثني بمثل هذا الحديث لما سمع من الركبان والسياح ما هي عليهِ من المحاسن والجمال وكم قد هام بها من امير وملك وقال لي انهُ احق بها من الغير كونهُ ابن اكبر ملوك هذا الزمان واجمل من غيره واشجع عند وقوع الخصام وحيث الان قد صار في وسعنا ان نحصل عليها فلا اريد ان احرمهُ منها وكان ما يمنعني في الاول اني لا اريد ان ازوجهُ بمن هي

من غير دينه . قال طيفور انها تقبل من كل قلبها ان تتنصر وندخل في دينكم كما اننا نحن ايضاً نرغب ولا نمتنع عنهُ فهو الدين الصحيح في هذه الايام وليس سواه من الاديان على صدق لان المسيح هو كلمة الله وهو الذي جاء بالشريعة الالهية فسلمها للبشر واعطاهم العهد والميثاق ليدخلوا الى ملكوته وسلمهم الانجيل ليكون لهم دليلاً فنعم الكتاب وقد درست بهِ كثيراً وطالعتهُ مراراً حتى وعيتهُ جيداً وتاكدت ان الذي لا يتمسك بهِ ويعمل بموجبهِ و يعترف بلاهوت المسيح فهو هالك لا محالة والملك تراني مع سيدي راغبين كل الرغبة في الوصول الى هذا المذهب والاعتقاد بجوهره وعرضهِ والتمسك بفروعهِ واصولهِ فسرَّ الملك قيصر من كلامهِ ومن سعة علمهِ واطلاعهِ بدين النصرانية وحمل كلامهُ على محمل الصدق ولم يعلم ما هو عليهِ من الخباثة والخداع والاحتيال . وفي الحال امر ان يعطى للشاه سرور قصر من قصوره الخاصة وان تقام لهُ فيهِ الخدم والعبيد . فسروا بذلك مزيد السرور وفرحوا غاية الفرح وا ملوا النجاح والتوفيق وقد قال طيفور للشاه سرور الم اقل لك يا سيدي ان الملك قيصر يقبلنا وانهُ هو وحده الذي يقدر ان يخلصنا من سطوة الملك ضاراب ومن ظلمهِ ولا ريب بعد قليل من الايام ان ترى بعينيك فيروزشاه مجندلاً على وجه الصعيد تنهش الغربان لحمهُ ومثل ذلك يصير في بهزاد والملك ضاراب وبروق ما تعكر من صافي عيشك وترجع الى بلادك وتحكم فيها كما كنت حاكماً قبلاً ولا بد لنا عند رجوعنا اليها ان نمسك الشاه سليم الخائن الناكث ونجازيهُ على فعلهِ وعلى ما اظهره ضدنا من العداوة و بعثان عساكرنا الى قتالنا وانضمامهم الى عدونا . قال هذا لا بد لنا منهُ اذا تيسر لنا ان نرجع الى تعزاء اليمن انما دون ذلك اهوال جمة ولا يخطر ببالي قط ان الملك ضاراب يقصد هذه البلاد بعد حصولهِ على عين الحياة وزواجها بابنهِ قال اني اوكد لك ان عين الحياة لا ترضى بان تزف عليهِ وانت غير راضٍ عنها ومع كل ذلك فانهُ وان اقترن فيروزشاه بعين الحياة لا بد لهُ من تاثرنا والسعي خلفنا لانهُ مصرٌّ على هلاكنا لا يمكن ان يعفو عنا ولو كنت اعلم انهُ من الملوك اصحاب الرحمة والشفقة لكنت اطعتك من الاول الى مصاهرتهِ والتقرب منهُ وجل غايتهِ هلاكنا فكيف نسلم بانفسنا لهُ وسوف ترى ذلك وتعلم صدق قولي على انهُ ولو فرض انهُ لم يرضَ ان ياتي هذه البلاد تحسباً من هلاكهِ وخوفاً من الملك قيصر فلا بد من ان ندعهُ يجمع جيوشهُ و يسير في فرسانهِ العظام الى بلاد مصر او بلاد فارس اينما كان مقامهُ فينزل بهِ الويل والعبر . ولهذا علقوا مزيد الامل بالنجاح و باتوا ينتظرون ما ياتيهم بهِ الزمان وهم يسرون من معاملة قيصر لهم ومن اهتمامهِ بجمع العساكر وحشدها من اقاصي بلاده الى ادانيها وكان الفرح الاعظم عند انبوش ابن الملك قيصر لانهُ وعد نفسهُ بعين الحياة وصار يحسب ذاتهُ خطيباً لها ونقرب من الشاه سرور وجعل يصرف اوقاتهِ عنده ويكرمهُ مزيد الاكرام ويعده بكل خير ونجاح

قال ولندع الشاه سرور والملك قيصر في هذه البلاد يهتمان بمستقبل لا يعلمون لهُ من نتيجة

ولنرجع الى الملك ضاراب حيث باق في مصر يدبر امورها ويرتب احوالها ويذخر منها الذخائر الى جيوشهِ وقد نشر فيهم اعلانًا ينذرهم بالتهيء الى المسير لبلاد الشام بعد ثلاثة ايام. واما فيروز شاه فكان لا يعرف عملاً ولا يعي على احد وهو متكدر من فعل الزمان كيف خانهُ وحال دونهُ ودون غايتهِ وكان يتحرق ويتالم ويتحسر على فواتها من يده وبعدها عنهُ دون ان ينظرها ولو نظرة واحدة او يكلمها ولو بكلمة واحدة وكان لا شيء يصبره ويسكن غرامهُ الا مناشدة الاشعار والشكوى من فعل الزمان وضرباتهِ المتواترة المتواصلة ومن انشاده قولهُ وهو منفردًا يتصور في ذهنهِ محاسن عين الحياة وجمالها ورقتها

يا نائيًا طرف صبري عنهُ قد نكصا	ومودعًا بنواه مهجتي غصصا
ونازحًا وفؤادي ظل منزلة	وغائبًا وغرامي فيهِ ما نقصا
كم ذا الفؤاد حبيس غير منطلق	ودمع عيني طليق قط ما اقتنصا
كم ذا اعالج قلبًا قد اضر بهِ	ريب النوى وجميل الصبر عنهُ قصى
مسائلاً عن لياليهِ التي انتهزت	ايدي الاماني بها ما شاءه فرصا
حيث الزمان وفيٌّ للعهود فكم	افضيت في فمهِ التشبيب لي قلصا
وافت قصارًا وولت غير ملويةٍ	عنان نضو على وجد القلى حرصا
ابدلت عنها بدهر ساء منظره	كمن تبدل عن در النجوم حصى
يواصل الحزن قلبي من نوائبهِ	تقاسمتهُ على غاراتها حصصا

وكان وهو في هذه الحالة الصعبة يعلم ان لا شيء يهون لديهِ هذه الصعوبات الا ركوبهُ الاخطار والمصائب واشهار سيف الانتقام ضد كل من يريد ان يقف في وجههِ ويحول بينهُ وبين من احبها وهي عين الحياة ولذلك اصبح ينتظر بفروغ صبر مضي هذه الايام القليلة ليقطع الفيافي سائرًا الى مقر وجودها وكان لا يعلم انها كانت بالقرب منهُ في قصر سيف الدولة وان لا مانع يمنعهُ عنها الا رضاها باظهار نفسها لهُ وانها سارت برضاها واختيارها من جانبهِ دون ان تسمح لهُ بالنظر اليها وقد تحملت اشد مما تحمل من لواعج الوجد تتغلب على اميالها وتصون نفسها من العار والغضب الوالدي الذي كانت تخافهُ وتحسب لهُ عظيم حساب

وشتان بين حالة فيروز شاه وعين الحياة وبين حالة مصفر شاه وطوران تخت لان المذكور كان قد نزل في قصرها وجعل ينهب وقتهُ على المسرة والفرح لا مانع يمنعهُ ولا رقيب برقبهُ ولا فراقهُ يكدره ويحول بينهُ وبين محبوبتهِ وقد صفا لهما الزمان ونالا من التقرب كل اسباب الحظ حتى كانا لا يتركان الخمرة ولا يفوتهما شيء من الشكوى وبث الغرام يصرفان اكثر النهار على شرب العقار ومناشدة الاشعار ويغرقان الليل على فرش الهناء والراحة جنبًا لجنب يحافظان على الطهارة

والعفة وبرعيات واجبات الحب الاكيد الثابت البعيد عن الفساد والدنس وهذا الذي كانت طوران تحت ترغب فيهِ وتطلبهُ من زمانها فقد حصلت عليهِ وبقيا على مثل ذلك الى ان اذن يوم الرحيل وحان وقت الفراق فجاء مصفرشا واخبرها بانهُ مزمع على السفر مع الملك ضاراب الى بلاد قيصر ولا يقدر على الامتناع وقال لها من الواجب عليك ان تصبري على فراقنا الى حين حلول الارادة الالهية فلم يعد من مانع بعد عما نرغبهُ الا حصول فيروزشاه على عين الحياة فاذا تزوج بها وقام زفافهُ عليها فعلنا نحن ايضاً ذلك وكان يوم العرس واحداً . فكادت تشق مرارتها من هذا الكلام وذمت عين الحياة ولامتها في نفسها كيف هربت وسببت لها مثل هذا الفراق الذي لا تعلم فيما بعد عواقبهُ بل كانت قرنت بهِ واقامت معهُ على اهنا عيش وانعم بال وكانت تلك ايضاً اقامت بصفاء مع فيروزشاه . ثم تزودت منهُ بيوم حظ وافراح لم يكن لهُ ثان وقد اكثرت من وداعهِ وتقبيلهِ وفعل هل مثلها الى ان دنت ساعة الرحيل فبكى وبكت وشكى وشكت وكاد يغمى على كل منهما وكان لها ساعة تنفطر قلب الجماد ويلين لها فواد الصخر الصلب . ثم خرج من عندها وهو يمسح بدموعه وبقيت هي في نوح وتعداد تندب مستقبلها وتذم دهرها وقد نسيت لذة اجتماعها بهِ كل هذه الايام وما لاقتهُ معهُ من الهناء والمسرة بساعة من ساعات فراقه وهكذا حالة كل انسان ان ينسى الماضي بانفعالات الحاضر وكما انها نسيت عذاب فراقهِ الاول بساعة اجتماع من اجتماعها بهِ ولذة راحة لاقتها بوجوده لا غرو ان غاب عن ذهنها الفرح وحل الترح وبدل انشادها فعوض ان كانت تشكر الزمان والايام والاوقات وتطرب بانشاد اشعار اجتماعها بحبيبها وهنائها بهِ عادت الى ذم الزمان ولومهِ على انقضائهِ كالظل واخذت في ان تنشد الاشعار الفراقية فمن قولها

دمعي وقلبي مطلوق ومأسور	والشوق والصبر ممدود ومقصور
اما المنام فعيني ليس تعرفهُ	كانها اذن صب وهو تحذير
يا واحد الحسن وجدي فيك ليس لهُ	حصر ولكن فوادي منهُ محصور
الى متى ذا التجني والصدود اما	مرّ ثم بسمعك لي تلك المعاذير
نار الغرام غلت في مهجتي ولها	يا حاكم الحب في الاحشاء تسعير
لله ايامنا الظلية انقرضت	حيث الجآذر لي حيث اليعافير
ولت فوالت اسًا في القلب مغرسهُ	غصن الربا من دموع العين ممطور

قال وركب الملك ضاراب وامر ان تركب الملوك والفرسان بحسب ترتيبها وتدبيرها ويمشي كل في موقعهِ كالعادة وقد اخرج معهُ العساكر التي كانت مجتمعة في مصر واوصى الشاه صالح ان يديم ارسال الاموال وان يبقى على الطاعة والانقياد فوعده المواعيد الصادقة وودعهُ الى خارج المدينة مع وزرائهِ واعيان مصر وسار من تلك البلاد بعد ان ترك هيبتهُ فيها ونشر عليها لواء غايتهِ

وسلطتهِ واستلم طريق الشام ومن حواليهِ العساكر والفرسان وفوق راسهِ الاعلام والبيارق و بين يديهِ الموسيقات تعزف بانغام المسرات والافراح والى جانبهِ ولده فيروزشاه فوق كميتهِ كانهُ البرج المشيد وهو طائر الفواد الى جهة بلاد الرومان املاً ان يلاقي محبوبتهُ عين الحياة فيها و يعرف ماذا جرى عليها ومن يعد نفسهُ فيها بعد الشاه الصالح وداموا على هذا السير الى ان قربوا من مدينة الشام

وسبق القول الى ان مسرور بن عتبة ملك الشام لما انهزم من جيوش مصر مع من انهزم ثائره بهمنزار قبا فقبض عليهِ وساقهُ معهُ اسيرًا الى بلاد الشام وهو في فرح لا يوصف من جرى وقوع بهلوان من بهلواني تخت الملك ضاراب في يده وكان برفقة مسرور هذا نصر صاحب حلب وقد انهزم معهُ برجالهِ وابطالهِ قاصداً مدينتهُ فمال الى دمشق بدعوة مسرور ليقيم عنده اياماً . ولما قربوا من الشام بلغت الاخبار اهل المدينة واعيانها فخرجوا عن بكرة ابيهم لملاقات حاكمهم ورجالهم الغائبين عنهم وهم لا يعرفون من الباقي منهم ومن المفقود . وكان لمسرور بن عتبة بنت كاملة الاوصاف ذات حسن قل مثالهُ في ذلك الزمان وعقل وادب قبلي النظير اسمها كليلة يحبها كثيرًا ويستشيرها في كل اعمالهِ ولا يفعل الا ما تقولهُ له وعند سفره الى مصر كان قد اقامها كوكيلة من بعده على المدينة فكانت محبوبة من جميع الاهالي . فلما علمت بمجي ابيها خرجت في مقدمة العساكر كانها الكوكب يضئ في ظلام الليل الحالك وهي راكبة فوق جواد ادهم تميل وتباهي والانوار تنبعث من بدر وجهها الفاضح . وعندما التقت بابيها ترجلت له وقبلت يديهِ فقبلها في جبينها وبكى من فرحهِ بها و بلقياها بالسلامة وبكت هي ايضًا وهنتهُ برجوعهِ سالمًا وسالتهُ عن سفره وما كان منهُ فاخذ يشرح لها كل ما لقي من الايرانيين وما انزلوا على المصريين و يصف لها شجاعتهم و بسالتهم واقدامهم الى ان قال لها اخيرًا وقد اتيت بفارس منهم من الفرسان الشداد يقال له بهمنزار قبا وهو في الطبقة الاولى من البسالة حتى انهُ تتبعنا وحده وقتل فينا قتلاً ذريعًا ولم نقدر على مسكهِ الا بعد ان اهلك منا جانبًا عظيمًا ولذلك تريني مصرًا على الانتقام منهُ جزاء له على فعلهِ . فطلبت من ابيها ان تراه فاحضره اليها ونظرت اليهِ فتعجبت من هيبتهِ ووقاره متاملة بحسنهِ وجمال طلعتهِ ولا زالت تنظر في وجههِ الى ان نخرت دماغها سوسة الغرام ووسوس في صدرها شيطانهُ الخناس وذلك لما فيه من الجاذبية الفعالة التي اوجدها الله في فرسان الفرس خاصة لان ما من رجل منهم الا اجمل من اخيهِ وكذلك بهمزار لما راها تنظر فيهِ وتتاملهُ ونظر الى جبينها وهو يندى عرق الحصر والكتم ترجم له فاعل قلبهِ بما وقع عليها من حبه فاشغل قلبهُ بحبها واخذت تنمو بهِ محبتها وتنمو بقلبها محبتهُ حتى انهما بمدة وجيزة اصبحا من جملة العشاق الملوعين بنيران الهوى . وكانت كليلة كما تقدم حكيمة ذات عقل وادب فخافت من ان يطلع اباها على حالتها فاعرضت بوجهها الى جهته ومالت عليهِ بما

لها من النفوذ في قلبه وقبلتهُ وقالت لهُ لو لم تكن موفقًا لما اعطيت مثل هذا الفارس اسيرًا انما اريد ان استشيرك لاعرف ضميرك من جهته فبماذا عولت ان تعاملهُ . قال اني مزمع ان اقتلهُ عند دخولي الى المدينة انتقامًا منهُ على فعلهِ . قالت ان فعلك هذا يوقعك في الندم ولاجل فارس واحد تهلك نفسك وقومك لانك تتاكد ان رجال الفرس اشداء ابطال كما اشرت وقد رايت اعمالهم وافعالهم ولا بد لهم من ان يتتبعوا اثار فارسهم ليخلصوه فهل نقدر على مقاومتهم . قال كلاَّ فاني اعرف انهم اقدر مني ومن سائر ملوك الدنيا وقد تبين لنا ان كل فارس من فرسانهم يقوم مقام جيش حتى ان ملك مصر ونحن والرومان وكثير من الملوك كنا منضمين الى بعضنا ولم نقدر على الثبات امامهم . قالت حيث تعلم من نفسك ان لا طاقة لك على ملاقاة الملك ضاراب ورجالهِ فكيف نقتل سيدًا من فرسانهِ وتتركهُ وراءك يقتفي اثارك اينما كنت وتجعل لهُ عندك ثارًا يطلبهُ في كل دقيقة فادفع عنك كل هذه الويلات وابقهِ عندك الى ان تتاكد ان الملك ضاراب آتٍ اليك فتفكر حينئذٍ ماذا نفعل بهِ فاعجبهُ كلامها وراءه صوابًا وقال لها الحمد لله الذي لم امد يدًا الى هذا الفارس لانهُ لم يخطر لي قط الا الانتقام منهُ على ان لا نفع لنا بقتلهِ واحمده تعالى الذي اوجد عندي من هي مثلك جامعة بين العقل والحكمة ترشدني دائمًا الى ما بهِ الصواب ولذلك اطلب اليك ان تبقيهِ اسيرًا عندك وتحافظي عليهِ بمعرفتك الى ان اعقد ديوانًا وارى ماذا يجب ان نفعل بهِ انبقيهِ عندنا او نرسلهُ الى ملكهِ او نبعثهُ للملك قيصر قالت ان ذلك سيكون بعد الان . وما صدقت ان سمعت من ابيها هذه الكلمة بقولهِ لها ابقيهِ عندك حتى اوعب قلبها من الفرح والاستبشار واملت نوال مرادها والاجتماع بهِ في خلواتها وسهراتها وكذلك بهمنزار فانهُ امل الراحة والهناء عندها . وبعد ذلك كروا راجعين الى المدينة فدخلوها وتفرق كل في سبيلهِ وسار مسرورًا الى قصره بعد ان سلم اسيره الى بنتهِ واوصاها بالمحافظة عليهِ فقالت لهُ لا تخف فانهُ يبقى تحت الترسيم الى حين الحاجة اليهِ . فلم يخطر لهُ قط انها تهواه وتحبهُ وهو اسير عندها وكان بسيط القلب لا يعلم مشارب النساء وغاياتهن ولا يعلم انهن كالرجال يفعل الجمال في افئدتهن اشد الافعال ويملن الى قضاء حاجاتهن بكل ما في وسعهن وكان يكثر الركون اليها لما يعهده فيها من الحكمة والتعقل ولم يتصور قط ان العشق يصدر مرارًا عن كثرة الفطانة والزكاء وانهُ يفعل في عقول اهل الاداب ويملك خواطر المتفننين اكثر مما يملك خواطر الجهلاء البسطاء

ولما اخذت كليلة بهمنزار دعت كاتم اسرارها ووكيل قصرها وقالت لهُ خذ هذا الاسير فابقهِ عندك الى ان يدنو الليل فاحضره اليَّ الى الروضة حيث اكون بانتظارك هناك . وكان يحيط بقصرها بستان جميل المنظر كثير الازهار والاشجار والرياحين تشقهُ جداول من الماء تنحدر من انابيب بركة في وسطهِ من الرخام الابيض وقد نصبت في وسط ذلك البستان بالقرب من

تلك البركة صيوانًا لمقامها تاتي اليهِ لتتنزه بهِ وتصرف وقت الرياضة فيهِ ولا سيما في وقت الصيف ولذلك احبت ان تجتمع بهِ كل ليلة في ذلك المكان . ولما جن الليل دعت بقهرمانتها وامرتها ان تنقل الى الصيوان مائدة الطعام وتصف فيهِ باطية المدام وتجمع عليها من النقولات كل ما هو وجود في قصرها وتقطف من فاكهة البستان من كل نوع زوجين وتحفها كلها بالازهار الزكية الرائحة والجميلة الشكل ففعلت القهرمانة ما امرتها ولم يكن الا القليل حتى عادت اليها واخبرتها بانها هيئت كل شيء فقامت الى غرفتها ولبست حلة مزركشة بيضاء ناعمة وافرغت فوقها شوراء من الحرير دقيقة رقيقة ووضعت على راسها اكليلاً من الماس يساوي ملك ملك ووضعت في عنقها الابيض عقداً من الجوهر يضيء كالمصباح في الحنادس وادخلت في اصابعها الخواتم الثمينة ورشت نفسها بعطر الورد والمتقطرات الذكية حتى اصبحت كانها القمر في اشراقهِ وقد اهتزت جدران قصرها من بهاء جمالها وحسن طلعتها ومال عشقًا لها كل ما حواليها من موجودات قصرها فكانها روح الجوامد وحياة الحياة . ونظرت الى نفسها وتعجبت من حالها واهتزت لنفسها طربًا كانها تعشق نفسها ايضًا . وبعد ان فرغت من كل شيء نقلت في رجلها سرموجة مزركشة بالجواهر ليست بادنى قيمة وثمن من بقية ما عليها من الجواهر واخذت تتدرج السلم الى الروضة وهي من راسها الى قدمها تضيء بالالماس واليواقيت والذهب الوهاج حتى اتت الصيوان فوجدت باطية المدام مصفوفة فاعجبتها وجلست على كرسي من العاج عليها شبكة من اللؤلوء الكبير وانتظرت مجيء بهمنزار رقبا ولم تلبث الا القليل حتى اقبل مع وكيل قصرها وادخلهُ الصيوان ورجع باشارتها لانهُ كان يطيعها ويسمع امرها كجميع من في قصرها لانها كانت حرة التصرف في امر خدمها تختار من يوافقها ولذلك كانت تركن لهم وتامن اليهم

قال ولما راى بهمنزار حالتها هذه وقف مبهوتًا وقد اخذتهُ الدهشة ولم يصدق انهُ قائم بين يديها وهي على تلك الحالة المبهجة وقد زادت بهاء وجمالاً واصبحت تاخذ العقول وتضيعها واراد ان يباديها بالسلام فلم يطعهُ قلبهُ ولسانهُ لان الاول كان يخفق والثاني كان منعقداً فخر الى الارض ساجدًا على غير وعي وهو لا يعرف ماذا يفعل او ماذا يقول وطفقت الدموع من اعينهِ كالمجاري لعظم فرحهِ . فلما رات منهُ هذه الحالة رمت بنفسها عليهِ باكية مثلهُ وقد اشغلها حبهُ مزيد الشغل وعرفت حالتهُ واضطرابهُ فارادت ان تخفف عنهُ من حالتهِ وارتباكهِ وجعلت تقبلهُ وترحب بهِ وتهنئهُ بالسلامة وتضمهُ اليها ففعل كفعلها وشكرها على جميلها وقال لها اعلى الارض انا ام في الجنة وهل انسان انت ام ملاك فاني ارى من نفسي السعادة العظمى التي لا اظن نالها احد قبلي قالت لا بل انت عند كليلة بنت مسرور بن عتبة التي احبتك حبًا ما فوقهُ من حب وبذلت نفسها لديك والقت اتكالها عليك وقد سلمتك نفسها راجية منك ان تلفظ كلمة واحدة فقط وهي

ان تقبلني زوجة لك وخليلة وحبيبة بحيث ابقى كل حياتي بين يديك وعلى يدك وفي عنقك . قال اني وسعي ان امتنع وقد شردمني عقلي اليك واخذت قلبي الى محبتك ايمكني ان اعيش بلاهما وهما لا يتطلبان غيرك فنعم انت انت وحدك الالهة التي تسجد لها اميالي وتعبدها حواسي واني اعدك اني ما حببت الا لك واعاهدك على هذا العهد واقسم عليهِ الايمان اني لا اختار فتاة غيرك واذا تيسر لي الخلاص لا اصبر دقيقة عنك . قالت واني اعاهدك نفس هذا العهد واقسم لك اني لا اختار بعلاً غيرك ولا حبيبًا سواك ولا بد بعد ايام قليلة من وصول الملك ضاراب وفيروزشاه الى هذه البلاد فيخلصانك واكون انا معك فابقى عندك وهذا شان كل بنت من بنات العالم ان تترك اباها وامها وتلتصق بزوجها ويكون الاثنان جسدًا واحدًا . وبعد ان تعاهدا هذا العهد اخذتهُ من ابطهِ واجلستهُ على كرسي من العاج ككرسيها الى جانبها واخذت في ان تسكب الخمر وتسقيهِ وهما قائمان في تلك الروضة لا عين تنظرها ولا رقيب يرقبهما وبين ايديهما الماء يجري والاشجار تميل فتصافح بعضها ويسمع لورقها حفيف منعش لقلب مثل هذين العاشقين والازهار الزكية تبعث اليهما روائحها العطرية فتزيدهما ثمولاً فوق ثمول وبالاختصار فان حالتهما كانت تستوجب الحسد مني ومن كل من قرا هذه القصة وشخص في ذهنهِ جمال تلك الطلعة البهية وبهجة تلك الروضة الانيقة فسبحان جامع القلوب ومؤلفها . ولما لعبت في رؤوسهما الخمرة ونما فيهما الغرام عمدا الى مناشدة الاشعار فانها حاملة للشكوى وموضحة للحبيب حالة المحبوب وقد انشد بهمنزار ما جاش في خاطره

لقد دعانا الى الربا الطربُ ... فاجبناه حسبما يجبُ
واستبقنا والشوق يجذبنا ... كأن اشواقنا لنا نجب
وشملنا والحظوظ تسعدنا ... مجتمع سلك عقدنا الادب
فحللنا منهُ بمرتبع ... وهو للزائرين منتخب
وقد حبانا الربيع مقتبلاً ... بمزاياه والمنى نخب
فالروض مخضلة ملابسهُ ... تجمع الحسن فيها والادب
وقد تناغت بهِ بلابلهُ ... فمنهم فاقدٌ ومصطحب
وموكب الزهر في حدائقهِ ... منتزه بالعيون منتهب
تظل مغناه وهو مزدهر ... قباب نور كانها سحب
ينعشنا العرف من شميمها ... ومثل هذا العبير يكتسب
والمرج رحب الغنا مصطحب ... عليهِ ذيل النسيم منسحب
تخالهُ من زبرجد نضر ... بحرًا غدا بالنسيم يضطرب

يشوقنا حسنهُ ومنظره يسرنا حيث زانهُ الخصب
ولانسكاب المياه حسن صدى يرقص عند استماعهِ الحبب
فمذ نعمنا بذا وذاك وقد تكنفتنا بغبّها القضب
اخصب ربع المنا وطاب بهِ العيش لنا واستفزنا الطرب
فعاد للوجد مدنف طربًا وهكذا مدنف الهوى طرب
ومال وفق الهوى وحق لهُ ذلك اذ ليس ما بهِ لعب
ومن يكن بالغرام ممتحنًا لا غروَ بالشوق قلبهُ يجب
بدر محياه ما بهِ كلف برونق الحسن راح يحتجب
اطعمت فيهِ الهوى ومعدنهُ بمغنطيس الجمال منجذب
جمالهُ فتنة لذي نسك مهذب زان حسنهُ الادب
وقده السمهري من مرح ما اهتز الا ازدهت بهِ القضب
وما بطرف رنا لرامقهِ الا وسهم اللحاظ منتشب
وقد ابى غير مهجتي سكنًا وهي لهُ مرتعٌ ومنقلب
فلا خلا من هواه لي خلدٌ وليس الا هواه لي ارب

ولما فرغ بهمنزار من انشاده طربت لهُ ودنت منهُ وقبلتهُ في عارضهِ وفي جبينهِ وقالت لا ريب انك خالص الود صافي السريرة وهذه مزية قائمة في رجال الفرس لا تتغير واني ارى الان من اكبر اسباب التوفيق وقوعك بيد ابي واسرك عنده والا لما تيسر لي ان اكون اسيرة في يديك ولا تيسر لي ان اذوق لذة اجتماع مع محبوب كامل في روضة غاب عنها كلّ مكدر ونمام وليس فيها الا كل ما هو من دواعي الحظ والمسرة . ثم تناولت قدحًا من الخمر فشربت ونظرت الى حبيبها فتاوهت وانشدت

باكر رياض النيرين وماسها وانظر الى الازهار في اجناسها
ما بين زنبقها الانيق وورها وبديع نرجسها الغضيض وآسها
وترنم الاطيار فوق غصونها تروي لطيف الوصف عن عباسها
جمعت معاني اللطف في الحانها وبيان منطقها وحسن جناسها
تغنيك عن صوت الغواني عندما نشدو برونقها على جلاسها
فترى الغصون لما بها من نشأة تهوي اليك من السرور براسها
طاف الغدير بها فاثمر فرعها وغدا يخبرنا باصل غراسها
وسرت بها ريح الصبا فتارجت جلساؤها بالطيب من انفاسها

فانهض نديمي نصطحب في ظلها وأترك لماتيك الهموم وناسها
واجل لحاظ العين في ارجائها واجل القلوب الصدى من وسواسها
واستجل باللذات بين رياضها واستجل بكرًا افرغت في كاسها
عذراء واقعها المزاج فانتجت اطفال در لم تشن بنفاسها
شمس تريك سنًا اذا ما اغربت في فيك اولتك القوى بشماسها
من كف معتدل القوام اذا مشى بين الغصون قضى على مياسها
او مال في اهل البها ضربت له اخماسها بالقهر في اسداسها
ما جيد غزلان الصريم اذا انثنى واذا انثنى باللحظ ريم كناسها
للعين فيه تفكه لكن اذا بصرت به غابت جميع حواسها
ذو مقلة وسنا اذا شاهدتها اهدتك سهدًا من فتور نعاسها
قم يا حبيبي لا برحت ممتعًا داء القلوب من السقام وآسها
واسمح وآنس باللقا يا منيتي لا زالت الايام في ايناسها

وكانت لها ليلة عظيمة جدًّا صرفت على مثل ما تقدم من موجبات الحظ ومحسناته وهما لا يصدقان انهما اجتمعا مثل هذا الاجتماع ونالا من بعضهما الخلوص والمودة وطالما طلبا من الله ان يوقف ظلام ذلك الليل كما اوقف الشمس بصلاة ايليا النبي فلا يشرق الصباح ولا يدنو نور نهاره وداما على مثل ذلك حتى لاح كوكب الصبح واخذ جيش النهار يبعث بطلائعه يطارد موخرة جيش الليل الفارّ وعند ذلك اشتاقا الى المنام كما بغضا في الفراق فنهضا وودعا بعضهما وداعًا مقرونًا بالرجاء والامل ان يعودا الى حالتهما في المساء فاخذ بهنزار قبا الى موضعه وذهبت كليلة الى غرفتها وقلبها مترطب بحلاوة ليلتها ودخلت فراشها فغرقت في بحر نوم طويل. وفي المساء رجعا الى عملهما كالليلة الاولى فصرفاها ليلة لم تكن ادنى حظًّا من الليلة الماضية ثم رجعا في الصباح الى مراكزهما وفي المساء الثالث اجتمعا وهكذا كانت مدة اقامتهما كل تلك الايام ولم يكن من مكدر يكدرهما ولا من احد يطلع على امرهما

قال وكان مسرور بن عتبة في تلك الاثناء قد عرف بسير الملك ضاراب الى جهته وانه قصد برجاله دمشق لخلاص فارسه من اسره فجمع رجال دولته واستشارهم فيماذا ينبغي ان يفعل وابان لهم صعوبة الحال الواقعين بها. فشاروا عليه بالانقياد الى الملك ضاراب وان يسير اليه ويدخل في طاعته. فقال له نصر ملك حلب ان هذا مما يغضب الملك قيصر ويكدره وعندي ان نترك المدينة وتذهب اما الى الملك الاكبر واما الى سواه ومتى جاء الفرس الى المدينة ولم يروا بها احدًا ولا نظروا اسيرهم فيها ساروا في طريقهم الى مدائن النمسا الى قتال الملك قيصر حيث هم

الان يقصدون تلك الجهة ولا ريب انهم يذوقون هناك العذاب الاليم . قال انهُ يلوح لي ان ابقى في المدينة فمتى دخلها الفرس هربت بنفسي منها الى انطاكية ولذلك اريد منك ان تذهب امامي الى هذه المدينة وتصحب معك بنتي كليلة والاسير بهمنزار قبا وتبقى هناك الى حين اوافيك لاني اخاف ان يتخلص الاسير فيرجع اليهم او ان الفرس يسبون بنتي و يغتصبونها مني وهي احب لديَّ من كل ما في الدنيا ولولا علمي بانها تكون كابنتك لما تركتها تسير عني فتحافظ عليها اشد المحافظة ولا تدع اذى يصل اليها فاجابهُ نصر الى ذلك . وفي اليوم الثاني دعا ببنتهِ فحضرت وقبلت ايديهِ فقال لها اعلمي انهُ لا ينتهي اسبوع او اسبوعين الا و بلادنا محاطة من الفرس لاني عرفت انهم تملكوا مصر ودخلوها وقد ركبوا يقصدون بلادي ذاهبين الى مقاتلة الملك قيصر وعليهِ فقد عولت ان ارسل بك مع نصر ملك حلب فهو رجل مسنٌّ جليل القدر يعاملك في غيابك معاملة الاب الحنون الى مدينة انطاكية الى الملك هشام لانهُ صديقي ولا سيما وزيره هياش فانهُ يتمنى لي خدمة فتقيمين عنده وتصحبين معك الاسير الايراني خوفًا من ان يخلصهُ قومهُ فاذا صح ما سمعتهُ وجاء الملك ضاراب هذه البلاد سرت في اثركم ولا تمضي ايام الا واكون عندكم . فلما سمعت كليلة هذا الكلام خفق قلبها وشعرت بحلول المصائب والويلات وتكدير هنائها وراحتها وحاولت ان تقنع اباها بالرجوع عن عزمهِ فابان لها وجوب ذلك فسكتت لعلمها ان محبوبها سيرافقها الى تلك البلاد وانها ستبقى محافظة عليهِ وتحت معرفتها الى حين ياذن الله بالخلاص فيرجع الى قومهِ و يتزوج بها . ومن ثم ركب الملك نصر ورفعوا كليلة على هودجها وقد اخذت معها خدمها وحجابها وجواريها وكل من يلوذ بها واخذت ايضًا جواهرها وامتعتها وودعت اباها وسارت مع نصر صاحب حلب وبهمنزار قبا مشدود الى جواد بينهم وهي في كل ساعة ترفع سجاف الهودج وتنظر اليهِ نظر المتاسف على حالتهِ حتى ظهر امرها لكل ذي عين وعرف بحبها كل من كان يجهلهُ من خدمها واشتبه فيهِ الملك نصر الا انهُ لم يبدِ اشارة وعول على ان يبعدها عنهُ عند وصولهِ الى انطاكية . وداوموا المسير الى ان دخلوها في رابعة النهار فترحب بهم حاكمها واحلهم بالاكرام واعدَّ لكل منهم قصرًا واخذوا بهمنزار الى سجن خصوصي بامر حاكم حلب واقامت كليلة في قصرها لوحدها وليس عندها سوى خدمها الذين جاءت بهم من بلادها وقد تكدرت من بعاد محبوبها وانفصالهِ عنها وتمنت لو انها ماتت في الشام ولا لحق بها هذا الفراق الموجع المولم وكانت تسلي نفسها بما يخطر في ذهنها من ان الملك ضاراب ساعٍ خلف فارسهِ فلا يتركهُ اسيرًا وعما قليل ينقذه من اسره فتنجو معهُ

قال واما ما كان من سيف الدولة فانهُ سار في طريق ملاطية مدة ايام حتى وصل اليها فبعث بالبشائر الى اهلها يخبرهم بقدومهم فخرجوا عن بكرة ابيهم ولاقوه احسن ملتقى وهنوه بعودتهِ الى

بلاده سالمًا وسالوه عن غيابهِ فحكى لهم كل ما توقع لهُ في مصر . ثم امر في الحال ان ينادى في المدينة باسم الملك ضاراب وانهُ هو الملك الاكبر لهذه البلاد وامر ايضًا بتنزيل الاعلام الرومانية ورفع الاعلام الفارسية على اسوار المدينة وفوق دار الحكومة وكل المحلات الرسمية وابقى عساكره عند اطراف المدينة لتاكده ان الملك قيصر لا بد لهُ عند بلوغهِ هذه الاخبار من بعث عساكره اليهِ لمحاربتهِ والانتقام منهُ واوصى امراءهُ الثلاثة بان يبقوا على الاهبة والاستعداد ليرى ما يكون من امر الملك قيصر . ولما بلغت الاخبار الملك المذكور وعرض عليهِ امر سيف الدولة وانهُ صالح الملك ضاراب وعاملهُ وقد ادخل ملاطية ونواحيها في حوزتهِ غضب مزيد الغضب فارغى وازبد واقسم انهُ لابد لهُ من القبض على سيف الدولة وضرب المدينة وسبي حريمهِ وقودهم الى بلاده سبايا وفي الحال دعا ببلهوان بلاده تمرتاش اخي تمرتاس الذي قتل في مصر وكان من الابطال الشداد كما تقدم يعد من جبابرة ذلك الزمان وصناديدهم الذين شاع ذكرهم في الاعصار ونقلت عنهم الركبان الاخبار . ولما حضر بين يديهِ قال لهُ اريد منك ان تذهب الى ملاطية الى قتال سيف الدولة بمائتي الف فارس من فرساني الاشداء وتصحب معك خرطوم الرومي حامي المدينة فترون ان كان سيف الدولة كما يقال قد خرج عن طاعتي ودخل في طاعة الملك ضاراب فاقبضوا عليهِ واتوا بهِ اسيرًا اليَّ واسبوا نساءهُ فتسوقوهنَّ بين ايديكنَّ اليَّ وتنهبون المدينة وتصحبون اموالها معكم وان كان ما سمعتهُ عنهُ كذبًا فمروهُ ان ياتي بكل عساكرهِ وقواده الى بلادي حيث تاكد عندي ان الملك ضاراب آتٍ بجيوشهِ نحوي فصار من الضرورة ان تحشد جيوشي من كل النواحي في هذه المدينة وقد عزمت في الغد ان ابعث بالكتب فاستعجل الملوك باتيانهم وارسال جيوشهم فقال لهُ تمرتاش اني اسير من هذه الساعه الى ملاطية وسوف ترى ما افعل فيها ان ثبت خروجها عن طاعتنا .

قال وفي ذلك اليوم ركب تمرتاش ورفع فوقهُ الرايات الرومانية والجيوش الافرنجية وامامهم خرطوم وهو كالبرج المشيد لانهُ كان من الشجعان المعدودين ولا زالوا سائرين حتى قربوا من ملاطية فنظروا عن بعد واذا بهم يروا الاعلام الفارسية فوق الاسوار مرفوعة فتاكدوا صحة الخبر ونزلوا بالقرب من البلد وكتب تمرتاش كتابًا الى سيف الدولة قال فيهِ اعلم ان الملك الاكبر قد بعثني اليك لما بلغهُ انك خرجت عن طاعتهِ ودخلت في طاعة الفرس وعاهدتهم على الهجوم والدفاع فاذا صح هذا الخبر فاني مامور بالقبض عليك وسوقك الى سيدك الاول لتاديبك على تعديك على حقوقهِ ونهب اموالك وسوق حريمك سبايا اليهِ وان كان ذلك من الاخبار الكاذبة ادعوك لتسير اليهِ معظمًا مبجلاً بكامل جيوشك لتقاتل بين يديهِ الملك ضاراب لانهُ على ما عرفنا انهُ مزمع على الاتيان الى هذه البلاد . وبعد ان فرغ من كتابة الكتاب دفعهُ الى عيار من عياري الرومان اسمهُ

كودك العيار وكان شيطان بصفة انسان فاخذ الكتاب وسار حتى وصل الى بين يدي سيف الدولة فدفعهُ اليهِ فاخذهُ وقراه وفهم ما فيهِ ثم رد الرسول بالخيبة وقال لهُ اننا دخلنا حقيقة في خدمة الفرس وان المدينة حصينة فاقدر ان ادافع عنها الى حين اتيان سيدي الملك ضاراب فيفرج عني واني عاهدتهُ واقسمت لهُ فلا انكث بوعدي . ومن ثم امر ان تقفل الابواب وتقوم العساكر على الاسوار واوصى بهلوانية بلاده وهم فهر ومهر وقهر ان يحافظوا كل المحافظة على المدينة ويقاتلوا اشد قتال ولا يتهاملوا بل يثبتوا الى حين الافراج بمجيء الفرس الى مساعدتهم لانهم لابد ان يكونوا في الطريق وبعد ان اتم كل عمل دخل الى قصره وفي اثناء دخوله نظر عين الحياة في قصره وهي مارة من غرفة الى غرفة ثانية وكان لا يعرفها ولا يعلم من هي فانشغل بالهُ بسببها وانبهر من جمالها ووحدانية محاسنها ودخل على زوجتهِ وقال لها اني وانا داخل القصر وجدت صبية لم ترَ عيني اجمل منها في كل زماني ولم يسبق لي قط ان رايتها في بيتي فعجبت منها وقد اشغلتني عن الحالة التي انا واقع فيها لعلمي انها تكون بنت احد الملوك او الامراء فتبسمت من كلامهِ وقالت لهُ اني كنت ماذونة منها ان لا اطلع احداً على امرها الى الان واما الان فحيث لم يعد من سبيل للاخفاء فاطلعك على خبرها فهي عين الحياة بنت الشاه سرور حبيبة فيروزشاه ابن الملك ضاراب . فلما سمع سيف الدولة هذا الكلام صفق كفاً على كف وقال من احضرها الى هنا قالت انها جاءت معنا من مصر وكانت مختبئة عندنا فقال ارتكبت خطاء فلما لم تعلميني وانت في مصر وقد صدق من قال . كم من النساء يشيدن بيوت ازواجهن وكم من النساء يخربنها . ولو انك اعلمتيني ونحن في مصر واعلمنا بها الملك ضاراب لكان لنا الخير الكثير وكنا خففنا من الويلات عنا وعن الفرس ما لا نقدر الان على حملهِ قالت اني رغبت كثيراً في ان اعرض عليك امرها فلم تقبل وقد قالت لي ان اخبرت زوجك انكد رجداً ولهذا لم تسعني مخالفتها قال اذهبي بي اليها فقد وجب علينا اكرامها وتعظيمها لانها محبوبة سيد ابطال هذا الزمان وكفة ميزانهِ ولابد لهُ من ان يطئ باقدامهِ هذه البلاد قريباً ويتزوج بها فنخدمهُ بعملنا معها فيشكرنا على ذلك ثم ذهبت اليها وهو معها فلما دخل سلم عليها وقال لها لما يا سيدتي اخفيت امرك عنا ونحن من جملة اعوانكم وعمالكم وكيف لم تقبلي ان تظهري امرك لفيروزشاه في مصر مع انهُ كان دائماً كالمجنون حتى كان ياسف لحالتهِ كل من رآهُ فتنهدت من كلامهِ وقالت لهُ ان ذلك كان بتقدير من الله تعالى فقد شخصت لي حالتي وقتئذٍ تفضيل الاتيان في اثر ابي وان لا اسلم نفسي سبية وهذا هو الامر الوحيد الذي يشغلني دائماً بان اتزوج بهِ بدون حصولهِ عليَّ بقوة السيف بل برضاءي ورضا ابي ان امكن وكان حياً قال انك اخطأت في ذلك فان اباك ليس من الاباء الذين استحقوا الاكرام والمراعاة لانهُ من جملة الاباء الجهلاء الذين لا يراعون صوالح بناتهن فكم من آب ضحى بنتهُ رغبة في صالحهِ الخصوصي فيمنع عنها من تحبهُ وترى راحتها معهُ وترغب

في لن تقرن ذاتها وتفوز بها ممن يحبة هو ويرى ان له به صالحًا ونفعًا واما ابوك فقد اعمى الى بصيرته
فلم ينظر محل النظر بل عمل على خرابه بيده وسلم نفسه الى اهواء وزيره طيفور الخبيث المحتال حتى
خربه بلاده وبلاد مصر واهلك الوفًا ومئات الوف وعوّل اخيرًا ان يخرب بلاد قيصر بامتناعه
عن ان يقبل بزواجك بفير وزشاه على اننا نحن الملوك وكل من شاهد فير وزشاه وتقرب منه
يرغب في ان يكون في ركابه وتحت طاعته . انك مصيبة بحبك له وتقربك منه كل المدة الماضية
انما مخطئة بهربك من وجهه هذه المرة قالت اني اعرف ذلك حق المعرفة وقد اراد الله امرًا ففعله
وما ذلك الا بتقدير منه تعالى لياتي الى هذه البلاد ويملكها وينشر كلمته فيها وكفاني فخرًا بان مثل
هذا الرجل احبني واني احفظ نفسي ما زلت حية وابنما اسرت فانا له وهو يتبعني ومتى جاء الى هذه البلاد
اظهرت له نفسي واقمت عنده وكتبت الى ابي ان يحضر عساي اقدر ان اصلح بينهما . قال ان ذلك
مستحيل فابوك قد خطبك من انبوش ابن الملك قيصر وقد بدئت الحرب بيننا وجاءت جيوش
الرومان الى محاربتنا وهم الان يحاصروننا . فلما سمعت هذا الخبر طار من عينيها الشرر وعضت
كفيها ندمًا وتحسرًا وقالت اني اعمل على طاعة ابي وارغب فيها وهو يعمل على تكدير وغضبي مع
انه يعلم حقيقة اني لا ارضى بغير فير وزشاه وقد اشعل نار فتنة اكبر من الاولى واخاف ان تستولي
رجال الملك قيصر على هذه المدينة فيقبضون علينا قبل ان يحضر الملك ضاراب ورجاله فيسوقوننا
الى العذاب واعود انا الى ملاقاة الاهوال كما كنت قبلاً فسامح الله ابي فاني لا انتهي من واحد الا
ويخطبني من الاخر قال اما وقوعنا في ايديهم فهو على غير المنتظر لان حصون المدينة منيعة فلا
يتمكن الاعداء منها بشهور واعوام ولا بد للملك ضاراب ان يكون في خلال هذا الشهر عندنا وتسمعين
باذنك اصوات فير وزشاه ترن بين هذا الجيش الذي تجمع فيفرقه بيوم واحد ويبعده عنا ومع
كل ذلك فانه اذا حدث امر فوق العادة وتمكن تمرتاش من الدخول الى البلد خرجت بك
وبزوجتي من هذا القصر الى الخارج من دهليز يبتدئ منه وينتهي الى البرية فنخفي في بعض القرى
الى ان نعلم بمجيء الملك ضاراب فنظهر له امرنا هذا اذا قدر المستحيل ودخل الاعداء المدينة .
وبعد ان اقام سيف الدولة عندها نحوًا من ساعة دخل الى غرفته مع زوجته وهو امين من فتح
المدينة ودخول الاعداء اليها واقام الى ان دخل الليل ومضى منه قسم لبس بقليل فجاء فراشه
ونام مطمئنًا الا انه ما استقر الا القليل حتى استيقظ مرعوبًا وقد سمع اصوات الطبول الرومانية
تخفق في المدينة والصياح قائم من كل ناح وقد دار السلب والنهب في المدينة وارتجت اسوارها من
عظم صياح فاتحيها فارتبك في امره وخارت قواه لاسيما عندما سمع صوت تمرتاش بالقرب من القصر
وقد امر بكسر ابوابه والدخول اليه والقبض على كل من فيه وبينما هو على مثل ذلك دنت منه زوجته
وقالت له هلمّ بنا الى الفرار من الدهليز فان الوقت قصير فاسرع الى باب الدهليز وقال لها اسرعي

الى عين الحياة فاتي بها فسارت اليها فوجدتها تبكي وقد علمت بالحالة الحاضرة وخافت من وقوعها بيد الرومان و بعثها الى الملك قيصر وهي تلطم خدودها ونعض كفوفها وتندب حظها وتلوم نفسها على فعلها فقربت منها امراة سيف الدولة وقالت لها ليس الان وقت بكاء ونواح فاسرعي معنا الى الهرب والا فاننا ان اقمنا خمس دقائق أُخر دخل الرومان القصر وقبضوا علينا وسبونا وقادونا الى بلادهم فنهضت من فراشها واسرعت الى باب الدهليز فدخلته مع سيف الدولة وزوجته واقفلوه من خلفهم وساروا فيه من تحت الارض الى ان ساروا خارج الاسوار فساروا منه كل تلك الليلة على الطريق المؤدية الى جهة الشام حتى كلوا من التعب والمشي والجوع فلجئوا الى مغارة هناك وهم على تلك الحالة وليس معهم ما ياكلون او ما يلبسون لانهم خرجوا بثياب النوم من افرشتهم كما تقدم واصبحوا ينتظرون الفرج منه تعالى

قال وكان السبب في دخول المدينة تلك الليلة فهر واخوه مهر وذلك انهما كانا كما تقدم محافظين على المدينة مع اخيهما قهر الاصغر فلما كان اول الليل اجتمعوا الى بعضهم فقال فهر الاكبر اني مكدر من عمل سيف الدولة وخيانته للملك قيصر وخضوعه للفرس اعداء بلادنا ولذلك عولت على فتح المدينة هذه الليلة وادخال تمرتاش اليها فوافقه اخوه مهر وخالف عليه قهر الاصغر وقال له ان عملنا هذا يحسب ضرب من الخيانة فكيف نخون بلادنا ووطننا ونترك الرومان يدخلون اليه وينهبونه و يسبون نساءه مع اننا حلفنا الاقسام العظيمة للملك ضارايب بان نطيعه ونخدمه ولو امتنعنا عليه لكان قتلنا فليس من شروط الانسانية ما تظنان به . فلما علما ان اخاهما لا يوافقهما على ذلك اعرضا عنه وهما في كدر منه وصبرا الى ان نام فاخذا شرذمة من العساكر وسارا الى الباب ففتحاه لان مفاتيحه كانت معهما و بعثا برسول الى تمرتاش يعلمانه بكل ما كان من امرهما وانهما فتحا الابواب واقاما عندها بانتظاره ليدخل بجيشه المدينة في ذلك الليل ويتملكها قبل الصباح . فلما وصل الرسول الى تمرتاش واعلمه برسالة فهر ومهر اسرع برجاله الى المدينة فدخلها وامر عساكره ان تتفرق فيها فتنهب اسواقها و بيوتها وتسبي حريمها ونساءها وتقتل رجالها واطفالها وان يفعلوا البدع بحيث يتركون فيها لهم اثراً لا يمحى بكرور الزمان ففعلوا كما امرهم وسار هو الى قصر سيف الدولة فوجده مقفلاً فامر العساكر ان تكسر ابوابه ففعلوا وهجموا على القصر وهو معهم وفي نيتهم انهم يرون سيف الدولة فيقبضون عليه و يسبون حريمه ففتشوا كل القصر فلم يجدوا احداً ولا راوا غير الخدم والعبيد فنهبوه واخذوا كل ما وجدوا فيه وعادوا الى الاسواق فسلبوا كل ما وصلت اليه ايديهم وكان من جملتهم فهر ومهر وقد قتلوا كثيراً من ابناء وطنهما و بلادهما وقبضا على اخيهما واوثقاه بالحبال وطلبا منه الطاعة والانقياد الى الملك قيصر . قال ان ذلك لا اجريه ولو ذقت المهالك واني لا اخاف الموت ما زلت متكلاً على الامانة ولا ارضى الخيانة . وعند شروق شمس النهار امر تمرتاش

وخرطوم العساكر ان تعود الى خيامها وتحمل كل ما وصلت اليهِ ايديها فسلبوا بالاموال والسبايا والنساء تبكي وتنوح ففقد رجالها وهن يتحسرن على وقوعهن بايدي الرومان دون ان يشفقوا عليهن وعلى بنيهن . ولما استقر تمرتاش في صيوانهِ امر ان يوتى بالوليد حاكم مصر فاحضر الى بين يديهِ فاطلقهُ واكرمهُ واظهر لهُ كدر الملك قيصر من حالتهِ . ثم امر باحضار قهر اخو فهر ومهر فحضر وهو في وثاقهِ فلامهُ على اصراره على طاعة الملك ضاراب وقال لهُ كان بخاطري ان انتقم منك لولا كرامة اخويك فعاهدني على انك ترجع عن خدمة الملك ضاراب وتدخل في خدمة الملك الاكبر ملك ملوك الرومان فاعفو عنك وادعهُ ان ينعم عليك ويكافيك . قال اني لا ارجو المكافاة ممن لا ارغب في خدمتهِ فاني عاهدت الملك ضاراب واقسمت لهُ الاقسام العظيمة اني اخدمهُ واقاتل امامهُ ولذلك لا اريد ان اخلف في قسمي لان نفسي هي لهُ وقد اشتراها بحلمه فلا املك عليها وكان لهُ الحق ان يقتلني عندما مسكني في مصر من جملة محاربيه فلا مطمع برجوعي عن طاعتهِ فافعلوا بي ما انتم فاعلون فان الله ينقذني منكم واني اعرف اكيداً انكم ان فعلتم بي شرًّا ياخذ لي بثاري منكم الملك ضاراب ولا يتهامل في امري اذا عرف بفعلكم معي فاغضب كلامهُ هذا تمرتاش والتفت الى اخويهِ يستشيرهما في امره . فقالا لهُ ارمهِ الى الارض وامر ان يضرب خمسين سوطًا فيصغر ويطيع فامر في الحال ان يضرب خمسين سوطًا على رجليهِ فيعرف قيمة نفسهِ وما يكون من عناده فرماه الحجاب الى الارض ورفعوا السياط وجعلوا يضربونهُ وهو يصيح مستغيثًا بالملك ضاراب وولده فيروزشاه وينادبهما لمعونته وبعد ان فرغوا من ضربهِ قال لهُ تمرتاش هل لا تزال مصرًّا على عنادك وكيف لم يات الملك ضاراب وينجيك من ايدينا . قال اني قلت ان لا شيء يرجعني عن خدمة الملك ضاراب الا الموت وها انا انتظره بصبر جميل واما من جهة اتيان الملك ضاراب لخلاصي فهذا لا يفوتني ابداً وسوف ترونهُ باعينكم حتى انهُ لا يمكن ان تخفى عليهِ حالة عذابي عندكم ولا بد ان تصلهُ قبل ان يدخل هذه البلاد وذلك لاني اعلم ان عنده بهروز العيار يجول البلاد في يوم وليلة ويعرف ما يكون فيها ويعود باسرع من البرق فكانهُ حاضر في كل مكان فواحسرتاه على نظاره الى حالتي لكان خلصني بالرغم عنكم كما خلص قومهُ من المنتظر الساحر فلما سمع تمرتاش كلامهُ امر ان يوضع في صيوان تحت الترسيم ويبقى فيهِ الى حين وقوع سيف الدولة في يده فيرسلهُ معهُ الى قيصر الملك الاكبر ملك الرومان . ثم امر ان تطاف المدينة وتفتش البيوت على سيف الدولة علهم يجدون لهُ اثرًا او يكون مختبئًا عند احد

قال وبينما كان الحجاب يضربون قهرًا بالسياط كان بهروز العيار حاضرًا يسمع ويرى ويتعجب من امانة هذا الرجل وخيانة اخويهِ وقد عول على خلاصهِ واطلاق سبيلهِ من قيوده وارسالهِ الى يدي الملك ضاراب قال وكان السبب في وجود بهروز في تلك النواحي هو انهُ لما خرج الملك ضاراب

من مصر ومعهٔ ولده فيروزشاه كما تقدم الكلام كان يتردد في امر سيف الدولة ويحب ان يعرف اهل يبقى مصرًّا على طاعتهِ او اذا اجبره قيصر يخرج ويحنث بوعده وعرض ذلك على ولدهِ ووزيره طيطلوس فقالا لهُ الاوفق ان ترسل عيارًا من عيارينا يتاثر سيف الدولة ويأتينا عنهُ بالاخبار الصادقة لان لا بد بعد وصولهِ الى بلاده من ان ياتيهُ الملك قيصر حالاً لان بلاده قريبة جدًّا منهُ فلا يرجع ما لم ياتنا بالخبر اليقين وكان قصد فيروزشاه بذلك ان يبعث بهروز ليفحص لهُ عن عين الحياة وما كان منها وهل هي عند قيصر مع ابيها ام لا واذا كانت هناك هل هي براحة ام جارٍ عليها شيء من حوادث الدهر واذا كان من ابيها الشاه سرور ووزيره طيفور هل ان الملك قيصر معتنٍ بهما او هاملهما . فلما وافق ابوه على رايهِ دعا بهروز واطلعهُ على قصده وقال لهُ اريد منك ان تذهب فتنظر لنا ما يكون من امر سيف الدولة وبعد ان تقف على حقيقة احوالهِ تذهب متخفيًا الى عاصمة الرومان وتكتشف لنا على حالة عين الحياة فاجابهُ بالسمع والطاعة وغير ملابسهُ ولبس ملابس الدراويش وسار قاصدًا ملاطية وقد وعدهم انهُ يلاقيهم الى دمشق او على طريقها اذا تيسر لهُ الرجوع حالاً وبقي سائرًا على تلك الحالة الى ان دخل ملاطية قبل وصول عساكر قيصر بيومين فنزل الى فندق فيها وصبغ جسمهُ بصفة عبد ودخل بين خدم سيف الدولة وقد سر منهُ مزيد السرور حينئذ ما شاهد اعلام الفرس فوق اسوار المدينة وان كل اعمالهِ واوامره تصدر معنونة باسم الملك ضاراب وبقي على هذه الحالة يومين وقد عزم ان يسير الى بلاد قيصر ليكتشف على خبر عين الحياة واذا قد وصل للمدينة خبر اتيان الرومان مع تمرتاش لمحاربة سيف الدولة فتاخر عن السفر وصبر ليعلم ما يكون من امر سيف الدولة وهل يبقى على طاعتهِ او يخلف الى ان شاهد بعينيهِ اصراره على طاعة الفرس فسرَّ منهُ جدًّا ونام تلك الليلة في الفندق على امل ان يذهب في ثاني الايام الى النمسا الى عاصمة قيصر فيكتشف اخبار عين الحياة ويعود بكل سرعة ليعلم الملك ضاراب وولده فيروزشاه فياتيان ملاطية ويرفعان الشر عن سيف الدولة لانهُ كان كما تقدم ازمع على الحصار وفي الليل سمع الصياح فعرف ان الرومان دخلوا البلد فانسل من باب الفندق بين الاسواق فراهم وقد تفرقوا في المدينة على تلك الحالة يكسرون ابواب البيوت فيدخلونها عنوة ويفعلون الفواحش فكدرتهُ هذه الحالة الا انهُ تتبع اثار واحد منهم كسر باب دكان واخذ في ان ينهب منها وبادره بضربة في خنجره بين اكتافهِ القاه قتيلاً فنزع منهُ ثيابهُ وسلاحهُ فلبسها حتى صار كانهُ روماني الاصل ابًا عن جد واخذ يطوف في المدينة مثلهم الا انهُ كلما انفرد بواحد منهم انقض عليهِ فقتلهُ وانزل بهِ العبر حتى طلع الصباح ورجع العسكر عن المدينة بامر تمرتاش وما منهم الا وقد سبى منها بنتًا او امراة ولا واحد الا وحمل احمالاً مما وصلت اليهِ يده من الاموال والاقمشة والامتعة فكدرتهُ هذه الحالة جدًّا وتاسف على المدينة وعلى ما حل بها ومدح جدًّا من سيف الدولة وسرَّ حيث علم

يقدروا على مسكه ولا عرفوا مقرّ وجوده ومن اي جهة هرب . ولما عادوا الى الخيام عاد معهم واختلط بين الحجاب ووقف باب تمرتاش وشاهد ما كان من امر فهر ومهر وخباثتهما فصبر عليهما الى ان راى اخيهما قهرًا وهو يضرب و يستغيث بالملك ضاراب و بفيروزشاه فتحركت برأسه النخوة الفارسية وقال لا بد لي من خلاصه في هذه الليلة وارساله الى الشام ولا اترك الرومان يتحكمون به فهو امين على خدمة دولتنا وقد قبل بالموت واحتمل الضرب والاهانة ولم يقبل بالاحنات بالوعد ولا رضي ان يخون الملك ضاراب . و بقي صابرًا الى ان اشتد الليل وقد عرف المكان الذي وضع فيه قهر فجاء الى الصيوان من قفاه واقتلع منه وتدًا ودخل اليه باسرع من لمح البصر وتقدم من قهر وكان نائمًا فايقظه وهمس في اذنه وقال له لا تخف فانا بهروز جئت لاخلصك فنظر فيه ولم يبد كلمة خوفًا من ان يسمعه الحارث الموكل بالحفظ عليه عند باب الصيوان بل سلم نفسه إليه فاخرجه من ظهر الصيوان الى ان ابعده قليلًا عنه . ثم اخذ المبرد فقطع له قيوده وخرج به من المعسكر وسارا كل تلك الليلة حتى اشرق الصباح فنظرا نفسيهما بعيدين عن المدينة في الخلاء الواسع فهنا بهروز قهراً بسلامته وقال له قد سمعتك تكلمت عن امانة وصدق ولا بد للملك ضاراب من ان يكافيك عن صدق امانتك ويجازي اخويك على خيانتهما ونكثهما الجميل . فمدحه على عمله وسأله سبب حضوره . قال اتيت لاكتشف على الشاه سرور فمررت في طريقي على ملاطية لارى ما يكون جارٍ فيها فاخبرني سيدي فيروزشاه فصدف وصولي ووصول الرومان بآن واحد واني قد عزمت أن اذهب الى اتمام خطتي فاذهب انت من طريق الشام فاما ان تصادف الملك ضاراب آتٍ على الطريق او انك تلحقه بالشام . قال اني لا اهتدي على الطريق ولا يمكني ان اسير على هذه الحالة بلا سلاح ولا زاد فاذهب بي الى مغارة في هذه البرية واخبني بها واذهب انت فانني باحتياجاتي فاقيم مختبئًا الى ان تعود من بلاد قيصر فاسير وإياك معًا الى حضرة الملك ضاراب فوافقه بهروز على طلبه وسار به الى جهة البر الى المغارة التي كان اقام فيها سيف الدولة وزوجته وعين

قد انتهى طبع الجزء الثاني عشر من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب وبه قد انتهى المجلد الثاني وبحسب التقدير الذي سبقت الاشارة اليه نكون قد وصلنا الى نصف هذه القصة وبقي علينا نحو النصف تقريبًا وإنا نشكر الله على رفع العوائق من طريق انجاز ما انجزناه بمدة قصيرة كهذه ولنا الرجاء منه تعالى ان يوفقنا الى اتمام الباقي بحيث ننهي النصف الثاني بمدة لا تزيد عن ثلاثة اشهر فلا ينقضي فصل الشتاء الا وهي كاملة بايدي مشتريها ومشتركيها واني اكرر التماس العذر منهم على ما يرونه من الهفوات فيها بعد ان علمو[illegible] حملتني على التسارع في الكتابة ولم تسمح لي بالمراجعة

قلفاط نخلة